

# المكتشف

بشكر من وزارة المعارف والادب في بيروت

تأليف

أبي القاسم جبار الله محمد بن عسمر الزنجشيري الخوارزمي

٤٦٧-٤٣٨ هـ

وإيكالته

## القاموس الشافي

في تخریج أحوال الكساف

الإمام الحافظ أحمد بن حنبل العسقلاني

الترجمة ٨٥٢ هـ

دار المعرفة

بيروت - لبنان

# الكشاف

عَنْ حَقَائِقِ الشَّرَائِعِ وَعَيْنِ الْأَفْوَانِ فِي حُجُومِ التَّأْوِيلِ

تَأليف

أبي القاسم جارا لله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي

٤٦٧-٥٣٨ هـ

وبكليه

## القائمين الشافعي

في تخریج أحاديث الكشاف

للإمام الحافظ أحمد بن حنبل العسقلاني

الترقي ٨٥٢ هـ

وبذيله

- ١- كتاب "الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال" للإمام ناصر الدين احمد بن النير لا سكندري المالكي
- ٢- هاشية الأستاذ الفاضل محمد عليان المرزوقي الشافعي من كبار علماء الأزهر.
- ٣- شاهد الانصاف على شواهد الكشاف

الجزء الثالث

دار المعرفة

بيروت - لبنان

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنبياء مكية

وآياتها ١١٢ نزلت بعد سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَعْرُضُونَ ۝ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النُّجُومِ الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَكُم

(سورة الأنبياء مكية وهي مائة واثنان عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب أو تأكيداً لإضافة الحساب إليهم كقولك أزف للحي رحيلهم الأصل أزف رحيل الحي ثم أزف للحي الرحيل ثم أزف للحي رحيلهم ونحوه ما أورده سيدي به في باب ما يثنى فيه المستقر توكيداً عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا أبالك لأن اللام مؤكدة لمعنى الإضافة وهذا الوجه أغرب من الأول والمراد اقتراب الساعة وإذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقتراب الوعد الحق (فإن قلت) كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من خمسمائة عام (قلت) هو مقرب عند الله والدليل عليه قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ولأن كل آت وإن طالت أوقات استقباله وترقبه قريب إنما البعيد هو الذي وجد وانقضى ولأن ما بقي في الدنيا أقصر وأقل مما سلف منها بدليل انبعث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال عليه السلام بعثت في نسمة الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم تبق إلا صباية كصباية الإناء وإذا كانت بقية الشيء وإن كثرت في نفسها قليلة بالإضافة إلى معظمه كانت خليقة بأن توصف بالقلية وقصر الذرع وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالناس المشركون وهذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه الدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وصفهم بالغفلة مع الإعراض على معنى أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا ينفطون لما ترجع إليه خاتمة أمرهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء للمحسن والمسيء وإذا قرعت لهم العصا ونهوا عن سنة الغفلة وفظنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا وسدوا أسماعهم ونفروا وقررت إعراضهم عن تنبيه المنبه وإيقاظ الموقظ بأن الله يجتد لهم الذر وقتاً فوقتاً ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكثر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون الموعظة والبصائر التي هي أحق الحق وأجد الجدل لإلها وتلهياً واستسخاراً والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن أبي عبله (محدث) بالرفع صفة على المحل قوله (وهم يلعبون لاهية قلوبهم)

(قوله بعثت في نسمة الساعة) في الصحاح نسمة الريح أولها حين تقبل بلين قبل أن تشتد ومنه الحديث بعثت في نسمة الساعة أي حين ابتدأت وأقبلت أوائلها والنسمة أيضاً جمع نسمة وهي النفس

أَفْتَاتُونَ السَّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ۚ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۚ بَلْ قَالُوا

حالان مترادفتان أو متداخلتان ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة لأن لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لها عنه إذا ذهل وغفل يعنى أنهم وإن فطنوا فهم في قلة جدوى فظنتهم كأنهم لم يفتنوا أصلاً وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم (فإن قلت) النجوى وهى اسم من التناجى لا تكون إلا خفية فمعنى قوله وأسروا (قلت) معناه وبالغوا في إخفائها أو جعلوها بحيث لا يفتن أحد لتناجيتهم ولا يعلم أنهم متناجون ۚ أبدل (الذين ظلموا) من واو وأسروا إشعاراً بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره وأسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء أسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمرة تسجيلاً على فعلهم بأنه ظلم (هل هذا إلا بشر مثلكم أفأتأتون السحروا أنتم تبصرون) هذا الكلام كله في محل نصب بدلا من النجوى أى وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمراً اعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون إلا ملكاً وأن كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة هو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الإنكار أفتحضرون السحروا وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر (فإن قلت) لم أسروا هذا الحديث وبالغوا في إخفائه (قلت) كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق إلى هدم أمره وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب أن لا يشركوا أعداءهم في شورايم ويتجاهدوا في طي سرتهم عنهم ما أمكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجرز أن يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إن كان مات دعونه حقاً فأخبرونا بما أسرنا (فإن قلت) هلا قيل يعلم السر لقوله وأسروا النجوى (قلت) القول عام يشمل السر والجره فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السر كما أن قوله يعلم السر آكد من أن يقول يعلم سرهم ۚ ثم بين ذلك بأنه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية (فإن قلت) فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل أنزله الذى يعلم السر في السموات والأرض (قلت) ليس بواجب أن يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد أخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالآحسن في غيره ليفتن الكلام افتناناً وتجمع

### (القول في سورة الأنبياء)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى ۚ قال ربى يعلم القول فى السماء والأرض وهو السميع العليم ۚ (قال إن قلت لم عدل عن قوله يعلم السر مع أن المتقدم وأسروا النجوى الخ) قال أحمد وهذا من اتباع القرآن للرأى نعوذ بالله من ذلك لاسيما رأى بنى صفات الكمال عن الله تعالى وما الذى دل عليه السميع العليم من نقي صفتي السمع والعلم في تفسيرهما بذلك مع أنه لا يفهم فى اللغة سميع إلا بسمع ولا علم إلا بعلم فإنها صفات مشتقات من مصادر لا بد من فهمها وثبوتها أن لا ثم ثبوت ما اشتقت منه ومن أنكر السمع والعلم فقد سارع إلى إنكار السميع العليم وهو لا يشعر وإيس غرضنا فى هذا المصنف سوى الإيقاظ لما انطوى عليه الكشاف من غوائل البدع ليتجنبها الناظر وأما الأدلة الكلامية فنحنها تلتقى وحاله فيما يورده من أمثال هذه النزغات مختلف فتره يوردها عد كلام يتخيل فى ظاهره إشعاراً بغرضه فوظيفتنا معه حينئذ أن تنازع فى الظهور ثم قد تترقى إلى بيان ظهوره فى عكس مراده أو نصوصيته حتى لا يحتمل ما يدعيه بوجه ما وقد ياجئنا الإنصاف إلى تسليم الظهور له فنذكر وجه التأويل الذى يرشد إليه دليل العقل ومرة يورد نبدأ من هذا الرأى عند كلام لا يحتمله ولا يشعر به بوجه وغرضه التعسف حتى لا يخلى شيئا من كلامه من تعصب وإصرار على باطل فتنبه على ذلك أيضا وما ذكره عند هذه الآية من قبيل ما يدل النص على عكس مراده فيه وقد أوضحناه

(قوله عمل المنصوبة فى التثبيط عنه) كأن فيه سقطا وفى الصحاح نصبت لفلان نصبا إذا عادته

أَضَعْتُ أَحْلَمَ بَلِّ افْتَرَاهُ بَلِّ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بَيِّنَاتٍ كَمَا أَرْسَلْنَا الْأَوَّلُونَ ۝ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ  
 أَهْلَكْنَاهَا أَفْهَمَ يُؤْمِنُونَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝  
 وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ۝ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ  
 وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ۝ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً  
 وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝ فَلَمَّا أَحْسَرُوا بِأَنْسَاءِ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ۝ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ

الغاية وما دونها على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه من قبل أنه قدم ههنا أنهم أسروا التجوى فكأنه أراد أن يقول  
 إن ربى يعلم ما أسروه فوضع القول موضع ذلك للبالغه وثم قصد وصف ذاته بأن إنزاله الذى يعلم السر فى السموات والارض  
 فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة ۝ وقرئ (قال ربى) حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 لم أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخالط أحلام ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده ثم إلى أنه قول شاعر وهكذا الباطل للجلج والمبطل  
 متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى لأقوالهم فى درج الفساد وأن قولهم الثانى أفسد  
 من الاول والثالث أفسد من الثانى وكذلك الرابع من الثالث ۝ صحة التشبيه فى قوله (كما أرسل الأولون) من حيث أنه فى معنى  
 كما أتى الأولون بالآيات لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات الأتري أنه لافرق بين أن تقول أرسل محمد صلى الله عليه  
 وسلم وبين قولك أتى محمد بالمعجزة (أفهم يؤمنون) فيه أنهم أعنى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا  
 أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكشوا أو خالفوا فأهلكهم الله فلو أعطيناهم ما يقترحون لكانوا أنكك وأنكك ۝  
 أمرهم أن يستعلموا أهل الذكر وهم أهل الكتاب حتى يعلموهم أن رسل الله الموحى إليهم كانوا بشرأ ولم يكونوا  
 ملائكة كما اعتقدوا وإنما أحلمهم على أولئك لأنهم كانوا يشايعون المشركين فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 قال الله تعالى ولتسمعن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا فلا يكذبونهم فيما هم فيه  
 رده لرسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يأكلون الطعام) صفة لجسد والمعنى وما جعلنا الأنبياء عليهم السلام قبله ذوى  
 جسد غير طاعمين ووجد الجسد لإرادة الجنس كأنه قال ذوى ضرب من الأجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول  
 يأكل الطعام (فإن قلت) نعم قدرته إنكارهم أن يكون الرسول بشرأ يأكل ويشرب بما ذكرت فماذا ردة من قولهم  
 بقوله (وما كانوا خالدين) (قلت) يحتمل أن يقولوا إنه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت أو يقولوا هلا كان  
 ملكا لا يطعم ويخلد إما معتقدين أن الملائكة لا يموتون أو مسمين حياتهم المتطاولة وبقاؤهم الممتد خلوداً (صدقناهم  
 الوعد) مثل واختار موسى قومه والأصل فى الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقنى سن بكره (ومن نشاء)  
 هم المؤمنون ومن فى بقائه مصلحة (ذكركم) شرفكم وصيتكم كما قال وإنه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو فيه مكارم  
 الأخلاق التى كنتم تطلبون بها الثناء أو حسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث وأداء الأمانة  
 والسخاء وما أشبه ذلك (وكم قصمنا من قربة) واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لأن القصم أفضع الكسر  
 وهو الكسر الذى يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف القصم وأراد بالقربة أهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال (قوما آخرين)  
 لأن المعنى أهلكننا قوما وأنشأنا قوما آخرين وعن ابن عباس أنها حضور وهى وسحول قريتان باليمن تنسب إليهما

(قوله وهكذا الباطل للجلج والمبطل متحير) فى الصحاح الحق أبلج والباطل للجلج أى يردد من غير أن ينفد

(قوله تطلبون بها الثناء أو حسن الذكر) لعله وحسن الذكر بالواو

فِيهِ وَمَسَكَنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُونَ ۝ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ۝ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ۝ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آيَاتٍ مِّنْ لَّدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ۝ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ۝ وَلَهُ

التياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروى حضوريين بعث الله إليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم وروى أنهم لما أخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء بالثارات الأنبياء ندموا واعترفوا بالخطيئة وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس ذكر حضور بأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية ۝ فلما علموا شدة عذابنا وبطشنا علم حس و مشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز أن يركضوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فليلهم ( لا تركضوا ) والقول محذوف ( فإن قلت ) من القائل ( قلت ) يحتمل أن يكون بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلوا خلفاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم أو ببلههم ذلك فيحدثوا به نفوسهم ( وارجعوا إلى ما أترقت فيه ) من العيش الرافه والحال الناعمة والإتراف إبطار النعمة وهي الترفه ( لعلكم تستلون ) تهكم بهم وتوبيخ أي ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تستلون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقول لكم بـم تأمرون وبماذا ترسمون وكيف تأتي ونذر كعادة المنعمين المخدومين أو يسألكم الناس في أنديةكم المعاونة في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بأرائكم أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمتطرون سحائب أ كفكم ويمترون أخلاف معروفكم وأياديكم إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رثاء الناس وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقبل لهم ذلك تهكما إلى تهكم وتوبيخا إلى توبيخ ( تلك ) إشارة إلى يا ويلنا لأنها دعوى كأنه قيل فما زالت تلك الدعوى ( دعواهم ) والدعوى بمعنى الدعوة قال تعالى وآخردعواهم أن الحمد لله رب العالمين ( فإن قلت ) لم سميت دعوى ( قلت ) لأن المولود كأنه يدعوا الويل فيقول تعالى يا ويل فهذا وقتك وتلك مرفوع أو منصوب اسما أو خبرا وكذلك دعواهم ۝ الحصيد : الزرع المحصود أي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا أي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدا والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية ( فإن قلت ) كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل ( قلت ) حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لأن معنى قولك جعلته حلوا حامضا جمعته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين للمائلة الحصيد والخود ۝ أي وما سويتنا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما تسوى الجبارة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وإنما سويتها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لاتعد والمرافق التي لاتحصى ۝ ثم بين أن السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعالي هو أن الحكمة صارفة عنه وإلا فأنا قادر على اتخاذها إن كنت فاعلا لأنى على كل شيء قدير ۝ وقوله ( لاتخذناه من لدنا ) كقوله رزقا من لدنا أي من جهة قدرتنا وقيل للهو الولد

( قوله ويمترون أخلاف معروفكم ) في الصحاح الريح تمرى السحاب وتمترية أي تستدره وفيه أيضا الخلف بالكسر

حلمة ضرع الناقة ( قوله في استئصالهم واصطلامهم ) في الصحاح الاصطلام الاستئصال

مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۚ يُسْبِحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۚ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ۚ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ

بلغه اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنا أى من الملائكة لامن الإنس رداً لولادة المسيح وعزير (بل) إضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيهه منه لذاته كأنه قال سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح أن نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعارة لذلك القذف والدمغ تصويراً لإبطاله وإهداره ومحقه فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلاً قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه ثم قال (ولكم الويل لما تصفون) به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله سأترك منزلي لبنى تميم ۚ والحق بالحجاز فأستريحاً وقرئ فدمغه (ومن عنده) هم الملائكة والمراد أنهم مكرهون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه ۚ (فإن قلت) الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الأبلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور (قلت) في الاستحسار بيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه وأنهم أحقوا لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون ۚ أى تسديحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ أو شغل آخر ۚ هذه أم المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد آذنت بالإضراب عما قبلها والإنكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم (آلهة من الأرض هم ينشرون) الموتى ولعمري أن من أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموتى (فإن قلت) كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم أبعد شيء عن هذه الدعوى وذلك أنهم

ۚ قوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لها آلهة من لدنا (قال معناه سبحاننا أن نتخذ لها ولعبا الخ) قال أحمدوله تحت قوله واستغنائنا عن القبيح دفين من البدعة والضلالة ولكنه من الكنوز التي يحصى عليها في نار جهنم وذلك أن القدرية يوجبون على الله تعالى رعاية المصالح وفعل ما يتوهمونه حسناً بعمولهم ويظنون أن الحكمة تقتضى ذلك فلا يستغنى الحكيم على زعمهم عن خلق الحسن على وفق الحكمة بخلاف القبيح فإن الحكمة تقتضى الاستغناء عنه فإلى ذلك يلوح الزمخشري وماهى إلا نزغة سبق إليها ضلال الفلاسفة ومن ثم يقولون ليس فى الإمكان أكمل من هذا العالم لأنه لو كان فى القدرة أكمل منه وأحسن ثم لم يخلق الله تعالى لكان بخلاىنا فى الجود أو عجزاً ينافى القدرة حتى اتبعهم فى ذلك من لانسبه من أهل الملة عفا الله عنه إن كان هذا مما يدخل تحت ذيل العفو فالحق أن الله تعالى مستغن عن جميع الأفعال حسنة كانت أو غيرها مصلحة كانت أو مفسدة وأن له أن لا يخلق ما يتوهمه القدرية حسناً له أن يفعل ما يتوهمونه فى الشاهد قبيحاً وأن كل موجود من فاعل وفعل على الإطلاق فبقدرته وجد فليس فى الوجود إلا الله وصفاته وأفعاله وهو مستغن عن العالم بأسره وحسنه وقبحه فلو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك فى ملكه شيئاً ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم على أجز قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكه شيئاً اللهم ألهمنا الحق واستعملنا به عاد كلامه (قال وفى قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل استعارة حسنة استعار القذف الخ) قال أحمد ومثل هذا التنبه من حسناته ولولا أن السيئة التى قبلها تتعلق بالعقيدة لتلوت إن الحسنات يذهبن السيئات والله أعلم ۚ قوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (قال فيه إن قلت لم استعمل الاستحسار ههنا فى النفي الخ) قال أحمد وبمثله أجيب عن قوله تعالى وماربك بظلام للعبيد فانظره قوله تعالى أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون (قال إن قلت كيف أنكر عليهم اتخاذ

(قوله على جرم رخو أجوف فدمغه) فى الصحاح شجوه حتى بلغت الشجة الدماغ (قوله لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فبعض البشر أفضل (قوله يوجب غاية الحسور وأقصاه) أى الكلال أفاده الصحاح (قوله هم ينشرون الموتى) الإشار إلى إحياء بعد الموت أفاده الصحاح

كانوا مع إقرارهم لله عز وجل بأنه خالق السموات والأرض ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله وبأنه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الأولى منكرين البعث ويقولون من يحيى العظام وهي رميم وكان عندهم من قيل المحال الخارج عن قدرة القادر كثنائي القديم فكيف يدعونه للجهد الذي لا يوصف بالقدرة رأساً (قلت) الأمر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الإلهية يلزمهم أن يدعوا لها الإنشاز لأنه لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور والإنشاز من جملة المقدورات وفيه باب من التهم بهم والتويخ والتجهيل وإشعار بأن ما استبعده من الله لا يصح استبعاده لأن الإلهية لما صحت معها الاقتدار على الإيدام والإعادة ونحو قوله (من الأرض) قولك فلان من مكة أو من المدينة تريد مكي أو مدني ومعنى نسبتها إلى الأرض الإيدان بأنها الأصنام التي تعبد في الأرض لأن الآلهة على ضربين أرضية وسماوية ومن ذلك حديث الأمة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ربك فأشارت إلى السماء فقال إنها مؤمنة لأنه فهم منها أن مرادها نبي الآلهة الأرضية التي هي الأصنام لإثبات السماء مكاناً لله عز وجل ويجوز أن يراد آلهة من جنس الأرض لأنها إما أن تحت من بعض الحجارة أو تعمل من بعض جواهر الأرض (فإن قلت) لا بد من نكتة في قوله هم (قلت) النكتة فيه إفادة معنى الخصوصية كأنه قيل أم اتخذوا آلهة لا يقدر على الإنشاز إلا هم وحدهم وقرأ الحسن ينشرون وهم الغتان أنشر الله الموتى ونشرها وصفت آلهة بالآلهة لا توصف بغير لوقيل آلهة غير الله (فإن قلت) ما منعك من الرفع على البديل (قلت) لأن لو بمنزلة إن في أن الكلام معه موجب والبديل لا يسوغ إلا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد إلا أمرأتك وذلك لأن أعم العام يصح نفيه ولا يصح إيجابه والمعنى لو كان يتولاها ويدبر أمرها آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرها فسدتا وفيه دلالة على أمرين أحدهما وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحداً والثاني أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده لقوله إلا الله (فإن قلت) لموجب الأمران (قلت) لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق كان والله أعز علي من دم ناظري

آلهة الخ) قال أحمد فيكون المسكر عليهم صريح الدعوى ولازمها وهو أبلغ في الإنكار والله سبحانه وتعالى أعلم  
 ه عاد كلامه (قال محمود إن قلت لا بد لقوله هم من فائدة وإلا فالكلام مستقل بدونها الخ) قال أحمد وفي هذه النكتة نظر لأن آلات الحصر مفقودة وليس ذلك من قبيل صديق زيد فإن المبتدأ في الآية أخص شيء لأنه ضمير وأيضاً فلا ينبغي على ذلك إلزامهم حصر الألوهية فيهم وتخصيص الإنشاز بهم ونفيه عن الله تعالى إذ هذا لا يناسب السياق فإنه قال عقبها لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ومعناه لو كان فيهما إله غير الله شريكاً لله لفسدتا وكان مقتضى ما قال الزمخشري أن يقال لو لم يكن فيهما آلهة إلا الأصنام لفسدتا وأما المتلو على خلاف ذلك فلا وجه لما قال الزمخشري وعندى أنه يحتمل والله أعلم أن تكون فائدة قوله هم الإيدان بأنهم لم يدعوا لها الإنشاز وأن قوله هم ينشرون استئناف إلزام لهم وكأنه قال اتخذوا آلهة مع الله عز وجل فهم إذن يحيون الموتى ضرورة كونهم آلهة ثم لما انتظم من دعواهم الألوهية للأصنام وإلزامهم على ذلك أن يصفوهم بالقدرة الكاملة على إحياء الموتى نظم في إبطال هذه الدعوى وما ألزمهم عليها دليل قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ه وأزيد هذا التقرير وضوحاً فأقول إن دليل التمانع المغترف من بحر هذه الآية المقتبس من نورها يورده المتكلمون على صورة التقسيم فيقولون لو وجد مع الله إله آخر وبما قالوا لو فرضنا وجود إلهين فإما أن يكونا جميعاً موصوفين بصفات الكمال اللاتي يندرج فيها القدرة على إحياء الموتى وإنشازهم وغير ذلك من الممكنات أو لا يتصف بها واحد منهما أو أحدهما دون الآخر ثم يحيلون جميع الأقسام وهو المسمى برهان الخلف وأدق الأقسام إبطالاً قسم اتصافهما جميعاً بصفات الكمال وما عداه فيبدي الرأي يبطل فأنظر كيف اختار له تعالى إبطال هذا القسم الخفي البطلان فأوضح فساده في أخصر أسلوب وأوجزه وأبلغ بديع الكلام ومعجزه وإنما ينتظم هذا على أن يكون المقصد من قوله هم ينشرون إلزامهم ادعاء صفات الألوهية لآلهتهم حتى يتحزى أنهم اختاروا القسم الذي أبطله الله تعالى ووكل إبطال ما عداه من الأقسام إلى ماركبه في عباده من العقول وكل خطب بعد بطلان هذا القسم جليل والله الموفق فتأمل هذا



رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۚ لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ۚ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ  
هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ  
رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۚ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۚ

ولكن لا يجتمع خلان في شول وهذا ظاهر وأما طريقة التمانع فللتكلمين فيها تجاول وطراد ولأن هذه الأفعال  
محتاجة إلى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر ۚ إذا كانت عادة الملوك والجبابرة أن لا يسألهم من في ملكهم  
عن أفعالهم وعمما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيأ وإجلالا مع جواز الخطأ والزلل وأنواع الفساد عليهم كان  
ملك الملوك ورب الأرباب خالقهم ورازقهم أولى بأن لا يستل عن أفعاله مع ما علم واستقر في العقول من أن ما يفعله كله  
مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح (وهم يستلون) أي هم مملوكون مستعبدون خطأون فما أخلقهم  
بأن يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه ۚ كرر (أم اتخذوا من دونه آلهة) استفظا لشأنهم واستعظاما لكفرهم أي وصفتم الله  
تعالى بأن له شريكا فها أتوا برهانكم على ذلك إما من جهة العقل وإما من جهة الوحي فإنكم لا تجدون كتابا من كتب الأولين  
إلا وتوحيد الله وتنزيهه عن الأنداد مدعو إليه والإشراك به منهي عنه متوعد عليه ۚ أي (هذا) الوحي الوارد في معنى  
توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد على فقد ورد على جميع الأنبياء فهو ذكرا أي عظة للذين معي يعني أمته وذكرا للذين من قبلي  
يريد أهم الأنبياء عليهم السلام وقرئ (ذكرا من معي وذكرا من قبلي) بالتثنية ومن مفعول منصوب بالذكرا كقوله أو إطعام  
في يوم ذي مسغبة يتما وهو الأصل والإضافة من إضافة المصدر إلى المفعول كقوله غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد  
غلبهم سيغلبون وقرئ من معي ومن قبلي على من الإضافة في هذه القراءة وإدخال الجار على مع غريب والعذرية أنه اسم هو  
ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما أشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على أخواته وقرئ ذكرا معي ذكرا قبلي ۚ كأنه قيل بل  
عندهم ما هو أصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الإعراض ومن هناك  
ورد هذا الإنكاره وقرئ (الحق) بالرفع على توكيد بين السبب والمسبب والمعنى أن إعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل  
ويجوز أن يكون المنصوب أيضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل (يوحى) ونوحى مشهورتان وهذه الآية مقررة

الفصل بعين الإنصاف تجده أنفس الأنصاف والله المستعان قوله تعالى « لا يستل عما يفعل وهم يستلون » (قال) لما بين  
تعالى أنه رب الأرباب وخالقهم ومالكهم ناسب هذا التنبيه على ما يجب له تعالى على خلقه من الإجلال والإعظام فإن  
آحاد الملوك تمنع مهايته أن يستل عن فعل فعله فما ظنك بخالق الملوك وربهم ثم إن آحاد الملوك يجوز عليهم الخطأ والزلل  
وقد استقر في العقول أن أفعال الله تعالى كلها مفعولة بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح (قال أحمد)  
سحقا لها من لفظه ما أسوأ أدبها مع الله تعالى أعنى قوله دواعي الحكمة فإن الدواعي والصوارف إنما تستعمل في حق المحدثين  
كقوله هو مما توفردواعي الناس إليه أو صوارفهم عنه وقوله لا يجوز عليه فعل القبائح قلت وهذا من الطراز الأول ولو أنه  
في الذيل ۚ فقد نسيت وما بالعهد من قدم ۚ وبعد ما انقضى دليل التوحيد وإبطال الشرك من سمعك أيها الزمخشري وقلبك  
رطب بتقريره فلم نكصب وانتكست أتقول أن أحدا شريك الله في ملكه يفعل ما يشاء من الأفعال التي تسمى قبائح ففيها  
عن قدرة الله تعالى وإرادته وما الفرق بين من يشرك الله ملكا من الملائكة وبين من يشرك نفسه بربه حتى يقول إنه يفعل  
ويخلق لنفسه شاء الله أولم يشأ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا والقدرية ارتضوا لأنفسهم شر شرك لأن غيرهم أشرك  
بالملائكة وهم أشركوا بنفوسهم وبالشياطين والجن وجميع الحيوانات فعوذ بمالك الملك من مسالك الهلك قوله تعالى

(قوله ولكن لا يجتمع خلان في شول) في الصحاح الشول النوق التي خفت لبنها وارتفع ضرعها (قوله ولا يجوز  
عليه الخطأ ولا فعل القبائح) هذا عند المعتزلة أماعد أهل السنة فهو الفاعل للخير والشر كما بين في علم التوحيد

لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ  
خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ۚ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكِ بَجْزِي جَهَنَّمَ كَذَلِكَ بَجْزِي الظَّالِمِينَ ۚ أُولَئِكَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا إِنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۚ وَجَعَلْنَا

لمسابقها من آي التوحيد ۚ بزات في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله ۚ نزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد  
والعبودية تنافي الولادة إلا أنهم (مكرمون) مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من أحوال وصفات ليست  
أغیرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم أنهم أولادى تعاليت عن ذلك علواً كبيراً وقرئ مكرمون و(لا يسبقونه) بالضم من  
سابقته فسبقته أسبقه والمعنى أنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئاً حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقوله فأنيب اللام مناب  
الإضافة أى لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسى فرسه ۚ وكما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضاً كذلك مبنى على أمره  
لا يعملون عملاً يؤمر به وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا وأخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه فلا يحاط بهم بذلك يضبطون  
أنفسهم ويراعون أحوالهم ويعمرون أوقانهم ومن يحفظهم أنهم لا يجسرون أن يشفعوا إلا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في ازدياد  
الثواب والتعظيم ثم أنهم مع هذا كاه من خشية الله (مشفقون) أى متوقعون من أمانة ضعيفة كائون على حذر ورقبة لا يأمنون  
مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج ساقطاً كالحلس من خشية الله وبعد أن وصف  
كرامتهم عليه وقرب منزلهم عنده وأثنى عليه وأضاف إليهم تلك الأفعال السنية والأعمال المرضية فاجأ بالوعيد الشديد وأذر  
بعذاب جهنم من أشرك منهم إن كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع إحاطة علمه بأنه لا يكون كما قال ولو أشركوا الحبط عنهم  
ما كانوا يعملون فصد بذلك تفضيع أمر الشرك وتعظيم شأن التوحيد قرئ (المير) بغير واو و(رتقا) بفتح التاء وكلاهما معنى  
المفعول كالحق والنقض أى كانتا توقيتين (فإن قلت) الرتق صالح أن يقع موقع مرتوقيتين لأنه مصدر فبالالرتق (قلت)  
هو على تقرير موصوف أى كانتا شيئاً رتقا ومعنى ذلك أن السماء كانت لاصقة بالأرض لافضاء بينهما أو كانت السموات  
متلاصقات وكذلك الأرضون لافرج بينهما ففتقها الله وفرج بينهما وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعدما كانت مصمتة وإنما  
قيل كانتا دون كن لأن المراد جماعة السموات وجماعة الأرض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان أى جماعتان فعل فى المضمر  
نحو ما فعل فى المظهر (فإن قلت) متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أنه وارد فى القرآن  
الذى هو معجزة فى نفسه فقام مقام المرئى المشاهد والثانى أن تلاصق الأرض والسماء وتباينهما كلاهما جائز فى العقل  
فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه (وجعلنا) لا يخلو أن يتعدى إلى واحد أو اثنين فإن تعدى  
إلى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه  
إليه وجه له وقلة صبره عنه كقوله تعالى خلق الإنسان من عجل وإن تعدى إلى اثنين فالمعنى صيرنا كل شئ حتى بسبب  
من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من فى قوله عليه السلام ما أنا من دد ولا الدمى وقرئ حيا وهو المفعول الثانى

سبحانه بل عباد مكرمون (قال معناه مكرمون مفضلون على سائر عباد الله) قال أحمد وهذا التفسير من جعل القرآن  
تبعاً للرأى فإنه لما كان يعتقد تفضيل الملائكة على الرسل نزل الآية على معتقده وليس غرضنا إلا بيان أنه  
حمل الآية مالا تحمله وتناول منها مالا تعطيه لأنه ادعى أنهم مكرمون على سائر الخلق لاعلى بعضهم فدعوا

(قوله مفضلون على سائر العباد) هذا عند المعتزلة وبعض البشر أفضل منهم عند أهل السنة (قوله على حذر ورقبة  
لا يأمنون) بالكسر أى انتظار أفاده الصحاح (قوله كالحلس من خشية الله) بكسر فسكون أو بفتحين كسء رقيق يكون  
تحت البرذعة أو تحت الرحل أفاده الصحاح (قوله إن كان ذلك على سبيل الفرض) لعله إذ كان  
(قوله ومن هنا) لعله ومن هنا (قوله عليه السلام ما أنا من دد) فى الصحاح الدد اللهو واللعب

فِي الْأَرْضِ رَوَىٰ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سَبِيلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ

والظرف لغو ۝ أى كراهة (أن تميد بهم) وتضطرب أو لئلا تميد بهم فحذف لا واللام وإنما جاز حذف لعدم الالتباس كما تزداد لذلك في نحو قوله لئلا يعلم وهذا مذهب الكوفيين ۝ الفج الطريق الواسع (فإن قلت) في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا (قلت) لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله ۝ لعزة موحشا طلل قديم ۝ (فإن قلت) ما الفرق بينهما من جهة المعنى (قلت) أحدهما الإعلام بأنه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بأنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثمة محفوظا حفظه بالإمساك بقدرته من أن يقع على الأرض ويتزلزل أو بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة (عن آياتها) أى عما وضع الله فيها من الأدلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسارها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة وأى جهل أعظم من جهل من أعرض عنها ولم يذهب به وهمه إلى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شأن من أوجدها عن عدم تدبرها ونصبها هذه النصبه وأودعها ما لا يعرف كنهه إلا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آياتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس أى هم متفظنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمرها والاهتداء بكواكبها وحياة الأرض والحيوان بأقطارها ۝ وهم عن كونها آية بينة على الخالق (معرضون) (كل) التنوين فيه عوض من المضاف إليه أى كلهم (في فلك يسبحون) والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعها بالشموس والأقمار وإلا فالشمس واحدة والقمر واحد وإنما جعل الضمير والعتلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة (فإن قلت) الجملة ما محلها (قلت) محلها النصب على الحال من الشمس والقمر (فإن قلت) كيف استبدت بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما (قلت) كما نقول رأيت زيدا وهنداً متبرجة ونحو ذلك إذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة وهبنا له إسحق ويعقوب نافلة أو لأجل لها لاستدافها (فإن قلت) لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك (قلت) هذا كقولهم كساهم الأمير حلة وقلدهم سيفاً أى كل واحد

شاملة ودليله مطلق والله الموفق ۝ قوله تعالى وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم (قال معناه كراهة أن تميد بهم أو تكون لا محذوفة لأمن الإلباس) قال أحمد وأولى من هذين الوجهين أن يكون من قولهم أعددت هذه الخشبة أن تميل الحائط فأدعمه قال سيديه ومعناه أن أدعم الحائط إذا مال وإنما قدم ذكر الميل اهتماماً بشأنه ولأنه أيضاً هو السبب في الإدعام والإدعام سبب في إعداد الخشبة فعامل سبب السبب معاملة السبب وعليه حمل قوله تعالى أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى كذلك مانحن فيه يكون الأصل وجعلنا في الأرض رواسي لأجل أن تثبتنا إذا ماتت بهم فجعل الميل هو السبب كما جعل الميل في المثل المذكور سبباً وصار الكلام وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد فتثبتنا ثم حذف قوله فتثبتنا لأمن الإلباس بإيجازاً واختصاراً وهذا التقرير أقرب إلى الواقع مما أول الزخشرى الآية عليه فإن مقتضى تأويله أن لا تميد الأرض بأهلها لأن الله كره ذلك ومكروه الله تعالى محال أن يقع كما أن مراده واجب أن يقع والمشاهد خلاف ذلك فكم من زلزلة ماتت لها الأرض وكادت تغلب عليها سافلها وأما على تقريرنا فالمراد أن الله تعالى ثبت الأرض بالجبال إذ ماتت وهذا لا يابى وقوع الميل كما أن قوله أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى لا يابى وقوع الضلال والنسيان من إحداهما ولكنه ميد يستعقبه التثبيت وكذلك الواقع من الزلازل إنما هو كاللمحة

(قوله يقع على الأرض ويتزلزل) لعله أو يتزلزل (قوله والعبر بالشمس والقمر) لعله كالشمس الخ كعبارة النسفي

مَنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فُهُمُ الْخَالِدُونَ ۝ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝  
وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذِكرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ۝  
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ سَاورِيكُمْ ءآيَتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝

منهم أو كسأهم وقدم هذين الجنسيتين بما يدل على الجنس اختصاراً لأن الغرض الدلالة على الجنس ۝ كانوا يقدون أنه سيموت فيشمتون بموته فنفي الله تعالى عنه الشماتة بهذا أي قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشراً فلا أنت ولا هم إلا عرضة للموت فإذا كان الأمر كذلك فإن مت أنت أيتي هؤلاء وفي معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا أيقوا ۝ سلبق الشامتون كما لقينا

أي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم وإلينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر أو الشكر وإنما سمي ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لأنه في صورة الاختبار و (فتنة) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه الذكر يكون بخير وبخلافه فإذا دلت الحال على أحدهما أطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فإن كان الذاكر صديقاً فهو ثناء وإن كان عدواً فذم ومنه قوله تعالى سمعنا قتي يذكركم وقوله (أهذا الذي يذكركم آلِهتكم) والمعنى أنهم عاكفون على ذكر آلِهتهم بهمهم وما يجب أن لا تذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم أن يذكروها ذلك بخلاف ذلك وأما ذكر الله وما يجب أن يذكرك به من الوجدانية فهم به كافرون لا يصدقون به أصلاً فهم أحق بأن يتخذوا هزواً منك فإنك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن إلا مسيلة وقولهم وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وقيل بذكر الرحمن بما أنزل عليك من القرآن والجملة في موضع الحال أي يتخذونك هزواً وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله ۝ كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة إلى العلم والإقرار (ويقولون متى هذا الوعد) فأراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم أولاً ذم الإنسان على إفراط العجلة وأنه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كأنه قال ليس يبدع منكم أن تستعجلوا فإنكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه أراد بالإنسان آدم عليه السلام وأنه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالح فيه أراد أن يقوم وروى أنه لما دخل الروح في عينه نظر إلى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتى الطعام وقيل خلقه الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فأسرع في خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه النضر بن الحرث والظاهر أن المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال شاعرهم والنخل

ثم يثبتها الله تعالى ۝ قوله تعالى أهذا الذي يذكركم آلِهتكم (قال فيه الذكركم يكون بخير وبخلافه فإذا دلت الحال على أحدهما أطلق بقيد القرينة فإن كان الذاكر صديقاً فهم منه الخير وإن كان عدواً فهم منه الذم) قال أحمد وكذلك القول ومنه قول موسى عليه السلام أتقولون للحق لما جاءكم معناه أتعيبون الحق لما جاءكم ثم ابتداء فقال أسحر هذا وإنما لم يجعله معمولا للقول ومحكيأبه لأنهم قفوا القول بأنه سحر فقالوا إن هذا لسحر مبین ولم يشككوا أنفسهم ولا استفهموا وقد مضى فيه غير هذا وإنما أطلقوا في قولهم أهذا الذي يذكركم آلِهتكم ولم يقولوا هذا الذي يذكركم آلِهتكم بكل سواء لأنهم استفظعوا حكاية ما يقوله النبي من القدح في آلِهتهم رمياً بأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر وحاشوها من نقل ذمها مفصلاً فأومأ إليه بالإشارة المذكورة كما يتحاشى المؤمن من حكاية كلمة الكفر فيومي إليها بلفظ يفهم المقصود بطريق التعريض فسبحان من أضلهم حتى تأدبوا مع الأوثان وأسأوا الأدب على الرحمن

لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ ۚ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً  
فَتُتَبَّهِمُ ۚ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۚ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَخَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا  
بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۚ قُلْ مَنْ يَسْكُلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ۚ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ  
تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ ۚ بَلْ مَتَّعْنَا هَهُؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ  
عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْغُلُوبُ ۚ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ  
وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ۚ وَلَكِنَّ مَسْتَهْمُ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لِيَقُولُنَّ يَسْأَلُونَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۚ

ينبت بين الماء والعجل والله أعلم بصحته (فإن قلت) لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الإنسان من عجل وقوله  
وكان الإنسان عجولا أليس هذا من تكليف ما لا يطاق (قلت) هذا كإركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها أعطاه القدرة التي  
يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الإنسان جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم أي لو يعلمون الوقت  
الذي يستعملون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرزون على  
دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن  
جهلهم به هو الذي هوته عندهم ويجوز أن يكون (يعلم) متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما  
كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمرة أي حين (لا يكفون عن وجوههم النار) يعلمون أنهم كانوا على الباطل ويفتنى عنهم  
هذا الجهل العظيم أي لا يكفون عنها بل تفجؤهم فتغلبهم يقال المغلوب في المحاجة مهوت ومنه فهت الذي كفر أي غلب إبراهيم عليه السلام  
الكافر وقرأ الأعمش يأتهم فيهمهم على التذكير والضمير للوعد أو للحين (فإن قلت) فالإلام يرجع الضمير المؤنث في  
هذه القراءة (قلت) إلى النار أو إلى الوعد لأنه في معنى النار وهي التي وعدوها أو على تأويل العدة أو الموعدة أو إلى الحين لأنه في  
معنى الساعة أو إلى البغته وقيل في القراءة الأولى الضمير للساعة وقرأ الأعمش بغته بفتح الغين (ولا هم ينظرون) تذكير  
بانظاره إياهم وإمهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم أي لا يمهلون بعد طول الإمهال ۚ صلى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم عن استهزائهم به بأن له في الأنبياء عليهم السلام أسوة وأن ما يفعلونه به يحق بهم كما حاق بالمستهزين بالأنبياء عليهم  
السلام ما فعلوا (من الرحمن) أي من بأسه وعذابه (بل هم) معرضون عن ذكره لا يخطر ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه  
حتى إذا رزقوا الكلام منه عرفوا من الكالي وصلحوا للسؤال عنه والمراد أنه أمر رسوله عليه الصلاة والسلام بسؤالهم  
عن الكالي ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لأعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بما في أم من معنى بل  
وقال (أم لهم آلهة تمنعهم) من العذاب تتجاوز معنا وحفظنا ۚ ثم استأنف فبين أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها  
ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ۚ ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلام إنما هو  
منا لا من مانع يمنعهم من أهلا كنا وما كلاً ناهم وآباءهم الماضين لإلتمتعهم بالحياة الدنيا وإمهالهم كما تمنعنا غيرهم من  
الكفار وأمهالناهم (حتى طال عليهم) الأمد وامتدت بهم أيام الروح والطمانينة فحسبوا أن لا يزالوا على ذلك لا يغلبون  
ولا ينزع عنهم ثوب أمتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وأمد كاذب (أفلا يرون أنا) ننقص أرض الكفر ودار  
الحرب ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردعا دار إسلام (فإن قلت) أي فائدة في قوله  
(نأتى الأرض) (قلت) الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدي المسلمين وأن عساكرهم وسراياهم كانت تغزو  
أرض المشركين وتأتيها غالبية عليها ناقصة من أطرافها ۚ قرئ (ولا يسمع الصم) ولا يسمع الصم بالهاء والياء أي لا يسمع

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ ۝ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذَكَرًا لِلتَّقِيينَ ۝ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ۝ وَهَذَا ذِكْرُ بَارِكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَانْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ۝ وَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ ۝ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۝ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ

أنت الصم ولا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسمع الصم من أسمع (فإن قلت) الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل (إذا ما يندرون) (قلت) اللام في الصم إشارة إلى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد للجنس والأصل ولا يسمعون إذا ما يندرون فوضع الظاهر موضع المضمحل للدلالة على تصامهم وسدهم أسماءهم إذا أنذروا أي هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام من آيات الإنذار (ولئن مستهم) من هذا الذي يندرون به أدنى شيء لا ذعوا وذلوا وأقروا بأنهم ظلوا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لأن النفح في معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو ربح يسير ونفحه ببطية رضخه ولبناء المرة ۝ وصفت (الموازين) بالقسط وهو العدل مبالغة كأما في أنفسها قسط أو على حذف المضاف أي ذوات القسط واللام في (ليوم القيامة) مثلها في قولك جئت لجلس ليل خلون من الشهر ومنه بيت النابغة ترسمت آيات لها ففرقتها ۝ لستة أعوام وذا العام سابع وقيل لأهل يوم القيامة أي لأجلهم (فإن قلت) ما المراد بوضع الموازين (قلت) فيه قولان أحدهما إحصاء الحساب السوى والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والنصفه من غير أن يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثاني أنه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الأعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروي أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه غشى عليه ثم أفاق فقال يا إلهي من ذا الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال يا داود إني إذا رضيت عن عبدى ملأته بتمرة (فإن قلت) كيف توزن الأعمال وإنما هي أعراض (قلت) فيه قولان أحدهما توزن صحائف الأعمال والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة ۝ وقرئ (مِثْقَالِ حَبَّةٍ) على كان التامة كقوله تعالى وإن كان ذراعاً من فضة ۝ وقرأ ابن عباس ومجاهد (أتينا بها) وهي مفاعلة من الإتيان بمعنى المجازاة والمكافأة لأنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء ۝ وقرأ حميد أتينا بها من الثواب وفي حرف أي جئنا بها وأنت ضمير المثقال لإضافته إلى الحبة كقولهم ذهبت بعض أصابعه أي أتيناها (الفرقان) وهو التوراة (و) أتينا به (ضياء) وذكرنا للتقنين) والمعنى أنه في نفسه ضياء وذكرنا أو أتيناها بمافيه من الشرائع والمواظظ ضياء وذكرنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فاق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة أو ذكر ما يحتاجون إليه في دينهم ومصالحهم أو الشرف محل (الذين) جر على الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه (وهذا ذكر مبارك) هو القرآن وبركته كثيرة منافعه وغزارة خيره الرشداً للاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فإن أنتم منكم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى إضافته إليه أنه رشد مثله وأنه رشده شأن (من قبل) أي من قبل موسى وهرون عليهما السلام ومعنى علمه به أنه علم منه أحوالاً بدبغة وأسراراً عجيبة وصفات قدر ضيها وأحدهما حتى أهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس أنا عالم بفلان

(قوله على التصام من آيات الإنذار) لعلمه عن (قوله وهو ربح يسير ونفحة ببطية) في الصحاح ربحه الفرس والبغل والحمار إذا ضربه برجله (قوله ترسمت آيات لها ففرقتها) يروي توسمت

لَهَا عِبْدِينَ ۖ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۖ قَالُوا اجْتَنَبْنَا بِالْحَقِّ أُمَّنْتَ مِنَ اللَّعْبِينَ ۖ قَالَ  
بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۖ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ  
بَعْدَ أَنْ تُولَؤُوا مُدْبِرِينَ ۖ فَجَعَلَهُمْ جُذُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۖ قَالُوا مِنْ فَعَلٍ هَذَا بَالِهَتِنَا إِنَّهُ

فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الأوصاف بمنزل (إذ) إيمان يتعلق بآئتنا أو برشده أو بمحذوف أى اذكر من أوقات رشده هذا الوقت قوله (ماهذه التماثيل) بجاهل لهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها لم ينوللعا كفين مفعولا وأجراه مجرى مالا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها أو واقفون لها (فإن قلت) هلا قيل عليها عاكفون كقوله تعالى بعكفون على أصنامهم (قلت) لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على ما أقيح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون أنهم على شيء وجادون في نصره مذهبهم ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم وكفى أهل التقليد سبة أن عبدة الأصنام منهم (أنتم) من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الإخلال به لأن العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن أنت وزوجك الجنة أراد أن المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به أدنى مسكة لاستناد الفريقين إلى غير دليل بل إلى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلال بقوا متعجبين من تضليله إياهم وحسبوا أن مقاله إنما قاله على وجه المزاح والمداعبة لاعلى طريق الجد فقالوا له هذا الذى جئنا به أهو جد وحق أم لعب وهزل الضمير فى (فطرهن) للسماوات والأرض أوللتماثيل وكونه للتماثيل أدخل فى تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك إدلاؤه بالحجة عليه وتصحيحها كما تصح الدعوى بالشهادة كأنه قال وأنا آبين ذلك وأرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لآنى لست مثلكم فأقول مالا أقدر على إثباته بالحجة كالم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على أنكم وجدتم عليه آباءكم قرأ معاذ بن جبل بالله وقرئ نولوا بمعنى تولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين (فإن قلت) ما الفرق بين الباء والتاء (قلت) أن الباء هى الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره ولعمري أن مثله صعب متعذر فى كل زمان خصوصا فى زمن نمرود مع عنقه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرته دينة ۖ ولكن إذا الله سنى عقد شىء تيسرا ۖ روى أن أزر خرج به فى يوم عيدهم فبدوا ببيت الأصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا إلى أن نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي إبراهيم فنظر إلى الأصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفى عينيه جوهرتان تضئتان بالليل فكسرها كلها بفأس فى يده حتى إذا لم يبق إلا الكبير علق الفأس فى عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروى سمعه رجل واحد (جذاذا) قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذاذا جمع جذيد وجذاذا جمع جذوة وإنما استبق الكبير لأنه غلب فى ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه لما تسامعوه من إنكاره لدينهم وسبه آلهتهم فيبكتهم بما أجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وعن الكلبي (إليه) إلى كبيرهم ومعنى هذا لعلمهم يرجعون إليه كما يرجع إلى العالم فى حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيجا والفأس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم فى آلهتهم وتعظيمهم لها أو قاله مع علمه أنهم لا يرجعون إليه استهزامهم واستجهاالا وأن قياس حال من يسجد له ويؤهله للعبادة أن يرجع إليه فى حل كل

(قوله إذا الله سنى عقد شىء تيسرا) فى الصحاح سناه أى فتحه وسهله (قوله ويؤهله للعبادة أن يرجع إليه) لعله

ويؤهل بدون ضمير فتكون الأفعال الثلاثة مبنية للجهول ويكون الكلام فى المعبود لافى العابد

لِمَنِ الظَّالِمِينَ ۖ قَالُوا سَمِعْنَا قَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ ۖ إِبْرَاهِيمُ ۖ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۖ  
 قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ۖ فَارْجِعُوا  
 إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ۖ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَاهُوَ لَاءَ يَنْطِقُونَ ۖ قَالَ

مشكل ( فإن قلت ) فإذا رجعوا إلى الصنم بمكارتهم لعقولهم ورسوخ الإشراف في أعرافهم فأى فائدة دينية في رجوعهم إليه حتى يجعله إبراهيم صلوات الله عليه غرضاً ( قلت ) إذا رجعوا إليه تبين أنه عاجز لا ينفذ ولا يضر وظهر أنهم في عبادته على جهل عظيم ۖ أى أن من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة إتما لجراته على الآلهة الحقيقية عندهم بالتوقير والإعظام وإتما لأنهم رأوا إفراطاً في حطمها وتمادياً في الاستهانة بها ۖ ( فإن قلت ) ما حكم الفعلين بعد ( سمعنا قتي ) وأى فرق بينهما ( قلت ) هما صفتان لفتى إلا أن الأول وهو ( يذكروهم ) لا بد منه لسمع لأنك لا تقول سمعت زيدا ونسكت حتى تذكر شيئاً مما يسمع وأما الثانى فليس كذلك ( فإن قلت ) ( إبراهيم ) ما هو ( قلت ) قيل هو خبر مبتدا محذوف أو منادى والصحيح أنه فاعل يقال لأن المراد الاسم لا المسمى ( على عين الناس ) فى محل الحال بمعنى معابناً مشاهداً أى بمرأى منهم ومنظر ( فإن قلت ) فما معنى الاستعلاء فى ( قلت ) هو وارد على طريق المثل أى يثبت إتيانه فى العين ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه ( لعلمهم يشهدون ) عليه بما سمع منه وبما فعله أو يحضرون عقوبتنا له روى أن الخبر بلغ نمرود وأشرف قومه فأمروا بإحضاره هذا من معاريف الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان الراضة من علماء المعانى والقول فيه أن قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلا أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضى يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحججة وتبكيهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتاباً بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أنت كتبت هذا وصاحبك أتمى لا يحسن الخط ولا يقدر إلا على خرشة فاسدة فقلت له بل كتبتك أنت كأن قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لانفيه عنك وإثباته الأتمى أو المخرمش لأن إثباته والأمر دائرينك للعاجز منك استهزاء به وإثبات للقادر ولقائل أن يقول غاظنه تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل إليه لأنه هو الذى تسبب لاستهانتها بها وحطمه لها والفعل كما يسند إلى مباشرة يسند إلى الحامل عليه ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ماتنكرون أن يفعله كبيرهم فإن من حق من يعبد ويدعى إلها أن يقدر على هذا وأشد منه ويحكى أنه قال فعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها ۖ وقرأ محمد بن السميع فعله كبيرهم يعنى فعله أى فعل الفاعل كبيرهم ۖ فلما أفضهم الحجر وأخذ بمخانتهم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا أنتم الظالمون على الحقيقة لامن ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ۖ نكسته قلبته فجعلت أسفله أعلاه وانتكس انقلب أى استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا فى المجادلة بالباطل والمكابرة وأن هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم أو انتكسوا عن كونهم مجادلين لإبراهيم عليه السلام مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق أو قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط إطرافهم خجلاً وانكساراً وانخزالاً مما بهم به إبراهيم عليه السلام فما أثاروا جواباً إلا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ماسمى فاعله أى نكسوا أنفسهم على رؤسهم قرأه رضوان

( قوله ولا يقدر إلا على خرشة فاسدة ) الموجود فى الصحاح الخرش مثل الخدش والخراش سمته والخرشة خشبة

يخط بها الخراز ولم يوجد فيه خرشة بزيادة الميم



أَفْتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ؕ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؕ  
 قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ؕ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ؕ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا  
 فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ؕ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ؕ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً  
 وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ؕ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ

ابن عبدالمعبود (أف) صوت إذا صوت به علم أن صاحبه متضجر أضجره مارأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم  
 وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتأفف بهم واللام لبيان التأفف به أى اسمكم ولآلهتكم هذا التأفف ه أجمعوا رأيهم لما  
 غلبوا بإهلاكه وهكذا المبطل إذا قرعت شبهته بالحجة وافضح لم يكن أحداً بغض إليه من المحق ولم يبق له مفرغ إلا مناصبته  
 كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذي أشار بإحراقه نمرود وعز ابن عمر رضى  
 الله عنهما رجل من أعراب الهجم يريد ألا كراد وروى أنهم حين هموا بإحراقه حبسوه ثم بنوا بيتاً كالخظيرة بكونا وجمعوا  
 شهراً أصناف الخشب الصلاب حتى إن كانت المرأة لتمرض فنقول إن عاقبى الله لاجمعن خطاباً لإبراهيم عليه السلام  
 ثم أشعلوا ناراً عظيمة كادت الطير تحترق في الجؤ من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق قيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل  
 عليه السلام (يانار كوني برداً وسلاماً) ويحكى ما أحرقت منه إلا وثاقه وقال له جبريل عليه السلام حين رمى به  
 هل لك حاجة فقال أما إليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي عليه بحلى وعن ابن عباس رضى الله عنه  
 إنما نجى بقوله حسبي الله ونعم الوكيل وأطل عليه نمرود من الصرح فإذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال إني  
 مقرب إلى إلهك فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن إبراهيم وكان إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه إذ ذاك ابن ست عشرة سنة  
 واختاروا المعاقبة بالنار لآهول ما يعاقب به وأفضعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار إلا خالقه أو من ثم قالوا (إن كنتم فاعلين)  
 أى إن كنتم ناصرين آلهتكم نصراً مؤزراً فاختروا له أهول المعاقبات وهى الإحراق بالنار وإلا فرظتم في نصرتها ولهذا  
 عظمو النار وتكلفوا في تشهير أمرها وتفخيم شأنها ولم يألوا جهداً في ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وإرادته كما مورأمر  
 بشىء فامتثلته والمعنى ذات برد وسلام فبواغ في ذلك كأن ذاتها برد وسلام والمراد أبردى فيسلم منك إبراهيم أو أبردى برداً  
 غير ضار وعن ابن عباس رضى الله عنه لولم يقل ذلك لأهلكته ببردها (فإن قلت) كيف بردت النار وهى نار (قلت) نزع الله  
 عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحر والإحراق وأبقاها على الإضاءة والإشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شىء قدير  
 ويجوز أن يدفع بقدرته عن جسم إبراهيم عليه السلام أذى حرها ويذيقه فيها تكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله  
 (على إبراهيم) وأرادوا أن يكيدوه ويمكروا به فما كانوا إلا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه بالمبكت وفرعوا  
 إلى القوة والجبروت فصره وقواه ه نجيا من العراق إلى الشام وبركاته الواصلة إلى العالمين إن أكثر الأنبياء عليهم السلام  
 بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهى البركات الحقيقية وقيل بآرك الله فيه بكثرة الماء والشجر والتمر  
 والخصب وطيب عيش الغنى والفقير وعن سفيان أنه خرج إلى الشام فقيل له إلى أين فقال إلى بلديملا فيه الجراب بدرهم  
 وقيل ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التى بيت المقدس وروى أنه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة ويدهما  
 مسيرة يوم وليلة ه النافلة ولد الولد وقيل سأل إسحق فأعطيه وأعطى يعقوب نافلة أى زيادة وفضلا من غير سؤال (يهدون  
 بأمرنا) فيه أن من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله ليس له أن يخل بها ويتناقل  
 عنها وأول ذلك أن يهتدى بنفسه لأن الانتفاع بهداه أعم والنفوس إلى الاقتداء بالمهدى أميل (فعل الخيرات) أصله أن تفعل

(قوله إذا عرقت شبهته بالحجة) لعله عرقت بانغين المعجمة

وَكَانُوا لَنَا عِبِيدِينَ ۝ وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَاهُ حِكْمًا وَعِلْمًا وَبَجِينَهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا ۝  
فَاسْقِينِ ۝ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلِ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ  
الْعَظِيمِ ۝ وَنَصْرَنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ  
إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۝ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمْنَا دَاوُدَ حِكْمًا  
وَعِلْمًا وَنَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ۝ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ

الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات ۝ وكذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكاة (حكما) حكمة وهو ما يجب فعله أو فصلابن  
الخصوم وقيل هو النبوة ۝ والقرية سدوم أى فى أهل رحمتنا أو فى الجنة ومنه الحديث هذه رحمتى أرحم بها من أشاء (من قبل)  
من قبل هؤلاء المذكورين ۝ هو نصر الذى مطاوعه انتصرو سمعت هذيلنا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه أى اجعلهم  
منتصرين منه ۝ والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه ۝ أى واذا كرهما وإذ ابدل منهما والنفس الانتشار بالليل  
وجمع الضمير لأنه أرادهما والمتحكما كين إليهما وقرئ لحكما ۝ والضمير فى (ففهمناها) للحكومة أو الفتوى وقرئ فأفهمناها  
حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان عليه السلام وهو ابن إحدى عشرة سنة غير هذا أرفق بالفريقين فعزم عليه  
ليحكم فقال أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها والحرث إلى أرباب الشاء يقومون  
عليه حتى يعود كهيته يوم أفسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك (فإن قلت) أحكما بوحي أم باجتهاد  
(قلت) حكما جميعاً بالوحي إلا أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمان عليهما السلام وقيل اجتهدا جميعاً فجاء اجتهاد سليمان  
عليه السلام أشبه بالصواب (فإن قلت) ما وجه كل واحدة من الحكومتين (قلت) أما وجه حكومة داود عليه السلام  
فلأن الضرر لما وقع بالغنم سلمت بجنايتها إلى المجنى عليه كما قال أبو حنيفة رضى الله عنه فى العبد إذا جنى على النفس يدفعه المولى  
بذلك أو يفديه وعند الشافعى رضى الله عنه يبيعه فى ذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان فى الحرث  
ووجه حكومة سليمان عليه السلام أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء مافات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم  
وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل فى الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال أصحاب الشافعى فىمن غصب عبداً  
فأبق من يده أنه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بإزاء مافوته الغاصب من منافع العبد فإذا ظهر تراد (فإن قلت) فلو  
وقعت هذه الواقعة فى شريعتنا ما حكمها (قلت) أبو حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم لا يرون فيه ضماناً بالليل أو بالهار  
إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد والشافعى رضى الله عنه يوجب الضمان بالليل وفى قوله ففهمناها سليمان دليل على  
أن الأصوب كان مع سليمان عليه السلام وفى قوله (وكلامنا حكما وعلما) دليل على أنهما جميعاً كانا على الصواب  
(يسبحن) حال ۝ معنى مسبحات أو استناف كأن قائلها قال كيف سخرن فقال يسبحن (والطير) إمام معطوف على الجبال أو مفعول  
معه (فإن قلت) لم قدمت الجبال على الطير (قلت) لأن تسخيرها وتسييحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل فى الإعجاز  
لأنها جماد والطير حيوان إلا أنه غير ناطق روى أنه كان يمر بالجبال مسبحاً وهى تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث  
سار (فإن قلت) كيف تنطق الجبال وتسبح (قلت) بأن يخلق الله فيها الكلام كما خلقه فى الشجرة حين كلم موسى وجواب  
آخر وهو أن يسبح من رآها تسير بتسير الله فلما حملت على التسييح وصفت به (وكنا فاعلين) أى قادرين على أن نفعل  
هذا وإن كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل بالأنبياء مثل ذلك ۝ اللبوس اللباس قال ۝ اللبس لكل حالة لبوسها ۝ والمراد

(قوله كما خلقه فى الشجرة حين كلم موسى) هذا عند المعتزلة بناء على أن كلام الله حادث فلا يقوم بذاته تعالى أما عند  
أهل السنة فكلامه تعالى قديم قائم بذاته ويسمعه موسى عليه السلام بكشف الحجاب عنه

فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ۝ وَلَسَلِيمْنَ الرِّيحِ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ  
عَالِمِينَ ۝ وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يُغْوِصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ۝ وَيُوبَ إِذْ نَادَى  
رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ  
رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَبِيدِ ۝ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا

الدرع قال قتادة كانت صفائح فأقول من سردها وحلقها داود فجمعت الحففة والتحصين (لتحصنكم) قرئ بالنون والياء  
والتاء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة أو للباس على تأويل الدرع والياء لداود أو للباس ۝  
قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب على العطف على الجبال (فإن قلت) وصفت هذه  
الرياح بالعصف تارة وبالرخاء أخرى فما التوفيق بينهما (قلت) كانت في نفسارخية طيبة كالنسيم فإذا مرت بكرسيه  
أبعدت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهرورواها شهر فكان جمعها بين الأمرين أن تكون رخاء في نفسها وعاصفة  
في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحكم آية إلى آية ومعجزة إلى معجزة وقيل كانت في وقت رخاء  
وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم إرادته وقد أحاط علمنا بكل شيء فنجرى الأشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا أي  
بغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك إلى الأعمال والمهن وبناء المدائن والقصور واختراع  
الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتمائيل والله حافظهم أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يغيروا  
أو يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه أي ناداه بأني مسني الضر وقرئ إني بالكسر على إضمار القول أو لتضمن  
النداء معناه والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البناءين لافتراق  
المعنيين أظف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكي أن  
عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت بأمر المؤمنين مشيت جردان بيتي على العصي فقال لها أظفت في السؤال  
لاجرم لآردنها ثوب وثوب اليهود ولأيتها جبا كان أيوب عليه السلام روميا من ولد إسحق بن يعقوب عليهم السلام  
وقد استنأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله أصناف البهائم وخمسمائة فدان  
يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهب ماله وبالمرض  
في بدنه ثمانين عشر سنة وعن قتادة ثلاث عشر سنة وعن مقاتل سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته يوما  
لودعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة ثلاثي مدة  
رخائي فلما كشف الله عنه أحياء ولده ورزقه مثلهم ونواقل منهم وروى أن امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا أي لرحمتنا  
العابدين وأناد كرمهم بالإحسان لانفساهم أرحمة منا لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما  
أثيب في الدنيا والآخرة ۝ قيل في ذي الكفل هو إلياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكأنه سمي بذلك لأنه ذوالحظ من

۝ قوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة (قال إن قلت قد وصفت هذه الريح بأنها رخاء وبأنها عاصف فما وجه ذلك قلت  
ماهي إلا جمعتهما وكانت في نفسارخاء طيبة وفي سرعة حركتها كالعاصف) قال أحمد وهذا كما ورد وصف عصا موسى  
تارة بأنها جان وتارة بأنها ثعبان والجان الرقيق من الحيات والثعبان العظيم الجاني منها ووجه ذلك أنها جمعت الوصفين  
فكانت في خفتها وفي سرعة حركتها كالجان وكانت في عظم خلقها كالثعبان ففي كل واحد من الريح والعصا على هذا التقرير

(قوله مشيت جردان بيتي على العصي) في الصحاح الجرذ ضرب من الفأر والجمع جردان  
(قوله وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد) في الصحاح الفدان القصر والفدان آله الثورين للحرث

إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَذَا النُّونِ إِذ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ  
سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى  
رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا  
يُسرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ۝ وَالَّتِي أَحْصَيْنْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا

الله والمجدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الأنبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الأنبياء ذوو إسمين  
إسرائيل ويعقوب إلياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد وأحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين  
(النون) الحوت فأضيف إليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ  
حيث لم يفعله إلا غضبا لله وأنفة لدينه وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر وينتظر الإذن من الله في المهاجرة  
عنهم فابتنى بطن الحوت ۝ ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بمفارقة خوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرأ أبو شرف  
مغضبا ۝ قرئ نقدر ونقدر مخفقا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدر على البناء للدفعول مخفقا ومثقلا وفسرت  
بالتضييق عليه وتقدير الله عليه عقوبة وعن ابن عباس أنه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة  
ففرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصا إلا بك قال وما هي يا معاوية فقرأ هذه الآية وقال أويظن نبي الله أن لا يقدر عليه  
قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح أن يفسر بالقدرة على معنى أن لن نعمل فيه قدرتنا وأن يكون من باب  
التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمر الله ويجوز أن يسبق  
ذلك إلى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس إليه في  
كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين (في الظلمات) أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في  
بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور إلى الظلمات وقيل ظلمات بطن  
الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر ۝ أي بأنه  
(لا إله إلا أنت) أو بمعنى أي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له وعن الحسن ما نجاه  
والله إلا إقراره على نفسه بالظلم (تنجي) ونجى ونجى والنون لا تدغم في الجيم ومن تحمل لصحته فجعله فعل وقال نجى  
النجاه المؤمنين فأرسل الياء وأسندته إلى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاه فتعسف بارد التعسف ۝ سأل ربه أن يرزقه  
ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رذ أمره إلى الله مستسلما فقال (وأنت خير الوارثين) أي إن لم ترزقني من يرثني  
فلا بألى فإنك خير وارث ۝ إصلاح زوجه أن جعلها سالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق  
الضمير للذكورين من الأنبياء عليهم السلام يريد أنهم ما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم إلا لمبادرتهم أبواب الخير  
ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الأمور الجادون ۝ وقرئ (رغبا ورهبا) بالإسكان وهو كقوله تعالى  
يخدر الآخرة ويرجو رحمة ربه (خاشعين) قال الحسن ذللا لأمر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل  
متواضعين وسئل الأعمش فقال أما إنى سألت إبراهيم فقال ألا تدري قلت أفدني قال بينه وبين الله إذا أرخى ستره  
وأغلق بابه فلير الله منه خيرا لعلك ترى أنه إن يأكل خشنا ويلبس خشنا ويطأ رأسه (أحصنت فرجها) إحصانا كليا من

معجزتان والله سبحانه وتعالى أعلم

(قوله والمجدود على الحقيقة) في الصحاح الجد الحظ والبحث تقول جددت يافلن أي صرت ذا جد فأنت جديد حظيظ  
ومجدود محظوظ (قوله فأضيف إليه برم بقومه لطول ما) ستمهم وتبرم بهم أفاده الصحاح

وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ۝ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون ۝ وَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلَّ  
إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ۝ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ۝ وَحَرَّمَ عَلَيَّ قَرِيَّةً  
أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَا جُوجُ وَمَا جُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ۝ وَاقْتَرَبَ

الحلال والحرام جميعاً كما قالت ولم يمسنى بشر ولم أك بغياً (فإن قلت) نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه قال الله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي أى أحييته وإذا ثبت ذلك كان قوله (فنفخنا فيها من روحنا) ظاهر الإشكال لأنه يدل على إحياء مريم (قلت) معناه نفخنا الروح في عيسى فيها أى أحييناه في جوفها ونحو ذلك أن يقول الزمار نفخت في بيت فلان أى نفخت في المزمار في بيته وبجوز أن يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل عليه السلام لأنه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ إلى جوفها (فإن قلت) هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين (قلت) لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة وهى ولادتها إياه من غير خل الأمة الملة وهذه إشارة إلى ملة الإسلام أى أن ملة الإسلام هى ملتكم التى يجب أن تكونوا عليها لا تحرفون عنها يشار إليها ملة واحدة غير مختلفة (وأنا) إلهكم إله واحد (فاعبدون) ونصب الحسن أمتكم على البدل من هذه ورفع أمة خبراً وعنه رفعهما جميعاً خبرين لهذه أو نوى للثانى مبتدأ والخطاب للناس كافة ۝ والأصل وتقطعتم إلا أن الكلام حرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذا نصيب تمثيلاً لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقاً وأحزاباً شتى ۝ ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم ۝ الكفران مثل في حرمان الثواب كما أن الشكر مثل في إعطائه إذا قيل الله شكور وقد نفي الجنس ليكون أبلغ من أن يقول فلان كفر سعيه (وإننا له كاتبون) أى نحن كاتبوا ذلك السعى ومثبته في صحيفه عمله وما نحن مثبته فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه ۝ استعير الحرام للمتعم وجوده ومنه قوله عز وجل إن الله حرّمها على الكافرين أى منعها منهم وأنى أن يكونا لهم وقرئ حرّم وحرّم بالفتح والكسر وحرّم ومعنى (أهلكنها) عزمنا على إهلاكها أو قدرنا إهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر إلى الإسلام والإنابة ومجاز الآية أن قوماً عزم الله على إهلاكهم غير متصور أن يرجعوا وينبوا إلى أن تقوم القيامة حينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعنى أنهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب وقرئ إنهم بالكسر وحق هذا أن يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كأنه قيل وحرّم على قريّة أهلكنها ذلك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعى المشكور غير المكفور ثم علل فقيل إنهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا أى لأنهم لا يرجعون

۝ قوله تعالى فنفخنا فيه من روحنا (قال إن قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه وحينئذ يكون معناه فأحيينا مريم وبشكل إذ ذاك قلت معناه فنفخنا الروح في عيسى في مريم أى أحييناه في جوفها انتهى كلامه) قال أحمد وقد اختار الزمخشري في قوله عز وجل إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن أقدفه في التابوت فأقدفه في اليم فليلقه اليم بالساحل أن تكون الضمائر كلها راجعة إلى موسى أما الأول فلا إشكال فيه وأما التابوت إذا قذف في اليم وموسى فيه فقد قذف موسى في اليم وكذلك الثالث واختار غيره عود الضميرين الأخيرين إلى التابوت لأنه فهم من قوله فأقدفه في اليم أن المراد التابوت وأما موسى فلم يقذف في اليم الزمخشري نزل قذف التابوت في اليم وموسى فيه منزلة قذفه في اليم وفي هذه الآية مصداق لما اختاره فإن الله تعالى نزل نفخ الروح في عيسى لكونه في جوف مريم منزلة نفخ الروح في مريم فعبّر بما يفهم ظاهر هذا

الْوَعْدَ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلَّ كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ إِنَّكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ۝ لَوْ كَانَ هُوَ اللَّهُ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۝ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي

ولا صلة على الوجه الأول (فإن قلت) ثم تعلقت (حتى) واقعة غاية له وأية الثلاث هي (قلت) هي متعلقة بحرام وهي غاله لأن امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكى الجملة من الشرط والجزاء أعني إذا وما في جزئها حذف المضاف إلى (بأجوج وماجوج) وهو سدهما كما حذف المضاف إلى القرية وهو أهلها وقيل فتحت كما قيل أهلكنها وقرئ أجوج وهما قبيلتان من جنس الإنس يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها بأجوج وماجوج (وهم) راجع إلى الناس المسوقين إلى المحشر وقيل هم بأجوج وماجوج يخرجون حين يفتح السد الحذب النثر من الأرض وقرأ ابن عباس رضي الله عنه من كل حدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تيمية وقرئ (ينسلون) يضم السين ونسل وعسل أسرع و (إذا) هي المفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى إذا هم يقنطون فإذا جاءت الفاء معها تعاوتتا على وصل الجزاء بالشرط فينأكد ولو قيل إذا هي شاخصة أو فهي شاخصة كان سديداً (هي) ضمير مبهم توضح الأبيصار وتفسره كما فسر الذين ظلوا وأسروا (يا ويلنا) متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا (ما تعبدون من دون الله) يحتمل الأصنام وإبليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم وبصدة ما ردى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجلس إليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخمه ثم تلا عليهم إنكم وما تعبدون من دون الله الآية فأقبل عبدالله بن الزبير فرآهم يتهايمسون فقال فيم خوضكم فأخبره الوليد ابن المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبدالله أما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبير أنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيزاً والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية يعني عزيزاً والمسيح والملائكة عليهم السلام (فإن قلت) لم قرنوا بألهتهم (قلت) لأنهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم والنظر إلى وجه العدو باب من العذاب ولأنهم قدروا أنهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستشفعون بشفاعتهم فإذا صادفوا الأمر على عكس ما قدروا لم يكن شيء أبغض إليهم منهم (فإن قلت) إذا عانيت بما تعبدون الأصنام فمأعنى (لهم فيها زفير) (قلت) إذا كانوا هم وأصنامهم في قرن واحد جاز أن يقال لهم زفير وإن لم يكن الزفيرين إلا هم دون الأصنام للتغليب ولعدم الإلباس ۝ والحصب المحسوب به أي بحصب بهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد وصفاً بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركاً وساكناً ۝ وعن ابن مسعود يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز أن يصمهم الله كما يصمهم (الحسنى) الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الأحسن إمام السعادة وإمام البشرية بالثواب وإمام التوفيق للطاعة يروى أن علياً رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ثم أقيمت الصلاة فقام يجزرداه وهو يقول (لا يسمعون حسيسها) والحسيس

( قوله السد الحذب النثر من الأرض ) في الصحاح النثر المكان المرتفع ( قوله كما فسر الذين ظلوا وأسروا ) لعله ضمير وأسروا أوله واو وأسروا ( قوله وأصنامهم في قرن واحد ) حبل يقرن به البعيران أفاده الصحاح

كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَظَلِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا  
فَاعِلِينَ ۝ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ۝ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ  
عَابِدِينَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝

الصوت بحس ۝ والشهوة طلب النفس اللذة ۝ وقرئ (لا يحزنهم) من أحزن و(الفرع الأكبر) قيل النفخة الأخيرة لقوله  
تعالى يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض وعن الحسن الانصراف إلى النار وعن الضحاك حين يطبق  
على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش أملح أي تستقلهم (الملائكة) مهئين على أبواب الجنة ويقولون هذا وقت  
ثوابكم الذي وعدكم ربكم قد حلّ العامل في (يوم نطوي) لا يحزنهم أو الفرع أو تلقاهم وقرئ تطوى السماء على البناء المفعول  
(والسجل) بوزن العتل والسجل بلفظ الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة أي كما يطوى الطومار للكتابة أي ليكتب فيه  
أول ما يكتب فيه لأن الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فعناه المكتوبات أي لما يكتب  
فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك يطوى كتب بني آدم إذا رفعت إليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها (أول خلق) مفعول نعيد الذي يفسره (نعيده) والكاف مكفوفة بما والمعنى  
نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبها للإعادة بالإبداء في تناول القدرة لهما على السواء (فإن قلت) وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه  
(قلت) أوله إيجاده عن العدم فكما أوجده أو لاعن عدم يعيده ثانيا عن عدم (فإن قلت) ما بال خلق منكراً (قلت) هو كقولك هو أول  
رجل جاءني تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى أول خلق أول الخلق بمعنى  
أول الخلاق لأن الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أي نعيد مثل  
الذي بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأناه أي أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى (وعداً)  
مصدره مؤكداً لأن قوله نعيده عدة الإعادة (إنا كنا فاعلين) أي قادرين على أن نفعل ذلك عن الشعبي رحمة الله عليه ۝ زبور داود  
عليه السلام ۝ والذكر التوراة وقيل اسم لجنس ما أنزل على الأنبياء من الكتب والذكر أم الكتاب يعني اللوح أي يرثها المؤمنون  
بعد إجماع الكفار كقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله  
واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس رضي الله عنه هي أرض الجنة وقيل الأرض  
المقدسة ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم الإشارة إلى المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعود والوعيد والمواعظ البالغ والبلاغ  
الكفاية وما تبلغه البغية أرسل صلى الله عليه وسلم (رحمة للعالمين) لأنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فإنما

قوله تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين (قال فيه إن قلت ما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه قلت  
أول الخلق إيجاده عن العدم وكما أوجده أو لاعن عدم يعيده ثانيا عن عدم) قلت هذا الذي ذكره ههنا في المعاد قد عاد به إلى  
الحق ورجع عما قاله في سورة مريم حيث فسر الإعادة بجمع المتفرق خاصة إلا أنه كدر صفوا عترافه بالحق بتفسيره قوله  
إنا كنا فاعلين بالقدرة على الفعل ولا يلزم على هذا من القدرة على الفعل حصوله تحويماً على أن الموعود به ليس إعادة الأجسام  
عن عدم وإن كانت القدرة صالحة لذلك ولكن إعادة الأجزاء على صورها مجتمعة مؤتلفة على ما تقدم له في سورة مريم إلا  
أن يكون الباعث له على تفسير الفعل بالقدرة أن الله ذكر ماضياً والإعادة وقوعها مستقبل فتعين عنده من ثم حمل الفعل على  
القدرة فقد قارب ومع ذلك فالحق بقاء الفعل على ظاهره لأن الأفعال المستقبلية التي علم الله وقوعها كالماضية في التحقق فمن ثم عبر  
عن المستقبل بالماضى في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز والغرض الإيدان بتحقيق وقوعه والله أعلم

(قوله والسجل بوزن العتل والسجل) العتل الغليظ الجاني وقال تعالى (عتل بعد ذلك زنيماً) والعتل أيضاً الرح الغليظ  
ورجل عتل بالكسر بين العتل كذا في الصحاح

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أُدْرِيَ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ۚ وَإِنْ أُدْرِيَ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ ۚ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۚ

أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله أن يفجر الله عينا غديقة فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بما ساءها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعونها فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرما ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث أن عقوبتهم أخرت بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال ۚ إنما لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم كقولك إنما زيد قائم وإنما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لأن (إنما يوحى إلى) مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيدو (إنما إلهكم إله واحد) بمنزلة إنما يقوم زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية وفي قوله فهل أنتم مسلمون أن الوحي الوارد على هذا السنن موجب أن تخلصوا النوحيد لله وأن تخلصوا الأنداد وفيه أن صفة الوحدانية يصح أن تكون طريقها السمع ويجوز أن يكون المعنى أن الذى يوحى إلى فنكرن ما موصولة ۚ آذن منقول من آذن إذا علم ولكنه كثر استعماله فى الجرى بجرى الإنذار ومنه قوله تعالى فأذنوا بحرب من الله ورسوله ۚ وقول ابن حنبله ۚ آذنتنا بينها أسماء ۚ والمعنى أنى بعد توليكم وإعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الأنداد والشركاء كرجل بينه وبين أعدائه هدنة فأحس منهم بغدرة فنبذ إليهم العهد وشهر النبذ وأشاعه وآذنتهم جميعا بذلك (على سواء) أى مستوين فى الإعلام به لم يطوره عن أحد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها (ما توعدون) ۚ من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من أن يلحقكم بذلك الذلة والصغار وإن كنت لأدري متى يكون ذلك لأن الله لم يعلمنى عليه ولم يطلعنى عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطعانين فى الإسلام و(ما تكتُمون) ۚ فى صدوركم من الإحن والأحقاد للمسلمين وهو يجازيكم عليه ۚ وما أدري لعل تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون أو تمتيع لكم (إلى حين) ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد فى وقت هو فيه حكمة ۚ قرئ (قل) وقال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و(رب احكم) على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم وربى احكم على أفعل التفضيل وربى احكم من الأحكام أمر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا بيدر ۚ ومعنى (بالحق) لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر ۚ قرئ (تصفون) بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطعمون أن تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم ۚ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصالحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن

(قوله ولكن الكسلان محن على نفسه) لعله محن بخاء معجمة فنون وفى الصحاح أخنى عليه الدهر أى أتى عليه وأهلكه (قوله وقد اجتمع المثالان فى هذه الآية) لعله المثالان (قوله وقشر العصا عن لحائها) فى الصحاح اللحاء ممدود قشر الشجر



## سورة الحج مدنية

إلا الآيات ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ فبين مكة والمدينة وآياتها ٧٨ نزلت بعد النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ

## ﴿سورة الحج مكة﴾

غير ست آيات وهي هذان خصمان إلى قوله إلى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية

• الزلزلة شدة التحريك والإزعاج وأن يضاعف زليل الأشياء عن مقارها ومراكزها • ولا تخلو (الساعة) من أن تكون على تقدير الفاعلة لها كأنها هي التي تزلزل الأشياء على المجاز الحكيم فتكون الزلزلة مصدرا مضافا إلى فاعله أو على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف وإجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله إذا زلزلت الأرض زلزالها واختلف في وقتها فمن الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها • أمر بني آدم بالتقوى ثم عمل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدة ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردى بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الأفزاع إلا أن يتردوا به وروى أن هاتين الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقراهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير أكثر با كيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا بالسروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وبك ومفكر (يوم ترونها) منصوب بتذهل والضمير للزلزلة • وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة أي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة • (فإن قلت) لم قيل (مرضعة) دون مرضع (قلت) المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شأها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد أقيمت الرضيع ثديها نزعتة عن فيه لما يلحقها من الدهشة (عما أرضعت) عن إرضاءها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل مافي بطنها لغير تمام • قرئ (وترى) بالضم من أريتك قائماً أو رؤيتك قائماً و (الناس) منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وأنته على تأويل الجماعة • وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى

## ﴿القول في سورة الحج﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى (قال يقال مرضع على النسب ومرضعة على أصل اسم الفاعل) قال أحمد والفرق بينهما أن وروده على النسب لا يلاحظ فيه حدوث الصفة المشتق منها ولكن مقتضاه أنه موصوف بها وعلى غير النسب يلاحظ حدوث الفعل وخروج الصفة عليه وكذلك هو في الآية

## ﴿سورة الحج﴾

(قوله وأن يضاعف زليل الأشياء) أي يكرر انحراف الأشياء وترحزحها عن مواضعها وفي الصحاح تقول زللت يافلان بالفتح تزل زليلا إذا زل في طين أو منق

شَدِيدٌ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَانَّهُ يَضِلُّهُ

وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالي وعن الأعمش سكرى وبسكارى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وماهم بسكارى على التحقيق ولكن ما ردهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وماهم بسكارى من الشراب (فإن قلت) لم قيل أولاً ترون ثم قيل ترى على الأفراد (قلت) لأن الرواية أولاً علقته بالزلزلة فجعل الناس جميعاً راثين لها وهي معلقة أخيراً بكون الناس على حال السكر فلا بد أن يجعل كل واحد منهم راثياً لسائرهم قيل نزلات في الضر بن الحرث وكان جدلاً يقول الملائكة بنات الله والفرآن أساطير الأولين والله غير قادر على إحياء من بلى وصار تراباً وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والأفعال ولا يرجع إلى علم ولا بعض فيه بضرر قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفه فهو يخبط يخبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل (ويتبع) في ذلك خطوات (كل شيطان) عات علم من حاله وظهر وتبين أنه من جملة ولياً له لم تشعر له ولايته إلا الإضلال عن طريق الجنة والهداية إلى النار وما أرى رؤساء أهل الأهواء والبدع والحشوية المنلقين بالإمامة في دين الله إلا داخلين تحت كل هذا دخولا أولياً بل هم أشد الشياطين إضلالاً وأقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه أشياءهم تلقينا وكأهم ساطوه بلحومهم ودمائهم وإياهم عنى من قال :

ويارب مقفوا الخطابين قومهم طريق نجاه عندهم مستونج ولو قرؤا في اللوح ماخط فيه من بيان اعوجاج في طريقته عجزوا اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سمواتك وأنبياك في أرضك وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين والكعبة عليه مثل أى كأنما كتب إضلال من يتولاه عليه زرهم به لظهور ذلك في حاله وقرئ أنه فإنه بالفتح والكسر فمن فتح فلان الأول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كأنما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كنت إن الله الغنى الحميد وأعلى تقدير قيل أو على أن كتب فيه معنى القول قرأ الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرده في الجلب والطرده كأنه قيل إن ارتبتم في البعث فزبل ربيكم أن تنظروا في بدء خلقكم العلقه قطعة الدم الجامدة والمضغة اللحمية الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة للمساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود إذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء إذا كانت ملساة كأن الله تعالى يخاق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الحلقة أملس

لقوله عما أروضت فأخرج الصفة على الفعل والحقه التاء (قال وقوله وترى الناس سكارى وما هم بسكارى أثبت لهم أولاً السكر المجازى ثم نفي عنهم السكر الحقيقي) قال أحمد والعلماء يقولون إن من أدلة المجاز صدق نقيضه كقولك زيد حمار إذا وصفته بالبلادة ثم يصدق أن تقول وما هو بحمار فنتى عنه الحقيقة فكذلك الآية بعد أن أثبت السكر المجازى نفي الحقيقي أبلغ نفي مؤكده بالبلاء والسر في تأكيده التنبية على أن هذا السكر الذى هو بهم في تلك الحالة ليس من المعهود فى شئ وإنما هو أمر لم يعهدوا قبله مثله والاستدراك بقوله ولكن عذاب الله شديد راجع إلى قوله وما هم بسكارى وكأنه تعليل لإثبات السكر المجازى كأنه قيل إذا لم يكونوا سكارى من الخمر وهو السكر المعهود فما هذا السكر الغريب وما سبه فقال سبه شدة عذاب الله تعالى ونقل عن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه أنه قال هو الوقت الذى يقول كل من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيه نفسى نفسى

(قوله من رأيتك قائماً أو رؤيتك قائماً) لعله أو رؤيت قائماً (قوله رؤساء أهل الأهواء) إن كان مراده أهل السنة كما هو عادته فى الكتابة من التشنيع عليهم فينبغى مطالبته بالفرق بينهم وبين المعتزلة حتى استحقوا التشنيع دونهم (قوله وكأهم ساطوه بلحومهم) خلطوه (قوله عجزوا اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح) أى صاحوا (قوله هو كأنما كتب عليه هذا الكلام) لعله أى كأنما

وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ يَسْأَلُهَا النَّاسُ أَنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ  
ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مَّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ  
طِفْلًا ثُمَّ لَتَبْلُوهُنَّ أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمِ شَيْئًا  
وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ  
الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ۝

من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتماهم  
ونقصاتهم وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة (لنبيين لكم) بهذا التدرج قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر  
على خلق البشر من تراب أو لأم من نطفة ثانياً ولا تناسب بين الماء والتراب وقدرة على أن يجعل النطفة علقة وبينهما  
تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظيماً قدر على إعادة ما بدأه بل هذا أدخل في القدرة من تلك وأهون في القياس  
وورود الفعل غير معدى إلى المبين إعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه مالا يكتننه الذكر ولا يحيط به الوصف  
وقرأ ابن أبي عبله لبيبي لكم ويقتر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب ويقتر ويخرجكم ويقتر ويخرجكم بالنصب  
والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء إذا صبها فالقراءة بالرفع إخبار بأنه يقتر (في الأرحام ما يشاء)  
أن يقتره من ذلك (إلى أجل مسمى) وهو وقت الوضع آخر ستة أشهر أو تسعة أو سنتين أو أربع أو كما شاء وقدر ومالم  
يشأ إقراره بحجته الأرحام أو أسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدرج  
لغرضين أحدهما أن نبين قدرتنا والثاني أن نقر في الأرحام من نقر حتى يولدوا وينشؤا ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم  
ويعضد هذه القراءة قوله (ثم لتبلغوا أشدكم) وحده لأن الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلاً  
الأشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالأسدة والقنود والباطيل وغير  
ذلك وكأها شدة في غير شيء واحد فبذبت لذلك على لفظ الجمع وقرئ ومنكم من يتوفى أي يتوفاه الله (أردل العمر) الهرم  
والخرف حتى يعود كهينته الأولى في أو ان طفولته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين أنه كما قدر على أن يرقه في  
درجات الزيادة حتى يباغحه حد التمام فهو قادر على أن يحطه حتى ينتهي به إلى الحالة السفلى (لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً)  
أي يصير نساء بحيث إذا كسب علماً في شيء لم ينشب أن ينساه ويزل عنه عليه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك  
من هذا فنقول فلان فما يلبث لحظة إلا سألك عنه وقرأ أبو عمر والعمر بسكون الميم الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة  
ثانية على البعث وظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله في كتابه (اهتزت وربت) تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ  
ربأت أي ارتفعت ۝ البهيج الحسن السائر للناظر إليه ۝ أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وإحياء الأرض مع  
ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو (أن  
الله هو الحق) أي الثابت الموجود وأنه قادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد

(قوله من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل) الذي في الصحاح السد بالفتح واحد الأسدة وهي العيوب (قوله لها واحد  
كالأسدة والقنود والباطيل) مثل العمى والصمم والبكم على غير قياس وكان قياسه سدود والقنود خشب الرحل وجمعه  
قنود وأقناد والباطل ضد الحق والجمع أباطيل على غير قياس كأهم جمعوا إبطيلاً وفيه أيضاً قوله تعالى (حتى يبلغ أشده)  
أي قوته وهو واحد جاء على بنا الجمع مثل إنك وهو الأسرب ولا نظير لها ويقال له جمع لا واحد له من لفظه مثل  
أسال وأبائيل وعباديد وهذا كبير

وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ۝ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ۝ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۝ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبَيْتِ الْمَوْلَى وَلِبَيْتِ الْعَشِيرِ ۝ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد . عن ابن عباس أنه أبو جهل ابن هشام وقيل كركم كما كررت سائر الأفاضل وقيل الأول في المقلدين وهذا في المقلدين . والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لأنه يهدي إلى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي أي يجادل بظن وتخمين لا بأحد هذه الثلاثة وثني العطف عبارة عن السكر والخيل . كتصغير الخد ولي الجيد وقيل عن الإعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين أي مانع تعطفه (ايضل) تعليل للجادلة قرئ بضم الياء وفتحها (فإن قلت) ما كان غرضه من جداله الضلال (عن سبيل الله) فكيف علل به وما كان أيضا مهتديا حتى إذا جادل خرج بالجدال من الهدى إلى الضلال (قلت) لما أدى جداله إلى الضلال جعل كأنه غرضه ولما كان الهدى معرضا لفرقه وأعرض عنه وأقبل على الجدال بالباطل جعل كالحارج من الهدى إلى الضلال وخزيه ما أصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسب فيما منى به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبته الفجار وإثابته الصالحين (على حرف) على طرف من الدين لاني وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذي يكون على طرف من العسكر فإن أحس بظفر وغنيمه قزو اطمان وإلا فزوطار على وجهه ، قالوا نزلت في أعراب قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صح بدنه ونتاجت فرسه مهر أسريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرا أو اطمان وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شرا وانقلب وعن أبي سعيد الخدري أن رجلا من اليهود أسلم فأصابته مصائب فتشامم بالإسلام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقلني فقال إن الإسلام لا يقال فنزلت . المصاب بالحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج إلى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين إحداهما ذهاب ما أصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن أو على أنه خبر مبتدأ محذوف . استعير (الضلال البعيد) من ضلال من أبعث في التيه ضالا فطالت وبعثت مسافة ضلالته (فإن قلت) الضر والنفع منفيان عن الأصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض (قلت) إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعاً وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستنفع به حين يستنفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها لها (لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) أو كثر يدعو كأنه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبوداً أقرب من نفعه بكونه شقيقاً لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام . المولى الناصر ، والعشير صاحب كقبوله فبئس القرين . هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه وأعاديه أن الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه وبغيظه أنه يظفر بمطلوبه فلا يستقص وسعه وليستفرغ بجهوده في إزالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حجلا إلى سماء بيته فاخنتق فليظفر وليصتور في نفسه أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه

جَزَتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝ مَنْ كَانَ يَظُنْ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ  
فَلْيُمَدِدْ سَبَبًا إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ۝ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ  
بِهَا وَأَنْ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَرِيدُ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالنَّصِرَى وَالْمَجْرُسَ وَالَّذِينَ آمَنُوا كَوَّا  
إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ  
فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ

و سمي الاختناق قطعاً لأن المحتق يقطع نفسه بحبس مجاربه ومنه قيل للهر القطع و سمي فعله كيداً لأنه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره أو على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكذب به محسوده إنما كاد به نفسه والمراد ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغظه وقيل فليمدد بجبل إلى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي أن ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطون ما وعد الله رسوله من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يثبت أمره فنزلت ۝ وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه أن الأرزاق بيد الله لا تنال إلا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فإن ذلك لا يقرب القسمة ولا يردده مرزوقاً ۝ أي ومثل ذلك الإيزال أنزلنا القرآن كله (آيات بينات و) (أن الله يهدي) به الذين يعلم أنهم يؤمنون أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبيناً ۝ الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الأحوال والأما كن جميعاً فلا يجازيهم جزاء واحداً بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الأديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابثون مع النصارى لأنهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضى بينهم أي بين المؤمنين والكافرين وأدخلت أن على كل واحد من جزأى الجملة لزيادة التوكيد ونحوه قول جرير

إن الخليفة أن الله سربله ۝ سربال ملك به ترجى الخواتيم

سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من أفعاله ويجريها عليه من تدييره وتسخيره لها سجوداً له تشبيهاً لمطاوعتها بإدخال أفعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه (فإن قلت) فما تصنع بقوله (وكثير من الناس) وبما فيه من الاعتراضين أحدهما أن السجود على المعنى الذي فسرت به لا يسجده بعض الناس دون بعض والثاني أن السجود قد أسند على سبيل العموم إلى من في الأرض من الإنس والجن أولاً فإسناده إلى كثير منهم آخراً مناقضة (قلت) لأنظم كثيراً في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وإنما أرفعه بفعل مضمير يدل عليه قوله يسجد أي ويسجد كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم أقل أفسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لأن اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين أو أرفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لأن خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز أن يجعل من الناس خبراً له أي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز أن يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عابهم العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب ۝ وقرئ حق بالضم وقرئ حقاً أي حق عليهم العذاب حقاً ۝ ومن أهانه الله بأن كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره أو فسقه فقد بقى مهاناً لن تجده له مكرماً

(قوله ومنه قيل للهر القطع) أي تتابع النفس أفاده الصحاح (قوله من كفره أو فسقه فقد بقى مهاناً) مسمى على أن الفاسق واسطة بين المؤمن والكافر وأنه يخلد في النار كالكافر وهو مذهب المعتزلة والحق عند أهل السنة أنه مؤمن وإن دخل النار يخرج منها بالشفاعة أو بمجرد فضله تعالى

وَمَنْ يَنْهَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۝ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۝ وَلَهُمْ مَقَمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ۝ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝ وَهُدُوءًا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوءًا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدَقَهُ مِنْ

وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الإكرام إنه (بفعل ما يشاء) من الإكرام والإهانة ولا يشاء من ذلك إلا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين ۝ الخصم صفة وصف بها الفوج أو الفريق فكأنه قيل هذان فوجان أو فريقان مختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا ولوقيل هؤلاء خصمان أو اختصما جاز يراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رجع إلى أهل الأديان الستة (في ربهم) أي في دينه وصفاته وروى أن أهل الكتاب قالوا للؤمنين نحن أحق بالله وأقدم منكم كتاباً ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتتم به حسداً فهذه خصومتهم في ربهم (فالذين كفروا) هو فصل الخصومة المعنى بقوله تعالى «إن الله يفصل بينهم يوم القيامة» وفي رواية عن السكسائي خصمان بالكسره وقرئ قطعت بالتخفيف كأن الله تعالى يقدر لهم نيراناً على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كاتقطع الثياب الملبوسة ويجوز أن تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرايبهم من قطران (الحميم) الماء الحار عن ابن عباس رضي الله عنه لوسقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها (يصهر) يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للبالغة أي إذا صب الحمم على رؤسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر فيذيب أحشائهم وأمعاءهم كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله وسقوا ماء حمياً فقطع أمعاءهم ، والمقامع : السياط . في الحديث : لو وضعت قمعة منها في الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أفلوها . وقرأ الأعمش ردوا فيها والإعادة والرد لا يكون إلا بعد الخروج فالمعنى كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم يخرجوا أعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن أن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً (و) قيل لهم (ذوقوا عذاب الحريق) والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاك (يحلون) عن ابن عباس من حليت المرأة فهي حال (ولؤلؤاً) بالنصب على ويؤتون لؤلؤاً كقوله وهوراً عينا ولؤلؤاً بقلب الهمزة الثانية واوياً ولوليا بقلبها واوين ثم قلب الثانية ياء كأدل ولول كأدل فيمن جز ولؤلؤاً وليلاً بقلبها ياء عن ابن عباس وهداهم الله وألمهمهم أن يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم إلى طريق الجنة يقال فلان يحسن إلى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وإنما يراد استمرار وجود الإحسان منه والنعشة في جميع أزمته وأوقاته ومنه قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) أي الصدود منهم مستمر دائم (للناس) أي الذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضرو باد وتاني وطارئ ومكي وآفاقي وقد استشهد به أصحاب أبي حنيفة قائلين إن المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة وإجارتها عند الشافعي لا يمتنع ذلك وقد حاور إسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين أخرجوا

(قوله من حليت المرأة فهي حال) الذي في الصحاح حليت المرأة أي صارت ذات حلي فهي حلية وحالية

(قوله بين حاضرو باد وتاني وطارئ) في الصحاح تنأت بالبلد تنوءاً فظنته والتاني من ذلك

عَذَابِ أَلِيمٍ ۝ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ  
السُّجُودِ ۝ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ

من ديارهم وقال أنسب الديار إلى مالكيها أو غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه دار السجن من مالكيه أو غير مالكيه (سواء) بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب أنه ثانی مفعولي جعلناه أي جعلناه مستويا (العاكف فيه والباد) وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان الإلحاد العدول عن القصد وأصله إلحاد الحافر وقوله (بالإلحاد بظلم) حالان مترادفتان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مراداً ما عاد لا عن القصد ظالم (نذقه من عذاب أليم) يعني أن الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما بهم به ويقصده وقيل الإلحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورد ومعناه من أتى فيه بالإلحاد ظالمًا وعن الحسن ومن يرد الإلحاده بظلم أراد الإلحاداً فيه فأضافه على الاتساع في الظرف كسكر الليل ومعناه من يرد أن يلحد فيه ظالمًا وخبر إن محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره إن الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك عن ابن مسعود الهمة في الحرم تكتب ذنبا ۝ واذكر حين جعلنا (لإبراهيم مكان البيت) مائة أي مرجعاً يرجع إليه للعمارة والعبادة رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله إبراهيم مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج كذست ما حوله فبناه على أسه القديم ۝ وإن هي المقسرة (فإن قلت) كيف يكون النهي عن الشرك والأمر بتطهير البيت تفسيراً للتبوتة (قلت) كانت التبوتة مقصودة من أجل العبادة فكأنه قيل تعبدنا إبراهيم قلناله (لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي) من الأصنام والأوثان والأقدار أن تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة (وأذن في الناس) ناد فيهم وقرأ ابن محيصة وأذن والنداء بالحج أن يقول حجوا وعليكم بالحج وروى أنه صعداً بأقبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الودع (رجالاً) مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالاً بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالي كعجالي عن ابن عباس (وعلى كل ضامر) حال معطوفة على حال كآه قتل رجالاً وركباناً (يأتين) صفة لكل ضامر لأنه في معنى الجمع وقرئ يأتون صفة الرجال والركبان والعميق البعيد وقرأ ابن مسعود عميق يقال بئر بعيدة العمق والمعق نكر المنافع لأنه أراد منافع مخصوصة بهذه العبادة دينية ودينية لا توجد في غيرها من العبادات وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج قلنا حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكفى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا أو ذبحوا وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلي فيما يتقرب به إلى أن يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسيناً بيناً أن جمع بين قوله ليدكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في أيام معلومات بهيمة الأنعام لم تر شيئاً من ذلك الحسن والروعة ۝ الأيام المعلومات أيام العشر عند أبي حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه أيام النحر البهيمه مهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فينبئ بالأنعام وهي الإبل والبقر والضأن والمعز ۝ الأمر بالآكل منها أمر بإباحة لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نساء نكحهم ويجوز أن يكون ندباً لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثمة استحباب الفقهاء أن يأكل الموسع من أضحيتهم مقدار الثلث وعن ابن مسعود أنه بعث يهدى وقال فيه إذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه إلى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا واتجروا

(قوله من الأصنام والأوثان والأقدار) في الصحاح الون الصنم (قوله بعيدة العمق والمعق) في الصحاح المعق قلب العمق والإمعاق مثل الإمعاق وهو ما بعد من أطراف المفاوز (قوله كلوا وادخروا واتجروا) الظاهر أن المراد اطلبوا الأجر بالصدقة

لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ  
الْفَقِيرِ ۚ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۚ ذَٰلِكَ وَمَن يُعْظَمِ اللَّهَ فَهُوَ  
خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۗ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۚ

(البائس) الذي أصابه بؤس أى شدة و (الفقير) الذي أضعفه الإعسار قضاء النفث : قص الشارب والأظفار وتنف الإبط والاستحداد ، والنفث الوسخ فالمراد قضاء إزالة النفث وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء (نذورهم) مواجب حجهم أو ما عسى يندرونه من أعمال البر في حجهم (وليطوفوا) طواف الإفاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من أركان الحج ويقع به تمام التحلل وقبل طواف الصدر وهو طواف الوداع (العتيق) القديم لأنه أول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قيادة أعتق من الجبابرة كم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد لم يملك قط وعنه أعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قريظ عتاق الخيل والطير (فإن قلت) قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع (قلت) ما قصد التسلط على البيت وإنما تحصن به ابن الزبير فاحتال لإخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه أبرهة ففعل به ما فعل (ذلك) خبر مبتدأ محذوف أى الأمر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن أسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل (فهو خير له) أى فالتعظيم خيره ومعنى التعظيم العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها ۚ المتلو لا يستثنى من الأنعام ولكن المعنى (إلا ما يتلى عليكم) آية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم والمعنى أن الله قد أحل لكم الأنعام كلها إلا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده وإياكم أن تحرموا مما أحل شيئا كتحریم عبدة الأوثان البحرية والسائبة وغير ذلك وأن تحلوا مما حرم الله كحللهم أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك ۚ لما حث على تعظيم حرمانه وأحمد من يعظمها أتبعه الأمر باجتنب الأوثان وقول الزور لأن توحيد الله ونفى الشركاء عنه وصدق القول أعظم الحرمات وأسبغها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قرآن واحد وذلك أن الشرك من باب الزور لأن المشرك زاعم أن الوثن تحق له العبادة فكأنه قال فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتماديته في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيلة عبادة الأوثان ۚ وسمى الأوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والأزلام على طريق التشبيه يعنى أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم أن تنفروا عن هذه الأشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه أنه رجس والرجس مجتنب (من الأوثان) بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لأن الرجس منهم يتناول غير شيء كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان ۚ والزور من الزور والأزورار وهو الانحراف كما أن الإفك من إفكك إذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما أشبه ذلك من افتراءهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الإشراف بالله عدلت شهادة الزور الإشراف بالله وتلا هذه الآية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول أهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ۚ يجوز في هذا التشبيه أن يكون

ۚ قوله تعالى ومن يشرك بالله فكأنما خز من السماء فنخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق (قال) يجوز في

(قوله وأحمد من يعظمها) في الصحاح أحمدته وجدته محمودا موافقا مرضيا



حَنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ۚ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمَ شَعْبَتًا لِلَّهِ فَيُنَبِّئُهَا مِنَ تَقْوَى الْقُلُوبِ ۚ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ

من المركب والمغرق فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاخطفته الطير ففترق مزعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوى بما عصفت به في بعض المهاوى المتلفة ۚ وقرئ فخطفه وكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن وأصلها تخطفه ۚ وقرئ الرياح ۚ تعظيم الشعائر وهي الهدايا لأنها من معالم الحج أن يختارها عظام الأجرام حسانا سمايا غالبية الأثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدى والأضحية والرقبة وروى ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما أنه أهدى نجبية طابت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهها ويشتري بثمنها بدنا فنأه عن ذلك وقال بل أهدها وأهدى رسول الله

هذا التشبيه أن يكون مركبا ومفرقا فإن كان مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية بأن صور حاله بصورة من خر من السماء فاخطفته الطير فصيرته مزعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء وشبه الأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح تهوى بما عصفت به في بعض المهاوى المتلفة (قال أحمد) أما على تقدير أن يكون مفرقا فيحتاج تأويل تشبيه المشرك بالمهاوى من السماء إلى التنبية على أحد أمرين إما أن يكون الإشراف المراد رده فإنه حينئذ كمن علا إلى السماء بإيمانه ثم هبط بارتداده وإما أن يكون الإشراف أصليا فيكون قد عد تمكن المشرك من الإيمان ومن الملو به ثم عدوله عنه اختيارا بمنزلة من علا إلى السماء ثم هبط كما قال تعالى «والذين كفروا أو اياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات» فعدم مخرجين من النور وما دخلوه قط ولكن كانوا متمكنين منه وقد مضى تقرير هذا المعنى بأبسط من هذا وفي تقريره تشبيه الأفكار المتوزعة للكافر بالطير المختطفة وفي تشبيه تطويج الشيطان بالمهاوى مع الريح في مكان سحيق نظر لأن الأمرين ذكرا في سياق تقسيم حال الكافر إلى قسمين فإذا جعل الأول مثلا لاختلاف الأهواء والأفكار والثاني مثلا لتوزع الشيطان فقد جعلهما شيئا واحدا لأن توزع الأفكار واختلاف الأهواء مضاف إلى نزغ الشيطان فلا يتحقق التقسيم المقصود والذي يظهر في تقرير التشبيهين غير ذلك فنقول لما انقسمت حال الكافر إلى قسمين لا مزيد عليهما الأول منهما المتذبذب والمتماذى على الشك وعدم التصميم على ضلالة واحدة فهذا القسم من المشركين مشبه بمن احتطفته الطير وتوزعته فلا يستولى طائر على مزعة منه إلا انتهها منه آخر وذلك حال المتذبذب لا يلوح له خيال إلا اتبعه ونزل عما كان عليه والثاني مشرك مصمم على معتقد باطل لو نشر بالمناشير لم يكع ولم يرجع لاسبيل إلى تشكيكه ولا مطمع في نقله عما هو عليه فهو فرح مبهج لضلته فهذا مشبه في إقراره على كفره باستقرار من هوت به الريح إلى واد سافل فاستقر فيه ونظير تشبيهه بالاستقرار في الوادي السحيق الذي هو أبعد الأخباء عن السماء وصف ضلاله بالبعد في قوله تعالى «أولئك في بعيد» «وضلوا ضلالا بعيدا» أي صمموا على ضلالهم فبعد رجوعهم إلى الحق فهذا تحقيق القسمين والله أعلم

(قوله ففترق مزعا في حواصلها) مفردة مزعة بالضم أي قطعة لحم كما في الصحاح والمطارح المقاذف وطاح يطوح ويطح هلك وسقط وطوحته الطوايح قدفته القواذف كذا في الصحاح أيضا

مَحَلَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۖ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ  
إِلَهُ وَحْدَ فَلْهُ اسْلُبُوا بَشَرَ الْمُخْبِتِينَ ۖ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُم وَالْمُقِيمِي  
الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۖ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ  
عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ نَحْنُ نَهَاكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۖ

صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جل لآبى جهل فى أنه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطى فيتصدق  
بلحومها وبجلالها ويعتقد أن طاعة الله فى التقرب بها وإهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم لا بد أن يقام به ويسارع فيه  
(فإنها من تقوى القلوب) أى فإن تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى إلا  
بتقديرها لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى من يرتبط به وإنما ذكرت القلوب لأنها مرا كز التقوى التى إذا ثبتت  
فيها وتمكنت ظهر أثرها فى سائر الأعضاء ( إلى أجل مسمى ) إلى أن تمحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها ۖ و ( ثم )  
التراخى فى الوقت فاستعيرت للراخى فى الأحوال والمعنى أن لكم فى الهدايا منافع كثيرة فى دنياكم ودينكم وإنما يعتد  
الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطاً فى النفع  
( محلها إلى البيت ) أى وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها فى الحرم منتهية إلى البيت كقوله هديا يانغ الكعبة والمراد  
نحرها فى الحرم الذى هو فى حكم البيت لأن الحرم هو حريم البيت ومثل هذا فى الاتساع قولك بلغنا البلد وإنما  
شارفتموه واتصل مسيركم بحوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها إلى البيت العتيق ياباه ۖ شرع الله لكل أمة  
أن ينسكوا له أى يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة فى ذلك أن يذكر اسمه تقديست أسماؤه على الناسك ۖ  
وقرى ( منسكا ) بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمسكور يكون بمعنى الموضع ( فله أسلموا ) أى أحلصوا  
له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما أى خالصا لا تشوبوه بإشراك المخبتون المتواضعون الخاشعون من الخت وهو  
المظمتن من الأرض وقيل هم الذين لا يظلمون وإذا ظلوا لم ينتصروا وقرأ الحسن ( والمقيمى الصلاة ) بالنصب على  
تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيمى الصلاة على الأصل ( البدن ) جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهى الإبل خاصة  
ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحق البقر بالإبل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر فى حكم  
الإبل صارت البدنة فى الشريعة متناولة للجنسين عد أبى حنيفة وأصحابه وإلا فالبدن هى الإبل وعليه تدل الآية وقرأ  
الحسن والبدن بضمين كثر فى جمع ثمره وابن أبى إسحق بالضمين وأشد يد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله  
والقمر قدرناه ( من شعائر الله ) أى من إلام الشريعة التى شرعها الله وإضافتها إلى اسمه تعظيم لها ( لكم فيها خير ) كقوله لكم فيها منافع  
ومن شأن الحاج أن يحرس على شىء فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف أنه لم يملك إلا تسعة دنانير فاشتري بها بدنة فقيل له  
فى ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا وآخرة وعن إبراهيم من احتاج إلى ظهره أركب ومن احتاج إلى لبنها  
شرب وذكروا اسم الله أن يقول عند نحر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك ( صواف ) قائمات قد  
صنفن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف  
سنبكه لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافى أى خوالص لوجه الله عن عمرو بن عبيد صوافنا بالتثنية عوضاً  
من حرف الإطلاق عند الوقف وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب أعط القوس باريها يسكون الأيام وجوب الجنوب وقوعها على

( قوله مجللة بالقباطى ) فى الصحاح القبط أصل مصر والقبطية ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر والجمع قباطى

( قوله وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب ) لعله صوافى بالسكون

لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دَمًا وَهَآ وَهَآ وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَٰلِكَ نَسَخََهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ  
وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۝ أَذِنَ الَّذِينَ يَفْتَلُونَ بِأَنفُسِهِمْ  
ظُلُومًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ

الأرض من وجب الحائط وجبة إذا سقطت ووجبت الشمس وجبة غربت والمعنى فإذا وجبت جنوبها وسكنت نساؤها حل لكم  
الأكل منها والإطعام (القانع) السائل من قنعت إليه وكنعت إذا خضعت له وسألته قنوعاً (والمعتر) المعترض بغير  
سؤال أو القانع الراضى بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنوعاً وقناعة والمعتر المعترض بسؤال وقرأ  
الحسن والمعترى وعزه وعراه واعتراه واعتراه بمعنى وقرأ أبو رجاء القنع وهو الراضى لا غير يقال قنع فهو قانع وقانع من  
الله على عباده واستحمد اليهم بأن سخر لهم البدن مثل التسخير الذى رأوا وعلموا يأخذونها منقادة الأخذ طبيعة فيعقلونها  
ويحبسونها صافة قوائمها ثم يطعنون فى لبانها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش التى هى أصغر  
منها جرماً وأقل قوة وكفى بما يتأبد من الإبل شاهداً وعبرة ۝ أى لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء  
المهراقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم إلا براعاة النية والإخلاص  
والاحتفاظ بشروط التقوى فى حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية وأوامر الورع فإذا لم يراعوا ذلك  
لم تأمن عنهم التضحية والتقريب وإن كثر ذلك منهم وقرئ لن تنال الله ولكن تناله بالتاء والياء وقيل كان أهل الجاهلية  
إذا نحرروا البدن نضحوا له ماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت ۝ كررت كبر  
النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته إياكم لإعلام دينه ومناسك حجه بأن تكبروا وتعلموا فاختصر الكلام  
بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته ۝ خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرتهم لهم كما قال إننا لننصر رسلنا والذين  
آمنوا وقال إنهم لهم المنصورون وقال وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة فى ذلك أنه لا يجب أضرارهم  
وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرأ يدافع فنعناه  
يبالغ فى الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لأن فعل المغالب يحى أقوى وأبلى ۝ أذن ويقاثلون قرناً على لفظ المنى  
للفاعل والمفعول جميعاً والمعنى أذن لهم فى القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاثلون عليه (بأنهم ظنوا) أى بسبب كونهم  
مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركوا مكة يؤذونهم أذى شديداً وكانوا يأتون رسول الله  
صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإنى لم أؤمر بالقتال حتى هاجر فأنزلت  
هذه الآية وهى أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية وقيل نزلت فى قوم خرجوا مهاجرين  
فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم فى مقاتلتهم ۝ والأخبار بكونه قادراً على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام  
الجبارة وما مر من دفعه عن الذين آمنوا مؤذنين بمثل هذه العدة أيضاً (أن يقولوا) فى محل الجز على الإبدال من حق أى  
بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب الإقرار والتسكين لا موجب الإخراج والتسير ومثله هل  
تنقمون منا إلا أن آمنا بالله ۝ دفع الله بعض الناس ببعض إظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا  
ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة فى أزمته وعلى متعبداتهم فهدموا ولم يتركوا للنصارى بيعاً ولا لربانهم  
صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد أو أغلب المشركون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى  
أهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع وهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلاة لأنه

(قوله وسكنت نساؤها) فى الصحاح النسيئة والنسيس الإيكال بين الناس والنسائس النمايم والنسيس بقية الروح

وفيه أيضاً الإيكال بين الناس السعى بينهم (قوله ويغمطونها) أى يحقرونها

اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوْمِعَ وَيَبِيعَ وَصَلُوتَ وَمَسْجِدَ يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ  
مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا  
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ۝  
وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝  
فَسَكَّانٍ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبُئْرٌ مُعْتَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي

يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلواتنا (من ينصره) أى ينصر دينه وأوليائه هو أخبار من الله عز وجل  
بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضى الله عنهم أن مكنتهم فى الأرض وبسط لهم فى الدنيا وكيف يقومون  
بأمر الدين وعن عثمان رضى الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أن الله قد أنبى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا  
وقالوا فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله لم يعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين  
لاحظ فى ذلك الأنصار والطلقاء وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من  
ينصره والظاهر أنه مجرور تابع للذين أخرجوا (ولله عاقبة الأمور) أى مرجعها إلى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما  
وعده من إظهار أوليائه وإعلاء كلمتهم يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسلياً له لست بأوحدى فى التكذيب  
فقد كذب الرسل قبلك أقوامهم وكفكأ بهم أسوة (فإن قلت) لم قيل (وكذب موسى) ولم يقل وقوم موسى (قلت)  
لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شيء آخر كأنه قيل بعد ما ذكرتك كذب  
كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضاً مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظلك بغيره ۝ النكير بمعنى الإنكار والتغيير  
حيث أبدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكاً وبالعمارة خراباً ۝ كل مرتفع أظلك من سقف بيت أو خيمة أو ظلة أو كرم  
فهو عرش ۝ والخواوى الساقط من خوى النجم إذا سقط أو الخالى من خوى المنزل إذا خلا من أهله وخوى بطن الحامل  
وقوله (على عروشها) لا يخلو من أن يتعلق بخاوية فيكون المعنى أنها ساقطة على سقوفها أى خرت سقوفها على الأرض  
ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو أنها ساقطة أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها وإما أن يكون خبراً بعد  
خبر كأنه قيل هي خالية وهي على عروشها أى قائمة مطلة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت إلى الأرض فصارت  
فى قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة (فإن قلت) ما محل الجملتين من الإعراب أعنى  
وهي ظالمة فهي خاوية (قلت) الأولى فى محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لأنها معطوفة على أهلكتناها وهذا الفعل  
ليس له محل قرأ الحسن معطلة من أعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة أنها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها

۝ قوله تعالى فقد كذبت قبلهم إلى قوله وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم (قال فإن قلت) لم قيل وكذب موسى  
ولم يقل وقوم موسى بدون تكرير التكذيب قلت لأن قوم موسى هم بنو إسرائيل ولم يكذبوه وإنما كذبه القبط أو لأن  
آيات موسى كانت باهرة ظاهرة فكأنه (قال وكذب موسى أيضاً على ظهور آياته) قال أحمد ويحتمل عندى والله أعلم  
أنه لما صدر الكلام بحكاية تكذيبهم ثم عدد أصناف المكذبين وطوائفهم ولم يذته إلى موسى إلا بعد طول الكلام حسن  
تكريره ليلي قوله فأمليت للكافرين فيتصل المسبب بالسبب كما قال فى آية ق بعد تعدد بداهم كل كذب الرسل فحق وعيد فربط العقاب

(قوله مع بقاء عروشها وسلامها) السلام الحجارة واحدها سلمة بكسر اللام أفاده الصحاح (قوله وبقيت الحيطان مائلة)  
أى منتصبه قائمة أفاده الصحاح

الْأَرْضَ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ  
الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۖ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَأَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۖ  
وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَاهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ۖ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۖ

عطلت أى تركت لا يستقى منها هلاك أهلها والمشيد المخصص أو المرفوع البنيان والمعنى كم قرية أهلكتنا وكم بئر عطلتنا عن سقاتها وقصر مشيداً خلتنا عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على أن على عروشها بمعنى مع أوجه روى أن هذه بئر نزل عليها صالح عليه السلام مع أربعة آلاف نفر من آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وإنما سميت بذلك لأن صالحاً حين حضرها مات وثمة بلدة عند البئر اسمها حضوراء بناها قوم صالح وأمروا عليهم جلس ابن جلاس وأقاموا بها زماناً ثم كفروا وعبدوا صنماً وأرسل الله إليهم حنظلة بن صفوان نبياً فقتلوه فأهلكهم الله وعطل بئراً وخرب قصورهم يحتمل أنهم لم يسافروا فحتموا على السفر ليروا مصارع من أهلكتهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعبروا وأن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأنهم يسافروا ولم يروا وقرئ (فيكون لهم قلوب) بالياء أى يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي (فإنها) الضمير ضمير الشأن والقصة يحى مذكراً ومؤنثاً وفي قراءة ابن مسعود فإنه ويجوز أن يكون ضميراً مبهماً يفسره (الأبصار) وفي تعنى ضمير راجع إليه والمعنى أن أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وإنما العمى بقلوبهم أو لا يعتدبعمى الأبصار فكأنه ليس بعنى بالإضافة إلى عمى القلوب (فإن قلت) أى فائدة في ذكر الصدور (قلت) الذى قد تعرف واعقد أن العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى إلى القلوب حقيقة ونفيه عن الأبصار احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الأبصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذى بين فكيك فقولك الذى بين فكيك تقرير لما ادعيت له للسانه وتثبت لأن محل المضاء هو لا غير وكأنك قلت ما نفيت المضاء عن السيف وأثبتته للسانك فلتة ولا سهواً منى ولكن تعددت به إياه بعينه تعمداً ۖ أنكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل أو الآجل كأنه قال ولم يستعجلون به كأنهم يجوزون الفوت وإنما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حليمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال أن يوماً واحداً عنده كألف سنة عندهم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنينكم لأن أيام الشدائد مستطالة أو كأن ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كألف سنة من سنى العذاب وقيل وإن يخلف الله وعده في النظرة والإمهال وقرئ تعدون بالتاء والياء ثم قال وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حيناً ثم أخذتهم بالعذاب والمرجع إلى وإلى حكى (فإن قلت) لم كانت الأولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو (قلت) الأولى وقعت بدلا عن قوله « فكيف كان نكير » وأما هذه فخكها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو أعنى قوله ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة يقال سعت في أمر فلان إذا أصلحه أو أفسده بسعيه وعاجزه سابقه لأن كل واحد منهما في طلب إنجاز الآخر عن اللحاق به فإذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحراً وشعراً وأساطير

والوعدو وصلهما بالكذب بعد أن جدد ذكره والله أعلم ۖ قوله تعالى « وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » قال فيه إنذار بحلم الله تعالى ووقاره واستقصاره الأمد الطويل حتى إن يوماً واحداً عنده كألف سنة قال أحمد الوقار المقرون بالحلم يفهم لغة الشكون وطمانينة الأعضاء عند المزعجات والأناة والتؤدة ونحو ذلك مما لا يطلق على الله تعالى إلا بتوقيف وأما الوقار في قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فقد فسر بالعظمة فليس من هذا وعلى الجملة فهو موقوف على ثبت في النقل

فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ  
الْجَحِيمِ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي  
الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ  
قُلُوبِهِمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ  
وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً

ومن تشيط الناس عنهما سابقين أو مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم الإسلام يتم لهم (فإن قلت) كأن القياس أن يقال  
إنما أنالكم بشيرو نذير لذكر الفريقين بعده (قلت) الحديث مسوق إلى المشركين ويأياها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم  
أفلم يسيروا في الأرض ووصفوا بالاستعجال وإنما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاطوا (من رسول ولانبي) دليل بين  
على تغاير الرسول والنبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً قيل فكم الرسل  
منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جماعاً غيراً والفرق بينهما أن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير  
الرسول من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو الناس إلى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم لما أعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من إعراضهم ولحرصه  
وتهاككه على إسلامهم أن لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقاً إلى استئذانهم واستنزاهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به  
ماتمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو في نادى قومه وذلك التمنى في نفسه فأخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ومناه الثالثة الأخرى  
(ألقي الشيطان في أمنيته) التي تمناها أي وسوس إليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط إلى أن قال تلك الغرائيق  
العلوية وإن شفاعتني لترجي وروى الغرائقة ولم يفظن له حتى أدركته العصمة فذبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام أو تكلم  
الشيطان بذلك فأسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجده معه جميع من في النادى وطابت نفوسهم وكان تمسكين الشيطان من ذلك  
محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكاً وظلمة والمؤمنون نوراً وإيقاناً والمعنى أن الرسل والأنبياء من قبلك كانت هجراتهم  
كذلك إذا تمنى مثل ماتميت مكن الله الشيطان ليلقى في أمانهم مثل ما ألقى في أمنيتك إرادة امتحان من حولهم والله سبحانه  
له أن يتمحن عباده بما شاء من صنوف المحن وأنواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين وقيل تمنى  
قرأ وأنشد :

تمنى كتاب الله أول ليلة ۝ تمنى داود الزبور على رسل

وأمنيته قراءته وقيل تلك الغرائيق إشارة إلى الملائكة أي هم الشفعاء لا الأصنام (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أي يذهب  
به ويبطله (ثم يحكم الله آياته) أي يثبتها ۝ والذين (في قلوبهم مرض) المنافقون والشاكرون (والقاسية قلوبهم) المشركون  
المكذبون (وإن الظالمين) يريد وإن هؤلاء المنافقين والمشركين وأصله وإنهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم  
بالظلم (أنه الحق من ربك) أي ليعلموا أن تمسكين الشيطان من الإلقاء هو الحق من ربك والحكمة (وإن الله لهادى الذين  
آمنوا إلى) أن يتأولوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا لما أشكل منه المحمل الذي تقتضيه الأصول المحكمة  
والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعثرهم شبهة ولا تنزل أقدامهم وقرئ لهادى الذين آمنوا بالتثوين ۝ الضمير  
في (مرية منه) للفرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم ۝ اليوم العقيم يوم بدر وإنما وصف يوم الحرب بالعقيم لأن أولاد  
النساء يقتلون فيه فيصرون كأنهن عقم لم يلدن أولاداً المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فإذا نزلوا وصف يوم الحرب بالعقيم  
على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ربح عقيم إذ لم تنشئ مطراً ولم تلقح شجراً وقيل لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة  
عليهم السلام فيه وعن الضحاك أنه يوم القيامة وأن المراد بالساعة مقدماته ويجوز أن يراد بالساعة ويوم عقيم يوم القيامة

ذَكَرَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرَةٍ  
وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَبْسُتُتْ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَسْكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ  
آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ النَّارِ وَعِذَّا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ  
فَأَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا  
لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ

ما يعملون ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث في السموات والأرض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه  
والإحاطة بذلك وإثباته وحفظه عليه (يسير) لأن العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعاقب بمعلوم (ويعبدون) ما لم  
يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا الجأهم إليها علم ضروري ولا حماهم عليها دليل  
عقلي (وما) للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم (المنكر) الفطوح من النجوم والبسور أو  
الإنكار كالمكرم بمعنى الإكرام وقرئ يعرف والمنكر والسطو الوثب والبطش قرئ (النار) بالرفع على أنه  
خير مبتدأ محذوف كأن قائلًا قال ما هو فقبل النار أي هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجزء على البدل من شر  
من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلى عليكم (وعدها الله)  
استئناف كلام ويحتمل أن تكون النار مبتدأ ووعدها خبراً وأن يكون حالاً منها إذا نصبتها أو جررتها بإضمار قد  
(فإن قلت) الذي جاء به ليس يمثل فكيف سماه مثلاً (قلت) قد سميت الصفة أو القصة الرائدة المنتقاة بالاستحسان  
والاستغراب مثلاً تشبيهاً لها ببعض الأمثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم قرئ (تدعون) بالتاء والياء  
ويدعون مبنياً للفعول (لن) أخت لاني نفي المستقبل إلا أن لن تنفيه نفيًا مؤكداً وتأكيداً كيداً ههنا الدلالة على أن خلق  
الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم كأنه قال محال أن يخلقوا (فإن قلت) ما محل (ولو اجتمعوا له) (قلت) النصب على  
الحال كأنه قال مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطاً عليهم اجتماعهم جميعاً لخلقهم وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزله  
الله في تجهيل قريش واستر كاك عقولهم والشهادة على أن الشيطان قد خزهمم بخزائمه حيث وصفوا بالآلهية التي تقتضي  
الافتداز على المقدورات كلها والإحاطة بالمعلومات عن آخرها صوراً وتمائيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه  
وأذله وأصغره وأحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم أن هذا الخلق الأقل  
الأذل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدرُوا وقوله (ضعف الطالب والمطلوب) كالتسوية  
بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف لأن الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب  
وذاك مغلوب وعن ابن عباس أنهم كانوا يظلمونها بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب  
من الكوى فيأكله (ما قدرُوا الله حق قدره) أي ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموه باسمه من هو منسلخ عن صفاته  
بأسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكاً له إن الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شريكاً به هذا رد  
لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر وبيان أن رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ثم ذكر أنه تعالى دراك  
للدركات عالم بأحوال المكلفين ماضى منها وما غير لا تخفى عليه منهم خافية وإليه مرجع الأمور كلها والذي هو

(قوله الفطوح من النجوم والبسور) كل منهما كروح الوجه أفاده الصحاح (قوله وتأكيداً كيداً ههنا الدلالة على أن خلق  
الذباب منهم مستحيل) لعله للدلالة كعبارة النسق (قوله إن الشيطان قد خزهمم بخزائمه) في الصحاح خزمت البعير  
بالخزامة وهي حلقة من شعر تجعل في وتره أنفه يشد فيها الزمام

الْمَلَكَةِ رُسُلًا وَمَنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ  
جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي  
هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا  
بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝

هذه الصفات لا يسأل عما يفعل وليس لاحد أن يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله ۝ للذكر شأن ليس  
لغيره من الطاعات وفي هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثمة دعا المؤمنين أولا إلى الصلاة التي هي ذكر خالص ثم إلى  
العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس أول ما أسلموا يسجدون  
بلا ركوع ويركعون بلا سجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود وقيل معنى (واعبدوا ربكم) افسدوا بركوعكم  
وسجدكم وجه الله وعن ابن عباس في قوله (وافعلوا الخير) صلة الأرحام ومكارم الأخلاق (لعلكم تفلحون) أي افعلوا  
هذا كله وأنتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلموا على أعمالكم وعن عقبه بن عامر رضي الله عنه  
قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم إن لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما  
فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي رضي الله عنه فرأى سجدتين في سورة الحج وأبو حنيفة وأصحابه رضي  
الله عنهم لا يرون فيها إلا سجدة واحدة لأنهم يقولون قرأ السجود بالركوع فدل ذلك على أنها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة  
(وجاهدوا) أمر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رجع من بعض  
غزواته فقال رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر (في الله) أي في ذات الله ومن أجله ۝ يقال هو حق عالم وجد  
عالم أي عالم حقا وجدا ومنه (حق جهاده) (فإن قلت) ما وجه هذه الإضافة وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم  
فيه كما قال وجاهدوا في الله (قلت) الإضافة تكون بأدنى ملائمة واختصاص فلما كان الجهاد مخصصا بالله من حيث أنه  
مفعول لوجهه ومن أجله صحت إضافته إليه ويجوز أن يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليمان وعمارا (اجتباكم)  
اختاركم لدينه ولنصرته (وما جعل عليكم في الدين من حرج) فتح باب النوبة للجرمين وفسح بأنواع الرخص والكفارات  
والديات والأروش ونحوه قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، وامة محمد صلى الله عليه وسلم هي الأمة المرحومة  
الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة ۝ نصب الملة بمضمون ما تقدمها كأنه قيل وسع دينكم توسعة ملة أبيكم ثم حذف  
المضاف وأقام المضاف إليه مقامه أو على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم كقولك الحمد لله الحميد (فإن قلت) لم يكن  
(إبراهيم) أبا للأمة كلها (قلت) هو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبا لأمته لأن أمة الرسول في حكم أولاده  
(هو) يرجع إلى الله تعالى وقيل إلى إبراهيم ويشهد للقول الأول قراءة أبي بن كعب الله سماكم (من قبل وفي هذا) أي من  
قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن أي فضلكم على الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم (ليكون الرسول شهيدا عليكم)  
أنه قد بلغكم (وتكرونا شهداء على الناس) بأن الرسل قد بلغتهم ۝ وإذ خصكم بهذه الكرامة والأثرة فاعبدوه وثقوابه  
ولا تطلبوا النصر والولاية لإيمانه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطى  
من الأجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيها مضى وفيما بقي



## سورة المؤمنون مكية

وآياتها ١١٨ نزلت بعد الانبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ

﴿سورة المؤمنون مكية وهي مائة وتسع عشرة آية وثمانى عشرة عند الكوفيين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قد) نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم فخرطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه ۝ الفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير و﴿أفلق﴾ دخل في الفلاح كأبشر دخل في البشارة ويقال أفلقه أصاره إلى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف أفلق على البناء للمفعول وعنه أفلقوا على أكلوني البراغيث أو على الإبهام والنفسيرو عنه أفلق بضمة بغير وا واجتزأ بها عنها كقولهم فلو أن الأتبا كان حولى ۝ (فإن قلت) ما المؤمن (قلت) هو في اللغة المصدق وأما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين أحدهما أن كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر أنه صفة مدح لا يستحقها إلا البرّ التقيّ دون الفاسق الشقي ۝ الخشوع في الصلاة خشية القلب والباد البصر عن فتادة وهو الزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي رافعا بصره إلى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى بصره نحو مسجد وكان الرجل من العلماء إذا قام إلى الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره إلى شيء أو يحدث نفسه بشأن من شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والإعراض عما سواها ومن الخشوع أن يستعمل الآداب فيتوقى كفت الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطى والثأوب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلبه خشعت جوارحه، ونظر الحسن إلى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب أنت تخطب وأنت تعبث (فإن قلت) لم أضيف الصلاة إليهم (قلت) لأن الصلاة دائرة بين المصلى والمصلى له فالمصلى هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلاته وأما المصلى له فغنى متعال عن الحاجة إليها والانتفاع بها ۝ اللغو ما لا يعينك من قول أو فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة إلغائه وإطراحه يعني أن بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل ۝ لما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على

﴿القول في سورة المؤمنون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قوله تعالى قد أفلق المؤمنون الآية) قال اختلف في الإيمان على قولين أحدهما أن كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فقد اتصف بالإيمان والآخر أنه صفة مدح لا يستحقها إلا البرّ التقيّ دون الفاسق الشقي (قال أحمد والأول مذهب الأشعرية والثاني مذهب المعتزلة والموحد الفاسق عندهم لا مؤمن ولا كافر ولو لم يكن بين المعتزلة على هذا المعتقد تحريم الجنة على الموحد الفاسق بناء على أنه لا يندرج في وعد المؤمنين لكان البحث معهم لفظيا ولكن رتبوا على ذلك أمرا عظيما من أصول الدين وقواعده وقد نقل القاضى عنهم في رسالة الإيمان خبطا طويلا فنقل عن قدمائهم كعمرو بن عبيد وطبقته أن الإيمان هو التصديق بالقلب وجميع فرائض الدين فعلا وتركه ونقل عن أبي الهذيل العلاف أن الإيمان هو جميع فرائض الدين ونوافله ومختصر دليل القاضى لأهل السنة أن الإيمان لغة هو مجرد التصديق اتفاقا فوجب أن يكون كذلك شرعا عملا بقوله تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه مع سلامته عن معارضة النقل فإنه لو كان لنبيه عليه الصلاة والسلام ولو بينه لنقل لأنه مما يبني عليه قاعدة الوعد والوعيد ولم ينقل لأن النقل إما آحاد أو تواتر إلى آخر مادته

مَعْرُضُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ  
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ۝  
وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَلَقَدْ

الأنفس الذين هما قاعدتا بناء التكليف ۝ الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرج المزكى من النصاب إلى الفقير والمعنى فعل المزكى الذي هو التزكية وهو الذي أراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لأنه ما من مصدر إلا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحذوفه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكى فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه أنك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله أو بعض الخلق ولم يمتنع الزكاة الدالة على العين أن يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة أن يتناولها الفاعل ولكن لأن الخلق ليسوا بفاعليها وقد أنشد لامية ابن أبي الصلت

المطعمون الطعام في السنة لا زمة والفاعلون للزكوات

ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الأداء وحمل البيت على هذا أصح لأنها فيه مجموعة (على أزواجهم) في موضع الحال أي الأوابين على أزواجهم أو قوامين عليهم من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها خلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة أي والياً عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثمة سميت المرأة فراشاً والمعنى أنهم لفروجهم حافظون في كافة الأحوال إلا في حال تزوجهم أو تسريحهم أو تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون إلا على أزواجهم أي يلامون على كل مباشر إلا على ما أطلق لهم فإنهم غير ملومين عليه أو تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ عليّ عنان فرسي على تضمينه معنى النبي كما ضمن قولهم نشدتك بالله إلا فعلت معنى ما طلبت منك إلا فعلك (فإن قلت) هلا قيل من ملكت (قلت) لأنه أريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الإناث ۝ جعل المستثنى حداً أوجب الوقوف عنده ثم قال فمن أحدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو إباحة أربع من الحرائر ومن الإمام ما شئت (فأولئك هم) الكاملون في العدوان المتشاهون فيه (فإن قلت) هل فيه دليل على تحريم المتعة (قلت) لا لأن المنكوحه نكاح المتعة من جملة الأزواج إذا صح النكاح ۝ وقرئ لأمانتهم سمي الشيء المؤمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهداً ومنه قوله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وقال وتخونوا أماناتكم وإنما تؤدى العيون لا المعاني ويخون المؤمن عليه لا الأمانة في نفسها ۝ والراعي القائم على الشيء بحفظ وإصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعى هذا الشيء أي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما اتتموا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الخلق والخصوص فيما حمله من أمانات الناس وعهودهم ۝ وقرئ (على صلاتهم) (فإن قلت) كيف كثر ذكر الصلاة أولاً وأخراً (قلت) هما ذكران مختلفان فليس بتكرير، وصفوا أولاً بالخشوع في صلاتهم وأخراً بالمحافظة عليها وذلك أن لا يسهوا عنها ويؤدوها في أوقاتها ويقوموا أركانها ويؤكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي أن تتم به أوصافها وأيضاً فقد وجدت أولاً ليفاد الخشوع في جنس الصلاة أي صلاة كانت وجمعت أخيراً لتفاد المحافظة على أعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر

قوله تعالى ۝ والذين هم للزكاة فاعلون ۝ (قال) الزكاة تطلق ويراد بها العين المخرجة وتطلق ويراد بها فعل المزكى الذي هو التزكية ويتعين ههنا أن يكون المراد التزكية لقوله فاعلون إذ العين المخرجة لم يفعلها المزكى ثم ضبط المصدر على الإطلاق بأنه الذي يصدق عليه أنه فعل الفاعل فعلى هذا تكون العين المخرجة مصدراً بالنسبة إلى الله تعالى وكذلك السموات والأرض وكل مخلوق من جوهر وعرض قال لجميع الحوادث إذا قيل من فاعلها فيقال الله أو بعض الخلق (قال أحمد) ويقول السني فاعل جميعها هو الله وحده لا شريك له واسكن إذا سئل بصيغة مشتقة من الفعل على طريقة اسم الفاعل مثل أن يقال له من القائم من القاعد أجاب بمن خلق الله الفعل على يديه وجعله محلاله كزيد وعمرو



بِهَ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاوِكُهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ  
بِالدَّهْنِ وَصَبْغٍ لِّلْأَكْلِينَ ۝ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا  
تَأْكُلُونَ ۝ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ  
غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ

أو بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم (فأسكناه في الأرض) كقوله فسلكه بنابيع في الأرض وقيل جعلناه  
ثابتاً في الأرض وقيل إنها خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهر العراق والنيل نهر مصر  
أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف  
معايشهم ۝ وكما قدر على إنزاله فهو قادر على رفعه وإزالته وقوله (على ذهاب به) من أوقع التكرات وأحرها للفصل  
والمعنى على وجه من وجوه الذهب به وطريق من طرقه وفيه إيذان باقتدار المذهب وأنه لا يتعابا عليه شيء إذا أَرَادَهُ  
وهو أبلغ في الإبعاد من قوله قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين فعلى العباد أن يستعظموا النعمة  
في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفاها إذا لم تشكروه خص هذه الأنواع الثلاثة لأنها أكرم الشجر وأفضلها  
وأجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بأن ثمرهما جامع بين أمرين بأنه فاكهة يتفكك بها وطعام يؤكل رطباً ويابساً  
رطباً وعنباً ونمراً وزيبياً والزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح والاصطباح جميعاً ويجوز أن يكون قوله ومنها تأكلون  
من قولهم يأكل فلان من حرفة يجترفها ومن ضيعة يغتلبها ومن تجارة يترجح بها يعنون أنها طعمته وجهته التي منها يحصل  
رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترتزقون وتعيشون (وشجرة) عطف على جنات وقرئت  
مرفوعة على الابتداء أي ومما أنشئ لكم شجرة (طور سيناء) وطور سينين لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة  
اسمها سيناء وسينون وإمّا أن يكون اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه كأمري القيس وكعبليك فيمن أضاف  
فن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث لأنها بقعة وفعلام لا يكون ألفه للتأنيث كعبلياء  
وحرباء ومن فتح فلم يصرف لأن الألف للتأنيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وأيلة ومنه نودي  
موسى عليه السلام وقرأ الأعمش سينا على القصر (بالدهن) في موضع الحال أي تنبت وفيها الدهن وقرئ تنبت وفيه  
وجهان أحدهما أن أنبت بمعنى نبت وأنشد لزهير رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم ۝ قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل  
والثاني أن مفعوله محذوف أي تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت وقرأ ابن  
مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيره تخرج بالدهن وفي حرف أبي ثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرأ  
الأعمش وصبغوا قرئ وصبغ ونحوهما دباغ ودباغ والصبغ الغمس للائتمام وقيل هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها  
الله تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة ۝ قرئ تسقيكم بماء مفتوحة أي تسقيكم الأنعام (ومنها تأكلون) أي تتعلق  
بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من الخيل والبغال والحمير وفيها منفعة زائدة وهي الأكل  
الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالأنعام إلى الإبل لأنها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن  
لأنها سفائن البر قال ذو الرمة ۝ سفينة برّ تحت خدي زمامها ۝ يريد صيدحه (غيره) بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ  
والجملة استئناف تجرى مجرى التعليل للأمر بالعبادة (أفلا تتقون) أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم  
ورازقكم وشكر نعمته التي لا تحصى وأجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء (أن

(قوله يريد صيدحه) أي ناقته المسماة بصيدح

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَاءِنَا الْأُولَى ۚ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُتِّرَبْصُوا بِهِ حَتَّىٰ  
 حِينٍ ۚ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ۚ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَوَحَيْنَا فَاِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ  
 التَّنُورَ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا  
 إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ ۚ فَاِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۚ

يُفَضَّلُ عَلَيْهِمْ) أَنْ يَطْلُبَ الْفَضْلَ عَلَيْهِمْ وَيُرَاسِمُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَتَكُونُ لِكُلِّ الْكَبْرِيَاءِ فِي الْأَرْضِ (بِهَذَا) إِشَارَةٌ إِلَى نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ إِلَى مَا كَلَّمَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَثِّ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ أَيْ مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ أَوْ بِمِثْلِ هَذَا الَّذِي يَدْعِي وَهُوَ بَشَرٌ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَمَا أُعْجِبُ شَأْنَ الضَّلَالِ لَمْ يَرْضُوا لِلنَّبِيِّ بِبَشَرٍ وَقَدَّرُوا الْإِلَهِيَّةَ بِحَجْرٍ وَقَوْلُهُمْ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ وَأَبَاؤُهُمْ كَانُوا فِي قُبْحٍ مُتَطَاوِلَةٍ أَوْ تَكْذُوبٍ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُمَا كُفِّرُوا فِي الْغِيِّ وَتَشَمَّرُوا لِأَنْ يَدْفَعُوا الْحَقَّ بِمَا أَمَكْنَهُمْ وَيَمَازِنَ لَهُمْ مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ مِنْهُمْ بَيْنَ صِدْقٍ وَكُذْبِ الْأَتْرَافِ كَيْفَ جَنَّبُوهُ وَقَدَّعَلُوا أَنَّهُ أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلًا وَأَوْزَنُهُمْ قَوْلًا وَالْجَنَّةُ الْجَنُونَ أَوِ الْجِنُّ أَيْ بِهِ جُنَّ يَجْلُونَهُ (حَتَّى حِينٍ) أَيْ اخْتَمَلُوهُ وَاصْبِرُوا عَلَيْهِ إِلَى زِدَانٍ حَتَّى يَنْجَلِيَ أَمْرُهُ عَنْ عَاقِبَةٍ فَإِنْ أَفَاقَ مِنْ جَنُونِهِ وَإِلَّا قَتَلْتُمُوهُ ۚ فِي نَصْرَتِهِ إِهْلَاكُهُمْ فَكَأَنَّهُ قَالَ أَهْلَسَكُمْ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّايَ أَوْ انصُرْنِي بِدَلِّ مَا كَذَبُونِي كَمَا تَقُولُ هَذَا إِذْ كَانَ أَيْ بِدَلِّ ذَلِكَ وَمَكَانِهِ وَالْمَعْنَى أَبَدْنِي مِنْ غَمِّ تَكْذِيبِهِمْ سَلْوَةَ النَّصْرَةِ عَلَيْهِمْ أَوْ انصُرْنِي بِانجَازِ مَا وَعَدْتَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَهُوَ مَا كَذَبُوهُ فِيهِ حِينٌ قَالَ لَهُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (بِأَعْيُنِنَا) بِحِفْظِنَا وَكَلَامِنَا كَانَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ حِفْظًا يَكُونُ لَهُ بَعِيُونُهُمْ لِأَنَّهُ لَا يَفْسُدُ عَلَيْهِ مَقْسُدُ عَمَلِهِ وَمَنْ قَوْلُهُمْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ عَيْنٌ كَالْتِهَانِ (وَوَحَيْنَا) أَيْ نَأْمُرُكَ كَيْفَ تَصْنَعُ وَنَعْلَمُكَ رَوَى أَنَّهُ أَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ يَصْنَعَهَا عَلَى مِثَالِ جَوْجُو الطَّائِرِ ۚ رَوَى أَنَّهُ قِيلَ لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا رَأَيْتَ الْمَاءَ يَفُورُ مِنَ النَّوْرِ فَارْكَبْ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ فِي السَّفِينَةِ فَلَمَّا نَبَعَ الْمَاءُ مِنَ النَّوْرِ أَخْبَرْتَهُ امْرَأَتُهُ فَرَكِبَ وَقِيلَ كَانَ تَنْوَرُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ مِنْ حِجَارَةِ فَصَارَ إِلَى نُوحٍ وَاخْتَلَفَ فِي مَكَانِهِ فَعَنِ الشَّعْبِيِّ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ عَنْ يَمِينِ الدَّخْلِ بِمَا بِلَى بَابِ كِنْدَةَ وَكَانَ نُوحٌ عَمَلُ السَّفِينَةِ وَسَطُ الْمَسْجِدِ وَقِيلَ بِالشَّامِ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ عَيْنٌ وَرَدَّةٌ وَقِيلَ بِالْهِنْدِ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّوْرُ وَجِهَ الْأَرْضِ وَعَنْ قِنَادَةَ أَشْرَفَ مَوْضِعٌ فِي الْأَرْضِ أَيْ أَعْلَاهُ وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَارَ النَّوْرَ طَلَعَ الْفَجْرُ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنْ فُورَانَ النَّوْرِ كَانَ عِنْدَ تَنْوِيرِ الْفَجْرِ وَقِيلَ هُوَ مِثْلُ كَقَوْلِهِمْ حَمِي الْوَطَيْسِ وَالْقَوْلُ هُوَ الْأَوَّلُ ۚ يُقَالُ سَلَكَ فِيهِ دَخَلَهُ وَسَلَكَ غَيْرَهُ وَأَسْلَمَكَ قَالَ ۚ حَتَّى إِذَا سَلَكَوهُمْ فِي قِنَادَةَ (مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ) مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ زَوْجَيْنِ وَهُمَا أُمَّةُ الذَّكَرِ وَأُمَّةُ الْأُنْثَى كَالْجَسَالِ وَالنُّرُقِ وَالْحَصْنِ وَالرَّمَاكِ (اثْنَيْنِ) وَاحِدَيْنِ مَزْدُوجَيْنِ كَالْجَمْلِ وَالنَّاقَةِ وَالْحِصَانِ وَالرَّمَكَةَ رَوَى أَنَّهُ لَمْ يَحْمَلْ إِلَّا مَا يَلِدُ وَيَبْيِضُ وَقُرئُ مِنْ كُلِّ بِالتَّنْوِينِ أَيْ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ زَوْجَيْنِ وَاثْنَيْنِ تَأْكِيدٌ وَزِيَادَةٌ بَيَانٌ ۚ جِيءَ بِعَلَى مَعَ سَبَقِ الضَّارِّ كَمَا جِيءَ بِاللَّامِ مَعَ سَبَقِ الدَّافِعِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَى» «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا الْعِبَادَةَ الْمُرْسَلِينَ» وَنَحْوَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى «لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا كَسَبَتْ» وَقَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَيْتَهَا كَانَتْ كِفَافًا لِأَعْلَى وَوَالِي ۚ (فَإِنْ قُلْتَ) لَمْ نَهَاهُ عَنِ الدَّعَاءِ لَهُمْ بِالنَّجَاةِ (قُلْتَ) لَمَّا تَضَمَّنَتْهُ الْآيَةُ مِنْ كَوْنِهِمْ ظَالِمِينَ وَإِجَابَ الْحِكْمَةَ أَنْ يَغْرُقُوا الْإِحْمَالَ لِمَا عَرَفَ مِنَ الْمَصْلُحَةِ فِي إِغْرَاقِهِمْ وَالْمَقْسُدَةَ فِي اسْتَبْقَائِهِمْ وَبَعْدَ أَنْ أَمَلَى لَهُمُ الدَّهْرَ الْمُتَطَاوِلَ فَلَمْ يَزِيدُوا إِلَّا ضَلَالًا وَلَزِمَتْهُمُ الْحِجَّةُ الْبَالِغَةُ لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَجْعَلُوا عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ وَلَقَدْ بَالِغٌ فِي ذَلِكَ حَيْثُ أَتْبَعَ النَّهْيَ عَنِ الْأَمْرِ بِالْحَمْدِ عَلَى هَلَاكِهِمْ وَالنَّجَاةَ مِنْهُمْ كَقَوْلِهِ فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ ثُمَّ أَمْرُهُ أَنْ يَدْعُوهُ بِدَعَاءٍ هُوَ أَهْمٌ وَأَنْفَعُ لَهُ وَهُوَ طَلَبُ أَنْ يَنْزِلَ فِي السَّفِينَةِ أَوْ فِي الْأَرْضِ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْهَا مِنْزِلًا يَبَارِكُ لَهُ فِيهِ وَيُعْطِيهِ الزِّيَادَةَ فِي خَيْرِ الدَّارَيْنِ وَأَنْ يَشْفَعَ الدَّعَاءَ بِالتَّنَاءِ عَلَيْهِ الْمَطَابِقَ لِمُسْتَلْتَهُ وَهُوَ

(قوله حتى إذا أسلكوهم في قنائة) في الصحاح قنائة اسم عقبه أي في طريق قنائة

وَقُلْ رَبِّ أَنْزَلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۝ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ  
 قَرْنًا آخَرِينَ ۝ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۝ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ  
 قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ وَاتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا  
 تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۝ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ۝ أَعِيدُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ  
 وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّكُمْ تُخْرَجُونَ ۝ هِيَآتْ هِيَآتٍ لِمَا تُوعَدُونَ ۝ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا

قوله (وأنت خير المنزلين) (فإن قلت) هلا قيل فقولوا لقوله فإذا استويت أنت ومن معك لأنه في معنى فإذا استويت  
 قلت) لأنه نبيهم وإمامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الإشعار بفضل النبوة وإظهار كبرياء الربوبية وأن رتبة تلك  
 المخاطبة لا يترقى إليها إلا ملك أو نبي ۝ وقرئ منزلاً بمعنى إنزالاً أو موضع إنزال كقوله: ليدخلنهم مدخلا يرضونه (إن)  
 هي الخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها في المعنى وإن الشأن والقصة (كننا لمبتلين) أي مصيدين قوم نوح  
 ببلاد عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى: ولقد تركناها آية فهل من  
 مدكر (قرنا آخرين) هم عاد قوم هود عن ابن عباس رضي الله عنهما وتشهد له حكاية الله تعالى قول هود واذكروا  
 إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وبجىء قصة هود على أثر قصة نوح في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء (فإن  
 قلت) حق أرسل أن يعدي بالي كأخواته التي هي وجه وأنفذ وبعث فما باله عدى في القرآن بالي تارة وبني أخرى كقوله  
 كذلك أرسلناك في أمة وما أرسلنا في قرية من نذير (فأرسلنا فيهم رسولا) أي في عاد وفي موضع آخر وإلى عاد أخاهم هوداً  
 قلت) لم يعد بني كما عدى بالي ولم يجعل صلة مثله ولكن الأمة أو القرية جعلت موضعاً للإرسال كما قال رؤبة ۝ أرسلت  
 فيها مصعباً ذا إقحام وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً (أن) مفسرة لأرسلنا أي قلنا لهم على  
 لسان الرسول (اعبدوا الله) (فإن قلت) ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الأعراف وسورة هود بغير واو قال  
 الملأ الذين كفروا من قومه إننا لبراك في سفامة قالوا يا هود ما جئنا ببيدة وههنا مع الواو فأى فرق بينهما (قلت) الذي  
 بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت وأما الذي مع الواو فعطف لما قالوه  
 على ما قاله ومعناه أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما (بلقاء الآخرة) بقاء ما فيها من الحساب  
 والثواب والعقاب كقولك يا حنذا جوار مكة أي جوار الله في مكة حذف الضمير والمعنى من مشروبكم أو حذف منه  
 لدلالة ما قبله عليه (إذا) واقع في جزاء الشرط وجواب الذين قالوا لهم من قومه أي تخسرون عقولكم وتغبنون  
 في آرائكم ۝ ثي (أنكم) للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الأول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الأول أو جعل  
 إنكم مخرجون مبتدأ وإذا تم خبراً على معنى إخراجكم إذا تمتم ثم أخبر بالجملة عن أنكم أو رفع أنكم مخرجون بفعل هو  
 جزاء للشرط كأنه قيل إذا تم وقع إخراجكم ثم أرفعت الجملة الشرطية خبراً عن إنكم وفي قراءة ابن مسعود أيعدكم  
 إذا تم ۝ قرئ (هيات) بالفتح والكسر والضم كلها يتنوين وبلا توين وبالسكون على لفظ الوقف (فإن قلت) ما توعدون  
 هو المستبعد ومن حقه أن يرتفع بهيات كما ارتفع في قوله ۝ فهيات هيات العقيق وأهله ۝ فهاذه اللام (قلت) قال الزجاج  
 في تفسير البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون فيمن نون فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو أن يكون اللام  
 لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هياتك لبيان المهيت به هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به  
 إلا بما يتلوه من بيانه وأصله إن الحياة (إلا حياتنا الدنيا) ثم وضع هي موضع الحياة لأن الخبر يدل عليها وبينها ومنه  
 هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب تقول ماشاءت والمعنى لا حياة إلا هذه الحياة لأن إن النافية دخلت على هي التي

وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ۝ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ۝ فَاخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غَنَاءً ۝ فَبَعَدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ ثُمَّ انشأنا من بعدهم قرورًا ۝ آخَرِينَ ۝ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ۝ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا ۝ كُلٌّ مَّا جَاءَ آئَةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۝ فَبَعَدًا لِلْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ۝ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ بِبَشَرِينَ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِبَادُونَ ۝ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ

في معنى الحياة الدالة على الجنس ففتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها في الجنس (نموت ونحي) أي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر ثم قالوا ما هود إلا مفتر على الله فيما بدعيه من استنباته له وفيما يعدنا من البعث وما نحن بمصدقين (قليل) صفة الزمان كقديم وحديث في قولك ما رأيتك قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وماتوكيد قلة المدة وقصرها (الصيحة) صيحة جبريل عليه السلام صاح عليهم فدمرهم (بالحق) بالوجوب لأنهم قد استوجبوا الهلاك أو بالعدل من الله من قولك فلان يقضى بالحق إذا كان عادلا في قضاياهم في دمارهم بالغنم وهو حمل السيل بما بلى واسودت من العيدان والورق ومنه قوله تعالى فجعله غناء أحوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس

من السيل والغنم فلنكة مغزل ۝ بعدا وسخما ودفرا ونحوها مصادر موضوعه مواضع أفعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بأفعال لا يستعمل إظهارها ومعنى بعدا بعدوا أي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا و(للقوم الظالمين) بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون (قروننا) قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما بنى إسرائيل (أجلها) الوقت الذي حد لهلاكها وكتب (تري) فعلى الألف للتأنيث لأن الرسل جماعة وقرئ تري بالتوين والتاء بدل من الواو كما في توج وتيقور أي متواترين واحدا بعدواحد من الوتر وهو الغرد أضاف الرسل إليه تعالى وإلى أمهم ولقد جاءتهم رسلا بالبينات ولقد جاءتهم رسلا بالبينات لأن الإضافة تكون بالملازمة والرسول ملبس المرسل والمرسل إليه جميعا (فاتبنا) الأمم أو القرون (بعضهم بعضا) في الإهلاك (وجعلناهم) أخبارا يسمر بها ويتعجب منها الأحاديث تكرر اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون جمعا للحدوث التي هي مثل الاضحوكة واللعوبة والاشجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهبا وتعجبا وهو المراد ههنا (فإن قلت) ما المراد بالسلطان المبين (قلت) يجوز أن تراد العصا لأنها كانت أم آيات موسى وأولها وقد تعلق بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر يضربها بها وكرنها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاه جعلت كأنها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطف عليها كقبوله تعالى وجبريل وميكال ويجوز أن تراد الآيات أنفسها أي هي آيات وحجة بينة (عالين) متكبرين «إن فرعون علا في الأرض» «لا يريدون علوا في الأرض» أو متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم البشر يكون واحدا وجمعا. بشرا سويا. لبشرين فإماترين من البشر. ومثل وغير بوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث إنكم إذا مثلهم. ومن الأرض مثلون. ويقال أيضا هاهما مثلاه وهم أمثاله: إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم (وقومهما)

(قوله بعدا وسخما ودفرا ونحوها) في الصحاح دفر له أي نتنا (قوله كما في توج وتيقور أي متواترين) التوج كناس الوحش الذي يلج فيه قال سيبويه التام مبدلة من الواو وهو فوعل كذا في الصحاح وفيه أيضا التيقور والوقار وأصله ويقور قلبت الواو تاء أه فوز نه فيقول

لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ۝ فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ يَذَرُونَهُمْ ۝ كُلٌّ حِزْبٌ لِمَا لَدَيْهِمْ فَرَحُونِ ۝ فَذَرْنُهُمْ فِي غَمَرَاتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ يُحْسِبُونَ أَنَّ مَا لَدَيْهِمْ

يعنى بنى اسرائيل كأنهم يعبدوننا خضوعاً ونذللاً أو لأنه كان يدعى الإلهية فادعى للناس العبادة وأن طاعتهم له عبادة على الحقيقة (موسى الكتاب) أى قوم مرسى التوراة (اعلمهم) يعملون بشرائدها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملتهم يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز أن يرجع الضمير فى لعلمهم إلى فرعون وملته لأن التوراة إنما أوتيت بنو اسرائيل بعد إغراق فرعون وملته ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما هلكنا القرون الأولى (فإن قلت) لو قيل آيتين هل كان يكفرن له وجه (قلت) نعم لأن مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله أتى إليها وقد تكلم فى المهد وكان يحيى الموتى مع معجزات أخر فكان آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير (وجعلنا ابن مريم) آية (وأمة) ثم حذف الأولى لدلالة الثانية عليها ۝ الربوة والرباوة فى رائهما الحركات وقربى ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهى الأرض المرتفعة قبل هى إيليا أرض بيت المقدس وأنها كبد الأرض وأقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن أبى هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فإنها الربوة التى ذكرها الله وقيل مصر ۝ والقرار المستقر من أرض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعنى أنه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها ۝ والمعين الماء الظاهر الجارى على وجه الأرض وقد اختلف فى زيادة ميمه وأصله فوجه من جعله مفعولاً أنه مدرك بالعين لظهوره من عانه إذا أدركه بعينه نحو ربه إذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعلاً أنه نفاع لظهوره وجريه من الماعرن وهو المنفعة ۝ هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل إنما أرسلوا متفرقين فى أزمنة مختلفة وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول فى زمانه نودى لذلك ووصى به ليعتقد السامع أن أمراً نودى له جميع الرسل ووصوا به تحقيقاً أن يؤخذ به ويعمل عليه ۝ والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذى لا يعصى الله فيه والصافى الذى لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل أو أريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه ويشهد له بحجته على عقب قوله وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز أن يقع هذا الإعلام عند إيواء عيسى ومريم إلى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أى آريناهما وقلنا لها هذا أى أعلنناهما أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلاماً رزقنا كما واعملاً صالحاً اقتداء بالرسل ۝ قرئ وإن بالكسر على الاستثاف وأن بمعنى ولأن وأن مخففة من الثقيلة و (أمتكم) مرفوعة معها وقرئ (زبراً) جمع زبور أى كتباً مختلفة يعنى جعلوا دينهم أدياناً وزبراً قطعاً استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبراً مخففة الباء كرسل فى رسل أى كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد أنه على الحق الغمرة الماء الذى يغمر القامة

۝ وقوله عز وجل ۝ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعمَلوا صالحاً (قال محمود هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل إنما أرسلوا متفرقين فى أزمنة مختلفة وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول فى زمانه نودى بذلك) قال أحمد هذه نفيحة اعتزالية فإن مذهب أهل السنة أن الله تعالى متكلم أمرناه ألا ولا يشترط فى تحقق الأمر وجود المخاطب فعلى هذا قوله كلوا من الطيبات واعمَلوا صالحاً على ظاهره وحقيقته عند أهل الحق وهو ثابت ألا على تقدير وجود المخاطبين فيما لا يزال متفرقين كما فى هذا الخطاب أو مجتمعين كما فى زعمه والمعتزلة لما أبت اعتقاد قدم الكلام زلت بهم القدم حتى حملوا هذه الآية وأمثالها على المجاز وخلاف الظاهر وما بال الزبحشرى خص هذه الآية بأنها على خلاف الظاهر ومعتقده بوجب حمل مثل قوله تعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وجميع الأوامر العامة فى الأئمة على خلاف الظاهر



بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝  
وَالَّذِينَ هُمْ بِبَيِّاتٍ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ  
أَتَتْهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ رَبَّهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ۝ وَلَا تَنْكَلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدِينَا  
كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ بَلْ قُلُوبُهُمْ نِي غَمْرَةٌ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ۝

فضربت مثلاً لما هم مغمورون فيه من جلهم وعمائتهم أو شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال  
كأنني ضارب في غمرة لعب وعن علي رضي الله عنه في غمراتهم (حتى حين) إلى أن يقتلوا أو يموتوا سلى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله  
سبحانه وتعالى ويجوز في يسارع ويسرع أن يتضمن ضمير الممتد به ويسارع مبنياً للمفعول والمعنى أن هذا الإمداد  
ليس إلا استدراجاً لهم إلى المعاصي واستجراً إلى زيادة الإثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع  
وإكرام ومعالجة بالثواب قبل وقته ويجوز أن يراد في جزاء الخيرات كما يفعل بأهل الخير من المسلمين و(بل) استدراك  
لقوله يحسبون يعني بل هم أشباه البهائم لافطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك أهو استدراج أم مسارعة  
في الخير (فإن قلت) أين الراجع من خبر أن إلى اسمها إذالم يستكن فيه ضميره (قلت) هو محذوف تقديره يسارع به  
ويسارع به ويسارع الله به كقوله إن ذلك لمن عزم الأمور أي إن ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس  
(يؤتون ما آتوا) يعطون ما أعطوا وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة يأتون ما أتوا أي يفعلون ما فعلوا وعنها  
أنها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي  
يصلى ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل منه (يسارعون في الخيرات) يحتمل معنيين أحدهما أن يراد يرغبون  
في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها والثاني أنهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الإكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن  
ثواب الآخرة وآتياه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين لأنهم إذا سارعوا بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها  
وهذا الوجه أحسن طباق الآية المتقدمة لأن فيه إثبات مانع عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون في الخيرات (لها سابقون)  
أي فاعلون سبق لأجلها أو سابقون الناس لأجلها أو إياها سابقون أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجالت لهم في الدنيا ويجوز  
أن يكون لها سابقون خبراً بعد خبر ومعنى وهم لها كعنى قوله ۝ أنت لها أحمد من بين البشر ۝ يعني أن هذا الذي وصف  
به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الأعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت  
لديه في كتاب يريد اللوح أو صحيفة الأعمال ناطق بالحق لا يقرؤون منه يوم القيامة إلا ما هو صدق وعدل لازيادة فيه  
ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد أو أراد إن الله لا يكلف إلا الوسع فإن لم يبلغ المكلف أن يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد أن  
يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم أحداً من حقه ولا نخطه دون درجته ۝  
بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها (من هذا) أي مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين (ولهم أعمال) متجاوزة منخطية  
لذلك أي لما وصف به المؤمنون (هم لها) معنادون وبها ضارون لا يفتطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب ۝ وحتى هذه هي التي  
يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر أو الجوع حيردعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال  
اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالفحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام  
المحترقة والفد والأولاد ۝ الجوار الصراخ باستغاثة قال ۝ جأ ساعات النيام لربه ۝ أي يقال لهم حينئذ (لا تجأروا)

(قوله والقد) في الصحاح القد بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذِاهُمْ يُجْتَرُونَ ۝ لَا تَجْتَرُوا أَيُّومَ إِنكُمْ مَنَّا لَا تُنصِرُونَ ۝ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ آعْقَابِكُمْ تَنكِبُونَ ۝ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمَرَآ تَهْجُرُونَ ۝ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّابِينَ ۝ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَآكَثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ۝ وَلَوْ آتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ

فإن الجوار غير نافع لكم (من لا تنصرون) لا تغاثون ولا تمنعون منا أو من جهتنا لا يلحقكم نصر ومغوثة قالوا الضمير في (به) للبيت العتيق أو للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لانا أهل الحرم والذي سوغ هذا الإضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وأنه لم تكن لهم مفخرة إلا أنهم ولانته والقائمون به ويجوز أن يرجع إلى آياتي إلا أنه ذكر لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكباراً ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته أو يحدث لكم استماعه استكباراً أو عتواً فأنتم مستكبرون بسببه أو تتعلق الباء بسامراً أي تسمرن بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرن وكانت عاقبة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحراً وشعراً وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يتهجرون والسامر نحو الحاضر في الإطلاق على الجمع وقرئ سمرأ وسمارأ وتهجرون ونهجرون من أهجرت في منطقته إذا أخش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر إذا هذى والهجر بالفتح الهذيان (القول) القرآن يقول أفلم يتدبروه ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل أ (جاءهم ما لم يأت آباهم) فلذلك أنكروه واستبدعوه كقوله: لتذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون. أوليخافوا عند تدبر آياته وأقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين أم جاءهم من الأمان ما لم يأت آباهم حين خافوا الله فأمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه وآباؤهم لإسماعيل وأعقابهم من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كما مسلمين ولا تسبوا قسا فإنه كان مسلماً ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا أسد بن خزيمه ولا تميم بن مر فإنيهم كانوا على الإسلام وما شككتهم فيه من شيء فلا تشكوا في أن تبعاً كان مسلماً وروى في أن ضبة كان مسلماً وكان على شرطة سليمان بن داود (أم لم يعرفوا) محمد أو صحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وأمانته وصدقه وشهامته وعقله وأسمائه بأنه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها أبو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفي برغائها منادياها الجنة الجنون وكانوا يعلمون أنه بريء منها وأنه أرجحهم عقلاً وأثقبهم ذهنًا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم وأهواءهم ولم يوافق ما نشؤوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من أتباع الباطل ولم يجدوا له مردًا ولا مدفعًا لأنه الحق الأبلج والصراط المستقيم فأخذوا إلى الهت وعولوا على الكذب من النسبة إلى الجون والسحر والشعر (فإن قلت) قوله (وأكثرهم) فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق (قلت) كان فيهم من يترك الإيمان به أنفة واستنكافاً من توبيخ قومه وأن يقولوا صبا وترك دين آباته لا كراهة للحق كما يحكى عن أبي طالب (فإن قلت) يزعم بعض الناس أن أبا طالب صح إسلامه

ه قوله تعالى بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون (قال فإن قلت أكثرهم يعطى أن أقلهم لا يكره الحق وكيف ذلك والكل كفرة قلت فيهم من أبا الإسلام حذرا من مخالفة آباته ومن أن يقال صبا كأبي طالب لا كراهة للحق) قال أحمد وأحسن من هذا أن يكون الضمير في قوله وأكثرهم على الجنس للناس كافة ولما ذكر هذه الطائفة من الجنس بنى الكلام في قوله وأكثرهم على الجنس بجملته كقوله إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وكقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ويدل على ذلك قوله تعالى بل جاءهم بالحق والنبي صلى الله عليه وسلم جاء الناس كلهم وبعث إلى الكافة ويحتمل أن يحمل الأكثر على الكل كما حمل القليل على النبي والله أعلم وأما قول الرنخشرى إن من تمادى على الكفر وآثر

بَلْ آتَيْنَاهُم بَذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ۝ أَمْ تَسْتَلْهُمْ خُرْجًا نَفْرَاجَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ۝  
وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ ۝ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ

(قلت) يا سبحان الله كأن أباطال كان أدخل أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر إسلام حمزة والعباس رضي الله عنهما ويغنى إسلام أبي طالب ۝ دل بهذا على عظم شأن الحق وأن السموات والأرض ما قامت ولا من فيهن إلا به فلو اتبع أهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام أو أراد أن الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو الإسلام لو اتبع أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة أن الحق هو الله ومعناه ولو كان الله إلهما يتبع أهواءهم وبأمر بالشرك والمعاصي لما كان إلهما ولكان شيطانا ولما قدر أن يمسك السموات والأرض (بذكرهم) أي بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو وصيتهم ونفهم أو بالذكر الذي كانوا يتمنون به ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ بذكرهم ۝ قرئ خراجا نخراج وخرجا نخرج وخرجا نخرج وهو ما تخرجه إلى الإمام من زكاة أرضك وإلى كل عامل من أجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك أداؤه والوجه أن الخرج أخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ خراجا نخراج ربك يعني أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير . قد أزمهم الحجية في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وهللهم بأن الذي أرسل إليهم رجل معروف أمره وحاله مخبور سره وعلته خليك بأن يجتبي مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وأنه لم يعرض له حتى يدعى بمثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما إلى النيل من دينهم واستعطاء أموالهم ولم يدعهم إلا إلى دين الإسلام الذي هو الصراط المستقيم مع إبراز الممكنون من أدوائهم وهو إخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعلمهم بأنه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكرهاتهم للحق وإعراضهم عما فيه حظهم من الذكر يحتمل أن هؤلاء وصفتهم أنهم لا يؤمنون بالآخرة (لنا كيون) أي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله إلى صراط مستقيم وأن كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب لما أسلم ثمامة بن أنال الخنفي ولحق بالثمامة ومنع الميرة من أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألسنت تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع والمعنى

البقاء عليه تقليدا لآبائه ليس كارها للحق فردود فإن من أحب شيئا كره ضده فإذا أحبوا البقاء على الكفر فقد كرهوا الانتقال عنه إلى الإيمان ضرورة والله أعلم ثم انجر الكلام إلى استبعاد إيمان أبي طالب وتحقيق القول فيه أنه مات على الكفر ووجه ذلك بأنه أشهر عمومة النبي صلى الله عليه وسلم فلو كان قد أسلم لاشتهر إسلامه كما اشتهر إسلام العباس وحمزة وأجدد لأنه أشهر وللقاتل بإسلامه أن يعتذر عن عدم شهرته بأنه إنما أسلم قبيل الاحتضار فلم يظهر له مواقف في الإسلام يشتهر بها كما ظهر لغيره من عمومته عليه الصلاة والسلام هذا والظاهر أنه لم يسلم وحسبك دليلا على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام سألت الله تعالى فيه وأنه بعد ذلك لني ضحاح من نار يغلي رأسه من قدميه فإن قيل لا يلزم من ذلك موته على الكفر لأن كثيرا من عصاة الموحدين يعذب بأكثر من ذلك قلنا من أثبت إسلامه ادعى أن ذلك كان قبيل الاحتضار فالإسلام جب ما قبله وتلك الدقيقة التي صار فيها من المسلمين لا تحتمل من المعاصي ما يوجب ذلك والله أعلم

(قوله وإنه لم يعرض له حتى يدعى) لعلمه بعرض له جنون حتى يدعى (قوله واستهتارهم بدين الآباء الضلال) في الصحاح فلان مستهتر بالشراب أي مولع به لا يبالي ما قبل فيه (قوله حتى أكلوا العلهز) في الصحاح العلهز بالسكر طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سنى المجاعة

وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّنْ ضُرٍّ لِّلْجَوَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ

لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي أصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وإفراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الإبلاس وهذا التماق بين يديه يسترحمونه واستشهد على ذلك بأنا أخذناهم أولاً بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسروهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أشد من الأسر والقتل وهو أظم العذاب فألبسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء أعتابهم وأشدتهم شكيمة في العناد يستعطفك أو يخنهم بكل محنة من القتل والجوع فما روى فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى إذا عذبوا بنار جهنم حينئذ يلبسون كقوله ويوم تقوم الساعة يلبس المجرمون لا يفترون عنهم وهم فيه ملبسون . والإبلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير (فإن قلت) ما وزن استكان (قلت) استفعل من السكون أى انتقل من كون إلى كون كما قيل استحال إذا انتقل من حال إلى حال ويجوز أن يكون افتعل من السكون أشبع فتحة عينه كما جاء بمنزاح (فإن قلت) هلا قيل وما تضرعوا أو فما يستكينون (قلت) لأن المعنى مخنهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء أن يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم

قوله تعالى فما استكانوا لربهم وما يتضرعون (قال استكان استفعل من السكون أى انتقل من كون إلى كون كما يقال استحال إذا انتقل من حال إلى حال) قال أحمد هذا التأويل أسلم وأحق من تأويل من اشتقه من السكون وجعله افتعل ثم أشبع الفتحة فتولدت الألف كتولدها في قوله ۝ ينباع من دفر غضوب جسة فإن هذا الإشباع ليس بفصيح وهو من ضرورات الشعر فينبغي أن ترفع منزلة القرآن عن ورود مثله فيه لكن نظير الزمخشري له باستحال وهم فإن استكان على تأويله أحد أقسام استفعل الذي معناه التحول كقولهم استحجر الطين واستنوق الجمل وأما استحال فثلاثيه حال حول إذا انتقل من حال إلى حال وإذا كان الثلاثي يفيد معنى التحول لم يبق لصيغة استفعل فيها أثر فليس استحال من استفعل للتحول ولكنه من استفعل بمعنى فعل وهو أحد أقسامه إذ لم يزد السداسي فيه على الثلاثي معنى والله أعلم ثم نعود إلى تأويله فنقول المعنى عليه فما انتقلوا من كون التكبر والتجبر والاعتياص إلى كون الخضوع والضراعة إلى الله تعالى ۝ ولقائل أن يقول استكان يفيد على التأويل المذكور الانتقال من كون إلى كون فليس حمله على أنه انتقال عن التكبر إلى الخضوع بأولى من العكس وترى هذه الصيغة لانفهم إلا أحد الانتقاليين فلو كانت مشتقة من مطلق السكون لكانت بحملة محتملة للانتقاليين جميعاً ۝ والجواب أن أصلها كذلك على الإطلاق ولكن غاب العرف على استعمالها في الانتقال الخاص كما غلب في غيرها والله أعلم وكان جدي أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير رحمه الله يذكر لي أنه لما دخل بغداد زمن الإمام الناصر رضى الله عنه أظهر من جملة كراماته له أن جمع له الوزير جميع علماء بغداد وعقد بهم محفلاً للمناظرة وكان يذكر لي أن مما انجر الكلام إليه حينئذ هذه الآية وأن أحدهم وكان يعرف بالأجل اللغوي خصه الوزير بالسؤال عنها فقال هو مشتق من قول العرب كنت لك إذا خضعت وهي لغة هذلية فاستحسن منه ذلك ۝ قال أحمد وقد وقفت عليها بعد ذلك في غريب أبي عبيد المروى وهو أحسن محامل الآية وأسلمها والله أعلم وعلى هذا يكون من استفعل بمعنى فعل كقولهم استقر واستعلى وحال واستحال على ما مر وقد قال لي بعضهم يوماً لم لا تجعله على هذا التأويل من استفعل المبني للمبالغة مثل استحسر واستعصم من حسر وعصم فقلت لا يسعني ذلك لأن المعنى ياباه وذلك أنها جاءت في النبي والمقصود منها ذم هؤلاء بالجفوة والقسوة وعدم الخضوع مع ما يوجب نهاية الضراعة من أخذهم بالعذاب فلو ذهبت إلى جعلها للمبالغة أفادت نقص المبالغة لأن نفي الأبلغ أدنى من نفي الأدنى وكأنهم على ذلك ذموا بنفي الخضوع الكثير وأنهم ما بلغوا في الضراعة نهايتها وليس الواقع فإنهم ما اتسموا بالضراعة ولا بلهظة منها فكيف تنفي عنهم النهاية الموهمة لحصول البداية والله أعلم

(قوله كما جاء بمنزاح) أى في قوله وأنت من القوائل حين ترمى ۝ وعن ذم الرجال بمنزاح

وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذْأَمْ فِيهِ مُبَلِّسُونَ ۚ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمْ  
الْسَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۚ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۚ وَهُوَ الَّذِي  
يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۚ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ۚ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا  
تُرَابًا وَعِظْمًا إِئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۚ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاءُ نَا هَذَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۚ قُلْ  
لِمَنَ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۚ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ  
وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۚ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۚ قُلْ مَن يَدِينُهُ مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ بِحَجْرٍ وَلَا يَجَارُ  
عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنى تُسْحَرُونَ ۚ بَلْ آتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۚ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ  
مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِّنْ إِلَهِ إِذَا لُذِّبَ كُلٌّ إِلَهُ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ۚ

باب العذاب الشديد وقرئ فتحننا إنما خصّ السمع والأبصار والأفئدة لأنه يتعلق بها من المنافع الدينية والدينية  
مما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها أن يعملوا أسماعهم وأبصارهم في آيات الله وأفعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم  
ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال تعالى فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفتدبهم من شيء إذ  
كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الإقرار بالمنعم بها وأن لا يجعل له ند ولا شريك أى تشكرون  
شكرًا قليلًا (وما) مزيدة لأن كيد بمعنى حقاً (ذراًكم) خلقكم وبثكم بالتناسل (وإليه) تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وله  
اختلاف الليل والنهار) أى هو مختص به وهو متولى ولا يقدر على تصرّفهما غيره وقرئ يعقلون بالياء عن أبى عمرو أى قال أهل مكة  
كما قال الكفار قبلهم ۚ الأساطير جمع أسطار جمع سطر قال رؤبة ۚ إني وأسطار سطور سطرأ ۚ  
وهى ما كتبه الأولون مما لا حقيقة له . وجمع أسطورة أوفق ۚ أى أجيونى عما استعملتكم منه إن كان عندكم فيه علم وفيه  
استهانة بهم وتجريز لفرط جهالتهم بالديانات أن يجهلوا مثل هذا الظاهر البين ۚ وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية  
ومعناه أفلات تذكرون فتعلموا أن من فطر الأرض ومن فيها اختراعاً كان قادراً على إعادة الخلق وكان حقيقة بأن لا يشرك به  
بعض خلقه فى الربوبية ۚ قرئ الأول باللام لاغير والآخران باللام وهو هكذا فى مصاحف أهل الحرمين والكوفة  
والشام وبغير اللام وهو هكذا فى مصاحف أهل البصرة وباللام على المعنى لأن قولك من ربه ولمن هو فى معنى واحد  
وبغير اللام على اللفظ ۚ ويجوز قراءة الأول بغير لام ولكنها لم تثبت فى الرواية (أفلات تقون) أفلات تخافونه فلا تشركوا به  
وتعصوا رسله ۚ أجزت فلان على فلان إذا أغتته منه ومنعته يعنى وهو يغيث من يشاء من يشاء ولا يغيث أحداً منه أحداً (تسحرون)  
تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى ۚ وقرئ أتيتهم وأتيتهم بالفتح والضم (بالحق) بأن نسبة  
الولد إليه محال والشرك باطل (وإنهم لكاذبون) حيث يدعون له ولداً ومعه شريكاً (لذهب كل إليه بما خلق) لا نفر دكل  
واحد من الآلهة بخلقه الذى خلقه واستبد به ولرأيتهم ملك كل واحد منهم متميزاً من ملك الآخرين ولغلب بعضهم بعضاً  
كما ترون حال ملوك الدنيا بمالكهم متميزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثراً لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا أنه إله واحد  
بيده ملكوت كل شيء (فإن قلت) إذا لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب لذهب جزاء وجواباً ولم

(قوله عما استعملتكم منه) لعله عنه (قوله وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية) يفيد أن القراءة المشهورة تذكرون بالتشديد

عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرَبِّبِي مَا يُوْعَدُونَ ۚ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ  
الظَّالِمِينَ ۚ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيكَ مَا نَعْدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ۚ أَدْفَعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۚ

يتقدمه شرط ولاسؤال سائل (قلت) الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وإنما حذف لدلالة قوله وما كان معه من إله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين (عما يصفون) من الأنداد والأولاد (عالم الغيب) بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدأ محذوف ما والنون مؤكدتان أي إن كان لا بد من أن تربني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة (فلا تجعلني) قريناهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن أخبره الله أن له في أمته نقمة ولم يخبره أي حياته أم بعد موته فأمره أن يدعو بهذا الدعاء (فإن قلت) كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب أن لا يجعله معهم (قلت) يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله وأن يستعذبه بما علم أنه لا يفعله لإظهارا للعبودية وتواضعا لربه وإخبارا له واستغفاره صلى الله عليه وسلم إذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وليتكم ولست بخيركم كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه ۚ وقرئ إما ترثهم بالهمز مكان تربني كما قرئ فإما ترثن رانروثن الجحيم وهي ضعيفة وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجوار كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقبل لهم إن الله قادر على إنجاز ما وعد إن تأملت فما وجه هذا الإنكار ۚ هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنة السيئة والمعنى الصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان حتى إذا اجتمع الصفح والإحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي أحسن وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي شهادة أن لا إله إلا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه إذا لقيه وعن الحسن الإغضاء والصفح وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل محكمة لأن المداراة محثوث عليها ما لم تؤد إلى تلم دين وإزراء بمروءة (بما يصفون) بما يذكرونه من أحوالك بخلاف صفتها أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله أعلم بذلك منك وأقدر على جزائهم ۚ الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض

قوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن السيئة (قال) فيه هذا أبلغ من أن يقال ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنة السيئة والمعنى الصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان حتى إذا اجتمع الصفح والإحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي أحسن (قال أحمد) ما ذكره تقريرا للفاضلة عبارة عن الاشتراك في أمر والتمييز بغيره ولا اشتراك بين الحسنه والسيئة فإنهما ضدان متقابلان فكيف تتحقق المفاضلة ۚ قلت المراد أن الحسنه من باب الحسنات أزيد من السيئة من باب السيئات فتجزم المفاضلة بما هو أعم من كون هذه حسنة وهذه سيئة وذلك شأن كل مفاضلة بين ضدتين كقولهم العسل أحلى من الخل يعنون أنه في الأصناف الحلوة أميز من الخل في الأصناف الحامضة وليس لأن بينهما اشتراكا خاصا ومن هذا القبيل ما يحكى عن أشعب الماجن أنه قال نشأت أنا والأعمش في حجر فلان فما زال يعلو وأسفل حتى استويانا بمعنى أنهما استويا في بلوغ كل منهما الغاية أشعب بلغ الغاية على السفلة والأعمش بلغ الغاية على العلية هذا تفسير كلامه عن نفسه ونعود إلى الآية فنقول هي تحتل وجهها آخر من التفضيل أقرب متاولا وهو أن تكون المفاضلة بين الحسنات التي ندفعها السيئة فإنها قد تدفع بالصفح والإغضاء ويقنع في دفعها بذلك وقد يزداد على الصفح الإكرام وقد تبلغ غايته ببذل الاستطاعة فهذه الأنواع من الدفع كلها دفع بحسنة ولكن أحسن هذه الحسنات في الدفع هي الأخيرة لاشتغالها على عدد من الحسنات فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأحسن الحسنات في دفع السيئة فعلى هذا تجرى المفاضلة على حقيقةهما من غير حاجة إلى تأويل والله أعلم فتأمل فإنه حسن جدا

(قوله وقرئ إما ترثهم بالهمز) في نسخة أخرى إما ترثني بالهمز كما قرئ الخ

وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۚ وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ

والمعنى أن الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويفترونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثاها على المشي ونحو الهمز الأزّي في قوله تعالى تؤزهم أوزاً أمر بالنعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل إلى ربه المسكتر لدائه وبالنعوذ من أن يحضروه أصلاً ويحوموا حوله وعن ابن عباس رضى الله عنهما عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزاع (حتى) بتعلق يصفون أى لا يزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيذ الإغضاء عنهم مستعنياً بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم ويفريه على الانتصار منهم أو على قوله وإنهم لكاذبون ۚ خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله ۚ فإن شئت حرمت النساء سواكم ۚ وقوله ۚ ألافارحموني يا الله محمد ۚ إذا أيقن بالموت واطلع على حقيقة الأمر أدركته الحسرة على ما فرط فيه من الإيمان والعمل الصالح فيه فسأل ربه الرجعة وقال (لعلى أعمل صالحاً) فى الإيمان الذى تركه والمعنى لعلى آتى بما تركته من الإيمان وأعمل فيه صالحاً كما تقول لعلى أبنى على أس تريد أسس أساً وأبى عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان بل قدوماً إلى الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون (كلا) ردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد ۚ والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهى قوله لعلى أعمل صالحاً فيما تركت (هو قائلها) للاحالة لا يخلها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلب الندم أو هو قائلها وحده لا يجاب إليها ولا تسمع منه (وهن ورائهم برزخ) والضمير للجماعة أى أمامهم حائل بينهم وبين الرجعة إلى يوم البعث وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث وإنما هو إقناط كلى لماعلم أنه لا رجعة يوم البعث إلا إلى الآخرة ۚ الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن أبي رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة ونفى الأنساب يحتمل أن التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابنين ولا يكون التواصل بينهم والتألف إلا بالأعمال فتلغوا الأنساب وتبطل وأنه لا يعتد بالأنساب لزوال التعاطف والتراحم بين الأقارب إذ يفتر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه وعن ابن مسعود ولا يتساءلون بإدغام التاء فى السين (فإن قلت) قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يستل حماحماً قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما (قلت) فيه جوابان أحدهما أن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة ففیه أزمته وأحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون فى بعضها وفى بعضها لا يفتنون لذلك لشدة الهول والفرع والثانى أن التناكر يكون عند النفخة الأولى فإذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا عن ابن عباس الموازين جمع موزون وهى الموزونات من الأعمال الصالحات التى لها

ۚ قوله تعالى ۚ فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ۚ (قال إن قلت قد ناقض هذا قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) قال أحمد يجب أن لا يسلك هذا المسلك فى إيراد الأسئلة عن فوائد الكتاب العزيز الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وسؤال الأدب أن يقال قصر فهمى عن الجمع بين هاتين الآيتين فما وجهه ولو سأل سائل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن شىء من كتاب الله تعالى بهذه الصيغة لأوجع ظهره بالدرة ۚ عاد كلامه إلى جواب السؤال (قال وجه الجمع بينهما أن يحمل ذلك على اختلاف موقف القيامة) قال أحمد وكثيراً ما يتهزأ الرخصى الفرصى فى إنكار الشفاعة ويشمر ذيله للرد على القائلين بها إذا انتهى إلى مثل قوله: ولا تنفعها شفاعة ۚ لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ۚ ويتغافل حينئذ عن طريق الجمع بين مآظهم نفي الشفاعة وبين مآظهم ثبوتها بحمل الأمر على اختلاف الأحوال فى القيامة والله الموفق

(قوله أو على قوله وإنهم لكاذبون) لعله عطف على المعنى فكأنه قال فيما مر حتى رقى على قوله يصفون فقال هنا أو على

قوله وإنهم لكاذبون





عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَاتُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ۝ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ۝ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ

خَيْرُ الرَّاحِمِينَ

لما نحن فيه من العذاب وما فينا أن نعدّها فسل من فيه أن يعد ومن يقدر أن ياتي اليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون أعمار العباد ويحسون أعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف أي الظلمة فإنهم يقولون كما نقول وقرئ العادين أي القدماء المعمرين فإنهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس أنسأهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفتين ۝ (عبثاً) حال أي عابثين كقوله لا عيبين أو مفعول له أي ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا إلى خلقكم إلا حكمة اقتضت ذلك وهي أن نتعبكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف إلى دار الجزاء فثيب المحسن ونعاقب المسيء (وأنتم إلينا لاترجعون) معطوف على أنما خلقناكم ويجوز أن يكون معطوفاً على عبثاً أي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء (الحق) الذي يحق له الملك لأن كل شيء منه وإليه أو الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه وصف العرش بالكرم لأن الرحمة تنزل منه والخير والبركة أول نسبته إلى أكرم الأكرمين كما يقال بيت كريم إذا كان ساكنوه كراماً وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد (لا برهان له به) كقوله ما لم ينزل به سلطاناً وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لأن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان ويجوز أن يكون اعتراضاً بين الشرط والجزاء كقوله من أحسن إلى زيد لا أحق بالإحسان منه فالله مثيبه وقرئ أنه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والأصل حسابه أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لأن من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه أنه لا يفلح في معنى حسابهم أنهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وأورد في خاتمتها أنه لا يفلح الكافرون فستان ما بين الفاتحة والخاتمة . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنون بشراً الملائكة بالروح والريحان وما تقربه عينه عند نزول ملك الموت وروى أن أول سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع آيات من آخرها فقد نجا وأفلح وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوى كدوى النحل فمكثنا فاستقبل القبلة ورفع يده وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا ثم قال لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر

قوله عز وجل ومن يدع مع الله آلهة أخرى لا برهان له به (قال فيه لا برهان له به إما صفة لازمة أو كلام معترض لأن في الصفة إفهاماً لأن إلهاسوى الله يمكن أن يكون به برهان) قال أحمد إن كان صفة فالمقصود بها التهم بمدعى إله مع الله كقوله بل أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً فنفي إنزال السلطان به وإن لم يكن في نفس الأمر سلطان لا منزل ولا غير منزل ومن جنس مجيء الجملة بعد النكرة وصرحها عن أن تكون صفة لها ما قدمه عند قوله تعالى فاجعل بيننا وبينك موعداً لا تخلفه نحن ولأنت حيث أعرب الزمخشري موعداً مصدرأ ناصباً لمكانأسوى واعترضه بأن المصدر المرصوف لا يعمل إلا على كره واعتذرت عنه بصرف الجملة عن أن تكون صفة وجعلها معترضة مؤكدة لمعنى الكلام والله أعلم

(قوله وقرئ ترجعون بفتح التاء) عبارة النسق بفتح التاء وكسر الجيم

## سورة النور مدنية

وآياتها ٦٤ نزلت بعد الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . الزَّانِيَةُ  
وَالزَّانِي فَاجْتَدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا جُلْدًا مِّائَةً وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

## (سورة النور مدنية)

وهي ثنتان وستون آية وقيل أربع وستون

(بسم الله الرحمن الرحيم) (سورة) خبر مبتدأ محذوف (أنزلناها) صفة أو هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف أي فيما أو حينما اليك سورة أنزلناها وقرئ بالنصب على زيد اضربه ولا محل لأنزلناها لأنها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه أو على دونك سورة أو اتل سورة وأنزلناها صفة ومعنى (فرضناها) فرضنا أحكامها التي فيها وأصل الفرض القطع أي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للبالغة في الإيجاب وتوكيده أو لأن فيها فرائض شتى وأنت تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم (تذكرون) بتشديد الذال وتخفيفها رفعها على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني أي جلدهما ويجوز أن يكون الخبر فاجلدوا وإنما دخلت القاء لكون الألف واللام بمعنى الذي وأضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكتفوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لأجل الأمر وقرئ والزاني بلاياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه ورأسه (فإن قلت) أهذا حكم جميع الزناة والزواني أم حكم بعضهم (قلت) بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فإن المحصن حكمه الرجم وشرائط الإحصان عند أبي حنيفة ست الإسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول إذا فقدت واحدة منها فلا إحصان وعند الشافعي الإسلام ليس بشرط لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وحجة أبي حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن (فإن قلت) اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لأن قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن (قلت) الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافين لجنسى العفيف والعفيفة دلالة مطلقا والجنسية قائما في الكل والبعض جميعا فأيهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل

## (القول في سورة النور)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة (ذكر) في الرفع وجهين أحدهما الابتداء والخبر محذوف وهو إعراب الخليل وسيبويه والتقدير وفيما فرض عليكم الزانية والزاني أي جلدهما . الثاني أن يكون الخبر فاجلدوا ودخلت القاء لكون الألف واللام بمعنى الذي وقد ضمن معنى الشرط (قال أحمد) وإنما عدل سيبويه إلى هذا الذي نقله عنه لوجهين لفظي ومعنوي أما اللفظي فلأن الكلام أمر وهو يخيل اختيار النصب ومع ذلك قراءة العامة فلو جعل فعل الأمر خبرا وبني المبتدأ عليه لكان خلاف المختار عند الفصحاء فالتجأ إلى تقدير الخبر حتى لا يكون المبتدأ مبنيا على الأمر فخاص من مخالفة الاختيار وقد مثلها سيبويه في كتابه بقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار الآية ووجه التمثيل أنه صدر الكلام بقوله مثل الجنة ولا يستقيم جزما أن يكون قوله فيها أنهار خبره فنعين تقدير خبره محذوفا وأصله فيما نقص عليكم مثل الجنة ثم لما كان هذا إجمالا لذكر المثل فصل المجمع بقوله فيها أنهار إلى آخرها فكذلك ههنا كأنه قال وفيما فرض عليكم شأن الزانية والزاني ثم فصل هذا المجمع بما ذكره من أحكام

وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ

بالاسم المشترك ۝ وقرئ ولا يأخذكم باليامورأفة بفتح الهمزة وورأفه على فعالة والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الحد والمناة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاعلمة بنت محمد لقطعت يدها وقرله ( إن كنتم تؤمنون بالله واليوم والآخر ) من باب النهي والهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا تترحموا عليهما حتى لا تعطلوا الحدود أو حتى لا نوجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال تنص من الحد سوطاً فيقول رحمة لعبادك فيقال له أنت أرحم بهم مني فيؤمر به إلى النار ويؤتى بن زاد سوطاً فيقول ليذتهوا عن معاصيك فيؤمر به إلى النار وعن أبي هريرة إقامة حد بأرض خبر لأهلها من مطر أربعين ليلة وعلى الإمام أن ينصب للحدود رجلا عالما بصيراً يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائماً على مجزده ليس عليه إلا إزاره ضرباً وسطاً لا مبرحا ولا هيباً مفترقا على الأعضاء كلها لا يستثنى منها إلا ثلاثة الوجه والرأس والفرج وفي لفظ الجلد إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتجاوز الألم إلى اللحم والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها إلا الحشو والعرو وبهذه الآية استشهد أبو حنيفة على أن الجلد حد غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي على وجوب التغريب من قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة أنهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند أصحابه بالآية أو محمول على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب وقول الشافعي في تغريب الحز واحد وله في العبد ثلاثة أقويل يغرب سنة كالحز ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال أبو حنيفة وبهذه الآية نسخ الحبس والأذى في قوله تعالى فأمسكوهن في البيوت وقوله تعالى فأذوهما ۝ قيل تسميته عذاباً دليل على أنه عقوبة ويجوز أن يسمى عذاباً لأنه يمنع من المعاودة كما سمي نكالا ۝ الطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبية كأنها الجماعة الحافة حول الشيء وعن ابن عباس في تفسيرها أربعة إلى أربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لأن الأربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح أن هذه الكبيرة من أمهات الكبائر ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما وقال ولا تقربوا الزنا لأنه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يامعشر الناس اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما اللاتي في الآخرة فيوجب للسخطه وسره الحساب والخلود في النار ولذلك وفي الله فيه عقم المائة بكامله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتل الهولة وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه وأمر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب أن تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثان ليسوا بتلك المثابة واختصاصه المؤمنين لأن ذلك أفضح والفاسق بين صلحاء قومه أخجل ويشهد له قول ابن عباس رضى الله عنهما إلى أربعين رجلا من المصدقين بالله ۝ الفاسق الخبيث الذي من

الجلد ويناسب هذا ترجمة الفقهاء في كتبهم حيث يقرنون مثل الصلاة الزكاة السرفة ثم يذكرون في كل باب أحكامه يريدون مما يصنف فيه ويوب عليه الصلاة وكذلك غيرها فهذا بيان المقتضى عند سيديويه لاختيار حذف الخبر من حيث الصناعة اللغوية وأما من حيث المعنى فهو أن المعنى أتم وأكمل على حذف الخبر لأنه يكون قد ذكر حكم الزانية والزاني مجمل حيث قال الزانية والزاني أراد وفيما فرض عليكم حكم الزانية والزاني فلما تشرف السامع إلى تفصيل هذا الجمل ذكر حكمهما مفصلا فهو أوقع في النفس من ذكره أول وهلة والله أعلم

( قوله قائما على مجزده ليس عليه إلا إزاره ) في الصحاح فلان حسن المجزذ أي المعزى اه أي المكشوف عن الثياب ( قوله وبهذه الآية نسخ الحبس الأذى ) لعله والأذى كما في عبارة النسفي

أَوْ شَرِكٍ وَحَرَمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالَّذِينَ يُرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً

شأنه الزنا والتجب لا يرغب في نكاح الصوايح من النساء واللاتي على خلاف صفته وإنما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله أو في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وإنما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه محذور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وأنواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله وانكحوا الايامي منكم والصلحاحين من عبادكم وإمائكم وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها أن الرجل إذا زنى بامرأة ليس له أن يتزوجها لهذه الآية وإذا باشرها كان زانياً وقد أجازته ابن عباس رضي الله عنهما وشبهه بمن سرق ثم شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مثل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لأمرين أحدهما أن هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم ترد إلا في معنى العقد والثاني فساد المعنى وأداؤه إلى قولك الزاني لا يزني إلا بزانية والزانية لا يزني بها إلا زان وقيل كان نكاح الزانية محرماً في أول الإسلام ثم نسخ والناسخ قوله : وأنكحوا الايامي منكم . وقيل الإجماع وروى ذلك عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه (فإن قلت) أي فرق بين معنى الجملة الأولى ومعنى الثانية (قلت) معنى الأولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للأعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان (فإن قلت) كيف قدمت الزانية على الزاني أولاً ثم قدم عليها ثانياً (قلت) سيقت تلك الآية لعقوبتهما

قوله تعالى الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك (قال إن قلت أي فرق بين الجملتين في المعنى قلت معنى الأولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للأعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان) قال أحدوا ليس فيما ذكره إيضاح إطباق الجملتين ونحن نوضحه فنقول الأقسام أربعة : الزاني لا يرغب إلا في زانية . الزانية لا ترغب إلا في زان . العفيف لا يرغب إلا في عفيفة . العفيفة لا ترغب إلا في عفيف . وهذه الأقسام الأربعة مختلفة المعاني وحاصرة للقسمتين فنقول اختصرت الآية من هذه الأربعة قسمين واقتصر على قسمين أخرى من المسكوت عنهما فجاءت مختصرة جامعة فالقسم الأول صريح في القسم الأول ويفهم الثالث والقسم الثاني صريح في القسم الثاني ويفهم الرابع والقسم الثالث والرابع متلازمان من حيث أن المقتضى لا يخصص رغبة العفيف في العفيفة هو اجتماعهما في الصفة وذلك بعينه مقتضى لا يخصص رغبته في غير ثم يقصر التعبير عن وصف الزناة والأعفاء بما لا يقل عن ذكر الزناة وجوداً وسلباً فإن معنى الأول الزانية لا ينكحها عفيف ومعنى الثاني العفيفة لا ينكحها زان والسر في ذلك أن الكلام في أحكامهم فذكر الأعفاء بسلب نقائصهم حتى لا يخرج بالكلام عما هو المقصود منه ثم بينه في إسناد النكاح في هذين القسمين للذكور دون الإناث بخلاف قوله الزانية والزاني فإنه جعل لكل واحد منهما ثم استقلالاً وقدم الزانية على الزاني والسبب فيه أن الكلام الأول في حكم الزنا والأصل فيه المرأة لما يبدو منها من الإيماض والاطماع والكلام الثاني في نكاح الزناة إذا وقع ذلك على الصحة والأصل في النكاح الذكور وهم المبتدئون بالخطبة فلم يسند إليهم لهذا وإن كان الغرض من الآية تنفير الأعفاء من الذكور والإناث من مناعة الزناة ذكوراً وإناثاً جرأهم عن الفاحشة ولذلك قرن الزنا والشرك ومن ثم كره مالك رحمه الله مناعة المشهورين بالفاحشة وقد نقل بعض أصحابه الإجماع في المذهب على أن للمرأة أول من قام من أوليائها فسخ نكاح الفاسق ومالك أبعده الناس من اعتبار الكفاءة إلا في الدين وأما في النسب فقد بلغه أنهم فرقوا بين عربية ومولى فاستعظمه وتلاه يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم .

وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

على ماجنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجنابة لأنها لو لم تطمع الرجل ولم توهمض له ولم تمسكه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا وأولا في ذلك بدئ بذكرها وأما الثانية فسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لأنه هو الراغب والخطاب ومنه يبدأ الطلب وعن عمرو بن عبيد رضى الله عنه لا ينكح بالجزم على النهى والمرفوع فيه أيضا معنى النهى ولكن أبلغ وآكد كما أن رحمك الله ويرحمك أبلغ من ليرحمك ويجوز أن يكون خيرا محضاً على معنى أن عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها ۝ وقرئ وحرم بفتح الحاء ۝ القذف يكون بالزنا وبغيره والذي دل على أن المراد قذفن بالزنا شيان : أحدهما : ذكر المحصنات عقيب الزواني ، والثاني اشتراط أربعة شهداء لأن القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان والقذف بالزنا أن يقول الحز العاقل البالغ لمحصنة يازانية أو لمحصن يازانى يابن الزانى يابن الزانية يا ولد الزنا لست لأبيك لست لرشدة والقذف بغير الزنا أن يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودى يا مجوسى يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر أمه فعليه التعزير ولا يبلغ به أدنى حد العيب وهو أربعون بل ينقص منه وقال أبو يوسف يجوز أن يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام أن يعزر إلى المائة وشروط إحصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والإسلام والعفة ۝ وقرئ بأربعة شهداء بالتوين وشهداء صفة (فإن قلت) كيف يشهدون مجتمعين أو متفرقين (قلت) الواجب عند أبي حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم أن يحضروا في مجلس واحد وإن جاؤا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعى رضى الله عنه يجوز أن يحضروا متفرقين (فإن قلت) هل يجوز أن يكون زوج المقدوفة واحداً منهم (قلت) يجوز عند أبي حنيفة خلافاً للشافعى (فإن قلت) كيف يجلد القاذف (قلت) كما جلد الزانى إلا أنه لا ينزع عنه من ثيابه إلا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو والقاذفة أيضاً كالزانية وأشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لأن سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب إلا أنه عوقب بصيانة للأعراض وردعا عن هتكها (فإن قلت) فإذا لم يكن المقدوف محصنا (قلت) يعزر القاذف ولا يجتد إلا أن يكون المقدوف معروفاً بما قذف به فلا حد ولا تعزير ۝ رد شهادة القاذف معلق عند أبي حنيفة رضى الله عنه باستيفاء الحد فإذا شهد قبل الحد أو قبل تمام استيفائه قبلت شهادته فإذا استوفى لم تقبل شهادته أبداً وإن تاب وكان من الأبرار الأتقياء وعند الشافعى رضى الله عنه يتعلق رد شهادته بنفس القذف فإذا تاب عن القذف بأن رجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما تمسك بالآية فأبو حنيفة رضى الله عنه جعل جزاء الشرط الذى هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التأييد فكانوا مردودى الشهادة عنده فى أبدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله (وأولئك هم الفاسقون) كلاماً مستأنفاً غير داخل فى حيز جزاء الشرط كأنه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية و(إلا الذين تابوا) استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله (فإن الله غفور رحيم) والشافعى رضى الله عنه جعل جزاء الشرط الجملتين أيضاً غير أنه صرف الأبد إلى مدة كونه قاذفاً وهى تنتهى بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقاً بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده أن يكون مجروراً بدلا من هم فى لهم وحقه عند أبي حنيفة رضى الله عنه أن يكون منصوباً لأنه عن موجب والذى يقتضيه ظاهر الآية ونظمها أن تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط كأنه قبل ومن قذف المحصنات فاجلدوهن وردوا شهادتهن وفسقوهن أى فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق إلا الذين تابوا عن القذف وأصلحوا فإن الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين (فإن قلت) الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند أبي حنيفة رضى الله عنه كأن القذف مع الكفر أهون من القذف مع الإسلام (قلت) المسلمين لا يعبون بسب الكفار لأنهم شهروا بعداوتهم والظعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقدوف بقذف الكافر من

(قوله وقرئ وحرم بفتح الحاء القذف يكون) لعله بفتح الحاء والراء

رَحِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدُوا بِأَنفُسِهِمْ ۖ وَهُمْ يَكْتُمُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۚ

الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن إلحاق الشنار (فإن قلت) هل للمقذوف أو للإمام أن يعفو عن حد القاذف (قلت) لهما ذلك قبل أن يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب إلى أن لا يرفع القاذف ولا يطالبه بالحد ويحسن من الإمام أن يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له أعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد فإذا ثبت لم يكن لواحد منهما أن يعفو لأنه خالص حق الله ولهذا لم يصح أن يصالح عنه بمال (فإن قلت) هل يورث الحد (قلت) عند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يورث لقوله صلى الله عليه وسلم الحد لا يورث وعند الشافعي رضي الله عنه يورث وإذا تاب القاذف قبل أن يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت رضي الله عنه حين تاب مما قال في عائشة رضي الله عنها ۝ قاذف امرأته إذا كان مسلما حرا بالغيا عاقلا غير محدود في القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما إذا قذفها بصرح الزنا وهو أن يقول لها يا زانية أوزيت أورأيتك تزنين وإذا كان الزوج عبدا أو محدودا في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الأجنبية ومالم ترافعه إلى الإمام لم يجب اللعان واللعان أن يبدأ الرجل فيشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا وتقول المرأة أربع مرات أشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما رمانى به من الزنا ثم تقول في الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين فيما رمانى به من الزنا وعند الشافعي رضي الله عنه يقام الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهدو يأمر الإمام من يضع يده على فيه ويقول له إني أخاف إن لم تكن صادقا أن تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وبيت المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم وإذا لم يكن له دين فقي مساجدنا إلا في المسجد الحرام لقوله تعالى إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما ولا تقع الفرقة بينهما إلا بتفريقه عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم إلا عند زفر فإن الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة أصلا وعند الشافعي رضي الله عنه تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند أبي حنيفة ومحمد رضي الله عنهما ولا يتأبد حكمها فإذا أ كذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز أن يتر وجهها وعند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رضي الله عنهم هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما أن يجتمعا بعد ذلك بوجه وروى أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدى الأنصاري رضي الله عنه فقال جعلني الله فداك إن وجد رجل مع امرأته رجلا فأخبر جلد ثمانين وردت شهادته أبداً وفسق وإن ضربه بالسيف قتل وإن سكت سكت على غيظ وإلى أن يجيء بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على بطن امرأتى خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحما فقال هذا والله سؤالي ما أسرع ما ابتليت به فرجعا فأخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فقالت لأدرى الغيرة أدركته أم بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال

(قوله من الشين والشنار ما يلحقه بقذف) في الصحاح الشنار العيب والعار (قوله فقام ابن عدى الأنصاري رضي الله عنه) لعنه عاصم بن عدى وفي الخازن سبب نزول هذه الآية ما روى عن سهل بن سعد الساعدي أن عويمر العجلاني جاء إلى عاصم بن عدى فقال لعاصم أرأيت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقته فقتلونه أم كيف يفعل سل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه أيضا عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البينة أو حد في ظهرك فقال يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة أو حد في ظهرك فنزل جبريل بقوله تعالى والذين يرمون أزواجهم الآية

الْصَّادِقِينَ ۝ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعَنَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعٌ شَهِدَتْ  
بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ  
وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ  
مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ

هلال لقد رأيت على بطنها فنزلت ولا عن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها أن لعنة الله عليه  
إن غضب الله عليها أمين وقال القوم أمين وقال لها إن كنت ألمت بذنب فاعترفي به فالرجم أهون عليك من غضب  
الله إن غضبه هو النار وقال تحينوا بها الولادة فإن جاءت به أصيب أئيبج يضرب إلى السواد فهو لشريك وإن جاءت  
به أورك جعدا جماليا خدج الساقين فغير الذي رميت به قال ابن عباس رضى الله عنهما لجأت بأشبه خلق الله  
لشريك فقال صلى الله عليه وسلم لولا الأيمان لكان لى ولها شأن ۝ وقرئى ولم تكن الناء لأن الشهداء جماعة أو لأنهم  
فى معنى الأنفس التى هى بدل ووجه من قرأ أربع أن ينتصب لأنه فى حكم المصدر والعامل فى المصدر الذى هو شهادة  
أحدهم وهى مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع شهادات بالله وقرئى أن لعنة الله وأن غضب الله  
على تخفيف أن ورفع ما بعدها وقرئى أن غضب الله على فعل الغضب وقرئى بنصب الخماسين على معنى وتشهد الخامسة  
(فإن قلت) لم خصت الملاعة بأن تخمس بغضب الله (قلت) تغليظاً عليها لأنها هى أصل الفجور ومتبعه بخلافتها وإطاعتها  
ولذلك كانت مقدمة فى آية الجلد ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم لحولة فالرجم أهون عليك من غضب الله ۝ الفضل  
الفضل وجواب لولا متروك وتركه دال على أمر عظيم لا يكتفه ورب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به ۝ الإفك أبلغ  
ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الأفك وهو القلب لأنه قول مأفوك  
عن وجهه والمراد مأفك به على عائشة رضى الله عنها ۝ والعصبة الجماعة من العشرة إلى الأربعين وكذلك العصبة  
واعصوبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن أبى رأس النفاق وزيد بن رفاعه وحسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحمزة بن  
جعش ومن ساعدهم ۝ وقرئى كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذى تولاه عبد الله لإمعانه فى عداوة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وانتازه الفرص وطلبه سبيلا إلى الغميرة ۝ أى يصيب كل خائض فى حديث الإفك من تلك  
العصبة نصيبه من الإثم على مقدار خوضه ۝ والعذاب العظيم لعباد الله لأن معظم الشركان منه يحكى أن صفوان رضى  
الله عنه مز بهودجها عليه وهو فى ملا من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة رضى الله عنها فقال والله ما نجت منه ولا  
نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها ۝ والخطاب فى قوله (هو خير لكم) لمن ساءه  
ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعائشة وصفوان بن المعطل رضى الله عنهم ومعنى  
كونه خيراً لهم أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لأنه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل  
واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآسليه له وتنزيهه لأمة المؤمنين رضوان الله

(قوله فإن جاءت به أصيب أئيبج) فى الصحاح الصهبة الشقرة فى شعر الرأس والرجل أصهب وفيه يئيبج كل شىء وسطه والأئيبج  
العريض الشبج ويقال الناقى الشبج اه وما فى الحديث تصغيرها وفيه أيضاً الخدجة بتشديد اللام المرأة الممتثة الذراعين  
والساقين (قوله وقرئى بنصب الخماسين على معنى) فى النسفى أنه لاخلاف فى رفع الخامسة الأولى على المشهور  
(قوله ومنبعه بخلافتها) فى الصحاح الخلافة الخديعة باللسان (قوله بالضم والكسر وهو عظمه) فى الصحاح  
عظم الشىء أكثره ومعظمه

بأنفسهم خيرا وقالوا هَذَا إِفْكٌ مَّبِينٌ ۚ لَوْلَا جَاءَ شُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ قَالُوا لَيْتَكُمُ  
عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ  
عَذَابٌ عَظِيمٌ ۚ إِذْ تَلَقَوْنَهُ بِالسُّنْتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ۚ

عليها وتطهير لأهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تمجده أذناه وعدة الطاف للسامعين والتأنيذ إلى يوم القيامة وفوائد دينية وأحكام وآداب لا تخفى على متأملها (بأنفسهم) أي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا أنفسكم وذلك نحو ما يروى أن أبا أيوب الأنصاري قال لأم أيوب ألا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بجرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوا قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة رضی الله عنها ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان خير منك (فإن قلت) ملا قيل لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيرا أو قلتم ولم عدل عن الخطاب إلى الغيبة وعن الضمير إلى الظاهر (قلت) ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلنظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتضى أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عاب ولا طاعن وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قاله في أخيه أن يبنى الأمر فيها على الظن لا على الشك وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير (هذا إفك مبين) هكذا بلفظ المصريح ببرامة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الأدب الحسن الذي قن القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه بأخوات ۚ جعل الله التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الأربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة رضی الله عنها لم تكن لهم بيعة على قولهم فقامت عليهم الحججة وكانوا (عند الله) أي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفك فلم يجتدوا في دفعه وإنكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب العاذب بغير بيعة والتنكيل به إذا ذف امرأة محمّدة من عرض نساء المسلمين فكيف بأئم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبة حبيب الله ۚ لولا الأولى للنجس وهذه لا متناع الشيء لوجود غيره والمعنى ولولا أنني قضيت أن أفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملة الإمهال للنوبة وأن أرحم عليكم في الآخرة بالعمفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الإفك ۚ يقال أفاض في الحديث وان دفع وهضب وخاض (إذ) ظرف لمسكم أو لأفضتم (تلقونه) يأخذه بعضهم من بعض يقال اتقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات ۚ وقرئ على الأصل تلقونه وإذ تلقونه بإدغام الذال في الناء وتلقونه من لقيه بمعنى لقمه وتلقونه

ۚ قوله تعالى لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا (قال معناه ظنرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم) قال أحمد والسر في هذا التعبير تعطيف المؤمن على أخيه وتوبيخه على أن يذكره بسوء وتصوير ذلك بصورة من أخذ يقذف نفسه ويرميها بما ليس فيها من الفاحشة ولا شيء أشنع من ذلك والله أعلم ۚ عاد كلامه (قال ونقل أن أبا أيوب الأنصاري قال لامرأته ألا ترين مقالة الناس قالت له لو كنت بدل صفوان أكنت تخون في حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنته وصفوان خير منك وعائشة خير مني) قال أحمد وأحمد ألهمت بنور الإيمان إلى هذا السر الذي انطوى عليه التعبير عن الغير من المؤمنين بالنفس فإنها نزلت زوجها منزلة صفوان ونفسها منزلة عائشة ثم أثبتت لنفسها ولزوجها البراءة والأمانة حتى أثبتتها لصفوان وعائشة بطريق الأولى رضی الله عنها ويحتمل والله أعلم خلاف ما قاله الزمخشري وهو أن يكون التعبير بالإنفس حقيقة والمقصود إلزام سيء الظن بنفسه لأنه لم يعتد بوازع الإيمان في حق غيره وألغاه واء به في حق نفسه وادعى لها البراءة قبل معرفته بحكم الهوى لا بحكم الهدى والله أعلم

(قوله وإذ تلقونه بإدغام الذال) لعل رسمه هكذا وانلقونه إلا أن يعتبر ما قبل الإدغام



ولو لا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ۝ يعظكم الله أن تعودوا  
لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين ۝ ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ۝ إن الذين يحبون أن تشيع الفحشة

من إلقائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولقى والأتقى وهو الكذب وتلقونه بحكمة عن عائشة رضي الله عنها عن  
سفيان سمعت أمي تقرأ إذ تلقفونه وكان أبوها يقرأ بحرف تبدل الله بن مسعود رضي الله عنه (فإن قلت) ما معنى قوله (بأفواهكم)  
والقول لا يكون إلا بالفم (قلت) معناه أن الشيء المعلوم يكون وعلمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الإفك ليس إلا قولاً  
يجرى على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ۝ أي  
تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل له فقال أخاف ذنباً لم يكن مني على بال وهو  
عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقوان لشيء من سيئاتك حقير فاعله عند الله نخلة وهو عندك نقيرو وصفهم بارتكاب ثلاثة  
آثام وعلق مس العذاب العظيم بها أحدها تاتى الإفك ألسنتهم وذلك أن الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه  
بحديث الإفك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه والثاني التكلم بما لا علم لهم ۝ والثالث استصغارهم لذلك وهو  
عظيمة من العظام (فإن قلت) كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم (قلت) للظروف شأن وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها  
لوقوعها فيها وإنما لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها (فإن قلت) فأى فائدة في تقديم الظرف حتى أوقع فاصلاً  
(قلت) الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب  
التقديم (فإن قلت) فما معنى يكون والكلام بدونه متائب لو قيل مالنا أن نتكلم بهذا (قلت) معناه معنى ينبغي ويصح  
أي ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحرمه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق و(سبحانك) للتعجب من عظم  
الامر (فإن قلت) ما معنى التعجب في كلمة التسييح (قلت) الأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر  
حتى استعمل في كل متعجب منه أول تنزيهه الله تعالى من أن تكون حرمة نبيه عليه السلام فاجرة (فإن قلت) كيف جاز أن  
تكون امرأة النبي كافرة كما رآه نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة (قلت) لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم  
ويستعطفهم فيجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم ولم يكن الكفار عدوهم مما ينفروا وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات ۝  
أي كراهة (أن تعودوا) أو في أن تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه ۝ وأبدم ماداموا أحياء مكلفين  
(وإن كنتم مؤمنين) فيه تهييج لهم ليتعظروا ونذ كبير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالإيمان الصاد عن كل مقبح

قوله تعالى « وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم » (قال إن قلت القول لا يكون إلا بالأفواه فما فائدة ذكرها قلت  
المراد أن هذا القول لم يكن عبارة عن علم قام بالقلب وإنما مجرد قول اللسان) قال أحمد ويحتمل أن يكون المراد المبالغة  
أو تعريضاً بأنه ربما يتمشدد ويقضى تمشدد جازم عالم وهذا أشد وأقطع وهو السر الذي أنبأ عنه قوله تعالى قد بدت البغضاء  
من أفواههم والله أعلم ۝ قوله تعالى سبحانك هذا بهتان عظيم (قال) معناه التعجب من عظيم الأمر وأصله أن الإنسان  
إذا رأى عجيباً من صنائع الله تعالى سبحه ثم كثر حتى استعمل عند كل متعجب منه ۝ ثم أوردها هنا سؤالاً على توبيخهم على ترك  
التعجب فقال إن قلت لم جاز أن تكون زوجة النبي كافرة كما رآه نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة ولم يكن كفرها  
متعجباً منه ونحوها متعجب منه قلت لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويتزلفوا إليهم وكفر الزوجة غير مانع  
ولا منفر بخلاف الكشخنة (قال أحمد) وما أورد عليه أبرد من هذا السؤال كأن أحداً يشكك عليه أن ينسب الفاحشة  
إلى مثل عائشة مما ينكره كل عاقل ويتعجب منه كل لبيب والله الموفق

(قوله سمعت أمي تقرأ إذ تلقفونه) وفي نسخة تلقفونه بمعنى تدبونه وكلا النسختين قراءة (قوله وهو عند الله كبيرة موجبة) لعله  
موجبة للعقاب (قوله والكلام بدون ملتب) لعله محرف وأصله مستتب وفي الصحاح استتب الأمر تهباً واستقام  
(قوله وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات) كأنها الديانة

فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ  
وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ يَسْأَلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ  
يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ  
يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ  
الْمُحْسِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تُشْهِدُهُمْ أَسْمُهُمْ

ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ  
الشافية والله عالم بكل شيء فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة ۝ المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد إلى الإشاعة وإرادة  
ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن أبي وحسانا ومسطحا وقعدصفوان  
لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذي تولى كبره منهم (والله يعلم) ما في القلوب من  
الأمرار والضماير (وأتم لا تعلمون) يعني أنه قد علم محبة من أحب الإشاعة وهو معاقبه عليها ۝ وكثر المنة بترك المعالجة  
بالعقاب حاذقا جواب لولا كما حذفه ثمة وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في التواب والرؤف  
والرحيم ۝ الفحشاء والفاحشة ما فرط قبحه قال أبو ذؤيب ۝ ضرائر حرمي تفاحش غارها ۝ أي أفرطت غيرتها والمنكر  
ما تنكره النفوس فتفر عنه ولا ترتضيه ۝ وقرئ خطوط بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله تعالى ولولا  
أن الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصنة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفك ولكن الله يطهر التائبين  
بقبول توبتهم إذا محضوها وهو (سميع) لقولهم (عليم) بضمائرهم وإخلاصهم وهو من اتلى إذا حلف افتعال من الآلية  
وقيل من قولهم ما ألوت جهدا إذا لم تدخر منه شيئا ويشهد الأول قراءة الحسن ولا يتأل والمعنى لا يحلفوا على أن لا يحسنوا  
إلى المستحقين للإحسان أولا يقصروا في أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شخناء لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم  
بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت في شأن مسطح وكان  
ابن خالة أبي بكر الصديق رضى الله عنهما وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان أبو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط  
آلى أن لا ينفق عليه وكفى به داعيا إلى الجمالة وترك الاشتغال بالمكافأة للسيء ويروى أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قرأها على أبي بكر فقال بلى أحب أن يغفر الله لى ورجع إلى مسطح نفقته وقال والله لا أنزعها أبدا وقرأ أبو حنيفة  
وابن قطيب أن توتوا بالناء على الالتفات ويعضده قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم (الغافلات) السليمات الصدور  
النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور ولم يرزن الأحوال فلا يفتن لما تفتن له  
المجربات العرافات قال ولقد لوت بطفلة ميالة ۝ بلهاء تطلعت على أسرارها

وكذلك البله من الرجال في قوله عليه الصلاة والسلام أكثر أهل الجنة البله ۝ وقرئ يشهد بالياء والحق بالنصب صفة  
للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن كله وقتشت عما أوعده به العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء  
تغليظه في إفك عائشة رضوان عليها ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر  
العنيف واستعظام ماركب من ذلك واستفظاع ما أودم عليه ما أنزل فيه عن طرق مختلفة وأساليب مفتنة كل واحد منها كاف  
في بابه ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكنى بها حيث جعل القدفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في

وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّقُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ۝  
الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ

الآخرة وبأن السننهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم مما أفكروا وشتموا وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله حتى يعلموا عند ذلك (أن الله هو الحق المبين) فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجل وأكد وكثر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك إلا لأمر وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسأل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة وهذه منه مبالغة وتعظيم لأمر الإفك ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف بلسان الشاهد وشهد شاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بإنطاق لها حين نادى من حجرها إنى عبد الله وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المنلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بيننا وبين تيرته أولئك وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنبيه على إنافة محل سيد ولد آدم وخيرة الأولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه صلى الله عليه وسلم وتقدم قدمه وإحرازه لقصبة السبق دون كل سابق فليشتق ذلك من آيات الإفك وليتأمل كيف غضب الله له في حرمة وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابها (فإن قلت) إن كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد بالمحصنات أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يخصصن بأن من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به وإذا أردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت المرادة أولوالثاني أنها أم المؤمنين لجمعت إرادة لها ولبناتها من نساء الأئمة الموصوفات بالإحسان والغفلة والإيمان كما قال قدي من نصر الخبيثين قدي ۝ أراد عبد الله بن الزبير وأتباعه وكان أعدوه يكنونه بخبيث ابنه وكان مضعوقا وكنيته المشهورة أبو بكر إلا أن هذا في الاسم وذاك في الصفة (فإن قلت) ما معنى قوله هو الحق المبين (قلت) معناه ذو الحق البين أي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده إساءة مسيء ولا إحسان محسن فحق مثله أن يتقى ويجتنب محارمه ۝ أي (الخبيثات) من القول تقال أو تعد (للخبيثين) من الرجال والنساء (والخبيثون) منهم يتعرضون (للخبيثات) من القول وكذلك الطيبات والطيبون (وأولئك) إشارة إلى الطيبين وإنهم مبرؤون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز أن يكون أولئك إشارة إلى أهل البيت وأنهم مبرؤون مما يقول أهل الإفك وأن يراد بالخبيثات والطيبات النساء أي الخبيثات

۝ قوله تعالى «إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات» الآية (قال إن كانت عائشة هي المرادة فلم جمع قلت المراد إنا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكون هذا الوعيد لاحقا بقاذفهن وإنا عائشة وجمعت إرادة لها ولبناتها كما قال : قدي من نصر الخبيثين قدي ۝ يعني عبد الله بن الزبير وأتباعه وكان يكنى أبا خبيث) قال أحمد والأظهر أن المراد عموم المحصنات والمقصود بذلك كرهن على العموم وعيد من وقع في عائشة على أبلغ الوجوه لأنه إذا كان هذا وعيد قاذف آحاد المؤمنات فما الظن بوعيد من قذف سيدتهن وزوج سيد البشر صلى الله عليه وسلم على أن تعمم الوعيد أبلغ وأقطع من تخصيصه وهذا معنى قول زليخا ماجزاء من أراد بأهلك سوء إلا أن يسجن أو عذاب أليم فعممت وأرادت يوسف تهويلا عليه وإرجافا والمعصوم من عصمه الله تعالى ۝ قوله تعالى «الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات» الآية (قال) تحتل الآية أمرين أحدهما أن يكون المراد الكلمات الخبيثة للخبيثين والمراد الإفك ومن أفاض فيه وعكسه في الطيبات والطيبين الثاني أن يكون المراد بالخبيثات النساء وبالخبيثين الرجال (قال أحمد) إن كان الأمر على التأويل الثاني فهذه الآية تفصيل لما أجمله

(قوله وكان مضعوقا) في الصحاح أضعفت الشيء فهو مضعوف على غير قياس

لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ يَسْأَلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَأَدْخُلُوا بيوْتَاكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ

يتزوجن الخباث والخباث الخباث وكذلك أهل الطيب ۝ وذكر الرزق الكريم هاهنا مثله في قوله وأعدنا لها رزقا كريما وعن عائشة لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتن امرأة أفدنزل جبريل عليه السلام بصورتى في راحته حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجنى ولقد تزوجنى بكر أرماتزوج بكر أغيرى ولقد توفى وإن رأسه لى حجرى ولقد قبرى بى ولقد حفته الملائكة فى بى وإن الوحي لينزل عليه فى أهله فيتفرقون عنه وإن كان لينزل عليه وأنا معه فى لحافه وإنى لآبنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذرى من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما (تستأنسوا) فيه وجهان أحدهما أنه من الاستئناس الظاهر الذى هو خلاف الاستيحاش لأن الذى بطرق باب غيره لا يدرى أى ذن له أم لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فإذا أذن له استأنس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والإرداف لأن هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن فوضع موضع الإذن والثانى أن يكون من الاستئناس الذى هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من أنس الشيء إذا أبصره ظاهرا مكشورا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا ومنه قولهم استأنس هل ترى أحدا واستأنست فلم أر أحدا أى تعرفت واستعلمت ومنه بيت الياغية على مسأنس وحد . ويجرز أن يكون من الإنس وهو أن يتعرف هل ثمة إنسان وعن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه قلنا يا رسول الله ما الاستئناس قال يتكلم الرجل بالسيجة والتكبيرة والتجميدة ويتخرج يؤذن أهل البيت ۝ والتسليم أن يقول السلام عليكم أدخل ثلاث مرات فإن أذن له وإلا رجع وعن أبى موسى الأشعري أنه أنى باب عمر رضى الله عنهما فقال السلام عليكم أدخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاثا واستأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أألج فقال صلى الله عليه وسلم لا امرأة يقال لها روضة قومي إلى هذا فعمليه فإنه لا يحسن أن يستأذن قولى له يقول السلام عليكم أدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل و كان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم إذا دخل بيتا غير بيته حيتهم صباحا وحيتهم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف واحد فصعد الله عن ذلك وعلم الأحسن والأجل وكمن باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك بينا أنت فى بيتك إذا رعى عليك الباب

قوله تعالى الزانية لا ينكحها إلا زان وقد بينا أنها مشتملة على هذه الأقسام الأربعة تصريحاً وتضميناً فجاءت هذه الآية مصرحة بالجمع وقد اشتملت على فائدة أخرى وهى الاستشهاد على براءة أم المؤمنين بأنها زوجة أطيب الطيبين فلا بد وأن تكون طاهرة طيبة مبرأة مما أفكت به وهذا التأويل الثانى هو الظاهر فإن بعد الآية لهم مغفرة ورزق كريم وبهذا وعد أزواجه عليه السلام فى قوله تعالى « نوتها أجرها مرتين وأعدنا لها رزقا كريما » والله أعلم عاد كلامه (قال ونقل عن عائشة أنها قالت لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتن امرأة فذكرت ممن أنها خلقت طيبة عند طيب) قال أحمد وهذا أيضا يحقق ما ذكرته من أن المراد بالطيبات والطيبين النساء والرجال وأن المراد بذلك إظهار براءة عائشة بأنها زوج أطيب الطيبين فيلزم أن تكون طيبة وفاء بقوله « والطيبون للطيبات » والله أعلم قوله تعالى « لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » (قال فيه وجهان أحدهما أنه من الاستئناس الذى هو ضد الاستيحاش أى حتى يؤذن لكم فتستأنسوا عبر بالشيء عماء و رادف له الثانى أن يكون من الاستعلام من أنس إذا أبصر والمعنى حتى تستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا و ذكر أيضا وجهها بعيدا وهو أن المراد حتى تعلموا هل فيها إنسان أم لا (قال أحمد) فيكون على هذا الأخير بنى من الإنس استفعال والوجه الأول هو البين وسر التجوز فيه والعدول إليه عن الحقيقة ترغيب المخاطبين فى الاتيان بالاستئذان بواسطة

(قوله إذا رعى عليك الباب) فى الصحاح رعى الرجل إذا خرج الدم من أنفه ورعى الفرس إذا سبق وتقدم فكان ما هنا مجاز على وجه التشبيه

أَهْلَهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۝ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا

بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا إسلام ولا جاهلية وهو ممن سمع ما أنزل الله فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أين الأذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى تسلبوا على أهلها وتستأذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير إنما هو حتى تستأذنوا فأخطأ الكتاب ولا يعقل على هذه الرواية وفي قراءة أبي حتى تستأذنوا (ذلكم) الاستئذان والتسامح (خير لكم) من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير إذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كأن صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه استئذانه فقد دمر وروى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أستأذن على أمي قال نعم قال إنها ليس لها خادم غيري أستأذن عليها كلما دخلت قال أنتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن (لعلكم تذكرون) أي أنزل عليكم أو قيل لكم هذا إرادة أن تذكروا وتتعظروا وتعملوا بما أمرتم به في باب الاستئذان ۝ يحتمل (فإن لم تجدوا فيها أحدا) من الآذنين (فلا تدخلوها) واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم ويحتمل فإن لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها وذلك أن الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر على عوزة ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط وإنما شرع لئلا يوقف على الأحوال التي يطوبها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من إطلاع أحد عليها ولأنه تصرف في ملك غيرك فلا بد من أن يكون برضاه وإلا أشبه الغصب والتغلب (فارجعوا) أي لا تلحقوا في إطلاق الإذن ولا تلجروا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الأبواب منتظرين لأن هذا مما يجلب الكراهة ويقدم في قلوب الناس خصوصا إذا كانوا ذوي مروءة ومرتابين بالآداب الحسنة وإذا نهى عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب بعنف والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر الناس وعن أبي عبيد مافرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بني أسد زاجرة وما نزل فيها من قوله إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (فإن قلت) هل يصح أن يكون المعنى وإن لم يؤذن لكم وأمرتم بالرجوع فامثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم (قلت) بعد أن جزم الهمي عن الدخول مع فقد الإذن وحده من أهل الدار حاضرين وغائبين لم تبق شبهة في كونه منها عنه مع انضمام الأمر بالرجوع إلى فقد الإذن (فإن قلت) فإذا عرض أمر في دار من حريق أو هجرم سارق أو ظهورا منكرا يجب إنكاره (قلت) ذلك مستثنى بالدليل ۝ أي الرجوع أطيب لكم وأظهر لمصافيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة أو أتمتع وأمنى خيرا ۝ ثم أوعد المخاطبين بذلك بأنه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فمرف جزاءه عليه ۝ واستثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحواليت البياعين ۝ المتاع المنفعة كالاستئذان من الحر والبرد وإيواء الرحال والسلع والشراء والبيع ويروى أن أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله إن الله تعالى قد أنزل عليك آية في الاستئذان وإنما تختلف في تجاراتنا فنزل هذه الخانات أفلا ندخلها إلا بإذن فنزلت رقيب الخربات يبرز فيها والمتاع التبرز (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) وعيد للذين يدخلون الخربات والديور الخالية من أهل الريبة ۝ من للتبعض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الألفش أن تكون مزيدة وأباه سيويه (فإن قلت) كيف دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج (قلت) دلالة على أن أمر النظر أوسع الأثرى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن وتديهن وأعضادهن وأسوقهن وأقدامهن وكذلك الجوارى المستعرضات والأجنبية بنظر.

ذكر فإن له فائدة وثمرة تميل النفوس إليها وتفر من ضدها وهو الاستيهاش الحاصل بتقدير عدم الاستئذان فيه تهبض

فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ۝ وقل للمؤمنات يغضضن من ابصرهن ويحفظن  
فروجهن ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدن زينتهن الا لبعوثهن

إلى وجهها وكفها وقدميها في إحدى الروايتين وأما أمر الفرج فمضيّق وكفك فرقا أن أبيض النظر إلا ما استثنى منه وحظر  
الجماع إلا ما استثنى منه ويجوز أن يراد مع حفظها عن الإفضاء إلى ما لا يحل حفظها عن الإبداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن  
من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا ما فإنه أراد به الاستتار ۝ ثم أخبر أنه (خير) بأفدالهم وأحوالهم وكيف يجلبون أبصارهم  
وكيف يصنعون بسائر حواشيهم وجوارحهم فعلمهم إذ عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون ۝ النساء  
وأمرات أيضاً بغض الأبصار ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرتها إلى ركبته وإن اشتت غضت بصرها  
رأساً ولا تنظر من المرأة إلا إلى مثل ذلك وغضها بصرها من الأجنبي أصلاً أولى بها وأحسن ومنه حديث ابن أم مكتوم عن  
أم سلمة رضي الله عنها قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا  
بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا قال أفعميا وإن أنتما أستماتا بصرانه (فإن قلت) لم  
قدم غض الأبصار على حفظ الفروج (قلت) لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشدراً أكثر ولا يكاد يقدر  
على الاحتباس منه ۝ الزينة ما زينت به المرأة من حلّي أو كحل أو خضاب فما كان ظاهراً منها كالخاتم والفتحة والكحل  
والخضاب فلا بأس بإبدائه الأجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدماج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط فلا  
تبدية إلا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الأمر بالنصون والتستر لأن هذه الزين واقعة على  
مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن فنهى عن  
إبداء الزين نفسها ليعلم أن النظر إذا لم يحل إليها لملاستها تلك المرافق بدليل أن النظر إليها غير ملاسها لا مقال في حله كان  
النظر إلى المواقع أنفسها متمكناً في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاعداً على أن النساء حقن أن يحتطن في سترها ويتقين الله في  
الكشف عنها (فإن قلت) ما تقول في القراميل هل يحل نظر هؤلاء إليها (قلت) نعم (فإن قلت) أليس موقعها الظهر ولا يحل  
لهم النظر إلى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقت القراميل على ما يحاذي ما تحت السرّة (قلت) الأمر كما قلت ولكن  
أمر القراميل خلاف أمر سائر الحلّي لأنه لا يقع إلا فوق اللباس ويجوز النظر إلى الثوب الواقع على الظهر والبطن  
للأجانب فضلاً عن هؤلاء إلا إذا كان يصف لرفته فلا يحل النظر إليه فلا يحل النظر إلى القراميل واقعة عليه (فإن  
قلت) ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله أم المقدار الذي تلبسه الزينة منه (قلت) الصحيح أنه العضو كله كما فسرت  
مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في  
خديه والكف والقدم موقع الخاتم والفتحة والخضاب بالحناء (فإن قلت) لم سوح مطلقاً في الزينة الظاهرة (قلت) لأن سترها فيه  
حرج فإن المرأة لا تجددت من مزاولة الأشياء بيدها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصاً في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر  
إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله (إلا ما ظهر منها) يعني إلا ما جرت العادة والجلبة على  
ظهوره والأصل فيه الظهور وإنما سوح في الزينة الخفية أولئك المذكورون لما كانوا يختصمون به من الحاجة المضطرة إلى مداخلتهم

للدواعي على سلوك هذا الأدب والله سبحانه وتعالى أعلم ۝ قوله تعالى ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها (قال المراد  
النهى عن إبداء مواضع الزينة فليس النهى عن إظهار الزينة مقصوداً لعينه ولكن جعل نفسها كناية عن النهى عن إبداء  
مواقعها بطريق الأولى) قال أحمد وقوله تعالى عقيب ذلك ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن محقق أن

(قوله كالخاتم والفتحة والكحل والخضاب) في الصحاح والفتحة بالتحريك حلقة من فضة لافص فيها فإذا كان فيها  
نص فمهر الخاتم وربما جعلها المرأة في أصابع رجليها وفيه الإكليل شيه عصابة تزين بالجواهر ويسمى الناج إكليلاً  
(قوله فإن قلت ما تقول في القراميل) في الصحاح القراميل ما تشده المرأة في شعرها (قوله والخضاب بالوسمة في حاجبيه)

أَوْ آبَائِهِمْ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ إِخْوَاتَهُمْ أَوْ نِسَاءَهُمْ أَوْ مَمْلُوكَاتِهِمْ أَوْ تَبِيعَاتِهِمْ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطُّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى

ومخالطتهم وافتلت توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن ماسة القرائب وتحتاج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك . كانت جيوبهم واسعة تبدو منها نخورهن وصدورهن وما حوالها وكان يسدلن الخمر من براسهن فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى يغطيها ويجوز أن يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت يدي على الحائط إذا وضعتها عليه وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت نساء خيراً من نساء الأنصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن إلى مرطها المرحل فصعدت منه صدعة فاخترن فأصبحن كأن على رؤوسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتنا غير بيوتكم قبل في نساءهن من المؤمنات لأنه ليس للمؤمنة أن تنجرد بين يدي مشركة أو كتابية عن ابن عباس رضي الله عنهما والظاهر أنه عنى بنسائهن وماملكت أيمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهم إلى بعض وقيل ماملكت أيمانهن هم الذكور والإناث جميعاً وعن عائشة رضي الله عنها أنها أباحت النظر إليها لبعدها وقالت لذكوان إنك إذا وضعتني في القبر وخرجت فأنت حرة وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم آية النور فإن المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها خصياً كان أو غلاماً وعن ميسون بنت بحدل الكلابية أن معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معاوية أنرى أن المثلة به تحلل ما حرم الله وعند أبي حنيفة لا يحل استخدام الخصيان وإمساكهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن أحد من السلف إمساكهم (فإن قلت) روى أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصي فقبله (قلت) لا يقبل فيما نعم به البلوى إلا حديث مكشوف فإن صح فاعله قبله ليعتقه أو لسبب من الأسباب (الإربة) الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيروا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء لأنهم به لا يعرفون شيئاً من أمرهن أو شيوخ صلحاء إذا كانوا معهن غضوا أبصارهم أو بهم عنانته وقرئ غير بالنصب على الاستثناء أو الحال والجزء على الوصفية . وضع الواحد موضع الجمع لأنه يفيد الجنس ويبين ما بعده أن المراد به الجمع ونحوه نخر جكم طفلاً (لم يظهروا) إقامن ظهر على الشيء إذا اطلع عليه أي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها وإقامن ظهر على فلان إذا قوى عليه وظهر على القرآن أخذه وأطاقه أي لم يبلغوا أو ان القدرة على الوطء وقرئ عورات وهي لغة هذيل (فإن قلت) لم يذكروا الأعمام والأخوال (قلت) سئل الشعبي عن ذلك فقال لثلاث يصفها العم عند ابنه والحال كذلك ومعناه أن سائر القربان يشرك الأب والابن في المحرمية إلا العم والحال وأبائهما فإذا رآها الأب فرمما وصفها لابنه وليس بمحرم فبداني تصورهما بالوصف نظره إليها وهذا أيضاً من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر . كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب بأحدى رجلها الأخرى ليعلم أنها ذات خلخالين وإذا نهين عن إظهار صوت الحلي بعد ما نهين عن إظهار الحلي علم بذلك أن النهي عن إظهار مواضع الحلي أبلغ وأبلغ

إبداء الزينة بعينه مقصود بالنهي لأنه قد نهى عما هو ذريعة إليه خاصة إذ الضرب بالأرجل لم يعلل النهي عنه إلا يعلم أن المرأة ذات زينة وإن لم تظهر فضلاً عن مواضعها والله أعلم

في الصحاح الوسم بكسر السين المظلم يختضب به وتسكينها لغة وفيه العظم نبت يصبغ به وفيه أيضاً الغمرة طلاء يتخذ من الورس (قوله قامت كل واحدة منهن إلى مرطها) في الصحاح المرط كساء من صوف أو خز كان يؤتزر به وفيه أيضاً مرط مرحل إزار خز فيه علم (قوله يشترك الأب والابن في المحرمية) الرابط محذوف أي يشترك بها الأب والخ

عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيَعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ

• أوامر الله ونواهيها في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وإن ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه لذلك وصى المؤمنين جميعاً بالتوبة والاستغفار وبناء ميل الفلاح إذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس رضى الله عنهما توبوا مما كنتم تعملونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة (فإن قلت) قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة (قلت) أراد بها ما يقوله العلماء إن من أذنب ذنباً ثم تاب عنه يلزمه كلما يذكره أن يحدد عنه التوبة لأنه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه إلى أن يلقى ربه وقرئ آية المؤمنين بضم الهاء ووجه أنها كانت مفتوحة لو قرعها قبل الألف فلما سقطت الألف لالتقاء الساكنين أتبع حركتها حركة ما قبلها (الأيامى) واليتامى أصلهما أيام ويتام فقلبا والأيام للرجل والمرأة وقدم وامت وتأيما إذالم يتزوجا بكرين كانا أو ثيبين قال فإن تنكحى أنكح وإن تأمى • وإن كنت أفتى منكم أتأيم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إنا نعوذ بك من العيمة والغيمة والأيمة والكزيم والقرم والمراد أنكحوا من تأيم منكم من الأحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريتكم وقرئ من عبيدكم وهذا الأمر للدب لماعلم من أن النكاح أمر مندوب إليه وقد يكون للوجوب في حق الأولياء عند طلب المرأة ذلك وعند أصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوباً إليه قوله صلى الله عليه وسلم من أحب فطرتى فليستن بسنتى وهى النكاح وعنه عليه الصلاة والسلام من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه عليه الصلاة والسلام إذا تزوج أحدكم عيج شيطانه ياويله عصم ابن آدم منى ثلثي دينه وعنه عليه الصلاة والسلام يا عياض لا تزوجن عجراً ولا عافراً فإنى مكأثر والأحاديث فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم والآثار كثيرة وربما كان واجب الترك إذا أدى إلى معصية أو مفسدة وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى على أفتى مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وفي الحديث يأتي على الناس زمان لاتنال المعيشة فيه إلا بالمعصية فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة (فإن قلت) لم خص الصالحين (قلت) ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولأن الصالحين من الأرقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الأولاد في الأثرة والمودة فكانوا مظنة للنوصية بشأهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم وأما المفسدون منهم فالحلم عندهم واليه على عكس ذلك أو أريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح • ينبغي أن تكون شريطة الله غير مذمومة في هذا الموعد ونظائره وهى مشيئة ولا يشاء

• قوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم الآية (قال هذا أمر والمراد به الذب ثم ذكر أحاديث تدل على ذلك وأدرج فيها قوله عليه الصلاة والسلام من وجد نكاحاً فلم ينكح فليس منا) قال أحمد وهذا بأن يدل على الوجوب أولى ولكن قد ورد مثله في ترك السنن كثيراً وكان المراد من لم يستن بسنتنا على أنه قد ورد في الواجب كقوله من غشنا فليس منا ومجانبة الغش واجبة ومن شهر السلاح في فتنه فليس منا ومثله كثير • عاد كلامه قوله إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله (قال فيه ينبغي أن تكون شريطة

(قوله من العيمة والغيمة والأيمة والكزيم والقرم) في الصحاح العيمة شهوة اللبن وفيه الغيم العطش وحز الجوف اه وهو يفيد أن الغيمة المرة من ذلك وفيه الأيامى الذين لأزواج لهم من الرجال والنساء وامت المرأة من زوجها فتم أيمة وفيه كزيم الشيء بمقدم فيه أى كسره واستخرج ما فيه وفيه قرم الصبي والبهم قرما وهو أكل ضعيف فى أول ما يأكل والقرم بالتحريك شدة شهوة اللحم اه ويروى في الحديث القدم بالذال بدل الراء وفي الصحاح القدم على وزن الهجب الشديد وفيه أيضا الهجب من النعام ومن الناس الجافى الثقيل قال الكميت : هو الأضبط الهواس فينا شجاعه وفيمن يعاديه الهجب المثقل ولا يستقيم الوزن إلا بتشديد الفاء وفيه الهواس الأسد (قوله إذا تزوج أحدكم عيج شيطانه) أى صاح



الحكيم إلا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب» وقد جاءت الشريعة منصوطة في قوله تعالى «وإن خفتن عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عالم حكيم» ومن لم ينس هذه الشريعة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فأفقره النكاح وبفاسق تاب وانق الله وكان له شيء فقضى وأصبح مسكينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكا إليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رضي الله

الحكمة والمصلحة غير منسية واستشهد على ذلك بقوله «وإن خفتن عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء» قال أحمد جنوحه للمعتقد العاسدي تمتع عليه الصواب فإن معتقده وجوب رعاية المصالح على الله تعالى فمن شرط الحكمة والمصلحة محجرا وأساسا من فضل الله تعالى ثم استشهد على ذلك بما يشهد عليه لاله فإن قوله تعالى في الآية الأخرى إن شاء يقتضى أن وقوع الغنى مشروط بالمشيئة خاصة وهذا معتقد أهل الحق فطاح اشتراط الحكمة عن محل الاستدلال تعالى عن الإيجاب رب الأرباب لكن ينبغي التنبيه لنكتة تدعو الحاجة إلى التنبيه عليها ليعم نفعها ويعظم وقعها إن شاء الله وذلك أنا إذ ابيننا على أن ثم شرطا محذوفا لا بد من تقديره ضرورة صدق الخبر إذ لو اعتقدنا أن الله تعالى يغني كل متزوج على الإطلاق مع أننا شاهد كثيرا ممن استعز به الفقر بعد النكاح بل زاد اللم خلف الوعد تقدس الله وتعالى عن ذلك فقد ثبت الاضطرار إلى تقدير شرط للجمع بين الوعد والواقع فالقدريه يقولون المراد إن اقتضت الحكمة ذلك فكل من لم يغنه الله بأثر الزوج فهو ممن لم تقتض الحكمة إغناؤه وقد ابطنا أن يكون هذا الشرط هو المقدر وحتما أن المقدر شرط المشيئة كما ظهر في الآية الأخرى وحينئذ فكل من لم يستغن بالنكاح فذلك لأن الله تعالى لم يشأ إغناؤه فلقائل أن يقول إذا كانت المشيئة هي المعبرة في غنى المتزوج فهي أيضا المعبرة في غنى الأعزب فواجبه ربط وعد الغنى بالنكاح مع أن حال الناكح منقسم في الغنى على حسب المشيئة فمن مستغنى به ومن فقير كما أن حال غير الناكح كذلك منقسم وليس هذا كإضرار شرط المشيئة في الغفران للموحد العاصي فإن الوعد ثم له ارتباط بالتوحيد وإن ارتبط بالمشيئة أيضا من حيث أن غير الموحد لا يغفر الله له حتما ولا يستطيع أن يقول وغير الناكح لا يغنيه الله حتما لأن الواقع يأباه فالجواب وبالله التوفيق أن فائدة ربطه الغنى بالنكاح أنه قد ركز في الطباع السكون إلى الأسباب والاعتماد عليها والغفلة عن المسبب جل وعلا حتى غلب الوهم على العقل فخيّل أن كثرة العيال سبب يوجب الفقر حتما وعدمها سبب يوجب توفير المال جزما وإن كان واحد من هذين السببين غير مؤثر فيما ربطه الوهم به فأريد قلع هذا الخيال المتمكن من الطبع بالإيدان بأن الله تعالى قد يوفر المال وينمي مع كثرة العيال التي هي سبب في الأوهام لنفاد المال وقد يقدر الإملاق مع عدمه الذي هو سبب في الإكثار عند الأوهام والواقع يشهد لذلك بلامراء فدل ذلك قطعا على أن الأسباب التي يتوهمها البشر مرتبطات بمسبباتها ارتباطا لا ينفك إيست على ما يزعمونه وإنما يقدر الغنى والفقر مسبب الأسباب غير موقوف تقدير ذلك إلا على مشيئة خاصة وحينئذ لا ينفر العاقل المتيقظ من النكاح لأنه قد استقر عنده أن لا أثر له في الإقتار وأن الله تعالى لا يمنع ذلك من إغناؤه ولا يؤثر أيضا الخلو عن النكاح لاجل التوفير لأنه قد استقر أن لا أثر له فيه وأن الله تعالى لا يمنع ما منع أن يقتر عليه وأن العبد إن تعاطى سبباً فلا يكن ناظراً إليه ولكن إلى مشيئة الله تعالى وتقدس فمعنى قوله حينئذ إن يكونوا فقراء الآية أن النكاح لا يمنعهم الغنى من فضل الله فعبء عن نفي كونه مانعاً من الغنى بوجوده معه ولا تبطل المسانعة إلا بوجود ما يتوهم ممنوعاً مع ما يتوهم مانعاً ولو في صورة من الصور على أثر ذلك فمن هذا الوادي أمثال قوله تعالى «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض» فإن ظاهر الأمر طلب الانتشار عند انقضاء الصلاة وليس ذلك بمراد حقيقة ولكن الغرض تحقيق زوال المانع وهو الصلاة وبيان أن الصلاة متى قضيت فلا مانع فعبء عن نفي المانع بالانتشار بما يفهم تقاضى الانتشار مبالغة في تحقيق المعنى عند السامع والله أعلم فأمثل هذا الفصل واتخذ عضداً حيث الحاجة إليه

(قوله إلا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة) كأنه مبنى على أنه تعالى يجب عليه فعل الصلاح وهو مذهب المعتزلة وعند أهل السنة لا يجب على الله شيء (قوله فقال عليك بالباءة) في الصحاح سمي النكاح بباء وباءة لأن الرجل يتبأ من أهله أي يستمكن منها كما يتبأ من داره وفيه أيضا الرايح من الإبل الهالك من الأله فإن كان مختصاً بالإبل فقد يتوسع فيه إلى غيرها

فَضْلَهُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ۖ وَلَا يَسْتَعْفِفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ  
مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَمَكَاتِبُهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتِيَّتِكُمْ

عنه عجب لمن لا يطلب الغنى بالبائة ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رأته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت  
فسأته فقال كنت في أول أمرى على ما علمت وذلك قبل أن أرزق ولدا فلما رزقت بكر ولدى تراخيت عن الفقر فلما  
ولدى الثانى زدت خيرا فلما تناموا ثلاثة صب الله على الخير صبا فأصبحت إلى ماترى (والله واسع) أى غنى ذوسعة  
لا يرزوه إغناء الخلاق ولكنه (عليم) يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر (وليستعفف) وليجتهد فى العفة وظلف النفس  
كأن المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه (لا يجدون نكاحا) أى استطاعة تزوج ويجوز أن يراد بالنكاح  
ما ينكح به من المال (حتى يغنيهم الله) ترجية للمستعفين وتقدمة وعد بالفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأمله  
لطفالم فى استعفافهم وربط على قلوبهم ويظهر بذلك أن فضله أولى بالإعفاء وأدنى من الصلحاء وما أحسن مراتب هذه  
الأوامر حيث أمر أولاً بما يعصم من الفتنة ويبعد من موافقة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذى يحصن به الدين ويقع به  
الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الأمانة بالسوء وعزفها عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن  
يرزق القدرة عليه (والذين يبتغون) مرفوع على الابتداء أو منصوب بفعل مضمر يفسره فمكاتبهم كقولك زيدا فاضربه  
ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على ألف  
درهم فإن أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسى أن تعتق منى إذا وفيت بالمال وكتبت لى على نفسك أن تبنى بذلك أو كتبت عليك  
الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز عند أبى حنيفة رضى الله عنه جلاؤه وجلا ومنجما وغير منجم لأن الله تعالى لم يذكر التنجيم  
وقياسا على سائر العقود وعند الشافعى رضى الله عنه لا يجرز إلاه وجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لأن العبد لا يملك  
شيئا فعقده حالا منع من حصول الغرض لأنه لا يقدر على أداء البدل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى  
خدمة فى مدة معلومة وعلى عمل معلوم مؤقت مثل حفر بئر فى مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد أراه آجرها  
وجصها وما يبنى به وإن كاتبه على قيمته لم يجز فإن أداها عتق وإن كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط  
وليس له أن يطأ المكاتبه وإذا أدى عتق وكان ولاؤه لمولاه لأنه جاد عليه بالكسب الذى هو فى الأصل له وهذا الأمر  
للدب عند عامة العلماء وعن الحسن رضى الله عنه ليس ذلك بعزم إن شاء كاتب وإن شاء لم يكتب وعن عمر رضى  
الله عنه هى عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود (خيرا) قدرة على أداء ما يفارقون عليه وقيل أمانة  
وتكسبا وعن سلمان رضى الله عنه أن مملوكا له ابتغى أن يكتبه فقال أعندك مال قال لا قال أفأمرنى أن آكل غسالة أيدى الناس  
(وآتوهم) أمر للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم الذى جعل الله لهم من بيت المال كقوله تعالى  
وفى الرقاب عند أبى حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم (فإن قلت) هل يحل لمولاه إذا كان غنيا أن يأخذ ما تصدق به عليه  
(قلت) نعم وكذلك إذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن أداء الباقي طاب للولى ما أخذه لأنه لم يأخذه بسبب الصدقة  
ولكن بسبب عقد المكاتبه كمن اشترى الصدقة من الفقير أو ورثها أو وهبت له ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث بريرة  
هو لها صدقة ولناهدية وعند الشافعى رضى الله عنه هو إيجاب على المولى أن يحطوا لهم من مال الكتابة وإن لم يفعلوا  
أجبروا وعن على رضى الله عنه يحط له الربع وعن ابن عباس رضى الله عنهما يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر رضى

(قوله لا يرزوه إغناء الخلاق) أى لا ينقصه (قوله وليجتهد فى العفة وظلف النفس) فى الصحاح ظلف نفسه عن الشيء  
أى منعها وظلفت نفسى عن كذا بالكسر أى كفت (قوله وعزفها عن الطموح إلى الشهوة) فى الصحاح عزفت نفسى عن  
الشيء زهدت فيه وانصرفت عنه (قوله وإن كاتبه على وصيف جاز) الوصيف الخادم غلاما كان أو جارية كذا فى الصحاح

عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْتَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ

الله عنه أنه كاتب عداله يكنى أبا أمية وهو أول عبدكوتب في الإسلام فأتاه بأول نجم فدفعه اليه عمر رضي الله عنه وقال استعن به على مكاتبك فقال لو أخرته إلى آخر نجم فقال أخاف أن لا أدرك ذلك وهذا عند أبي حنيفة رضي الله عنه على وجه الندية وقال إنه عقد معاوضة فلا يجبر على الخطيئة كالبيع وقل معنى وآتوهم أسلفوهم وقيل أنفقوا عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروى أنه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه أن يكاتبه فأبى فنزلت ۝ كانت إمام أهل الجاهلية يساعين على مواليهم وكان لعبدالله بن أبي راس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ۝ ويكنى بالقتي والقتاة عن العبد والأمة وفي الحديث ليقبل أحدكم فتاى وفتاى ولا يقبل عبيدى وأمتى ۝ والبغاء مصدر البغى (فإن قلت) لم أقحم قوله (إن أردن تحصنا) (قلت) لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن وأمر الطبيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا أمره إكراها وكلمة إن وإيثارها على إذا إيذان بأن المساعييات كن يفعلان ذلك برغبة وطواعية منهن وأن ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر (غفور رحيم) لهم أولهن أولهم ولهن إن تابوا وأصلحوا وفي قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم (فإن قلت) لا حاجة إلى تعاقب المغفرة بهن لأن المكروهة على الزنا بخلاف المكروه عليه في أنها غير آئمة (قلت) لعل الإكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من إكراه بقتل أو بما يخاف منه التلف أو ذهاب العضو من ضرب عنيف أو غيره حتى أسلم من الإثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آئمة (مبينات) هي الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت في معاني الأحكام والحدود ويجوز أن يكون الأصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر أى بينت هي الأحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين (ومثلا من) أمثال من (قبلكم) أى قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعنى قصة عائشة رضي الله عنها (وموعظة) ما وعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله لولا إذ سمعتموه . ولولا إذ سمعتموه . يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ۝ نظير قوله (الله نور السموات والأرض) مع قوله مثل نوره . ويهدى الله لنوره : قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والأرض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله تعالى الله ولى الذين

قوله تعالى ولا تكفروا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا (قال إن قلت لم أقحم قوله إن أردن تحصنا قلت لأن الإكراه لا يكون إلا إذا أردن تحصنا ولا يتصور إلا كذلك إذ لولا ذلك لكن مطاوعات ولم يجب بما يشفي الغليل) وعند العد الفقير إلى الله تعالى أن فائدة ذلك والله أعلم أن يبشع عند المخاطب الوقوع فيه لكي يتيقظ أنه كان ينبغي له أن يأنف من هذه الرذيلة وإن لم يكن زاجر شرعى ووجه التبشيع عليه أن مضمون الآية النداء عليه بأن أمته خير منه لأنها آثرت التحصن عن الفاحشة وهو أبى إلا إكراهها عليها ولو أبرز مكنون هذا المعنى لم يقع الزاجر من النفس موقعه وعسى هذه الآية تأخذ بالنفوس الدنية فكيف بالنفوس العربية والله الموفق

(قوله وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء) لعله قتيلة بالقاف بدل القاء كما في عبارة النسفي (قوله والبغاء مصدر البغى)

عبارة النسفي مصدر لبغت

يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبْرُكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَسْكَدُ زَيْتُهَا بَضِيءٌ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أُذِنَ لَهُمْ أَنْ تَرْفَعُوا أَعْيُنَهُمْ وَيَذُكَّرُ

آمَنُوا يَخْرُجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ: أَي مِنَ الْبَاطِلِ إِلَى الْحَقِّ وَأَضَافَ النُّورَ إِلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِأَحَدٍ مَعْنِينَ إِمَّا لِلدَّلَالَةِ عَلَى سَعَةِ إِشْرَافِهِ وَفَشَوِّ إِضَاءَتِهِ حَتَّى تَضِيءَ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَإِمَّا أَنْ يَرَادَ أَعْلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنَّهُمْ يَسْتَضِيئُونَ بِهِ (مِثْلَ نُورِهِ) أَي صِفَةَ نُورِهِ الْعَجِيْبَةِ الشَّانِ فِي الْإِضَاءَةِ (كَمَشْكَاهُ) كَصِفَةِ مَشْكَاهُ وَهِيَ السُّكُوتُ فِي الْجِدَارِ غَيْرِ النَّافِذَةِ (فِيهَا مَصْبَاحٌ) سِرَاجٌ ضَخْمٌ ثَقِيْبٌ (فِي زَجَاجَةٍ) أَرَادَ قَنْدِيلاً مِنْ زَجَاجٍ شَامِيٍّ أَزْهَرُ شَبَهَهُ فِي زَهْرَتِهِ بِأَحَدِ الدَّرَارِيِّ مِنَ الْكُوَاكِبِ وَهِيَ الْمَشَاهِيرُ كَالْمَشْتَرِيِّ وَالزَّهْرَةَ وَالْمَرِيخَ وَسَهِيْلَ وَنَحْوَهَا (تُوقَدُ) هَذَا الْمَصْبَاحُ (مِنْ شَجَرَةٍ) أَي ابْتِدَاءً نَقُوبَهُ مِنْ شَجَرَةِ الزَّيْتُونِ يَعْنِي رُوِيَتْ ذِبَالَتُهُ بِزَيْتِهَا (مَبْرُكَةٌ) كَثِيْرَةُ الْمَنَافِعِ أَوْ لِأَنَّهَا تَنْبَتُ فِي الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكَ فِيهَا لِلْعَالَمِينَ وَقِيلَ بَارَكَ فِيهَا سَبْعُونَ نَبِيًّا مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الشَّجَرَةِ زَيْتُ الزَّيْتُونِ قَدْ دَاوَوْا بِهِ فَإِنَّهُ مَصْحُوحَةٌ مِنَ الْبَاسُورِ (لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ) أَي مَنبَتُهَا الشَّامُ وَأَجْرَدُ الزَّيْتُونُ زَيْتُونُ الشَّامِ وَقِيلَ لِأَنَّهُ مَضْحِيٌّ وَلَا مَقْنَأَةٌ وَلَكِنَّ الشَّمْسَ وَالظَّلَّ يَتَعَاقَبَانِ عَلَيْهَا وَذَلِكَ أَجْرَدٌ لِحُلْمِهَا وَأَصْفَى لِدَهْنِهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَخِيْرٍ فِي شَجَرَةٍ فِي مَقْنَأَةٍ وَلَا خَيْرَ فِيهَا فِي مَضْحِيٍّ وَقِيلَ لَيْسَتْ بِمَا تَطَّلِعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فِي وَقْتِ شُرُوقِهَا أَوْ غُرُوبِهَا فَقَطْ بَلْ تَصِيْبُهَا بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ جَمِيْعاً فَهِيَ شَرْقِيَّةٌ وَغَرْبِيَّةٌ ثُمَّ رُصِفَ الزَّيْتُ بِالصَّفَاءِ وَالْوَبِيصِ وَأَنَّهُ لِلنَّارِ (يَسْكَدُ) يَضِيءُ مِنْ غَيْرِ نَارٍ (نُورٌ عَلَى نُورٍ) أَي هَذَا الَّذِي شَبِهَتْ بِهِ الْحَقُّ نُورٌ مَتَضَاعَفٌ قَدْ تَنَاصَرَ فِيهِ الْمَشْكَاهُ وَالزَّجَاجَةُ وَالْمَصْبَاحُ وَالزَّيْتُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِمَّا يَقْرَى النُّورُ وَيَزِيْدُهُ إِشْرَاقاً وَيَمْتَدُّ بِإِضَاءَةٍ بَقِيَّةً وَذَلِكَ أَنَّ الْمَصْبَاحَ إِذَا كَانَ فِي مَكَانٍ مَتَضَاقِقٍ كَالْمَشْكَاهِ كَانَ أَضْوَالُهُ وَأَجْمَعُ لِنُورِهِ بِخِلَافِ الْمَكَانِ الْوَاسِعِ فَإِنَّ الضُّوْأَ يَنْبَتُ فِيهِ وَيَنْتَشِرُ وَالْقَنْدِيلَ أَعْوَنُ شَيْءٌ عَلَى زِيَادَةِ الْإِبَارَةِ وَكَذَلِكَ الزَّيْتُ وَصِفَاؤُهُ (يَهْدِي اللَّهُ) لِهَذَا النُّورِ الثَّقِيْبِ (مَنْ يَشَاءُ) مَنْ عِبَادَهُ أَي يُوَفِّقُ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ مِنْ نَظَرٍ وَتَدَبُّرٍ بَعِيْنِ عَقْلِهِ وَالْإِنْصَافِ مِنْ نَفْسِهِ وَلَمْ يَذْهَبْ عَنِ الْجَادَةِ الْمُوصِلَةِ إِلَيْهِ بِمِيْنَاوِشْمَالًا وَمَنْ لَمْ يَتَدَبَّرْ فَهُوَ كَالْأَعْمَى الَّذِي سِوَاهُ عَلَيْهِ جَنَحُ اللَّيْلِ الدَّامِسِ وَضُجُوعُ النَّهَارِ الشَّامِسِ وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَي نُشِرَ فِيهَا الْحَقُّ وَبِهِ فَأَضَاءَتْ بِنُورِهِ أُنُورُ قُلُوبِ أَهْلِهَا بِهِ وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِثْلَ نُورٍ مِنْ أَمْنٍ بِهِ وَقُرَى زَجَاجَةُ الزَّجَاجَةِ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ وَدَرَى مَذْسُوبٌ إِلَى الدَّرَايِ أَيْبِضٌ مَتَلَأَلِيٌّ وَدَرَى بوزن سَكَيْتٍ يَدْرَأُ الظَّلَامَ بِضُوْرَتِهِ وَدَرَى كَمَرِيْقٍ وَدَرَى كَالسَّكِيْنَةِ عَنْ أَبِي زَيْدٍ وَتُوقَدُ بِمَعْنَى تَتُوقَدُ وَالْفِعْلُ لِلزَّجَاجَةِ وَيُوقَدُ وَتُوقَدُ بِالتَّخْفِيْفِ وَيُوقَدُ بِالتَّشْدِيْدِ وَيُوقَدُ بِحَذْفِ النَّاءِ وَفَتْحِ الْيَاءِ لِاجْتِمَاعِ حَرْفَيْنِ زَائِدِيْنِ وَهُوَ غَرِيبٌ وَيَمْسَهُ بِالْيَاءِ لِأَنَّ النَّائِيْثَ لَيْسَ بِحَقِيْقِيٍّ وَالضَّمِيْرُ فَاصِلٌ (فِي بُيُوتِ) يَتَعَلَّقُ بِمَا قَبْلَهُ أَي كَمَشْكَاهُ فِي بَعْضِ بُيُوتِ اللَّهِ وَهِيَ الْمَسَاجِدُ كَأَنَّهُ قِيْلَ مِثْلَ نُورِهِ كَمَا يَرَى فِي الْمَسْجِدِ نُورَ الْمَشْكَاهِ الَّتِي مِنْ صِفَتِهَا كَيْتٌ وَكَيْتٌ أَوْ بِمَا بَعْدَهُ وَهُوَ يَسْبَحُ أَي يَسْبَحُ لَهُ رِجَالٌ فِي بُيُوتِ وَفِيهَا تَسْكِرُ كَقَوْلِكَ زَيْدٌ فِي الدَّارِ جَالِسٌ فِيهَا أَوْ بِمَحْذَرٍ كَقَوْلِهِ فِي تَسْعِ آيَاتٍ أَي سَبَّحُوا فِي بُيُوتِ ۝ وَالْمُرَادُ بِالْإِذْنِ الْأَمْرَ وَرَفَعَهَا بِنَاوِهَا كَقَوْلِهِ «بِنَاوِهَا.. رَفَعْنَاكُمْ فُسُوْأَهَا» «وَالْإِذْرَفُ إِبْرَاهِيمَ الْفِرَاعِدُ» وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هِيَ الْمَسَاجِدُ أَمْرًا لِلَّهِ

(قوله من الظلمات إلى النور أي من الباطل إلى الحق) لعله مقلوب وأصله من الباطل إلى الحق كعبارة النسفي (قوله قنديلا من زجاج شامي أزهر) نعت لزجاج ويوضحه قوله أزهر وعبارة النسفي شامي بكسر الزاي أي قرأ الشامي زجاجه بكسر الزاي (قوله يعني زويت ذبالته بزيتها) في الصحاح زويت الشيء جمعته وقبضته وانزوت الجلدة في النار أي اجتمعت وتقبضت وفيه الذبالة الفتيمة ولعله رويت بالراء كما في عبارة النسفي (قوله وقيل لامضحي ولامقناة) في الصحاح المقناة المكان الذي لا تطلع عليه الشمس (قوله بالصفاء والوبيص) البريق واللمعان أفاده الصحاح

فِيهَا اسْمُهُ يُسَبَّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ  
 الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَابُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۖ لِيُجْزِيَهمَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمَلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ  
 يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالَهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يُحْسِبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ  
 لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۖ أَوْ كظلماتٍ في بحرٍ لَّجِي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن  
 فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظلماتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْتَدِرْ بِهَا وَهُنَّ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا

أن تبنى أو تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن رضى الله عنه ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم (ويذكر  
 فيها اسمه) أوفق له وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس رضى الله عنهما وأن يتلى فيها كتابه ۖ وقرئ يسبح على البناء  
 المفعول ويسند إلى أحد الظروف الثلاثة أعنى له فيها بالغدو ورجال مرفوع بمبادل عليه يسبح وهو يسبح له وتسبح  
 بالباء وكسر الباء وعن أبي جعفر رضى الله عنه بالباء وفتح الباء ووجهها أن يسند إلى أوقات الغدو والآصال على زيادة  
 الباء وتجمل الأوقات مسبحة والمراد ربه كصيد عليه يومان والمراد وحشهما ۖ والآصال جمع أصل وهو العشى والمعنى  
 بأوقات الغدو أى بالغدوات وقرئ والإبصال وهو الدخول فى الأصل يقال أصل كأظهر وأعم ۖ التجارة صناعة  
 التاجر وهو الذى يبيع ويشترى للربح فإما أن يريد لا يشغله نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لأنه فى الإلهاء  
 أدخل من قبل أن التاجر إذا اتجهت له بيعة رابحة وهى طلبته الكلية من صناعته أهتته مالا يلهيه شراء شىء يتوقع فيه  
 الربح فى الوقت الثانى لأن هذا يقين وذاك مظنون وأما أن يسمى الشراء تجارة إطلاقاً لاسم الجنس على النوع كما نقول  
 رزق فلان تجارة رابحة إذا اتجه له بيع صالح أو شراء وقيل التجارة لأهل الجلب تجر فلان فى كذا إذا جلبه ۖ البناء فى  
 إقامة عوض من العين الساقطة للإعلال والأصل إقوام فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام حرف التعويض فأسقطت  
 ونحوه ۖ وأخلفوك عدد الأمر الذى وعدوا ۖ وتقلب القلوب والأبصار إما أن تتقلب وتتغير فى أنفسها وهو أن  
 تضطرب من الهول والفرع وتشخص كقوله وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وإما أن تتقلب أحوالها  
 وتتغير فتفق القلوب بعد أن كانت مطبوعاً عليها لا تفقهه وتبصر الأبصار بعد أن كانت عمياً لا تبصر (أحسن ما عملوا)  
 أى أحسن جزاء أعمالهم كقوله «الذين أحسنوا الحسنى» والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفاً ويزيدهم  
 على الثواب تفضلاً وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة علمها من التفضل، وعطاء الله تعالى إمامة تفضل  
 وإمامة و إمامة عوض ( والله يرزق ) ما يتفضل به ( بغير حساب ) فأما الثواب فله حساب لكونه على حسب  
 الاستحقاق ۖ السراب ما يرى فى الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجرى  
 ۖ والقيعة بمعنى القاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوى من الأرض كجيرة فى جار وقرئ بقيعات بناء بمطوطة كديمات  
 وقيمات فى ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعة بناء مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمل من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق  
 من الأعمال الصالحة التى بحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تحيب فى العاقبة أمه ويبقى خلاف ما قدر بسراب يراه  
 الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد مارجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه  
 إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق بهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصية وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقد مننا إلى ما عملوا  
 من عمل فجعلناه هباء منثوراً وقيل نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين فى الجاهلية  
 ثم كفر فى الإسلام ۖ اللجى العميق الكثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر ۖ وفى (أخرج) ضمير الواقع  
 فيه (لم يكديراها) مبالغة فى لم يرها أى لم يقرب أن يراها فضلاً عن أن يراها ومثله قول ذى الرمة

قَالَ مِنْ نُورٍ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجِعُ لِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ قَدَعَةٍ صِلَانَهُ  
وَتَسِيحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي السَّحَابَ  
ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّتِهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ  
بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيُصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ ۝ يَكَادُ سَنَابِرُهُ يَذُوبُ بِالْأَبْصَرِ ۝ يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ

إذا غير النأي المحبين لم يكاد ۝ رسيس الهوى من حب مية يبرح

أى لم يقرب من البراح فما باله يبرح شبه أعمالهم أولاً في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئاً ولم يكفه خيبة وكدا أن لم يجد شيئاً كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله إلى النار ولا يقتل ظمأه بالماء وشبهها ثانياً في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق لظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته واطفه فهو في ظلمة الباطل لانورله وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لأن الألفاظ إنما تردف الإيمان والعمل أو كونهما مترقين الأثرى إلى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الإضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الأولى (صافات) يصفن أجنحتهن في الهواء ۝ والضمير في (علم) لكل أوله وكذلك في (صلاته وتسيحه) والصلاة الدعاء ولا يبعد أن ياهم الله الطير دعاءه وتسيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها (يزجى) يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجها كل أحد لا يرضاعا والسحاب يكون واحداً كالعماء وجمعاً كالرباب ومعنى تأليف الواحد أنه يكون فزعا فيضم بعضه إلى بعض وجازبه وهو واحد لأن المعنى بين أجزائه كما قيل في قوله بين الدخول فحومل والركام المترام بعضه فوق بعض والودق المطر (من خلاله) من فوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خالته (وينزل) بالتشديد ويكاد سنا على الإدغام وبرقه جمع رقة وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمهتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات وسنا برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سنى المرتفع (يذهب بالأبصار) على زيادة الباء كقوله ولاتلقوا بأيديكم عن أبي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور أمره حيث ذكر تسبيح من في السموات والأرض وكل ما يطير بين السماء والأرض ودعاهم له وإتهامهم إليه وأنه سخر السحاب للتسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من أفعاله حتى ينزل المطر منه وأنه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبدطها على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه إلا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر (فإن قلت) متى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من في السموات ودعاهم وتسيح الطير ودعاهم وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له ألم تر (قلت) علمه من جهة إخبار الله إياه بذلك على طرق الوحي (فإن قلت) ما الفرق بين من الأولى والثانية والثالثة في قوله من السماء من جبال من برد (قلت) الأولى لا ابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان أو الأوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الأقل مفعول ينزل من جبال (فإن قلت) ما معنى من جبال فيها من برد (قلت) فيه معنيان أحدهما أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الأرض جبال حجر والثاني أن يريد

(قوله واحداً كالعماء وجمعاً كالرباب) في الصحاح الرباب بالفتح سحاب أبيض (قوله أنه يكون فزعا فيضم بمضه) الفزع قطع من السحاب رقيقة الواحدة فزعة (قوله ويكاد سنا على الإدغام) لعل رسمه هكذا يكاد سنا إلا أن يعتبر ما قبل الإدغام

لَعِبْرَةٌ لِّأُولَى الْأَبْصَارِ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۚ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ  
وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ  
يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ  
وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ۝ وَإِن يَكُنْ

السكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبلا من ذهب وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز  
غلب المميز فأعطى ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم يميزون فمن ثمة قيل فمنهم وقيل من يمشي في الماشي على بطن والماشي  
على أربع قوائم (فإن قلت) لم نذكر الماء في قوله (من ماء) (قلت) لأن المعنى أنه خالق كل دابة من نوع من الماء مخصص بتلك  
الدابة أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمها هوام ومنهاها ثم ومنهاها ناس ونحوه قوله  
تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل (فإن قلت) فما باله معترف في قوله «وجعلنا من الماء كل شيء حي»  
(قلت) قصدتة معنى آخر وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك أنه هو الأصل وإن  
تحملت بينه وبينها وسائط قالوا خالق الملائكة من ربح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه  
(فإن قلت) لم جاءت الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب (قلت) قدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل  
أو قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع (فإن قلت) لم سمي الزحف على البطن مشيا (قلت) على سبيل الاستعارة  
كما قالوا في الأمر المستمتر قدمشي هذا الأمر ويقال فلان لا يتمشي له أمر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفة والمشر مكان الشفة  
ونحو ذلك أو على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين (وما أوائك بالمومنين) إشارة إلى الفاتنين آمننا وأطعنا أو إلى  
الفريق المتولى فعناه على الأ قول إعلام من الله بأن جميعهم منتف عنهم الإيمان لا بالفريق المتولى وحده وعلى الثاني إعلام بأن  
الفريق المتولى لم يكن ماسبق لهم من الإيمان إيماننا إنما كان ادعاء باللسان من غير مواطاة القلب لأنه لو كان صادرا عن صحة  
معتقد وطمأينة نفس لم يتعقبه التولى والإعراض والتعريف في قوله بالمومنين دلالة على أنهم ليسوا بالمومنين الذين عرف  
وهم الثابتون المستقيمون على الإيمان الموصوفون في قوله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا معنى (إلى الله  
ورسوله) إلى رسول الله كقولك أعجبتني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله «غلسه قبل القطا وفرطه» أراد قبل  
فرط القطا روى أنها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض فجعل اليهودي يحجزه إلى رسول الله  
والمنافق يحجزه إلى كعب بن الأشرف ويقول إن محمداً يحيف علينا وروى أن المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن أبي طالب

قوله تعالى والله خالق كل دابة من ماء (قال فيه إن قلت لم نكر ماء ههنا وعرفه في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي قلت  
الغرض فيما نحن فيه أنه تعالى خالق كل دابة من نوع من الماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات بحسب اختلاف  
نطفها فمنها كذا ومنها كذا ونحوه قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وأما آية اقتراب فالغرض فيها  
أن أجناس الحيوانات كلها مخلوقة من هذا الجنس) قال أحمد وتحرير الفرق أن المقصد في الأولى إظهار الآية بأن شيئاً واحداً  
تكوّن منه بالقدرة أشياء مختلفة ذكر تفصيلها في آية النور والرد والمقصد في آية اقتراب أنه خلق الأشياء المنفكة في جنس  
الحياة من جنس الماء المختلف الأنواع فذكر معرفاً ليشمل أنواعه المختلفة فالآية في الأول لإخراج المختلف من المتفق والله أعلم

(قوله مكان الجحفة والمشر مكان الشفة) في الصحاح الجحفة للحافر كالشفة للإنسان اه أي لدى الحافر  
(قوله ومنه قوله غلسه قبل القطا) في الصحاح الغلس ظلمة آخر الليل والتغليس السير من الليل بغلس يقال غلسنا  
الماء أي وردناه بغلس

لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۚ أَتَى قُلُوبَهُمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَخِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۚ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ عَرَضَاتٍ وَمَا يَدْعُونَ بِإِلَهِهِمْ إِلَّا غُرُوبًا يَدْعُونَ إِلَى تَوَلَّى قِبَلِهِ لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ ثُمَّ لِيَنْزِلَ اللَّهُ بِهِمْ أَصْحَابُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ تُحْشَرُونَ ۚ قُلْ أَطِيعُوا

رضى الله عنه خصومة في ماء وأرض فقال المغيرة أما محمد فليست آتية ولا أحاكم إليه فإنه يبغضني وأنا أحاف أن يخيف علي (إليه) صلة يأتوا لأن أتى وجاء قد جاءا معديين يأتى أو يتصل بمذعنين لأنه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا حسن لتقدم صلتها ودلالته على الاختصاص والمعنى أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق المزو العدل البحت يزورون عن المحاكم إليك إذا ركبهم الحق لئلا تتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومتهم وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم ۚ ثم قسم الأمر في صدورهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بين أن يكربوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين الخيف في قضائه ثم أبطل خوفهم حيفة بقوله (بل أوائلكم هم الظالمون) أي لا يخافون أن يخيف عليهم لمعرفتهم بحاله وإنما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثمة يأتون المحاكم إليه وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب أقرى لأن أولى الأسمين بكرنه اسميا لكان أو غلها في التعريف وأن يقولوا أوغل لأنه لا سبيل عليه للتكبير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ۚ ما كان لله أن يتخذ من ولد ۚ ما يكون لنا أن نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول (فإن قلت) إلام أسند يحكم ولا بد له من فاعل (قلت) هو مستند إلى مصدره لأن معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما وألم بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فمن قرأ بينكم منصوبا أي وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاورة لقوله دعوا قرئ ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف تخفف كقوله قالت سليمان اشتربنا سويفا ولقد جمع الله في هذه الآية أسباب الفوز وعن ابن عباس في تفسيرها (ومن يطع الله) في فرائضه (ورسوله) في سنته (ويخش الله) على ماضى من ذنوبه (ويتقه) فيما يستقبل وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فليت له هذه الآية ۚ جهد يمينه مستعار من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وذلك إذا بالغ في اليمين وبالغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضى الله عنه من قال بالله جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم بجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا إلى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين أيمنهم و(طاعة معروفة) خبر مبتدا محذوف أو مبتدا محذوف الخبر أي أمركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخاص من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره لا إيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها أو طاعتكم معروفة بأنها بالقول دون الفعل أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة وقرأ يزيدى طاعة معروفة بالنصب على معنى أطيعوا طاعة (إن الله خير) يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرايركم وأنه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم ۚ صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات وهو أبلغ في تبكيتهم ۚ يريد فإن تولوا فاضررتهم وإنما ضررتهم أنفسكم فإن الرسول ليس عليه إلا ما حملة الله وكلفه من أداء الرسالة فإذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه وأما أتم فعليكم ما كلمتم من التلقى بالقبول والإذعان فإن لم تفعلوا ونوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وإن أظعنتموه

(قوله ما ذاب لهم في ذمة الخصم) في الصحاح ذاب لي عليه من الحق كذا إذا وجب وثبت



اللَّهُ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا  
الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا  
وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ نَعْلَمُ  
تُرْحَمُونَ ۝ لَا يُحْسِبُنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَعْجَزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَهُمْ إِلَّا نَارٌ وَلِبَئْسَ الْمَصِيرُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى الهدى فالنفع والضرر عائدان إليكم وما الرسول إلا ناصح وها هو ما عليه  
إلا أن يبلغ ماله نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم ۝ والبلاغ بمعنى التبليغ كالإداء بمعنى الأدية ۝ ومعنى المبين كونه  
مقرونا بالآيات والمعجزات ۝ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كاتى في آخر سورة الفتح  
وعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل بنى إسرائيل حين أورثهم مصر  
والشام بعد إهلاك الجبابرة وأن يمكن الدين المرأضى وهو دين الإسلام وتمكينه تثبيتته وتوطيده وأن يؤمن سرهم  
ويزيل عنهم الخوف الذى كانوا عليه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا  
كانوا بالمدينة يصبجون في السلاح ويمسكون فيه حتى قال رجل ما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله  
عليه وسلم لا تغربون إلا يسيرا حتى يجاس الرجل منكم الملاء العظيم محتيا ليس معه حديدة فأجز الله وعدهم وأظهرهم  
على جزيرة العرب وأفتحوها بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكايرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا  
ثم خرج الدين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الأنعم وفسقوا وذلك قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون  
سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بيزرى قطع سبيل وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها ۝ وقرئ كما  
استخلف على البناء المفعول وليبدلنهم بالثشديد (فإن قلت) أين القسم المتاقى باللام والذون فى (ليستخلفنهم) (قلت) هو  
مخذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو نزل وعده الله فى تحقيقه ۝ نزلة القسم فتاقى بما يتاقى به القسم كأنه قيل أقسم  
الله ليستخلفنهم (فإن قلت) ما محل (يعبدوننى) (قلت) إن جعلته استئنافا لم يكن له محل كأن قائلا قال ما لهم يستخلفون  
ويؤمنون فقل يعبدوننى وإن جعلته حالا عن وعدهم أى وعدهم الله فى حال عبادتهم وإخلاصهم فحله النصب (ومن  
كفر) يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بأنعم الله (فأوائك هم الفاسقون) أى هم الكاملون فى فسقهم حيث كفروا تلك  
النعمة العظيمة وجسروا على عمتها (فإن قلت) هل فى هذه الآية دليل على أمر الخلفاء الراشدين (قلت) أوضح دليل  
وأيدته لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم (وأقيموا الصلاة) معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وليس  
ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال لأن حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه وكثرت  
طاعة الرسول تأكيداً لوجوبها وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه أوجه أن يكون معجزين فى الأرض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن  
الذين كفروا أحدا يعجز الله فى الأرض حتى يطمعوا هم فى مثل ذلك وهذا معنى قوى جيد وأن يكون فيه ضمير الرسول لنقدم ذكره  
فى قوله وأطيعوا الرسول وأن يكون الأصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذى هو المفعول الأول  
وكان الذى سوغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله  
(وما وهم النار) على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله وما وهم النار والمراد بهم

(قوله ماله نفع فى قبولكم ولا عليه ضرر) عبارة النسقى فى قلوبكم (قوله لا تغربون إلا يسيرا) أى لا يتبعون أفاده الصحاح (قوله ثم  
تصير بيزرى قطع سبيل) فى الصحاح بزه يبزه بزاسبه والاسم البيزرى مثل الخصبى (قوله وجسروا على غمطها) أى احتقارها

لِيَسْتَأْذِنَ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوْفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ

المقسمون جهد أيمانهم ۝ أمر بأن يستأذن العبيد وقيل العبيد والإماء والأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار (ثلاث مرات) في اليوم والليلة قبل صلاة الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لأنها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلاة العشاء لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الأحوال عورة لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخال ومنها أعور الفارس وأعور المكان والأعور المختل العين ۝ ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله (طوافون عليكم) يعني أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة بطوافون عليكم للخدمة وطوافون عليهم للاستخدام فلو جزم الأمر بالاستئذان في كل وقت لآذى إلى الحرج وروى أن مدج بن عمرو وكان غلاماً أنصاريًا أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهر إلى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عند ثوبه فقال عمر لو ددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبنائنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق معه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية وهي إحدى الآيات المنزلة بسبب عمر رضي الله تعالى عنه وقيل نزلت في أسماء بنت أبي مرشد قالت إنا لندخل على الرجل والمرأة ولعلمنا بكرنان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرها وعن أبي عمرو الحلم بالسكون وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا عن ثلاث مرات أي أوقات ثلاث عورات وعن الأعمش عورات على لغة هذيل ۝ (فإن قلت) ما محل ليس عليكم (قلت) إذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان وإذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقتررا للأمر بالاستئذان في تلك الأحوال خاصة (فإن قلت) بم ارتفع (بعضكم) (قلت) بالابتداء وخبره (على بعض) على معنى طائف على بعض وحذف لأن طوافون يدل عليه ويجوز أن يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة (الأطفال منكم) أي من الأحرار دون المماليك (الذين من قبلهم) يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية والمعنى أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن وروينا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الإذن وإني لأمر جارتي أن تستأذن علي وسأله عطاء أستأذن علي أخني قال نعم وإن كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات جمدهن الناس الإذن كله وقوله إن أكرمكم عند الله أتقاكم فقال ناس أعظمكم بيتا وقوله وإذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم أن تستأذنوا على آباءكم وأمهاتكم وأخواتكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقليل له إن

(قوله ومنها أعور الفارس) في الصحاح أعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب (قوله وقيل نزلت في أسماء بنت أبي مرشد) لعله مرثدا في عبارة النسفي

الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ  
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ

الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله ما هي منسوخة ولكن الناس  
تهاونوا بها (فإن قلت) ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ (قلت) قال أبو حنيفة ثمان عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في  
الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن علي رضي الله عنه أنه كان يعتبر القامة ويقدر بخمسة أشبار وبه أخذ  
الفرزدق في قوله مازال مذ عقدت يده إزاره ۝ فما فأدرك خمسة الأشبار

واعتبر غيره الإنبات وعن عثمان رضي الله عنه أنه سئل عن غلام فقال هل اخضر إزاره ۝ القاعد التي قعدت  
عن الحيض والولد لكبرها (لا يرجون نكاحا) لا يطمعن فيه ۝ والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة  
والجلاب الذي فوق الخمار (غير متبرجات بزينة) غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي أرادها في قوله ولا يبدن  
زينةن إلا لبعوثهن أو غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف إذا احتججن إليه والاستغفاف من الوضع خير لمن  
لما ذكر الجائر عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار أفضل الأعمال وأحسنها كقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وأن تصدقوا  
خير لكم (فإن قلت) ما حقيقة التبرج (قلت) تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه من قولهم سفينة بارح لا غطاء عليها والبرج سعة  
العين يرى بياضها محيطاً بسوادها كله لا يغيب منه شيء إلا أنه اختص بأن تكشف المرأة للرجال بإبداء زينتها وإظهار  
محاسنها وبدا ورز بمعنى ظهر من أخوات تخرج وتناج كذلك ۝ كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات إلى  
بيوت أزواجهم وأولادهم وإلى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها نخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة  
في ذلك وخافوا أن يلحقهم فيه حرج وكرهوا أن يكون أكلا بغير حق لقوله تعالى ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل  
فقبل لهم ليس على الضعفاء ولا على أنفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة  
كانت الأنصار في أنفسها قزاة فكانت لاتأكل من هذه البيوت إذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس  
ومواكلتهم لماعسى يؤدي إلى الكراهة من قبلهم ولأن الأعمى ربما سبقت يده إلى ما سبقت عين أكله إليه وهو  
لا يشعر والأعرج يتفصح في مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جلسيه والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي أو جرح  
بيض أو أنف يذن ونحو ذلك وقيل كانوا يخرجون إلى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح  
ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتخرجون حكي عن الحرث بن عمرو أنه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد  
في بيته وماله فلما رجع رآه مجهداً فقال ما أصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي أن آكل من مالك فقبل ليس على  
هؤلاء الضعفاء حرج فيما تخرجوا عنه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك إذا فرس بأن  
هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم أن تأكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين في أن كل واحدة

۝ قوله تعالى والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة  
وأن يستعففن خير لهن ۝ قرر الزمخشري هذه الآية على ظاهرها ۝ وبظهورى والله أعلم أن قوله تعالى غير متبرجات  
بزينة من باب ۝ على لا يحب لا يهتدى بمناره ۝ أى لا منار فيه فيهتدى به وكذلك المراد هنا والقواعد من النساء اللاتي  
لا زينة لهن فيتبرجن بها لأن الكلام فيمن هي بهذه المثابة وكأن الغرض من ذلك أن هؤلاء استعففهم عن وضع الثياب  
خير لهن فما ظلك بذوات الزينة من الثياب وأبلغ ما في ذلك أنه جعل عدم وضع الثياب في حق القواعد من الاستغفاف

(قوله في أنفسها قزاة) في الصحاح القزاة النطس والتباعد عن الدنس وفيه التنطس المبالغة في النظير (قوله أو جرح  
بيض أو أنف يذن) أى يسيل قليلاً قليلاً ويذن أى يسيل مخاطه أفاده الصحاح

أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ يَبُوتِكُمْ أَوْ يَبُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ يَبُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ يَبُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ يَبُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ يَبُوتِ  
 أَعْمَامِكُمْ أَوْ يَبُوتِ عَمَمَتِكُمْ أَوْ يَبُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ يَبُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ يَبُوتِ مَمْلُوكَتِكُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ  
 عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ

منهما منى عنها الحرج ومثال هذا ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر  
 فقلت ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق على النحر (فان قلت) هلا ذكر الاولاد (قلت)  
 دخل ذكرهم تحت قوله (من بيوتكم) لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه  
 وان ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد اقرب بمن عدد من القرابات  
 فاذا كان سبب القرابة هو القرابة كان الذي هو اقرب منهم اولى (فان قلت) ما معنى (او ما ملكتم مفاتيحه) (قلت)  
 اموال الرجل اذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له ان ياكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتيح كرها  
 في يده وحفظه وقيل بيوت الممالك لان مال العبد لمولاه وقرئ مفاتيحه (فان قلت) فما معنى (او صديقكم) (قلت)  
 معناه اوبيوت اصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليل والقطين والعدو يحكى عن الحسن انه دخل داره  
 واذا حلقة من اصدقائه وقد استلوا اسلانا من تحت سريره فيها الخبيص واطياب الاطعمة وهم مكبون عليها باكلون فتهلت اسارير  
 وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لفهيم من البدر بن رضى الله عنهم وكان  
 الرجل منبه يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريتته كيسه فيأخذ منه ماشاء فاذا حضر مولاه فأخبرته أعتقها  
 سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما من عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة  
 والانساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس رضى الله عنهما الصديق اكبر من  
 الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا  
 دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الإذن الصريح وربما سمح الاستئذان وثقل كمن قدم إليه طعام فاستأذن  
 صاحبه في الأكل منه (جميعا أو اشتاتا) أى مجتمعين أو متفرقين نزلت في بنى ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتخرجون ان  
 يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره إلى الليل فإن لم يجد من يواكله أكل ضرورة وقيل في قوم من الانصار اذا  
 نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا مع ضيفهم. وقيل تخرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل وزيادة  
 بعضهم على بعض (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت لنا كلوا فبذتوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة (تحية

ليذانا بأن وضع الثياب لا مدخل له في العفة هذا في القواعد فكيف بالكواعب والله أعلم قوله تعالى ولا على أنفسكم  
 أن تأكلوا من بيوتكم إلى قوله تعالى أو صديقكم (قال الصديق يكون واحدا وجمعا والمراد هنا الجمع) قال أحمد وقد قال  
 الزمخشري إن سر إفراده في قوله تعالى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم دون الشافعين التنبيه على قلة الاصدقاء  
 ولا كذلك الشافعون فإن الإنسان قد يحصى له ويشفع في حقه من لا يعرفه فضلا عن أن يكون صديقا ويحتمل  
 في الآيتين والله أعلم أن يكون المراد به الجمع فلا كلام ويحتمل أن يراد الأفراد فيكون سره ذلك والله أعلم  
 ه قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة (قال معناه فسلموا على الجنس الذي هو منكم دينا  
 وقرابة) قال أحمد وفي التعبير عنهم بالانفس تنبيه على السر الذي اقتضى إباحة الأكل من هذه البيوت المعدودة وأن ذلك إنما  
 كان لأنها بالنسبة إلى الداخل كبيت نفسه لاتحاد القرابة فليطب نفسا بالبساط فيها والله أعلم

(قوله لنا كلوا فبذتوا بالسلام) كذا في الاصل المنقول منه

يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ  
لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ  
شَأْنِهِمْ فَاذْنَلْ مِنْهُمْ ۚ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ

من عند الله) أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه أولان التسليم والنجية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله  
ووصفها بالبركة والطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن أنس رضى الله  
عنه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروى تسع سنين فما قال لى لىء فعلته لم فعلته ولا قال لى لىء  
كسرته لم كسرته وكنت واقفا على رأسه أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنفع بها قلت  
بلى أبى وأمى يارسول الله قال متى لقيت من أمتى أحدا فسلم عليه بطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثرك خير  
بيتك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأوابين وقالوا إن لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام  
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس إذا دخلت المسجد فقل السلام علينا  
وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية بسلموا لأنها فى معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا ۝ أراد عز وجل  
أن يريهم عظم الجناية فى ذهاب الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغير إذنه (إذا كانوا معه على أمر  
جامع) فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره  
وذلك مع تصدير الجملة بانما وإيقاع المؤمنين مبتدا مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمان ثم عقبه بما يريد  
توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه  
شيا آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمان وعرض بحال المنافقين وتسللهم لو اذا ۝ ومعنى قوله (ثم  
يذهبوا حتى يستأذنه) لم يذهبوا حتى يستأذنه ويأذن لهم الأتراه كيف علق الأمر بعد وجود استئذانهم بمشيئته وإذنه  
لمن استصوب أن يأذنه ۝ والأمر الجامع الذى يجمع له الناس فوصف الأمر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة  
عدو أو تشاور فى خطب مهم أو تضام لإرهاب مخالف أو تسامح فى حلف وغير ذلك أو الأمر الذى يعم بضرره أو ينفعه ۝  
وقرى أمر جميع وفى قوله إذا كانوا معه على أمر جامع أنه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من  
ذوى رأى وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضىء بأرائهم ومعارفهم وتجاربهم فى كفايته ففارقة أحدهم فى مثل تلك  
الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رأيه فمن ثمة غاظ عليهم وضيق عليهم الأمر فى الاستئذان مع العذر المبسوط ومساس  
الحاجة إليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله (لبعض شأنهم) ۝ وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الأحسن  
الأفضل أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه وقيل نزلت فى حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير إذن وقالوا  
كذلك يذنبى أن يكون الناس مع أئمتهم ومقدمهم فى الدين والعلم بظاهرونهم ولا يتخذونهم فى نازلة من النوازل ولا يتفرقون  
عنهم والأمر فى الإذن مفوض إلى الإمام إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه رأيه ۝ إذا احتاج رسول الله  
صلى الله عليه وسلم إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تفرقوا عنه إلا بإذنه ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضا  
ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعى أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذى سماه  
به أبواه ولا تقولوا يا محمد ولسكن يابى الله ويارسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا  
دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فرجا أجابه وربما رده قال دعوات رسول الله

(قوله وجعلهما كالتشبيب له) فى الصحاح التشبيب النسب يقال هو يشبب بفلانة أى ينسب بها

بَعْضُكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلِيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِلَّا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝

### سورة الفرقان مكية

إلا الآيات ۶۸ و ۶۹ و ۷۰ فمدنية وآياتها ۷۷ نزلت بعد يس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ

صلى الله عليه وسلم مسموعة مستجابة (يتسألون) ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل ۝ واللواذ الملاوذة وهو أن يلوذ هذا بذلك وذلك بهذا يعني ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض و (لواذا) حال أى ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل إذا استأذن فيأذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواء بالفتح ۝ يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه ومنه قوله تعالى وما يريد أن أخالفكم إلى ما أنها كم عنه وخالفه عن الأمر إذا صدعته دونه ومعنى (الذين يخالفون عن أمره) الذين يصتدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه ۝ الضمير في أمره لله سبحانه أول للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى عن طاعته ودينه (فتنة) محنة في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) في الآخرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما فتنة قتل وعن عطاء زلازل وأهوال عن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر ۝ أدخل قديو كدعله بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد وذلك أن قد إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها إلى معنى التكثير في نحو قوله:

فإن تمس مهجور الفناء فربما ۝ أقام به بعد الوفود وفود

ونحوه قول زهير: أخى ثقة لانمك الحرماله ۝ ولكنه قديك المال نائله

والمعنى أن جميع ما في السموات والأرض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون سترها عن العيون وإخفاؤها ۝ وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء أعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله (قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه) يجوز أن يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التور أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن وه مؤمنة فيما مضى وفيما بقى

### (سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ۝ البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله ۝ والفرقان مصدر فرق بين الشيتين إذا فصل بينهما وسمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل أول لأنه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعضه في الإنزال ألا ترى إلى قوله وقرأنا فرقناه لتقرأه

### (القول في سورة الفرقان)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ۝ قوله تعالى « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده » (قال يجوز أن يراد بوصفه بالفرقان تفريقه بين الحق والباطل ويجوز أن يراد نزوله مفترقا شيئا فشيئا كما قال وقرأنا فرقناه) قال أحمد والأظهر ههنا هو المعنى

وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ۚ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ  
 إِلَهًا لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا  
 نُشُورًا ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا إِفْكٌ أُفْكِرْتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۚ  
 وَقَالُوا اسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أ كُتِبَ عَلَيْهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ

على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال ۚ ومشركى كافر بالفرق ۚ وعن ابن الزبير رضى الله عنه  
 على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقته كما قال لقد أنزلنا إليكم قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ۚ والضمير في (ليكون)  
 لعبده أو للفرقان ويعضد رجوعه إلى الفرقان قراءة ابن الزبير (للعالمين) للجن والإنس (نذيرا) من ذرا أى مخزفا أو إنذارا  
 كالسكير بمعنى الإنكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر (الذى له) رفع على الإبدال من الذى نزل أو رفع على المدح  
 أو نصب عليه (فإن قلت) كيف جاز الفصل بين البديل والمبدل منه (قلت) ما فصل بينهما شىء لأن المبدل منه عدته نزل وليكون  
 تعليل له فكان المبدل منه لم يتم إلا به (فإن قلت) فى الخلق معنى التقدير فمعنى قوله (وخلق كل شىء فقدره تقديرا) كأنه قال وقدر  
 كل شىء فقدره (قلت) المعنى أنه أحدث كل شىء إحداثا مراعى فيه التقدير والنسوية فقدره وهياه لما يصلح له مثاله أنه خلق  
 الإنسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذى تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به فى بابى الدين والدنيا وكذلك كل حيوان  
 وجماد جاء به على الجبلبة المستوية المقدره بأمثلة الحكمة والتدبير فقدره لأمر ما ومصلحة مطابقة لما قدره غير متجاف عنه  
 أو سبى إحداث الله خلقا لأنه لا يحدث شيئا لحكمته إلا على وجه التقدير من غير تفاوت فإذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة  
 قولك أحدث وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل شىء فقدره فى إيجادها لم يوجده متفاوتا  
 وقيل لجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء إلى أمد معلوم ۚ الخلق بمعنى الافتعال كما فى قوله تعالى إنما تعبدون من  
 دون الله آوثانا ونخلقون إفكا والمعنى أنهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا يعجز أبين من عجزهم لا يقدر  
 على شىء من أفعال الله ولا من أفعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لأن عبدتهم يصنعونهم بالحث والتصوير  
 (ولا يملكون) أى لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها أو جلب نفع إليها وهم يستطيعون وإذا عجزوا عن الافتعال  
 ودفع الضرر وجلب النفع التى يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التى لا يقدر عليها إلا الله أعجز (قوم  
 آخرون) قيل هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمى وأبو فكيهة الرومى  
 قال ذلك النضر بن الحرث بن عبدالدار ۚ جاء وأتى يستعملان فى معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى وردوا  
 ظلما كما تقول جئت المكان ويجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل ۚ وظلمهم أن جعلوا العربى يتلقن من العجمى الرومى  
 كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب ۚ والزور أن يهتوه بنسبة ما هو برئ منه إليه (أساطير الأولين) ماسطره  
 المتقدمون من نحو أحاديث رستم وأسفنديار جمع أسطار أو أسطورة كأحدوثه (اكتتبها) كتبها لنفسه وأخذها كما تقول  
 استكب الماء واصطبه إذا سكبها وصبه لنفسه وأخذها وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لأنه  
 كان أميا لا يكتب بيده وذلك من تمام إعجازه ثم حذفت اللام فأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب  
 كقوله واختار موسى قومه ثم بنى الفعل للضمير الذى هو إياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد أن كان بارزا منصوبا وبقى

الثانى لأن فى أثناء السورة بعد آيات وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة قال الله تعالى كذلك أى أنزلناه مفرقا  
 كذلك لنثبت به فؤادك فيكون وصفه بالفرقان فى أول السورة والله أعلم كالمقدمة والنوطة لما يأتى بعد

(قوله وقد جاء الفرق بمعناه) فى الصحاح والفرق أيضاً الفرقان ونظيره الخسر والخسران قال الراجز ومشركى الخ

وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ  
إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ۝ أَوْ يُبْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا  
رَجُلًا مَسْحُورًا ۝ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ  
لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ

ضمير الاساطير على حاله فصار اكتبها كما ترى (فإن قلت) كيف قيل اكتبها (فهى تملى عليه) وإنما يقال أمليت عليه فهو يكتبها (قلت) فيه وجهان أحدهما أراد اكتبها أو طلبه فهى تملى عليه أو كتبت له وهو أسمى فهى تملى عليه أى تلقى عليه من كتابه يتحفظها لأن صورة الالقاء على الخافض كصورة الإلقاء على الكاتب وعن الحسن أنه قول الله سبحانه يكذبهم وإنما يستقيم أن لو فتحت الهمزة للاستفهام الذى فى معنى الإنكار ووجهه أن يكون نحو قوله

أفرح أن أرزأ الكرام وأن ۝ أورث ذودا شصائصا نبلا

وحق الحسن أن يقف على الأولين (بكرة وأصيلا) أى دائما وفى الخفية قبل أن ينتشر الناس وحين يأوون إلى مساكنهم أى يعلم كل سر خفى فى السموات والأرض ومن جملته ما تسرونه أتم من السكيد لرسوله صلى الله عليه وسلم مع علمكم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراهمه مما تهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه (فإن قلت) كيف طابق قوله (إنه كان غفورا رحيمًا) هذا المعنى (قلت) لما كان ما تقدمه فى معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم إنه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل ۝ وقعت اللام فى المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربى وخط المصحف سنة لا تغير وفى هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطعن كأنهم قالوا ما لهذا الزاعم أنه رسول ونحوه قول فرعون إن رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون أى إن صح أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا (ياكل الطعام) كما ناكل ويتردد فى الأسواق لطلب المعاش كما تتردد يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش ۝ ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا إلى اقتراح أن يكون إنسانا معه ملك حتى يتساندا فى الإبدار والتخويف ۝ ثم نزلوا أيضا قالوا وإن لم يكن مرفودا بلك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهره ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش ۝ ثم نزلوا فاقنعوا بأن يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرزق كما الدهاقين والمياسير أو يأكلونهم من ذلك البستان فينتفعون به فى دنياهم ومعاشهم ۝ وأراد بالظالمين إياهم بأعيانهم ووضع الظاهر موضع المضمرة يسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع أو يكون له جنة بالياء وتأكل بالنون (فإن قلت) ما وجه الرفع والنصب فى فيكون (قلت) النصب لأنه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على أنه معطوف على أنزل ومحل الرفع الأثران تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى وتكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيما لانهما فى حكم الواقع بعد لولا ولا يكون إلا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحرث وعبدالله بن أبى أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم (مسحورا) سحر فغلب على عقله أو ذاسحر وهو الرثة عنوا أنه بشر لا ملك (ضربوا لك الأمثال) أى قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال النادرة من نبوة مشتركة بين إنسان وملك وإلقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا إليه ۝ تنكأ خير (الذى إن شاء) وهب لك فى الدنيا (خيرا) مما قالوا وهو أن يعجل لك مثل ما وعدك

(قوله وإن أورث ذودا شصائصا جمع شصوص بالفتح وهى الناقفة القليلة اللبن (قوله سخرية منهم وطعن) فى الصحاح الطن السخرية



بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝ إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ۝ وَإِذَا أَلْقَا مِّنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقْرِنِينَ  
دَعَوْا هُنَاكَ ثُبُورًا ۝ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ۝ قُلْ أَذْكَاءَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي  
وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ۝ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ۝ وَيَوْمَ

في الآخرة من الجنات والقصور ۝ وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لأن الشرط إذا وقع ماضياً جاز في جزائه الجزم  
والرفع كقوله وإن أتاه خليل يوم مسئلة ۝ يقول لا غائب مالي ولا حرم

ويجوز في ويجعل لك إذا أدغمت أن تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعاً وقرئ بالنصب على أنه جواب الشرط  
بالواو (بل كذبوا) عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز أن يتصل  
بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة  
وهم لا يؤمنون بالآخرة ۝ السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن رضى الله عنه أنه اسم من أسماء جهنم (رأتهم)  
من قولهم دورهم تترأى وتتناظر ومن قوله صلى الله عليه وسلم لا ترا أى نارهما كأن بعضها يرى بعضها على سبيل المجاز  
والمعنى إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز أن يراد  
إذ رأتهم زبانيته تغيطوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة  
ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والأرض وجاء في الأحاديث أن لكل مؤمن من القصور والجنان كذا  
وكذا ولقد جمع الله على أهل النار أنواع التضيق والإرهاق حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روى  
عن ابن عباس رضى الله عنهما في تفسيره أنه يصيق عليهم كما يصيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون  
في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع وقيل بقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الاصفاد ۝ والثبور  
الهلاك ودعاؤه أن يقال واثبورا أى تعال ياثور فهذا حينك وزمانك (لاندعوا) أى يقال لهم ذلك أو هم أحقاء بأن  
يقال لهم وإن لم يكن ثمة قول ومعنى (وادعوا ثبوراً كثيراً) أنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحداً وإنما هو ثبور كثير  
إمالة العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدة وفضاعته أو لأنهم كلما فضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم  
الراجع إلى الموصولين محذوف يعنى وعدما المتقون وما يشاؤون وإنما قيل كانت لأن ما وعده الله وحده فهو في تحققة  
كأنه قد كان أو كان مكتوباً في اللوح قبل أن يراهم بأزمة متطاولة أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم (فإن قلت) ما معنى قوله  
(كانت لهم جزاء ومصيراً) (قلت) هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقاً فمدح الثواب ومكانه كما قال بمس الشراب  
وسامت مرتفقاً فذم العقاب ومكانه لأن النعيم لا ينم للنعيم إلا بطيب المكان وسعته وموافقته للراد والشهوة وإن لا تنقص  
وكذلك العقاب يتضاعف بغثائه الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لأسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع  
ذكر الجزاء والضمير في (كان) لما يشاؤون والوعد الموعود أى كان ذلك موعوداً واجبا على ربك لإنجازه حقيقة أن  
يسئل ويطلب لأنه جزاء وأجر مستحق وقيل قد سأله الناس والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك

۝ قوله تعالى إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً (قال فيه هو من قولهم دورنى فلان تترأى على المجاز)  
قال أحمد لا حاجة إلى حمله على المجاز فإن رؤية جهنم جائزة وقدرة الله تعالى صالحة وقد أظفرت الظواهر على وقوع  
هذا الجائز وعلى أن الله تعالى يخلق لها إدرا كحسباً وعقليا الأثرى إلى قوله سمعوا لها تغيظاً وإلى حاجتها مع  
الجنة وإلى قولها هل من مزيد وإلى اشتكاها إلى ربها فأذن لها في نفسين إلى غير ذلك من الظواهر التي لا سبيل إلى  
تأويلها إذ لا يحوج إليه ولو فتح باب التأويل والمجاز في أحوال المعاد لتطوح الذي يسلك ذلك إلى وادى الضلالة والتحيز

(قوله يتضاعف بغثائه الموضع) أى فساده وردائه والاجتواء كراهة المقام بالمكان أفاده الصحاح

يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِيهِ قَوْلٌ أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هُوَ لَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ۝ يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين ( وما يعبدون ) يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلي الأصنام ينطقها الله ويجوز أن يكون عاما لهم جميعاً (فان قلت) كيف صح استعمال ما في العقلاء (قلت) هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك إذا رأيت شجرا من بعيد ما هو فإذا قيل لك إنسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل أو أريد به الوصف كأنه قيل ومعبودهم ألا تراك تقول إذا أردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعنى أطويل أم قصير أفضيه أم طيب ( فان قلت ) ما فائدة أنتم وهم وهلا قبل أضللتهم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل (قلت) ليس السؤال عن الفعل ووجوده لأنه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وإنما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وإبلائه حرف الاستفهام حتى يعلم أنه المسؤل عنه ( فان قلت ) فإله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤل عنه فما فائدة هذا السؤال ( قلت ) فإله أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يسكت عبادتهم بتكذيبهم إياهم فيبهتوا وينخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغضب المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك وليكرن حكاية ذلك في القرآن لطعاً للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم أن الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أنتم أضللتموهم أم هم ضلوا بأنفسهم فيتبرؤن من إضلالهم ويستعبدون به أن يكرنوا مضلين ويقولون بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجدلوا النعمة التي حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فإذا رأت الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الإضلال الذي هو عمل الشياطين إليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغنى العدل أشد تبرئة وتزيباً منه ولقد نزوه حين أضافوا إليه التفضل بالنعمة والتمتع بها وأسندوا نسيان الذكر والتسبب به للوار إلى الكفرة فشرحو الإضلال المجازي الذي أسنده الله إلى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم والمعنى أنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق أم هم ضلوا عنه بأنفسهم ۝ وضل مطاوع أضله وكان القياس ضل عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والأصل إلى الطريق وللطريق وقولهم أضل البعير في معنى جعله ضالاً أي ضائعاً لما كان أكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل أضله سواء كان منه فعل أو

إلى فرق الفلاسفة فالحق أنا متعبدون بالظاهر مالم يمنع مانع والله أعلم ۝ قوله تعالى ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله إلى قوله قوما بورا ( قال ) في هذه الآية كسر بين لمن يزعم أن الله تعالى يضل عباده حقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أنتم أضللتهم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا بأنفسهم فيتبرؤن منهم ويستعبدون مما نسب إليهم ويقولون بل تفضلت على هؤلاء أوجب أن جعلوا عوض الشكر كفرة فإذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من ذلك فهم لله أشد تبرئة وتزيباً منه ولقد نزوه حين أضافوا التفضل بالنعمة إلى الله تعالى وأسندوا الضلال الذي نشأ عنه إلى الضالين فهو شرح للإسناد المجازي في قوله يضل من يشاء ولو كان مضلاً حقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم ( قال أحمد ) قد تقدم شرح عقيدة أهل الحق في هذا المعنى وأن الباعث لهم على اعتقاد كون الضلال من خلق الله تعالى التزامهم للتوحيد المحض والإيمان بالصرف الذي دل على صحته بعد الأدلة العقلية قوله تعالى الله خالق كل شيء والضللال شيء فوجب كونه خالقه هذا من حيث العموم وأما من حيث الخصوص فأمثال قوله تعالى يضل من يشاء ويهدى

( قوله هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ) لعله أم ضلوا كعبارة النسفي ( قوله فيبهتوا وينخذلوا وتزيد حسرتهم ) يدهشوا أو يتحيروا أفاده الصحاح ( قوله لقول من يزعم أن الله ) يريد أهل السنة القائلين لإضلال الله لعباده خلق الضلال في قلوبهم خلافاً للمعتزلة القائلين أنه تعالى لا يخلق الشر ولا يريده

مَا كَانَ يَدْبِغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ه فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ه

لم يكن (سبحانك) تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لأنهم ملائكة وأنبياء معصومون فما أبعدهم عن الإضلال الذي هو مختص بإبليس وحزبه أو نطقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المسبحون المنتقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده أو قصدوا به تنزيهه عن الأنداد وأن يكون له نبي أو ملك أو غيرها ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون أن نتولى أحداً دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك أو ما كان ينبغي لنا أن نكون أمثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان يريد الكفرة والذين كفروا أولياءهم الطاغوت وه أ أبو جعفر المديني نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل أعي اتخذ يتعدى إلى مفعول واحد كقولك اتخذ ولياً وإلى مفعولين كقولك اتخذ فلانا ولياً قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الأرض وقال واتخذ الله إبراهيم خليلاً فالقراءة الأولى من المتعدى إلى واحد وهو من أولياء والأصل أن تتخذ أولياء فزيدت من لنا كيد معنى النفي والثانية من المتعدى إلى مفعولين فالأول ما بنى له الفعل والثاني من أولياء ومن للتبويض أى لا تتخذ بعض أولياء وتنكير أولياء من حيث أنهم أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام والذكر ذكر الله والإيمان به أو القرآن والشرائع ه والبور الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز أن يكون جمع بائر كعائد وعود ه هذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ه ثم القبول فقد جئنا خراسانا

ه وقرئ يقولون بالياء والياء فعنى من قرأ بالياء فقد كذبوكم بقولكم أنهم آلهة ومعنى من قرأ بالياء فقد كذبوكم بقولهم

من تشاء والأصل الحقيقة وقول موسى عليه السلام إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء فلو كان الإضلال مستحيلاً على الله تعالى لما جاز أن يخاطبه التكليم بما لا يجوز فإذا أوضح ذلك فالملائكة لم يسئلوا في هذه الآية عن المضل لعبادهم حقيقة فيقال لهم من أضل هؤلاء وإنما قيل لهم أنتم أضللتموهم أم هم ضلوا فليس الجواب المطابق العتيد أن يقولوا أنت أضللتم ولو كان معتقدهم أن الله تعالى هو المضل حقيقة لكان قولهم في جواب هذا السؤال بل أنت أضللتم مجاوزة لمخ السؤال ومحلله وإنما كان هذا الجواب مطابقاً لو قيل لهم من أضل عبادي هؤلاء فقد وضح أن هذا السؤال لا يجاب عنه بما تخيله المخشري بتقدير أن يكون معتقدهم أن الله تعالى هو الذى أضلهم وأن عدوهم عنه ليس لأنهم لا يعتقدونه ولكن لأنه لا يطابق وقد بقى وراء ذلك نظري أن جوابهم هذا يدل على معتقدهم الموافق لأهل الحق لأن أهل الحق يعتقدون أن الله تعالى وإن خلق لهم الضلالة إلا أن لهم اختياراً فيها وتميزاً لها ولم يكونوا عليها مقسورين كما هم مقسورون على أفعال كثيرة يخلقها الله فيهم كالحركات الرعشية ونحوها وقد قدمنا في مواضع أن كل فعل اختياري له نسبتان إن نظر إلى كونه مخلوقاً فهو منسوب إلى الله تعالى وإن نظر إلى كونه اختيارياً للعبد فهو منسوب إلى العبد وبذلك قطعت الملائكة في قولهم بل متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر فنسبوا نسيان الذكر إليهم أى الإلهام في الشهوات الذى نشأ عنه النسيان لأنهم اختاروه لأنفسهم فصدقت نسبته إليهم ونسبوا السبب الذى اقتضى نسيانهم وانهما كهم في الشهوات إلى الله تعالى وهو استدراجهم ببسط النعم عليهم فيها ضلوا فلا تنافى بين معتقد أهل الحق وبين مضمون قول الملائكة حينئذ بل هما متواطئان على أمر واحد والله أعلم

(قوله هذه المفاجأة بالاحتجاج) التى فى قوله تعالى فقد كذبوكم

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَسُكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ۝ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَسُكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ

سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء (فإن قلت) هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء (قلت) إى والله هى مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهى مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ يستطيعون بالتاء والياء أيضاً يعنى فما تستطيعون أتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم إنه ليتصرف أى يخال أو فما يستطيع آهنتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو أن يخالوا لكم ۝ الخطاب على العموم للمكلفين ۝ والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله إن الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ۝ وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله أو ضمير مصدر يظلم ۝ الجملة بعد الإضافة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين إلا آكلين وماشين وإنما حذف اكتفاء بالجار والمجرور أعنى من المرسلين ونحوه قوله عز من قائل وما منا إلا له مقام معلوم على معنى وما منا أحد ۝ وقرئ ويمشون على البناء للمفعول أى تمشيهم حوائجهم أو الناس ولو قرئ يمشون لكان أوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق (فتنة) أى محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه واستبدعوه من أكله الطعام ويمشى في الأسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم أيها الناس ببعض والمعنى أنه ابتلى المرسلين بالمرسل إليهم وبمناصبتهم لهم العداوة وأقويلهم الخارجة عن حد الإنصاف وأنواع أذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور وهو وقع (أتصبرون) بعد ذكر الفتنة موقع أيكم بعد الابتلاء في قوله ليلوكم أيكم أحسن عملاً (بصيراً) عالماً بالصواب فيما يبتلى به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفك أقويلهم فإن في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له عما عير به من الفقر حين قالوا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة وأنه جعل الأغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وأنها حكمتهم وشيئته يعنى من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لأنك لو كنت غنياً صاحب كنوز وجزان لكان ميلهم إليك وطاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا وإنما بعثناك فقيراً ليكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوى وقيل كان أبوجهل والوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل ومن في طبقتهم يقولون إن أسلنا وقد أسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا إدلالاً بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض ۝ أى لا يأملون لقاءنا بالخبر لأنهم كفرة أو لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون الله وقاراً جعلت الصيرورة إلى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقياً ۝ اقترحوا من الآيات أن ينزل الله عليهم الملائكة فنخبرهم بأن محمداً صادق حتى يصدقوه أو يروا الله جهره في أمرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو إما أن يكونوا عالمين بأن الله لا يرسل الملائكة إلى غير الأنبياء وأن الله لا يصح أن يرى وإنما علقوا إيمانهم بما لا يكون وإما أن لا يكونوا عالمين بذلك وإنما أرادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحججة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن تؤمن لك حتى نرى الله جهره (فإن قلت) ما معنى (في أنفسهم) (قلت) معناه أنهم أضمرُوا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه (وعتوا) وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان ۝ وقد وصف العتو بالكبير فبالغ

(قوله ولو قرئ يمشون لكان أوجه) مبنياً للفاعل وفي نسخة يمشون (قوله لا يصح أن يرى) هذا مذهب

وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ۝ وَقَدَّمْنَا إِلَىٰ مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ مُّجْعَلًا ۝ هَبَاءً مُّثَوَّرًا ۝ اصْحَابِ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مَّسْتَقْرَرًا ۝ وَاحْسِنُوا قِيَالًا ۝ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّ ۝ وَنُزُلِ الْمَلَائِكَةِ تَنْزِيلًا ۝ الْمَلِكِ يَوْمَئِذٍ الْحَقِّ

في افراطه يعني أنهم لم يحسروا على هذا القول العظيم إلا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفي أسلوبها قول القائل

وجارة جساس أبانا بناها ۝ كليا غلت ناب كليب بواؤها

وفي نحو هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب الاترى أن المعنى ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم وما أغلى نابابواؤها كليب (يوم يرون) منصوب بأحدثين إما بمادل عليه لا بشرى أى يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى أو يعدمونها ويومئذ لتكرير وإما بإضمار اذكر أى اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال (لا بشرى يومئذ للجرمين) وقوله للجرمين إما ظاهر في موضع ضمير وإما لأنه عام فقد تناولهم بعمومه (حجراً محجوراً) ذكره سيديويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروك إظهارها نحو معاذ الله وقعدك الله وعمرك الله وهذه كلمة بانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتوراً وهجراً نازلة أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيديويه ويقول الرجل للرجل أتفعل كذا وكذا فيقول حجراً وهى من حجره إذا منعه لأن المستعبد طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك منعاً ويحجره حجراً ويجيئه على فعل أو فعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وأنشدت لبعض الرجاز قالت وفيها حيدة وذعر ۝ عوذ بربي منكم وحجر

(فإن قلت) فإذا قد ثبت أنه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجور (قلت) جاءت هذه الصفة لنا كيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مانت والمعنى في الآية أنهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم إذا رأوهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا القاءهم وفزعوا منهم لأنهم لا يلقونهم إلا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو والموتور وشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراماً محرماً عليكم الغفران والجنة والبشرى أى جعل الله ذلك حراماً عليكم ۝ ليس ههنا قدوم ولا ما يشبهه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم إلى أشياءهم وقصد إلى ماتحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثراً ولا عثيراً ۝ والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي أمثالهم أقل من الهباء (مثوراً) صفة للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده وأنه لا ينتفع به ثم بالمشور منه لأنك تراه منتظماً مع الضوء فإذا حركته الريح رأيت أنه قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف ما كرل لم يكف أن شبههم بالعصف حتى جعله مؤوفاً بالآ كال ولأن شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثراً أو مفعول ثالث لجعلناه أى جعلناه جامعاً لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين أى جامعين للسخ والخس والام الهباء وأوبدليل الهبوة ۝ المستقر المكان الذى يكونون فيه كثيراً وقتهم مستقرين يتجالسون ويتحدثون ۝ والمقيل المكان الذى يأوون إليه للاستراحة إلى أزواجهم والتمتع بمغازلتهم وملاستهم كما أن المترفين فى الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروى أنه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك

المعتزلة وعند أهل السنة يصح أن يرى (قوله نحو معاذ الله وقعدك الله) فى الصحاح وقولهم قعدك لا آتيك وقعدك الله لا آتيك وقعدك الله لا آتيك يمين للعرب وهى مصادر استعملت منصوبة بفعل مضمر والمعنى بصاحبك الذى هو صاحب كل نجوى كما يقال نشدتك الله (قوله عند لقاء العدو الموتور) فى الصحاح الذى قتل له قتيلاً فلم يدرك بدمه (قوله لم يترك لها أثراً ولا عثيراً) فى الصحاح العثير يتسكن الثاء الغبار (قوله أو مفعول ثالث بالآ كال) فى الصحاح الآ كال بالضم الحكمة

الرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ۝ وَيَوْمَ يُعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ

اليوم فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وفي معناه قوله تعالى إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكثرون قيل في تفسير الشغل اقتضاض الأبقار ولا نوم في الجنة وإنما سمي مكان دعوتهم واسترواحهم إلى الحور مقبلا على طريق التشبيه وفي لفظ الأحسن رمز إلى ما يميز به مقبلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور إلى غير ذلك من النحاسين والزين ۝ وقرئ (تشقق) والأصل تشقق فحذف بعضهم التاء وغيره أدغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنه الذي تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله تعالى السماء منفطر به (فإن قلت) أي فرق بين قولك انشقت الأرض بالنبات وانشقت عن النبات (قلت) معنى انشقت به أن الله شققها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه أن التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى أن السماء تفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد وروى تشقق سماء سماء وتنزل الملائكة إلى الأرض وقيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضباب ولم يكن إلا ليلي إسرائيل في تبهم وفي معناه قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ۝ وقرئ ونزل الملائكة ونزل الملائكة ونزل الملائكة ونزلت الملائكة وأنزل الملائكة ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من نزل قراءة أهل مكة ۝ الحق الثابت لأن كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى إلا ملكه ۝ عض اليدين والأنامل والسقوط في اليد وأكل البنان وحرق الأسنان والأرم وقرعها كناية عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفها فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه وقيل نزلت في عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس وكان يكثّر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اتخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خاف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن آلى أن لا يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحيت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسى فقال وجهى من وجهك حرام إن لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجداً في دار الندوة ففعل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فقتل يوم بدر أمر علياً رضي الله عنه بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن أفلح الأنصاري وقال يا محمد إلى من الصية قال إلى النار وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيأ بأحد فرجع إلى مكة فمات ۝ واللام في (الظالم) يجوز أن تكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز أن تكون للجنس فيتناول عقبة وغيره ۝ تمنى أن لو صحب الرسول وسلك معه طريقاً واحداً وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى أو أراد أنى كنت ضالاً لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت بنفسى في صحبة الرسول سبيلاً ۝ وقرئ يا ويلتى بالياء وهو الأصل لأن الرجل ينادى ويلته وهي هلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك وإنما قلبت الياء ألفاً كما في صحارى ومدارى ۝ فلان كناية عن الإعلام كما أن الهن كناية عن الأجناس فإن أريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتنى لم أتخذ أيأ خديلاً فكفى عن اسمه وإن أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خديلاً كان خديله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه (عن الذكر) عن ذكر الله أو القرآن أو موعظة الرسول ويجوز أن يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على

(قوله وأكل البنات وحرق الأسنان والأرم) في الصحاح حرقت الشيء حرقاً بروتة وحككت بعضه ببعض ومنه قولهم حرقت نابه أى سحقته حتى سمع له صريف وفلان يحرق عليك الأرم غيظاً وفيه أيضاً أرم على الشيء أى عض عليه وأرمة أيضاً أى أكله والأرم الأضراس كأنه جمع أرم يقال فلان يحرق عليك الأرم إذا غيظك فحك أضراسه بعضها ببعض (قوله وقال يا محمد إلى من السية) في الصحاح السية المرأه تسبي

لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ۝ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۝ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۝ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝ الَّذِينَ

الإسلام ۝ والشيطان إشارة إلى خليفه سماه شيطانا لأنه أضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة أو أراد إبليس وأنه هو الذي حمله على مخالفة المصل ومخالفة الرسول ثم خذله أو أراد الجنس وكل من تشيطان من الجن والإنس ويحتمل أن يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وأن يكون كلام الله اتخذت يقرأ على الإدغام والإظهار والإدغام أكثر ۝ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه إليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لأن الأنبياء كانوا إذا التجؤا إليه وشكوا إليه قومه حل بهم العذاب ولم ينظروا ۝ ثم أقبل عليه مسليا ومواسيا واعدوا النصره عليهم فقال (وكذلك) كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفالك بي هاديا إلى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرأ لك عليهم ۝ مهجور تركوه وصدوا عنه وعن الإيمان به وعن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا أقض بيني وبينه وقيل هو من هجر إذا هدى أى جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين أحدهما زعمهم أنه هذيان وباطل وأساطير الأولين والثاني أنهم كانوا إذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز أن يكون المهجور بمعنى المهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا ۝ والعدو يجوز أن يكون واحداً وجمعاً كقوله فإنهم عدو لى وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيامة (نزل) ههنا بمعنى انزل لا غير ككبر بمعنى أخبر وإلا كان متدافعا وهذا أيضاً من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجاويزهم عن اتباعه قالوا هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وماله أنزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول وعماراة بما لا طائل تحته لأن أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرداً وقوله (كذلك) جواب لهم أى كذلك أنزل مفزقا والحكمة فيه أن تقوى بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لأن الملتقن إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزأ عقيب جزء ولو أتى عليه جملة واحدة لبعل به وتعبا يحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فأنزل عليه منجماً في عشرين سنة وقيل في ثلاث وعشرين وأيضاً فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يأتى ذلك إلا فيما أنزل مفزقا (إن قلت) ذلك فى كذلك يجب أن يكون إشارة إلى شيء تقدمه والذي تقدم هو إنزاله جملة واحدة فكيف فسرتة بكذلك أنزلناه مفزقا (قلت) لأن قولهم لولا أنزل عليه جملة معناه لم أنزل مفزقا والدليل على فساد هذا الاعتراض أنهم عجزوا عن أن يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحذوا بسورة واحدة من أصغر السور فأبرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على أنفسهم حين لاذوا بالمناسبة وفزعوا إلى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كأنهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته (ورتلناه) معطوف على الفعل الذى تعلق به كذلك كأنه قال كذلك فترتلناه ورتلناه ومعنى ترتيله أن قدره آية بعد آية ووقفه عقيب ووقفه ويجوز أن يكون المعنى وأمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلاً أى اقرأه بترسل وثبت ومنه حديث عائشة رضى الله عنها فى صفة قراءته صلى الله عليه وسلم لا كسر دم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه يعدها وأصله الترتيل فى الألسان

(قوله ثم أقبل عليه مسليا ومؤسيا) فى الصحاح أسيته تأسية عزيبته (قوله لبعل به وتعبا يحفظه) فى الصحاح لبعل الرجل بالكسر أى دهش وفيه أيضاً عيبت بأمرى إذا لم تهتد لوجهه وأعبا عليه الأمر وتعبا وتعبا بمعنى اه فتدر

يَحْشُرُونَ عَلَىٰ وجوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا  
مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ۝ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ۝ وَقَوْمِ نُوحٍ  
لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ  
الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ۝ وَكَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكَلَّا تَبَرْنَا تَبِيرًا ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي

وهو تفلجها يقال نُغِر رتل ومرتل ويشبه بنور الافحوان في تفلججه وقيل هو أنزله مع كونه متفرقا على تمكث وتهل في  
مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة (ولا يأتونك) بسؤال عجيب من سؤالهم الباطلة كأنه مثل في البطلان  
إلا آيتنا نحن بالجواب الحق الذي لا يحيد عنه وبما هو أحسن معنى ومؤدى من سؤالهم ۝ ولما كان التفسير هو التفسير  
عماد على الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أو لا يأتونك بحال  
وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو أن يقرن بك ملك ينذر معك أو يلقى إليك كنز أو تكون لك جنة  
أو ينزل عليك القرآن جملة إلا أعطيناك نحن من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا أن نعطاء وما هو أحسن تفسيرا لما  
بعثت عليه ودلالة على صحته يعني أن تنزله مفرقا وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كما تنزل شيء منها أدخل في الإعجاز  
وانور للحجة من أن ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه كأنه قيل لهم إن حاملكم  
على هذه السؤالات أنكم تضللون سبيله وتحفرون مكانه ومنزله ۝ ولو نظرتم بعين الإنصاف وأتم من المسحوبين على  
وجوههم إلى جهنم لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله  
من لعنه الله وغضب عليه الآية ويجوز أن يراد بالمكان الشرف والمنزلة وأن يراد بالدار والمسكن كقوله أي الفريقين خير مقاماً  
وأحسن ندياً ووصف السبيل بالضلال من الإسناد المجازي وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة  
أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون سلا ۝ الوزارة تأتي النبوة فقد كان يعث في الزمن  
الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يواز بعضهم بعضاً والمعنى فذهب إليهم فكذبوهم وهم من نهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانلق أي  
فضرب فانلق أراد اختصار القصة فدكر حاشيتها أولها وآخرها لانها المفصود من القصة بطولها أعتى إلزام الحجة ببعثة الرسل  
واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم وعنه فدمرتهم وقرئ فدمرتهم على التنا كيد بالون النقيلة كأنهم  
كذبوا نوحاً ومن قبله من الرسل صريحاً أو كان تكذيبهم لو احد منهم تكذيب للجميع ولم يروا بعثة الرسل أصلاً كالبراهمة  
(وجعلناهم) وجعلنا إغراقهم أو قصتهم (للظالمين) إيمان يعني بهم قوم نوح وأصله وأعدنا لهم إلا أنه قصد تظلمهم فأظهر وإما  
أن يتناولهم بعمومه ۝ عطف عاداً على هم في جعلناهم أو على الظالمين لأن المعنى ووعدنا الظالمين ۝ وقرئ وثمود على تأويله النقيلة وأما  
المنصرف فعلى تأويل الحى أو لأنه اسم الأب الأكبر قيل في أصحاب الرس كانوا قوم من عبدة الأصنام أصحاب آبار ومواس فبعث الله  
إليهم شعبياً فدعاهم إلى الإسلام فتمادوا في طغيانهم وفي إيذائه فيناهم حول الرس وهو البرغير المطوية عن أبي عبيدة انهارت  
بهم فحسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم أصحاب النبي  
حنظلة بن صفوان كانوا مبلين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال  
له فتح وهي تنفض على صبيانهم فتخطفهم إن أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فأصابها الصاعقة ثم أنهم قتلوا حنظلة فأهلكوا  
وقيل هم أصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل الرس بانطا كية قتلوا فيها حبيبا الجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه  
في بئر أي دسوه فيها (بين ذلك) أي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك ويحسب  
الحاسب أعداداً متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب أو المعدود (ضربنا له الأمثال)



أَمْطَرْتُ مَطَرَ السُّوءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ۝ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا  
أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ۝ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءِالِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ  
يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝ أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنْ

بيناه القصة العجيبة من قصص الأولين ووصفنا لهم ما أجروا إليه من تكذيب الأنبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره ۝ والتبوير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج ۝ وكلا الأتول منصوب بمادل عليه ضربناه الأمثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثاني بتبرنا لأنه فارغ له ۝ أراد بالقريية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلك الله تعالى أربعا بأهلها وبقيت واحدة ۝ ومطر السوء الحجارة يعنى أن قريشا مزوا مرارا كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء (أفلم يكونوا) في مرار مرورهم ينظرون إلى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون (بل كانوا) قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون (نشورا) وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لأنه إنما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومزوا بها كما مزت ركابهم أولا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم أولا يخافون على اللغة التهامية ۝ إن الأولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما ۝ واتخذ هزوا في معنى استهزأ به والأصل اتخذه موضع هزوا وهزوه آبه (أهذا) محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار (وبعث الله رسولا) وإخراجه في معرض التسليم والإقرار وهم على غاية الجحود والإنكار سخريية واستهزاء ولولم يستهزؤا قالوا أهدا الذي زعم أو ادعى أنه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم (إن كاد ليضلنا) دليل على فرط مجامدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام لولا فرط لجأهم واستمسكهم بعبادة آلهتهم و (لولا) في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقيد للحكم المطلق (وسوف يعلمون) وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت مدة الإمهال ولا بد للوعيد أن يلحقهم فلا يغترنهم التأخير وقوله (من أضل سبيلا) كالجواب عن قولهم إن كاد ليضلنا لأنه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الضلال من حيث لا يضل غيره إلا من هو ضال في نفسه ويروى أنه من قول أبي جهل لعنه الله ۝ من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليل ولا يصغى إلى برهان فهو عابد هواه وجاعله إلهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى أفنتوكل عليه وتجبره على الإسلام وتقول لا بد أن تسلم شئت أو أبيت ولا إكراه في الدين وهذا كقولهم وما أنت عليهم بجبار لست عليهم بصيطر ويروى أن الرجل منهم كان يعبد الحجر فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر ومنهم الحرث بن قيس السهمي أم هذه منقطة معناه بل أتخسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالإضراب عنها إليها وهي كونهم مسلوبى الأسماع والعقول لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أدنا ولا إلى تدبره عقلا ومشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلال ثم أرجح ضلالة منها (فإن قلت) لم آخر هواه والأصل قولك اتخذ الهوى إلهها (قلت) ما هو إلا تقديم المفعول الثاني على الأول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق (فإن قلت) ما معنى ذكر الآ أكثر (قلت) كان فيهم من لم يصد عنه

قوله تعالى أرايت من اتخذ إلهه هواه (قال إن قلت لم قدم إلهه وهو المفعول الثاني وأجاب بأنه قدم عناية به كقولك ظننت منطلقا زيدا إذا كانت عنايتك بالمنطلق) قال أحمد وفيه نكتة حسنة وهي إفادة الحصر فإن الكلام قبل دخول أرايت مبتدأ وخبر المبتدأ هواه والخبر إلهه وتقديم الخبر كما علمت يفيد الحصر فكأنه قال أرايت من لم يتخذ معبوده إلا هواه فهو أبلغ في ذمه وتوبيخه والله أعلم

(قوله ووصفنا لهم ما أجروا عليه) لعله ما جروا

أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ  
 وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ  
 لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ۝ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا

الإسلام الأداء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا (فإن قلت) كيف جعلوا أضل من الإناعام (قلت) لأن الإناعام  
 تنقاد لأربابها التي تغلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن إليها بمن يسئ إليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدى لمراعيها  
 ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لرهبهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو  
 أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهلك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي  
 (ألم ترى إلى ربك) ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل أن جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس (ولو شاء  
 لجعله ساكنا) أي لاصقا بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به أحد سمي انبساط الظل وامتداده  
 تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في مسيرها على أحوال  
 الظل من كونه ثابتا في مكان زائلا ومتسعا ومتقلصا فينبون حاجتهم إلى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه  
 إليه أنه ينسخه بضح الشمس (يسيرا) أي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع مالا يعد ولا يحصر  
 ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا (فإن قلت) ثم في هذين الموضعين كيف موقعها  
 (قلت) موقعها للبيان تفاضل الأمور الثلاثة كان الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينهما في الفضل  
 بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ووجه آخر وهو أنه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الأرض تحتها  
 فألقت القبة ظلها على الأرض فينانا ما في أدبمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق  
 الشمس وجعلها على ذلك الظل أي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص  
 ويمتد ويتقلص ثم نسخها بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه  
 وهي الأجرام التي تبقى الظل فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه كما ذكر إنشاءه بإنشاء أسبابه وقوله قبضناه الينا يدل  
 عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت  
 الميت لأنه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل (فإن قلت) هلا فسرت به بالراحة (قلت) النشور في مقابلته  
 يأباه أباة العيوف الورد وهو مرتق وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمة على خلقه لأن الاحتجاب  
 يستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية وديوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة أي عبرة فيها لمن  
 اعتبر وعن لقمان أنه قال لابنه يابني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فنشر قرئ الريح والرياح نشرا إحياء ونشرا جمع نشور  
 وهي المحيية ونشرا تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى (ببزيدي رحمة) استعارة مليحة أي قدام المطر

(قوله من كونه ثابتا في مكان زائلا) لعله زائلا عن آخر (قوله أنه ينسخه بضح الشمس) في الضحاح ضحح السراب  
 وتضحضح إذا تفرق والضح الشمس وفي الحديث لا يقعدن أحدكم بين الضح والظل فإنه مقعد الشيطان  
 (قوله ظلها على الأرض فينانا ما في أدبمه جوب) في الصحاح الفينان الطويل وفيه الأدم جمع الأديم مثل أفق وأفق  
 وربما سمي وجه الأرض أدبما وفيه جاب يجوب جوبا إذا خرق وقطع فتدبر  
 (قوله يأباه أباة العيوف الورد وهو مرتق) في الصحاح العيوف من الإبل الذي يشم الماء فيدعه وهو عطشان وفيه رفقة  
 ترينقا كقدرته (قوله قرئ الريح والرياح نشرا إحياء) لعله ونشرا أي وقرئ نشرا وقوله إحياء لعله أي إحياء فليحمر

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ۝ لُنْحِي بِهِ بِلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْبِيَّ كَثِيرًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ

(طهورا) بلغا في طهارته وعن أحمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا غيره فإن كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا وبعضه قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وإلا فليس فعول من التفعيل في شيء والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما فيه ضأبه وتوقده النار وقوله تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيدي به ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة إلا بطهور أي طهارة (فإن قلت) ما الذي ينزل عن الماء اسم الطهور (قلت) تيقن مخالطة الجاسة أو غلبتها على الظن تغير أحد أو صافه الثلاثة أو لم يتغير أو استعماله في المدن لاداء عبادة عند أبي حنيفة وعند مالك بن أنس رضي الله عنهما ما لم يتغير أحد أو صافه فهو طهور (فإن قلت) فما تقول في قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا يتجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه (قلت) قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للقاء إلى البساتين وإنما قال (ميتا) لأن البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه إلى بلد ميت وأنه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل ۝ وقرئ نسقيه بالفتح وسقى وأسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا ۝ الأناسي جمع إنسي أو إنسان ونحوه ظرائن في ظربان على قلب النون ياء والأصل أناسين وظرايين وقرئ بالتخفيف بحذف باء أفاعيل كقولك أناعم في أناعم (فإن قلت) إنزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقى يؤذن بأن الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملي الأمير على فرس جواد لأصيد عليه الوحش (قلت) لما كان سقى الأناسي من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور إكراما لهم وتميما للمنة عليهم وبيانا أن من حقهم حين أراد الله لهم الطهارة وأرادهم عليها أن يؤثرها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وأن يربوا بأنفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم (فإن قلت) لم خص الأنعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب (قلت) لأن الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الأنعام ولأنها قنية الأناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الإنعام عليهم بسقى أنعامهم كالإنعام بسقيهم (فإن قلت) فما معنى تنكير الأنعام والأناسي ووصفها بالكثرة (قلت) معنى ذلك أن عليه الناس وجلهم منيخون بالقرب من الأودية والأنهار ومنابع الماء فيهم غنية عن سقى السماء وأعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم إلا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين من مظان الماء (فإن قلت) لم قدم احياء الأرض وسقى الأنعام على سقى الأناسي (قلت) لأن حياة الأناسي بحياة أرضهم وحياة أنعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولأنهم إذا ظنوا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم لم يعدوا سقياهم ۝ يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل عليهم السلام وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق العنة فيه ويشكروا (فأنى) أكثرهم إلا كفران النعمة وجودها وقلة الاكتران لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والارقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فأبوا إلا الكفور وأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية وروى أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لأنه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من هم أجواب في تنكير البلدة والأنعام والأناسي كأنه قال لنحي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الأنعام والأناسي وذلك لبعض كثير (فإن قلت) هل يكفر من ينسب الأمطار إلى الأنواء (قلت) إن كان لا يراها إلا من الأنواء ويحدد أن تكون هي والأنواء من خلق الله فهو كافر وإن كان يرى إن الله خالقها وقد نصب الأنواء دلائل وأمارات عليها لم يكفر ۝ يقول لرسوله

(قوله وظرايين قرئ بالتخفيف) لعله وقرئ (قوله وجود ورذاذ وديمة ورهام) أي مطر ضعيف والردام جمع رهمة وهي المطرة الضعيفة الدائمة كذا في الصحاح

بَيْنَهُمْ يَنْذَرُكُمْ وَأَقْبَلِي أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ۝ فَلَا تُطَعِ الْكٰفِرِينَ  
 وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ۝ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا  
 بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۝ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝ وَيَعْبُدُونَ  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۝ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ۝ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝  
 قُلْ مَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ

صلى الله عليه وسلم (ولو شئنا) لخفضنا عنك أعباء نذارة جميع القرى و (لبعثنا في كل قرية) نذيراً ينذرها وإنما قصرنا الأمر  
 عليك وعظمتك به وأجلالك وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر (فلا تطع الكافرين) فيما يريدونك  
 عليه وإنما أراد بهذا تهيجته وتهيج المؤمنين وتحريكهم والضمير للقرآن أو لترك الطاعة الذي يدل عليه فلا تطع  
 والمراد أن الكفار يحدون ويجهدون في توهمين أمرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلهم به وتعلمهم  
 وجعله جهاداً كبيراً لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز أن يرجع الضمير في به إلى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل  
 قرية نذيراً من كونه نذير كافة القرى لأنه لو بعث في كل قرية نذيراً لوجب على كل نذير مجاهدة قرينته فاجتمعت على  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له (وجاهدكم) بسبب كونك  
 نذير كافة القرى (جهاداً كبيراً) جامعاً لكل مجاهدة ۝ سمي الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة  
 حتى يضرب إلى الحلاوة والأجاج نقيضه ۝ ومرجعها خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما  
 التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران أحدهما مع الآخر بمروج وماء العذب منهما بالأجاج ممزوج  
 (برزخا) حائلاً من قدرته كقوله تعالى بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته ۝ وقرئ ملح على فعل وقيل  
 كأنه حذف من ملح تخفيفاً كما قال وصلينا برداً يربد بارداً (فإن قلت) (وحجراً محجوراً) ما معناه (قلت) هي الكلمة التي  
 يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له  
 حجراً محجوراً كما قال لا يبغيان أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ ههنا جعل كل واحد  
 منهما في صورة الباغى على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات وأشدها على البلاغة ۝ أراد فقسم البشر  
 قسمين ذوى نسب أي ذكوراً ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أي إناثا يصاهر بهن  
 ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكور والأنثى (وكان ربك قديراً) حيث خلق من النطفة الواحدة بشر أنواع ذكوراً  
 وأنثى ۝ الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى أن الكافر يظاهر الشيطان على ربه  
 بالعداوة والشرك روى أنها نزلت في أبي جهل ويجوز أن يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء  
 الصديق والخليفة يريد بالكافر الجنس وأن بعضهم مظاهر لبعض على إطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذي يفعل  
 هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به إذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت إليه  
 وهذا نحو قوله أوائك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ۝ مثال (إلا من شاء) والمراد إلا فعل من  
 شاء واستثنائه عن الأجر قول ذي شفقة عليك قدسعى لك في تحصيل مال ما أطلب منك ثواباً على ما سعت إلا أن تحفظ  
 هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صورته هو بصورة الثواب وسماه باسمه فأفاد

(قوله بالأجاج ممزوج برزخا) لعله غير ممزوج فليحذر

وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بُذُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا ۝ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسُئِلَ بِهِ خَبِيرًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۝ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ۝ وَهُوَ الَّذِي

فائدتين إحداهما قلع شهة الطمع في الثواب من أصله كأنه يقول لك إن كان حفظك لمالك ثوابا فإني أطلب الثواب والثانية إظهار الشفقة البالغة وأنتك إن حفظت مالك أعتد بحفظك ثوابا ورضى به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث إليهم بهذا الصدد وفوقه ۝ ومعنى اتخاذهم إلى الله سبيلا تقرهم إليه وطلبهم عنده الزلفى بالإيمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة والتفقه في سبيل الله ۝ أمره بأن يثق به ويسند أمره إليه في استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل وأساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه أن الحى الذى لا يموت حقيق بأن يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الأحياء الذين يموتون وعن بعض السلف أنه قرأها فقال لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق ثم أراه أن ليس إليه من أمر عباده شيء آمنوا أم كفروا وأنه خير بأعمالهم كاف في جزاء أعمالهم (في ستة أيام) يعنى في مدة مقدارها هذه المدة لا تعلم يكن حينئذ النهار والليل وقيل ستة أيام من أيام الآخرة وكل يوم ألف سنة والظاهر أنها من أيام الدنيا وعن مجاهد أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة ووجهه أن يسمى الله للملائكة تلك الأيام المقطرة بهذه الأسماء فلما خلق الشمس وأدارها وترتب أمر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الأيام وأما الداعى إلى هذا العدد أعنى الستة دون سائر الأعداد فلأنشك أنه داعى حكمة لعلمنا أنه لا يقدر تقديرا إلا بداعى حكمة وإن كنا لا نطالع عليه ولا نتهدى إلا معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم أصحاب النار تسعة عشر وحمة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبعا والأرض كذلك والصلوات خمسا وأعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والإقرار بدواعى الحكمة في جميع أفعاله وبأن ما قدره حق وصاب هو الإيمان وقد نص عليه في قوله وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك إلا هو وهو الجواب أيضا في إن لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير رضى الله عنهما إنما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة تعلمها لخلقها الرفق والثبوت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيداً للمسلمين ۝ الذى خلق مبتدأ و (الرحمن) خبره أو صفة للحى والرحمن خبر مبتدأ محذوف أو بدل عن المستتر في استوى وقرئ الرحمن بالجر صفة للحى ۝ وقرئ فسل والباء في به صلة سل كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته في نحو قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقوله اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كتولك بحث عنه وقاش عنه ونقر عنه أو صلة خير أو تجعل خيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا بخبرك برحمته أو فسل رجلا خيرا به وبرحمته أو فسل بسؤاله خيرا كقولك رأيت به أسداً أى برؤيته والمعنى إن سأله وجدته خيرا أو تجعله حالا عن الهام تريد فسل عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم من أسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقبل فسل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثمة كانوا يقولون ما نعرف الرحمن إلا الذى باليمامة يعنون مسيلة وكان يقال له رحمن اليمامة (وما الرحمن) يجوز أن يكون سؤالا عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز أن يكون سؤالا عن معناه لأنه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم أو لأنهم أنكروا إطلاقه على الله تعالى (لما تأمرنا) أى الذى تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده على قوله أمرتك الخير أو لامرك لنا وقرئ بالياء كأن بعضهم قال لبعض أنسجد لما أمرنا

(قوله حتى يعرف من ينكره ومن ثمة) عبارة النسفي تعرف

جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ

يحمده صلى الله عليه وسلم أو يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفي (زادهم) ضمير اسجدوا للرحمن لأنه هو المقول البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجرزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لأنها هذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج اظهوره والسراج الشمس كقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ مسرجا وهي الشمس والكواكب الكبار معها وقرأ الحسن والأعمش وقرأ أميرا وهي جمع ليلة قراء كأنه قال وذا قرأ أميرا لأن الليالي تسكر قرأ بالقمر فأضافه إليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف إليه مقامه قول حسان :  
 ۝ بردى يصفق بالرحيق السلسل ۝

يريد ماء بردى ولا يبعد أن يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب الخلفة من خلف كالركبة من ركب وهي الحلة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوى خلفه أى ذوى عقبه أى يعقب هذا ذاك وذلك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفه واختلاف إذا اختلف كثيرا إلى متبرزه وقرئ يذكرو ويذكر وعن أبي بن كعب رضى الله عنه يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم أن لا بد لا تتقاهما من حال إلى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وعلا ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في أحدهما وردة من العبادة قام به في الآخر وعن الحسن رضى الله عنه من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعجب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعجب (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره في آخر السورة كأنه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم أولئك يجزون الغرفة ويجوز أن يكون خبره الذين يمشون وأضافهم إلى الرحمن تخصيصاً وتفضيلاً وقرئ وعباد الرحمن وقرئ يمشون (هونا) حال أو صفة للمشي بمعنى هينين أو مشياً هيناً إلا أن في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث أحب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون والمثل إذا عز أخوك فهن ومعناه إذا عسر فيسر والمعنى أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بمعالمهم وإشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الأسواق ولقوله ويمشون في الأسواق (سلاما) تسلاماً منكم لاجتماعكم ومشاركة لا خير بيننا ولا شرأى يتسلم منكم تسليماً فأقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا اسداداً من القول يسدلون فيه من الإيذاء والإتم والمراد بالجهل السفه وقلة الأدب وسوء الرعة من قوله :  
 ألا لا يجهلن أحد علينا ۝ فجهل فوق جهل الجاهلينا

وعن أبي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة إلى ذلك لأن الإغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الأدب والمروءة والشريعة وأسلم للعرض والورع ۝ البيتونة خلاف الظلول وهو أن يدركك الليل نمت أو لم تنم وقالوا من قرأ شيئاً من القرآن في صلته وإن قل فقد بات ساجداً وقائماً وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو بأكثره يقال فلان يظل صائماً ويبيت قائماً (غراما) هلاكاً وخسراناً ملحاً لازماً قال :

يوم النصار ويوم الجفا ۝ ركنا عذاباً وكانا غراما

(قوله ويقال بفلان خلفه) لعله لفلان (قوله وقلة الأدب وسوء الرعة) في الصحاح يقال فلان سيء الرعة أى قليل الورع وفيه قيل ذلك الورع بكسر الراء الرجل التقى وقد ورع يرع بالكسر فيهما ورعا ورعة

يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۝ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَعَّفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَنْ

وقال

إن يعاقب يكن غراما وإن يه ط جزيلاً فإنه لا يبالي

ومنه الغريم لإلحاحه ولزامه ۝ وصفهم بإحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه إيداناً بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتلون إلى الله في صرف العذاب عنهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله (ساعات) في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقر أو المخصوص بالذم محذوف معناه ساعات مستقر أو مقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم إن وجعلها خبراً لها ويجوز أن يكون ساعات بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم إن ومستقر حال أو تمييز والتعليلان يصح أن يكونا متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم ۝ قرئ يفتروا بكسر التاء وضمها ويفتروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والإقتر والتقتير التصديق الذي هو نقيض الإسراف والإسراف مجاوزة الحد في النفقة ووصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله أمر رسول الله ﷺ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تنبسطها كل البسط وقيل الإسراف إنما هو الإنفاق في المعاصي فأما في القرب فلا إسراف وسمع رجل رجلاً يقول لا خير في الإسراف فقال لا إسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته وأحسن إليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت رجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك إنما هو كلام أعدته لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته وأحواله فقال الحسنة بين السيتين فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية فقال لابنه يا بني أهدأ أيضاً أعدته وقيل أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا لا يأكلون طعاماً للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوباً للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يستر جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكفونهم من الحر والقتر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفاً أن لا يشتهي رجل شيئاً إلا اشتراه فأكله والقوام العدل بين الشيتين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواماً بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال أنت قوامنا بمعنى ما نقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان أعني بين ذلك قواماً جاز أن يكونا خبرين معاً وأن يجعل بين ذلك لغواً وقواماً مستقراً وأن يكون الظرف خبراً وقواماً حالاً مؤكدة وأجاز الفراء أن يكون بين ذلك اسم كان على أنه مبني لإضافته إلى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير إن نطقت ۝ وهو من جهة الإعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوى لأن ما بين الإسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة (حرم الله) أي حرمها والمعنى حرم قتلها و(إلا بالحق) متعلق بهذا القتل المحذوف أو بلا يقتلون ونفي هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه أعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما أتم عليه والقتل بغير الحق يدخل فيه الواد وغيره وعن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك فأنزل الله تصديقه ۝ وقرئ يلق فيه أثاماً وقرئ يلقى بإثبات الألف وقدم مثله والأثام جزاء الإثم بوزن الوبال والنكال ومعناها قال

جزى الله بن عروة حيث أمسى ۝ عقوقا والعقوق له أثام

وقيل هو الإثم ومعناه يلق جزاء أثام وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه أي شدايد يقال يوم ذو أيام لليوم العصيب (يضاعف) بدل من يلق لأنهما في معنى واحد كقوله متى تأتانا نلهم بنا في ديارنا ۝ نجد حطبا جزلاً ونارا تأججا

(قوله من الحرز والقتر وقال عمر) أي البرد (قوله غير إن نطقت وهو من جهة) بقية حمامة في عصون ذات أوقال وفي الصحاح

أن لا أوقال شجر المقل وإن المقل ثمر الدوم (قوله أي شدايد) وفي الصحاح الأيام الدخان

تَابَ وَعَمِلَ وَعَمِلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَمَنْ تَابَ  
وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۝ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۝ وَالَّذِينَ  
إِذَا ذُكِّرُوا بِتِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا

وقرئ بضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستئناف أو على الحال وكذلك يخلد  
وقرئ ويخلد على البناء للفعول مخففا ومثقلا من الإخلاق والتخليد وقرئ وتخلد بالناء على الالتفات (يبدل) مخفف  
ومثقل وكذلك سيئاتهم (فإن قلت) ما معنى مضاعفة العذاب وإبدال السيئات حسنات (قلت) إذا ارتكب المشرك معاصي  
مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وإبدال السيئات حسنات أنه  
يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الإيمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك إيماننا وبقتل المسلمين قتل المشركين  
وبالزنا عفة وإحصانا ۝ يريد ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فإنه بذلك تائب إلى الله (متابا)  
مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب أو فإنه تائب متابا إلى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون  
والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين وفي كلام بعض العرب لله أفرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمان الوارد  
والعقيم الوالد أو فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعا حسنا وأي مرجع ۝ يحتمل أنهم ينفرون عن محاضر الكذابين  
ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأمله وصيانة لدينهم عما يثلمه لأن مشاهدة الباطل  
شركة فيه ولذلك قيل في النظارة إلى كل مالم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الإثم لأن حضورهم ونظرهم دليل الرضا  
به وسبب وجوده والزيادة فيه لأن الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر إليه وفي مواضع عيسى  
ابن مريم عليه السلام إياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه  
مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد أعياد المشركين ۝ اللغو كل ما ينبغي أن يلغى ويطرح  
والمعنى وإذا مروا بأهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم  
كقوله تعالى وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن  
رضي الله عنه لم تسفههم المعاصي وقيل إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا وقيل إذا ذكروا النكاح  
كنوا عنه (لم يخجروا عليها) ليس بنفي للخروج وإنما هو إثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو  
للسلام للالقاء والمعنى أنهم إذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصا على استماعها وأقبلوا على المذكر بها وهم في إكبابهم عليها  
سامعون بآذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص  
الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها كالمناققين وأشباههم قرئ ذريتنا وذرياتنا وقررة  
أعين وقررات أعين سألوهم أن يرزقهم أزواجا وأقربا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقربهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شيء  
أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الولد إذا رآه يكتب الفقه وقيل سألو  
أن يلحق الله بهم أزواجهم وذريتهم في الجنة لئتم لهم سرورهم أراد أئمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله  
تعالى ثم يخرجكم طفلا أو أرادوا جعل كل واحد منا إماما أو أراد جمع آتم كصائم وصيام أو أرادوا جعلنا إماما واحدا لا تخادنا  
واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الآية ما يدل على أن الرياسة في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات  
في العشرة المبشرين بالجنة (فإن قلت) من في قوله من أزواجنا ما هي (قلت) يحتمل أن تكون بيانية كأنه قيل هب لنا قررة  
أعين ثم بينت القررة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم قررة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا  
أي أنت أسد وأن تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح (فإن قلت) لم قال



قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝ أُولَٰئِكَ يَجْزُونَ الْعَرْقَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيَلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ۝ خَلَائِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ قُلْ مَا يُعْبَوُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝

قُرَّةَ أَعْيُنٍ فَتَسْكُرُ وَقَلَّ ( قَلَّتْ ) أَمَا التَّنْكِيرُ فَلِأَجْلِ تَنْكِيرِ الْقُرَّةِ لِأَنَّ الْمَضَافَ لِاسْتِئْثِنِ إِلَى تَنْكِيرِهِ إِلَّا بِتَنْكِيرِ الْمَضَافِ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ قِيلَ هَبْ لَنَا مِنْهُمْ سُرُورًا وَفَرَحًا وَإِنَّمَا قِيلَ أَعْيُنٌ دُونَ عَيُونٍ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَعْيُنَ الْمُتَّقِينَ وَهِيَ قَلِيلَةٌ بِالإِضَافَةِ إِلَى عَيُونٍ غَيْرِهِمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّاكِرُونَ وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ فِي تَنْكِيرِ أَعْيُنٍ أَنَّهَا أَعْيُنٌ خَاصَةٌ وَهِيَ أَعْيُنُ الْمُتَّقِينَ ۝ الْمُرَادُ يَجْزُونَ الْعَرْقَاتِ وَهِيَ الْعَلَالِي فِي الْجَنَّةِ فَوَحْدَ اقْتِصَارًا عَلَى الْوَاحِدِ الدَّالِّ عَلَى الْجِنْسِ وَالِدَلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ رَمَّهُمْ فِي الْعَرْقَاتِ آمَنُونَ وَقِرَاءَةٌ مِنْ قُرْآنٍ فِي الْعَرْقَةِ ( بِمَا صَبَرُوا ) بِصَبْرِهِمْ عَلَى الطَّاعَاتِ وَعَنِ الشَّهَوَاتِ وَعَلَى أَذَى الْكُفْرَانِ وَمَجَاهِدَتِهِمْ وَعَلَى الْفَقْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَإِطْلَاقُهُ لِأَجْلِ الشِّيَاعِ فِي كُلِّ مَصْبُورٍ عَلَيْهِ ۝ وَقُرئَ يَلْقَوْنَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَلَقَامَ نَضْرَةَ وَسُرُورًا وَيَلْقَوْنَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى يَلْقَى أَنَامًا ۝ وَالنَّجِيَّةُ دَعَاءٌ بِالتَّعْمِيرِ وَالسَّلَامُ دَعَاءٌ بِالسَّلَامَةِ يَعْنِي أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَحْيَوْنَهُمْ وَيَسْلَمُونَ عَلَيْهِمْ أَوْ يَحْيِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَسْلَمُ عَلَيْهِ أَوْ يُعْطُونَ التَّبْقِيَةَ وَالتَّخْلِيدَ مَعَ السَّلَامَةِ عَنْ كُلِّ آفَةٍ اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لَطَاعَتِكَ وَاجْعَلْنَا مَعَ أَهْلِ رَحْمَتِكَ وَارزُقْنَا بِمَا تَرْزُقُهُمْ فِي دَارِ رِضْوَانِكَ ۝ لَمَّا وَصَفَ عِبَادَةَ الْعِبَادِ وَعَدَدَ صَالِحَاتِهِمْ وَحَسَنَاتِهِمْ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِهَا وَوَعَدَهُمُ الرِّفْعَ مِنْ دَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ أَتَبَعَ ذَلِكَ بَيَانًا أَنَّهُ إِنَّمَا أَكْثَرَتْ لِأَوْلَادِكَ وَعِبَائِهِمْ وَأَعْلَى ذِكْرِهِمْ وَوَعَدَهُمْ مَا وَعَدَهُمْ لِأَجْلِ عِبَادَتِهِمْ فَأَمَرَ رَسُولَهُ أَنْ يَصْرَحَ لِلنَّاسِ وَيَجْزِمَ لَهُمُ الْقَوْلَ بِأَنَّ الْإِكْتِرَافَ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّمَا هُوَ لِلْعِبَادَةِ وَحَدِّهَا لِأَلْمَعْنَى آخِرٌ وَلَوْلَا عِبَادَتُهُمْ لَمْ يَكْتَرِثْ لَهُمُ الْبِتَّةُ وَلَمْ يُعْتَدَ بِهِمْ وَلَمْ يَكُونُوا عِنْدَهُ شَيْئًا يُبَالَى بِهِ ۝ وَالِدَعَاءُ الْعِبَادَةِ وَمَا مُتَضَمِّنَةٌ لِمَعْنَى الْإِسْتِفْهَامِ وَهِيَ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الْمَصْدَرِ كَأَنَّهُ قِيلَ وَآيٌ عِبَاءٌ يَعْبَأُ بِكُمْ لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ يَعْنِي أَنَّكُمْ لَا تَسْتَأْهَلُونَ شَيْئًا مِنَ الْعِبَاءِ بِكُمْ لَوْلَا عِبَادَتُكُمْ وَحَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ مَا عَابَاتُ بِهِ مَا عَتَدْتُمْ بِهِ مِنْ فَوَادِحِ هُمُومِي وَمَا يَكُونُ عِبَاءً عَلَى كَمَا تَقُولُ مَا أَكْتَرْتُمْ لَهُ آيٌ مَا عَتَدْتُمْ بِهِ مِنْ كَوَارِثِي وَمَا يَهْنِي وَقَالَ الزَّجَّاجُ فِي تَأْوِيلِ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي أَيْ وَزَنَ يَكُونُ لَكُمْ عِنْدَهُ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَا نَافِيَةٌ ( فَقَدْ كَذَّبْتُمْ ) يَقُولُ إِذَا أَعْلَمْتُمْ أَنَّ حَكْمِي أَنِّي لَا أَعْتَدُ بِعِبَادِي إِلَّا لِعِبَادَتِهِمْ فَقَدْ خَالَفْتُمْ بِتَكْذِيبِكُمْ حَكْمِي فَسَوْفَ يُلْزِمُكُمْ أَثْرُ تَكْذِيبِكُمْ حَتَّى يَكْبِتُمْ فِي النَّارِ وَنَظِيرُهُ فِي الْكَلَامِ أَنْ يَقُولَ الْمَلِكُ لِمَنْ اسْتَعْصَى عَلَيْهِ إِنْ مِنْ عَادَتِي أَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ مِنْ يَطِيعُنِي وَيَتَّبِعُ أَمْرِي فَقَدْ عَصَيْتَ فَسَوْفَ تَرَى مَا أَحْلُ بِكَ بِسَبَبِ عَصِيَانِكَ وَقِيلَ مَعْنَاهُ مَا يَصْنَعُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُهُ إِيَّاكُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَقِيلَ مَا يَصْنَعُ بِعَذَابِكُمْ لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ مَعَهُ آلِهَةٌ ( فَإِنْ قَلَّتْ ) إِلَى مَنْ يَتَوَجَّهُ هَذَا الْخُطَابُ ( قَلَّتْ ) إِلَى النَّاسِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَمِنْهُمْ مُؤْمِنُونَ عَابِدُونَ وَمُكْذِبُونَ عَاصُونَ نَفُوطِبُوا بِمَا وَجَدُوا فِي جَنْسِهِمْ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالتَّكْذِيبِ ۝ وَقُرئَ فَقَدْ كَذَّبَ الْكَافِرُونَ وَقِيلَ يَكُونُ الْعَذَابُ لِزَامًا وَعَنْ مُجَاهِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الْقَتْلُ يَوْمَ بَدْرٍ وَأَنَّهُ لَوْزِمَ بَيْنَ الْقَتْلِ لِزَامًا ۝ وَقُرئَ لِزَامًا بِالْفَتْحِ بِمَعْنَى اللُّزُومِ كَالثَّبَاتِ وَالثَّبُوتِ وَالْوَجْهَ أَنْ تَرَكَ اسْمَ كَانَ غَيْرَ مَنْطُوقٍ بِهِ بَعْدَ مَا عَلِمَ أَنَّهُ عَمَّا تَوَعَّدُ بِهِ لِأَجْلِ الْإِبْهَامِ وَتَنَاقُلِ مَا لَا يَكْتَنُهُ الْوَصْفُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ . عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُرْآنِ سُورَةِ الْفُرْقَانِ لَقِيَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لِأَرْبَابِ فِيهَا وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ نَصْبٍ

قوله تعالى هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ( قال إن قلت لم قلل الأعين إذ الأعين صيغة جمع قلة قلت لأن أعين المتقين قليل بالإضافة إلى غيرهم يدل على ذلك قوله وقليل من عبادي الشكور ) قال أحمد والظاهر أن المحكى كلام كل أحد من المتقين فكأنه قال يقول كل واحد منهم اجعل لنا من أزواجنا وذرياتنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وهذا أسلم من تأويله فإن المتقين وإن كانوا بالإضافة إلى غيرهم قليلا إلا أنهم في أنفسهم على كثرة من العدد والمعتبر في إطلاق جمع القلة أن يكون المجموع قليلا في نفسه لا بالنسبة والإضافة والله أعلم

## سورة الشعراء مكية

إلا آية ١٩٧ ومن آية ٢٢٤ إلى آخر السورة فمدنية وآياتها ٢٢٧ نزلت بعد الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ طَسَمَ ۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا  
مُؤْمِنِينَ ۝ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ  
الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا  
إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ

## (سورة الشعراء مكية)

(إلا قوله والشعراء إلى آخر السورة وهي مائتان وبعس وعشرون آية وفي رواية ست وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (طسم) بتفخيم الألف وإمالتها وإظهار النون وإدغامها (الكتاب المبين) الظاهر إعجازه  
وصحة أنه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب  
المبين ۝ البخع أن يبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذابح ولعل للإشفاق يعنى  
أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك (ألا يكونوا مؤمنين) لثلا يؤمنوا ولا تمتنع إيمانهم  
أو خيفة أن لا يؤمنوا وعن قتادة رضى الله عنه باخع نفسك على الإضافة ۝ أراد آية ملجئة إلى الإيمان قاصرة عليه  
(فظلت) معطوف على الجزاء الذى هو نزل لأنه لو قيل أنزلنا لكان صحيحا ونظيره فأصدق وأكن كأنه قيل أصدق  
وقد قرئ لوشننا لأنزلنا وقرئ فنظل أعناقهم (فإن قلت) كيف صح مجيء خاضعين خبراً عن الأعناق (قلت) أصل  
الكلام فظلوها خاضعين فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله كقوله ذهبت أهل اليمامة  
كان الأهل غير مذكور أو لما وصفت بالخضوع الذى هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله تعالى لى ساجدين وقيل أعناق الناس  
رؤسنا وهم ومقدموهم شبهوا بالأعناق كما قيل لهم هم الرؤس والنواصي والصدور قال ۝ فى محفل من نواصي الناس مشهود ۝  
وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت أعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس رضى  
الله عنهما نزلت هذه الآية فينا وفي بنى أمية قال ستكون لنا عليهم لدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هو ان  
بعد عزة ۝ أى وما يجد لهم الله بوجهه وعظمة وتذكيرا لإلجدهوا إعراضا عنه وكفرا به (فإن قلت) كيف خولف  
بين الألفاظ والغرض واحد وهى الإعراض والتكذيب والاستهزاء (قلت) إنما خولف بينها لاختلاف الأغراض  
كأنه قيل حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية  
لأن من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موثقا له (فسياتهم)  
وعيدهم وإنذار بأنهم سيعلمون إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة (ما) الشئ الذى كانوا يستهزئون به وهو  
القرآن وسياتهم أنباؤه وأحواله التى كانت خافية عليهم وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة  
لكل ما يرضى ويحمد فى بابها يقال وجه كريم إذا رضى فى حسنه وجماله وكتاب كريم مرضى فى معانيه وفوائده وقال  
حتى يشق الصفوف من كرمه أى من كونه مرضيا فى شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضى فيما يتعلق به من المنافع  
(إن فى) إنبات تلك الأصناف (لآية) على أن منبتها قادر على إحياء الموتى وقد علم الله أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم

(قوله لثلا يؤمنوا ولا تمتنع إيمانهم) عبارة النسفي أو لا تمتنع (قوله بالأعناق كما قيل لهم هم) لعله كما قيل لهم الرؤس

الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ قَوْمَ فِرْعَوْنَ لَا يَتَّقُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي

غير مرجوا بمآلهم (وإن ربك هو العزيز) في انتقامه من الكفرة (الرحيم) لمن تاب وآمن وعمل صالحا (فإن قلت) ما معنى الجمع بين كم وكل ولوقيل كم أنبتنا فيها من زوج كريم (قلت) قد دل كل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته (فإن قلت) فما معنى وصف الزوج بالكريم (قلت) يحتمل معنيين أحدهما أن النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما أنبت في الأرض من جميع أصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني أن يعبر جميع النبات نافع وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وببني على أنه ما أنبت شيئا إلا وفيه فائدة لأن الحكيم لا يفعل فعلا إلا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وإن غفل عنها الغافلون ولم يتوصل إلى معرفتها العاقلون (فإن قلت) فحين ذكر الأزواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والإحاطة وكانت بحيث لا يحصيها إلا عالم الغيب كيف قال إن في ذلك لآية وهلا قال آيات (قلت) فيه وجهان أن يكون ذلك مشارآه إلى مصدر أنبتنا فكأنه قال إن في الآيات لآية أي آية وأن يراد أن في كل واحد من تلك الأزواج لآية وقد سقت لهذا الوجه نظائر مجمل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنيما عبارتان تعقبان على مؤدى واحد إن شاء ذكروا عنهم بالقوم الظالمين وإن شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم أنفسهم بالكفر وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني إسرائيل باستعبادهم لهم قرئ الأيتقون بكسر النون بمعنى ألا يتقوتى فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة (فإن قلت) بم تعلق قوله ألا يتقون (قلت) هو كلام مستأنف أتبعه عز وجل إرساله إليهم للأنذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى من حالهم التي شنت في الظلم والعسف ومن أمنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من أيام الله ويحتمل أن يكون لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله وعقابه فأدخلت همزة الإنكار على الحال وأما من قرأ ألا يتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات إليهم وجبههم وضرب وجوههم بالإنكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جنابة إلى بعض أخصائه والجاني حاضر فإذا اندفع في الشكاية وحزمزاجه وحمى غضبه قطع مباحة صاحبه وأقبل على الجاني بوجهه ويعنف به ويقول له ألم تتق الله ألم تستح من الناس (فإن قلت) فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه الصلاة والسلام في وقت المناجاة والملفت إليهم غيب لا يشعرون (قلت) إجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه محضرتهم وإلقائه إلى مسامعهم لأنه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية أنزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للؤمنين تدبراً لها واعتباراً بموردها وفي ألا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو أن يكون المعنى ألا ياناس اتقون كقوله ألا يا سبحدوا ۝ ويضيق وينطلق بالرفع لأنهما معطوفان على خبر أن وبالنصب لعطفهما على صلة أن والفرق بينهما في المعنى أن الرفع يفيد أن فيه ثلاث

### (القول في سورة الشعراء)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ۝ قوله تعالى كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم (قال إن قلت ما فائدة الجمع بين كل وكم وأجاب بأن كلا دخلت للإحاطة بأزواج النبات وكم دل على أن هذا المحاط به متكاثر مفرط الكثرة قال أحمد فعلى مقتضى ذلك يكون المقصود بالتكثير الأنواع والظاهر أن المقصود آحاد الأزواج والأنعام وبدل عليه أنه لو أسقطت كل فقلت انظروا إلى الأرض كم أنبت الله فيها من الصنف الفلاني لكانت مكثرا عن آحاد ذلك الصنف المشار إليه فإذا أدخلت كلا فقد أدبت بتكريره آحاد كل صنف لا آحاد صنف معين والله أعلم

(قوله كم أنبتنا فيها من زوج كريم) لعل هنا سقطا تقديره كان مستقيما (قوله وحز مزاجه وحمى غضبه) في الصحاح

حز يحز حزاً وحرارة وحروراً

أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۝ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَرُونَ ۝ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۝ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِمَا بَيْنَنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ۝ فَاتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝

علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة (فإن قلت) في النصب تعليق الخوف بالأمور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف إنما هي غم يلحق الإنسان لأمر سيقع وذلك كان واقعاً فكيف جازت تعليق الخوف به (قلت) قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على أن تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقست منها بقية يسيرة (فإن قلت) اعتذارك هذا يرده الرفع لأن المعنى إني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان (قلت) يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز أن يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز أن لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين أتوا سلاطة الألسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فأراد أن يقرن به ويدل عليه قوله تعالى وأخي هرون هو أفصح مني لساناً ومعنى (فأرسل إلى هرون) أرسل إليه جبرائيل واجعله نبياً وأزرنى به واشدد به عضدى وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد أحسن في الاختصار حيث قال فأرسل إلى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذها إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدعناهم تدميراً حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة أولها وآخرها وهما الإنذار والتدمير ودلّ بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو أنهم قوم كذبوا بآيات الله فأراد الله إلزام الحجّة عليهم فبعث إليهم رسولين فكذبوهما فأهلكهم (فإن قلت) كيف ساغ لموسى عليه السلام أن يأمره الله بأمر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلة وقد علم أن الله من ورائه (قلت) قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاونوا على تنفيذ أمره وتبليغ رسالته فهدى قبل التماسه عذره فيما التمس ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الأمر ليس بتوقف في أمثال الأمر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلاً على التقبل لا على التعلل ۝ أراد بالذنب قتله القبطى وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعنى ولهم على تبعه ذنب وهى قود ذلك القتل فأخاف أن يقتلوني به فحذف المضاف أو سمي تبعه الذنب ذنباً كما سمي جزاء السيئة سيئة (فإن قلت) قد أبيت أن تكون تلك الثلاث عللاً وجعلتها تمهيداً للعذر فيما التمس فما قولك في هذه الرابعة (قلت) هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة فكيف يكون تعللاً والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلام والدفع ۝ جمع الله الاستجابتين معاً في قوله (كلا فاذها) لأنه استدفعه بلامهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازنة بأخيه فأجابه بقوله اذها أى اذها أنت والذي طلبته وهو هرون (فإن قلت) علام عطف قوله فاذها (قلت) على الفعل الذى يدل عليه كلاً كأنه قبل ارتدع يا موسى عما تظن فاذها أنت وهرون وقوله (معكم مستمعون) من مجاز الكلام يريد أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه إذا حضر واستمع ما جرى بينكما وبينه فأظهر كما وغلب كما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز أن يكونا خبيرين لأن أو يكون مستمعون مستقراً ومعكم لغواً (فإن قلت) لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بأنه سميع وسامع (قلت) ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لأن الاستماع جار مجرى الإصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى «قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجياً» ويقال استمع إلى حديثه وسمع حديثه أى أصغى إليه وأدركه بحاسة السمع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من استمع إلى حديث قوم وهم له

(قوله من الفصحاء المصاقع) في الصحاح صقع الديك صاح وخطيب مصقع أى بليغ (قوله واجعله نبياً وأزرنى به واشدده) في الصحاح أزرت فلانا عاونته والعاقمة تقول وأزرت (قوله وهى قود ذلك القتل) لعلة القتل

أَنْ أَرْسَلَ مَعْنَاً بِنِي إِسْرَائِيلَ ۝ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ  
الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝ قَالَ فَعَلْتُمَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۝ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَرَّحْتُ  
كَارَهُونَ صَبَّ فِي أُذُنِهِ الْبُرْمُ (فإن قلت) هلائي الرسول كما ثني في قوله إنار رسولاً ربك (قلت) الرسول يكون بمعنى المرسل

ويعني الرسالة فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن قد من تشبته وجعل ههنا بمعنى الرسالة لجاز النسوية فيه إذا وصف به بين الواحد  
والثنية والجمع كما يفعل بالصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال: السكتى إليها وخير الرسول ۝ ل أعلمهم بنواحي الخبر  
فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله: لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم ۝ بسرولا أرسلتهم برسول  
ويجوز أن يوحد لأن حكمهما التساندهما وانفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك والإخوة كان حكماً واحداً فكأنهما  
رسول واحد أو أريد أن كل واحد منا (إن أرسل) بمعنى أي أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال وتقول أرسلت إليك  
أن افعل كذا لما في الإرسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الإرسال التولية والإطلاق  
كقولك أرسل البازي يريد خلعهم يذهبوا معنا إلى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة  
حتى قال البواب إن ههنا إنساناً يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأذيا إليه الرسالة فعرف موسى  
فقال له (الم نربك) حذف فأتيا فرعون فقولا له ذلك لأنه معلوم لا يشبهه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل الوليد  
الصبي لقرب عهده من الولادة وفي رواية عن أبي عمرو من عمرك بسكون الميم (سنين) قيل مكث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكز  
القبلي وهو ابن ثلثي عشرة سنة وفرضهم على أثرها والله أعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي فعلتك بالكسروهي قتلة القبلي لأنه  
قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل وأما الفعلة فلأنها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمته من تربته وتبليغه مبلغ الرجال  
وويح بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفضعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت (وأنت من الكافرين) يجوز أن يكون  
حالا أي قتله وأنت لذلك من الكافرين بنعمتي وأنت إذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افتري عليه أو جهل أمره لأنه كان  
يعايشهم بالثقة فإن الله تعالى عاصم من يريد أن يستدنه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز أن يكون  
قوله وأنت من الكافرين حكماً عليه بأنه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه  
بدعامته أو بأنه من الكافرين لفرعون وإلهيته أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونها يشهد لذلك  
قوله تعالى ويذكر وأهلك وقرئ إهلك فأجابه موسى بأن تلك الفعلة إنما فرطت منه وهو (من الضالين) أي الجاهل  
وقراءة ابن مسعود من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل أولى الجهل والسفه كما قال يوسف لإخوته هل علمتم ما فعلتم  
بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون أو المخطئين كمن يقتل خطأ من غير عمد للقتل أو الذاهبين عن الصواب أو الناسين من قوله أن تضل  
إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبزأساحته بأن وضع الضالين موضع  
الكافرين رباً بمحل من رشح للثبوت عن تلك الصفة ثم كثر على امتنانه عليه بالثبوت فأبطله من أصله واستأصله من سنخه وأبي

قوله تعالى حكاية عن فرعون وفعلت فعلتك التي فعلت الآية (قال عدد نعمته عليه ويح بما جرى على يده من قتل خبازه  
وفضعه عليه بقوله فعلت فعلتك) قال أحد وجه التفضيح عليه من ذلك أن في إتيانه به بجملاهما إيداً بأنه لفظاً عنه مما لا ينطق به  
إلا مكنياً عنه ونظيره في التفضيح المستفاد من الإيهام قوله تعالى ۝ فغشهم من اليم ما غشهم إذ يغشى السدرة ما يغشى فأوحى  
إلى عبده ما أوحى ومثله كثير والله أعلم

(قوله صب في أذنيه البرم) في الصحاح البرم ثمر العضاه (قوله واستأصله من سنخه) في الصحاح السنخ الأهل  
وسنخ في العلم سنوخا سنخ وسنخ الدهر بالكسر راغة في زنج إذا فسد وتغيرت ريحها يقال بيت له سنخة وسنخة اه ولعل  
السنخة في كلامه أيضاً تأنيث السنخ

لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ إِذْ عَبْدتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝ قَالَ فِرْعَوْنُ  
وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ قَالَ لِمَنِ حَوْلُهُ

أن يسمي نعمته إلا نعمة حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بني إسرائيل لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح آبائهم هو السبب في حصوله عنده وتريبته فكانه آمن عليه بتعبيد قومه إذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيداً يقال عبدت الرجل وأعبدته إذا اتخذته عبداً قال : علام يعبدني قومي وقد كثرت ۝ فيهم أباعر ماشاؤا وعبدان

(فإن قلت) إذا جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزء (قلت) قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى إنك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لأن نعمته كانت عنده جديرة بأن تجازي بنحو ذلك الجزء (فإن قلت) لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع إفراده في تمنا وعبدت (قلت) الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤمنین بقتله بدليل قوله إن الملا يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فنه وحده وكذلك التعبيد (فإن قلت) تلك إشارة إلى ماذا وأن عبدت ما محلها من الإعراب (قلت) تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة لا يدري ما هي إلا بتفسيرها روي أن عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز أن يكون أن في موضع نصب المعنى إنما صارت نعمة علي لأن عبدت بني إسرائيل أي لولم تفعل ذلك لكفنتني أهلي ولم يلقوني في اليم ۝ لما قال له بوابه إن ههنا من يزعم أنه رسول رب العالمين قال له عند دخوله (ومارب العالمين) يريد أي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو إيمان بربيه أي شيء هو من الأشياء التي شوهدت وعرفت أجناسها فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة ليعرفه أنه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الأجرام والأعراض وأنه شيء مخالف لجميع الأشياء ليس كمثل شيء وإمان يريد به أي شيء هو على الإطلاق فتفتيشا عن حقيقة الخاصة ما هي فأجابه بأن الذي إليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بأفعاله الخاصة على ذلك وأما التفتيش عن حقيقة الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عمالاسبيل إليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون وبدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا إنكارا لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه الإلهية فلما جاب موسى بما أجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية إلى غيره فلما أتى بتقرير قوله جننه إلى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما نلت بتقرير آخر احتدوا واحتدم وقال لئن اتخذت إلهًا غيري وهذا يدل على صحة هذا الوجه الأخير ۝ (فإن قلت) كيف قيل (وما بينهما) على التثنية والمرجوع إليه مجموع (قلت) أريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا جمالين (فإن قلت) ما معنى قوله (إن كنتم موقنين) وأين عن فرعون وملئه الإيقان (قلت) معناه إن كان يرجى منكم الإيقان الذي يؤدي إليه النظر الصحيح نفعمكم هذا الجواب والإلام ينفع أو إن كنتم موقنين بشيء قط فهذا أولى ما توقنون به اظهوره وإشارة دليبه ۝ (فإن قلت) ومن كان حوله (قلت) أشرف قومه قبل كانوا خمسائة رجل عليهم الأساور وكانت للملوك خاصة (فإن قلت) ذكر السموات والأرض وما بينهما ما استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب (قلت) قد عمم أولا ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآبائهم لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعان من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة إلى هيئة وحال إلى حال من وقت ميلاده إلى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به واطهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالإحياء والإماتة على نموذ بن كنعان فهت الذي كفره وقرئ رب المشرق والمغرب الذي أرسل إليكم بفتح الهمزة (فإن قلت) كيف قال أولا إن كنتم موقنين وآخرا إن كنتم تعقلون (قلت) لاين

(قوله وطنز به حيث سماه رسولهم) أي سخر به واحتدم أي التهب صدره غيظا أفاده الصحاح

أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۚ قَالَ رَبِّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۚ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۚ  
قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ۚ قَالَ لَنْ نَأْتِيَنَّهُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلِي لَا أَجْعَلُنَاكَ مِنْ  
الْمُسْجُونِينَ ۚ قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْ بِشْيءٍ مُّبِينٌ ۚ قَالَ فَاتَّ بِهَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ۚ فَاتَّقِ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ

أولا فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الإصغاء إلى عرض الحجج خاشن وعارض إن رسولكم مجنون بقوله إن كنتم تعقلون (فإن قلت) ألم يكن لا يجتنبك أخصر من لا جعلك من المسجونين ومؤدبا مؤداه (قلت) أما أخصر فنعلم وأما مؤد مؤداه فلا لأن معناه لا جعلك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشدّه الواء في قوله (أو لوجثتك) وواو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه أتفعل بي ذلك ولو جثت بشيء مبين أي جاثيا بالمعجزة وفي قوله (إن كنت من الصادقين) أنه لا يأتي بالمعجزة إلا الصادق في دعواه لأن المعجزة تصديق من الله لمدعى النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب أن مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على ناس من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره إن كنت من الصادقين

قوله تعالى حكاية عن فرعون قال فأت به إن كنت من الصادقين (قال فيه علم فرعون أنه لا يأتي بالمعجزة إلا صادق في دعواه لأن المعجزة تصديق من الله تعالى لمدعى النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب أن فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على طائفة من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزهم تصديق الكاذبين بالمعجزات انتهى كلامه) قال أحمد ليته سلم وجه تصنيفه من آليل هذه الأباطيل وكلف هذا التكليف في كيد لأهل السنة وإن كيد لقي تضليل بينا هو يعرض بتفضيل فرعون عليهم إذا هو قد حتم على إخوانه الفدرية أنهم فراعنة وأن كلا منهم إذا فقس نفسه وجد فيها نصيبا من فرعته حيث يقول أنار بكم الأعلى لأنهم يعتقدون أن أفعالهم خلقهم وأهم لها مبدعون خالقون كلا إنهم لهم المبتدعون المختلقون لأنهم حجروا على الله تعالى أن يفعل إلا ما توطأت أوهامهم على أنه حسن بالنسبة إلى الخلق في الشاهد فنتم أشركوا به وهم لا يشعرون ولما هدى الله تعالى أهل السنة إلى التوحيد الحق اعتقدوا أن كل شيء هو مخلوق لله تعالى لا شريك له في ملكه وأن كل ممكن يجوز أن ينظمه سلطان القدرة الأزلية في سلكه فكان من الممكنات أن يبتي الله عباده بخرق العادات على أيدي الكاذبين ومراده إظهار الضلالات وقد اندرج ذلك لكونه ممكنا تحت سطوة القدرة حقا بينما ثم لم يلزم من ذلك لله الحمد خرم في الدين فإن توهم ناظر بعين الهوى والغرض معنون عمما في قلبه من مرض أن ذلك يجر إلى عدم الوثوق بمعجزات الأنبياء حيث كان على يد غيرهم من الكاذبين الأشقياء قيل معاذ الله أن تأخذ ذلك بنفس مطمئة بصدق الأنبياء آمنة بحصول العلم لها من وقوع ما جوزه العقل ولو قدح الإمكان العقلي في علم حاصل يقيني للزم الآن الشك في أن جبال الأرض قد عادت نهرا أحمر وتراها مسكا أذفر وانقلبت البحار دماغيطا لأن ذلك ممكن في العقل بلا خلاف ولا يشكك نفسه في هذا الإمكان إلا ذو خبل وعنه وعى وعمه وأين الزمخشري من الحديث الصحيح في الشاب الذي يكذب الدجال فيقسمه بالسيف جزلتين فيمشي بينهما ثم يقول له عد فيعود حيا فيقول له ما زددت فيك إلا بصيرة أنت الدجال الذي وصفه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم به ثانيا مرة فلا يسلط عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو جئذ خير أهل الأرض أو من خير أهل الأرض أفرأيت هذا المؤمن لما نظر انخراق العادة على يد الكاذب الكاذبين حتى شاهد ذلك في نفسه لم يشكك ذلك في

(قوله فلما رأى منه شدة الشكيمة في العناد) في الصحاح فلان شديد الشكيمة إذا كان شديد النفس أنفا أيا (قوله وخفي

على ناس من أهل القبلة) يريد أهل السنة حيث قالوا إن كلا من الحسن والقبيح بقضاء الله تعالى وقدره ولم يلزمهم

ثُعْبَانٍ مُّبِينٍ ۝ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ۝ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ۝ يَرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ يَا تَوَكُّبِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ۝ جُمِعَ السَّحْرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ۝ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مَجْتَمِعُونَ ۝ لَعَلْنَا نَتَّبِعِ

في دعواك أتيت به فحذف الجزاء لأن الأمر بالإتيان به يدل عليه (ثعبان مبين) ظاهر الثعبانية لاشيء يشبه الثعبان كما تكون الأشياء المزورة بالشعوذة والسحر وروى أنها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبله إلى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أسالك بالذي أرسلك ألا أخذتها فأخذها فعادت عصا (لناظرين) دليل على أن بياضها كان شيئاً يجتمع النظارة على النظر إليه لخروجه عن العادة وكان بياضاً نورياً روى أن فرعون لما أبصر الآية الأولى قال فهل غيرها فأخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها فأدخلها في أبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الأبصار ويسد الأفق (فإن قلت) ما العامل في حوله (قلت) هو منصوب نصيبين نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قال (ولقد تحير فرعون لما أبصر الآيتين وبقى لا يدري أي طرفيه أطول حتى زلّ عنه ذكر دعوى الإلهية وحط عن منكيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفاً ورفقا وبلغت به الاستكابة لقومه الذين هم يزعمه عبده وهو إلههم أن طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذر منه وترفعه وأحسّ به من جهة موسى عليه السلام وغلبته على ملكه وأرضه وقوله (إن هذا ساحر عليم) قول باهت إذا غلب وتمحل إذا لزم (تأمرون) من المؤامرة وهي المشاورة أو من الأمر الذي هو ضد النهي جعل العبيد أمرين ورهبهم مأموراً لما استولى عليه من فرط الدهش والخيف وهما لغتان يقال أرجأته وأرجيته إذا أخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد المساق ويقولون هم مرجئون لأمر الله والمعنى أخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل أحبسه (حاشرين) شرطاً يحشرون السحرة وعارضوا قوله إن هذا لساحر بقولهم بكل سحار فجاءوا بكلمة الإحاطة وصفة المبالغة ليظلموا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه (وقرأ الأعمش بكل ساحر اليوم المعلوم: يوم الزينة وميقانه وقت الضحى لأنه الوقت الذي وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة في قوله موعدهم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به أي حدد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الإحرام (هل أنتم مجتمعون) استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق إذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول

معلومه فلم يتكأ في معاودة تكذيبه ولكن ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويصل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء (قوله تعالى قالوا أرجه وأخاه) قال معناه أخره ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بوعيد المساق ويقولون هم مرجئون لأمر الله) قال أحمد ضاقت عليه المسالك في تفسير الإرجاء حتى استدل عليه بالمرجئة وصرف هذا اللفظ لأهل السنة فإنهم هم الذين لا يقطعون بوعيد فساق المؤمنين ويقولون أمرهم إلى الله إن شاء عفا عنهم وإن شاء غفر لهم فإن كانت المرجئة هم المؤمنون بقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اللهم فاشهد أنا مرجئة

باطل كما بين في علم التوحيد (قوله ولها شعاع يكاد يغشى الأبصار) في الصحاح الغشاء الغطاء اه ولعل عبارة المصنف يعشى بالعين المهملة وفي الصحاح المشا مقصور مصدر الأعشى وهو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار (قوله وانتفخ سحره خوفاً ورفقا) في الصحاح السحر الرثة ويقال للجان قد انتفخ سحره (قوله شرطاً يحشرون السحرة) الشرط محرّكة الحرس سمعوا بذلك لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها أفاده الصحاح



السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۖ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۖ  
 قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ۖ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوَامَ مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ۖ فَالْقُوا حِبَالَهُمْ وَعَصِيهِمْ وَقَالُوا  
 بَعِزَّةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ۖ فَالتَّى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۖ فَالتَّى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ۖ  
 قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ۖ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي  
 عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۖ قَالُوا لَاضْمِرْ  
 إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ۖ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبِّنَا خَطِيئَتَنَا إِن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى

تأبط شرا هل أنت باعث دينار لحاجتنا ۖ أو عبد رب أخاعون بن مخراق

يريد ابعه إلينا سريعا ولا تبطئ به (لعلنا تتبع السحرة) أي في دينهم إن غلبوا موسى ولا تتبع موسى في دينه وليس غرضهم  
 باتباع السحرة وإنما الغرض الكلي أن لا يتبعوا موسى فساهموا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين  
 لموسى عليه السلام ۖ وقرئ نعم بالكسروهما لغتان ولما كان قوله (إن لنا لأجرا) في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه  
 وكان قوله (وإنكم إذا لمن المقربين) معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت إذا قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب  
 والجزاء وعدم أن يجمع لهم إلى الثواب على سحرهم الذي قدروا أنهم يغلبون به موسى القربة عنده والزاني ۖ أقسموا بعزة  
 فرعون وهي من أيمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الإسلام إلا الحلف بالله معلقا ببعض أسمائه أو صفاته  
 كقولك بالله والرحمن ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 لا تحلفوا بآبائكم ولا بأبائهم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون ولقد استحدث الناس  
 في هذا الباب في إسلامهم جاهلية نسبت لها الجاهلية الأولى وذلك أن الواحد منهم لو أقسم بأسماء الله كلها وصفاته على  
 شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه فإذا أقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف  
 (ما يافسون) ما يقبلونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيمهم أنها حيات تسعى  
 بالتمويه على الناظرين أو إفكهم سمي تلك الأشياء إفكا مبالغة ۖ روى أنهم قالوا إن بك ما جاء به موسى سحر افن يغلب وإن  
 كان من عند الله فن يخفي علينا فلما قذف عصاه فلقفت ما توابه علموا أنه من الله فآمنوا وعن عكرمة رضى الله عنه أصبحوا  
 سحرة وأمسوا شهداء ۖ وإنما عبر عن الحرور بالإلقاء لأنه ذكر مع الإلقاءات فسلك به طريق المشاكلة وفيه أيضا مع مراعاة  
 المشاكلة أنهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين كأنهم أخذوا فطرحوا طرحا (فإن قلت)  
 فاعل الإلقاء ما هو لو صرح به (قلت) هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق أو إيمانهم أو ما عاينوا من المعجزات الباهرة ولك  
 أن لا تقدر فاعلا لأن القوا بمعنى خزوا وسقطوا (رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لأن فرعون لعنه الله كان  
 يدعى الربوبية فأرادوا أن يعزلوه ومعنى إضافته إليهما في ذلك المقام أنه الذي يدعو إليه هذان والذي أجرى على أيديهما  
 ما أجرى (فلسوف تعلمون) أي وبال ما فعلتم ۖ الضرر الضير والضرر واحد أرادوا لاضرر علينا في ذلك بل لنا فيه أعظم  
 النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الأعراس الكثيرة أو لاضرر علينا فيما  
 توعدنا به من القتل أنه لا بد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها أو لاضرر  
 علينا في قتلك إنك إن قتلنا انقلبنا إلى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من سبق إلى الإيمان

(قوله وليس غرضهم باتباع السحرة) لعله اتباع كعبارة النسفي (قوله وقرئ نعم بالكسروهما لغتان) أي كسر العين كما في الصحاح

أَن أَسْرَبِعَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ۝ فَارْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ إِن هُوَ إِلَّا شَرِّ ذَمَّةٍ لِّقَالُونَ ۝ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَاءٌ نُّظُونَ ۝ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ۝ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ كَذَلِكَ

وخبير لا محذوف والمعنى لاضرير في ذلك أو علينا (أن كنا) معناه لأن كنا وكانوا أول جماعة مؤمنين من أهل زمانهم أو من رعية فرعون أو من أهل المشهد وقرئ إن كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به المدل بأمره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين أنهم أول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله إن كنت علمت لك فوقتي حتى ومنه قوله تعالى إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه أنهم لم يخرجوا إلا لذلك قرئ أسر بقطع الهمزة ووصلها وسر (إنكم متبعون) علل الأمر بالإسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى أني بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فأطبقه عليهم فأهلكهم وروى أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا به وتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى أن الله أوحى إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل كل أربعة آيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فإني سأمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتا على باب دم وسأمرهم بقتل أبقار القبط واخبزوا خبزاً فطيراً فإنه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي إلى البحر فإتيك أمري فأرسل فرعون في أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ألف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبع مائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث فلذلك استقل قوم موسى عليه السلام وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً وسبعمائة ألفاً شردمة قليلين (إن هؤلاء) محكي بعد قول مضمرة والشردمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي يلي وتقطع قطعاً كرم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلاً بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلاً واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على قلة وقال ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والقهاة ولا يريد قلة العدد والمعنى أنهم لقتلهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون أفعالاً تعيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور فإذا خرج علينا خارج سار عنا إلى حسم فساد هذه معاذير اعتذرها إلى أهل المدائن لا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانة وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالمدال غير المعجمة فالحذر اليعقظ والحاذر الذي يجتد حذره وقيل المودى في السلاح وإنما يفعل ذلك حذراً واحتياطاً لنفسه والحادر السمين القوي قال

أحب الصبي السوء من أجل أمه ۝ وأبغضه من بغضها وهو حادر

أراد أنهم أقوياء أشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في أجسامهم ۝ وعن مجاهد سماها كنوز الأثام لم ينفقوا منها في طاعة الله والمقام المسكان يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السر في الحجال (كذلك)

قوله تعالى إن هؤلاء لشردمة قليلون (قال اللهم من أربعة أوجه عبر عنهم بالشردمة وهي تفيد القلة ثم وصفهم بالقلة وجمع وصفهم ليعلم أن كل ضرب منهم قليل واختار جمع السلامة ليفيد القلة) قال أحمد ووجه آخر في تقليدهم يكون خامساً وهو أن جمع الصفة والموصوف منفرد قد يكون مبالغة في لصوق ذلك الوصف بالموصوف وتناهي فيه بالنسبة إلى غيره

(قوله المدل بأمره المتحقق لصحته) أي الواثق به أفاده الصحاح (قوله ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها) في الصحاح الجدى من ولد المعز وثلاثة أجزاؤه كثرته فهي الجداء (قوله واخبزوا خبزاً فطيراً) في الصحاح الفطير خلاف الخبز وكل شيء أعجلته عن إدراكه فهو فطير (قوله وقد يجمع القليل على أقله وقل) في الصحاح مثل سرير وسرر (قوله وقرئ حذرون وحاذرون) في الصحاح وقرئ وإنما يجمع حاذرون وحذرون وحذرون أيضاً بضم الذال حكاه الأخفش ومعنى حاذرون متأهبون وفيه أدى الرجل أي قوى من الأداة فهو مؤد بالهمز أي شاك في السلاح وفيه أدت للسفر فإنا مؤدله إذا كنت متهيئاً له (قوله وقيل السر في الحجال) السراجماع والحجال جمع حجلة وهي بيت العروس يزين بالثياب والأسرة والستور كذا

وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۖ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِتِينَ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ۖ قَالَ  
 كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۖ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَاقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ  
 الْعَظِيمِ ۖ وَأَزَلْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ۖ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ۖ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً  
 وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ  
 مَا تَعْبُدُونَ ۖ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِيَةً ۖ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۖ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ۖ

يحمل ثلاثة أوجه النصب على أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفناه والجر على أنه وصف لمقام أي مقام كريم مثل ذلك  
 المقام الذي كان لهم والرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر كذلك (فاتبعوهم) فالحقوهم وقرئ فاتبعوهم (مشرقين) داخلين في  
 وقت الشروق من شرق الشمس شرقاً وإذا طلعت (سهيدين) طريق النجاة من إدراكهم وإضرارهم وقرئ فلما تراءت الفئتان ۖ  
 إن المذكر كون بتشديد الدال وكسر الراء من أدرك الشيء إذا تابعه فني ومنه قوله تعالى بل ادرك عليهم في الآخرة قال الحسن جهلوا  
 علم الآخرة وفي معناه بيت الحماسة أبعث بني أمي الذين تتابعوا ۖ أرجى الحياة أم من الموت أجزع  
 والمعنى إن المتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى من أحده الفرق الجزء المتفرق منه . وقرئ كل فلق والمعنى واحد الطود الجبل  
 العظيم المنطاد في السماء (وأزلفناهم) حيث انفاق البحر (الآخرين) قوم فرعون أي قربانهم من بني إسرائيل أو أدنيننا بعضهم من  
 بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحداً وقد مناهم إلى البحر وقرئ وأزلفنا بالقاف أي أزلفنا أقدامهم والمعنى أذهبنا عزهم كقوله  
 تداركتما عبسا وقد نل عرشها ۖ وذيان إذ زلت بأقدامها النعل

ويحتمل أن يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني إسرائيل يبسا فيزلقهم فيه ۖ عن عطاء بن السائب أن  
 جبريل عليه السلام كان بين بني إسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني إسرائيل ليلحق آخركم بأولكم ويستقبل  
 القبط فيقول رويدكم يلحق آخركم فلما انتهى موسى إلى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى أين أمرت  
 فهذا البحر أمامك وقد غشيتك آل فرعون قال أمرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب  
 بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق وروى أن يوشع قال يا كلم الله أين أمرت فقد غشيتنا  
 فرعون والبحر أمامنا قال موسى ههنا نخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى أن موسى قال  
 عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكثون لكل شيء والكائن بعد كل شيء ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر  
 من وراء مصر يقال له أساف (إن في ذلك لآية) آية آية وآية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع أمرها فيهم ۖ وما تنبه عليها  
 أكثرهم ولا آمن بالله وبنو إسرائيل الذين كانوا أصحاب موسى المخصوصين بالإنجاء قد سألوه بقرة يعبدونها واتخذوا  
 العجل وطلبوا رؤية الله جهرة (وإن ربك لهو العزيز) المنتقم من أعدائه (الرحيم) بأوليائه ۖ كان إبراهيم عليه السلام  
 يعلم أنهم عبدة أصنام ولكنه سألمهم ليريمهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء كما تقول للتاجر : ما مالك  
 وأنت تعلم أن ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال (فإن قلت) (ما تعبدون) سؤال عن المعبود فحسب

من الموصوفين به كقولهم معازيد جياح مبالغته في وصفه بالجرع فكذلك ههنا جمع قليلا وكان الأصل إفراده فيقال

في الصحاح (قوله والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء) في الصحاح طود في الجبال مثل طوف وطوح والمطاود  
 مثال المطاوح (قوله وقد نل عرشها) في الصحاح نلت البيت هدمته ويقال للقوم إذا ذهب عزهم قد نل عرشهم

قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۚ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۚ أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ الَّذِينَ قَدَّمُوا ۚ وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنَّا رُسُلَنَا وَتَكُونَ أُمَّةٌ واحدةٌ قَدْ أَهْلَكَتْ ۚ فَكَيْفَ يُعَذِّبُهُمْ عَلَيْهِمْ إِذْ جَاءَهُمْ هُدًى ۚ وَكَيْفَ يُعَذِّبُهُمْ إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ ۚ وَإِنَّمَا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۚ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۚ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۚ وَالَّذِي يُمِطُّ الْعَنُقَ حَتَّىٰ يَلْمِزَهُ ۚ وَالَّذِي يُثَبِّتُ الْأَذْنَاعَ حَتَّىٰ تَطَافُكُم ۚ وَالَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ لِيَكُونَ لَكُم مَّاءٌ شَارِبٌ ۚ فَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي كُنْتُمْ تُنْكِرُونَ ۚ وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنَّا رُسُلَنَا وَتَكُونَ أُمَّةٌ واحدةٌ قَدْ أَهْلَكَتْ ۚ فَكَيْفَ يُعَذِّبُهُمْ عَلَيْهِمْ إِذْ جَاءَهُمْ هُدًى ۚ وَكَيْفَ يُعَذِّبُهُمْ إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ ۚ وَإِنَّمَا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ

فكان القياس أن يقولوا أصناما كقوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا أنزل ربكم قالوا أخيراً (قلت) هؤلاء قد جاؤا بقصة أمرهم كاملة كالمتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب إبراهيم وعلى ما قصدوه من إظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار إلا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد (فظل لها عاكفين) ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله أن تقول لبعض الشطار ما تليس في بلادك فيقول أليس البرد الاتحى فأجز ذيله بين جوارى الحى وإنما قالوا نزل لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل . لا بد في (يسمعونكم) من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم وقرأ قتادة يسمعونكم أى هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرتون على ذلك وجاء مضارعا مع إبقاعه في إذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا أو اسمعوا قط وهذا أبلغ في التبكيت . لما أجابوه بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم رفقوا أمر تقليدكم هذا إلى أقصى غاياته وهي عبادة الأقدمين الأولين من آباءكم فإن التقدّم والأولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقاً بالقدم وما عبادة من عبادة هذه الأصنام إلا عبادة أعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى « كلا سيكفرون بعبادتهم ويكرنون عليهم ضداً ولأن المغرى على عبادتها أعدى أعداء الإنسان وهو الشيطان وإنما قال (عدو لي) تصويراً للسألة في نفسه على معنى أنى فكرت في أمرى فرأيت عبادتى لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه وأراهم بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسه أو لا وبني عليها تدبير أمره لينظروا فيقولوا ما نصحننا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه وما أرادنا إلا ما أراد لروحه ليكون أدهى لهم إلى القبول وأبعث على الاستماع منه ولو قال فإنه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولأنه دخل في باب من التعريض وقديباغ التعريض للنصوح ما لا يبلغه النصريح لأنه يتأمل فيه فرمما قاده التأمل إلى القبل ومنه ما يحكى عن الشافعى رضى الله تعالى عنه أن رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث أنت لاحتجت إلى أدب وسمع رجلا ناساً يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتى ولا بيتكم . والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة قال وقوم على ذوى مثرة . أراهم عدواً وكانوا صديقا

ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شها بالمصادر للبرازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل (إلا رب العالمين) استثناء منقطع كأنه قال ولكن رب العالمين (فهو يهدين) يريد أنه حين أتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع إلى كل ما يصلحه ويعنيه وإلا فمن هداه إلى أن يغتذى بالدم في البطن امتصاصاً ومن هداه إلى معرفة الندى عند الولادة وإلى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع إلى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد وإنما قال (مرضت) دون أمرضى لأن كثيراً من أسباب المرض يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت

لشردمة قليلة كما أفرد في قوله كم من مئة قليلة ليدل بجمعه على تناهيهم في القلة لسكن ببق النظر في أن هذا السريقى الوجوه المذكورة على ما هي عليه أو يسقط منها شيئاً ويخلفه فتأمله والله الموفق . قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام « وإذا مرضت فهو يشفين » (قال إنما أضاف المرض إلى نفسه لأن كثيراً منه بتفريط الإنسان في مطعمه ومشربه) قال أحمد والذي ذكره غير الزمخشري أن السر في إضافة المرض إلى نفسه التأدب مع الله تعالى بتخصيصه بنسبة الشفاء الذي هو نعمة ظاهرة إليه تعالى ولعل الزمخشري إنما عدل عن هذا لأن إبراهيم عليه السلام قد أضاف

(قوله أليس البرد الاتحى) في الصحاح الاتحى ضرب من البرود (قوله وقوم على ذوى مثرة أراهم) أى حقد وعداوة أفاده الصحاح

فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۝ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ۝ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا  
وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ ۝ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ۝ وَأَغْفِرْ لِي إِنَّهُ  
كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ۝ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝

الحكام لو قيل لا أكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم ۝ وقرئ خطاياي والمراد ما يندرمه من بعض الصغائر لأن الأنبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هي قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي أختي وما هي إلا معاريف كلام وتخيلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار (فإن قلت) إذا لم يندرم منهم إلا الصغائر وهي تقع مكفرة فإله أثبت لنفسه خطيئة أو خطايا وطمع أن تغفر له (قلت) الجواب ما سبق لي أن استغفار الأنبياء تواضع منهم لربهم وهضم لأنفسهم وبدل عليه قوله أطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لأهلهم وليكون لطفاً لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم (فإن قلت) لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وإنما تغفر في الدنيا (قلت) لأن أثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم ۝ الحكم الحكمة أو الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لأن النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله ۝ والإلحاق بالصلحين أن يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم أو يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد أجابه حيث قال وإنه في الآخرة لمن الصالحين ۝ والإخزاء من الخزي وهو الهوان ومن الخزية وهي الحياء وهذا أيضاً من نحو استغفارهم مما علموا أنه مغفور وفي (يبعثون) ضمير العباد لأنه معلوم أو ضمير الضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لآبيه يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون وأبي فيهم (إلا من آتى الله) إلا حال من آتى الله (بقلب سليم) وهو من قولهم ۝ تحية بينهم ضرب وجيع ۝ وما ثوابه إلا السيف ويانه أن يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تربدني المال والبنين عنه وإثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وإن شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كأنه قيل يوم لا ينفع غنى إلا غنى من آتى الله بقلب سليم لأن غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما أن غناه في دنياه بماله وبذيه وإك أن تجعل الاستثناء منقطعاً ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى إلى أن المال والبنين لا ينفعان وإنما ينفع سلامة القلب ولولم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولاً لينفع أي لا ينفع مال ولا بنون إلا رجلاً سلم قلبه مع ماله حيث أنفق في طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين وعلهم الشرائع ويجوز على هذا إلا من آتى الله بقلب سليم من فتنه المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي ومما أكرم الله تعالى به

الإماتة إلى الله تعالى وهي أشد من المرض فلم يثبت عنده المعنى المذكور ولكن المعنى الذي أبداه الزمخشري أيضاً في المرض ينكسر بالموت فإن المرض كما يكون بسبب تفريط الإنسان في نفسه كذلك الموت الناشئ عن سبب هذا المرض الذي يكون بتفريط الإنسان وقد أضافه إلى الله تعالى ويمكن أن يفرق بين نسبة الموت ونسبة المرض في مقتضى الأدب بأن الموت قد علم واشتهر أنه قضاء محتوم من الله تعالى على سائر البشر وحكم عام لا يخص ولا كذلك المرض فكم من معافي منه قد بلغت الموت فالتأسي بعموم الموت لعله يسقط أثر كونه بلاء فيسوغ في الأدب نسبه إلى الله تعالى وأما المرض فلها كان مما يخص به بعض البشر دون بعض كان بلاء محققاً فاقضى العلو في الأدب مع الله تعالى أن ينسبه الإنسان إلى نفسه باعتبار ذلك السبب الذي لا يخلو منه ويؤيد ذلك أن كل ما ذكره مع المرض أخبر عن وقوعه بتأجز ما لأنه أمر لا بد منه وأما المرض فلها كان قد يتفق وقد لا أورده مقررون بشرط إذا فقال وإذا مرضت وكان ممكناً أن يقول والذي يمرضني

(قوله وهو الهوان ومن الخزية وهي الحياء) لعله أو من (قوله أو ضمير الضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لآبيه) لعله عطف على المعنى كأنه قال ويحتمل أنه ضمير الضالين الخ

وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝ وَبَرَزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۝ وَقِيلَ لَهُمْ آيِنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ۝ فَكَبَّسِكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ۝ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ۝ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۝ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّبُكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ۝ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

خليله ونبه على جلاله لئلا يحمله في الاخلاص ان حكى اسمائه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جرده صفة له في قوله وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع النفاسير تفسير بعضهم السليم بالديغ من خشية الله وقول آخر هو الذي سلم وسلم وأسلم وسالم واستسلم وما أحسن ما رتب إبراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولاً عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تنفع ولا تبصر ولا تسمع على تقليد أبائهم الأقدمين فكفره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلاً أن يكون حجة ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله عز وعلاف عظم شأنه وعدد نعمته من لدن خلقه وإنشائه إلى حين وفاته مع ما يرجي في الآخرة من رحمته ثم أتبع ذلك أن دعاه بدعوات المخلصين وابتهل إليه ابتهاج الأتوايين ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكرة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون إليها ويغضبون بأنهم المحشورون إليها والنار تكون بارزة مكشوفة للأشقياء بمرأى منهم يتعسرون على أنهم المسوقون إليها قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال فلدار أو هزلة سيئت وجره الذين كفروا يجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فجعل النار بمرأى منهم فيكون غمها في كل لحظة ويوبخون على إشرأ كههم فيقال لهم آين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لأنهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله (فككبكبوا فيهاهم) أي الآلهة (والغاوون) وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكة تكبير الكب جمل التكبير في اللفظ دليلاً على التكبير في المعنى كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم أجرنا منها يا خير مستجار (وجنود إبليس) شياطينه أو متبعوه من عصاة الجن والإنس يجوز أن ينطق الله الأصنام حتى يصح التقاول والنخاصم ويجوز أن يجري ذلك بين العصاة والشياطين والمراد بالجرمين الذين أضلوهم رؤساؤهم وكبرأؤهم كقوله ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وعن السدى الأولون الذين أقنينا بهم وعن ابن جرير إبليس وابن آدم القاتل لأنه أول من سن القتل وأنواع المعاصي (فمألنا من شافعين) كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبين (ولا صديق) كما نرى لهم أصدقاء لأنه لا يتصادق في الآخرة إلا المؤمنون وأما أهل النار فينبههم التعادى والتباغض قال الله تعالى «الآخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين» أو فالنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنانعدهم شفعاء وأصدقاء لأنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس أو أرادوا أنهم وقعوا في مهلكة علموا أن الشفعاء والأصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفهم نبي ما يتعلق بهم من النفع لأن ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم والجحيم من الاحتمال وهو الاهتمام وهو الذي يهه ما يهك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص (فإن قلت) لم جمع الشافع ووجد الصديق (قلت) لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ألا ترى أن الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل

فيشفي كما قال في غيره ، فساعدل عن المطابقة المجانسة المأثورة لذلك والله أعلم ۝ قوله تعالى فمألنا من شافعين ولا صديق حميم ( قال إنما جمع الشافع ووجد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة إذا نزل بإنسان خطب بمن يعرفه ومن لا يعرفه وأما الصديق فقليل) قال أحمد العجب أن الصديق يقع على الواحد وعلى الجمع فما الدليل على إرادة الأفراد ثم لو كان

مُؤْمِنِينَ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۖ  
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ وَمَا أَسْتَلِكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ  
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ قَالُوا اتُّؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبِعَكَ الْأَرذَلُونَ ۖ قَالَ وَمَا عَلَّمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ إِنْ حِسَابُهُمْ

بلدة لشفاعته رحمة له وحسبة وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة وأما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهده ما أهمك  
فأعز من بيض الأنوق وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال اسم لامعني له . ويجوز أن يربد بالصديق الجمع .  
الكرة الرجعة إلى الدنيا . ولو في مثل هذا الموضوع في معنى التمني كأنه قيل فليت لناكرة وذلك لما بين معنى لو وليت  
من التلاقي في التقدير ويجوز أن تكون على أصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت . القوم مؤنثة وتصغيرها  
قويمة . ونظير قوله ( المرسلين ) والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدراب ويلبس البرود وماله إلا دابة  
وبرد قيل أخوهم لأنه كان منهم من قول العرب يا أخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة

لا يسألون أخاهم حين يندبهم . في النابتات على من قال برهانا

كان أميناً فيهم مشهوراً بالأمانة كحمد صلى الله عليه وسلم في قريش ( وأطيعون ) في نصحي لكم وفي ما أدعوكم إليه  
من الحق ( عليه ) على هذا الأمر وعلى ما أتانيه يعني دعاه ونصحه ومعنى فاتقوا الله وأطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرره  
ليؤكد عليه ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحدة منهما بعللة جعل العلة الأولى كونه أميناً فيما بينهم وفي الثاني حسم  
طعمه عنهم . وقرئ وأتباعك جمع تابع كشاهدوا وشهادوا وجمع تبع كبطل وأبطال والواو للحال وحقها أن يضم بعدها  
قد في واتبعك . وقد جمع الأردل على الصحة وعلى الكثير في قوله الذين هم أراذلنا والردالة والندالة الحسة والندامة  
وإنما استردلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة  
والصناعة لا تزي بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت أتباع الأنبياء  
كذلك حتى صارت من سماتهم وأماراتهم ألا ترى إلى هرقل حين سأل أبا سفيان عن أتباع رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فلما قال ضعفاء الناس وأراذلهم قال ما زالت أتباع الأنبياء كذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الغاغة وعن  
عكرمة الحياكة والأساكفة وعن مقاتل السفلة ( وما علمي ) وأي شيء علمي والمراد انتفاء علمه باخلاص أعمالهم لله  
واطلاعه على سر أمرهم وباطنه وإنما قال هذا لأنهم قد طعنوا مع استردالهم في إيمانهم وأهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة  
وإنما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله الذين هم أراذلنا بادي الرأي ويجوز أن يتغابي لهم نوح عليه السلام  
يفسر قولهم الأراذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الأعمال وفساد العقائد ولا يلتفت إلى ما هو الرذالة عندهم ثم

المراد الإفراد لكان أعم لأنه في سياق النفي فينبغي الواحد فما زاد عليه إلى ما لانهاية له والله أعلم . قوله تعالى كذبت  
قوم نوح المرسلين ( قال المراد نوح كما تقول فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله إلا دابة وبرد ) قال أحمد لا حاجة  
إلى تأويل الجمع بالواحد ههنا مع القطع بأن كل من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل لأنه ما من نبي إلا  
ومستند صدقه المعجزة الدالة على الصدق فقد كذبوا كل من استند صدقه إلى دليل المعجزة وكذلك وقعت الإشارة  
بقوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله لأن الفرقة بينهم توجب تكذيب الكل وتصديق واحد يوجب تصديق الكل والله أعلم

( قوله فأعز من بيض الأنوق ) في الصحاح الأنوق على فعول طائر وهو الرخمة ( قوله وقيل كانوا من أهل الصناعات  
الدنية كالحياكة والحجامة ) لعله الدنيثة كعبارة النسفي ( قوله هم الغاغة وعن عكرمة الحياكة ) لعله الصاغة وفي الخازن  
قال ابن عباس يعني القافة

إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ ۚ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۚ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَسْنُوحْ لَتَكُونَنَّ  
 مِنَ الْمَرْجُومِينَ ۚ قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۚ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ  
 فَانجِنِهِ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ۚ ثُمَّ اغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ۚ  
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۚ كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ۚ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ آلَاتِنَا تَقُون ۚ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ  
 أَمِينٌ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۚ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ  
 رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۚ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ۚ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۚ

بني جوابه على ذلك فيقول ماعلي إلا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن أسرارهم والشق عن قلوبهم وإن كان لهم عمل سيء فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما أنا إلا منذر لا محاسب ولا مجاز (لوتشعرون) ذلك ولكنكم تجهلون فتساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار من يسمى المؤمن رذلا وإن كان أفقر الناس وأضعفهم نسبا فإن الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى (وما أنا بطارد المؤمنين) يريد ليس من شأنى أن أتبع شهواتكم وأطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح إيمانهم طمعا في إيمانكم وماعلي إلا أن أنذركم إنذارا بينا بالبرهان الصحيح الذى يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم ۚ ايس هذا باخبار بالتكذيب لعله أن عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد أنى لا أدعوك عليهم لما غاظونى وآذونى وإنما أدعوك لاجلك ولأجل دينك ولأنهم كذبونى فى وحيك ورسالتك فاحكم (بيني وبينهم) والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كماسمى فيصلا لانه يفصل بين الخصومات . الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن أسد ، كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لأنهما أخوان فى قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا أسد وأسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وإبل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كنانز والجمع بوزن كرام ۚ والمشحون المملوء يقال شحها عليهم خيلا ورجالا قرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس فى الآل يرفعها ويخفضها ۚ ريع يـلوح كأنه سحل

ومنه قولهم كم ريع أرضك وهو ارتفاعها والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم فى أسفارهم فاتخذوا فى طرقهم أعلاما طوالا فعبثوا بذلك لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام ۚ والمصانع ما أخذ

ۚ قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون (قال كانوا يهتدون فى أسفارهم بالنجوم فاتخذوا فى طرقهم أعلاما فعبثوا بذلك إذ النجوم فيها غنية عنها وقيل المراد القصور المشيدة وقيل بروج الحمام) قال أحمد وتأويلها على القصور أظهر وقد ورد ذم ذلك على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم حيث وصف الكائنين آخر الزمان بأنهم يتناولون فى البنيان وما أحسن قول مالك رضى الله عنه ولا يصلى الإمام على شىء أرفع مما عليه أصحابه كالدكاك تكون مرتفعة فى المحراب ارتفاعا كبيرا لأنهم يععبثون فعبث عن ترفعهم إلى المحراب على سبيل التكبر ومطاولتهم المأمومين بالعبث كتعبير هود صلوات الله عليه وسلامه عن ترفع قومه فى البنيان بالعبث . وأما تأويل الآية على اتخاذهم الأعلام فى الطرقات وقد كانت لهم بالنجوم كفاية ففيه بعد من حيث أن الحاجة تدعو إلى ذلك لغيم مطبق وما يجرى مجراه ولو وضع هذا فى زماننا اليوم لهذا المقصد لم يكن عبثا والله أعلم

(قوله كأنه سحل) فى الصحاح السحل الثوب الأبيض من الكرسف من ثياب اليمن وفيه أيضا الكرسف القطن



وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ۚ أَمَدَّكُمْ بِالنَّعْمِ وَبَنِينَ ۚ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۚ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۚ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظت أم لم تكن من الوعظين ۚ إن هَذَا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ ۚ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ۚ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۚ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ۚ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ۚ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْامِرَهُ ۚ وَمَا سَأَلْتُمُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ أَتُرْكُونَ فِي مَا هُنَّاءٌ أَمِينِينَ ۚ فِي جَنَّةٍ وَعُيُونٍ ۚ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۚ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْامِرَهُ وَلَا تَطِيعُوا

الماء وقيل القصور المشيدة والحصون (لعالمكم تخلدون) ترجون الخلود في الدنيا أو تشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف أبي كأنكم وقرئ تخلدون بضم الهمزة مخفياً ومشدداً (وإذا بطشتم) بسوط أوسيف كان ذلك ظلماً وعلواً، وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تثبتون متفكرين في العواقب بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث أجهلها ثم فصلها مستشهداً بعلمهم وذلك أنه أيقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال (أمدمكم بما تعلمون) ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديدها يعلمون من نعمته وأنه كما قدر أن يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فانقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد (فإن قلت) كيف قرن البنين بالأنعام (قلت) هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها (فإن قلت) لو قيل (أوعظت) أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد (قلت) ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشر به فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ ۚ من قرأ خلق الأولين بالفتح فمعناه أن ماجئت به اختلاق الأولين وتخرصهم كما قالوا أساطير الأولين أو ما خلقنا هذا إلا خلق القرون الخالية نحياً كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت لإعادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر أو ما هذا الذي جئت به من الكذب لإعادة الأولين كانوا يلقون مثله ويسطرونه (أتركون) يجوز أن يكون إنكاراً لأن يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وأن يكون تذكيراً بالنعمة في تخليق الله إياهم وما ينعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الأمن والدعة (فيما ههنا) في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله (في جنات وعيون) وهذا أيضاً إجمال ثم تفصيل ۚ (فإن قلت) لم قال (ونخل) بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل أول شيء كما يتناول النعم الإبل كذلك من بين الأزواج حتى أنهم ليدكرون الجنة ولا يقصدون إلا النخيل كما يدكرون النعم ولا يريدون إلا الإبل قال زهير تسقى جنة سخفاً (قلت) فيه وجهان أن يخص النخل بإفراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيهاً على انفرادها عنها بفضلها عليها وأن يريد بالجنات غيرها من الشجر لأن اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل ۚ الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنوق، والقنواسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والمضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح مضيم وطلع إناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني اللطيف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في أن وهب لهم أجود النخل وأنفعه لأن الإناث ولادة التمر والبرني أجود التمر وأطيبه

(قوله عن سنة غفلتهم عنها حين قال) لعله حيث قال (قوله وكذلك طلع البرني اللطيف من طلع اللون) ضرب من الثمر واللون الدقل والدقل أردأ الثمر كذا في الصحاح

أمر المسرفين • الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون • قالوا إنما أنت من المسحرين • ما أنت إلا بشر مثلنا فات بآية إن كنت من الصادقين • قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم • ولا تمسوها بسوء فإخذكم عذاب يوم عظيم • فعقروها فاصبحوا ندميين • فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين • وإن ربك هو العزيز الرحيم • كذبت قوم لوط المرسلين • إذ قال لهم أخوهم لوط الآتقون • إني لكم رسول أمين • فاتقوا الله وأطيعون • وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين • أتأتون الذكران من العالمين • وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون •

ويجوز أن يريد أن نخيلهم أصابت جودة المنابت وسعة الماء وسملت من العاهات فحملت الحمل الكثير وإذا كثرت الحمل هضم وإذا قل جاء فخرًا وقيل الهضم اللين النضيج كأنه قال ونخل قد أربط ثمرة قرأ الحسن وتنجحون بفتح الحاء • وقرئ فرهين وفرهين والفرهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة استعير لامثال الأمر وارتسامه طاعة الأمر المطاع أو جعل الأمر مطاعاً على المجاز الحكيم والمراد الأمر ومنه قولهم لك على إمرة مطاعة وقوله تعالى وأطيعوا أمري (فإن قلت) ما فائدة قوله (ولا يصلحون) (قلت) فائدته أن فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الإصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الإصلاح المسحر الذي سحر كثيراً حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرثة، وأنه بشر. الشرب النصيب من الماء نحو السقي وأقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم روى أنهم قالوا نريد ناقة عشرة تخرج من هذه الصخرة فلقد سبقا ففقد صالح يتفكر فقال له جبريل عليه السلام صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم وتجت سقياً مثلها في العظم وعن أبي موسى رأيت مصدرها فإذا هو ستون ذراعاً وعن قتادة إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء (بسوء) بضرب أو عقروا أو غير ذلك. عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لأن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد وروى أن مسطعا ألقاها إلى مضيق في شعب فرماها بسهم فأصاب رجلها فقطت ثم ضربها قدار وروى أن عاقراً قال لا أعقره حتى ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم (فإن قلت) لم أخذهم العذاب وقد ندموا (قلت) لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين أن يعاقبوا على العقور عقاباً عاجلاً كما يرى في بعض الأمور أيا فاسداً ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي أو ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال الله تعالى «وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآيات» . وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب إشارة إلى عذاب يوم عظيم أراد بالعالمين الناس أي أتأتون من بين أولاد آدم عليه السلام على فرط كثرتهم ونفاوت أجناسهم وغلبة إناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكر أنهم كأن الإناث قد أعوزتكم أو أتأتون أنتم من بين عداكم من العالمين الذكران يعني أنكم يا قوم لوط وخدمكم يختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينسج من الحيوان (من

(قوله وقيل هو من السحر الرثة) لعله بمعنى الرثة (قوله فلقد سبقا ففقد صالح) في الصحاح السقب الذكر من ولد الناقة (قوله كندامة الكسعي) الكسع حى من اليمن والكسعي رجل منهم ربي تبعه حتى أخذ منها قوساً فرمى عنها الوحش ليلاً وظن أنه أخطأ فكسر القوس فلما أصبح رأى ما أصابه من الصيد فندم وضرب به المثل من قال :

ندمت ندامة الكسعي لما • رأت عيناه ما صنعت يداه • كذا في الصحاح

قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَبْلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ۝ قَالَ إِنِّي لَعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ۝ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ۝

أزواجكم) يصلح أن يكون تبييناً لما خلق وأن يكون للتبويض ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنفسهم ۝ العادي المتعدى في ظله المتجاوز فيه الحد ومعناه أن ترتكبون هذه المعصية على عظمها بل أنتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذلك أو بل أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة (لئن لم تنته) عن نهينا وتقييح أمرنا (لتكونن) من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردهنا من بلدنا ولعلمهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال من تعنيف به واحتباس لأملاكه وكما يكون حال الظلمة إذا أجلوا بعض من يفضون عليه وكما كان يفعل أهل مكة بمن يريد المهاجرة ۝ و (من القالين) أبلغ من أن يقول إني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون أبلغ من قولك فلان عالم لأنك تشهد له بكونه معدوداً في زميرهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز أن يريد من الكاملين في قلائم القلي البغض الشديد كأنه بغض يقلى الفؤاد والكبد، وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلي من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همه الدين في دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجلية (مما يعملون) من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل أن يريد بالتجنية

قوله تعالى «أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون» (قال يحتمل أن يكون من أزواجكم بياناً لما خلق وأن يكون للتبويض ويراد به العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم فكأنهم كانوا يفعلون ذلك بنفسهم) قال أحمد وقد أشار الزمخشري بهذه الإشارة للاستدلال بهذه الآية على حظر إتيان المرأة في غير المسأني وبيانه أن من لو كانت بيانا لكان المعنى حينئذ على ذمهم بترك الأزواج ولا شك أن ترك الأزواج مضموم إلى إتيان الذكران وحينئذ يكرن المنكر عليهم الجمع بين ترك الأزواج وإتيان الذكران لأن ترك الأزواج وحده منكر ولو كان الأمر كذلك لكان النصب في الثاني متوجهاً على الجمع وكان إقنا الأفضح أو المتعين وقد اجتمعت العاقبة على القراءة به مرفوعاً ولا يتفقون على ترك الأفضح إلى ما لا يدخله في الفصاحة أو في الجواز أصلاً فلما وضع ذلك تبين أن هذا المعنى غير مراد فيتعين حمل من على البعضية فيكون المنكر عليهم أمرين كل واحد منهما مستقل بالإنكار أحدهما إتيان الذكران والثاني مجانبة إتيان النساء في المسأني رغبة في إتيانهن في غيره وحينئذ يتوجه الرفع لفوات الجمع اللازم على الوجه الأول واستقلال كل واحد من هاتين العظيمتين بالنكير والله الموفق ۝ قوله تعالى «قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَبْلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ»، (قال أي من جملة من أخرجناه ولعلمهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال من تعنيف به واحتباس لأملاكه وأشبه ذلك قال أحمد وكثيراً ما ورد في القرآن خصوصاً في هذه الصورة العدول عن التعبير بالفعل إلى التعبير بالصفة المشتقة ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع كقول فرعون لأجملك من المسجونين وقولهم سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين وقولهم لتكونن من المرجومين وقوله إني لعملكم من القالين وقوله تعالى في غيرها «رضوا بأن يكونوا مع الخوالف» وكذلك «ذرنا نكن مع القاعدين» وأمثلة كثيرة والسري ذلك والله أعلم أن التعبير بالفعل إنما يفهم وقوعه خاصة وأما التعبير بالصفة ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع فإنه يفهم أمر أزيد على وقوعه وهو أن الصفة المذكورة كالسمة لموصوف ثابتة العالوق به كأنها لقب وكأنه من طائفة صارت كالنوع المخصوص المشهور ببعض السمات الرديئة واعتبر ذلك لو قلت رضوا بأن يتخلفوا لما كان في ذلك مزيد على الإخبار بوقوع التخلف منهم لا غير وانظر إلى المساق وهو قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف كيف ألحقهم لقباً رديئاً وصيرهم من نوع رذل مشهور بسمة التخلف حتى صارت له لقباً لاصقاً به وهذا الجواب عام في جميع ما يرد عليك من أمثال ذلك فأمله واقدره قدره والله الموفق للصواب

فَنَجِّنْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ۝ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ۝ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ

العصمة ۝ (فإن قلت) فما معنى قوله (فنجناه وأهله أجمعين إلا عجوزاً) (قلت) معناه أنه عصمه وأهله من ذلك إلا العجوز فإنها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحروسة والراضى بالمعصية في حكم العاصي (فإن قلت) كان أهله مؤمنين ولو لذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم (قلت) الاستثناء إنما وقع من الأهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وإن لم تشاركهم في الإيمان (فإن قلت) (في الغابرين) صفة لها كأنه قبل إلا عجوزاً غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم (قلت) معناه إلا عجوزاً مقدرراً غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين قيل إنها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الانتفاك بهم وأما الإمطار ، فعن قيادة أمطار الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالانتفاك حتى أتبعه مطراً من حجارة ، وفاعل (سَاءَ مطر المنذرين) ولم يرد بالمنذرين قوماً بأعيانهم إنما هو للجنس والخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ۝ قرئ أصحاب الأيكة بالهمزة وتبخيفها وبالجر على الإضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم بلد فقوم قاد إليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير ألف وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ الالفاظ كما يكتب أصحاب الحولان ولولا على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل والقصة واحدة على أن ليكة اسم لا يعرف . وروى أن أصحاب الأيكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم (فإن قلت) هلا قيل أخوهم شعيب كما في سائر المواضع (قلت) قالوا إن شعيباً لم يكن من أصحاب الأيكة وفي الحديث إن شعيباً أحامدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة ۝ الكيل على ثلاثة أضرب واف وطفيف وزائد فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الأمر والنهي دليل على أنه إن فعله فقد أحسن وإن لم يفعله فلا عليه . قرئ بالقسطاس مضموماً ومكسوراً وهو الميزان وقيل القرسطون فإن كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والافهور باعى وقيل وهو بالرومية العدل ۝ يقال بخسته حقه إذا نقصته إياه ومنه قيل للمكس البنفس وهو عام في كل حق ثبت لأحد أن لا يهضم وفي كل ملك أن لا يغصب عليه مال كونه لا يتخيف منه ولا يتصرف فيه إلا بإذنه تصرفاً شرعياً ۝ يقال عثا في الأرض وعثى وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة وإهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم أنواع الفساد فنهوا عن ذلك ۝ قرئ الجبلية بوزن الأبله والجبلية بوزن الحلقة ومعناها من واحد أى ذوى الجبلية وهو كقولك والخلق الأولين (فإن قلت) هل اختلف المعنى بإدخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود (قلت) إذا أدخلت الواو فقد قصد معنيين كلاهما مناف الرسالة عندهم التسخير والبشرية وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحراً ولا يجوز أن يكون بشراً وإذا تركت الواو فلم يقصد إلا معنى واحد وهو كونه مسحراً ثم قرر بكونه بشراً مثلهم (فإن قلت) إن المخففة من الثقيلة ولا مهابها كيف تفرقتنا على فعل الظن وثانى مفعوليه (قلت) أصلهما أن يتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك

قوله تعالى ۝ إلا عجوزاً في الغابرين ۝ (قال المجرور صفة لها كأنه قيل إلا عجوزاً غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم قلت معناه إلا عجوزاً مقدرراً غبورها أى في الهلاك والعذاب) قال أحمد وإن تعجلت برفع القاعدة المسهدة آنفاً فاعلم أن السر الذي اقتضى العدول عن أن يقول مثلاً إلا عجوزاً غابرة إلى ما ذكر في المتلوه هو أن المذكور في التلاوة يقتضى الإيجال عليها بأها من أمة موسومين بهذه السمة من الهلاك كما قدمته الآن فهو أبلغ من مجرد وصفها بالغبور والله أعلم

(قوله بوزن الأبله والجبلية بوزن الحلقة) في الصحاح الأبله بالضم وتشديد اللام الغدرة من التمر وفيه الغدرة القطعة من اللحم إذا كانت مجتمععة وفيه أيضاً الجبلية الحلقة ومنه قوله تعالى «والجبلية الأولين» وقرأها الحسن بالضم اه

الْمُرْسَلِينَ ۚ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۚ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ۚ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ  
 مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ۚ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ  
 الْمُسْتَقِيمِ ۚ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّ الْأُولَىٰ ۚ  
 قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَجَّرِينَ ۚ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۚ فَاسْقُطْ عَلَيْنَا كَسْفًا  
 مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۚ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۚ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظَّلَّةِ ۚ إِنَّهُ  
 كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۚ وَإِنَّهُ  
 لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۚ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۚ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۚ وَإِنَّهُ

إن زيد لمنطلق فلما كان البان أعني باب كان و باب ظنت من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البان فقيل إن كان زيد لمنطلقا  
 وإن ظنته لمنطلقا قرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدرو قيل الكسف والكسفة كالربع والرابعة  
 وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب أو المظلة وما كان طلبهم ذلك إلا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فهم أدنى  
 ميل إلى التصديق لما أخطروه بيهلهم فضلا أن يطلبوه والمعنى إن كنت صادقا أنك نبي فادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء  
 (ربي أعلم بما تعملون) يريد أن الله أعلم بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فإن أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف  
 من السماء فعل وإن أراد عقابا آخر فالله الحكيم والمشيه (فأخذهم) الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة إن أرادوا بالسماء  
 السحاب وإن أرادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى أنه حبس عنهم الريح سبعا ووسط عليهم الومد فأخذوا أنفسهم  
 لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا إلى أن يخرجوا إلى البرية فأظلمت سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت  
 عليهم نارا فاحترقوا، وروى أن شعيبا بعث إلى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الأيكة فأهلك مدين بصيحة جبريل وأصحاب  
 الأيكة بعذاب يوم الظلة (فإن قلت) كيف كثر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كثر (قلت) كل قصة منها كتبت  
 برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدل بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبها وأن تختتم بما  
 اختتمت به ولأن في التكرير تقريراً للعاني في النفس وتثبيتاً لها في الصدور ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا لترديد ما يراد  
 تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان أمكراه في القلب وأرسخ في الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان ولأن هذه الفصص طرقت  
 بها آذان وقرعن الإناصت للحق وقلوب غلاف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك  
 يفتح أذنا أو يفتح ذهناً أو يصقل عقلا طال عهده بالصقل أو يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدا (وإنه) وإن هذا  
 التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل ۚ والباء في نزل به الروح ونزل به الروح على  
 القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا (به على قلبك) أي حفظك وفهمك إياه وأثبتته في قلبك  
 لإثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى (بلسان عربي) إما أن يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين  
 أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام وإما أن يتعلق بنزل فيكون

ۚ عاد كلامه (قال) واعلم أن الآيات الأولى كالمقدمات لهذه الآيات فإن الله تعالى أبان أنه منزل بلغتهم التي لا يعرفون  
 غيرها وعلى لسان عربي لو أشكل عليهم فهم شيء منه لكان البيان عنده عتيداً ناجزاً وما نزل على لسان عجمي قد يعتذرون

(قوله ووسط عليهم الومد) شدة حر الليل كما في الصحاح

أَنِّي زَبْرٌ أَوَّلِينَ ۚ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَعْلَمَهُ عِلْمُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۚ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ۚ  
فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ۚ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۚ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ

المعنى نزل باللسان العربي لتنذر به لأنه لو نزل باللسان الأعجمي لتجافرا عنه أصلاً ولقالوا ما نضع بما لا نفهمه فيتعذر الإنذار به وفي هذا الوجه أن تنزله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزير له على قلبك لأنك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفاً بعدة لغات فإذا كلم بلغته التي لفنها أولاً ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه إلا إلى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفظن الألفاظ كيف جرت وإن كلم بغير تلك اللغة وإن كان ماهراً بمعرفتها كان نظره أولاً في ألفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين (ولأنه) وإن القرآن يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل إن معانيه فيها وبه يحتج لآني حنيفة في جواز القراءة بالفارسية في الصلاة على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية حيث قيل «ولأنه لفي زبر الأولين» لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في أن يعلمه وليس بواضح ۚ وقرئ يكن بالذكير وآية بالنصب على أنها خبره وأن يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسماً وأن يعلمه خبراً وليست كالأولى لوقوع النكرة اسماً والمعرفة خبراً وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا أن يكون لهم آية هي جملة الشأن وأن يعلمه بدلا عن آية ويجوز مع نصب الآية تأنيث تكن كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا ومنه بيت لبيد ۚ فمضى وقدمها وكانت عادة ۚ منه إذا هي عردت أقدامها ۚ وقرئ تعلمه بالتاء وعلما بني إسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى «وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين» (فأرقلت) كيف خط في المصحف علماء بواو قبل الألف (قلت) خط على لغة من يميل الألف إلى الواو، وعلى هذه اللغة كتبت الصلاة والزكاة والربا. الأعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والأعجمي مثله إلا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد وقرأ الحسن الأعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها أعجم قال حميد ۚ ولا عربياً شاقه صوت أعجماً ۚ سلكناه أدخلناه ومكناه والمعنى إنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وأنه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم إلى ذلك اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على أن البشارة بإنزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد أضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله وأيست بأساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعراً تارة وسحراً أخرى وقالوا هو من تليف محمد وافتراءه (ولو نزلناه على بعض) الأعجم الذي لا يحسن العربية فضلاً أن يقدر على نظم مثله (فقرأه عليهم) هكذا فصيحاً معجزاً متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عن ذراً وسموه سحراً ثم قال (كذلك سلكناه) أي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقرئناه فيها وعلى هذه مثل الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعنا فيها فكيف فعل بهم وصنع وعلى أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل أن يتغيروا عما هم عليه من جحوده وإنكاره كما قال ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فليسوه بأيديهم لقال

بأنه لا يفهمهم ما استغاق على أفهامهم من معانيه فقد أزاح أعذارهم ودحض حججهم وسلكه في قلوبهم ومكنهم من فهمه أشد التمكين ولكن لم يوفهم بل قدر عليهم أنهم لا يؤمنون (قال أحمد) يعني بقوله قدر عليهم أنهم لا يؤمنون علم أنهم لا يؤمنون لأن التقدير عنده العلم والحق أن الله تعالى أراد منهم أنهم لا يؤمنون وهذا تقرير لجواب عن سؤال مقدر وهو أن يقال قلوبهم نائية عن قبول الحق لا يابجها بوجه ولا بسبب فكيف يسلك الحق فيها فيجاب عنه بهذا الجواب والله أعلم

الآلِيمِ ۝ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ۝ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝ أَفَرَأَيْتَ إِنْ  
 مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۝ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ۝ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ  
 إِلَّا لَهَا مُنْذُرُونَ ۝ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيْطَانُ ۝ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝

الذين كفروا وإن هذا إلا سحر مبین (فإن قلت) كيف أسند السلك بصفة التكذيب إلى ذاته (قلت) أراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم أشد التمكن وأثبتته فجعله بمنزلة أمر قد جعلوا عليه وفطروا الأثرى إلى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لأن الأمور الخاقية أثبت من العارضة والدليل عليه أنه أسند ترك الإيمان به إليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون به (فإن قلت) ما موقع (لا يؤمنون به) من قوله سلكناه في قلوب المجرمين (قلت) موقعه منه موقع الموضح والمخلص لأنه مسوق لثبانه مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقتر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالا أي سلكناه فيها غير مؤمن به ۝ وقرأ الحسن فأتاهم بالتاء يعني الساعة وبغته بالتحريك وفي حرف أبي وبروه بغته (فإن قلت) ما معنى التعقيب في قوله فأتاهم بغته فيقولوا (قلت) ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود وإنما المعنى ترتبها في الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه إن أسأت مقلتك الصالحون فمقلتك الله فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسئء وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين فما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع في هذا الأسلوب فيحل موقعه (أفبعذابنا يستعجلون) تبيكت لهم بإنكار وتهمك ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والإمهال طرفة عين فلا يجاب إليها ويحتمل أن يكون هذا حكاية تويخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده وذلك أن استعجالهم بالعذاب إنما كان لا اعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم يمتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن فقال تعالى أفبعذابنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الأمل الطويل ۝ ثم قال هب أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ماضى من طول أعمارهم وطيب معاشهم ، وعن ميمون بن مهران : أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظمي فلم يزد على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فأبلغت ۝ وقرئ يمتعون بالتخفيف (منذرون) رسل يندرونهم (ذكرى) منصوبة بمعنى تذكرة إما لأن أنذر وذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة وإما لأنها حال من الضمير في منذرون أي يندرونهم ذوى تذكرة وإما لأنها مفعول له على معنى أنهم يندرون لأجل الموعظة والتذكرة أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوى ذكرى أو جعلوا ذكرى لإمعانهم في التذكرة وإطناهم فيها ووجه آخر وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعد ما ألزمتهم الحججة بإرسال المنذرين إليهم ليكون إهلاكم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فهلك قوم غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعقول (فإن قلت) كيف عزلت الواو عن الجملة بعد إلا ولم تعزل عنها في قوله وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب

۝ قوله تعالى كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ( قال إن قلت كيف أسند السلك بصيغة التكذيب إلى ذاته قلت المراد الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم أشد التمكن فجعله بمنزلة أمر قد جعلوا عليه بدليل أنه أسند إليهم ترك الإيمان به على عقبه في قوله لا يؤمنون به) قال أحمد وما ينقسم من بقاءه على ظاهره إلا أنه التوحيد المحض والإيمان الصرف وأن الله تعالى خلق قلوبهم نائية عن قبول الحق والقدرية لا يبلغون في التوحيد إلى هذا الحد والله سبحانه وتعالى أعلم

لَهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ۝ فَلَاتَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَسْكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ۝ وَانذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۝  
وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ

معلوم (قلت) الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقربة وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالمرصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلهم ۝ كانوا يقولون إن محمداً كاهن وما ينزل عليه من جنس ما ينزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بأن ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدر على لائمه مرجعون بالشهب معزولون عن استماع كلام أهل السماء ۝ وقرأ الحسن الشياطين ووجهه أنه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فخبر بين أن يجرى الإعراب على النون وبين أن يجره على ما قبله فيقول الشياطين والشياطين كما تخيرت العرب بين أن يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطين وحقه أن تشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قبله الباطل وعن الفراء غاط الشيخ في قراءته الشياطين ظن أنها النون التي على هجائين فقال النضر بن شميل إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤية فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميع مع أننا نعلم أنهما لم يقربا به إلا وقد سمعاه ۝ قد علم أن ذلك لا يكون ولكنه أراد أن يحرك منه لزيادة الإخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الأقاويل فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فيه وجهان أحدهما أن يؤمر بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه ويبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبداءة ثم بمن يليه وأن يقدم إنذارهم على إنذار غيرهم كما روى عنه عليه السلام أنه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين وأول ما أضعه ربا العباس والثاني أن يؤمر بأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرافة ولا يحايبهم في الإنذار والتخويف وروى أنه صعد الصفا لما نزلت فنادى الأقرب فالأقرب فخداً فخداً وقال يابني عبدالمطلب يابني هاشم يابني عبدمناف يا عباس عم النبي يا صفية عمه رسول الله إني لأملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم وروى أنه جمع بني عبدالمطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فأكلوا وشربوا حتى صدروا ثم أنذرهم فقال يابني عبدالمطلب لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقاً قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروى أنه قال يابني عبدالمطلب يابني هاشم يابني عبدمناف اقتدوا أنفسكم من النار فإني لأغني عنكم شيئاً ثم قال يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمه محمد اشترين أنفسكن من النار فإني لأغني عنكن شيئاً ۝ الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلاً في التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم : وأنت الشهير بخفض الجناح ۝ فلا تك في رفعه أجداً ينهيه عن التكبر بعد التواضع (فإن قلت) المتبعون الرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما قوله (لمن اتبعك من المؤمنين) (قلت) فيه وجهان أن يسميهم قبل الدخول في الإيمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وأن يريد بالمؤمنين المصدقين بأستهم وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله فيما جاء به وصنف ما وجد منه إلا التصديق فحسب ثم إما أن يكونوا منافقين أو فاسقين والموافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم يعني أنذر قومك فإن اتبعوك وأطاعوك فخفض لهم جناحك وإن عصوك ولم يتبعوك فبئراً منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره (وتوكل) على الله يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من إن دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا إذا وقع الإنسان في محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لأنه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله وفي مصاحف أهل المدينة والشام فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر وله محلان في العطف أن يعطف على فقل أو فلا تدع (على العزيز الرحيم) على الذي يقهر أعداءك

(قوله ويشرب العس على رجل) القدر العظيم كما في الصحاح



الرَّحِيمِ ۝ الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقْلِبُكَ فِي السُّجُودِ ۝ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ هَلْ أَنْبَيْتُمْ عَلَىٰ مِنَ  
تَنْزِلُ الشَّيَاطِينُ ۝ تَنْزِلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ۝ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ۝ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۝

بعزته وينصرك عليهم برحمته ۝ ثم أتبع كونه رحيمًا على رسوله ما هو من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهدؤ وتقلبه في تصفح أحوال المتجدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سر أمرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكي أنه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دبدبتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة للناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أتمهم وعن مقاتل أنه سأل أبا حنيفة رحمه الله هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن فقال لا يحضر في قتاله هذه الآية ويحتمل أنه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية أمور الدين (إنه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه وتعمله وقيل هو قلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله صلى الله عليه وسلم أموا الركوع والسجود فوالله إنى لأراكم من خلف ظهري إذا ركعتم وسجدتم ۝ وقرئ ويقلبك (كل آفاك أثيم) هم الكهنة والمنبئة كشق وسطيح ومسيلة وطيحة (يلقون السمع) هم الشياطين كانوا قبل أن يججوا بالرجم يسمعون إلى الملا الأعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به إلى أوليائهم من أولئك (وأكثرهم كاذبون) فيما يوحون به إليهم لأنهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون إلى أوليائهم السمع أى المسموع من الملائكة وقيل الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون وحيهم إليهم أو يلقون المسموع من الشياطين إلى الناس وأكثر الأفاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم وترى أكثر ما يحكمون به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يتخطها الجنى فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة والقر الصب (فإن قلت) كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام ألا ترى إلى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على أزيد مررت (قلت) ليس معنى التضمن أن الاسم دل على معنيين معاً معنى الاسم ومعنى الحرف وإنما معناه أن الأصل أمن حذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والأصل أهل قال ۝ أهل رأونا بسفح القاع ذى الآم ۝ فإذا أدخلت حرف الجر على من فقدت الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كأنك تقول أعلى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت (فإن قلت) يلقون ما محله (قلت) يجوز أن يكون في محل نصب على الحال أى تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل آفاك لأنه في معنى الجمع وأن لا يكون له محل بأن يستأنف كأن قائلًا قال لم تنزل على الأفاكين فليل يفعلون كيت وكيت (فإن قلت) كيف قيل وأكثرهم كاذبون بعد ما قضى عليهم أن كل واحد منهم آفاك (قلت) الأفاكون هم الذين يكثرون الإفك ولا يدل ذلك على أنهم لا ينطقون إلا بالإفك فأراد أن هؤلاء الأفاكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وأكثرهم مفتر عليه (فإن قلت) وإنه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل أنبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن أخوات (قلت) أريد التفريق بينهن بآيات ليست في معنهن ليرجع إلى المجيء بهن ونظرية ذكر ما فيهن كثر بعد كثره فبدل بذلك على أن المعنى الذى نزلن فيه من المعاني التى اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله أن يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشئ منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع إليه (والشعراء) مبتدأ و (يتبعهم الغاؤون) خبره ومعناه أنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتزيق الأعراض والقدح فى الأنساب والنسب بالحرم والغزل

(قوله والقدح فى الأنساب والنسب بالحرم والغزل) أى التشبيب وخرمت الحرز أى شققته وفتقته وجرحته والحرمان بالضم

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۖ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۖ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا  
اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ۗ

والإبتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم إلا الغاوون والسفهاء والشاطر  
وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبير وهيرة بن أبي وهب  
المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحي ومن ثقيف أمية ابن أبي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا  
يهجونه ويجمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيمهم وقرأ عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على إضمار  
فعل يفسره الظاهر قال أبو عبيد كان الغالب عليه حبّ النصب قرأ حمالة الخطب والسارق والسارقة وسورة أنزلناها  
وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيهاً لبعه بعضده ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل  
شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغرق في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضوا أجن الناس على عنبرة  
وأشحمهم على حاتم وأن يهتوا البرى ويفسقوا التقي وعن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله

فبتن بجاني مصرعات ۖ وبت أفض أغلاق الختام

فقال قد وجب عليك الحد فقال يا أمير المؤمنين قد درأ الله عنى الحد بقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون ۖ استثنى الشعراء المؤمنين  
الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر وإذا قالوا شعراً قالوه في توحيد الله والثناء عليه  
والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلاح الأمة وما لا بأس به من  
المعاني التي لا يتلطفون فيها بذنوب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار بمن يهجوهم قال الله  
تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى  
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمر بن عبيد أن رجلاً من العلوية قال له إن صدرى ليجيش  
بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه أن الشعر باب من الكلام خسنه كحسن الكلام وقبحه كتبيح  
الكلام وقيل المراد بالمستثنى عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا  
يناخون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافون هجة قريش وعن كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله  
اهجهم فولذى نفسى بيده هو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك ۖ ختم السورة بآية ناطقة  
بما لا شيء أهيب منه وأهول ولا أنكى لقلوب المتأملين ولا أصدع لا كباد المتدبرين وذلك قوله ( وسيعلم ) وما فيه من  
الوعيد البليغ وقوله ( الذين ظلموا ) وإطلاقه وقوله ( أى منقلب ينقلبون ) وإبهامه وقد نالها أبو بكر لعمر رضى الله عنهما  
حين عهد إليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولأن تخاف فتبلغ الأمان  
خير من أن تأمن فتبلغ الخوف وقرأ ابن عباس أى منفلت ينفلتون ومعناها إن الذين ظلموا يطمعون أن ينفلتوا من  
عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم  
يغفل عنها وعلم أن من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله أعلم بالصواب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ  
سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم وبعدد  
من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلاة والسلام

الكذب والغزل محادثة النساء ومرادتهن والابتهار ادعاء الشيء كذباً كذا في الصحاح فى . واضع ( قوله والسارقة  
وسورة أنزلناها ) لعل هنا سقطاً تقديره بالنصب ( قوله وأن يهتوا البرى ) أى يهيموا ( قوله وتفسير الظلم بالكفر  
تعليل ) لعله من علله بالشيء أى لاه به كما يعال الصبي بشيء من الطعام يجتزأ به عن اللبن كما فى الصحاح

## سورة النمل مكية

وآياتها ٩٣ نزلت بعد الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ طَسَّ تَلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ۝ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَانَا لَهُمْ أَعْمَلُهُمْ

(سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية وقيل أربع وتسعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (طس) قرئ بالفتح والإمالة و(تلك) إشارة إلى آيات السورة والكتاب المبين أما اللوح وإبائته أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو بيينه للناظرين فيه إبانة وإمامة السورة وإمامة القرآن وإبائتهما أنهما يبينان ما أودعاه من العلوم والحكم والشرائع وأن إعجازهما ظاهر مكشوف وإضافة الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لأن المضاف إلى العظيم يعظم بالإضافة إليه (فإن قلت) لم نكر الكتاب المبين (قلت) ليهم بالتكثير فيكون أخصم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر (فإن قلت) ما وجه عطفه على القرآن إذا أريد به القرآن (قلت) كما يعطف إحدى الصفتين على الأخرى في نحو قولك هذا فعل السخى والجواد الكريم لأن القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكأنه قبل تلك الآيات آيات المنزل المبارك أي كتاب مبين وقرأ ابن أبي عملة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه (فإن قلت) ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين (قلت) لا فرق بينهما إلا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالأول نحو قوله تعالى وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم (هدى وبشرى) في محل نصب أو الرفع فالنصب على الحال أي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة والرفع على ثلاثة أوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى أن يكون خبرا بعد خبر أي جمعت أنها آيات وأنها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين أنها زائدة في هدايتهم قال الله تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا (فإن قلت) (وهم بالآخرة هم يوقنون) كيف يتصل بما قبله (قلت) يحتمل أن يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه وبدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناه وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلهؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق

(القول في سورة النمل)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى وهم بالآخرة هم يوقنون (قال فيه كرر الضمير حتى صار معنى الكلام ولا يوقن بالآخرة حتى الإيقان إلهؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف الآخرة يحملهم على تحمل المشاق) قال أحمد قد تقدم في غير موضع اعتقاد أن إيقاع الضمير مبتدأ يفيد الحصر كما مرله في قوله تعالى هم ينشرون أن معناه لا ينشر إلا هم وعد الضمير من آلات الحصر كما مر ليس بين وقد بينا لمجيء الضمير في سورة اقترب وجهاسوى الحصر وأما وجه تكراره ههنا والله أعلم فهو أنه لما كان أصل الكلام هم يوقنون بالآخرة ثم قدم المجرور على عامله عناية به فوقع فاصلا بين المبتدأ والخبر فأريد أن يلي المبتدأ خبره وقد حال المجرور بينهما فطرى ذكره ليليه الخبر ولم يفتم مقصود العناية بالمجرور

فَهُمْ يَعمَهُونَ ۝ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخِسُونَ ۝ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَ تِيسِكُمْ مِنْهَا خُبْرًا وَءَاتِيَكُمْ بِشَهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝

۝ (فإن قلت) كيف أسند تزوين أعمالهم إلى ذاته وقد أسنده إلى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم (قلت) بين الإسنادين فرق وذلك أن إسناده إلى الشيطان حقيقة وإسناده إلى الله عز وجل مجاز وله طريقان في علم البيان أحدهما أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني أن يكون من المجاز الحكيم فالطريق الأول أنه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا إنعام الله بذلك عليهم وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم وبطرحهم وإيثارهم الروح والترفة ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم وإليه أشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم ولكن متعهم وآبأهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني أن إمهاله الشيطان وتخليفه حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزوين فأسند إليه لأن المجاز الحكيم يصححه بعض الملايسات وقيل هي أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها زينها لهم الله فعمهوا عنها وضلوا ويعزى إلى الحسن ۝ والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الأعراب أنه دخل السوق وما أبصرها قط فقال رأيت الناس عمهين أراد مترددين في أعمالهم وأشغالهم (سوء العذاب) القتل والأسر يوم بدر ۝ و (الآخسرون) أشد الناس خسرانا لأنهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الأمم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله (لتلقى القرآن) لتوثاه وتلقنه (من) عند أي (حكيم) وأي (عالم) وهذا معنى مجيها نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأفاضل وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه (إذ) منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه قال على أثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز أن ينتصب بعلم ۝ وروى أنه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع

حيث أتى على حاله مقدما ولا يستنكر أن تعاد الكلمة مفصولة له وحدها بعد ما يوجب النظرية فأقرب منها أن الشاعر قال  
سق ذو عجل ذا وألحفنا بذنا ۝ الشحم إنا قد مللنا بخل

والأصل وألحفنا بذنا الشحم فوقع منتصف الرجز أو منتهاه على القول بأن مشطور الرجز بيت كامل عند اللام وبني الشاعر على أنه لا بد عند المنتصف أو المنتهى من وقفة ما فقدر بتلك الوقفة بعد أن بين المعرف وآلة التعريف فطراها ثانية فهذه النظرية لم تتوقف على أن يحول بين الأول وبين المكرر ولا كلمة واحدة سوى تقديره وقفة لطيفة لا غير فتأمل هذا الفصل فإنه جدير بالتأمل والله أعلم ۝ قوله تعالى «إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيناهم أعمالهم فهم يعمهون» (قال إن قلت كيف أسند التزوين إلى ذاته وقد أسنده إلى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم قلت إن بين الإسنادين فرقا فالإسناد إلى الله مجاز وإلى الشيطان حقيقة وقد روى عن الحسن أن المراد زيننا لهم أعمال البر فعمهوا عنها ولم يهتدوا إلى العمل بها) قال أحمد وهذا الجواب مبني على القاعدة الفاسدة في إيجاب رعاية الصلاح والأصلح وامتناع أن يخلق الله تعالى للعبد إلاما هو مصلحة فمن ثم جعل إسناد التزوين إلى الله تعالى مجازاً وإلى الشيطان حقيقة ولو عكس الجواب لفاض بالصواب وتأمل ميله إلى التأويل الآخر من أن المراد أعمال البر على بعده لأنه لا يعرض لقاعدته بالنقض وأنى لهم ذلك وقد أتى الله بنيانهم من القواعد على أن التزوين قد ورد في الخير في قوله تعالى ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم على أن غالب وروده في غير البر كقوله زين للناس حب الشهوات زين للذين كفروا الحياة الدنيا وكذلك زين لكثير من المشركين وما يبعد حمله على أعمال البر إضافة الأعمال إليهم في قوله أعمالهم وأعمال البر ليست مضافة إليهم لأنهم لم يعملوها قط فظاهر الإضافة يعطى ذلك الأثرى إلى قوله تعالى ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وقوله قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان فأطلق الإيمان في المكانين عن إضافته إليهم لأنه لم يصدر منهم وأضاف الإسلام الظاهر إليهم لأنه صدر منهم والله أعلم

فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبَّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝ يَمْوَسَّىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلِي مُدَبِّرًا ۝ وَلَمْ يَعْقِبْ يَمْوَسَّىٰ لِأَنَّهُ لَا يَخَافُ  
لَدَى الْمُرْسَلُونَ ۝ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حِسَابَهُ سَوَاءً ۝ فَأَنَّىٰ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا

ذلك أو رود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا ۝ الشهاب الشعلة ۝ والقبس النار المقبوسة وأضاف الشهاب إلى القبس لأنه يكون قبساً وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلاً أو صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لأنه كان قد ضله (فإن قلت) سأتبكم منها بخبر ولعل آتاكم منها بخبر كالمندافعين لأن أحدهما ترج والآخر تيقن (قلت) قد يقول الراجي إذا قوى رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع نجويزه الحية (فإن قلت) كيف جاء بسين التسوييف (قلت) عدة لأنه أنه يأتيهم به وإن أبطأ أو كانت المسافة بعيدة (فإن قلت) فلم جاء بأو دون الواو (قلت) نبي الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعاً لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق وإما اقتباس النار ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما أدراه حين قال ذلك أنه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعاً وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة (أن) هي المفسرة لأن النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك (فإن قلت) هل يجوز أن تكون المخففة من الثقلة وتقديره نودي بأنه بورك والضمير ضمير الشأن (قلت) لا لأنه لا بد من قد (فإن قلت) فعلى إضمارها (قلت) لا يصح لأنها علامة لا تحذف ومعنى (بورك من في النار ومن حولها) بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة وتدل عليه قراءة أبي تباركت الأرض ومن حولها وعنه بورك النار والذي بورك له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له وإظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في أقاصيها ويثب آثاره في أبا عدها فكيف بمثل ذلك الأمر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادي وحواليهما من أرض الشام ولقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة في قوله ونجيناها ولو طأ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين وحققت أن تكون كذلك فهي مبعث الأنبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي إليهم وكفاتهم أحياء وأمواتا (فإن قلت) فما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه (قلت) هي إشارة له بأنه قد قضى أمر عظيم تنتشر منه في أرض الشام كلها البركة (وسبحان الله رب العالمين) تعجب لموسى عليه السلام من ذلك وإيدان بأن ذلك الأمر مریده ومكونه رب العالمين تنبها على أن الكائن من جلائل الأمور وعظائم الشؤون ۝ الهاء في (أنه) يجوز أن يكون ضمير الشأن والشأن (أنا الله) مبتدأ وخبر و (العزیز الحكيم) صفتان للخبر وأن يكون راجعا إلى ما دل عليه ما قبله يعني أن مكلمك أنا والله بيان لأنا والعزیز الحكيم صفتان للبين وهذا تمهيد لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة يريد أنا القوي القادر على ما يبعد من الأوهام كقلب العصاحية الفاعل كل ما فعله بحكمة وتدبير (فإن قلت) علام عطف قوله (وألق عصاك) (قلت) على بورك لأن المعنى نودي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له ألق عصاك والدليل على ذلك قوله تعالى وأن ألق عصاك بعد قوله أن ياموسى إنى أنا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت إليك أن حجج وأن اعتمر وإن شئت أن أحج واعتمر ۝ وقرأ الحسن جان على لغة من يجتدى الحرب من التقاء الساكنين فيقول شأبة ودابة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضالين (ولم يعقب) لم يرجع يقال عقب المقاتل إذا كثر بعد الفرار قال : فما عقبوا إذ قيل هل من معقب ۝ ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا وإنما رعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به وبدل عليه (إنى لا يخاف لدى المرسلون) و (إلا) بمعنى لكن لأنه لما أطلق نفي

من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين ۝ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة  
قالوا هذا سحر مبين ۝ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عقبة المفسدين ۝  
ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ۝ وورث سليمان

الخوف عن الرسل كأن ذلك مظنة لظروا الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم أى فرطت منه صغيرة مما يجوز  
على الأنبياء كالذى فرط من آدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف ومن موسى بوكزة القبطى ويوشك أن يقصد بهذا  
التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التى يلفظ مأخذها وسماه ظلماً كما قال موسى رب إنى ظلمت نفسى  
فاغفرلى ۝ والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ الأمان ظلم بحرف التنبيه وعن أبى عمر وفى رواية عصمة حسناً  
(فى تسع آيات) كلام مستأنف وحرف الجز فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب فى تسع آيات (إلى فرعون) ونحوه :  
فقلت إلى الطعام فقال منهم ۝ فربق يحسد الإنس الطعاما

ويجوز أن يكون المعنى وألق عصاك وأدخل يدك فى تسع آيات أى فى جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل أن يقول  
كانت الآيات إحدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة  
والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم المبصرة الظاهرة البينة جعل الإبصار لها وهو فى الحقيقة لما قبلها لأنهم  
لا بسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز أن يراد بحقيقة الإبصار كل ناظر فيها من كافة أولى العقل  
وأن يراد إبصار فرعون وملئه لقوله واستيقنتها أنفسهم أو جعلت كأها تبصر فهدى لأن العمى لا تقدر على الاهتداء  
فضلا أن تهدى غيرها ومنه قولهم كلمة عينا وكلمة عوراء لأن الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوى ونحوه قوله تعالى «لقد  
علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات» والأرض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالإبصار وقرأ على بن الحسين رضى الله  
عنهما وقادة مبصرة وهى نحو مجبنة ومبجلة ومجفرة أى مكانا يكثر فيه التبصر ۝ الواو فى (واستيقنتها) واو الحال وقد يعدها  
مضمرة والعلو الكبر والترفع عن الإيمان بما جاء به موسى كقوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوماً عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا  
وقومهما لنا عابدون وقرئ عليا وعلياً بالضم والكسر كما قرئ عتياً وعتياً ۝ وفائدة ذكر النفس أنهم جحدوها بالسنتهم  
واستيقنوها فى قلوبهم وضمائرهم والاستيقان أبلغ من الإيقان وقد قول بين المبصرة والمبين وأى ظلم أخش من ظلم من اعتقد  
واستيقن أنها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحراً بينا مكشوفاً لاشبهة فيه (علماً) طائفة من العلم  
أو علماً سنياً غزيراً ۝ (فإن قلت) أليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك أعطيتك فشكر ومنعته فصبر (قلت) بلى  
ولكن عطفه بالواو إشعار بأن ما قاله بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد  
كأنه قال ولقد آتيناها علماً فعملها به وعلماؤه وعرفا حق البعثة فيه والفضيلة (وقالوا الحمد لله الذى فضلنا) ۝ والكثير المفضل

۝ قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علماً (قال معناه طائفة من العلم) قال أحمد التبعيض والتقليل من التنكير وكما يرد  
للتقليل من شأن المنكر فكذلك يرد للتعظيم من شأنه كما مر آنفاً فى قوله تعالى وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ولم يقل  
الحكيم العليم والغرض من التنكير التفضيح كأنه قال من لدن حكيم عليم فظاهر قوله ولقد آتينا داود وسليمان علماً فى سياق  
الامتنان تعظيم العلم الذى أوتياه كأنه قال علماً أى علم وهو كذلك فإن عليهما كان مما يستعظم ويستغرب ومن ذلك  
علم منطق الطير وسائر الحيوانات الذى خصهما الله تعالى به وكل علم بالإضافة إلى علم الله تعالى قليل ضئيل والله  
أعلم ۝ قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين (قال) بجلا نعمة الله عليهما

(قوله نحو مجبنة ومبجلة ومجفرة) فى الصحاح جفر الفحل عن الضراب إذا انقطع عنه ومنه قبل الصوم مجفرة أى قاطع للسكاح

دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَحَشِرَ

عليه من لم يؤت علماً أو من لم يؤت مثل علمهما وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأمله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم وأن من أوتيته فقد أوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين أوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وورثة الأنبياء إلا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها أن يحمدوا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وأن يعتقد العالم أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر كل الناس أقره من عمر . ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيهِ وكانوا تسعة عشر وكان داود أكثر تعبداً وسليمان أفضى وأشكر لنعمة الله ( وقال يا أيها الناس ) تشهيراً لنعمة الله وتوبيهاً بها واعترافاً بمكانها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما أوتيته من عظام الأمور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب بن السكيت كتابه بإصلاح المنطق وما أصلح فيه إلا مفردات الكلم وقالت العرب نطق الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم أصواته والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه ويحكى أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أندرون ما يقول قالوا الله ونيبه أعلم قال يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاخنة فأخبر أنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا . وصاح طاوس فقال يقول كاتدين تدان . وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين . وصاح طيطوي فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال . وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيراً تجدوه . وصاح رخمة فقال تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه . وصاح قرى فأخبر أنه يقول سبحان ربي الأعلى . وقال الحدأ يقول كل شيء هالك إلا الله . والقطة تقول من سكت سلم . والبيغاء تقول ويل لمن الدنيا همه . والديك يقول اذكروا الله يا غافلين . والنسر يقول يا ابن آدم عشت ماشئت آخرك الموت . والعقاب يقول في البعد من الناس أنس . والضفدع يقول سبحان ربي القدوس . وأراد بقوله ( من كل شيء ) كثرة ما أوتي كما تقول فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده ورجوعه إلى غزارة في العلم واستكثار منه ومثله قوله وأوتيت من كل شيء ( إن هذا هو الفضل المبين ) قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا القول شكراً ولا أفوله فخراً ( فإن قلت ) كيف قال علما وأوتينا وهو من كلام المتكبرين ( قلت ) فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسه وأباه والثاني أن هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ما كما مطاعاً فكلم أهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخمه وإظهار آيئته وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجباً وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحواً من ذلك إذا وفد عليه وفد أو احتاج أن يرجع في عين عدو ألا ترى كيف أمر العباس رضي الله عنه بأن يجبس أباسفيان حتى تمز عليه الكتاب . روى أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منسكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطاً من ذهب وإبريسم فرسخاً في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب

من حيث قولها فضلنا وتواضعا بقولها على كثير ولم يقولوا على عباده اعترافاً بأن غيرهما يفضلهما حذراً من الترفع

( قوله هو ما يفهم بعضه من بعض معانيه ) عبارة النسق والمنطق كل ما يصوت من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضها من بعض اه ( قوله يا ابن آدم عشت ماشئت ) لعله عش وفي الخازن عشت ماشئت آخره الموت ( قوله وإظهار آيئته وسياسته ) قيل مراتبه وبهائه وفي نسخة أبته فليحزر

لَسْلِيمَنَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا  
النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سَالِمِينَ وَجُنُودَهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ

والعلماء على كراسى الفضة وحولم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهـ ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض أنى قد زدت فى ملكك لا يتكلم أحد بشيء إلا ألقته الريح فى سمعك فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فألقته الريح فى أذنه فنزل ومشى إلى الحراث وقال إنما مشيت إليك لئلا تمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسيحة واحدة يقبها الله خير مما أوتى آل داود (يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أى توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم النوالى فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة ۖ قيل هو واد بالشام كثير النمل (فإن قلت) لم عدى أتوا بعلى (قلت) يتوجه على معنيين : أحدهما أن إتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء كما قال أبو الطيب ۖ ولشدة ما قربت عليك الأنجم ۖ لما كان قربا من فوق . والثانى أن يراد قطع الوادى وبلوغ آخره من قولهم أتى على الشيء إذا أنفذه وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادى لأنهم مادامت الريح تحملهم فى الهواء لا يخاف حطهم ۖ وقرئ نملة يا أيها النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان الأصل النمل بوزن الرجل والنمل الذى عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع فى السبع قيل كانت تمشى وهى عرجاء تتكاوس فنادت يا أيها النمل الآية فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فسأله فأخبر فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل له من أين عرفت قال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة فى وقوعها على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهى ۖ وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها وأصله يحطمنكم ۖ ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون فى أولى العقل أجرى خطابهم مجرى خطابهم (فإن قلت) لا يحطمنكم ما هو (قلت) يحتمل أن يكون جوابا للأمر وأن يكون نهيها بدلا من الأمر والذى جوز أن يكون بدلا منه

ۖ قوله تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم (قال لما دخل قتادة الكوفة التفت عليه الناس فقال سلوا عما شئتم فقال أبو حنيفة وكان شابا سلوه عن النملة التى كلمت سليمان أذكرا كانت أم أنثى فسأله فأخبر فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل كيف لك ذلك قال لأن الله عز وجل قال قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة) قال أحمد لأدرى العجب منه أم من أبى حنيفة أن يثبت ذلك عنه وذلك أن النملة كالحمامة والشاة تقع على الذكر وعلى الأنثى لأنه اسم جنس يقال نملة ذكر ونملة أنثى كما يقولون حمامة ذكر وحمامة أنثى وشاة ذكر وشاة أنثى فلفظها مؤنث ومعناه محتمل فيمكن أن تؤنث لأجل لفظها وإن كانت واقعة على ذكر بل هذا هو الفصحح المستعمل الأثرى إلى قوله عليه الصلاة والسلام لا تضحى بعوراء ولا عجفاء ولا عبياء كيف أخرج هذه الصفات على اللفظ مؤنثة ولا يعنى الإناث من الأنعام خاصة فحينئذ قوله تعالى قالت نملة روعى فيه تأنيك اللفظ وأما المعنى فيحتمل على حد سواء وإنما أطلقت فى هذا وإن كان لا يتمشى عليه حكم لأنه نسبة إلى الإمام أبى حنيفة على بصيرته باللغة ثم جعل هذا الجواب معجبا لعمان على غزارة علمه وتبصره بالمنقولات ثم قرر الكلام على ما هو عليه مصوناله فيالله العجب العجاب والله الموفق للصواب

(قوله توقف سلاف العسكر) أى متقدموهم أفاده الصحاح (قوله وهى عرجاء تتكاوس) فى الصحاح كوسته على رأسه تكويسا أى قلبه وكاس هو بكوس إذا فعل ذلك وكاس البعير إذا مشى على ثلاث قرأتم وهو معرّب



رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَإِنِ اعْمَلْ صَالِحًا تَرْضَهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ۝ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۝ لَأَعَذَّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا

أنه في معنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمكم على طريقة لا أرينك ههنا أراد لا يحطمكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن إشفافها ۝ ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك وأخذا فيه يعني أنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك وكذلك ضحك الأنبياء عليهم السلام وأما ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي وإلا فبدت النواجذ على الحقيقة إنما يكون عند الاستغراب وقرأ ابن السميع ضحكا (فإن قلت) ما أضحكك من قولها (قلت) شيآن إعجاب به بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون تعني أنهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا من إدراكه بسمعه ما همس به بعض الحنك الذي هو مثل في الصغر والفلة ومن إحاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما أنعم به عليه من ذلك وعلى استيفاه لزيادة العمل الصالح والتقوى ۝ وحقيقة أوزعني اجعلني أزع شكر نعمتك عندي وأكفه وأرتبطه لا ينفلت عنى حتى لا أنفك شاكر الك وإنما أدرج ذكر والديه لأن النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة إلى الدين فإنه إذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لها كلها دعوا له وقالوا رضى الله عنك وعن والديك وروى أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فأمر سليمان الريح فوفقت لثلا يذعرن حتى دخان مساكنن ثم دعا بالدعوة ۝ ومعنى (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) واجعلني من أهل الجنة ۝ أم هي المنقطعة . نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره فقال (مالي لأرى) على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لسائر ستره أو غير ذلك ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة ملاح له ونحوه قولهم إنها لا يبل أم شاء وذكر من قصة الهدهد أن سليمان حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم وأقام به ماشاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقه وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير إلى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤتم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء أعجبه خضرتها فنزل ليتغدى ويصلى فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قنائه وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاج فيجىء الشياطين فيساخونها كما يسلم الإهاب ويستخرجون الماء ففقدته لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهدا واقفا فانحط إليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده عليه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفعت فنظرت فإذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك وأقدرك على إلا رحمتي فتركته وقالت شكلك أملك إن نبي الله قد حلف ليعذبك قال وما استثنى قالت بلى قال أو ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه بجرها على الأرض تواضعا له فلما دنا منه أخذ برأسه فثده إليه فقال يانبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله

(قوله ما همس به بعض الحنك) في الصحاح الحنك ما لا يسمع له صوت (قوله وعلى استيفاه لزيادة العمل) في الصحاح استوفقت الله سأله التوفيق (قوله تجهز للحج بحشره فوافى الحرم) في الصحاح حشرت الناس أحشرهم حشرا جمعهم ومنه يوم الحشر (قوله وكان الهدهد قنائه) القنائق بالضم الدليل الهادي والبصير بالماء في حفر الفتي والفتى جمع قناة أفاده الصحاح في موضعين (قوله فدعا عريف الطير وهو النسر) في نسخة عريف الطير وكذا عبارة النسفي

أَوْ لَاذْبَحْنَهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بَسُلْطَانٌ مُّبِينٌ ۝ فَكَذَّبْتَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيًّا  
يَقِينٌ ۝ إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ

تعذبه أن يؤذّب بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمسه وقيل أن يطلى بالقطران ويشمس وقيل أن يلقى للنمل تأكله وقيل إيداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين ألفه وقيل لألزمه صحبة الأضداد وعن بعضهم أضيّق السجون معاشرّة الأضداد وقيل لألزمه خدمة أقرانه (فإن قلت) من أين حلّ له تعذيب الهدهد (قلت) يجوز أن يبيح له الله ذلك لما رأى فيه من المصلحة والمنفعة كما أباح ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع وإذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر له من أجله إلا بالتأديب والسياسة جاز أن تباح له ما يستصلح به ۝ وقرئ ليا تينى وليأتينى ۝ والسلطان الحجة والعدر (فإن قلت) قد حلف على أحد ثلاثة أشياء خلفه على فعله لا مقال فيه ولكن كيف صحّ حلفه على فعل الهدهد ومن أين درى أنه يأتي بسلطان حتى يقول أو ليا تينى بسلطان (قلت) لما نظم الثلاثة بأو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه إلى قولك ليكوننّ أحد الأمور يعنى إن كان الإتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وإن لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء دراية على أنه يجوز أن يتعقب حلفه بالفعلين وحى من الله بأنه سيأتيه بسلطان مبين فذلك بقوله أو ليا تينى بسلطان مبين عن دراية وإيقان (فمكث) قرئ بفتح الكاف وضمها (غير بعيد) غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على إسراعه خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرأ له وإيان ما أعطى من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله تعالى (أحطت) بإدغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتى من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمّة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبهياً على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علماً بما لم يحط به لتحقاق إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة والإحاطة بالشىء علماً أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة أنّ الإمام لا يفتى عليه شىء ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه ۝ سبأ قرئ بالصرف ومنعه وقد روى بسكون الباء وعن ابن كثير في رواية سبأ بالالف كقولهم ذهبوا أيدي سبأ وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسماً للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسماً للحى أو الأب الأكبر صرف قال: من سبأ الحاضرين مأرب إذ ۝ يبنون من دون سبيله العرما وقال:

الواردون وتيم في ذرى سبأ ۝ قد عض أعناقهم جلود الجواميس

ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن أذ ويحتمل أن يراد المدينة والقوم ۝ والنبأ الخبر الذي له شأن ۝ وقوله (من سبأ بنياً) من جنس الكلام الذي سماه المتحدثون البديع وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعاً أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائداً على الصحة لخصن وبدع لفظاً ومعنى الأثرى أنه لو وضع مكان بنياً بنجر لكان المعنى صحيحاً وهو كما جاء أصح لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال ۝ المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وقد ولده أربعون ملكاً ولم يكن له ولد غيرها فغابت على الملك وكانت هي وقومها بجوساً يعبدون الشمس والضمير في (تملكهم) راجع إلى سبأ فإن أريد به القوم فالامر ظاهر وإن أريدت المدينة فمعناه تملك أهلها ۝ وقيل في وصف عرشها كان ثمانين ذراعاً في ثمانين وسمكة ثمانين وقيل ثلاثين مكان ثمانين وكان من ذهب وفضة مكلها بأنواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودرّ وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق (فإن قلت) كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان (قلت) يجوز

(قوله وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ) لعله التي تتعلق

لِلشَّمْسِ مِنْ دُونَ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي  
يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝

أن يستصغر حالها إلى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز أن لا يكون لسليمان مثله وإن عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض أمراء الأطراف شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم أمرهم ويستخدمهم ومن نوكتي القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدىء عظيم وجدتها يراد أمر عظيم أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس فمن استعظام الهدد عرشها فوق في عظمة وهي مسخ كتاب الله (فإن قلت) كيف قال (وأوتيت من كل شيء) مع قول سليمان وأوتينا من كل شيء كأنه سوى بينهما (قلت) بينهما فرق بين لأن سليمان عليه السلام عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منق الطير فرجع أو لا إلى ما أوتى من النبوة والحكمة وأسباب الدين ثم إلى الملك وأسباب الدنيا وعطفه الهدد على الملك فلم يرد إلا ما أوتيت من أسباب الدنيا اللاتفة بحالها في الكلامين بون بعيد (فإن قلت) كيف خفي على سليمان مكابها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب (قلت) لعل الله عز وجل أخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب (فإن قلت) من أين للهدد الهدى إلى معرفة الله وجوب السجود له وإنكار سجودهم للشمس وإضافته إلى الشيطان وتزيينه (قلت) لا يبعد أن يلهمه الله ذلك كالألمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها ومن أراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقتها وجعل ذلك معجزة له . من قرأ بالتشديد أراد فصدهم عن السبيل اثلا يسجدوا الحذف الجار مع أن ويجوز أن تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا أو من قرأ بالتخفيف فهو ألا يسجدوا الألتنييه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال ۝ أيا ألسلي يادارمي على البلي ۝ وفي حرف عبد الله وهي قراءة الأعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب وفي قراءة أبي الألتسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والأرض ويعلم سرهم وما تعلنون وسمى الخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما ما خباها عزو علامن غيوبه وقرئ الخبء على تخفيف الهمزة بالحذف والخباء على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها أن تخرج على لغة من يقول في الوقف هذا الخبوء رأيت الخبا ومررت بالخبى ثم أجرى الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكفاءة والحماة لأنها ضعيفة مسترذلة وقرئ يخفون ويعلنون بالياء والناء وقيل من أحطت إلى العظيم هو كلام الهدد وقيل كلام رب العزة وفي إخراج الخبء أمانة على أنه من كلام الهدد لهندسته ومعرفة الماء تحت الأرض وذلك بإلهام من يخرج الخبء في السموات والأرض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد تخفى على ذي الفراسة النظر بنور الله مخائل كل مخفى بصناعة أو فن من العلم في روايته ومنطقه وشماله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا إلا ألقى الله عليه رداء عمله (فإن قلت) أسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا أم في إحداهما (قلت) هي واجبة فيهما جميعا لأن مواضع السجدة إما أمر بها أو مدح لمن أتى بها أو ذم لمن تركها وإحدى القراءتين أمر بالسجود والآخرى ذم للتارك وقد اتفق أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله على أن سجودات القرآن أربع عشر وإنما اختلفا في سجدة ص فهي عند أبي حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجودتي سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع إليه (فإن قلت) هل يفرق الواقف بين القراءتين (قلت) نعم إذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتداء الأيا يسجدوا وإن شاء وقف على الأيا ثم ابتداء يسجدوا وإذا شدد لم يقف إلا على العرش العظيم (فإن قلت) كيف سوى الهدد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظيم (قلت) بين الوصفين بون عظيم لأن وصف عرشها بالعظيم تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك

(قوله ومن نوكتي القصاص) أي حتى أفاده الصحاح (قوله وقيل من أحطت إلى العظيم) في اللباب أن الخلاف في ألا يسجدوا إلى العظيم ومال إليه في التقريب اه . من هامش (قوله في روايته) بالضم أي منظره أفاده الصحاح

قَالَ سَدَّ ظُرُوءًا صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۝ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْءُ إِنِّي أَتِيَةٌ إِلَىٰ كِتَابِ كَرِيمٍ ۝ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مَسْلُومِينَ ۝ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْءُ أَفَتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ۝

ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السموات والأرض ۝ وقرئ العظم بالرفع (سنظر) من النظر الذي هو التأمل والتصفح ۝ وأراد أصدقت أم كذبت إلا وأن كنت من الكاذبين، أبلغ لأنه إذا كان معروفاً بالانحراف في سلك الكاذبين كان كاذباً لا محالة وإذا كان كاذباً اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به (تول عنهم) تنح عنهم إلى مكان قريب تنواري فيه ليكون ما يقولونه يسمع منك و(يرجعون) من قوله تعالى يرجع بعضهم إلى بعض القول فيقال دخل عليها من كوة فألقى الكتاب إليها وتواري في الكوة (فإن قلت) لم قال فألقه إليهم على لفظ الجمع (قلت) لأنه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فألقه إلى الذين هذا دينهم اهتماماً منه بأمر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك (كريم) حسن مضمونه وما فيه أو وصفته بالكرم لأنه من عند ملك كريم أو مخنوم قال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وكان صلى الله عليه وسلم يكتب إلى العجم فقبل له أنهم لا يقبلون إلا كتاباً عليه خاتم فاصطنع خاتماً وعن ابن المقفع من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به وقيل مصدر بسم الله الرحمن الرحيم هو استئناف وتبيين لما أتى إليها كأنها لما قالت إني أتيت إلى كتاب كريم قيل لها من هو وما هو فقالت إنه من سليمان وإنه كيت وكيت وقرأ عبدالله وإنه من سليمان وإنه عطفاً على إني وقرئ إنه من سليمان وأنه بالفتح على أنه بدل من كتاب كأنه قيل أتيت إلى أنه من سليمان وإنه كيت وكيت (الأتعولوا) مفسرة أيضاً. لاتعولوا: لاتكبروا كما يفعل الملوك وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى أن نسخة الكتاب من عبدالله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعولوا على واتوني مسلمين، وكانت كتب الأنبياء عليهم السلام جملاً لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدتها الهدى راندة في قصرها بمأرب وكانت إذا رقدت غاقت الأبواب ووضع المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها والقادة والجنود حوالها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت (مسلمين) منقادين أو مؤمنين ۝ الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتا في السن والمراد بالفتوى هنا الإشارة إليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأي والتدبير وقصدت بالانقطاع إليهم والرجوع إلى استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطيب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها (قاطعة أمراً) فاصلة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه قاضية أي لا بت أمراً إلا بمحضركم وقيل كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً كل واحد على عشرة آلاف أرادوا بالقوة قوة

۝ قوله تعالى قال سنظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (قال معناه أصدقت أم كذبت إلا أن عبارة الآية أبلغ لأنه إذا كان معروفاً بالكذب اتهم في جملة إخباره فلم يوثق به) قال أحمد وهذا مما نهت عليه في سورة الشعراء من العدول عن الفعل الذي هو أم كذبت وعن مجرد صفته في قوله أم كنت كاذباً إلى جملة واحداً من الفئة الموسومة بالكذب فهو أبلغ في مقصود سياق الآية من التهديد والله أعلم

قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً  
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْزَةَ أَهْلِهَا أَدْلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ  
فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالِ أُمَّتِكُمْ أَيُّهَا اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ أَرْجِعْ

الاجساد وقوة الآلات والعدد وبالأس النجدة والبلاء في الحرب (والامر إليك) أي هو موكول إليك ونحن  
مطيعون لك فمرينا بأمرك نطعمك ولا نخالفك كأنهم أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب  
لا من أبناء الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين تتبع رأيك لما أحست منهم الميل إلى  
المحاربة رأت من الرأي الميل إلى الصلح والابتداء بما هو أحسن ورتبت الجواب فزيفت أولاً ما ذكره وأرتهم  
الخطأ فيه (بأن الملوك إذا دخلوا قرية) عنوة وقهراً (أفسدوها) أي خربوها ومن ثمة قالوا للفساد الخربة وأذلوا  
أعزتها وأهانوا أشرفها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت  
وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لأنها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك  
حديث الهدية ومارأت من الرأي الشديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في الأرض بالفساد  
بهذه الآية ويجعلونها حجة لأنفسهم ومن استباح حراماً فقد كفر فإذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع  
بين كفرين (مرسلة إليهم هدية) أي مرسلة رسلاً بهدية أصانعه بها عن ملكي (فناظرة) ما يكون منه حتى أعمل على  
حسب ذلك فروى أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحلبن الأساور والأطواق والقرطه راكبي خيل  
مغشاة بالديباج محلاة للجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك فيزي الغلمان ألف لينة  
من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقاً فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب  
وبعثت رجلين من أشرف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذارأي وعقل وقال إن كان نبياً ميز بين الغلمان والجوارى وثقب  
الذرة ثقباً مستويًا وسلك في الخرزة خيطاً ثم قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولك وإن رأيت  
بشاً لطيفاً فهو نبي فأقبل الهدهد فأخبر سليمان فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله  
سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطاً شرفه من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن  
يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي  
من جانبيه واصطففت الشياطين صفوفاً فراسخ والإنس صفوفاً فراسخ والوحش والسباع والهوام والطيور كذلك  
فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت إليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين  
يديه نظر إليهم بوجه طلق وقال ماورامكم وقال ابن الحق وأخبره جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم إن فيه كذا وكذا  
ثم أمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت فيها لجعل رزقها في الشجرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها لجعل  
رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء يسدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما  
يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع إليهم فقالت هو نبي ومالاً به طاقة فشخصت إليه في اثني عشر  
ألف قيل تحت كل قيل ألوف وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فلما جاؤا (أتمدونني) وقرئ بحذف الياء والاكتفاء  
بالكسرة وبالادغام كقوله أتجاجوني وبنون واحدة أتمدونني الهدية اسم المهدي كما أن العطية اسم المعطى فتضاف  
إلى المهدي والمهدي إليه تقول هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها أو أهديت إليه والمضاف إليه ههنا هو المهدي إليه  
والمعنى أن ما عندي خير مما عندكم وذلك أن الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع وآتاني من الدنيا

(قوله والاطواق والقرطه) واحدها قرط (قوله على رماك فيزي الغلمان) هي إناث الخيل

إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُودٍ لَّا قَبِيلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُنخِزَنَّهُم مِّنْهَا آذَانًا وَهُمْ صَاغِرُونَ ۝ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْاِئِمُّمَ يَا أَيُّهَا  
بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۝ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنَّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ  
لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۝ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا

ملا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلى بأن يمد بمال ويصانع به (بل أتم) قوم لا تعلمون لإظهاراً من الحياة الدنيا  
فلذلك (تفرحون) بما تزدون ويهدى إليكم لأن ذلك مبلغ همتمكم وحالى خلاف حالكم وما أَرْضَى منكم بشيء ولا أفرح  
به إلا بالإيمان ونرك المجوسية (فإن قلت) ما الفرق بين قولك أتمدنى بمال وأناغنى منك وبين أن تقوله بالفاء (قلت)  
إذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالماً بزيادتي عليه فى الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدنى بالمال وإذا قلته بالفاء فقد  
جعلته من خفيت عليه حالى فأنا أخبره الساعة بما لا يحتاج معه إلى إمداده كأنى أقول له أنك عليك ما فعلت فإنى غنى عنه  
وعليه ورد قوله فما أتانى الله (فإن قلت) فما وجه الإضراب (قلت) لما أنكرك عليهم الإمداد وعلل إنكاره أضراب عن ذلك  
إلى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح إلا أن يهدى إليهم حظ من الدنيا التى لا يعلمون غيرها  
ويجوز أن تجعل الهدية مضافة إلى المهدي ويكون المعنى بل أتم بهديتكم هذه التى أهديتموها تفرحون فرح افتخار على  
الملوك بأنكم قدرتم على إهداء مثلها ويحتمل أن يكون عبارة عن الرد كأنه قال بل أتم من حقم أن تأخذوا هديتكم  
وتفرحوا بها (ارجع) خطاب للرسول وقيل للهدد محملاً كتاباً آخر (لا قبل) لاطاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة  
أى لا يقدر أن يقابلوهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه لا قبل لهم بهم ۝ الضمير فى منها لسبب ۝ والذلل أن يذهب عنهم  
ما كانوا فيه من العز والملك ۝ والصغار أن يقعوا فى أسر واستعباد ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا  
ملوكاً ۝ يروى أنها أمرت عند خروجها إلى سليمان عليه السلام فجعل عرشها فى آخر سبعة آيات بعضها فى بعض فى آخر  
قصر من قصور سبعة لها وغلقت الأبواب ووكلت به حرساً يحفظونه ولعله أوحى إلى سليمان عليه السلام باستينافها  
من عرشها فأراد أن يغرب عليها ويربها بذلك بعض ما خصه الله به من إجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم  
قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان عليه السلام ويصدقها وعن قتادة أن يأخذه قبل أن تسلم لعله أنها إذا أسلمت لم يحل  
له أخذ ما لها وقيل أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أثبته أم تنكره اختباراً لعقلها ۝ وقرئ عفريه والعفر والعفريت  
والعفريه والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذى يعفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه  
ذكوان (لقوى) على حمله (أمين) آتى به كما هو لا أختزل منه شيئاً ولا أبدله (الذى عنده علم من الكتاب) رجل كان عنده  
اسم الله الأعظم وهو ياحى يا قيوم وقيل يا إلهنا وإله كل شيء إلهنا وإله أنت وقيل يا ذا الجلال والإكرام  
وعن الحسن رضى الله عنه الله والرحمن وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام وكان صديقاً عالماً وقيل  
اسمه أسطوم وقيل هو جبريل وقيل ملك أيد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كأنه استبطأ العفريت فقال له أنا أريك  
ما هو أسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغنى أنه الخضر عليه السلام ۝ علم من الكتاب : من الكتاب المنزل وهو علم  
الوحى والشرايع وقيل هو اللوح والذى عنده علم منه جبريل عليه السلام ۝ وآتيتك فى الموضوعين يجوز أن يكون فعلاً  
واسم فاعل . الطرف تحريك أجفانك إذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفاً بإرسال الطرف فى نحو قوله  
وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً ۝ لقلبك يوماً أتعبتك المناظر

وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله (قبل أن يرتد إليك طرفك) أنك ترسل طرفك إلى شيء  
فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك ويروى أن آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد

عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ؕ قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ؕ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ؕ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ

عينية فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش في مكانه بمأرب ثم نبغ عند مجلس سليمان عليه السلام بالشام بقدره الله قبل أن يرد طرفه ويجوز أن يكون هذا مثلاً لاستقصار مدة الحجى به كما تقول لصاحبك افعل كذا في لحظة وفي ردة طرف والنفث ترني وما أشبه ذلك تريد السرعة ( يشكر لنفسه ) لأنه يحط به عنها عبء الواجب وبصونها عن سمة الكفران وترتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين أن كفران النعمة بوار وقلبا أفضت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستمد رانها بكرم الجوار واعلم أن سبوغ ستر الله متقلص عما قريب إذا أنت لم ترج لله وقارا (غنى) عن الشكر ( كريم ) بالإينعام على من يكفر نعمته والذي قاله سليمان عليه السلام عند رؤية العرش شاكرأ لربه جرى على شاكلة أبناء جنسه من أنبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بحميل الصبر ( نكروا ) اجعلوه متذكراً متغيراً عن هيئته وشكله كما يتذكر الرجل للناس لثلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله ؕ وقرئ نظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف ( أهتدي ) لمعرفة أو للجواب الصواب إذا سئلت عنه أو للدين والإيمان بنبوة سليمان عليه السلام إذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته وأغلقت عليه الأبواب ونصبت عليه الحرس ؕ هكذا ثلاث كلمات حرف التثنية وكاف التشبيه واسم الإشارة لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا ف(قالت كأنه هو) ولم نقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقع في المحتمل ( وأوتينا العلم ) من كلام سليمان وملته ( فإن قلت ) علام عطف هذا الكلام وبم اتصل ( قلت ) لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها وأجابت بما أجابت به مقاما أجرى فيه سليمان وملؤه ما يناسب قولهم وأوتينا العلم نحو أن يقولوا عند قولها كأنه هو قد أصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الإسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها عطفوا على ذلك قولهم وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الإسلام شكر الله على فضلهم عليها

ه قوله تعالى أهكذا عرشك ( قال فيه لم يقل أهذا عرشك لئلا يكون تلقينا قالت كأنه هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل ) قال أحمد وفي قولها كأنه هو عدولها عن مطابقة الجواب للسؤال بأن تقول هكذا هو نكته حسنة ولعل قائلها يقول كلا العبارتين تشبيه إذ كاف التشبيه فيهما جميعا وإن كانت في إحداهما داخلية على اسم الإشارة وفي الأخرى داخلية على المضمرة وكلاهما أعني اسم الإشارة والمضمرة واقع على الذات المشبهة وحينئذ تستوى العبارتان في المعنى ويفضل قولها هكذا هو بمطابقته للسؤال فلا بد في اختيار كأنه هو من حكمة فنقول حكمته والله أعلم أن كأنه هو عبارة من قرب عنده الشبه حتى شكك نفسه في التباين بين الأمرين فكاد يقول هو هو وتلك حال بلفظ وأما هكذا هو فعبارة جازم بتباين الأمرين حاكم بوقوع الشبه بينهما لا غير فلها عدلت إلى العبارة المذكورة في التلاوة لمطابقتها لحالها والله أعلم وقول الزمخشري ولا ليس به وإن كان من قوله فوهم والصواب ولا ليس به والله سبحانه وتعالى أعلم

( قوله ثم نبغ عند مجلس سليمان ) في الصحاح نبغ الشيء ظهر ( قوله وقلبا أفضت نافرة ) أي أقلت أفاده الصحاح ( قوله وطبقت المفصل وهي عاقلة ) لعله وطابقت

مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ۝ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ  
مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ  
أَخَاهُمْ صَلِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ۝ قَالَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ بِالْحَسَنَةِ  
لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَئِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ۝

وسبقهم إلى العلم بالله والإسلام قبلها (وصدها) عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهري الكفرة ويجوز أن يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه هو والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان عليه السلام قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة تعني ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا في الإسلام ثم قال الله تعالى وصددها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصددها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل ۝ وقرئ أها بالفتح على أنه بدل من فاعل صد أو بمعنى لأنها ۝ الصرح القصر وقيل صحن الدار ۝ وقرأ ابن كثير ساقيا بالهمز ووجهه أنه سمع سؤقا فأجرى عليه الواحد ۝ والمرد المملس وروى أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحقيقا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فنفضى إليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد وأفظع فقالوا له إن في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحمار الحمار فاختر عقلها بتكبير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدمًا لأنها شعراء ثم صرف بصره وناداهما (إنه صرح ممرد من قوارير) وقيل هي السبب في اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان عليه السلام وأحبها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها سبلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له وقيل بل زوجها ذابح ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل أميراً حتى مات سليمان (ظلمت نفسي) تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسيت أن سليمان عليه السلام يفرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان عليه السلام ۝ وقرئ أن عبدوا بالضم على اتباع النزن الياء (فريقان) فريق مؤمن وفريق كافر وقيل أريد بالقريقين صالح عليه السلام وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد (يختصمون) يقول كل فريق الحق معي ۝ السينة العقوبة والحسنة النوبة (فإن قلت) مامعنى استعجالهم بالسينة قبل الحسنة وإنما يكون ذلك إذا كانتا متوقعتين إحداهما قبل الأخرى (قلت) كانوا يقولون لجهلهم إن العقوبة التي يعدها صالح عليه السلام إن وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين أن التوبة مقبولة في ذلك الوقت وإن لم تقع فعن علي مانحن عليه مخاطبهم صالح عليه السلام على حسب قولهم واعتقادهم ۝ ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب (لعلكم ترحمون) تنبها لهم على الخطأ فيما قانوه وتجهيلا فيما اعتقدوه ۝ وكان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فإن مر سائحا

(قوله فبنوا لها سبلحين وغمدان) في الصحاح سبلحون قرية وفيه في فصل نصب أن للعرب في نصيبين ونحوه كبيرين وفلسطين وسيلحين وياسمين وفسرين مذهبين أحدهما لزوم الياء وإعراب مالا ينصرف والثاني إعراب الجمع بالياء والنون نصبا وجرا وبالواو والنون رفعا وفي فصل غمر غمدان قصر باليمن وفي فصل صنع المصانع الحصون (قوله فإن فر سائحاتيمن) السائح ما ولاك ميامنه من ظبي أو طائر أو غيرهما بأن يمر من مياسرك إلى ميامنك والبارح ما ولاك





لَنَقُولَنَّ لَوْلِيَّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۝ وَمَكْرُوهًا مَكْرًا وَمَكْرًا نَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَانظُرْ  
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ فَتِلْكَ يَوْمَهمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً  
 لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَجْشَةَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ۝  
 أَتُنْكُمُ اللَّتَاتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۝ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا  
 أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ۝ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ۝

أهله فجمعوا بن البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك أهله فذكروا أحدهما كانوا صادقين لأنهم فعلوا البياتين جميعاً لا أحدهما  
 وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيهِ ولا يخطر ببالهم إلا ترى أنهم قصدوا قتل  
 نبي الله ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سقوا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب ۝ مكرهم ما أخفوه من  
 تدبير الفتك بصالح عليه السلام وأهله ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روى  
 أنه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصبى فيه فقالوا زعم صالح عليه السلام أنه يفرغ منا إلى ثلاث ففتح فرغ منه ومن  
 أهله قبل الثلاث فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصبى قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب  
 حياهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في  
 مكانه ونجى صالحاً ومن معه وقيل جاءوا بالليل شاهري سيوفهم وقدر أرسل الله الملائكة ملء دار صالح بدمغهم بالحجارة  
 يرون الحجارة ولا يرون رامياً (أما دمرناهم) استئنف ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة أو خير مبتدئ محذوف تقديره  
 هي تدميرهم أو نصبه على معنى لآنا أو على أنه خبر كان أي كان عاقبة مكرهم الدمار (خاوية) حال عمل فيها ما دل عليه تلك قرأ  
 عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدئ المحذوف (و) اذ ذكر (لوطاً) أو أرسلنا لوطاً لدلالة ولقد أرسلنا عليه ۝ وإذ بسال  
 على الأول ظرف على الثاني وأنتم تصرون) من بصر القلب أي تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها وأن الله إنما خلق الآتى  
 للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الآتى الآتى فهي مضادة لله في حكمته وحكمه وعلكم بذلك أعظم لذنوبكم وأدخل في القبح  
 والسماجة وفيه دليل على أن القبيح من الله أقبح منه من عباده لأنه أعلم العالمين وأحكم الحاكمين أو تصرونها بعضهم من بعض  
 لأنهم كانوا في بادئهم يرتكبونها معالين بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة وبجائنة وإهما كما في المعصية وكأن أبانواس  
 بنى على مذهبه قوله : ويج باسم مأتى وذرنى من الكنى ۝ فلا خير في اللدات من دونها ستر

أو تبصرون آثار العضة قبلكم وما نزل بهم (فإن قلت) فسرت تبصرون بالعلم وبعده (بل أنتم قوم تجهلون) فكيف يكرنون  
 علماء جهلاء (قلت) أراد تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو تجهلون العاقبة أو أراد بالجهل السفاهة والحجامة  
 التي كانوا عليها (فإن قلت) تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظ الغائب فهلا طبقت الصفة الموصوف فقضى بالياء  
 دون التاء وكذلك بل أنتم قوم تفتنون (قلت) اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لأنها أقوى وأرسخ أصلا من الغيبة  
 وقرأ الأعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة أحسن (يتطهرون) يتزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل  
 القذر ويغيبون إنكارهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو استهزاء (قدرناها) قدرنا كونها (من الغابرين) كقوله قدرنا  
 لأنها من الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى ۝ أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين

(قوله حيلة يتفصون بها عن الكذب) في الصحاح فصا الإنسان إذا تخلص من البلية والضيق وتفصيت من الديون إذا  
 خرجت منها وتخلصت (قوله صخرة من الهضب حياهم) أي من المطر المتتابع مطرة بعد مطرة وقد حيا له أي إزاهه وأصله  
 الواو أفاده الصحاح (قوله ويج باسم مأتى) يروى من تهوى

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ۝ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ  
أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حُدَادًا ثُمَّ خَلَقْنَا مِنَ الْمَاءِ  
مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَضْلٍ عَلَىٰ الْبَشَرِ ۗ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلْفَهَا

على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن  
وتوقيف على أدب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاسنظار بمكانهما على قبول ما يلقى إلى السامعين  
وإصغائهم إليه وإنزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغونها المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كباراً عن كبار هذا الأدب  
الأدب فحمدوا الله عز وجل وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي بفتح  
كل خطبة وتبعهم المترسلون فأجروا عليه أوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن وقيل هو متصل  
بما قبله وأمر بالتحميد على الهالكين من كفار الأمم والصلاة على الأنبياء عليهم السلام وأشياءهم الناجين وقيل هو خطاب  
للوط عليه السلام وأن يحمده الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم  
معلوم أن لا خير فيما أشركوه أصلاً حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وإنما هو إلزام لهم وتبكيك وتهمك بحالهم  
وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئاً على شيء إلا لداع يدعوه إلى إثارة من زيادة خير ومنفعة فليل  
لهم مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه وإنما لم يؤثره لزيادة الخير ولكن هوى وعيباً ليلينها على الخطأ المفرط والجهل المورط وإضلالهم  
التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا إن الإيثارة يجب أن يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون أم أناخير من هذا الذي هو مهين  
مع علمه أنه ليس لموسى مثل أنهاره التي كانت تجري تحته ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله كما عددها  
في موضع آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ بشر كون بالياء والتاء ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أنه كان إذا قرأها يقول بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم (فإن قلت) ما الفرق بين أم وأم في أم ما أشركون وأمن خلق (قلت)  
تلك متصلة لأن المعنى أيها خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله تعالى آله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات  
والأرض خير تقريراً لهم بأن من قدر على خالق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الأعمش أمن بالتخفيف ووجهه  
أن يجعل بدلا من الله كأنه قال أمن خلق السموات والأرض خير أم ما أشركون (فإن قلت) أي نكته في نقل الإخبار عن  
الغيبه إلى التكلم عن ذاته في قوله فأنبتنا (قلت) تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والإيدان بأن إنبات الحدائق المختلفة  
الأصناف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه إلا هو وحده الأثرى كيف رشح  
معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) ومعنى الكينونة الانبغاء أراد أن تأتي ذلك محال من غيره وكذلك  
قوله بل هم بعد الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم والحديقه البستان عليه حائط من الإحداق وهو الإحاطة وقيل ذات لأن  
المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لأن الناظر يبتهج به (إله مع الله) غيره يقرن به  
ويجعل شريكاً له وقرئ إلهاء مع الله بمعنى أتدعون أو أشركون ولك أن تحقق الهمزتين ونوسط بينهما مدة وتخرج  
الثانية بين بين (يعدلون) به غيره أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد (أمن جعل) وما بعده بدل من أمن خلق فكان

• قوله تعالى آله خير أم ما يشركون (قال فيه معلوم أن لا خير فيما أشركوه حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير  
ومالكه وإنما هو إلزام لهم وتبكيك) قال أحمد كلام مرضى بعد أن تضع خالق كل شيء مكان قوله خالق كل خير فإنه

(قوله فأجروا أوائل كتبهم) لعله فأجروا ذلك أوائل كتبهم (قوله والحدائق البستان عليه حائط) في الصحاح

الحديقه كل بستان عليه حائط

أَسْرًا وَجَعَلْ لَهَا رُوسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلَا أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ؕ أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ  
إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خَلْفَاءَ ۖ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَدَّكُرُونَ ؕ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي  
ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ؕ أَمَّنْ يَبْدُو  
الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلُوبًا بَرَهْنَكُمْ ؕ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؕ

حكهما حكمه (قرارا) دحاها وسواها للاستقرار عليها (حاجزا) كقوله برزخا ؕ الضرورة الحالة المحوجة إلى اللجا والاضطرار افتعال منها يقال اضطره إلى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجا والتضرع إلى الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو المجهود وعن السدى الذى لاحول له ولا قوة وقيل المذنب إذا استغفر (فإن قلت) قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر إذا دعاه وكم من مضطر يدعوه فلا يجاب (قلت) الإجابة موقوفة على أن يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد إلا شارطا فيه المصلحة وأما المضطر فتناول للجنس مطلقا يصلح لكه ولبعضه فلا طريق إلى الجزم على أحدهما إلا بدليل وقد قام الدليل على البعض وهو الذى أجابته مصلحة فبطل تناول على العموم (خلفاء الأرض) خلفاء فيها وذلك توارثهم سكنائها والتصرف فيها قرنا بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط ؕ وقرئ يذكرون بالياء مع الإدغام وبالتاء مع الإدغام والحذف وما مزيدة أى يذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل فى معنى النفي (يهديكم) بالنجوم فى السماء والعلامات فى الأرض إذا جن الليل عليكم مسافرين فى البر والبحر ؕ (فإن قلت) كيف قيل لهم (أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده) وهم منكرون للإعادة (قلت) قد أزيحت عنهم بالتمكين من المعرفة والإقرار فلم يبق لهم عذر فى الإنكار (من السماء) الماء (و) من (الأرض) النبات (إن كنتم صادقين) أن مع الله إلهنا فإين دليلكم عليه (فإن قلت) لم رفع اسم الله والله تعالى أن يكون ممن فى السموات والأرض (قلت) جاء على لغة بنى تميم حيث يقولون ما فى الدار أحد إلا حمار يريدون ما فيها إلا حمار وكان أحدا لم يذكرو منه قوله عشية ما تغنى الرماح مكانها ؕ ولا النبل إلا المشرى المصمم

وقولهم ما أتاني زيد إلا عمرو وما أعانته إخوانكم إلا إخوانه (فإن قلت) ما الداعى إلى اختيار المذهب التميمى على الحجازى (قلت) دعت إليه نكتة سرية حيث أخرج المستثنى مخرج قوله إلا العافير بعد قوله ليس بها أنيس ليؤل المعنى إلى قولك إن كان الله ممن فى السموات والأرض فهم يعلمون الغيب يعنى أن علمهم الغيب فى استحالته كاستحالة أن يكون الله منهم كما أن معنى ما فى البيت إن كانت العافير أنيسا ففيها أنيس بتا للقول بخلوها عن الأنيس (فإن قلت) هلا زعمت أن الله ممن فى السموات والأرض كما يقول المتكلمون الله فى كل مكان على معنى أن علمه فى الأما كن كلها مكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بنى تميم (قلت) يابى ذلك أن كونه فى السموات والأرض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وإرادة المتكلم

تخصيص قدرى أو إشراك خفى والتوحيد الأبلج ما قلناه والله سبحانه وتعالى أعلم ؕ قوله تعالى أمن يجيب المضطر إذا دعاه (قال إن قلت فكم من مضطر لا يجاب قلت الإجابة موقوفة على كون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد إلا شارطا فيه المصلحة) قال أحمد الصواب أن الإجابة مقرونة بالمشيئة لا بالمصلحة وإنما تقف الإجابة على المصلحة عند القدرية لإيجابهم على الله تعالى رعاية المصالح فقول الزمخشري لا يحسن الدعاء من العبد إلا شارطا فيه المصلحة فاسد فإن المشيئة شرط فى إجابة الدعاء اتفاقا مع ذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول الداعى اللهم اغفر لى إن شئت

(قوله دعت إليه نكتة سرية) لعله بزنة فعيلة فيكون بمعنى شريفة (قوله البيت إن كانت العافير أنيسا) هو قول الشاعر

وبلدة ليس بها أنيس ؕ إلا العافير وإلا العيس

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۚ بَلِ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ

بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على أن قولك من في السموات والأرض وجمعك بينه وبينهم في إطلاق اسم واحد فيه إيهام تسوية والإيهامات مزالة عنه وعن صفاته تعالى الأثرى كيف قال صلى الله عليه وسلم لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بنس خطيب القوم أنت وعن عائشة وضى الله عنها من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وعن بعضهم أخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه أحدا لئلا يأمن أحد من عبده مكره . وقيل نزلت في المشركين حين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (أيان) بمعنى متى ولو سمي به لكان فعلا من أن يثنى ولا يصرف وقرئ إيان بكسر الهمزة وقرئ بل أدرك بل ادراك بل ادراك بل تدارك بل أدرك بهمزتين بل آ أدرك بألف بينهما بل أدرك بالتخفيف والنقل بل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل أدرك على الاستفهام بلى أدرك أم تدارك أم أدرك فهذه ثلث عشرة قراءة وادراك أصله تدارك فأدغمت التاء في الدال وادرك افتعل ومعنى أدرك علمهم انتهى وتكامل وادرك تتابع واستحكم وهو على وجهين أحدهما أن أسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنه لا ريب فيه قد حصلت لهم ويمكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وهو قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون ۚ يريد المشركين ممن في السموات والأرض لأنهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم إلى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وإنما فعله ناس منهم (فإن قلت) إن الآية سبقت لاختصاص الله بعلم الغيب وأن العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث مع استحكام العلم والتمكن من المعرفة (قلت) لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به أن عندهم عجزا أبلغ منه وهو أنهم يقولون للكائن الذي لا بد أن يكون وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع أن عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به . والوجه الثاني أن وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما أعلمك على سبيل الهزؤ وذلك حيث شكروا وعموا عن إثباته الذي الطريق إلى علمه مسلك فضلا أن يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق إلى معرفته وفي أدرك علمهم وادراك علمهم وجه آخر وهو أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفتى من قولك أدركت الثمرة لأن تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن رضي الله عنه باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك (فإن قلت) فما وجه قراءة من قرأ بل أدرك على الاستفهام (قلت) هو استفهام على وجه الإنكار لإدراك علمهم وكذلك من قرأ أم أدرك وأم تدارك لأنها أم التي بمعنى بل والهمزة (فإن قلت) فمن قرأ بلى أدرك وبلى أدرك (قلت) لما جاء بلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله أدرك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة أنهم لا يعلمون كونها فيرجع إلى نفي الشعور على أبلغ ما يكون وأما من قرأ بلى أدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم أنكر علمهم بكونها وإذا أنكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لأن العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن (في الآخرة) في شأن الآخرة ومعناها (فإن قلت) هذه الاضطرابات الثلاث ما معناها (قلت) ما هي إلا تنزيل لأحوالهم وصفهم أولا بأنهم لا يشعرون وقت البعث ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنه ثم بأنهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والإزالة مستطاعة الأثرى أن من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل أربابها بعضهم لبعض كان أمره أهون ممن سمع بها وهو جائم لا يشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو أسوأ حالا وهو العمى وأن يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عمالم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لأن الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاءُنَا أُنَّا مُخْرَجُونَ ۝ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاءُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ۝ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ۝ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْسِكُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝

ولا يتصرفون ۝ العامل في إذا مادل عليه أننا لمخرجون وهو نخرج لأن بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام وإن ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف إذا اجتمعن والمراد الاخراج من الأرض أو من حال الفناء إلى الحياة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على إذا وإن جميعا إنكار على إنكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفره مؤكدا مبالغ فيه والضمير في إنالهم ولآبائهم لأن كونهما ترابا قد تناولهم وآبائهم ۝ (فإن قلت) قدم في هذه الآية هذا على نحن وآبائنا وفي آية أخرى قدم نحن وآبائنا على هذا (قلت) التقديم دليل على أن المقدم هو الغرض المتعمد بالذكرة وإن الكلام إنما سبق لأجله ففي إحدى الآيتين دل على أن اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي الأخرى على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد ۝ لم تلحق علامة التأنيت بفعل العاقبة لأن تأنيثها غير حقيقي ولأن المعنى كيف كان آخر أمرهم ۝ وأراد بالمجرمين الكافرين وإنما عبر عن الكفر بلفظ الإجماع ليكون لظها للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها الأتري إلى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيأتهم أغرقوا (ولا تحزن عليهم) لأنهم لم يتبعوك ولم يسلموا فیسلموا وهم قومه قريش كقوله تعالى فاعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا (في ضيق) في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فإن الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقاً وضيقاً بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق أيضاً تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقاً حرجاً قرئاً مخففاً ومثقلاً ويجوز أن يراد في أمر ضيق من مكرهم ۝ استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم (عسى أن يكون) ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بأيديكم أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دننا لكم وأزف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدى بمن قال فلما ردنا من عمير وصحبه ۝ تولوا سراعا والمنية تعنى يعنى دنونا من عمير وقرأ الأعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر أفصح وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجده ومالا مجال للشك بعده وإنما يعنون بذلك إظهار وقارهم وأنهم لا يعجلون بالانتقام لإدلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم أن عدوهم لا يفوتهم وأن الرزمة إلى الأغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده ۝ الفضل والفاضلة الإفضال ولفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه أنه مفضل عليهم بتأخير العقوبة وأنه لا يعاجلهم بها وأكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش ۝ قرئ نكن يقال كنت الشيء وأكنته إذا سترته وأخفيته يعنى أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكائدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه ۝ سمي الشيء الذي يغيب ويخفي غائبة وخافية فكانت

(قوله اسم الفاعل فيه عقابا) لعله اسم المفعول وعقابا جمع عقبة أفاده الصحاح وعقبة النسب لأن اسم الفاعل والمفعول بعد همزة الاستفهام أو أن أو لام الابتداء لا يعمل فيما قبله فكيف إذا اجتمعن (قوله تولوا سراعا والمنية تعنى) في الصحاح العنق ضرب من سير الدواب

وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ۝ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الْأَصْمَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝ وَمَا أَنْتَ بِهَادِيَ الْعَمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ۝ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّن

النَّاءِ فِيهِمَا بِمَنْزِلَتِهَا فِي الْعَافِيَةِ وَالْعَاقِبَةِ وَنَظَارَتُهُمَا النَّطِيجَةُ وَالرَّمِيَّةُ وَالذَّبِيحَةُ فِي أَنَّهَا أَسْمَاءٌ غَيْرُ صِفَاتٍ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَا صِفَتَيْنِ وَتَأْوُهُمَا لِلْبَالِغَةِ كَالرَّائِيَةِ فِي قَوْلِهِمْ وَيَلُ لِّلشَّاعِرِ مَن رَّأَوِيَةِ السُّوءِ كَأَنَّهُ قَالَ وَمَا مَن شَيْءٌ شَدِيدُ الْغِيُوبَةِ وَالْخَفَاءِ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَهُ اللَّهُ وَأَحَاطَ بِهِ وَأَثَبَتْهُ فِي اللُّوْحِ الْمُبِينِ الظَّاهِرِ الْبَيْنِ لِمَن يَنْظُرُ فِيهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ۝ قَدْ ائْتَفَقُوا فِي الْمَسِيحِ فَتَحَزَبُوا فِيهِ أَحْزَابًا وَوَقَعَ بَيْنَهُمُ التَّنَازُرُ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ حَتَّى لَعَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَقَدْ نَزَلَ الْقُرْآنُ بَيَانًا مَا ائْتَفَقُوا فِيهِ لَوْ أَنْصَفُوا وَأَخَذُوا بِهِ وَأَسْلَمُوا بِرَيْدِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى (لِلْمُؤْمِنِينَ) لِمَن أَنْصَفَ مِنْهُمْ وَأَمَّنَ أَي مَن ابْنِ إِسْرَائِيلَ أَوْ مِنْهُمْ وَمَن غَيْرِهِمْ (بَيْنَهُمْ) بَيْنَ مَن آمَنَ بِالْقُرْآنِ وَمَن كَفَرَ بِهِ (فَإِنْ قُلْتَ) مَا مَعْنَى يَقْضِي بِحُكْمِهِ وَلَا يُقَالُ زَيْدٌ يَضْرِبُ بِضَرْبِهِ وَيَمْنَعُ بِمَنْعِهِ (قُلْتَ) مَعْنَاهُ بِمَا يَحْكُمُ بِهِ وَهُوَ عَدْلُهُ لِأَنَّهُ لَا يَقْضِي إِلَّا بِالْعَدْلِ فَسُمِّيَ الْمُحْكَمُ بِهِ حُكْمًا أَوْ أَرَادَ بِحُكْمَتِهِ وَتَدَلَّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ مَن قَرَأَ بِحُكْمِهِ جَمْعُ حِكْمَةٍ (وَهُوَ الْعَزِيزُ) فَلَا يَرُدُّ قِضَاؤَهُ (الْعَلِيمُ) بِمَن يَقْضِي لَهُ وَبِمَن يَقْضِي عَلَيْهِ أَوْ الْعَزِيزُ فِي ائْتِقَامِهِ مَن الْمُبْطِلِينَ الْعَلِيمُ بِالْفَصْلِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُحَقِّقِينَ ۝ أَمْرُهُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَقَوْلُهُ الْمَبَالَاةُ بِأَعْدَاءِ الدِّينِ وَعِلَلُ التَّوَكُّلِ بِأَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ الْإِبَاحِ الَّذِي لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الشُّكُّ وَالظَّنُّ وَفِيهِ بَيَانٌ أَنَّ صَاحِبَ الْحَقِّ حَقِيقٌ بِالتَّوَكُّلِ بِصُنْعِ اللَّهِ وَبِنَصْرَتِهِ وَأَنَّ مِثْلَهُ لَا يَخْذَلُ (فَإِنْ قُلْتَ) (إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى) يَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ تَعْلِيلًا آخَرَ لِلتَّوَكُّلِ فَمَا وَجْهَ ذَلِكَ (قُلْتَ) وَجْهَهُ أَنَّ الْأَمْرَ بِالتَّوَكُّلِ جَعَلَ مَسِيئًا عَمَّا كَانَ يَغِيظُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَن جَهَةَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ مَن تَرَكَ اتِّبَاعَهُ وَتَشْيِيعَ ذَلِكَ بِالْأَذَى وَالْعِدَاوَةِ فَلَا مَن ذَلِكَ أَنْ يَعْطَلَ تَوَكُّلَ مِثْلِهِ بِأَنَّ اتِّبَاعَهُمْ أَمْرٌ قَدْ يَثْبُتُ مِنْهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الِاسْتِنصَارُ عَلَيْهِمْ لِعِدَاوَتِهِمْ وَاسْتِكْفَاءُ شُرُورِهِمْ وَأَذَاهُمْ وَشَبَّهُوا بِالْمَوْتَى وَهُمْ أَحْيَاءُ صَحَّاحِ الْخَوَاسِ لِأَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا مَا يَتَلَى عَلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فَكَانُوا أَقْسَامَ الْقَوْلِ لَا تَعِيهِ آذَانُهُمْ وَكَانَ سَمَاعُهُمْ كَلَّا سَمَاعٍ كَانَتْ حَالُهُمْ لِانْتِفَاءِ جِدْوَى السَّمَاعِ كَحَالِ الْمَوْتَى الَّذِي فَقَدُوا مَصْحَحَ السَّمَاعِ وَكَذَلِكَ تَشْبِيهِهِمْ بِالصَّمِّ الَّذِي يَنْعَقُ بِهِمْ فَلَا يَسْمَعُونَ وَشَبَّهُوا بِالْعَمَى حَيْثُ يَضِلُّونَ الطَّرِيقَ وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَنْزِعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَأَنْ يَجْعَلَهُمْ هِدَاةً بِصِرَافِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (فَإِنْ قُلْتَ) مَا مَعْنَى قَوْلِهِ (إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) (قُلْتَ) هُوَ تَأْكِيدٌ لِحَالِ الْأَصْمِ لِأَنَّهُ إِذَا تَبَاعَدَ عَنِ الدَّاعِي بَانَ يُولَى عَنْهُ مُدْبِرًا كَأَنَّ أَبْعَدَ عَنِ إِدْرَاكِ صَوْتِهِ وَقُرئَ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمِّ وَمَا أَنْتَ بِهَادِيَ الْعَمَى عَلَى الْأَصْلِ وَتَهْدِي الْعَمَى وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَمَا أَنْ تَهْدِيَ الْعَمَى وَهَدَاهُ عَنِ الضَّلَالِ كَقَوْلِكَ سَقَاهُ عَنِ الْعَيْمَةِ أَي أَبْعَدَهُ عَنْهَا بِالسَّقَى وَأَبْعَدَهُ عَنِ الضَّلَالِ بِالْهُدَى (إِنْ تَسْمَعُ) أَي مَا يَجْرِي إِسْمَاعَكَ لِأَعْلَى الَّذِينَ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِهِ أَي يَصْدُقُونَ بِهَا (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) أَي مَخْلُصُونَ مِنْ قَوْلِهِ بَلَى مِنْ أَسْمٍ وَجْهَهُ اللَّهُ يَغْنَى جَعَلَهُ سَالِمًا لِلَّهِ خَالِصًا لِمَعْنَى الْقَوْلِ وَمُؤَدَاهُ بِالْقَوْلِ وَهُوَ مَا وَعَدُوا مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ وَالْعَذَابِ وَوَقُوعِهِ حَصُولِهِ وَالْمَرَادُ مَشَارَفَةُ السَّاعَةِ وَظُهُورُ أَشْرَاطِهَا وَحِينَ لَا تَنْفَعُ التَّوْبَةُ وَدَابَّةُ الْأَرْضِ الْجَسَاسَةُ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ طَوْلَهَا سِتُونَ ذِرَاعًا لَا يَدْرِكُهَا طَالِبٌ وَلَا يَفُوتُهَا هَارِبٌ وَرَوَى لَهَا أَرْبَعُ قَوَائِمٍ وَزَغَبٌ وَرَيْشٌ وَجَنَاحَانِ وَعَنْ ابْنِ جَرِيرٍ فِي وَصْفِهَا رَأْسٌ ثَوْرٌ وَعَيْنٌ خَنْزِيرٌ وَأُذُنٌ فِيلٌ وَقَرْنٌ إِبِلٌ وَعَنْقٌ نَعَامَةٌ وَصَدْرٌ أَسَدُولُونَ نَمْرٌ وَخَاصِرَةٌ هَرٌّ وَذَنْبٌ كَبِشٌ وَخَفٌّ بَعِيرٌ مَا بَيْنَ الْمُفْصَلَيْنِ اثْنَا عَشَرَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَوَى لَا تَخْرُجُ إِلَّا رَأْسُهَا وَرَأْسُهَا يَبْلُغُ عَنَانَ السَّمَاءِ أَوْ يَبْلُغُ السَّحَابَ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنٍ وَمَا بَيْنَ قَرْنَيْهَا فَرَسَخٌ لِلرَّاكِبِ وَعَنْ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَتِمُّ خُرُوجُهَا إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثَةِ

(قوله سقاه عن العيمة) هي شهوة اللبن كما في الصحاح (قوله ورأسها يبلغ أعنان السماء) في الصحاح: أعنان السماء صفائحها وما اعترض من أقطارها كأنه جمع عنن والعاقة تقول عنان السماء

الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا  
فَهُمْ يَوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آذًا ۝ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَوَقَعَ

أيام وعن علي رضي الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلاثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروى أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تتكمن ثم تخرج بالبادية ثم تتكمن دهرًا طويلًا فبينما الناس في أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلك فتقول (أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ) يعني أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لأن خروجها من الآيات وتقول ألعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطان الأديان كلها سوى دين الإسلام وعن ابن عمر رضي الله عنه تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروى تخرج من أجياد وروى بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده أو فيما بين عينيه بعصا موسى عليه السلام فتسكت نكتة بيضاء فتفسو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه أو فترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وتسكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفسو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروى فجلو وجه المؤمن بالعصا وتحطم أنف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز أن يكون تكلمهم من الكلم أيضا على معنى التكبير يقال فلان مكلم أي مجرح ويجوز أن يستدل بالتخفيف على أن المراد بالتكلم التجريح كما فسر لبحر في قراءة على رضي الله عنه لنحرقه وأن يستدل بقراءة أبي تائبهم وقراءة ابن مسعود تكلمهم بأن الناس على أنه من الكلام والقراءة بيان مكسورة حكاية لقول الدابة إما لأن الكلام بمعنى القول أو بإضمار القول أي تقول الدابة ذلك أو هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك (فإن قلت) إذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول آياتنا (قلت) قولها حكاية لقول الله تعالى أو على معنى آيات ربنا أو لاختصاصها بالله وأثرها عنده وأنها من خواص خلقه أضاف آيات الله إلى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وإنما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار أي تكلمهم بأن (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيككبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد أطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا فإن الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله أفواجا وعن ابن عباس رضي الله عنهما أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار (فإن قلت) أي فرق بين من الأولى والثانية (قلت) الأولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الأوثان الوال للحال كأنه قال أكنذبتهم بها بادي الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب أو للاطف أي أجددتموها ومع وجودكم لم تلقوا أذهانكم لتحققها وتبصرها فإن المكتوب إليه قد يجحد أن يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويفهم مضامينه ويحيط بمعانيه (أم ماذا كنتم تعملون) بها للتبكي لا غير وذلك أنهم لم يعملوا إلا التكذيب فلا يقدر أن يكذبوا ويقولوا قد صدقناها وليس إلا التصديق بها أو التكذيب ومثاله أن تقول لرأعيك وقد عرفته روعي سوء أنا كل نعمي أم ماذا تعمل بها فتجعل ما ابتدئ به وتجعله

(قوله بلسان ذلك) أي طاق كافي الصحاح (قوله تخرج من أجياد) جبل بمكة سمي بذلك لموضع خيل تبع وسمى قبيعان لموضع سلاحه



الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ۝ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّا فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ  
وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ۝ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ  
خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ۝ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ۝ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ

أصل كلامك وأساسه هو الذي صح عندك من أكله وفساده وترى بقولك أم ماذا تعمل بها مع علمك أنه لا يعمل بها  
إلا الأكل لتبته وتعلمه عليك بأنه لا يجيء منه إلا أكلها وأنه لا يقدر أن يدعى الحفظ والإصلاح لما شمر من خلاف  
ذلك أو أراد ما كان لكم عمل في الدنيا إلا الكفر والمعصية وإنما خلقوا الإيمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم  
لهم عمل غيره كأهم لم يخلقوا إلا للكفر والمعصية ويريد أن العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله  
فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ۝ جعل الإبصار للنهار وهو لآله (فإن قلت) ما للتقابل  
لم يراع في قوله ليسكنوا ومبصراً حيث كان أحدهما علة والآخر حالا (قلت) هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم  
المطبوع غير المتكلف لأن معنى مبصراً ليصروا فيه طرق التقلب في المكاسب (فإن قلت) لم قبل (فزع) دون فيفزع  
(قلت) لتسكتة وهي الإشعار بتحقيق الفزع وثبوتها وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض لأن الفعل  
الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون (إلا من شاء الله)  
إلا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وعن  
الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى عليه السلام لأنه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ  
في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ۝ وقرئ أتوه وأتاه ودخرين فالجمع على المعنى والتوحيد  
على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الإتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز أن يراد رجوعهم  
إلى أمره وانقيادهم له (جامدة) من جماد في مكانه إذا لم يبرح ۝ تجمع الجبال فتسير كما تسير الرياح السحاب فإذا نظر إليها  
الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد (وهي تمر) مرّاً حيثما يمر السحاب وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد  
إذا تحركت لا تكاد تبدل حركتها كما قال النابغة في صفة جيش

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم ۝ وقوف لحاج والركاب تهملج

(صنع الله) من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصيغة الله إلا أن مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ  
والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الإثابة  
والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله (الذي  
أتقن كل شيء) يعني أن مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة إحكامه للأشياء وإتقانه لها وإجراءاتها لها  
على قضايا الحكمة أنه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله (من  
جاء بالحسنة) إلى آخر الآيتين فانظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة إضماره وروصانه تفسيره

(قوله لتبته وتعلمه عليك) تدهشه وتحيره (قوله والركاب تهملج) في الصحاح الهملج من البراذين واحد الهمالج  
ومشيها الهملجة فارسي معرب (قوله ومكانة إضماره وروصانه تفسيره) الذي في الصحاح ضم الجرح يضمه ضمداً  
شده بعصاة وفيه الرصين المحكم الثابت وقدرصن بالضم رصانة

فَكَبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي  
حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى فَأَيُّهَا يَهْتَدَى لِنَفْسِهِ

وأخذ بعضه بحجرة بعض كأنما أفرغ إفرافاً واحداً ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر إذا جاء عقب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادى على سداده وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كانت الأثرى إلى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعدما وسمها بإضافتها إليه بسمعة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي أتقن كل شيء ومن أحسن من الله صبغة لا يخلف الله الميعاد لا تبديل لخلق الله ۝ وقرئ تفعلون على الخطاب (فله خير منها) يريد الإضعاف وأن العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها أي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة ، وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة ۝ وقرئ يومئذ مفتوحاً مع الإضافة لأنه أضيف إلى غير متمكن (قوله وأخرس الشقاشق) في الصحاح شقشق الفحل شقشقة هدر وإذا قالوا للخطيب ذو شقشقة فإنما يشبهه بالفحل ومنصوباً مع تنوين فزع (فإن قلت) ما الفرق بين الفزعين (قلت) الفزع الأول هو ما لا يخلومنه أحد عند الإحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وإن كان المحسن يأمن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدره ياب وقلب وجاب وإن كانت ساعة إعزاز وتسكينة وإحسان وتولية وأما الثاني فالخوف من العذاب (فإن قلت) فمن قرأ من فزع بالتنوين مامعناه (قلت) يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب وأما ما يلحق الإنسان من التهييب والرعب لما يرى من الأهوال والعضائم فلا يخلون منه لأن البشرية تقتضى ذلك وفي الأخبار والآثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفراط الشدة لا يكتفه الوصف وهو خوف النار أتم يعدى بالجاز وبمنه كقوله تعالى أفأمنوا مكر الله ۝ وقيل السيئة الإشرار ۝ يبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة فكأنه قيل فكبوا في النار كقوله تعالى فككبوا فيها ويحوز أن يكون ذكر الوجوه إيذاناً بأنهم يكون على وجوههم فيها منكوسين (هل تجزون) يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند السكب بإضمار القول ۝ أمر رسوله بأن يقول (أمرت) أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذله شريكاً كما فعلت قريش وأن أكون من الخنفاء الثابتين على ملة الإسلام (وأن أتلو القرآن) من التلاوة أو التلوكة وقوله واتبع ما يوحى إليك ۝ والبلدة مكة حرسها الله تعالى اختصاصاً من بين سائر البلاد بإضافة اسمها إليها لأنها أحب بلادها إليه وأكرمها عليه وأعظمها عنده وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج في مهاجرة فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال إني أعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت وأشار إليها إشارة تعظيم لها وتقريب دال على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فأجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها بأنها محترمة لا ينتهك حرمتها إلا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم لا يختل خلاها ولا يعرض شجرها ولا ينفرس صيدها واللاجئ إليها آمن ۝ وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتها وفي ذلك إشارة إلى أن ملكاً ملك مثل هذه البلدة عظيم الشأن قد ملكها وملك إليها كل شيء.

قوله تعالى إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها وله كل شيء (قال فيه المراد بالبلدة مكة وإضافة اسم الله تعالى إليها لتشريفها وذكر تحريمها لأنه أخص أوصافها وأسندته إلى ذاته تأكيذاً لشرفها ثم قال وله كل شيء لجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخول هذه البلدة المعظمة وفي ذلك إشارة إلى أن ملكاً قدم ملك هذه البلدة المكرمة وملك إليها كل شيء إنه لعظيم الشأن) قال أحمد وتحت قوله وله كل شيء فائدة أخرى سرى ذلك وهي أنه لما أضاف اسمه إلى البلدة المخصوصة تشريفاً لها أتبع ذلك إضافة كل شيء سواها إلى ملكة قطعاً لتوهم اختصاص ملكة بالبلدة المشار إليها

(قوله وأخرس الشقاشق) في الصحاح شقشق الفحل شقشقة هدر . وإذا قالوا للخطيب ذو شقشقة فإنما يشبهه بالعل (قوله بصدره ياب وقلب وجاب) في الصحاح وجب القلب وجباً اضطرب (قوله فله فله) بلغ الحزورة استقبلها) تل صغير كما في الصحاح (قوله لا يختل خلاها) أي لا يجز حشيشها لا يقطع شجرها

وَمَنْ ضَلَّ قَعْلًا إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ • وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِيكُمْ ءآيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ  
عَمَّا تَعْمَلُونَ •

### سورة القصص مكية

إلا من آية ۵۲ إلى غاية آية ۵۵ فمدنية و آية ۸۵ فبالجحفة أثناء الهجرة وآياتها ۸۸ نزلت بعد النمل  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • طَسَمَ • تِلْكَ ءآيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ • نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ  
بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ • إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ

اللهم بارك لنا في سكنائها وآمنائها فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك إلا إلى دار رحمتك وقرئ التي حرّمها واتل عليهم  
هذا القرآن عن أبي وأناتل عن ابن مسعود (فمن اهتدى) باتباعه إياي فيما أياصده من توحيد الله ونفى الأنداد عنه والدخول  
في الملة الخيفية واتباع ما أنزل على من الوحي فمنفعة اهتدائه راجعة إليه لا إلى (ومن ضل) ولم يتبعني فلا على وما أنا إلا رسول  
منذر وما على الرسول إلا البلاغ • ثم أمره أن يحمده الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وأن يهدد أعداءه بما  
سيرهم الله من آياته التي تلجهم إلى المعرفة والإقرار بأنها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعني في الآخرة . عن الحسن  
وعن الكلبي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل هو كقوله سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم  
الآية • وكل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل عنه لأن الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين  
قرئ تعملون بالتاء والياء . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من  
صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم ويخرج من قبره وهو ينادى لا إله إلا الله

### ﴿ سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (من نبأ موسى وفرعون) مفعول تلو أي تلو عليك بعض خبرهما (بالحق) محققين كقوله  
تنت بالدهن (لقوم يؤمنون) لمن سبق في علمنا أنه يؤمن لأن التلاوة إنما تنفع هؤلاء دون غيرهم (إن فرعون) جملة  
مستأنفة كالتفسير المجمل كأن قائل قال وكيف كان نبؤهما فقال إن فرعون (علا في الأرض) يعني أرض مملكته قد طغى  
فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف (شيعا) فرقا يشيعونه على ما يريدو بطيعونه لا يملك أحد منهم أن بلوى عنقه قال الأعشى  
وبلدة يرهب الجواب دلجتها • حتى تراه عليها يبتغي الشيعا

أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته أو أصنافاً في استخدامه يتسخر صنفاً في بناء وصنفاً في حرث وصنفاً في حفر ومن لم  
يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة وهم بنو إسرائيل والقبط • والطائفة المستضعفة بنو  
إسرائيل • وسبب ذبح الأبناء أن كاهنا قال له يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على

وتنبها على أن الإضافة الأولى إنما قصد بها التشریف لآلئها ملك الله تعالى خاصة والله أعلم • قوله تعالى • وما ربك بغافل  
عما تعملون • (قال فيه لأن العالم بالذات لا يجوز عليه الغفلة) قال أحمد قد سبق له جحد صفة العلم وإيهام أن سلبها داخل  
في تنزيهه الله تعالى لأنه يجعل استحالة الغفلة عليه معللة بأنه عالم بالذات لا يعلم والحق أن استحالة الغفلة عليه تعالى لأن علمه  
لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض بل هو علم قديم أزلي عام النعلق بجميع الواجبات والممكنات والمنتعات  
ولا يتوقف تنزيهه تعالى على تعطيل صفاته وكأله وجلاله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

وَيَسْتَحْيِي نَسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۚ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً  
وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۚ وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۚ  
وَإِذْ حِينًا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضَعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ  
وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۚ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا

ثخانة حق فرعون فإنه إن صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وإن كذب فسارجه القتل (ويستضعف) حال من الضمير  
في وجعل أو صفة لشيعا أو كلام مستأنف و(يذبح) بدل من يستضعف وقوله (إنه كان من المفسدين) بيان أن القتل  
ما كان إلا فعل المفسدين لحسب لأنه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب (فإن قلت) علام عطف قوله (ونريد  
أن نمن) وعطفه على تلو ويستضعف غير سديد (قلت) هي جملة معطوفة على قوله إن فرعون علا في الأرض لأنها نظيرة  
تلك في وقرعها تفسيرا لنبا موسى وفرعون واقتصاصه ونريد حكاية حال ماضية ويجوز أن يكون حالا من يستضعف  
أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم (فإن قلت) كيف يجتمع استضعافهم وإرادة الله المنة عليهم وإذا أراد  
الله شيئا كان ولم يتوقف إلى وقت آخر (قلت) لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت إرادة  
وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم (أئمة) مقدمين في الدين والدنيا يبطأ الناس أعقابهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما  
قادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد رضى الله عنه دعاة إلى الخير وعن قتادة رضى الله عنه ولاية كقوله تعالى وجعلكم  
ملوكا (الوارثين) يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم مكن له إذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد فوطأه  
ومهدده ونظيره أرض له ومعنى التمكين لهم في الأرض وهي أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لا تنبؤهم ولا تغث  
عليهم كما كانت في أيام الجبارة وينفذ أمرهم ويطلق أيديهم ويسلطهم وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما أي يرون  
(منهم ما) حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يدمولود منهم اليم البحر قيل هو نيل مصر (فإن قلت) ما المراد  
بالخوفين حتى أوجب أحدهما ونهى عن الآخر (قلت) أما الأول فالخوف عليه من القتل لأنه كان إذا صاح خافت أن  
يسمع الجيران صوته فينموا عليه وأما الثاني فالخوف عليه من العرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المشوثة من قبل  
فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف (فإن قلت) ما الفرق بين الخوف والحزن (قلت) الخوف غم يلحق  
الإنسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به فهبت عنهما جميعا وأومنت بالوحي إليها ووعدت  
ما يسليها ويطامن قلبها ويملؤها غبطة وسرورا وهو رده إليها وجعله من المرسلين وروى أنه ذبح في طلب موسى عليه  
السلام تسعون ألف وليد وروى أنها حين أقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بنى إسرائيل  
مصافية لها فقالت لها لينفنى حبك اليوم فعالجتها فلما وقع إلى الأرض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل  
منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ماجئتك إلا لأقبل مولودك وأخبر فرعون ولكنى وجدت لابنك جبا ما وجدت مثله  
فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها  
فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدرى مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله النار عليه برداً  
وسلاما فلما ألح فرعون في طلب الولدان أوحى الله إليها فألقته في اليم وقد روى أنها أرضعته ثلاثة أشهر في تابوت من بردى  
مطلى بالقار من داخله اللام في (ليكون) هي لام كى التي معناها التعليل كقولك جئتك لتسكرنى سواء بسواء ولكن معنى التعليل

(قوله لا تنبؤهم ولا تغث عليهم) أي ولا تفسد وتردو أفاده الصحاح (قوله ووضعته في تنور مسجور) في الصحاح التنور الذى يخبز  
فيه وفيه أيضا يجرت التنور سحرا إذا حيت (قوله تابوت من بردى مطلى بالقار) في الصحاح البردى بالفتح نبات معروف فليظن

كَانُوا خَاطِئِينَ \* وَقَالَتْ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ  
لَا يَشْعُرُونَ \* وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ

فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والنبوة غير  
أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الأكرام الذي هو نتيجة  
المحبة والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتأدب وتحريره أن هذه اللام حكما حكم الأسد حيث استعيرت  
لما يشبه التعليل كما استعار الأسد لمن يشبه الأسد \* وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم ( كانوا خاطئين ) في كل  
شيء فليس خطوهم في تربية عدوهم بيدع منهم أو كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بأن ربي عدوهم ومن هو سبب هلاكهم  
على أيديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين أو خاطين الصواب إلى الخطأ \* روى أنهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحة  
فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فأعيامهم فندت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً فعالجته ففتحته فإذا بصبي نوره بين  
عينيه وهو يمص إبهامه لبنا فأحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الأطباء لا تبرأ إلا من قبل البحر يوجد فيه  
شبه إنسان دراؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت إلى وجهه برأت فقالت إن هذه لنسمة  
مباركة فهذا أحد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي تحذر منه فأذن لنا في قلبه فهم بذلك فقالت آسية  
(قرة عين لي ولك) فقال فرعون لك لالي وروى في حديث لوقال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا  
على سبيل الفرض والتقدير أي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولأسلم كما أسلمت هذا إن صح  
الحديث تأويله والله أعلم بصحته وروى أنها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني إسرائيل قرة عين خير مبتدأ  
مخذوف ولا يقوى أن يجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبراً ولو نصب لكان أقوى وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه دليل على  
أنه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه (عسى أن ينفعنا) فإن فيه مخايل اليمين ودلائل النفع لأهله  
وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الإبهام وبرم البرصاء ولعلها توسمت في سماء النجاة المؤذنة بكرنه نفاعاً أو تنبأه  
فإنه أهل للنبي ولأن يكون ولدا لبعض الملوك (فإن قلت) (وهم لا يشعرون) حال فما ذو حالها (قلت) ذو حالها  
آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون  
أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله إن فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف  
والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطيئتهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند المتراض بعلم محاسن النظم (فارغا) صفرأ من  
العقل والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى  
وأفقدتهم هواء أي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان ألا أبلغ أباسفيا ن عني \* فأنت مجوف نخب هواء  
وذلك أن القلوب مرا كز العقول الأتري إلى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ فرغا وقرئ قرعا  
أي خاليا من قوهم أعوذ بالله من صفر الإناء وقرع الفناء وفرغا من قوهم دماؤهم بينهم فرغ أي هدر يعني بطل قلبها وذهب  
وذهب وبقيت لقلب لها من شدة ماورد عليها (لتبدي به) لتصح به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولدها  
(لولا أن ربطنا على قلبها) بإلهام الصبر كما يربط على الشيء المنفكت ليقر ويطمئن (لتكون من المؤمنين) من المصدقين

(قوله برصها بريقه فبرأت) في الصحاح برئت من المرض برأ بالضم وأهل الحجاز يقولون برأت من المرض  
برأ بالفتح وأصبح فلان بارثا من مرضه (قوله من صفر الإناء وقرع الفناء) صفر الإناء خلوه مصدر صفر الشيء  
بالكسر أي خلا وقرع الفناء خلوه من الغاشية مصدر قرع بالكسر أي خلا (قوله لتصح به والضمير لموسى)  
في الصحاح أصح الرجل أي خرج إلى الصحراء والمراد هنا تجهر به ولانكتم أمره

المؤمنين . وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون . وحرمتنا عليه المراضع من قبل  
فقال هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فرددته إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن  
ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون . ولما بلغ أشده واستوى آتيناها حكما وعلمنا

بوعده الله وهو قوله إن أرادوه إليك ويجوز وأصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه إن  
كادت لتبدي بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طامنا قلبها وسكننا قلبه الذي حدث به  
من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعده الله لا بتبني فرعون وتعطفه . وقرئ مؤسى بالهمز  
جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كأنها فيها فهمزت كما همزت واو وجوه (قصيه) اتبع أثره وتبعي خبره . وقرئ  
فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد . وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب  
الجانب يقال قعد إلى جنبه وإلى جانبه أي نظرت إليه مزورة متجانفة مخالفة . وهم لا يحسون بأنها أخته وكان  
اسمها مريم التحريم استعارة للمنع لأن من حرم عليه الشيء فقد منعه ألا ترى إلى قولهم محذور وحجر وذلك لأن الله  
منعه أن يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدي مرضع قط حتى أهمهم ذلك . والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع  
أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي أو الرضاع (من قيل) من قبل قصصها أثره . روى أنها لما قالت  
(وهم له ناصحون) قال هامان إنها لتعرفه وتعرف أهله فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون والنصح إخلاص العمل  
من شائب الفساد فانطلقت إلى أمها بأمرهم فجات بها والصبي على يد فرعون يعلمه شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع  
فحين وجد ريجها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبي كل ثدي إلا ثديك قالت إني امرأة طيبة  
الرجح طيبة اللبن لأوتى بصبي إلا قبلي فدفعه إليها وأجرى عليها وذهبت به إلى بيتها وأنجز الله وعده في الرد فعندها  
ثبت واستقر في قلبها أن سيكون نبيا وذلك قوله (ولتعلم أن وعد الله حق) يريد وليثبت عليها ويتمكن (فإن قلت) كيف حل  
لها أن تأخذ الأجر على إرضاع ولدها (قلت) ما كانت تأخذه على أنه أجر على الرضاع ولكنه مال حرني كانت تأخذه  
على وجه الاستباحة وقوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) داخل تحت علمها المعنى لتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس  
لا يعلمون أنه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت وأصبح فؤادها فارغا يروى  
أنها حين ألتقت النابوت في الميم جاءها الشيطان فقال لها يأم موسى كرهت أن يقتل فرعون موسى فتؤجرى ثم ذهبت  
فتوليت قتله فلما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز أن يتعلق ولكن بقوله  
ولتعلم ومعناه أن الرد إنما كان لهذا الغرض الديني وهو عليها بصدق وعد الله ولكن الأكثر لا يعلمون بأن هذا هو  
الغرض الأصلي الذي ماسواه تبع له من قرّة العين وذهاب الحزن (واستوى) واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ  
الذي لا يزداد عليه كما قال لقيط واستحملوا أمركم الله دركو . شزر المريرة لاقحما ولاضرا

### ( القول في سورة القصص )

( بسم الله الرحمن الرحيم ) قوله تعالى فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ( قال فيه روى  
أنهم أنهموها لما قالت وهم له ناصحون بمعرفة موسى عليه السلام فقالت إنما أردت وهم للملك فرعون ناصحون فخلصت  
من النعمة ) قال أحمد أوردت هذه التورية استحسانا لفظتها ولكونها من بيت النبوة وأخت النبي فحقيق لها ذلك

( قوله مزورة متجانفة مخالفة ) أي مائلة ومخالفة أي مخادعة فاده الصحاح ( قوله شزر المريرة لاقحما ولاضرا ) الشزر  
من الفتل ما كان إلى فوق خلاف دور المغزل والمريرة الغريمة والقحم الذي يرمى بنفسه في الأمر من غير روية والضرع

وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ۝ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَأَعْوَىٰ مَبِينٌ ۝ فَلَمَّا أَنِ ارَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ

وذلك أربعون سنة و يروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين سنة ۝ العلم التوراة والحكم السنة وحكمة الأنبياء سنتهم قال الله تعالى «واذ كرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة» وقيل معناه آتيناها سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه ۝ المدينة مصر وقيل مدينة منف من أرض مصر ۝ وحين غفلتهم ما بين العشاءين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشغولون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل قرية إلا على تغفل ۝ وقرأ سيدييه فاستعانه (من شيعته) من شايعة على دينه من بنى إسرائيل وقيل هو السامري (من عدوه) من مخالفه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الإسرائيلي لحمل الحطب إلى مطبخ فرعون ۝ والوكز الدفع بأطراف الأصابع وقيل بجمع الكف وقرأ ابن مسعود فلكره باللام (فقضى عليه) فقتله (فإن قلت) لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلماً لنفسه واستغفر منه (قلت) لأنه قتله قبل أن يؤذن له في القتل فكان ذنباً يستغفر منه وعن ابن جريج ليس لبي أن يقتل ما لم يؤمر (بما أنعمت على) يجوز أن يكون قسماً جرابه محذوف تقديره أقسم بإنعامك على بالمغفرة لأتوبن (فلن أكون ظهيراً للمجرمين) وأن يكون استعطافاً كأنه قال رب اعصمني بحق ما أنعمت على من المغفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيراً للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين إما صحبة فرعون وانتظامه في جملة وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون وإما مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم كمظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن فابتلى به مرة أخرى يعني لم يقل فلن أكون إن شاء الله وهذا نحو قوله ولا تركنوا إلى الذين ظلموا وعن عطاء أن رجلاً قال له إن أخى يضرب بقلبه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فآين قول موسى وتلاهذه الآية وفي الحديث ينادى مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشباه الظلمة وأعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم فلماً فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم وقيل معناه بما أنعمت على من القوة فلن أستعملها إلا في مظاهرة أوليائك وأهل طاعتك والإيمان بك ولا أدع قبطياً يغلب أحداً من بنى إسرائيل (يترقب) المكروه وهو الاستقادة منه أو الإخبار وما يقال فيه ۝ ووصف الإسرائيلي بالغي لأنه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر ۝ وقرئ يبطش بالضم ۝ والذي هو عدو لها القبطي لأنه ليس على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء بنى إسرائيل ۝ والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتى هي أحسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله ولما قال هذا أفشى

قوله تعالى قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيراً للمجرمين (قال أحمد) لقد تبرأ من عظيم لأن ظهير المجرمين شركهم فيما هم بصدده و يروى أنه يقال يوم القيامة أين الظلمة وأعوان الظلمة فيؤتى بهم حتى بمن لاق لهم ليقة أو برى لهم فلماً فيجعلون في تابوت من حديد ويأق بهم في النار

بالتحريك الضعيف كذا في الصحاح

أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ  
 الْمُصْلِحِينَ ۝ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ آيَةَ تِلْكَ فَأَخْرَجَ  
 إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ۝ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَمَّا بُوِّجَهُ تَلْفَاءً  
 مَدِينٍ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْتَقُونَ  
 وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَى  
 لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أُزِلْتُ إِلَى مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ

على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورفق إلى فرعون وسمرا بقتله ۝ قيل الرجل مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون  
 و (يسعى) يجوز ارتفاعه وصفاً لرجل واتصافه حالاً عنه لأنه قد تخصص بأن وصف بقوله من أقصى المدينة وإذا  
 جعل صلة لجماء لم يجز في يسعى إلا الوصف ۝ والانتشار للتشاور يقال الرجلان يتأمران ويأتمران لأن كل واحد منهما  
 يأمر صاحبه بشيء أو بشير عليه بأمر والمعنى يتشاورون بسببك (لك) بيان وليس بصلة الناصحين (يترقب) التعرض له في  
 الطريق أو أن يلحق (تلقاء مدين) قصدتها ونحوها ومدين قرية شبيب عليه السلام سميت بمدين بن إبراهيم ولم تكن  
 في سلطان فرعون وبيدها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى لا يعرف إليها الطريق قال ابن عباس خرج وليس له علم  
 بالطريق إلا حسن ظنه بربه و (سواء السبيل) وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافياً لا يعيش إلا بورق الشجر فما  
 وصل حتى سقط خف قدمه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به إلى مدين (ماء مدين) ماءم الذي يستقون  
 منه وكان بئراً فيما روى ۝ ووروده مجيئه والوصول إليه (وجد عليه) وجد فوق شفيره ومستقاه أمة جماعة كثيفة  
 العدد (من الناس) من أناس مختلفين (من دونهم) في مكان أسفل من مكانهم ۝ والذود الطرد والدفع وإنما كانتا  
 تذودان لأن على الماء من هو أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل كانتا تكررهما المزاحمة على الماء وقيل لثلاثا تخاط  
 أغنامهما وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما (ماحطبكما) ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما أي مطلوبكما  
 من الزيادة فسمى المخطوب خطبا كما سمي المشؤن شأننا في قولك ما شأنك يقال شأنك شأنه أي قصدت قصده وقرئ  
 لانسقي ويصدر والرعاء بضم النون والياء والراء والرعاء اسم جمع كالرخال والثناء وأما الرعاء بالكسر فقياس كصيام  
 وقيام (كبير) كبير السن (سقى لهما) فسقى غنمهما لأجلهما وروى أن الرعاء كان يضعون على رأس البئر حجراً لا يقله  
 إلا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل أربعون وقيل مائة فأفله وحده وروى أنه سألمهم دلواً من ماء فأعطوه ديوهم وقالوا  
 استقي بها وكانت لا ينزعها إلا أربعون فاستقي بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما وأصدرهما وروى أنه  
 دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئراً أخرى عليها الصخرة وإنما فعل هذا رغبة في المعروف وإغاثة للبهوف  
 والمعنى أنه وصل إلى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه أمة من أناس مختلفة متكاثفة العدد ورأى الضعيفين من ورائهم  
 مع غنيمتهما مترقبين لفراغهم فما أخطأت همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم  
 والجرع ولكنه رحمهما فأغاثهما وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الرحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله من الفضل  
 في متانه الفطرة ورسالة الجبله وفيه مع إرادة اقتصاص أمره وما أوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان

(قوله لانسقي ويصدر والرعاء بضم النون والياء والراء) يفيد أن القراءة المشهورة بفتح النون والياء وكسر الراء،  
 والرخال واحده رخل وهي الأثني من ولد الضأن والراء عقال البعير ونحوه من جبل منى كذا في الصحاح



قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ

به من انتهز فرصة الاحتساب ترغيب في الخير وانتهز فرصة وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والاختصاص بسيرهم ومذاهمهم (فإن قلت) لم ترك المفعول غير مذكور في قوله يسقون وتذردان ولا نسقي (قلت) لأن الغرض هو الفعل لا المفعول لأن ترى أنه إنما رجمهما لأنهما كانتا على الذبادونم على السقي ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهما إبل مثلاً وكذلك قولها لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي (فإن قلت) كيف طابق جوابهما سؤاله (قلت) سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك أنا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقي إلى أن يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به أبلنا إليه عذرهما في توليها السقي بأنفسهما (فإن قلت) كيف ساغ لنبى الله الذى هو شعيب عليه السلام أن يرضى لابنيه بسقي الماشية (قلت) الأمر في نفسه ليس بمحظور فالدين لا ياباه وأما المرواة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضرة خصوصاً إذا كانت الحالة حالة ضرورة (إنى) لآى شىء (نزلت إلى) قليل أو كثير غث أو سمين (فقير) وإنما عدى فقير باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك وإن خضرة البقل تترامى في بطنه من الهزال ما سأل الله إلا أكلة ويحتمل أن يريد إنى فقير من الدنيا لأجل ما نزلت إلى من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السنى وفرحاً به وشكراً له وكان الظل ظل سمرة (على استحياء) في موضع الحال أى مستحياً متخفراً وقيل قد استترت بكم درعها روى أنها لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطن قال لها ما أعجبكما قالتا وجدنا رجلاً صالحاً رحماً فسقى لنا فقال لإحداهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها بحسدها فوصفته فقال لها امشى خلفى وانعنى لي الطريق فلما قص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بأرضنا (فإن قلت) كيف ساغ لموسى أن يعمل بقول امرأة وإن يمشى معها وهى أجنبية (قلت) أما العمل بقول امرأة فكما يعمل بقول الواحد حرّاً كان أو عبداً ذكرًا كان أو أنثى فى الأخبار وما كانت إلا خبيرة عن أبيها بأنه يدعوه ليجزيه وأما مما شانه امرأة أجنبية فلا بأس بها فى نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع (فإن قلت) كيف صح له أخذ الأجر على البر والمعروف (قلت) يجوز أن يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل إطعام شعيب وإحسانه لآعلى سبيل أخذ الأجر وليس على سبيل التقبل لمعروف مبتدئاً كيف وقد قص عليه قصته وعرفه أنه من بيت النبوة من أولاد يعقوب ومثله حقيق بأن يضيف ويكرم خصوصاً فى دار نبى من أنبياء الله وليس بمنكر أن يفعل ذلك لا اضطراراً للمقر والفاقة طلباً للأجر وقد روى ما يعضد كلا القولين روى أنها لما قالت ليجزيك كره ذلك لما قدم إليه الصعام امتنع وقال إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهباً ولا نأخذ على المعروف ثمناً حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء ابن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك أجر ما سقيت أى جزاء سقيك والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصود هـ كبراهما كانت تسمى صفراء

(قوله وتذردان ولا نسقي) لعل هنا سقطاً تقديره فسقى لها وعبارة النسفي لا نسقي وفسقى (قوله لا نقدر على مساجلة الرجال) فى الصحاح السجل الدلو إذا كان فيه ماء والمساجلة المفاخرة بأن تصنع مثل صنعه فى جرى أو سقى وأصله من الدلو اهـ (قوله أبلنا إليه عذرهما) لعله تحريف وأصله أبلنا كعبارة النسفي (قوله غث أو سمين لفقير) أى مهزول كما فى الصحاح والمراد ردى أو جيد (قوله أى مستحياً متخفراً) الخفر شدة الحياء ومنه جارية خفرة ومتخفرة كذا فى الصحاح (قوله وأغنامها حفل بطن) فى الصحاح ضرع حافل أى تمتلئ ليتناوفيه بطن بالكسر بطن بطناً عظماً بطنه من الشبع (قوله لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهباً) فى الصحاح طلاع الشىء ملؤه

الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا بَتِ اسْتَئْجِرْهُ إِنْ خَيْرٌ مِنْ اسْتَئْجَرْتَ الْقَوِيَ الْأَمِينَ ۝ قَالَ إِنْ أَرِيدُ أَنْ  
أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أَرِيدُ أَنْ

والصغرى صفيراء و صفراء هي التي ذهبت به وطلبت إلى أبيها أن يستأجره وهي التي تزوجها ۝ وعن ابن عباس أن شعيباً أحفظته الغيرة فقال وما عليك بقوته وأمانته فذكرت إقلال الحجر ونزع الدلو وأنه صوب رأسه حين بلغته رسالته وأمرها بالمشي خلفه وقولها (إن خير من استأجرت القوي الأمين) كلام حكيم جامع لا يزداد عليه لأنه إذا اجتمعت هاتان الخلفتان أعنى الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وأتم مرادك وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذي سياق المثل والحكمة أن تقول استأجره لقوته وأمانته (فإن قلت) كيف جعل خير من استأجرت اسماً لإن والقوي الأمين خبراً (قلت) هو مثل قوله ألا إن خير الناس حياؤها لكا ۝ أسير ثقيف عندهم في السلاسل في أن العناية هي سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو أحق بأن يكون خبراً اسماً وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنه أمر قد جرب وعرف ومنه قولهم أهون ما عملت لسان ممخ وعن ابن مسعود رضي الله عنه أفرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى أن ينفعنا أو أبو بكر في عمر روى أنه أنكحه صفراء وقوله (هاتين) فيه دليل على أنه كانت له غيرهما (تأجرني) من أجرته إذا كنت له أجيراً كقولك أوتته إذا كنت له أبواً (ثمانى حجج) ظرفه أو من أجرته كذا إذا أثبتته إياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم أجركم الله ورحمكم وثمانى حجج مفعول به ومعناه رعية ثمانى حجج (فإن قلت) كيف صح أن ينكحه إحدى ابنتيه من غير تمييز (قلت) لم يكن ذلك عقداً للنكاح ولكن مواعدة ومواصفة أمر قد عزم عليه ولو كان عقداً لقال قد أنكحتك ولم يقل إني أريد أن أنكحك (فإن قلت) فكيف صح أن يمرها بإجارة نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال الأتري إلى أبي حنيفة كيف منع أن يتزوج امرأة بأن يخدمها سنة وجوز أن يتزوجها بأن يخدمها عبده سنة أو يسكنها داره سنة لأنه في الأول مسلم نفسه وليس بمال وفي الثاني هو مسلم مالا وهو العبد أو الدار (قلت) الأمر على مذهب أبي حنيفة على ما ذكرت وأما الشافعي فقد جوز التزوج على الإجارة لبعض الأعمال الخدمة إذا كان المستأجر له

قوله تعالى قالت إحداهما يا بت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين (قال) فيه هذا الكلام حكيم جامع لا يزداد عليه لأنه إذا اجتمعت القوة والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذي ساقته سياق المثل والحكم عن أن تقول فإنه قوي أمين) قال أحمد وهو أيضاً أجمل في مدح النساء للرجال من المدح الخاص وأتى للحشمة وخصوصاً إن كانت فهمت أن غرض أبيها عليه السلام أن يتزوجها منه وما أحسن ما أخذ الفاروق رضي الله تعالى عنه هذا المعنى فقال أشكروا إلى الله ضعف الأمين وخيانة القوي ففي مضمون هذه الشكاية سؤال الله تعالى أن يحفه بمن جمع الوصفين فكان قويا آمينا يستعين به على ما كان يصدده رضي الله عنه وهذا الإيهام من ابنة شعيب صلوات الله عليه وسلامه قد سلكته زليخا مع يوسف عليه السلام ولكن شتان ما بين الحياء المجول والمستعمل ليس التكحل في العينين كالتكحل حيث قالت لسيدها ماجزاه من أراد بأهلك سوا إلا أن يسجن أو عذاب أليم وهي تعنى ماجزاه يوسف مما أرادني من سوء إلا أن تسجنه أو تعذبه عذاباً أليماً ولكنها أوهمت زوجها الحياء والخفر أن تنطق بالعصمة منسوباً إليها الخنا إيذاناً بأن هذا الحياء منها الذي يمنعها أن تنطق بهذا الأمر بمنعها من مرادة يوسف بطريق الأخرى والأولى والله أعلم ۝ قوله تعالى على أن تأجرني ثمانى حجج (نقل من مذهب أبي حنيفة منع النكاح على مثل خدمته بعينه وجوازه على مثل خدمة عبده سنة وفرق بأنه في الأولى سلم نفسه وليس بمال وفي الثانية سلم عبده وهو مال ونقل عن الشافعي جواز

(قوله إن شعيباً أحفظته الغيرة) أي أغضبه كافي الصحاح (قوله أهون ما عملت لسان ممخ) في الصحاح تمخيت من الشيء وأخيت منه إذا تبرأت منه اه فلعل ممخ اسم فاعل من أخيت (قوله ولكن مواعدة ومواصفة أمر قد عزم عليه) ومواصفة

أَشَقُّ عَائِكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتَ فَلَا عُدُونَ  
عَلَيَّ ۝ اللَّهُ عَلِيمٌ آتِقُونَ وَكَيْبًا ۝ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ

أو المخدوم فيه أمر معلوما ولعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة ويجوز أن يكون المهر شيئا آخر وإنما أراد أن يكون راعى غنمه هذه المدة وأراد أن ينسكه ابنته فذكر له المرادين وعلق الإنسكاح بالرعية على معنى إني أفعل هذا إذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز أن يستأجره لرعية ثمانى سنين بمبلغ معلوم وبوفيه إياه ثم ينسكه ابنته به ويجعل قوله على أن تأجرني ثمانى حجج عبارة عما جرى بينهما (فإن أتممت) عمل عشر حجج (فمن عندك) فإتمامه من عندك ومعناه فهو من عندك لا من عندي يعنى لا الزمك ولا أحتمه عليك ولكنك إن فعلته فهو منك تفضل وتبرع والإفلا عليك (وما أريد أن أشق عليك) بالزام أتم الأجلين واجبانه (فإن قلت) ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الأمر (قلت) حقيقة أن الأمر إذا تعاضم فكانه شق عليك ظنك بانه تقول تارة أطلقه وتارة لأطبقه أو وعده المساهلة والمساحة من نفسه وأنه لا يشق عليه فيما أسأجره له من رعى غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة في مراعاة الأوقات والمدافة في استيفاء الأعمال وتكليف الرعاة أشغالا خارجة عن حد الشرط وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام آخذين بالاسمح في معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكى فكان خير شريك لا يدارى ولا يشارى ولا يمارى وقوله (ستجدنى إن شاء الله من الصالحين) يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووظة الخلق ولين الجانب ويجوز أن يريد بالصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد بأشراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لأنه يستعمل الصلاح إن شاء الله وإن شاء استعمل خلافه (ذلك) مبتدأ و(بيني وبينك) خبره وهو إشارة إلى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذى قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لأننا عاهدنا شرطت على ولا أنت عما شرطت على نفسك ۝ ثم قال أى أجل من الأجلين قضيت أطولها الذى هو العشر أو أقصرهما الذى هو الثمان (فلا عدوان على) أى لا يعتدى على فى طلب الزيادة عليه (فإن قلت) تصور العدوان إنما هو فى أحد الأجلين الذى هو الأقصر وهو المطالبة بتمة العشر فامعنى تعليق العدوان بهما جميعا (قلت) معناه كما أنى إن طولت بالزيادة على العشر كان عدوانا لأشك فيه وكذلك إن طولت بالزيادة على الثمان أراد بذلك تقرير أمر الخيار وأنه ثابت مستقر وأن الأجلين على سواء إما هذا وإما هذا من غير تفارقت بينهما فى القضاء وأما التهمة فوكولة إلى رأى إن شئت أتيت بها وإلالم أجبر عليها وقيل معناه فلا أكون متعديا وهو فى نفي العدوان عن نفسه كقولك لا إثم على ولا تبعة على وفى قراءة ابن مسعود أى الأجلين ما قضيت وقرئ أيضا بسكون الياء كقوله

تنظرت نصرا والسماكين أيهما ۝ على من الغيث استهلت مواطره

وعن ابن قطيب عدوان بالكسر (فإن قلت) ما الفرق بين وقعى ما للمزينة فى القراءة تيز (قلت) وقعت فى المستفيضة ۝ وكدة لإيهام أى زائدة فى شياها وفى الشاذة تأكيد للقضاء كأنه قال أى الأجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتى له ۝ الوكيل الذى وكل إليه الأمر ولما استعمل فى موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدى بعلى لذلك روى أن شعيبا كانت عنده عصى الأنبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى فأخذ عصا صاهبها آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب

النسكاح على المنافع المعلومة مطلقا قال أحمد ومذهب مالك على ثلاثه أنواع المنع والكراهة والجواز والعجب من إجازة أبى حنيفة النسكاح على منافع العبد بخلاف منافع الزوج مع أن الآية أجازت النسكاح على منافع الزوج ولم تتعرض لغيره وما ذلك إلا لترجيح المعنى الذى أشار إليه الرخصى أو تفريعا على أن لا دليل فى شرع من قلنا أو غير ذلك والله أعلم

(قوله ووظاه الخلق ولين الجانب) فى الصحاح نسي ۝ طى بين ووظاه (قوله والمهيمن والمقيت عدى بعلى) أى المقتر أو الحافظ

أَمْ كُنتُمْ تَأْتُونَ النَّارَ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۚ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَىٰ إِلَىٰ آتِي اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ وَإِنِ اتَّقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تُهَزُّ جَانًا وَلِي مَدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ ۚ أَسَلُّكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا ۚ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَنْكَ بِرَهْنَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

فسها وكان ككفرها فاضن بها فقال غيرها فما وقع في يده إلهي سبع مرات فعلم أن له شأنًا وقيل أخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى اتى بها موسى ليلا وقيل أودعها شعيباً ملك في صورة رجل فأمر بذنه أن تأتيه بعصا فأتته بها فردّها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها إليه ثم ندم لآها ودبعة فتبعه فاخصمها فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقيا ما فن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت لإعصام من الشجر استرضها اعتراضاً وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلا وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تدياً أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمضى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا بالتين قد أقبل فخاربه العصا حتى قتله وعادت إلى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع إلى شعيب مس الغنم فوجدتها ملائى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنًا وقال له إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاً فأوحى إليه في المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاً فوفى له بشرطه مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأجلين قضى موسى فقال أبعدهما وأبطأهما وروى أنه قال قضى أوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التي سبقت ۚ الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بن جميعاً العود الغليظ كانت في رأسه نار أولم تكن قال كثير

باتت حواطب ليلي يلتمسن لها ۚ جزل الجدى غير خوار ولا ذعر

وقال أتى على قبس من النار جذوة ۚ شديداً عليه حرها والتهابها

ۚ من الأولى والثانية لابتداء الغاية أى أنه النداء من شاطئ الوادى من قبل الشجرة ۚ و (من الشجرة) بدل من قوله من شاطئ الوادى بدل الاشتمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة بالضم والفتح والرهب بفتحين وضمين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف ( فإن قلت ) ما معنى قوله واضمم إليك جناحك من الرهب ( قلت ) فيه معنيان أحدهما أن موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاهما بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له إن اتقاك يدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمر أن اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لأن يدى الإنسان بمنزلة جناح الطائر وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه إليه والثانى أن يراد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب

(قوله إلا أن فيها تدياً أخشاه عليك) أى ثعباناً (قوله كل أدرع ودرعاً) فى الصحاح به ردع من زعفران أو دم أى لطح وأثر وردعته بالشيء فارتدع أى لطخته به فلتطح به فالأردع شبيه الملتطح بلون آخر ولفظ الخازن أبلق وبلقاء (قوله غير خوار ولا ذعر) الخور الضعف والذعر الفرع أفاده الصحاح (قوله فيه غضاضة عند الأعداء) أى ذلة ومنقصة كما فى الصحاح (قوله إذا ألقيتها فكما تنقلب حية) أى فعند ما تنقلب

وَمَلَّهٖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۝ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۝ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۝ قَالَ سَنُنْشِدُكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ كِفْلًا

العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرغامها وإلا لجناحه مضمومان إليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز أن كاتباً له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلكه ربح فحجل وانكسر فقام وضرب بقلبه الأرض فقال له عمر خذ قلبك واضمم إليك جناحك وليفرخ روعك فإنى ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسى ومعنى قوله من الرهب من أجل الرهب أى إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيبه سبياً وعله فيما أمر به من ضم جناحه إليه ومعنى واضمم إليك جناحك وقوله لك يدك فى جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وإنما كثر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك أن الغرض فى أحدهما خروج اليد بيضاء وفى الثانى إخفاء الرهب (فإن قلت) قد جعل الجناح وهو اليد فى أحد الموضوعين مضموماً وفى الآخر مضموماً إليه وذلك قوله واضمم إليك جناحك وقوله واضمم يدك إلى جناحك فما التوفيق بينهما (قات) المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم إليه اليد اليسرى وكل واحد من يميني اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير أن الرهب الكم بلغة حمير وأهم يقولون أعطنى مما فى رهبك وليت شعرى كيف صحته فى اللغة وهل سمع من الإثبات الثقات الذين تراضى عربيتهم ثم ليت شعرى كيف موقعه فى الآية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على أن موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة إلا زرمانقة من صوف لا كفى لها (فإنك) قرئ مخففاً ومشدداً فالمخفف مثى ذاك والمشدد مثى ذلك (برهانان) حجتان بينتان نيرتان (فإن قلت) لم سميت الحججة برهاناً (قلت) لياضها وإنارتها من قولهم للبراة البيضاء برهرة بتكرير العين واللام معاً والدليل على زيادة النون قولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم إياها سلطاناً من السليط وهو الزيت لإنارتها ۝ يقال رداً أنه أعتته والرد اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما أن الدفء اسم لما يداً به قال سلامة بن جندل:

وردنى كل أبيض مشرفى ۝ شجيد الحد غضب ذى فلول

وقرئ رداً على التخفيف كما قرئ الحب (رداً يصدقنى) بالرفع والجزم صفة وجراب نحو وليأيرثنى سواء (فإن قلت) تصديق أخيه ما الفائدة فيه (قلت) ليس الغرض بتصديقه أن يقول له صدقت أو يقول للناس صدق موسى وإنما هو يخلص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطبق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان الأنزى إلى قوله وأخى هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى ، وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك لا لقوله صدقت فإن سبحان وبقلاً يستويان فيه أو يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقته الذى يخاف تكذيبه فأستد التصديق إلى هارون لأنه السبب فيه إسناداً مجازياً ومعنى الإسناد المجازى أن التصديق حقيقة فى المصدق فإسناده حقيقة وليس فى السبب تصديق ولكن استعير له الإسناد لأنه لا يس التصديق بالتسبب كما لا يسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله إنى أخاف أن يكذبون وقراءة من قرأ رداً يصدقونى وفيها تقوية للقراءة بحزم يصدقنى ۝ العصد قوام اليد وبشدها تشتد قال طرفة ابى لبنى لستموييد ۝ إلا يداً ليست لها عضد

(قوله وليفرخ روعك) أى ليذهب فزعك أفاده الصحاح (قوله وكيف تطبيقه المفصل) لعله تطبيقه على المفصل (قوله زرمانقة من صوف) فى الحديث أن موسى عليه السلام لما أتى فرعون أتاه وعليه زرمانقة يعنى جبة صوف قال أبو عبيد أراها عبرانية كذا فى الصحاح (قوله شجيد الحد غضب ذى فلول) أى محدد والعصب القاطع والفلول كسور فى حده كذا فى الصحاح (قوله فإن سبحان وبقلاً يستويان فيه) مثل فى الفصاحة وبقلاً مثل فى الفهامة والعنى

سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُوْنَ اِلَيْكَ بِاٰيٰتِنَا اَنْتُمْ وَمَنْ اَتْبَعَكُمُ الْغٰلِبُوْنَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُّوسٰى بِاٰيٰتِنَا بَيِّنٰتٍ قَالُوْا  
مَا هٰذَا اِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرٰى وَمَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِىْ اٰبَاۗئِنَا الْاَوَّلِيْنَ ۝ وَقَالَ مُّوسٰى رَبِّىْ اَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدٰى مِنْ  
عِنْدِهٖ وَمَنْ تَكُوْنُ لَهٗ عَاقِبَةُ الدَّارِ اِنَّهٗ لَا يَفْلِحُ الظَّٰلِمُوْنَ ۝ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يٰسَيِّهَا الْمَلَاۗءِئِمَّةُ لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرِىْ

ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى (سنشد عضدك بأخيك) سنقويك به ونعينك فيما أن يكون ذلك لأن اليد تشد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور وإقالات الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يدهم شدة بعضه شديد (سلطاناً) غلبة وتسلطاً أو حجة واضحة (بآياتنا) متعلق بنحو ما تعلق به في آيات أي أذهب آياتنا أو بنجعل لك سلطاناً أي تسلطاً بآياتنا أو بلا يصلون أي تمتنعون منهم بآياتنا وهو بيان للغالبين لاصلة لا متاع تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم يكن إلا صلة له ويجوز أن يكون قسماً جوابه لا يصلون مقدماً عليه أو من لغو القسم (سحر مفترى) سحر عمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر ظاهر افتراه أو موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله (في آياتنا) حال منصوبة عن هذا أي كائناً في زمانهم وأيامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من أن يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلووا بنحوه أو يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثله في فضاءه أو ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل على أنهم حجروا وهو ما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات إلا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثله يقول (ربى أعلم) منكم بحال من أهله الله للفلاح الأعظم حيث جعله نبياً وبعثه بالهدى ووعدته حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون كاذباً ساحراً مفترياً لما أهله لذلك لأنه غنى حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبي الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون و(عاقبة الدار) هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله تعالى «أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن» وقوله وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعقبها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى عند الموت (فإن قلت) العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاها يصح أن تسمى عاقبة الدار لأن الدنيا إما أن تكون خاتمتها بخير أو بشر فلم تختص خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر (قلت) قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازاً إلى الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها إلا الخير وما خلقهم إلا لأجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله فقد حرف فإدأ عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لأنها من نتائج تحريف الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير وار على ما في مصاحف أهل مكة وهي قراءة حسنة لأن الموضوع موضع سؤال

ه قوله تعالى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار (قال العاقبة هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وجل أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار والمراد دار الدنيا وعاقبتها أن يختم للإنسان فيها بالرحمة والرضوان وتلقاه الملائكة بالبشرى عند الموت قال فإن قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلاهما يصح أن يسمى عاقبة لأن الدنيا إما أن تكون خاتمتها خيراً أو شراً فلم تختص خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر قلت لأن الله سبحانه وتعالى وضع الدنيا مجازاً الآخرة وأراد لعباده فيها أن يعبدوه ولا يعملوا إلا الخير وما خلقهم إلا لأجله كما قال وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون فمن عمل في الدنيا على خلاف ذلك فقد حرف لأن عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير وأما عاقبة الشر فلا اعتداد بها لأنها من تحريف الفجار) قال أحمد وقد تقدم من قواعد أهل الحق ما يستضاء به في هذا المقام والقدر الذى يحتاج إلى تجديده ههنا أن استدلاله على أن عاقبة الخير وعبادة الله تعالى هي المرادة له لا سواها بقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون معارضاً بمثاله في أدلة أهل السنة على عقائدهم مثل قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس الآية والمراد والله أعلم ولقد جعلنا لعذاب جهنم خلقاً كثيراً من الثقلين ومن ذلك ما يروى عن الفاروق رضى الله عنه أنه قال وإنكم آل المغيرة ذرأ النار أى خلقها فلئن دلت آية الداريات ظاهراً

ويبحث عما أجابهم به موسى عليه السلام عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحرا مفترى ووجه الأخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى عليه السلام هذا إوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر وبضدها تبين الأشياء هـ وقرئ تكون بالناء والياء روى أنه لما أمر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى أجمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيده حتى بلغ ما يبلغه بنيان أحد من الخلق فكان الباني لا يقدر أن يقوم على رأسه يبني فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد من عماله إلا قد هلك ويروى في هذه القصة أن فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشاب من السماء فأراد الله أن يفتنهم فردت إليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد قلت إله موسى فعندها بعث الله جبريل عليه السلام لهدمه والله أعلم بصحته هـ قصد بنى علمه بإله غيره نفي وجود معناه مالكم من إله غيره كما قال الله تعالى قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات والارض معناه بما ليس فيهن وذلك لأن العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به إلا على ما هو عليه فإذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجود فمن ثمة كان انتفاء العلم بوجوده لا انتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز أن يكون على ظاهره وإن إلهها غيره غير معلوم عنده ولكنه مضمون بدليل قوله وإني لأظنه من

على أن الله تعالى إنما خلق الثقلين لتكبرن عاقبتهم الجنة جزاء وثوابا على عبادتهم له فقد دلت آية الأعراف على أنه خلق كثيرا من الثقلين لتكبرن عاقبتهم جهنم جزاء على كفرهم وحينئذ يتعين الجمع بين الآيتين وحمل عموم آية الذاريات على خصوص الآية الأخرى وإن المراد ما خلقت السعداء من الثقلين إله لعبادتي جمعا بين الأدلة فقد ثبت أن العاقبتين كليهما مرادة لله تعالى هذا بعد تظافر البراهين العقلية على ذلك فوجه مجيء العاقبة المطلقة كثيرا وإرادة الخير بها أن الله تعالى هدى الناس إليها ووعدهم ما ورد في سلوك طريقها من النجاة والنعيم المقيم ونهاهم عن ضدها وتوعدهم على سلوكها بأنواع العذاب الأليم وركب فيهم عقولا ترشدهم إلى عاقبة الخير ومكنتهم منها وأزاح عنهم ووفر دعوايهم فكان من حقهم أن لا يعدلوا عن عاقبة الخير ولا يسلكوا غير طريقها وأن يتخذوها نصب أعينهم فأطلقت العاقبة والمراد بها الخير تفرعاً على ذلك والله أعلم والحاصل أنها لما كانت هي المأمور بها والمحضوض عليها عوملت معاملة ما هو مراد وإن لم تكن مرادة من كثير من الخلق وقالوا بعضهم ما يمنعك أن تقول لم يفهم كون العاقبة المطلقة هي عاقبة الخير من إطلاقها ولكن من إضافتها إلى ذويها باللام في الآي المذكورة كقوله من تكون له عاقبة الدار وسيعلم الكافر لمن عاقبي الدار والعاقبة للمتقين فأفهمت اللام أنها عاقبة الخير إذ هي لهم وعاقبة السوء عليهم لاهم كما يقولون الدائرة لفلان يعنون دائرة الظفر والنصر والدائرة على فلان يعنون دائرة الخذلان والسوء فقلت لقد كان لي في ذلك مقال لولا ورود أولئك لهم اللعنة وهم سوء الدار ولم يقل عليهم فاستعمال اللام مكان على دليل على إبقاء الاستدلال باللام على إرادة عاقبة الخير والله أعلم هـ قوله تعالى وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري الآية (قال عبر عن نفي المعلوم بنفي العلم وإنما كان كذلك لأن العلم لا يتعلق بالمعلوم إلا على ما هو عليه إن موجوداً فوجود وإن معدوماً فمعدوم فمن ثم عبر عن نفي كونه موجوداً بنفي كونه معلوماً) قال أحمد لشدة ما بلغ منه الوهم لم يتأمل كيف سقوط السهم وإنما أتى من حيث أن الله تعالى عبر كثيراً عن نفي المعلوم بنفي العلم في مثل قوله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات والارض أم تنذرونه بما لا يعلم في الارض فلما اطرده ذلك عنده توهم أن هذا التعبير عن نفي المعلوم بنفي العلم يشمل كل علم ولو لم يتعلق بالمعلوم على ما هو عليه وليس هو كذلك بل هذا التعبير لا يسوغ إلا نفي علم الله تعالى لا نفي العلم القديم وهو عموم تعلقه حتى لا يعزب عنه أمر فما لم يتعلق العلم بوجوده يلزم أن لا يكون موجوداً إذ لو كان موجوداً لتعلق به بخلاف علم الخلق فلا تلازم بين نفي العلم والحادث بوجوده ولا كذلك العلم القديم فإن بين نفي معلومه ونفي تعلقه بوجوده تلازماً يسوغ التعبير المذكور ولكن المعلوم أن فرعون كان يدعى الإلهية ويعامل علمه معاملة علم الله تعالى في أنه لا يعزب عنه

فَأَوْقَدِي بِهِمْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَأَسْتَكَبِرُ

الكاذبين وإذا ظن موسى عليه السلام كاذباً في إثباته إلهاً غيره ولم يعلمه كاذباً فقد ظن أن في الوجود إلهاً غيره ولو لم يكن المخدول ظاناً ظناً كاليقين بل عالماً بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه إلى إله موسى عليه السلام وإن كان جاهلاً مفرط الجاهل به وبصفاته حيث حسب أنه في مكان كما كان هو في مكان وأنه يطلع إليه كما كان يطلع إليه إذا قعد في عليته وأنه ملك السماء كما أنه ملك الأرض ولا ترى بيته أثبت شهادة على إفراط جهله وغباوته وجهل ملته وغباوتهم من أنهم راموا نيل أسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعري أكان يلبس على أهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم أغبي الناس وأخلام من الفطن وأشبههم بالهائم بذلك أم كان في نفسه بتلك الصفة وإن صح ما حكى من رجوع النشابة إليه ملطوخة بالدم فتهم به بالفعل كما جاء التهمم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز أن يفسر الظن على القول الأول باليقين كقوله ۝ فقلت لهم ظنوا بالني مدجج ۝ ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قرمه لغباوتهم وبههم أو لم تخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وإنما قال (أوقد لي ياها مان على الطين) ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذ لأنه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولأن هذه العبارة أحسن طباقاً لفصاحة القرآن وعلو طبقة وأشبه بكلام الجابرة وأمرها مان وهو وزيره وورديفه بالإيقاد على الطين منادى باسمه بياق وسط الكلام دليل التعظيم والتعجب وعن عمر رضي الله عنه أنه حين سافر إلى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر فقال ما علمت أن أحداً بنى بالآجر غير فرعون ۝ والطلوع والإطلاع الصعود يقال طلع الجبل وأطلع بمعنى ۝ الاستكبار بالحق إنما هو لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة أي المتباليغ في كبرياء الشأن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء رداً والعظمة إزارى فمن نازعنى واحداً منهما ألقيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق (يرجعون) بالضم والفتح (فأخذناه وحنوده فنبذناهم في اليم) من الكلام الفخم الذي دل به على عظمة شأنه وكبرياء ساطانه شبههم استحقاراً لهم واستقلالاً لعددهم وإن كانوا الكثير الكثير والجسم الغفير بحصيات أخذهن أخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله ۝ وجعلنا فيها رواسي شامخات وحملت الأرض والجبال فدكتنا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ۝ وما هي إلا تصويرات وتمثيلات لا قدره وأن كل

شيء فمن ثم طغى وتكبر وعبر بنى عليه عن نفي المعلوم تدليساً على ملته وتلبساً على عقولهم السخيفة والله أعلم ويناسب تعاضله هذا قوله فأوقد لي ياها مان على الطين ولم يقل فاطبخ لي آجرأ وذلك من التعاضل كما قال تعالى وله العظمة والكبرياء ومن ارتدى بردائهما قصمه ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية فذكر هذه العبارة الجامعة لأنواع الكفر على وجه الكبرياء تماوانا بها وذلك من تجبر الملوك جل الله وعز ومن تعاضل فرعون أيضاً نداؤه لوزيره باسمه وبحرف النداء وتوسيط ندائه خلال الأمر ونداؤه الصرح ورجاؤه الإطلاع دليل على أنه لم يكن مصمماً على الجحود قال الزمخشري وذلك مناقض لما أظهر من الجحد الجازم في قوله ما علمت لكم من إله غيري فيما أن يخفى هذا التناقض على قوله لغباوتهم وكآبة أذهانهم وإما أن يتفظنوا لها ويخافوا نقمته فيصروا قال أحمد ولقائل والله أعلم أن يجعل قوله ما علمت لكم من إله غيري على الشك ونفي علمه خاصة وإجرائه مجرى سائر علوم الخلق في أنه لا يلزم من نفي تعلقه بوجود أمر نفي ذلك الأمر لجواز أن يكون موجوداً عازباً عن علمه وحينئذ لا يكون تناقضاً ولو لم يكن حمله مذهباً هو الأصل لما سوغنا أن يرفع التناقض من كلامه لأنه أحقر من ذلك ۝ عاد كلامه قال وقوله تعالى فأخذناه وحنوده فنبذناهم في اليم مقابلة لاستكباره به على غير عنه بما صورته

(قوله دليل التعظيم والتعجب) له الله العظيم (قوله وألقينا فيها رواسي) في نسخة وجعلنا فيها رواسي شامخات لكن الأولى أرفق



هُوَ وَجُنُودِهِ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ۝ فَآخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاظْهَرَ  
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ۝ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ۝ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ  
 الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ  
 الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ

مقدور وإن عظم وجل فهو مستصغر إلى جنب قدرته ( فإن قلت ) ما معنى قوله ( وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار )  
 ( قلت ) معناه ودعوتهم أئمة دعاة إلى النار وقلنا إمامهم أئمة دعاة إلى النار كما يدعى خلفاء الحق أئمة دعاة إلى الجنة وهو من  
 قولك جعله بخيلاً وفاسقاً إذا دعاه وقال إنه بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلاً وفاسقاً  
 ومنه قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ومعنى دعوتهم إلى النار دعوتهم إلى موجباتها من الكفر  
 والمعاصي ( ويوم القيامة لا ينصرون ) كما ينصر الأئمة الدعاة إلى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر ومعنى  
 الخذلان منع اللطاف وإنما يمنعها من علم أنها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا يغنى عنه الآيات والنذر  
 ومجره مجرى الكناية لأن منع اللطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكأنه قيل صمموا على الكفر  
 حتى كانوا أئمة فيه دعاة إليه وإلى سوء عاقبته ( فإن قلت ) فأى فائدة في ترك المردوف إلى الرادفة ( قلت ) ذكر الرادفة  
 يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون أقوى لإثباته من ذكره الأثرى  
 أنك تقول لولا أنه مصمم على الكفر مقطوع أمره مثبت حكمه لما منعت منه اللطاف فبذكر منع اللطاف يحصل  
 العلم بوجوده التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجية على وجوده وينصر هذا الوجه قوله ويوم القيامة لا ينصرون  
 كأنه قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيامة مخذولون كما قال ( وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ) أى طرداً وإبعاداً عن الرحمة  
 ( ويوم القيامة هم من المقبوحين ) أى من المطرودين المبعدين ( بصائر ) نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذي  
 يستبصر به كما أن البصر نور العين الذي تبصر به يريد آتيناها التوراة أنواراً للقلوب لأنها كانت عمياء لا تستبصر  
 ولا تعرف حقاً من باطل وإرشاداً لأنهم كانوا يخطون في ضلال ( ورحمة ) لأنهم لو عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة ( لعلمهم  
 يتذكرون ) إرادة أن يتذكروا شبهت الإرادة بالترجي فاستعير لها ويجوز أن يراد به ترجى موسى عليه السلام لتذكرهم

أخذ حصيات متهنات ثم نبذها أى طرحها في اليم بهوان فذلك تمثيل لاستهانتها به وإهلا كهذا النوع من الهلاك والله أعلم ۝ قوله  
 تعالى وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ( قال فيه معناه دعوتهم أئمة دعاة إلى النار كما تقول جعلته بخيلاً وفاسقاً إذا دعوته بذلك ) قال أحمد  
 لافرق عند أهل السنة بين قوله تعالى وجعل الظلمات والنور وجعلنا الليل والنهار آيتين وبين هذه الآية فن حمل الجعل على  
 التسمية فيما نحن فيه فرار آمن اعتقاد أن دعاءهم إلى النار مخلوق لله تعالى فهو بمثابة من حمله على التسمية في قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار  
 آيتين فرار آمن جعل الليل والنهار مخلوقين لله تعالى فلا فرق بين نفي مخلوق واحد عن قدرته تعالى ونفي كل مخلوق نعوذ بالله من ذلك  
 ۝ قوله تعالى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلمهم يتذكرون ( قال معناه إرادة تذكرهم لأن الإرادة تشبه الترجي فاستعير  
 لها أو يراد به ترجى موسى عليه السلام ) قال أحمد الوجه الثاني هو الصواب واحذر الأول فإنه قدرى ۝ قوله تعالى

( قوله ودعوتهم أئمة دعاة إلى النار ) هذا التأويل وما يأتي بعده في قوله ويجوز خذلناهم إلى آخره مبنيان على أنه تعالى يجب  
 عليه الصلاح ولا يجوز عليه خلق الشر وهذا مذهب المعتزلة أما مذهب أهل السنة فهو أنه لا يجب عليه تعالى شيء ويجوز  
 عليه خاق الشر كالخير وقد حقق في التوحيد فلا داعى إلى تأويل الآية بمثل هذا التكلف

الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ  
تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءآيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَهُ مَرْبُّكَ لِنَتَذَرَهُ  
قَوْمًا مَّا أَتَيْهِمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَلَوْلَا أَن تَصِيْبَهُمْ مَّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا  
رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءآيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا

كقوله تعالى لعله يتذكر (الغربي) المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى عليه السلام من انطور وكتب الله له في الألواح ۝ والأمر المقضي إلى موسى عليه السلام الوحي الذي أوحى إليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضرا المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى عليه السلام ولا كنت (من) جملة (الشاهدين) للوحي إليه أو على الوحي إليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للبيقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ماجرى من أمر موسى عليه السلام في ميقاته وكتبه التوراة له في الألواح وغير ذلك ۝ (فإن قلت) كيف يتصل قوله (ولكننا أنشأنا قرونًا) بهذا الكلام ومن أي وجه يكون استدراكه (قلت) اتصاله به وكونه استدراكه من حيث أن معناه ولكننا أنشأنا بعد عهد الوحي إلى عهدك قرونًا كثيرة (فتطاول) على آخرهم وهو القرن الذي أنت فيهم (العمر) أي أمد انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب إرسالك إليهم فأرسلناك وكسبتك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى عليهم السلام كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكننا أوحينا إليك فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله عز وجل في اختصاراته فإذا هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده (وما كنت ثاويًا) أي مقبًا (في أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تتلوا عليهم آياتنا) تقرؤها عليهم تعلمها منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكننا أرسلناك وأخبرناك بها وعلينا كما (إذ نادينا) يريد مناداة موسى عليه السلام ليلة المناجاة وتكليمه و(لكن) علينا (رحمة) وقرئ رحمة بالرفع أي هي رحمة (ما أتاهم) من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتتذرقوهم ما أنذر آباؤهم ۝ (لولا) الأولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية وإحدى الفاءين للعطف والآخرى جواب لولا لكرهها في حكم الأمر من قبل أن الأمر باعث على الفعل والباعث والمحضض من وادوا حدرا المعنى ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلت إلينا رسولا محتجين عاينا بذلك لما أرسلنا إليهم يعني أن إرسال الرسول إليهم إنما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله أثلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك (فإن قلت) كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه (قلت) القول هو المقصود بأن يكون سببا لإرسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجودها جعلت العقوبة كلها سبب الإرسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه إلى قولك ولولا

ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين قال لولا الأولى امتناعية والثانية تحضيضية والفاء الأولى عاطفة الثانية جواب لولا والمعنى لولا أنهم قائلون إذا عوقبوا لولا أرسلت إلينا رسولا محتجين بذلك لما أرسلت إليهم أحداً فإن قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة سببا في الإرسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت العقوبة سبب القول وهي سبب السبب فجعلت سببا وعطف السبب الأصلي عليها بالفاء السببية) قال أحمد وذلك مثل قوله تعالى أن تفضل إحداها فتذكر إحداها الأخرى

(قوله فأرسلناك وكسبتك العلم) كسب يتعدى إلى مفعولين فيقال كسبت أهلي خيرا وكسبت الرجل مالا كما في الصحاح

قَالُوا لَوْلَا آتَىٰ مِثْلَ مَا آتَىٰ مُوسَىٰ أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا آتَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ

قولهم هذا إذا أصابهم مصيبة لما أرسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي أنهم لو لم يعاقبوا مثلاً على كفرهم وقد عابوا ما ألتوا به إلى العلم اليقين لم يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا وإنما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الإيمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ۚ ولما كانت أكثر الأعمال تراول بالأيدي جعل كل عمل معبراً عنه باجتراح الأيدي وتقديم الأيدي وإن كان من أعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الأقل تابعاً للأكثر وتغليب الأقل على الأقل (فلما جاءهم الحق) وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم (قالوا لولا آتَىٰ مثل ما آتَىٰ موسى) من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفاق البحر وغيرهما من الآيات فجاءوا بالافتراحت المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا أنزل عليه كنزاً وجاء معه ملك وما أشبه ذلك (أولم يكفروا) يعني أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام (بما آتَىٰ موسى) وعن الحسن رحمه الله قد كان للعرب أصل في أيام موسى عليه السلام فمعناه على هذا أولم يكفروا آباؤهم (قالوا) في موسى وهرون (ساحران تظاهرا) أي تعاونا وقرئ إظهاراً على الإدغام وسحران بمعنى ذوا سحر أو جعلوهما سحريين مبالغة في وصفهما بالسحر أو أرادوا نوعان من السحر (بكل) بكل واحد منهما (فإن قلت) بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير (قلت) بأولم يكفروا ولي أن أعلقه بأوئي فينقلب المعنى إلى أن أهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فقد كفروا بموسى عليه السلام وبالتوراة وقالوا في موسى ومحمد

والسر في جعل سبب السبب سبباً وعطف السبب الأصلي عليه أمران أحدهما أن مزيد العناية يوجب التقديم وهذا هو السر الذي أبداه سيديويه . الثاني أن في هذا النظم تنبهاً على سببية كل واحد منهما أما الأول فلا قرانه بحرف التعليل وهو أن وأما الثاني فلا قرانه بفاء السبب ولا يتعاطى هذا المعنى إلا من قولك أن تضل إحداهما فتذكر لامن قول الفائل أن تذكر إحداهما الأخرى إذا ضلت وكان بعض النحاة يورد هذه الآية إشكالا على النحاة وعلى أهل السنة من المتكلمين فيقول لولا عند أهل الفن تدل على امتناع جوابها لوجود ما بعدها وحينئذ يكون الواقع بعدها في الآية موجوداً وهو عقوبة هؤلاء المذكورين بتقدير عدم بعثة الرسل وجوابها المحذوف غير واقع وهو عدم الإرسال لأنه تمتع بالأولى ومتى لم يقع عدم الإرسال كان الإرسال واقعاً ضرورة فيشكل الواقع بعدها على أهل السنة لأنهم يقولون لا ظم قبل بعثة الرسل فلا تصور العقوبة بتقدير عدم البعثة وذلك لأنها واقعة جزاء على مخالفة أحكام الشرع فإن لم يكن شرع فلا مخالفة ولا عقوبة ويشكل الجواب على النحاة لأنه يلزم أن لا يكون واقعاً وهو عدم بعثة الرسل لكن الواقع بعدها يقتضى وقوعه ثم كان مورد هذا الإشكال يجيب عنه بتقدير محذوف والأصل ولولا كراهة أن تصيبهم مصيبة وحينئذ يزول الإشكال عن الطائفتين والتحقيق عندي في الجواب خلاف ذلك وإنما جاء الإشكال من حيث عدم تجويز النحاة لمعنى لولا أن يقولون أنها تدل على أن ما بعدها موجود وأن جوابها تمتع به والتحرير في معناها أنها تدل على أن ما بعدها مانع من جوابها عكس لو فإن معناها لزوم جوابها لما بعدها ثم المانع قد يكون موجوداً وقد يكون مفروضاً والآية من قبيل فرض وجود المانع وكذلك اللزوم في لو قد يكون الشيء الواحد لازماً لشيئين فلا يلزم نفيه من نفي أحد ملزوميه وعلى هذا التحرير يزول الإشكال الوارد على لو في قوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فتأمل هذا الفصل فتحته فوائد للتأمل والله الموفق

فَاعْلَمُ أَنَّمَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝  
 وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يَتلى  
 عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّآ كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۝ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا  
 وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنآ أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ  
 أَعْمَلِكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ۝ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۝ وَهُوَ أَعْلَمُ

عليهما الصلاة والسلام ساحران تظاهرا أو في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أنه نعتة وصفته وأنه في كتابهم فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا ( هو أهدي منهما ) مما أنزل على موسى عليه السلام ومما أنزل على ۝ هذا الشرط من نحو ما ذكرت أنه شرط المدل بالأمر المتحقق لصحته لأن امتناع الإتيان بكتاب أهدي من الكتابين أمر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز أن يقصد بحرف الشك التهمك بهم ۝ ( فإن قلت ) ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية وبينه في قوله ۝ فلم يستجبه عند ذلك بحجب ۝ حيث عدى بغير اللام ( قلت ) هذا الفعل يتعدى إلى الدعاء بنفسه وإلى الداعي باللام ويحذف الدعاء إذا عدى إلى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه أو استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه وأما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف ( فإن قلت ) فلا استجابة تقتضى دعاء ولا دعاء ههنا ( قلت ) قوله فأتوا بكتاب أمر بالإتيان والأمر بعث على الفعل ودعاء إليه فكأنه قال فإن لم يستجيبوا دعاءك إلا الإتيان بالكتاب الأهدى فاعلم أنهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة إلا اتباع الهوى ثم قال ( ومن أضل ممن ) لا يتبع في دينه إلا ( هواه بغير هدى من الله ) أى مطبوعا على قلبه بمشروع الألفاظ ( إن الله لا يهدي ) أى لا يلفظ بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللطف بهم عابث وقوله بغير هدى فى موضع الحال يعنى مخذولا مخلى بينه وبين هواه ۝ قرئ ( وصلنا ) بالتشديد والتخفيف والمعنى أن القرآن أنامهم متتابعات متواصلات وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح إرادة أن يتذكروا فيفلحوا أو نزل عليهم نزولا متصلا بعضه فى أثر بعض كقوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ۝ نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظ نزلت فى عشرة أنا أحدهم وقبل فى أربعين من مسلمى أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من أرض الحبشة وثمانية من الشام ۝ والضمير فى من قبله للقرآن ۝ ( فإن قلت ) أى فرق بين الاستمافين أنه وأنا ( قلت ) الأول تعليل للإيمان به لأن كونه حقا من الله حقيق بأن يؤمن به والثانى بيان لقوله آمنا به لأنه يحتمل أن يكون إيمانا قريب العهد وبعيده فأخبروا أن إيمانهم به متقدم لأن آباءهم القدماء قرؤا فى الكتاب الأول ذكره وأبناءهم من بعدهم ( من قبله ) من قبل وجوده ونزوله ( مسلمين ) كائنين على دين الإسلام لأن الإسلام صفة كل موحد مصدق للوحى ( بما صبروا ) بصبرهم على الإيمان بالتوراة والإيمان بالقرآن أو بصبرهم على الإيمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته ( بالحسنة السيئة ) بالطاعة المعصية المتقدمة أو بالحلم الأذى ( سلام عليكم ) توديع ومشاركة وعن الحسن رضى الله عنه كلمة حلم من المؤمنين ( لا نبتغى الجاهلين ) لانريد مخالطتهم وصحبهم ( فإن قلت ) من خاطبوا بقولهم ولكم أعمالكم ( قلت ) اللاغين الذين دل عليهم قوله وإذا سمعوا اللغو ( لا تهدي من أحببت )

( قوله فلم يستجبه عند ذلك بحجب ) صدره ۝ وداع دعا بامن يجب إلى الندى ۝

بِالْمُهْتَدِينَ ۚ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نَتَّخِطُفَ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ  
كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۚ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُم

لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم لأنك عبد لانعلم المطبوع على قلبه من غيره (ولكن الله) يدخل في الإسلام (من يشاء) وهو الذي علم أنه غير مطبوع على قلبه وأن اللطاف تنفع فيه فيقرن به الطافه حتى تدعوه إلى القبول (وهو أعلم بالمهتدين) بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج أجمع المسلمون أنها نزلت في أبي طالب وذلك أن أبا طالب قال عند موته يامعشر بنى هاشم أطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ياعم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد منك كلمة واحدة فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكي أكره أن يقال خرج عند الموت ولو لا أن تكون عليك وعلى بنى أبيك غضاضة ومسبة بعدى لقلت ولا قررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكي سوف أموت على ملة الأشياخ عبدالمطلب وهاشم وعبد مناف ۚ قالت قريش وقيل إن القائل الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم أنك على الحق ولكننا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وإنما نحن أكلة رأس أي قليلون أن يتخطفونا من أرضنا فألقمهم الله الحجر بأنه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمه البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون وبحرمه البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والأرزاق تجبى إليهم من كل أوب فإذا خولهم الله ما خولهم من الأمن والرزق بحرمه البيت وحدها وهم كفرة عبدة أصنام فكيف يستقيم أن يعرضهم للخوف والتخطف ويسلمهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام وإسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم مجاز (تجبي إليه) تجلب وتجمع قريئ بالياء والتاء وقريئ تجبى بالنون من الجنى وتعديته بإلى كقوله يجنى إلى فيه ويجنى إلى الخافة ۚ وثمرات بضم تين وبضمة وسكون ۚ ومعنى الكلية الكثرة كقوله . وأوتيت من كل شيء . ولكن أكثرهم لا يعلمون) متعلق بقوله من لدنا أي قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والأمن من عنده ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به وخلعوا أنداده ۚ (فإن قلت) بم انتصب رزقا (قلت) إن جعلته مصدراً جازاً أن ينتصب بمعنى ما قبله لأن معنى يجبى إليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وأن يكون مفعولاً له وإن جعلته بمعنى مرزوق كان حالاً من الثمرات لتخصصها بالإضافة كما تنتصب عن النكرة المنحصصة بالصفة ۚ هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود في ظلال الأمن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر والبطر فدقهم الله وخرب ديارهم ۚ وانتصبت (معيشتها) إما بحذف الجار وإيصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه وإما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم أو بتقدير حذف الزمان المضاف أصله بطرت أيام معيشتها كقوله النجم ومقدم الحاج وإما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه

(قوله أكره أن يقال خرج عند الموت) في الصحاح: نزع الرجل بالكسر ضعف فهو خرج (قوله وعلى بنى أبيك غضاضة)

مذلة ومنقصة (قوله ويجبى إلى الخافة) في الصحاح الخافة خريطة من آدم يشتر فيها بعسل وفيه يشتر يتجنى

(قوله فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر والبطر) أي بطروها وحقروها والأشر والبطر شدة المرح والمرح شدة

المرح كذا في الصحاح (قوله كقولك زيد ظني مقيم) أي في ظني

لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ۝ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ۝ وَمَا آتَيْنَا مِنْ شَيْءٍ فَتَمَتَّعِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفْلا تَعْقِلُونَ ۝ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(إلا قليلا) من السكنى قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يسكنها إلا المسافر وماز الطريق يوماً أو ساعة ويحتمل أن شؤم معاصي المهلكين بقى أثره في ديارهم فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها إلا قليلا (وكنا نحن الوارثين) لذلك المساكن من ساكنها أى تركناها على حال لا يسكنها أحد وخزيناها وسقيناها بالأرض تتخلف الآثار عن أصحابها ۝ حيناً ويدركها الفناء فتتبع

وما كانت عادة ربك أن يهلك القرى في كل وقت (حتى يبعث في) القرية التي هي أمها أى أصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها (رسولاً) لإلزام الحجّة وقطع المَعذرة مع علمه أنهم لا يؤمنون أو وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم القرى يعنى مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ۝ وقرئ أمها بضم الهمزة وكسرهما لاتباع الجز وهذا بيان لعدله وتقديسه عن الظلم حيث أخبر بأنه لا يهلككم إلا إذا استحقوا الهلاك بظلمهم ولا يهلككم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيد الحجّة والإلزام ببعثه الرسل ولا يجعل عليه بأحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته أن يهلككم وهم غير ظالمين كما قال تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون فنصّ في قوله بظلم أنه لو أهلككم وهم مصلحون لكان ذلك ظلماً منه وأنّ حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دلّ على ذلك بحرف النفي مع لا ۝ كما قال الله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم ۝ وأى شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو إلا تمتع وزينة أياماً قليلاً، وهي مدة الحياة المتقضية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) في نفسه من ذلك (وأبقى) لأنّ بقاءه دائم سرمد ۝ وقرئ يعقلون بالياء وهو أبلغ في الموعظة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والمناق والكافر فالؤمن ينزود والمنافق يتزين والكافر . يتمتع هذه الآية تقرير وإيضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب لأنه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق وأى شيء أحسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى ۝ و (لا فيه) كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسروراً وعكسه فسوف يلقون غيا (من المحضرين) من الذين أحضروا النار ونحوه لكانت من المحضرين فكذبوه فإنهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وقيل في علي وحزمة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة (فإن قلت) فسر لي الغاءين وثم واخبرني عن مواقعها (قلت) قد ذكر في الآية التي قبلها مناع الحياة الدنيا وما عند الله وتفاوتها ثم عقبه بقوله أفمن وعدناه على معنى أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا فهذا معنى الغاء الأولى وبيان موقعها وأما الثانية فللتسبب لأن لقاء الموعد مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخير وأما ثم فلتراخي حال الإحضار عن حال التمتع لالتراخي وقته عن وقته ۝ وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيهاً للنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو وهو

۝ قوله تعالى ۝ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أممها رسولا يتلوا عليهم آياتنا ۝ (قال هذا بيان لعدله وتقديسه عن الظلم حتى أخبر بأنه لا يهلككم إلا إذا استحقوا العذاب ولا يستحقوا حتى تنأكد عليهم الحجّة ببعثه الرسل) قال أحد هذا إسلاف من الزمخشري لجواب ساقط عن سؤال وارد على القدرية لاجواب لهم عنه ينشأ السؤال في هذه الآية فيقال لو كانت العقول تحكم عن الله تعالى بأحكام التكليف لقامت الحجّة على الناس وإن لم يكن بعث رسل إذا العقل حاكم فلا يجدون للخلاص من هذا السؤال سبيلاً

الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين . ويوم يناديهم فيقول ابن شركاءى الذين كنتم تزعمون . قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغويننا كما غويناهم تبارانا إليك ما كانوا ايانا يعبدون . وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون . ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتكم المرسلين . فعميت عليهم الانبياء يومئذ فهم لا يتساءلون . فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين . وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحن الله وتعالى

أحسن لأن الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالم متصل (شركائى) مبنى على زعمهم وفيه تهكم (فإن قلت) زعم يطلب مفعولين كقوله . ولم أزعمك عن ذلك معزلا . فأين هما (قلت) محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائى ويجوز حذف المفعولين في باب ظنت ولا يصح الاقتصار على أحدهما (الذين حق عليهم القول) الشياطين أو أئمة الكفر ورؤسه ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين و (هؤلاء) مبتدأ و (والذين اغويننا) صفته والراجع إلى الموصول محذوف و (أغويناهم) الخبر . والكاف صفة . صدر محذوف تقديره أغويناهم فغوا غيا مثل ما غويننا يعنون أنالم لغوا لا باختيارنا لأن فوقهم مغوين أغرونا بقسر منهم وإلجاء أو دعونا إلى الغي وسقوله لنا هؤلاء كذلك غروا باختيارهم لأن إغراءنا لهم لم يكن إلا وسوسة وتسويلا لا قسرا وإلجاء فلا فرق إذا بين غينا وغيهم وإن كان تسويلا داعيا لهم إلى الكفر فقد كان في مقابله دعاء الله لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث إليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صار فاعن الكفر وداعيا إلى الإيمان وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم والله تعالى قدم هذا المعنى أول شيء حيث قال لإبليس إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين (تبارنا إليك) منهم وبما اختاروه من الكفر بأنفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان (ما كانوا ايانا يعبدون) إنما كانوا يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم وإخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الأولى (لو أنهم كانوا يهتدون) لوجه من وجوه الخيل يدفعون به العذاب أو لو أنهم كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه أو تمنوا لو كانوا مهتدين أو تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا حتى أو لا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أئمتهم عند توبيخهم لأنهم إذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بأن الشياطين هم الذين استغوهم وزبنوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشمانة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبيحتون به من الاحتجاج عليهم بإرسال الرسل وإزاحة العلل (فعميت عليهم الانبياء) فصارت الانبياء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدى إليهم (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لأنهم يتساوون جميعا في عمى الانبياء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعميت والمراد بالنبي الخبر عما أجاب به المرسل إليه رسوله وإذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الأمر إلى علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتكم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب فإظنك بالاضلال من أمهم (فأما من تاب) من المشركين من الشرك . وجمع بين الإيمان والعمل الصالح (فعسى أن) يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز أن يراد ترجى النائب وطمعه كأنه قال فليطمع أن يفلح . الخيرة من التخير كالطيرة من التطير تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه (ما كان لهم الخيرة) بيان لقوله ويختار لأن معناه ويختار ما يشاء

(قوله وسدروا فلا يهتدون طريقا) أى تحيروا وأفاده الصحاح

عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْتَرِفُونَ ۚ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى  
وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۚ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ  
غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَضِيئًا ۚ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۚ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ  
غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۚ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا  
مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۚ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ  
شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۚ إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى

ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى أن الخيرة لله تعالى في أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه  
قبل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من الفريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار  
المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة أي يختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح وهو أعلم بهم الخهم من انفسهم من  
قولهم في الامر بن ليس فيها خيرة لمختار (فإن قلت) فأين الراجع من الصلة إلى المرصول إذا جعلت ما هو صولة  
(قلت) أصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله إن ذلك لمن عزم الأمور لأنه مفهوم (سبحان الله)  
أي الله برىء من إشراكهم وما يحملهم عليه من الجراءة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار (ماتكن صدورهم) من  
عداوة رسول الله وحسده (وما يعظنون) من مطاعهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في البقرة (وهو الله) وهو  
المستأثر بالإلهية المختص بها و (لا إله إلا هو) تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبله إلا هي (فإن قلت) الحمد في الدنيا  
ظاهر فما الحمد في الآخرة (قلت) هو قولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله  
رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتفديس (وله الحكم) القضاء بين عباده  
(أرايتم) وقرئ أريتم بحذف الهزمة و ليس بحذف قياسي ومعناه أخبروني من يقدر على هذا والسرمد الدائم المنصل  
من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سردوا واحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص  
(فإن قلت) هلا قيل بنهار تنصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه (قلت) ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لأن المنافع  
التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثمة قرن بالضياء (أفلا تسمعون)  
لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافع ووصف فوائده وقرن بالليل (أفلا تبصرون) لأن غيرك يبصر من  
منفعة الظلام ما تبصره وأنت من السكر ونحوه (ومن رحمته) زواج بين الليل والنهار لا غراض ثلاثة لتسكنوا في  
أحدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار وإرادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللط  
في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء إيدان بأن لا شيء أجاب لغضب الله من الإشراك به كما لا شيء أدخل في مرضاته من  
توحيد الله فكما أدخلنا في أهل توحيدك فأدخلنا في التاجين من وعيدك (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيداً) وهو  
نبيهم لأن أنبياء الأمم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للأمة (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك  
ومخالفة الرسول (فعلوا) حيثئذ (أن الحق لله) ولرسوله لا لهم ولشياطينهم (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع  
(ما كانوا يفترون) من الكذب والباطل (قارون) اسم أعجمي مثل هرون ولم ينصرف للعجزة والتعريف ولو كان فاعولاً

(قوله ونظيره دلامص من الدلاص) في الصحاح الدلاص اللين البراق والدلامص البراق يقال دلمصت الدرع بالفتح



فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَاَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۖ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْفِينِ ۚ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ

من قرن لا تصرف ۚ وقيل معنى كونه من قومه أنه آمن به وقيل كان إسرائيليا ابن عم موسى هو قارون بن بصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى بن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بنى إسرائيل للتوراة ولكنه نافع كما نافع السامرى وقال إذا كانت النبوة لموسى عليه السلام والمذبح والقربان إلى هرون فمالي وروى أنه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والخبيرة لهرون يقرب القربان ويكون رأسا فيهم وكان القربان إلى موسى فجعله موسى إلى أخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الأمر لكما ولست على شيء إلى متى أصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لأصدقك حتى تأتي بآية فأمر رؤساء بنى إسرائيل أن يجيء كل واحد بعصاه فجزمها وألقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فأصبحوا وإذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو بأعجب مما تصنع من السحر (فبغى عليهم) من البغى وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بنى إسرائيل فظلمهم وقيل من البغى وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا ۚ المفاتيح جمع مفتاح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هى الخزائن وقياس واحدها مفتاح بالفتح ويقال نام به الحمل إذا أثقله حتى أماله ۚ والعصبة الجماعة الكثيرة والعصبة مثلها وأعصوبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على أصبع وكانت من جلود قال أبو رزين يكنى الكرفة مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتيح والنوء والعصبة وأولى القوة وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه أن يفسر المفاتيح بالخزائن ويعطيها حكم ما أضيفت اليه للدلاية والاتصال كقولك ذهبت أهل اليمامة ۚ ومحل إذ منصوب بتنوء (لا تفرح) كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وقول القائل ۚ ولست بمفراح إذا الدهر سرفى ۚ وذلك أنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضى بها واطمأن وأقامن قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما أحسن ما قال القائل

أشد الغم عندى فى سرور ۚ تيقن عنه صاحبه انتقلا

(وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بأن تفعل فيه أعمال الخير من أصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك إلى الآخرة (ولا تنس نصيبك) وهو أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك (وأحسن) إلى عباد الله (كما أحسن الله إليك) أو أحسن بشكرك وطاعتك لله كما أحسن إليك ۚ والفساد فى الأرض ما كان عليه من الظلم والبغى وقيل إن القائل موسى عليه السلام رقرى واتبع (على علم) أى على استحقاق واستيجاب لمسا من العلم الذى فضلت به الناس وذلك أنه كان أعلم بنى إسرائيل بالتوراة وقيل هو علم الكيمياء عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيمياء فأفاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فحدهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهابا وقيل علم الله موسى علم الكيمياء فعلمه موسى أخته فعلته أخته قارون وقيل هو بصره بأنواع التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل (عندى) معناه فى ظنى كما تقول الأمر عندى كذا كانه قال إنما أوتيته على علم كقوله تعالى ثم إذا حولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم ثم زاد عندى أى هو فى ظنى ورأى هكذا ۚ ويجوز أن يكون اثباتا لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لأنه قد قرأه فى التوراة وأخبر به موسى وسمعه من حفاظ التوراة والأيام

(قوله بأنواع التجارة والدهقنة) أى الزراعة كما عبر غيره

اللَّهُ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ۝ نَفَخَ  
عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝ وَقَالَ  
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقِيهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ۝ نَحْنُ نَحْصِفُنَا بِهِ وَبَدَارِهِ

كأنه قيل (أو لم يعلم) في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز أن يكون نفيًا لعلمه بذلك لأنه لما قال أوتيته على علم عندي فتنفج بالعلم وتعظم به قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي أدعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى أتى به نفسه مصارع الهالكين (وأكثر جمعا) للدال أو أكثر جماعة وعددا ۝ (فإن قلت) ما وجه اتصال قوله (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) بما قبله (قلت) لما ذكر قارون من أهلك من قبله من القرون الذين كانوا أقوى منه وأغنى قال على سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج إلى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على أن يعاقبهم عليها كقولہ تعالى والله خير بما تعملون والله بما تعملون علم وما أشبه ذلك (في زينته) قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهية عليها الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلج والديباج وقيل في تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤى فيه المعصفر ۝ كان المنتمون قوما مسلمين وإنما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به إلى الله وينفقوه في سبيل الخير وقيل كانوا قوما كفارا ۝ الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ومن الحسد قوله ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر العبط فقال لا إلا كما يضر العضاء الخبط ۝ والحظ الجدد وهو البخت والدولة وصفوه بأنه رجل مجدود مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا إلا أحاظ وجدود ۝ وبلك أصله الدعاء على الرجل بالأفراف في الحث على الفعل ۝ والراجع في (ولا يلقاها) للكلمة التي تكلم بها العلماء أو للثواب لأنه في معنى المثوبة أو الجنة أو للسيرة والطريقة وهي الإيمان والعمل الصالح (الصابرون) على الطاعات وعن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير ۝ كان قارون يؤذى نبي الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشجبت به نفسه لجمع نبي إسرائيل وقال إن موسى أرادكم على كل شيء وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فربما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو إسرائيل فجعل لها ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهباً وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعناه ومن افتري جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وإن أحصن رجناه فقال قارون وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قال فإن بنى إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وأنزل النوراة أن تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جملا على أن أؤدئك لنفسى فخر موسى ساجدا يبكي وقال

(قوله فتنفج بالعلم) أى ترفع وتفاخر وتكبر أفاده الصحاح (قوله بغلة شهية عليها الأرجوان) في الصحاح قطيفة حمراء أرجوان وفيه أيضا الأرجوان صبغ أحمر شديد الخمره ويقال هو بالفارسية أرغوان وهو شجر له نور أحمر أحسن ما يكون (قوله إلا كما يضر العضاء الخبط) في الصحاح العضاء كل شجر يعظم وله شوك وفيه الخبط ضرب الشجرة بالعصا ليسقط ورقها (قوله الدعاء على الرجل بالأفراف) أى بفساد الأب أفاده الصحاح

الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ۝ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ  
بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَفِّرُ اللَّهُ بِسُوءِ الرَّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنُو  
وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ۝ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ

يارب إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى اليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك فقال يا بني إسرائيل إن  
الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليزلم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعاً غير رجلين ثم  
قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وقارون  
وأصحابه يتضرعون إلى موسى عليه السلام ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطقت  
عليهم وأوحى الله إلى موسى ما أفظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم أما وعزتي لو إياي دعوا مرة واحدة لو جدوني قريبا مجيبا  
فأصبحت بنو إسرائيل يتناجون بينهم إنمساعد موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله (من  
المنتصرين) من المنتقمين من موسى عليه السلام أو من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أي منعه منه فامتنع قد  
يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة (مكانه) منزلته من الدنيا (وي)  
مفصولة عن كان وهي كلمة تنبه على الخطأ وتندم ومعناه أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيمهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون  
وتندموا ثم قالوا (كأنه لا يفلح الكافرون) أي ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيدويه قال  
وي كأن من يكن له نشب يحسب ومن يفتقر يعيش عيش ضر

وحكى الفراء أن أعرابية قالت لزوجها أين ابنك فقال وي كأنه وراء البيت وعند الكوفيين أن ويك بمعنى ويك وأن  
المعنى ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة إلى وي كقوله ويك عنتر أقدم  
وأنه بمعنى لأنه واللام لبيان المقول لأجله هذا القول أولاً لأنه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن  
الناس من يقف على وي ويبتدئ كأنه ومنهم من يقف على ويك ۝ وقرأ الأعمش لولا من الله علينا ۝ وقرئ (الخسف بنا)  
وفيه ضمير الله ولا تخسف بنا كقولك انقطع بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا (تلك) تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي  
سمعت بذكرها وبلغك وصفها ۝ لم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال  
ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود  
من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الأمانى ههنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان  
يردها حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقاً بقوله إن فرعون علا في الأرض ولا تبغ

۝ قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين (قال لم يعلق الوعد بترك العلو  
والفساد ولكن بترك إرادتهما كما قال تعالى ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون إلى الظلمة وعن علي أن  
الرجل يعجبه أن يكون شراك نعله خيراً من شراك نعل أخيه فيدخل تحتها وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض وعن  
الفضيل أنه قرأها وقال ذهبت الأمانى ههنا ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون لقوله إن فرعون علا في الأرض  
وقوله ولا تبغ الفساد في الأرض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما  
تدبرها على وعمر والفضيل) قال أحمد وهو تعرض لغمص أهل السنة فإن كل موحد من أهل الجنة وإنما طمعوا حيث أطمعهم الله

(قوله كقوله ويك عنتر أقدم) أي قول عنتر ۝ ولقد شقي نفسي وأذهب سقمها ۝ قول الفوارس ويك عنتر أقدم  
(قوله وقرئ الخسف بنا) يفيد أن القراءة المشهورة لخسف مبنياً للجهول (قوله لم يولق الموعد) لعلة الوعد

لِّلْمُتَّقِينَ ۝ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يَأْتِيَنَّكَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ۝ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝

الفساد في الأرض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله (والعاقبة للمتقين) كما تدبره عليّ والفضيل وعمر ۝ معناه فلا يجزون فوضع (الذين عملوا السيئات) موضع الضمير لأن في إسناد عمل السيئة إليهم مكرر أفضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين (إلا ما كانوا يعملون) إلا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزي السيئة إلا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبعائة وهو معنى قوله فله خير منها (فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني أن الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف و(لرأذك) بعد الموت (إلى معاد) أي معاد وإلى معاد ليس لغيرك من البشر وتكثير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة ووجهه أن يراد رده يوم الفتح ووجه تنكيره أنها كانت في ذلك اليوم معاداله شأن ومرجعاله اعتداد لغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لأهلها ولظهور عز الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فسكان الله وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها أنه يهاجر به منها ويعيده إليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين باغ الجحفة في مهاجرة وقد اشتاق إلى مولده ومولد آبائه وحرم إبراهيم فنزل جبريل فقال له أنشاق إلى مكة قال نعم فأوحاها إليه (فإن قلت) كيف اتصل قوله تعالى (قل ربني أعلم) بما قبله (قلت) لما وعد رسوله الرد إلى معاد قال قل للمشركين ربني أعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده (ومن هو في ضلال مبين) يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم (فإن قلت) قوله (إلا رحمة من ربك) ما جه الاستثناء فيه (قلت) هذا كلام محمول على المعنى كأه قبل وما أتى عليك الكتاب إلا رحمة من ربك ويجوز أن يكون إلا بمعنى لك للاستدراك أي ولكن لرحمة من ربك أتى إليك ۝ وقرئ بصدنك من أصدته بمعنى صدته وهي في لغة كلب وقال

أنا صدوا الناس بالسيف عنهم ۝ صدود السواقى عن أنوف الحوائم

(بعد إذ أنزلت إليك) بعد وقت إنزاله وإذ تضاف إليه أسماء الزمان كقولك حينئذ ولبئذ ونبوءة وما أشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب النهي الذي سبق ذكره (إلا وجهه) إلا إياه والوجه يعبر به عن الذات. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الأجر بعدد من صدق موسى وكذب به ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا إن كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون

تعالى بل حقق طمعهم في رحمته حيث يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن سرق ثلاثا وفي الثالثة وإن رغم أنف أبي ذر اللهم أقسم لنا من رجا رحمتك ما تعصمنا به من الفنوط ومن خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك والله الموفق للصواب

(قوله صدود السواقى) لعله السواقى بالفاء كعبارة الصحاح

(قوله بعد وقت إنزاله وإذ تضاف إليه) لعله إنزالها

## سورة العنكبوت مكية

إلا من آية ۱ إلى غاية آية ۱۱ فمدنية وآياتها ۶۹ نزلت بعد الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا

## ﴿ سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الحسيان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل ألا ترى أنك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لأن قولك زيد عالم أو الفرس جواد كلام دال على مضمون فأردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجدد في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسيان حتى يتم لك غرضك ( فإن قلت ) فإن الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسيان في الآية ( قلت ) هو في قوله ( أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ) وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتمة الترك لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصير كقوله ۝ فتركته جزر السباع بنشئه ۝ ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسيان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام ( فإن قلت ) أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ ( قلت ) كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تأديبا تعليلا وتقول أيضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلها مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا ۝ والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات والشاقة وهجر الشهوات والملاذو بالفقر والتقبط وأنواع المصائب في النفس والأموال وبمصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا القول بالإيمان أنهم يتركون بذلك غير متمسكين بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلوا صبرهم وثبات أقدامهم وصحة عقائدهم ونصوح نياتهم لتمييز المخالص من غير المخالص والراسخ في الدين من المضطرب والمنتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور وروى أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من أذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل في ناس أسلموا بمكة فكتب إليهم المهاجرون « ولا يقبل منكم إسلامكم حتى تهاجروا » فخرجوا فقتلهم المشركون فرددتهم فلما نزلت كتبوا بها إليهم فخرجوا فاتبعتهم المشركون فقاتلهم فقتلهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أول قبيل من المسلمين يوم بدر رماه عاصم بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من بدع إلى باب الجنة من هذه الأمة لجزع عليه أبواه وامراته ( ولقد فتنا ) موصول بأحسب أو بلا يفتنون كقولك ألا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني أن أتباع الأنبياء عليهم السلام قبلهم قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما أصابهم أو ما هو أشد منه فصبروا كما قال وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ( فليعلمن الله ) بالامتحان ( الذين صدقوا ) في الإيمان

( قوله فتركته جزر السباع بنشئه ) في الصحاح جزر السباع اللحم الذي تأكله وناشه ينوشه إذا تناوله باطشابه كما يفيد الصراح

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۚ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۚ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ

(وليعلمن الكاذبين) فيه (فإن قلت) كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل (قلت) لم يزل يعلمه معدوماً ولا يعلمه موجوداً إلا إذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز أن يكون وعداً ووعداً كأنه قال وليثبني الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرأ على رضى الله عنه والزهرى وليعلمن من الإعلام أى وليعرفنهم الله الناس من هم أو ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقنها (أن يسبقونا) أن يفوتونا يعنى أن الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا فى الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم فى العاقبة وإصرارهم على المعاصى فى صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا لأنهم لا يعجزون (فإن قلت) أين مفعولاً حسب (قلت) اشتغال صلة أن على مسند ومسند إليه ستمسند المفعولين كقوله تعالى أم حسبتم أرتدخلو الجنة ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الإضراب فيها أن هذا الحسبان أبطال من الحسبان الأول لأن ذلك يقدر أنه لا يمتحن لإيمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه (ساء ما يحكمون) بئس الذى يحكمونه حكمهم هذا أو بئس حكماً يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم ۚ لقاء الله مثل للوصول إلى العاقبة من تلقى ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتى ويذر فإما أن يلقاه ببشر وترحيب لما رضى من أفعاله أو بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله (من كان يرجو لقاء الله) من كان يأمل تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشر (فإن أجل الله) وهو الموت (لآت) لا محالة فليبادر العمل الصالح الذى يصدق رجاءه ويحقق أمله ويكتسب به القربة عند الله والزانى (وهو السميع العليم) الذى لا يخفى عليه شئ مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلى فى صفة عسال ۚ إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها ۚ (فإن قلت) فإن أجل الله لآت كيف وقع جواباً للشرط (قلت) إذا علم أن لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذى تقع فيه تلك الحال هو الأجل المضروب للموت فكأنه قال من كان يرجو لقاء الله فإن لقاء الله لآت لأن الأجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فإن يوم الجمعة قريب إذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة (ومن جاهد) نفسه فى منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه (فإنما يجاهد) لها لأن منفعة ذلك راجعة

### (القول فى سورة العنكبوت)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى « وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » (قال إن قلت هو لم يزل يعلم الصادقين والكاذبين قبل الامتحان فما وجه هذا الكلام قلت لم يزل يعلمه معدوماً ولا يعلمه موجوداً إلا إذا وجد) قال أحمد فيما ذكر إيهام بمذهب فاسد وهو اعتقاد أن العلم بالكائن غير العلم بأن سيكون والحق أن علم الله تعالى واحد يتعلق بالموجود زمان وجورده وقبله وبعده على ما هو عليه وفائدة ذكر العلم ههنا وإن كان سابقاً على وجود المعلوم التنبيه بالسبب على المسبب وهو الجزاء كأنه قال تعالى لنعلمنهم فلنجازينهم بحسب علمه فيهم والله أعلم ۚ قوله تعالى « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون » (قال محمود المراد بهؤلاء أحد فريقين إما قوم مسلمون سيئاتهم صغائر مغمورة بالحسنات وإما قوم آمنوا وعملوا الصالحات بعد كفر بالإسلام يجب ما قبله) قال أحمد حجر واسعاً من رحمة الله تعالى بناء على أصله الفاسد فى وجوب الوعيد على مرتكب السيئات الكبائر إلا بالتوبة وأطلق تكفير الصغائر وإن لم تكن توبة إذا غمرتها الحسنات وكلا الأصلين قدرى مجذب والله الموفق

أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

إليها وإنما أمر الله عز وجل ونهى رحمة لعباده وهو الغنى عنهم وعن طاعتهم ۝ إتما أن يريد قوماً مسلمين صالحين قد أساؤا في بعض أعمالهم وسيئاتهم مغدورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم أي يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون أي أحسن جزاء أعمالهم وإتما قوماً مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيئاتهم بأن يسقط عقاب ما أتت لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم أحسن جزاء أعمالهم في الإسلام ۝ وصى حكمه حكم أمر في معناه وأصرفه يقال وصيت زيدا بأن يفعل خيراً كما تقول أمرته بأن يفعل ومنه بيت الإصلاح وذيانية وصت بنيتها ۝ بأن كذب القراطيف والقروف

كما لو قال أمرتهم بأن ينتهبوا ومنه قوله تعالى « ووصى بها إبراهيم بنبيه » أي وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمره ومعناه وصيته بتعهد عمره ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ( ووصينا الإنسان بالديه حسناً ) وصيناه بإيتاء والديه حسناً أو بإيلاء والديه حسناً أي فعلاً حسن أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقرئ حسناً وقرئ حسناً وإحساناً ويجوز أن تجعل حسناً من باب قولك زيدا يا ضمار ضرب إذا رأته متبياً للضرب فتصبه يا ضمار أو لها أو أفعل بهما لأن التوضيحية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كأنه قال قلنا أولهما معروفان ( لا تطعهما ) في الشرك إذا حملك عليه وعلى هذا التفسير إن وقف على بالديه وابتدأ حسناً حسن الوقف وعلى التفسير الأول لا بد من إضمار القول معناه وقلنا إن جاهداك أي الإنسان ( ما ليس لك به علم ) أي لا علم لك بإلهيته والمراد بنى العلم نفي المعلوم كأنه قال لتشرك بي شيئاً لا يصح أن يكون إلهاً ولا يستقيم وصاه بالديه وأمره بالإحسان إليهما ثم نهى بهن عن طاعتها إذا أراداه على ما ذكر على أن كل حق وإن عظم ساقط إذا جاء حق الله وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخلق ثم قال إلى مرجع من آمن منكم ومن أشرك فأجازيكم حق جزائكم وفيه شيطان أحدهما أن الجزاء إلى فلا تحدث نفسك بجهنم والديك وعقوبتهم الشركهما ولا تحرمهما برك ومعرفك في الدنيا كما أني لا أمنعهما رزقي والثاني التحذير من متابتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد . روى أن سعد بن أبي وقاص الزهري رضي الله عنه حين أسلم قالت أمه وهي حنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس : يا سعد بلغني أنك قد صبأت فوالله لا يبطلني سقوف بيت من الضحج والريح وإن الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب ولدها إليها فابى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك فجاء سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه فنزلت هذه الآية والتي في نقيان والتي في الأحقاف فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يداريها ويترضاها بالإحسان وروى أنها زلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما مترافقين حتى نزل المدينة فخرج أبو جهل بن هشام والحريث بن هشام أخواه لأمه أسماء بنت مخزوم امرأة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالاه إن من دين محمد صلة الأرحام وبرز الوالدان وقد تركت أمك لا تطعم ولا تشرب ولا تباري بيتا حتى تراك وهي أشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلامنه في الذروة والغارب فاستشار عمر رضي الله عنه فقال هما يخدعانك ولك على أن أقسم مالي بيني وبينك فما زالوا به حتى أطاعهما ودعى عمر فقال له عمر أما إذ عصيتي فخذنا قتي فليس في الدنيا بعير يلدتها فإن رابك منهما ريب فارجع فلما اتهموا إلى البيداء قال أبو جهل إن ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطى لنفسه رله فأخذه وشده وثاقاً وجلده

(قوله بأن كذب القراطيف والقروف) في الصحاح كذب قد يكون بمعنى وجب والقراطيف القطيفة والقرف بالفتح وعاء من جلد يدبغ بالقرفة وهي قشور الرمان ويجعل فيه الخلع وهو لحم يطبخ يتوابع فيه فرغ فيه أي عليكم بالقراطيف والقروف فاغتموها اه (قوله فوالله لا يبطلني سقوف بيت من الضحج) في الصحاح الضحج الشمس وفي الحديث لا يقعدن أحدكم بين الضحج والظل فإنه مقعد الشيطان اه (وفتلامنه في الذروة والغارب) في الصحاح مازال فلان يقتل من فلان في الذروة والغارب أي يدور من وراء خديعته

تُطْعِمُهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَنْبِئِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۝  
 وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ  
 لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ۝ وَأَبْلَغُ نَسْوَ اللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ۝  
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ وَمَاهُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ  
 لَكَاذِبُونَ ۝ وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْتَنَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

كل واحد منهم مائة جلدة وذهباً به إلى أمه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فتركت (في الصالحين) في جملتهم  
 والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو معنى أنبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام «وأدخلني برحمتك في عبادك  
 الصالحين» وقال في إبراهيم عليه السلام «ولأنه في الآخرة لمن الصالحين» أو في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا نحو قوله تعالى  
 «ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم» الآية هم ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فإذا مسهم أذى من الكفار  
 وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الإيمان كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر أو كما يجب أن يكون  
 عذاب الله صارفا ۝ وإذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا (إنا كنا معكم) أي مشايعين لكم في دينكم ثابتين عليه ثباتكم  
 ما قدر أحد أن يفتننا فأعطونا نصيبنا من الغنم ۝ ثم أخبر سبحانه أنه أعلم (بمافي صدور العالمين) من العالمين بمافي صدورهم  
 ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من النفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما أبطنوه ثم وعد المؤمنين وأعد المنافقين وقرئ  
 ليقولن بفتح اللام ۝ أمر وهم باتباع سيئهم وهي طريقهم التي كانوا عليها في دينهم وأمر وأنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الأمر على  
 الأمر وأرادوا ليجتمع هذان الأمران في الحصول أن تتبعوا سبيلنا وأن نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالإتباع وهذا قول  
 صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا أنتم فإن عسى كان ذلك فإننا نتحمل عنكم الإثم ونرى في المتسمين  
 بالإسلام من يستن بأولئك فيقول لصاحبه إذا أراد أن يشجعه على ارتكاب بعض العظامم أفعله هذا وإثمه في عنقك وم من مغرور  
 بمثل هذا الضمان من ضعفه العامة وجهلهم ومنه ما يحكى أن أبا جعفر المنصور رفع إليه بعض أهل الحشو حوائج فلبا قضاها  
 قال يا أمير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله إياك وهؤلاء  
 فإنهم قطاع الطريق في المأمن ۝ (فإن قلت) كيف سماهم كاذبين وإنما ضمنوا شيئا علم الله أنهم لا يقدر على الوفاء به  
 وضمن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لاحتين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو  
 المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه (قلت) شبه الله حالهم حيث علم أن ما ضمنوه لا طريق لهم إلى أن يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على  
 ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز أن يريد أنهم كاذبون لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على  
 خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف (وليحملن أثقالهم) أي أثقال أنفسهم (وأثقالا) يعني أثقالا

۝ قوله تعالى « وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم  
 لكاذبون» (قال وبعض المتسمين بالإسلام إذا أراد أن يشجع صاحبه على ذنب قال له أفعله هذا وإثمه في عنقك ومنه ما يحكى  
 أن رجلا رفع إلى المنصور حوائج فقضاها وما هي فقال يا أمير المؤمنين بقيت لي إليك حاجة هي العظمى قال وما هي قال  
 شفاعتك في المحشر فقال عمرو يا أمير المؤمنين إياك وهؤلاء فهم قطاع الطريق في المأمن) قال أحمد : عمرو بن عبيد  
 أول القدرة المنكرين للشفاعة فاحذره وليست إلا آية مطابقة للحكاية ولكن الرخصى بنى على أنه لا فرق بين اعتقاد  
 الشفاعة واعتقاد أن الكفار يحملون خطايا أتباعهم فلذلك ساقها مساقا واحدا نعوذ بالله من ذلك ۝ وفي قوله تعالى



نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ۝ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ  
وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ۝ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ إِنَّمَا

أخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي أثقال الذين كانوا سيئاً في ضلالهم (وايستأن) سؤال تفرغ (عما كانوا يفترون) أي  
يخترعون من الأكاذيب والأباطيل ۝ وقرئ من خطيبتهم ۝ كان عمر نوح عليه السلام ألفاً وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث  
في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب أنه عاش ألفاً وأربعمائة سنة ۝ (فإن قلت) هلا قيل تسعمائة  
وخمسين سنة (قلت) ما أورده الله أحكم لأنه لو قيل كما قلت لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهم زائل مع  
بجائه كذلك وكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد إلا أن ذلك أخصر وأعذب لفظاً وأملاً بالفائدة وفيه نكتة  
أخرى وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلى به نوح عليه السلام من أمته وما كابدته من طول المصابرة تسلياً لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم وثبिताً له فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع وأوصل إلى الغرض من استطالة السامع مدة صبره  
(فإن قلت) فلم جاء المميز أولاً بالسنة وثانياً بالعام (قلت) لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد تحقيق بالاجتناب  
في البلاغة إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض ينتجيه المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك و(الطوفان) ما أطاف  
وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما قال العجاج ۝ وغم طوفان الظلام الأثابا (أصحاب السفينة) كانوا ثمانية  
وسبعين نفساً نصفهم ذكور ونصفهم إناث منهم أولاد نوح عليه السلام سام وحام ويافتك ونساؤهم وعن محمد بن إسحق كانوا  
عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة والضعير  
في (وجعلناها) للسفينة أو للحادثة والقصة ۝ نصب (إبراهيم) بإضمار اذكر وأبدل عنه (إذ) بدل الاشتغال لأن الأحيان  
تشتمل على ما فيها أو هو معطوف على نوحاً وإذ ظرف لأرسلنا يعني أرسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغاً صلح فيه لأن يعظ  
قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ إبراهيم النخعي وأبو حنيفة رحمهما الله وإبراهيم  
بالرفع على معنى ومن المرسلين إبراهيم (إن كنتم تعلمون) يعني إن كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم  
أو إن نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم أنه خير لكم وقرئ تخلقون من خلق بمعنى التكثير  
في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتحرص وقرئ إفكاً فيه وجهان أن يكون مصدراً نحو كذب ولعب والإفك  
مخفف منه كالكذب واللعب من أصلهما وأن يكون صفة على فعل أي خلقاً إفكاً أي ذا إفك وباطل واختلافهم الإفك  
تسميتهم الأوثان آلهة وشركاء الله أو شفعاء إليه أو سمي الأصنام إفكاً وعملهم لها ونحتهم خلقاً للإفك (فإن قلت) لم نكر  
الرزق ثم عرفه (قلت) لأنه أراد لا يستطيعون أن يرزقوا شيئاً من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فإنه هو الرزاق وحده

لأنهم لكاذبون نكتة حسنة يستدل بها على صحة مجيء الأمر بمعنى الخبر فإن من الناس من أنكره والتزم تخريج جميع  
ما ورد في ذلك على أصل الأمر ولم يتم له ذلك في هذه الآية لأن الله تعالى أردف قولهم ولنحمل خطاياكم على صيغة  
الأمر بقوله إنهم لكاذبون والتكذيب إنما يتطرق إلى الإخبار ۝ قوله تعالى فليث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً  
(قال عدل عن تسعمائة وخمسين لأنه يحتمل فيه إطلاق العدد على أكثره بخلاف بجائه مع الاستثناء) قال أحمد لأن  
الاستثناء استدراك ورجوع على الجملة بالتنقيص تحريراً للعدد فلا يحتمل المبالغة لأنها لا يجوز معها العدد عاد  
كلامه (قال وفيه نكتة أخرى وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلى به نوح وكابدته من طول المصابرة تسلياً له عليه  
السلام فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع على الغرض قال وإنما خالف بين اللفظين فذكر  
في الأول السنة وفي الثاني العام تجنباً للتكرار الذي لا يحمد إلا لقصد تفخيم أو تعظيم) قال أحمد ولو غم المستثنى

(قوله وغم طوفان الظلام الأثابا) في الصحاح الأثاب شجر

تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَإِنْ تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ

لا يرزق غيره (إليه ترجعون) وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على أنعمه وإن تكذبونني فلا تضرونني بتكذيبهم فإن الرسل قبل قد كذبهم أمهم وما ضرهم وإنما ضروا أنفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل وأما الرسول فقد تم أمره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته أو وإن كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الأنبياء أسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التي بعدها إلى قوله فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم صلوات الله عليه لقومه وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة إبراهيم وآخرها (فإن قلت) إذا كانت من قول إبراهيم فما المراد بالأم قبله (قلت) قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح أمة في معنى أم جمة مكذبة ولقد عاش إدريس ألف سنة في قومه إلى أن رفع إلى السماء وآمن به ألف إنسان منهم على عدد سنيه وأعقابهم على التكذيب ۝ (فإن قلت) فما تصنع بقوله قل سيروا في الأرض (قلت) هي حكاية كلام حكاة إبراهيم عليه السلام لقومه كما يحكي رسولنا صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المنهاج في أكثر القرآن (فإن قلت) فإذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطهما بين طرفي قصة إبراهيم والجملة . أو الجملة الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه ألا تراك لا تقول مكة وزيد أبوه قائم خير بلاد الله (قلت) إيراد قصة إبراهيم ليس لإرادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسلاة له ومتفرجا بأن أباه إبراهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما منى به من شرك قومه وعبادتهم الأوثان فاعترض بقوله وإن تكذبوا على معنى أنكم يا معشر قريش إن تكذبوا محمدا فقد كذب إبراهيم قومه وكل أمة نبيها لأن قوله فقد كذب أمم من قبلكم لا بد من تناوله لأمة إبراهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات الواطئة عقبها من أذياها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه ۝ قرئ يروا بالياء والتاء ويبدئ ويبدأ وقوله (ثم يعيده) ليس بمعطوف على يبدئ وليست الروية واقعة عليه وإنما هو إخبار على حياله بالإعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله تعالى فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الإنشاء ونحوه قولك ما زلت أوثر فلانا وأستخلفه على من أخلفه (فإن قلت) هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو (قلت) هو جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك وأستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت أوثر فلانا (ذلك) يرجع إلى ما يرجع إليه هو في قوله وهو أهون عليه من معنى يعيد دل بقوله

لعاد ذلك ببعض تفخيم المستثنى منه وتكبيره عند السامع والله أعلم ۝ قوله تعالى أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده (قال فيه يعيده ليس معطوفا على يبدئ وإنما هو إخبار على حياله كما وقع كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة كقولك ما زلت أوثر فلانا وأستخلفه (بعدي) قال أحمد وقد تقدم له عند قوله تعالى آمن يبدؤ الخلق ثم يعيده أنه معطوف وصحح العطف وإن كانوا ينكرون الإعادة لأن الاعتراف بها لازم لهم وقد أبى ههنا جعله معطوفا فالفرق والله أعلم أنه ههنا لو عطف الإعادة على البداية لدخلت في الرؤية الماضية وهي لم تقع بعد ولا كذلك في آية النمل ولقائل أن يقول هي وإن لم تقع إلا أنها بإخبار الله تعالى بوقوعها كالواقعة المرئية فعولت معاملة مارؤى وشوهد

(قوله كان ممنوا بنحو ما منى به) أي مبتلى في الصحاح منوته ومنيته إذا ابتليته (قوله وهو كما ترى اعتراض واقع) لعله واقع موقعه

فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۝ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۝ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّاتِ اللَّهُ وَلِقَاءَهُ أُولَئِكَ يَتَسَوَّأُونَ مِمَّا رَحِمْتَ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝

(النشأة الآخرة) على أنهما نشأتان وإن كل واحد منهما إنشاء أى ابتداء واختراع وإخراج من العدم إلى الوجود لا تفاوت بينهما إلا أن الآخرة إنشاء بعد إنشاء مثله والأولى ليست كذلك وقرئ النشأة والنشاء كالرأفة والرأفة (فإن قلت) ما معنى الإفصاح باسمه مع إبقائه مبتداً في قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد إحصائه في قوله كيف بدأ الخلق وكان القياس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة (قلت) الكلام معهم كان واقعاً في الإعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الإبداء بأنه من الله احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء فإذا كان الله الذى لا يعجزه شيء هو الذى لم يعجزه الإبداء فهو الذى وجب أن لا تعجزه الإعادة فكانه قال ثم ذلك الذى أنشأ النشأة الأولى هو الذى ينشئ النشأة الآخرة فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتداً (يعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته ومتعلق المشيئين مفسر مبين في مواضع من القرآن وهو من يستوجهما من الكافر والفاسق إذا لم يتوبا ومن المعصوم والنائب (تقبلون) تردون وترجعون (وما أنتم بمعجزين) ربكم أى لا تفوتونه إن هربتم من حكمه وقضائه (فى الأرض) الفسيحة (ولا فى السماء) التى هى أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها كقوله تعالى إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا . وقيل ولا من فى السماء كما قال حسان رضى الله عنه :

أمن يهجو رسول الله منكم ۝ ويمدحه وينصره سواء

ويحتمل أن يراد لا تعجزونه كيفما هبطم فى مهاوى الأرض وأعماقها أو علوتم فى البروج والقلاع الذاهبة فى السماء كقوله تعالى ولو كنتم فى بروج مشيدة أو لا تعجزون أمره الجارى فى السماء والأرض أن يجرى عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء (بآيات الله) بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث (يتسوا من رحمتي) وعيد أى يأسون يوم القيامة كقوله : ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون . أو هو وصف حالهم لأن المؤمن إنما يكون راجياً خاشياً فأما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف أو شبه حالهم فى انتفاء الرحمة عنهم بحال من يتس من الرحمة وعن قتادة رضى الله عنه أن الله ذم قوما هانوا عليه فقال أولئك يتسوا من رحمتي وقال إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون فينبغى للمؤمن أن لا يأس من روح الله ولا من رحمة وأن لا يأس من عذابه وعقابه صفة المؤمن أن يكون راجياً لله عز وجل خائفاً ۝ قرئ (جواب قومه) بالنصب والرفع (قالوا) قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباكون

إلا أن جعله خبراً ثانياً أو ضح والله أعلم ۝ قوله تعالى قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة (قال إن قلت ما وجه الإفصاح باسمه تعالى مع النشأة الآخرة بعد إحصائه فى البداية أو لا قلت لأن النشأة الآخرة هى المقصودة وفيها كانت تصطك الركب فكانت خليفة بإبراز اسمه تعالى تحقيقاً لنسبة الإعادة إلى من نسبت إليه الأولى) قال أحمد والأصل الإظهار ثم الإضمار ويلى له قصد التفتيح الإظهار بعد الإظهار ويلى وهو أنعم الثلاثة الإظهار بعد الإضمار كما فى الآية والله أعلم

(قوله ومتعلق المشيئين مفسر مبين فى مواضع من القرآن) تفسيره مما يأتى منى على أنه تعالى يجب عليه تعذيب الكافر والفاسق إذا لم يتوبا وإثابة المعصوم والنائب وهو مذهب المعتزلة ولا يجب عليه تعالى شيء عند أهل السنة فالمشيئة فى الآية على إطلاقها (قوله وقيل ولا من فى السماء) عبارة الخازن ولا من فى السماء بمعجز (قوله وعقابه صفة المؤمن) لعله لأن صفة المؤمن الخ

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ  
وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ هـ فَثَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ هـ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا  
فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ هـ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُم لَتَأْتُونَ الْفَحْشَاءَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ هـ  
أَنكُم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا

راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين هـ وروى أنه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار نغى يوم اتقى إبراهيم في النار وذلك  
لذهاب حرها هـ قرئ على النصب بغير إضافة وبإضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل أى لتوادوا  
بينكم وتواصلوا لاجتماعكم على عاداتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم  
وتصادقهم وأن يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ إلهه هواه أى اتخذتم الأوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف  
المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم  
كحب الله وفي الرفع وجهان أن يكون خبرا لأن على أن ماموصولة وأن يكون خبر مبتدأ محذوف والمعنى أن الأوثان  
مودة بينكم أى مودودة أو سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الإضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح  
وهو فاعل وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه أوثانا وإنما مودة بينكم في الحياة الدنيا أى إنما تتوادون عليها أو تودونها  
في الحياة الدنيا (ثم يوم القيامة) يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادى يتلاعن العبد ويتلاعن العبد والأصنام كقوله  
تعالى ويكونون عليهم ضدا هـ كان لوط ابن أخت إبراهيم عليهما السلام وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه  
(وقال) يعنى إبراهيم (إنى مهاجر) من كوثى وهى من سواد الكوفة إلى حران ثم منها إلى فلسطين ومن ثمة قالوا لكل  
نبي هجرة ولا إبراهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامراته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة (إلى ربى)  
إلى حيث أمرنى بالهجرة اليه (إنه هو العزيز) الذى يمنعنى من أعدائى (الحكيم) الذى لا يأمرنى إلا بما هو مصلحتى  
(أجره) الثناء الحسن والصلاة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وأن أهل الملل كلهم يتولونه هـ (فإن قلت) ما بال  
إسماعيل عليه السلام لم يذكر وذكر إسحق وعقبه (قلت) قد دلّ عليه في قوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وكفى  
الدليل لشهرة أمره وعلو قدره هـ (فإن قلت) ما المراد بالكتاب (قلت) قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل  
على ذريته من الكتب الأربعة التى هى التوراة والزبور والإنجيل والقرآن (ولوطا) معطوف على إبراهيم أو على  
ماعتطف عليه و(الفاحشة) الفعلة البالغة فى القبح و(ما سبقكم بها من أحد من العالمين) جملة مستأنفة مقررة لفحاشة  
تلك الفعلة كأن قائلها قال لم كانت فاحشة فقبل له لأن أحدا قبلهم لم يقدم عليها اشتهزازاً منها فى طباعهم لإفراط قبجها  
حتى أقدم عليها قوم لوط لخبث طبيعتهم وقدر طباعهم قالوا لم ينزل ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط هـ وقرئ إنكم بغير  
استفهام فى الأول دون الثانى قال أبو عبيد وجده فى الإمام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثانى بحرفين ياء والنون هـ وقطع  
السبيل عمل قطع الطريق من قتل النفس وأخذ الأموال وقيل اعتراضهم السابلية بالفاحشة وعن الحسن قطع النسب  
بإتيان ما ليس بحرث و(المنكر) عن ابن عباس رضى الله عنهما هو الخذف بالحصى والرعى بالبندق والفرقة ومضع  
العلك والسواك بين الناس وحيل الأزرار والسباب والفحش فى المزاح وعن عائشة رضى الله عنها كانوا  
يتحاقون وقيل السخرية بمن مرهم وقيل المجاهرة فى ناديم بذلك العمل وكل معصية فإظهارها أقبح من سترها ولذلك

(قوله كانوا يتحاقون وقيل السخرية) فى الصحاح الحبق بالكسر الردام وفيه أيضا الردام بالضم الحبق اه وهو دور

يُعَذِّبُ اللَّهُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَمَا جَاءَتْ رُسُلًا إِبْرَاهِيمَ  
بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ۝ قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ  
بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝ وَمَا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ  
ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلِكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ  
هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَإِلَى  
مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ  
فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَاصْبِرُوا فِي دَارِهِمْ جَاهِمِينَ ۝ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

جاء من خرق جلاب الحياء فلاغية له ولا يقال للمجلس ناد إلا مادام فيه أهله فإذا قاموا عنه لم يبق ناديا (إن كنت من  
الصادقين) فيما تعدناه من نزول العذاب ۝ كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا  
وكرها ولأنهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا  
فوق العذاب بما كانوا يفسدون فأراد لوط عليه السلام أن يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه  
(بالبشرى) هي البشارة بالولد والناقلة وهما إسحق ويعقوب ۝ وإضافة مهلكو إضافة تخفيف لا تعريف والمعنى لاستقبال  
والقرية سدوم التي قبل فيها أجور من قاضي سدوم (كانوا ظالمين) معناه أن الظلم قد استمر منهم إيجادا في الأيام السالفة  
وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وألوان معاصيهم (إن فيها لوطا) ليس إخبار أنهم بكونه فيها وإنما هو جدال في شأنه  
لأنهم لما عللوا إهلاك أهلها بظلمهم اعترض عليهم بأن فهم من هو برىء من الظلم وأراد بالجدال إظهار الشفقة عليهم وما يجب  
للمؤمن من التحزن لأخيه والتشمر في نصرته وحياطته والخوف من أن يمسه أذى أو يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن  
ألا يحوط المؤمن ألا ترى إلى جوارهم بأنهم أعلم منه (بمن فيها) يعنون نحن أعلم منك وأخبر بحال لوط وحال قومه  
وامتيازهم منهم الامتياز البين وأنه لا يستأهل ما يستأهلون تخفض على نفسك وهون عليك الخطب ۝ وقرئ لتنجينه بالتشديد  
والتخفيف وكذلك منجوك (أن) صلة أكدت وجود الفعلين مترتا أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل  
بينهما كأنهما وجد في جزء واحد من الزمان كأنه قيل كما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريب خيفة عليهم من قومه  
(وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة  
كما قالوا رحب الذراع بكذا إذا كان مطيقا له والأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال مالا يناله القصير الذراع  
فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة ۝ الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجزوا وارتجس إذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق  
والاضطراب ۝ وقرئ منزلون مخفقا ومشددا (منها) من القرية (آية بينة) هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة  
وقيل الماء الأسود على وجه الأرض وقيل الخبر عما صنع بهم (لقوم) متعلق بتركنا أو بيئته (وارجوا) وافعلوا ما ترجون به  
العاقبة فأقيم المسبب مقام السبب أو أمر بالرجاء والمراد اشتراط ما يستوغه من الإيمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على إرادة  
الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف ۝ والرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل عليه السلام لأن القلوب رجفت  
لها (في دارهم) في بلدهم وأرضهم أوفى ديارهم فاكنتي بالواحد لأنه لا يلبس (جائمين) باركين على الركب ميتين (وعادا)

فليظن حله ثم رأيت فيه في مادة شرط الضراط الردام وقد شرط يضطرط شرط يضطرط يضطرط يضطرط يضطرط يضطرط يضطرط  
فالتحابق المضارطة كما عبر النسفي (قوله فاجأته المساءة من غير ريب) أي بطء

اعملهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين ۝ وقروا وفرعون وهم من ولقد جاءهم موسى بالبينات  
فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين ۝ فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من  
اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولسكن كانوا انفسهم  
يظلمون ۝ مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن اوهن البيوت لبيت  
العنكبوت لو كانوا يعلمون ۝ إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم ۝ وتلك الامثال  
نضربها للناس وما يعقلها الا العالون ۝ خلق الله السموات والارض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين ۝

منصوب بإضمار أهلكنا لأن قوله فأخذتهم الرجفة يدل عليه لأنه في معنى الإهلاك (وقد تبين لكم) ذلك يعني ما وصفه  
من إهلاكهم (من) جهة (مساكنهم) إذا نظرتم إليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يمرّون عليها في أسفارهم فيصرونها  
(وكانوا مستبصرين) عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا أو كانوا متينين أن العذاب نازل بهم لأن  
الله تعالى قد بين لهم على السنة الرسل عليهم السلام ولكنهم لجرا حتى هلكوا (سابقين) فائتين أدرّكهم أمر الله فلم  
يفوتوه ۝ الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم . والصيحة لمدين وثمود ، والحسف  
لقارون ، والغرق لقوم نوح وفرعون ۝ الغرض تشبيه ما اتخذه متكلا ومعتمداً في دينهم وتولوه من دون الله بما  
هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الأتري إلى مقطع التشبيه وهو قوله ( وإن اوهن  
البيوت لبيت العنكبوت ) ( فإن قلت ) ما معنى قوله ( لو كانوا يعلمون ) وكل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت  
( قلت ) معناه لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو أنه إذا صح تشبيه  
ما اعتمده في دينهم بيت العنكبوت وقد صح أن اوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين أن دينهم اوهن الأديان  
لو كانوا يعلمون أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكأنه قال وإن اوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة  
الأوثان لو كانوا يعلمون ولقائل أن يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت  
يتخذ بيتاً بالإضافة إلى رجل يبنى بيتاً بآجر وجص أو ينحته من صخر وكما أن اوهن البيوت إذا استقرتها بيتاً بيتاً  
العنكبوت كذلك أضعف الأديان إذا استقرتها ديناً ديناً عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون ۝ قرئ تدعون بالتاء والياء  
وهذا تأكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئاً ( وهو العزيز الحكيم ) فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس  
بشيء لأنه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة أصلاً وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئاً  
إلا بحكمة وتدبير ۝ كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون إن ربّ محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون  
من ذلك فلذلك قال ( وما يعقلها إلا العالمون ) أي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها إلا هم لأن الأمثال والتشبيهات إنما  
هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للأفهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين  
حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته  
واجتنب سخطه ( بالحق ) أي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو أن تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين  
منهم ودلائل على عظم قدرته الأتري إلى قوله ( إن في ذلك لآية للمؤمنين ) ونحوه قوله تعالى « وما خلقنا السماء

قوله تعالى « خلق الله السموات والارض بالحق » ( قال فيه أي بالغرض الصحيح ) قال أحمد لفظه قدرية ومعتقد ردي

( قوله قديين لهم على السنة الرسل ) لعله قديين وقد يعبر بالمضارع لأن الكلام على سبيل التجويز

أَنْزَلَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا  
بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَوَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ  
فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ۝ وَمَا

والأرض وما بينهما باطلا ، ثم قال ذلك ظن الذين كفروا ، الصلاة تكون لطفاً في ترك المعاصي فكانها ناهية عنها  
( فإن قلت ) كم من مصل يرتكب ولا تنهيه صلواته ( قلت ) الصلاة التي هي الصلاة عند الله المستحق بها الثواب أن  
يدخل فيها مقدماً للنوبة النصح ، تنقياً لقوله تعالى « إنما يتقبل الله من المتقين » ويصلها خاشعاً بالقلب والجوارح  
فقد روى عن حاتم كأن رجلى على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوق وأصلي بين  
الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد أن يصلها فلا يجبطها فهي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس  
رضي الله عنهما من لم تأمره صلواته بالمعروف وتنهيه عن المنكر لم يزد بصلواته من الله إلا بعداً وعن الحسن رحمه الله من لم  
تنه صلواته عن الفحشاء والمنكر فليست صلواته بصلاة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعياً للصلاة جزه ذلك إلى أنه  
ينهى عن السيئات يوماً ما فقد روى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل  
فقال إن صلواته لتردعه وروى أن قتي من الأنصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبه  
فوصف له فقال إن صلواته ستناه فلم يلبث أن تاب وعلى كل حال إن المراعى للصلاة لا بد أن يكون أبعد من الفحشاء  
والمنكر ممن لا يراعيها وأيضاً فكم من مصلين تنههم الصلاة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي أن لا يخرج واحد  
من المصلين عن قضيتها كما تقول إن زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى عن جميع المنكرين وإنما تريد أن  
هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم ( ولذكر الله أكبر ) يريد وللصلاة أكبر من غيرها  
من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال « فاسعوا إلى ذكر الله » وإنما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كأنه قال وللصلاة  
أكبر لأنها ذكر الله أو ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نبيه عنهما ووعيدهما أكبر فكان أولى بأن ينهى  
من اللطف الذي في الصلاة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته  
( والله يعلم ما تصنعون ) من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب ( بالتي هي أحسن ) بالخلصة التي هي أحسن وهي  
مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالآناة كما قال : ادفع بالتي هي أحسن ( إلا الذين ظلموا ) فأفرطوا في  
الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفذ فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل إلا الذين آذوا رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وقيل إلا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يدا الله مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤثرين  
للجزية إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فإن أولئك مجادلهم بالسيف وعن قتادة الآية  
منسوخة بقوله تعالى « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يجادلوا أشد من السيف » وقوله ( قولوا آمنا بالذي أنزل  
إلينا ) من جنس المجادلة بالتي هي أحسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثتكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا  
بالله وكتبه ورسله فإن كان باطلا لم تصدقوهم وإن كان حقاً لم تكذبوهم ۝ ومثل ذلك الإنزال ( أنزلنا إليك الكتاب ) أي  
أي أنزلناه مصدقاً لسائر الكتب السماوية تحقياً لقوله آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وقيل وكما أنزلنا الكتب إلى من كان  
قبلك أنزلنا إليك الكتاب ( فالذين آتيناهم الكتاب ) هم عبدالله بن سلام ومن آمن معه ( ومن هؤلاء ) من أهل مكة وقيل أراد

قد تقدم إنكاره على القدرية ولو كان ما قالوه حقاً من حيث المعنى لوجب اجتناب هذه العبارة التي لا تليق بالأدب  
والله سبحانه وتعالى أعلم

كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ۝ بَلْ هُوَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ۝ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَطْلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ

بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ومن هؤلاء ممن في عهده منهم (وما يجحد بآياتنا) مع ظهور هارززال الشبهة عنها إلا المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه ۝ وأنت أمي ما عرفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا خط (إدأ) لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة والخط (لارتاب المبطلون) من أهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه يده (فإن قلت) لم ساهم مبطلين ولو لم يكن أميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محققين ولكان أهل مكة أيضا على حق في قولهم لعله تعلمه أو سبه فإنه رجل قارئ كاتب (قلت) ساهم مبطلين لأنهم كفروا به وهو أمي بعيد من الريب فكانه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن أميا لارتابوا أشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتابهم وشيء آخر وهو أن سائر الأنبياء عليهم السلام لم يكونوا أميين ووجب الإيمان بهم وبما جاؤا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فذهب أنه قارئ كاتب فلهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى عليهما السلام على أن المنزلين ليس بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذا هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو أمي ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير أمي (فإن قلت) ما فائدة قوله بيمينك (قلت) ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتباً ألا ترى أنك إذا قلت في الإثبات رأيت الأمر بخط هذا الكتاب بيمينه كان أشد لإثباتك أنه تولى كتبه فكذلك النبي (بل) القرآن (آيات بينات في صدور) العلماء به وحفظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الإعجاز وكونه محفوظاً في الصدور يتلوه أكثر الأمة ظاهراً بخلاف سائر الكتب فإنها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ إلا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الأمة صدورهم أناجيلهم (وما يجحد) بآيات الله الواضحة إلا المتوغلون في الظلم المكابرون ۝ قرئ آية وآيات أرادوا هلا أنزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى عليهما السلام ونحو ذلك (إنما الآيات عند الله) ينزل أيها شاء ولو شاء أن ينزل ما تقترحونه لفعل (وإنما أنا نذير) كلفت الإنذار وإبانه بما أعطيت من الآيات وليس لي أن أتخير على الله آياته فأقول أنزل على آية كذا دون آية كذا مع علمي أن الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك ثم قال (أولم يكفهم) آية مغنية عن سائر الآيات إن كانوا طالين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لانزول ولا تضحل كما نزول كل آية بعد كونها وتكون في كل مكان دون مكان ۝ إن في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان إلى آخر الدهر (لرحمة) لنعمة عظيمة لا تشكره وتذكره (لقوم يؤمنون) وقيل أولم يكفهم يعني اليهود أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك وقيل إن ناساً من المسلمين أوتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما أن نظر إليهم ألقاها وقال كفى بها حاقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاءهم به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرناه (كفى بالله بيني وبينكم شهيداً) أي قد بلغتكم ما أرسلت به إليكم وأنذرتكم وأنكم قابلتموني بالجحد والسكذيب (يعلم ما في السموات والأرض) فهو مطلع على أمري وأمركم وعالم بحقي وباطلكم (والذين آمنوا بالباطل) منكم وهو ما تعبدون من دون الله (وكفروا بالله) وآياته (أولئك هم الخاسرون)

(قوله فحين ليس) لعله فحين كان ليس (قوله على أن المنزلين ليس بمعجزين) لعله المنزلين عليهما



بَغْتَهُ وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ۖ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ۖ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ  
وَمَنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ يَعْبَادُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ أَرْضِي وَسِعَةَ فَايَبِي فَاَعْبُدُون ۖ  
وَكُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۖ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يُجْرَى  
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۖ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۖ وَكَانَ مِنْ دَآئِبَةِ

المغبونون في صفتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان إلا أن الكلام ورد مورد الإنصاف كقوله وإنا أو إياكم لعلی هدى أو في ضلال مبين وكقول حسان ۖ فشر كما لخير كما الفداء ۖ وروى أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بأبك رسول الله فنزلت ۖ كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحرث هو الذي قال اللهم أمطر علينا حجارة من السماء كما قال أصحاب الأيكة فأسقط علينا كسفا من السماء (ولولا أجل) قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم وأوجبت الحكمة تأخيرها إلى ذلك الأجل المسمى (لجاءهم العذاب) عاجلا والمراد بالأجل الآخرة لما روى أن الله تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب قومه ولا يستأصلهم وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بأجلهم (المحيطة) أي ستحيط بهم (يوم يغشاهم العذاب) أو هي محيطة بهم في الدنيا لأن المعاصي التي توجهها محيطة بهم أو لأنها ما لهم ومرجعهم لا محالة فكأها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر أي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت و(من فوقهم ومن تحت أرجلهم) كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل (ونقول) قرئ بالنون والياء (ما كنتم تعملون) أي جزاءه ۖ معنى الآية أن المؤمن إذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه كما يجب فليهاجر عنه إلى بلد يقدر أنه فيه أسلم قلبا وأصح ديننا وأكثر عبادة وأحسن خشوعا ولعمري أن البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير وقد جربنا وجرب أولونا فلم نجد فيما درنا وداروا أعون على قهر النفس وعصيان الشهوة وأجمع للقلب المتلفت وأضمر اللهم المنتشر وأحسن على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من كثير من الفتن وأضبط للأمر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر وأوزع من الشكر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد وقيل هي في المستضعفين بنكة الذين نزل فيهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وإنما كان ذلك لأن أمر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهرائي الكفرة (فايأى فاعبدون) في المتكلم نحو إياه ضربته في الغائب وإياك عضتك في المخاطب والتقدير فإيأى فاعبدوا فاعبدون (فإن قلت) ما معنى الفاء في فاعبدون وتقديم المفعول (قلت) الفاء جواب شرط محذوف لأن المعنى إن أرضي واسعة فإن لم تخلصوا العبادة في أرض فاخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص ۖ لما أمر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها أوفق البلاد وإن شسعت أتبعه قوله (كل نفس ذائقة الموت) أي واجدة مرارته وكرهه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه إنكم ميتون فواصلون إلى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده (لننزلنهم من الجنة) علالي وقرئ لننزلنهم من الثواء وهو النزول للإقامة يقال ثوى في المنزل وأثوى هو واثوى غيره وثوى غير متعد فإذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب وأذهبته والوجه في تعديته إلى ضمير المؤمنين وإلى الغرف إما لإجراؤه مجرى لنزلنهم ونبوئنهم أو حذف الجار وإبصال الفعل أو تشبيه الظرف المؤقت بالمهم ۖ وقرأ يحيى ابن وثاب فنعمة بزيادة الفاء (الذين صبروا) على مفارقة الأوطان والهجرة لأجل الدين وعلى أذى المشركين وعلى المحن

(قوله أوفق البلاد وإن شسعت) أي بعدت (قوله أو تشبيه الظرف المؤقت بالمهم) أي المحدد وهو الغرف

لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ  
الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون ۝ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل  
شيء عليم ۝ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله  
بل أكثرهم لا يعقلون ۝ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ۝

والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك إلا على الله ۝ لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
من أسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف أقدم بلدة ليست لي فيها معيشة فنزلت ۝ والداية  
كل نفس دبت على وجه الأرض عقلت أو لم تعقل (لا تحمل رزقها) لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله (الله يرزقها  
وإياكم) أى لا يرزق تلك الدواب الضعاف إلا الله ولا يرزقكم أيضا أيها الأقوياء إلا هو وإن كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم  
وكسبها لأنه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل  
رزقها لا تدخره إنما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شيء يخبأ إلا الإنسان والنملة والفأرة وعن بعضهم رأيت  
البلبل يحتكر في حوضه ويقال للعقعق مخابيء إلا أنه ينساها (وهو السميع) لقولكم نخشى الفقر والضيعة (العليم) بما فى  
ضماؤركم ۝ الضمير في (سألتهم) لأهل مكة (فأنى يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيد الله وأن لا يشركوا به مع  
إقرارهم بأنه خالق السموات والأرض ۝ قدر الرزق وقتره بمعنى إذا ضيقه (فإن قلت) الذى رجع إليه الضمير فى قوله  
(ويقدره) هو من يشاء فكان بسط الرزق وقدره جملا لواحد (قلت) يحتمل الوجهين جميعاً أن يريد ويقدر لمن يشاء  
فوضع الضمير موضع من يشاء لأن من يشاء منهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وأن يريد تعاقب الأمرين على  
واحد على حسب المصلحة (إن الله بكل شيء عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم ۝ استحمد رسول الله صلى الله عليه  
وسلم على أنه ممن أقر بنحو ما أقروا به ثم نفعه ذلك فى توحيد الله ونفى الأنداد والشركاء عنه ولم يكن إقراراً عاطلاً  
كإقرار المشركين وعلى أنهم أقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة إلى الله وقد جعلوا العبادة للضمير ثم قال (بل  
أكثرهم لا يعقلون) ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد أو لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله  
ولا يفتنون لم حمدت الله عند مقالهم (هذه) فيها ازدرام للدنيا وتصغير لأمرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده  
جناح بعوضة ۝ يريد ما هي لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون (وإن الدار  
الآخرة لهي الحيوان) أى ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكأنها فى ذاتها حياة والحيوان مصدر حى  
وقياسه حيان فقلت الياء الثانية واو كما قالوا حيوة فى اسم رجل وبه سمي ما فيه حياة حيوانا قالوا اشتر من الموتان  
ولا تشتر من الحيوان وفى بناء الحيوان زيادة معنى ليس فى بناء الحياة وهي ما فى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب  
كالنزوان والنغضان واللهبان وما أشبه ذلك والحياة حركة كما أن الموت سكون فجيئه على بناء دال على معنى الحركة  
مبالغة فى معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة فى هذا الموضع المقتضى للمبالغة (لو كانوا يعلمون) فلم يؤثروا الحياة الدنيا  
عليها ۝ (فإن قلت) بم اتصل قوله فإذا ركبوا (قلت) بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناه هم على

قوله تعالى وإن الدار الآخرة لهي الحيوان (قال إنما عدل عن الحياة إلى هذا البناء تنبيها على تعظيم حياة الآخرة  
ودوامها) قال أحمد والذى يخص هذا البناء به إفادة ما لا يخلو من الحركة كالنزوان والجولان والحيوان من ذلك والله أعلم

(قوله قالوا اشتر من الموتان) الذى فى الصحاح اشتر الموتان ولا تشتر الجوار أى اشتر الأرض والدير ولا تشتر  
الريق والدواب اه (قوله كالنزوان والنغضان واللهبان) فى الصحاح اللهبان بالحريك انقاد الدار

فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ  
وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ  
وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ءَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى  
لِّلْكَافِرِينَ ۝ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝

ما وصفوا به من الشرك والعناد (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين في صورة من يخلص الدين لله من  
المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون معه إلهاً آخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهمك (فلما نجاهم إلى البر)  
وآمنوا عادوا إلى حال الشرك ۝ واللام في (ليكفروا) محتملة أن تكون لام كي وكذلك في (وليتمتعوا) فيمن قرأها  
بالكسر والمعنى أنهم يعودون إلى شركهم ليكفروا بالعودة إلى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير  
على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة إذا أنجاهم الله أن يشكروا نعمة الله في إنجائهم ويحملوا نعمة النجاة  
ذريعة إلى ازدياد الطاعة لا إلى التمتع والتلذذ وأن تكون لام الأمر وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه  
قوله تعالى اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير (فإن قلت) كيف جاز أن يأمر الله تعالى بالكفر وبأن يعمل العصاة  
ما شآؤا وهوناه عن ذلك ومتوعد عليه (قلت) هو مجاز عن الخذلان والتخليه وإن ذلك الأمر متسخط إلى غاية ومثاله  
أن ترى الرجل قد عزم على أمر وعندك أن ذلك الأمر خطأ وأنه يؤدي إلى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستزاله عن  
رأيه فإذا لم تر منه إلا الإباء والتصميم حردت عليه وقلت أنت وشأنك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الأمر وكيف  
والأمر بالشئ مريد له وأنت شديد الكراهة متحسر ولكنك كأنك تقول له فإذا قد آيت قبول النصيحة فانت أهل  
ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك إذا فعلت صحة رأى الناصح وفساد رأيك • كانت العرب حول مكة  
يغزوا بعضهم بعضاً ويتغاورون ويتناهون وأهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قتلهم وكثرة  
العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم وونحهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة  
وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها إلا الله وحده مكفورة عندهم • افتراؤهم على الله كذما زعمهم إن الله شريكاً • وتكذيبهم بما  
جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله (لما جاءه) تسفيه لهم يعني لم يتلعموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما  
يفعل المراجع العقول المثبتون في الأمور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون إلى أن يضح لهم  
صدقه أو كذبه (أليس) تقرير لثوابهم في جهنم كقوله • أستم خير من ركب المطايا • قال بعضهم ولو كان استفهاماً  
مأعطاه الخليفة مائة من الإبل وحقيقته أن همزة الإنكار دخلت على النفي فرجع إلى معنى التقرير فهما وجهان  
أحدهما ألا يشؤون في جهنم وألا يستوجبون الثواب فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا  
التكذيب والثاني ألم يصح عندهم أن في جهنم مثنوى للكافرين حتى اجتروا مثل هذه الجرأة • أطلق المجاهدة ولم يقيدتها  
بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأتارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين (فينا) في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا  
خالصاً (لنهدينهم سبلنا) لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقاً كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وعن أبي سليمان  
الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل إن الذي  
نرى من جهلنا بما لا نعلم إنما هو من تقصيرنا فيما نعلم (لمع المحسنين) لناصرهم ومعينهم وعن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

(قوله حردت عليهم) أي غضبت أفاده الصحاح

## سورة الروم مكية

إلا آية ۱۷ فمدنية وآياتها ۶۰ نزلت بعد الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ السَّمِ ۝ غَلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي آدْنَى الْأَرْضِ ۝ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بَضْعِ  
سِنِينَ ۝ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ ۝ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ ۝ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ ۝ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝

## ﴿ سورة الروم ستون آية مكية إلا قوله فسبحان الله ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ القراءة المشهورة الكثيرة (غلبت) بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والارض أرض العرب لأن الارض المعهودة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام أو أراد أرضهم على إنابة اللام متاب المضاف إليه أى في أدنى أرضهم إلى عدوهم قال مجاهد هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم إلى فارس وعن ابن عباس رضى الله عنهما الأردن وفلسطين وقرئ في أدنى الارض والبضع ما بين الثلاث إلى العشر عن الأصمعي وقيل احتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشوق على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل الكتاب وفرح المشركون وشمتموا وقالوا أتم النصرارى أهل الكتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر رضى الله عنه لا يقتر الله أعينكم فوالله لنظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبى بن خلف كذبت يا أبا فضيل اجعل بيننا أجلا أماحك عليه والمناجبة المرهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزياده في الخطر وماده في الأجل فجعلها مائة قلوص إلى تسع سنين ومات أبى من جرح رسول الله وظهرت الروم على فارس يوم الحديدية وذلك عند رأس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقيين فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبى وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وأن القرآن من عند الله لأنها إنباء عن علم الغيب الذى لا يعلمه إلا الله وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب والغلب مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم وإضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهى في إحداهما إضافة المصدر إلى المفعول وفي الثانية إضافة إلى الفاعل ومثاله محرم عليكم إخراجهم وإن يخالف الله وعده (فإن قلت) كيف صحت المناجبة وإنما هى قمار (قلت) عن قتادة رحمه الله أنه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب أبى حنيفة ومحمد أن العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة فى دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجوا على صحة ذلك بما عقده أبو بكر بينه وبين أبى بن خلف (من قبل ومن بعد) أى فى أول الوقتين وفى آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قبل من قبل كرههم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعنى أن كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخره ليس إلا بأمر الله وقضائه وتلك الأيام نداؤها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجز من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه كأنه قيل قبلا وبعدا بمعنى أولا وآخره (ويومئذ) ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله عز وجل من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغلبه من له كتاب على من لا كتاب له ويغظ من شتم بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبر به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله أنهولى

وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ  
هُمْ غَافِلُونَ ۝ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى

بعض الظالمين بعضا و فرق بين كلمهم حتى تفانوا و تناقصوا و فل هؤلاء شوكة هؤلاء و في ذلك قوة الإسلام و عن أبي  
سعيد الخدرى و افق ذلك يوم بدر و في هذا اليوم نصر المؤمنين ( و هو العزيز الرحيم ) بنصر عليكم نارة و بنصركم أخرى  
( و عد الله ) مصدر مؤكد كقولك لك على ألف درهم عرفا لأن معناه أعترف لك بها اعترافا و وعد الله ذلك و عدأ لأن  
ما سبقه في معنى و عد ۝ ذمهم الله عز و جل بأنهم عقلاء في أمور الدنيا بله في أمر الدين و ذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات  
و مكاسب و عن الحسن بلغ من حذق أحدهم أنه يأخذ الدرهم فينقره بأصبعه فيعلم أرىء هو أم جيد و قوله ( يعلمون )  
بدل من قوله لا يعلمون و في هذا الإبدال من النكتة أنه أبدله منه و جعله بحيث يقوم مقامه و يستد مسدته ليعلمك أنه  
لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل و بين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا و قوله ( ظاهرا من الحياة الدنيا ) يفيدان  
للدنيا ظاهراً و باطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها و التمتع بملاذها و باطنها و حقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة  
يتزود منها إليها بالطاعة و الأعمال الصالحة و في تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون إلا ظاهراً و احداً من جملة الظواهر ۝ و هم  
الثانية يجوز أن يكون مبتدأ و ( غافلون ) خبره و الجملة خبرهم الأولى و أن يكون تكريراً للأولى و غافلون خبر الأولى و أية  
كانت فذكرها مناد على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة و مقرها و معلها و أنها منهم تنبع و إليهم ترجع ( في أنفسهم ) يحتمل  
أن يكون ظرفاً كأنه قيل أولم يحدثوا التفكير في أنفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر و التفكير لا يكون إلا في القلوب  
ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك و أضمره في نفسك و أن يكون صلة للتفكير كقولك تفكر  
في الأمر و أجال فيه فكره و ( ما خلق ) متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول و قيل معناه  
فعلوا لأن في الكلام دليلاً عليه ( إلا بالحق و أجل مسمى ) أي ما خلقهما باطلا و عبثا بغير غرض صحيح و حكمة بالغة  
و لالتقى خالدة و إنما خلفها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة و بتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن تنتهي إليه و هو قيام  
الساعة و وقت الحساب و الثواب و العقاب ألا ترى إلى قوله تعالى أفسبتم أنما خلقناكم عبثا و أنكم إلينا لا ترجعون  
كيف سمى تركهم غير راجعين إليه عبثا ۝ و الباء في قوله إلا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بتياب السفر و اشترى  
الفرس بسرجه و لجامه تريد اشتراه و هو ملتبس بالسرجه و اللجام غير منفك عنهما و كذلك المعنى ما خلقها إلا و هي  
ملتبسة بالحق مقترنة به ( فإن قلت ) إذا جعلت في أنفسهم صلة للتفكير فما معناه ( قلت ) معناه أولم يتفكروا في أنفسهم  
التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات و هم أعلم و أخبر بأحوالها منهم بأحوال ما أودعها الله ظاهراً  
و باطناً من غرائب الحكيم الدالة على التدبير دون الإهمال و أنه لا بد لها من انتهاء إلى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي  
دبر أمرها على الإحسان إحسانا و على الإساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على

### ( القول في سورة الروم )

( بسم الله الرحمن الرحيم ) قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ( قال ) فيه يعلمون  
بدل من الأول و في البديل نكتة وهي الإشعار بأنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل و بين العلم بظاهر الدنيا حتى  
كأنهما شيء واحد فأبدل أحدهما من الآخر و فائدة تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون إلا ظاهراً و احداً من جملة ظواهرها  
( قال ) أحمد و في التنكير تقليل لمعلومهم و تقليله بقربه من النفي حتى يطابق المبدل منه و روى عن الحسن أنه قال في تلاوته  
هذه الآية بلغ من صدق أحدهم في ظاهر الحياة الدنيا أنه ينقر الدينار بأصبعه فيعلم أجيد هو أم ردىء

( قوله و فل هؤلاء شوكة هؤلاء ) أي كسر أفاده الصحاح

وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بَلَقَاءَ رَبِّهِمْ لَكَفْرُونَ ؕ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ؕ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوْءَىٰ ؕ إِن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ؕ اللَّهُ يَبْدُوهُمُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ؕ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ؕ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ لَهُمْ شُفَعَاؤُا وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ؕ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ بِمَن وَكُنْتُمْ تُخْلِقُونَ ؕ فَمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ؕ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ

الحكمة والتدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت ؕ والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى (أولم يسيروا) تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم العاتية ثم أخذ يصف لهم أحوالهم وأنهم (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض) وحرثوها قال الله تعالى ولاذلول تثير الأرض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمى ثوراً لإثارته الأرض وبقرة لأنها تبقرها أى تشقها (وعمروها) بغير أولئك المدمرون (أكثر مما عمروها) من عمارة أهل مكة وأهل وادى غير ذى زرع ما لهم إثارة الأرض أصلاً ولا عمارة لها رأساً هو إلا أنهم بهم وبضعف حالهم في دنياهم لأن معظم ما يستظهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة وهم أيضاً ضعاف القوى فقوله كانوا أشد منهم قوة أى عاد وثمود وأضرابهم من هذا القبيل كقوله أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وإن كان هذا أبلغ لأنه خالق القوى والقدر ؕ فما كان تدميره إياهم ظلماً لهم لأن حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم ؕ قرئ عاقبة بالنصب والرفع و (السوأى) تأنيث الأسوأ وهو الأقبح كما أن الحسنى تأنيث الاحسن والمعنى أنهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى إلا أنه وضع المظهر موضع المضمراى العقوبة التى هى أسوأ العقوبات فى الآخرة وهى جهنم التى أعدت للكافرين و (أن كذبوا) بمعنى لأن كذبوا ويجوز أن يكون بمعنى أى لأنه إذا كان تفسير الإساءة التكذيب والاستهزاء كانت فى معنى القول نحو نادى وكتب وما أشبه ذلك ووجه آخر وهو أن يكون أساؤا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التى هى أسوأ الخطايا وأن كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو إرادة الإبهام (ثم إليه ترجعون) أى إلى ثوابه وعقابه وقرئ بالياء والياء الإبلاب أى ببقى بئساً سا كناً متحيراً يقال ناظرته فأبلس إذا لم ينبس وينس من أن يحتج ومنه الناقة الملباس التى لا ترغو ؕ وقرئ يبلس بفتح اللام من أبلسه إذا أسكته (من شركائهم) من الذين عبدوهم من دون الله (وكانوا بشركائهم كافرين) أى يكفرون بإلهيتهم ويحسدونها أو وكانوا فى الدنيا كافرين بسببهم ؕ وكتبوا شفيعوا فى المصحف بواو قبل الألف كما كتب علوا بنى إسرائيل وكذلك كتبت السوأى بألف قبل الياء إثباتاً للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها ؕ الضمير فى (يتفرقون) للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن رضى الله عنه هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء فى عليين وهؤلاء فى أسفل السافلين وعن قتادة رضى الله عنه فرقة لا اجتماع بعدها (فى روضة) فى بستان وهى الجنة والتكثير لإبهام أمرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل أرض ذات نبات وماء وفى أمثالهم أحسن من بيضة فى روضة يريدون بيضة النعام (يحبرون) يسرون يقال حبره إذا سره سروراً تهلل له وجهه وظهر فيه أثره

(قوله ويتباهون به أمر الدهقنة) أى الزراعة (قوله إذا لم ينبس) أى لم يتكلم أفاده الصحاح

الْآخِرَةَ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحَضَّرُونَ ۝ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمٰوٰتِ  
وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا  
وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝ وَمِنْ ءآيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذْ آتَاكُمْ بَشَرًا تَنْشُرُونَ ۝ وَمِنْ ءآيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ  
لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَمِنْ ءآيَاتِهِ

ثم اختلفت فيه الأفاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن مجاهد رضى الله عنه يكرهون وعن قتادة بنعمون وعن ابن  
كيسان يحلون وعن أبي بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم  
أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم أعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا أعرابي  
إن في الجنة نهراً حافناه الأبقار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل  
نعيم الجنة قال الراوى فسألت أبا الدرداء بم يتغنين قال بالتسييح وروى إن في الجنة لأشجاراً عليها أجراس من  
فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحاً من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات  
لو سمعها أهل الدنيا لما اتوا طرباً (محضرون) لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لا يفترون عنهم  
لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد وينجى من الوعيد والمراد بالتسييح ظاهره الذى هو  
تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الأوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلاة وقيل  
لابن عباس رضى الله عنهما هل تجدد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وتلا هذه الآية (تمسون) صلواتنا المغرب  
والعشاء (وتصبحون) صلاة الفجر (وعشياً) صلاة العصر و (تظهرون) صلاة الظهر وقوله وعشياً متصل  
بقوله حين تمسون وقوله «وله الحمد في السموات والأرض» اعتراض بينهما ومعناه إن على المميزين كلهم من أهل  
السموات والأرض أن يحمده (فإن قلت) لم ذهب الحسن رحمه الله إلى أن هذه الآية مدنية (قلت) لأنه كان يقول فرضت  
الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم والقول الأكثر أن الخمس إنما فرضت بمكة وعن  
عائشة رضى الله عنها فرضت الصلاة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أقرت صلاة السفر وزيد  
في صلاة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون  
وحين تصبحون الآية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله وكذلك  
تخرجون أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته وفي قراءة عكرمة حيناً تمسون وحيناً تصبحون  
والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً بمعنى فيه (الحى من الميت) الطائر من البيضة و(الميت  
من الحى) البيضة من الطائر وإحياء الأرض إخراج النبات منها (وكذلك تخرجون) ومثل ذلك الإخراج تخرجون  
من القبور وتبعثون والمعنى أن الإبداء والإعادة متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من إخراج الميت من  
الحى وإخراج الحى من الميت وإحياء الميت وإماتة الحى وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء (خلقكم من تراب)  
لأنه خلق أصلهم منه و (إذا) للمفاجأة وتقديره ثم فجأتكم وقت كونكم بشراً منتشرين في الأرض كقوله وبث منهما  
رجالا كثيراً ونساء (من أنفسكم أزواجا) لأن حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال  
أو من شكل أنفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الألف والسكرن وما بين الجنسين  
المختلفين من النافر (وجعل بينكم) التواد والتراحم بعصمة الزواج بعد أن لم تكن بينكم سابقة معرفة واللقاء ولا سبب

(قوله وقرئ الميت بالتشديد) يفيد أن القراءة المشهورة بالتخفيف

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْتَلَفَ السِّنِينَ وَالْوَنَدِ كَمَا فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ وَهْيِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذْ أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ۝ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ

يوجب التعاطف من قرابة أو رحم وعن الحسن رضى الله عنه المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده ۝ ويقال سكر إليه إذا مال إليه كقولهم انقطع إليه واطمأن إليه ومنه السكن وهو الألف المسكون إليه فعل بمعنى مفعول وقيل إن المودة والرحمة من قبل الله وإن الفرق من قبل الشيطان ۝ الألسنة اللغات أو أجناس النطق وأشكاله خالف عز وعلايين هذه الأشياء حتى لا تكاد تسمع منطقتين متفقين في همس واحد ولا جهازة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا أسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله وكذلك الصور وتخطيطها والألوان وتوزيعها واختلاف ذلك وقع التعارف والإفلاو انفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحداً وقع التجاهل والالتياس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رأيت توأمين يشتبهان في الحلية فيعروك الخطأ في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلي وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وفرعوا من أصل فذروهم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله مختلفون متفاوتون ۝ وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها إلا العالمون ۝ هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغائكم من فضله بالليل والنهار إلا أنه فصل بين القريين الأولين بالقرينين الآخرين لأنهما زمانان والزمان والواقع فيه شئ واحد مع إعانة اللف على الاتحاد ويجوز أن يراد منامكم في الزمانين وابتغائكم فيهما والظاهر هو الأول لتكرره في القرآن وأست المعاني ما دل عليه القرآن يسمعونه بالأذان الواعية ۝ في (يريكم) وجهان إضماراً وإنزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعدي خير من أن تراه وقول القائل : وقالوا ما تشاء فقلت أهو ۝ إلى الإصباح أثر ذى أثر (خوفاً) من الصاعقة أو من الإخلاف (وطمعا) في الغيث وقيل خوفاً للسافر وطمعاً للحاضر وهما منصوبان على المفعول له (فإن قلت) من حق المفعول له أن يكون فعلاً لفاعل الفعل المعل والخوف والطمع ليس كذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أن المفعولين فاعلون في المعنى لأنهم راؤن فكانه قيل يجعلكم راين البرق خوفاً وطمعاً والثاني أن يكون على تقدير حذف المضاف) أى إرادة خوف وإرادة طمع فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويجوز أن يكونا حالين أى خائفين وطمعين ۝ وقرئ ينزل بالتشديد (ومن آياته قيام السموات والأرض واستمساكهما بغير عمد) (بأمره) أى بقوله كونا قائمين والمراد بإقامته لهما إرادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله (إذا دعاكم) بمنزلة قوله

قوله تعالى ۝ ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً ، (قال فإن قلت أين نصب خوفاً وطمعاً مفعولاً لهما وليس فعل فاعل الفعل المعل فما وجه ذلك قلت المفعولون هنا فاعلون لأنهم راؤن فتقديره يجعلكم راين البرق خوفاً وطمعاً أو على حذف مضاف تقديره إرادة خوفكم وطمعكم قال أحمد الخوف والطمع من جملة مخلوقات الله تعالى وآثار قدرته وحينئذ يلزم اجتماع شرائط النصب فيهما وهى كونهما مصدرين ومقارنين في الوجود والفاعل الخالق واحد فلا بد من التنبيه على تخريج النصب على غير هذا الوجه فقوله معنى قول الجاهل في المفعول له لا بد وأن يكون فعل الفاعل أى ولا بد أن يكون الفاعل متصفاً به مثاله إذا قلت جئتكم إكراماً لك فقد وصفت نفسك بالإكرام فقلت في المعنى جئتكم مكرماً لك والله تعالى وإن خلق الخوف والطمع لعباده إلا أنه مقدس عن الاتصاف بهما فمن ثم احتجج إلى تأويل النصب على المدهين جميعاً والله أعلم

(قوله وإن الفرق من قبل الشيطان) في الصحاح الفرق بالكسر البعض (قوله وقرئ ينزل بالتشديد) يفيد أن المشهور بالتخفيف



لَهُ قَنُونَ ۚ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ

يربكم في إيقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كآية قال ومن آياته قيام السموات والأرض ثم خروج الموتى من القبور إذا دعاهم دعوة واحدة يا أهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل دعوت كلييا دعوة فكأنما ه دعوت به ابن الطود أو هو أسرع يريد بابن الطود الصدى أو الحجر إذا تدهدى وإنما عطف هذا على قيام السموات والأرض ثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقناده على مثله وهو أن يقول يا أهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت تنظر كما قال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ه قولك دعوته من مكان كذا كما يجوز أن يكون مكانك يجوز أن يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا من أعلى الجبل فنزل على ودعوته من أسفل الوادي فطلع إلى (فإن قلت) بم تعاق (من الأرض) أبالفعل أم بالمصدر (قلت) هيات إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ه (فإن قلت) ما الفرق بين إذا وإذا (قلت) الأولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط ه وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها (قانتون) منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه (وهو أهون عليه) فيما يجب عندكم وينقاس على أصولكم ويقضيه معقولكم لأن من أعاد منكم صنعة شيء كانت أسهل عليه وأهون من إنشائها وتعتذرون للصانع إذا خطئ في بعض ما ينشئه بقولكم أول الغزو أخرج وتسمون الماهر في صناعته معاودا تعنون أنه عاودها كتره بعد أخرى حتى مرن عليها وهانت عليه (فإن قلت) لم ذكر الضمير في قوله وهو أهون عليه والمراد به الإعادة (قلت) معناه وأن يعيده أهون عليه (فإن قلت) لم أخرجت الصلة في قوله وهو أهون عليه وقدمت في قوله هو على هين (قلت) هناك قصدا للاختصاص وهو محزه فمقيل هو على هين وإن كان مستصعبا عندكم أن يولد بين هم وعاقروا ما ههنا فلامعنى للاختصاص كيف والأمر مبنى على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى (فإن قلت) ما بال الإعادة استعظمت في قوله ثم إذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والأرض بأمره ثم هونت بعد ذلك (قلت) الإعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس إلى الإنشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه أن البعث أهون على الخلق من الإنشاء

ه قوله تعالى ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أتمت تخرجون الآية (قال إن قلت ما بال الإعادة استعظمت في قوله ثم إذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والأرض قلت الإعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالنسبة إلى الإنشاء) قال أحمد: إنما بلقي في السؤال تعظيم الإعادة من عطفها ثم إيذانا بتغاير مرتبتها وعلو شأنها وقوله في الجواب إنها هونت بالنسبة إلى الإنشاء لا يخلص فإن الإعادة ذكرت ههنا عقيب قيام السموات والأرض بأمره وقيامهما ابتداء وإنشاء أعظم من الإعادة فيلزم تعظيم الإعادة بالنسبة إلى ما عطف عليه عن الإنشاء ويعود الإشكال والمخاص والله أعلم جعل ثم على بابها لتراخي الزمان لا لتراخي المراتب وإن سلم أنها لتراخي المراتب فعلى أن تكون مرتبة المعطوف عليه العليا ومرتبة المعطوف هي الدنيا وذلك نادر في مجيئها لتراخي المراتب فإن المعطوف حينئذ في أكثر المواضع أرفع درجة من المعطوف عليه والله أعلم ه قوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه (قال) إن قلت لم أخرجت الصلة ههنا وقد قدمت في قوله تعالى هو على هين قلت لأن المقصود مما نحن فيه خلاف المقصد هناك فإنه اختصاص الله تعالى بالقدرة على إيلادهم والعاقروا أما المقصد هنا فلامعنى للاختصاص فيه كيف والأمر مبنى على ما يعتقدونه في الشاهد من أن الإعادة أسهل من الابتداء فلا اختصاص بغير المعنى

(قوله أن يولد بين هم وعاقرو) في الصحاح الهم بالكسر الشيخ الفاني

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَارَزَقِكُمْ فَإِن مِّنْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ

لأن تكويته في حد الاستحكام والتمام أهون عليه وأقل تعباً وكبداً من أن يتنقل في أحوال ويندرج فيها إلى أن يبلغ ذلك الحد وقيل الأهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو أن الإنشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين أن يفعله وأن لا يفعله والإعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لأنها لجزاء الأعمال وجزاؤها واجب والأفعال إما محال والمحال ممتنع أصلاً خارج عن المقدور وأما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لأن الصارف يمنع وجوه الفعل كما يمنع الإحالة وإما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل أن يفعله وأن لا يفعله وإما واجب لا بد من فعله ولا سبيل إلى الإخلال به فكان الواجب أبعد الأفعال من الامتناع وأقربها من الحصول فلما كانت الإعادة من قبيل الواجب كانت أبعد الأفعال من الامتناع وإذا كانت أبعدا من الامتناع كانت أدخلها في التأتى والتسهل فكانت أهون منها وإذا كانت أهون منها كانت أهون من الإنشاء (وله المثل الأعلى) أي الوصف الأعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به ۝ ووصف في السموات والأرض على السنة الخلاق والسنة الدلائل وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله تعالى (وهو العزيز الحكيم) أي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايأ حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الأعلى قول لا إله إلا الله ومعناه وله الوصف الأعلى الذي هو الوصف بالوحدانية وبعضه قوله تعالى ضرب لكم مثلاً من أنفسكم وقال الزجاج وله المثل الأعلى في السموات والأرض أي قوله تعالى وهو أهون عليه قد ضربه لكم مثلاً فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الأول ۝ (فإن قلت) أي فرق بين من الأولى والثانية والثالثة في قوله تعالى من أنفسكم مما ملكت أيمانكم من شركاء (قلت) الأولى للابتداء كأنه قال أخذ مثلاً وانزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم ولم يبعد والثانية للتبعض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النقي ومعناه هل ترضون لأنفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد أن يشارككم بعضهم (فيما رزقناكم) من الأموال وغيرها تكونون أتم وهم فيه على السواء من غير تفصلة بين حر وعبد ۝ تهابون أن تستبدوا بتصرف دونهم وأن تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضاً من الأحرار فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون لرب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد أن يجعلوا بعض عبده له شركاء (كذلك) أي مثل هذا التفصيل (نفصل الآيات)

(قال أحمد) كلام نفيس يستحق أن يكتب بذوب النبر لا بالحبر وإنما يلقى الاختصاص من تقديم ما حقه أن يؤخر وقد علمت مذهبه في مثل ذلك ۝ عاد كلامه (قال) في تقرير معنى قوله وهو أهون عليه الأفعال إما ممتنع عقلاً لذاته وإما ممتنع لصارف بصرف الحكيم عن فعله وإما تفضل يتخير الحكيم فيه بين أن يفعل وأن لا . وإما واجب على الحكيم أن يفعله فالإنشاء الأول من قبيل التفضل . وأما الإعادة فواجبة على الله تعالى لأجل الجزاء فلما كانت واجبة كانت أبعد الأفعال عن الممتنع فلذلك وصفت بالتسهيل وكانت أهون من الإنشاء (قال أحمد) لقد ضل وصد عن السبيل فلا نوافقه ولا نرافقه والحق أن لا واجب على الله تعالى وكل ما ذكره في هذا الفصل نزغات قدرية على أنها أيضاً غير مستقيمة على أصولهم المجتمة فإن مقتضاها وجوب الإنشاء في الحكمة إذ لولا مصلحة أفضت الإنشاء لما وقع تلك المصلحة توجب متعلقها فقد وضع أن المصنف لا إلى معالي السنة رقى ولا في حضيض الاعتزال بقي فله العصمة

(قوله وجزاؤها واجب والأفعال) هذا عند المعتزلة ولا يجب على الله شيء عند أهل السنة كما تقدم في محله  
(قوله فكانت أهون منها) أي من بقية الأفعال

بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من نصيرين ۝ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها  
لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ۝ منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلوة ولا تكونوا  
من المشركين ۝ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون ۝ وإذا مس الناس ضر  
دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا آذاهم منه رحمة إذا فریق منهم برهم يُشركون ۝ ليكفروا بما آتيتهم  
فتمتعوا فسوف تعلمون ۝ أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ۝ وإذا آذنا الناس

أى نيينها لأن التمثيل بما يكشف المعاني ويوضحها لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الأثرى كيف صور الشرك بالصورة  
المشوهة (الذين ظلموا) أى أشركوا كقوله تعالى إن الشرك لظلم عظيم (بغير علم) أى اتبعوا أهواءهم جاهلين لأن العالم  
إذا ركب هواه ربما رده عليه وكفه وأما الجاهل فهم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء (من أضل الله) من خذله  
ولم يلفظ به لعلمه أنه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله بقوله (وما لهم من نصيرين) دليل على أن المراد بالإضلال  
الخذلان (فأقم وجهك للدين) فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته  
عليه وثباته واهتمامه بأسبابه فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وسد إليه نظره وقوم له وجهه مقابله عليه (حنيفاً)  
حال من المأمور أو من الدين (فطرت الله) أى الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله وإنما أضمرته على خطاب الجماعة  
لقوله منيبين إليه ومنيبين حال من الضمير فى الزموا وقوله واتقوه وأقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمير  
والفطرة الخلقة الأثرى إلى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام غير نائين عنه  
ولا منكرين له لكونه مجاوباً للعقل مساوفاً للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه ديناً آخر ومن غوى منهم  
فإغواء شياطين الإنس والجن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالهم الشياطين عن دينهم  
وأمرهم أن يشركوا بى غيرى وقوله عليه السلام ۝ كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه  
وينصرانه (لا تبديل لخلق الله) أى ما ينبغي أن تبدل تلك الفطرة أو تغير (فإن قلت) لم وحد الخطاب أو لأمم جمع  
(قلت) خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً وخطاب الرسول خطاب لأمته مع ما فيه من التعظيم للإمام ثم جمع بعد  
ذلك للبيان والتلخيص (من الذين) بدل من المشركين (فارقداديههم) تركوا دين الإسلام وقرئ فرقوا دينهم بالتشديد أى جعلوه  
أدياناً مختلفة لاختلاف أهوائهم (وكانوا شيعاً) فرقا كل واحدة تشايح إمامها الذى أضلها (كل حزب) منهم فرح مذهبه مسرور  
يحسب باطله حقاً ويجوز أن يكون من الذين منقطعاً مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع  
فرحون على الوصف لكل كقوله ۝ وكل خليل غيرهاضم نفسه ۝ الضر الشدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك ۝ والرحمة  
الخلاص من الشدة واللام فى (ليكفروا) مجاز مثلها فى ليكون لهم عدواً (فتمتعوا) نظير اعملوا ما شئتم (فسوف تعلمون)  
وبال تمتعكم وقرأ ابن مسعود وليتمتعوا ۝ السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به  
القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كأنه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته ۝ وما فى (بما كانوا) مصدرية أى بكونهم بالله  
يشركون ويجوز أن تكون موصولة ويرجع الضمير إليها ومعناه فهو يتكلم بالأمر الذى بسببه يشركون ويحتمل أن

(قوله من أضل الله من خذله) نأوي للإصلاح ذلك مى على به تعالى لا يخاق الشر وهو مذهب المعتزلة وذهب  
أهل السنة إلى أنه يخلق الشر كالخير فالآية على ظاهرها (قوله فاجتالهم الشياطين) أدارتهم فأده الصحاح

رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَاقُوهُمْ يَقْنُطُونَ ۚ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ  
 يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۚ فَآتَتْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ  
 لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۚ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّيرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ  
 اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّكْوَةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ۚ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ  
 ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ ظَهَرَ الْفَسَادُ

يكون المعنى أم أنزلنا عليهم ذا سلطان أى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى بسببه بشر كون ( وإذا  
 أدقنا الناس رحمة) أى نعمة من مطر أو سعة أو صحة (فرحوا بها وإن تصيبهم سيئة) أى بلاء من جذب أو ضيق أو مرض  
 والسبب فيها شؤم معاصيهم فنطروا من الرحمة ۚ ثم أنكر عليهم بأهم قد عدلوا أنه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون  
 من رحمة وما لهم لا يرجعون إليه تائبين من المعاصى التى عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعبدوا لهم رحمة  
 ۚ حق ذى القربى صلة الرحم ۚ وحق المسكين وابن السبيل نصيبتها من الصدقة المسماة لها وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله  
 بهذه الآية فى وجوب النفقة للهارم إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعى رحمه الله لانفقة بالقرابة  
 للأعلى الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لأنه لاولاد بينهم (فإن قلت) كيف تعلق قوله (فآت ذى القربى)  
 بما قبله حتى جرى بالفاء (قلت) لما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن  
 يترك (يريدون وجه الله) يحتمل أن يراد بوجهه ذاته أو وجهته وجانبه أى يقصدون بمعروفهم إياه خالصا وحقه كقوله  
 تعالى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى أو يقصدون جهة التقرب إلى الله لاجهة أخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة  
 مختلفة ۚ هذه الآية فى معنى قوله تعالى يمحى الله الربا ويربى الصدقات سواء بسواء يريد وما أعطيتم أكلة الربا (من ربا  
 ليربوا فى) أموالهم ليزيد ويزكو فى أموالهم فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه (وما آتيتم من زكاة) أى صدقة تبتغون به  
 وجهه خالصا لا تطلبون به مكافأة ولا رياء وسمعة (فأولئك هم المضعفون) ذوو الإضعاف من الحسنات ونظير المضعف  
 المقوى والموسر لذى القوة واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت فى ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد أن يهب الرجل  
 للرجل أو يهدى له ليعوضه أكثر مما وهب أو أهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة  
 وقالوا الربا ربوان فالحرمان كل قرض يؤخذ فيه أكثر منه أو يجر منفعة والذى ليس بحرام أن يستدعى هبته أو هديته  
 أكثر منها وفى الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ وما آتيتم من ربا بمعنى وما غشيتموه أو رهقتموه من إعطاء ربا  
 وقرئ ليربوا أى ليزيدوا فى أموالهم كقوله تعالى «ويربى الصدقات» أى يزيدها وقوله تعالى «فأولئك هم المضعفون» التفات  
 حسن كأنه قال لملائكته وخواص خلقه فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو أمدح لهم من أن  
 يقول فآتتم المضعفون والمعنى المضعفون به لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى ما. ووجه آخر وهو أن يكون تقديره فؤتوه  
 أولئك هم المضعفون والحذف لمافى الكلام من الدليل عليه وهذا أسهل مأخذا والأول أملا بالمائدة (الله) مبتدأ وخبره  
 (الذى خلقكم) أى الله هو فاعل هذه الأفعال الخاصة التى لا يقدر على شئ منها أحد غيره ثم قال (هل من شركائكم) الذين اتخذتموهم  
 أنداد له من الأصنام وغيرها (من يفعل) شيا قط من تلك الأفعال حتى يصح ما ذهبتم إليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم  
 ويجوز أن يكون الذى خلقكم صفة للمبتدأ والخبر هل من شركائكم وقوله (من ذلكم) هو الذى ربط الجملة بالمبتدأ لأن معناه  
 من أفعاله ومن الأولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بنا كيدلتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم (الفساد فى البر والبحر)  
 نحو الجذب والقحط وقلة الربيع فى الزراعات والريج فى التجارات ووقوع الموتان فى الناس والدواب وكثرة الحرق والفرق

فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمَلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٥ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ٥ فَاقْمِ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ٥ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَهُ يَمْهَدُونَ ٥ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ٥ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مَبَشِّرَاتٍ

وإخفاق الصيادين والغاصاة ومحق البركات من كل شيء. وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس أجذبت الأرض وانقطعت مادة البحر وقالوا إذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن أن المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمى الأمصار البحار وقرئ في البر والبحور (بما كسبت أيدي الناس) بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم أخاه وفي البحر بأن جلندي كان يأخذ كل سفينة غصباً وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن الضلال والظلم ويجوز أن يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك (فإن قلت) مامعنى قوله (ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) (قلت) أما على التفسير الأول فظاهر وهو أن الله قد أفسد أسباب دنياهم ومحققها ليعاقبهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه وأما على الثاني فاللام مجاز على معنى أن ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال أعمالهم إرادة الرجوع فكانهم إنما أفسدوا وتسببوا لفشو المعاصي في الأرض لأجل ذلك وقرئ ليعاقبهم بالنون ٥ ثم أكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث أمرهم بأن يسيروا في الأرض فينظروا كيف أهلك الله الأمم وأذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم ودل بقوله (كان أكثرهم مشركين) على أن الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وأن مادونه من المعاصي يكون سبباً لذلك ٥ القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج (من الله) إما أن يتعلق بآتى فيكون المعنى من قبل أن يأتي من الله يوم لا يرده أحد كقوله تعالى فلا يستطيعون ردها أو بمرت على معنى لا يرده هو بعد أن يجيء به ولا رده له من جهته ٥ والمراد مصدر بمعنى الرد (يصدعون) يتصدعون أى يتفرقون كقوله تعالى : ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (فعلية كفره) كلمة جامعة لما لا غاية وراه من المضار لأن من كان ضارته كفره فقد أحاطت به كل مضرّة (فلا أنفسهم يمهدون) أى يسوون لأنفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهده فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما يئيبه عليه وينقص عليه مرقدته من نتوء أو قوض أو بعض ما يؤذى الراقد ويجوز أن يريد فعلى أنفسهم يشفقون من قولهم في المشفق أم فرشت فأنامت وتقديم الظرف في الموضوعين للدلالة على أن ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تتجاوز (ليجزى) متعلق بيمهدون تعليل له (من فضله) مما يتفضل عليهم بعد توفيقه الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لأن الفضل تبع للثواب فلا يكون إلا بعد حصول ما هو تبع له أو أراد من عطائه وهو ثوابه لأن الفضول والفواضل هي الأغطية عند العرب وتكرير (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وك الضمير إلى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن الصالح وقوله (إنه لا يحب الكافرين) تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس (الرياح) هي الجنوب والشمال والصبأ وهي رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحاً ٥ وقد عتد الأغراض في إرسالها وأنه أرسلها للبشارة بالغيث ولإذافة الرحمة وهي

(قوله وإخفاق الصيادين) في الصحاح أحقق الصائد إذا رجع ولم يصطد (قوله ما يئيبه عليه وينقص عليه مرقدته)

أى يرفعه والنتوء الارتفاع والقضض صغار الحصى أفاده الصحاح

وَلِيذِيْقِكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ۝ اللَّهُ الَّذِي يَرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيُبْسِطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَلِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لُمُبْسَلِينَ ۝ فَاَنْظُرْ إِلَى آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ۝ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ

نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الرياح وزكاه الأرض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض وإزالة العفونة من الهواء وتذرية الجيوب وغير ذلك (ولتجرى الفلك) في البحر عند هبوبها ۝ وإنما زاد (بأمره) لأن الرياح قد تهب ولا تكون مؤاتية فلا بد من إرساء السفن والاحتياط لحبسها وربما عصفت فأغرقتها (ولتبتغوا من فضله) يريد تجارة البحر ۝ ولتشكروا النعمة الله فيها (فإن قلت) يم يتعلق وليذيقكم (قلت) فيه وجهان أن يكون معطوفاً على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم وأن يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم ويكون كذا وكذا أرسلنا الطريق المختصر الطريق إلى الغرض بأن أدرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين وقد أخلى الكلام أو لا عن ذكرهما وقوله (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) تعظيم للمؤمنين ورفع من شأنهم وتأهيل لكرامة سنية وإظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظهرهم وقد يوقف على حقاً ومعناه وكان الانتقام منهم حقاً ثم يبدأ علينا نصر المؤمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله تعالى : وكان حقاً علينا نصر المؤمنين (فبسطه) متصلاً تارة (ويجعله كسفاً) أى قطعاً تارة (فترى الودق يخرج من خلاله) في النارين جميعاً والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله تعالى وفرعها في السماء ۝ وبإصابة العباد إصابة بلادهم وأراضيهم (من قبله) من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى : فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها . ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحکم بأسهم وتمادى إبلاهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك ۝ قرئ أثر وأثار على الوحدة والجمع وقرأ أبو حنيفة وغيره كيف تحي أي الرحمة (إن ذلك) يعني أن ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها والذي يحيي الناس بعد موتهم (وهو على كل شيء) من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء (فأواه) فأوا أثر رحمة الله لأن رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير إلى معناه لأن معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لأنه مصدر سمي به ما ينبت ۝ وأثن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط و(اظلوا) جواب القسم سدم سداً الجوابين أعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظن ذقهم الله تعالى بأنه إذا حبس عنهم القطر فظنوا من رحمته و ضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فإذا أرسل ريحاً ف ضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فظنوا وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم

(قوله ولا تكون مؤاتية) في الصحاح آتية على ذلك الأمر مؤاتاة إذا وافقته والعامّة تقول وآتيته (قوله إبلاهم) الإبلال اليأس من الخير والسكرت والانكسار غما وحزنا أفاده الصحاح

إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۖ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّيَّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ۗ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ۗ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ۗ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۗ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۗ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ

يزيدوا على الفرح والاستبشار وأن يصبروا على بلائه فكفروا بالرياح التي اصفر لها النبات يجوز أن تكون حروراً حرجفاً فكلتا هاتين ما يصوح له النبات ويصحح هشياً وقال مصنفراً لأن تلك صفة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرراً لأنه إذا كان كذلك لم يطره قرئ بفتح الصاد وضمها وهما لغتان والضم أقوى في القراءة لما روى ابن عمر رضي الله عنهما قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فأقرأني من ضعف وقرله (خلقكم من ضعف) كقوله خلق الإنسان من عجل يعنى أن أساس أمركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الإنسان ضعيفاً أى ابتدأناكم في أول الأمر ضعفاً وذلك حال الطفولة والنشء حتى بلغت وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة إلى الاكتهال وبلوغ الأشد ثم رددتم إلى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف كقوله تعالى من ماء مهين وهذا الترديد في الأحوال المختلفة والتغير من هيئة إلى هيئة وصفة إلى صفة أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر (الساعة) القيامة سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا ولأنها تقع بغتة وبديهة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علماً لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة ۗ وأرادوا لبثهم في الدنيا أو في القبور أو فيما بين فناء الدنيا إلى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا إلى وقت البعث أربعون قالوا لأنعلم أهي أربعون سنة أم أربعون ألف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وإنما يقدر وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له أو ينسون أو يكذبون أو يخمنون (كذلك كانوا يؤفكون) أى مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون أمرهم على خلاف الحق أو مثل ذلك الإفك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن أنه ما كان إلا ساعة ۗ القائلون هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون (في كتاب الله) في اللوح أو في علم الله وقضائه أو فيما كتبه أى أوجه بحكمته رتدوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه (فإن قلت) مادذه العلم وما حقيقتها (قلت) هي التي في قوله ۗ فقد جئنا خراسانا ۗ وحققتها أنها جواب شرط يدل عليه الكلام كأنه قال إن صح ما قلتم من أن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وأن لنا أن نخلص وكذلك إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث أى فقد تبين بطلان قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك (لا ينفع) قرئ بالياء والتاء (يستعجبون) من قولك استعجبني فلان فأعجبته أى استرضاني فأرضيته وذلك إذا كنت جانياً عليه وحققة أعجبته أذلت عتبه الأثرى إلى قوله :

غضبت تميم أن تقتل عامر ۗ يوم النصار فأعجبوا بالصيلم  
كيف جعلهم غضاباً ثم قال فأعجبوا أى أزيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم أرضوا ربكم بتوبة

(قوله يجوز أن تكون حروراً حرجفاً) في الصحاح الحرجف الريح الباردة وفيه أيضاً صوحته الريح أيبسته (قوله فقد جئنا خراسانا) هو من قوله قالوا : خراسان أقصى ما يراد بنا ۗ ثم الفقول فقد جئنا خراسانا (قوله يوم النصار فأعجبوا بالصيلم) ماء لبني عامر والصيلم الداهية والسيف كذا في الصحاح

وَأَن جُنُودَهُمْ بِنَايَةِ أَيُّ قَوْلٍ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ ۝ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ ۝  
فَاصْبِرْ إِن وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝

### سورة لقمان مكية

إلا الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فمدنية وآياتها ٣٤ نزلت بعد الصفات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ السَّم ۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ

وطاعة ومثله قوله تعالى ولا يخرجون منها ولا هم يستعتبون (فإن قلت) كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها وهو قوله وإن يستعتبوا فسام من المعتين (قلت) أما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه وأما كونهم غير معتبين فعناه أنهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جنى عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين عنه فإن يستعتبوا الله أى يسألوه إزالة ما هم فيه فسام من المجابين إلى إزالته (ولقد) وصفناهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج أسماعهم حديث الآخرة إذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا اجئنا بزور وباطل ۝ ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الإلطف التي ينشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وإنما يمنعها من علم أنها لا تجدى عليه ولا تغنى عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له أن الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدا والرين إياها فكأنه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم أعرق خلق الله في تلك الصفة (فاصبر) على عداوتهم (إن وعد الله) بنصرتك وإظهار دينك على الدين كله (حق) لا بد من إنجاز الوفاء به ۝ ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فإنهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن أبي إسحق ويعقوب ولا يستحقنك أى لا يفتننك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليته

### (سورة لقمان مكية)

وهي أربع وثلاثون آية وقيل ثلاث وثلاثون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الكتاب الحكيم) ذى الحكمة أو وصف بصفة الله تعالى على الإسناد المجازى ويجوز أن يكون الأصل الحكيم قائله مخذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة بعد (هدى ورحمة) بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة وبالرفع على أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف (للمحسنين) للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيقان بالآخرة ونظيره قول أوس الأملعي الذي يظن بك الظن ۝ كان قد رأى وقد سمعا حكى عن الأصمعي أنه سئل عن الأملعي فأنشده ولم يزد أول للذين يعملون جميع ما يحسن من الأعمال ثم خص منهم القائمين

(قوله ومعنى طبع الله منع الإلطف) أوله بذلك بناء على أنه تعالى لا يخلق الشر وهو مذهب المعتزلة وذهب أهل السنة إلى أنه يخلق كالحير فالآية على ظاهرها (قوله وهم أعرق خلق الله) في الصحاح أعرق الرجل أى صار عريقا وهو الذى له عرق في الكرم (قوله قول أوس الأملعي الذى يظن بك) في الصحاح لاملعى الذكى المتوقد قال أوس بن حجر الأملعى الخ



الصلوة ويؤتون الزكاة وهم بالأخرة هم يوقنون ۝ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ۝  
ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين ۝  
وإذا تلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كان لم يسمعها كان في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم ۝ إن الذين آمنوا

بهذه الثلاث بفضل اعتداد بها ۝ اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعمما يعنى و(لهو الحديث) نحو السمر بالأساطير والاحاديث التي لا أصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا يدغى من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقى وما أشبه ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحرث وكان يتجر إلى فارس فيشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشا ويقول إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والآكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قبته فيقول أطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يجل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا أثمانهن وعنه صلى الله عليه وسلم ما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل الغناء منفذة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب (فإن قلت) مامعنى إضافة اللهو إلى الحديث (قلت) معناه التبيين وهي الإضافة بمعنى من وأن يضاف الشيء إلى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى من التبعية كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه ۝ وقوله يشتري إقما من الشراء على ما روى عن النضر من شراء كتب الأعاجم أو من شراء القيان وأما من قوله اشتروا الكفر بالإيمان أى استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق وقرئ (ليضل) بضم الياء وفتحها و(سبيل الله) دين الإسلام أو القرآن (فإن قلت) القراءة بالضم بينة لأن النضر كان غرضه باشتراء اللهو أن يصد الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فامعنى القراءة بالفتح (قلت) فيه معنيان أحدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدق عنه ويزيد فيه ويمدّه فإن المخدول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني أن يوضع ليضل موضع ليضل من قبل أن من أضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف ۝ (فإن قلت) مامعنى قوله (بغير علم) (قلت) لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما رحمت تجارتهم ليضل والضمير للسبيل لأنها مؤنثة كقوله تعالى وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا (ولى مستكبرا) زاقا لا يعابها ولا يرفع بها رأسا ۝ تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع (كان في أذنيه وقرا) أى ثقلا ولا وقر فيها وقرئ بسكون الذال (فإن قلت) ما محل الجملتين المصدرتين بكأن (قلت) الأولى حال من مستكبرا والثانية

(قوله وتعلم الموسيقى وما أشبه ذلك) يونانية ومعناه علم الغناء وبغير راء ذات الغناء كذا قيل (قوله وقيل الغناء منفذة للمال) لعله منفذة بالدال المهملة (قوله كقولك صفة خز وباب ساج) لعله محرف وأصله جبة خز ثم رأبت في رصحاء صفة الدار والسرّج واحدة الصف اه فعل صفة السرج تكون من خز (قوله مستكبرا زاقا لا يعابها) في الصحاح زم أنه أى تكبر فهو زام

وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تُمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَأْبَةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ وَإِذْ قَالَ

مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ اسْتِثْنَائِينَ وَالْأَصْلُ فِي كَأَنَّ الْمُخَفَّفَةَ كَأَنَّهُ وَالضَّمِيرُ ضَمِيرُ الشَّأْنِ (وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا) مُصَدِّرَانِ مُؤَكَّدَانِ الْأَوَّلُ مُؤَكَّدٌ لِنَفْسِهِ وَالثَّانِي مُؤَكَّدٌ لِغَيْرِهِ لِأَنَّ قَوْلَهُ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ فِي مَعْنَى وَعَدَّهُمُ اللَّهُ جَنَّاتِ النَّعِيمِ فَأَكَّدَ مَعْنَى الْوَعْدِ بِالْوَعْدِ وَأَمَّا حَقًّا فَدَالٌ عَلَى مَعْنَى الثَّبَاتِ أَكَّدَ بِهِ مَعْنَى الْوَعْدِ وَمُؤَكَّدُهُمَا جَمِيعاً قَوْلُهُ لَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الَّذِي لَا يَبْغُلُهُ شَيْءٌ وَلَا يَعْجِزُهُ يَقْدِرُ عَلَى الشَّيْءِ وَضَدُهُ فَيُعْطَى النَّعِيمَ مِنْ شَاءٍ وَالْبُؤْسَ مِنْ شَاءٍ وَهُوَ (الْحَكِيمُ) لَا يَشَاءُ إِلَّا مَا تَوَجَّهَ الْحِكْمَةُ وَالْعَدْلُ (تَرَوْنَهَا) الضَّمِيرُ فِيهِ لِلسَّمَوَاتِ وَهُوَ اسْتِشْهَادٌ بِرُؤْيُوتِهِمْ لَهَا غَيْرَ مَعْمُودَةٍ عَلَى قَوْلِهِ بِغَيْرِ عَمَدٍ كَمَا تَقُولُ لِصَاحِبِكَ أَنَا بِلَا سَيْفٍ وَلَا رِمْحٍ تَرَانِي (فَإِنْ قُلْتَ) مَا حَلَّهَا مِنَ الْإِعْرَابِ (قُلْتَ) لِأَنَّهَا مُسْتَأْنَفَةٌ أَوْ هِيَ فِي مَحَلِّ الْجَزْءِ صِفَةٌ لِلْعَمَدِ أَيْ بِغَيْرِ عَمَدٍ مَرْتَبَةٌ يَعْنِي أَنَّهُ عَمَدُهَا بِعَمَدٍ لَا تَرَى وَهِيَ إِسْمَاءُ كَمَا بِقُدْرَتِهِ (هَذَا) إِشَارَةٌ إِلَى مَا ذَكَرَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ ۝ وَالخَالِقُ بِمَعْنَى المَخْلُوقِ وَ (الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) آلِهَتُهُمْ بِكَيْتِهِمْ بِأَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْعَظِيمَةَ مِمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ وَأَنْشَأَهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقْتُمْ أَهْلَكُمْ حَتَّى اسْتَوْجَبُوا عِنْدَكُمْ الْعِبَادَةَ ثُمَّ أَضْرَبَ عَنْ تَبْكِيَّتِهِمْ إِلَى التَّسْجِيلِ عَلَيْهِمْ بِالتَّوَرِّطِ فِي ضَلَالٍ لَيْسَ بَعْدَهُ ضَلَالٌ ۝ هُوَ لُقْمَانُ بْنُ بَاعُورَةَ ابْنِ أُخْتِ أَيُّوبَ أَوْ ابْنِ خَالَاتِهِ وَقِيلَ كَانَ مِنْ أَوْلَادِ آزَرَ وَعَاشِ أَلْفِ سَنَةٍ وَأَدْرَكَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَخَذَ مِنْهُ الْعِلْمَ وَكَانَ يَفْتِي قَبْلَ مَبْعَثِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا بَعَثَ قَطَعَ الْفِتْوَى فَقِيلَ لَهُ فَقَالَ أَلَا أَكْتَفَى إِذَا كَفَيْتَ وَقِيلَ كَانَ قَاضِياً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَكْثَرَ الْأَقْوَابِلِ أَنَّهُ كَانَ حَكِيماً وَلَمْ يَكُنْ نَبِيّاً وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لُقْمَانُ لَمْ يَكُنْ نَبِيّاً وَلَا مَلِكاً وَلَكِنْ كَانَ رَاعِياً أَسْوَدَ فَرَزَقَهُ اللَّهُ الْعَتَقَ وَرَضِيَ قَوْلَهُ وَوَصِيَّتَهُ فَقَصَّ أَمْرَهُ فِي الْقُرْآنِ لِتَسْكُو أَبُو صَيْتِهِ وَقَالَ عَكْرَمَةُ وَالشَّعْبِيُّ كَانَ نَبِيّاً وَقِيلَ خَيْرٌ بَيْنَ النَّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ فَاخْتَارَ الْحِكْمَةَ وَعَنْ ابْنِ الْمُسَيْبِ كَانَ أَسْوَدَ مِنْ سُوْدَانَ مِصْرَ خِيَاطاً وَعَنْ مَجَاهِدٍ كَانَ عَبْدًا أَسْوَدَ غَاطِظَ الشَّفِيقِينَ مَتَشَفِّقَ الْقَدَمِيرِ وَقِيلَ كَانَ نَجَّاراً وَقِيلَ كَانَ رَاعِياً وَقِيلَ كَانَ يَحْطَبُ لِمَوْلَاهُ كُلِّ يَوْمٍ حِزْمَةً وَعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلرَّجُلِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ إِنْ كُنْتُ تَرَانِي غَلِيظَ الشَّفِيقِينَ فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِهِمَا كَلَامٌ رَقِيقٌ وَإِنْ كُنْتُ تَرَانِي أَسْوَدَ فَقَلْبِي أَيْضٌ وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا وَقَفَ عَلَيْهِ فِي مَجْلِسِهِ فَقَالَ أَلَسْتَ الَّذِي تَرَعَى مَعِيَ فِي مَكَانٍ كَذَا قَالَ بَلَى قَالَ مَا بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى قَالَ صَدَقَ الْحَدِيثُ وَالصَّمْتُ عَمَّا لَا يَعْزِينِي وَرَوَى أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَسْرُدُ الدَّرْعَ وَقَدَّ لِي اللَّهُ لَهُ الْحَسِيدُ كَالطَّيْنِ فَأَرَادَ أَنْ يَسْأَلَهُ فَأَدْرَكَتْهُ الْحِكْمَةُ فَسَكَتَ فَلَمَّا أَتَمَّهَا لِبَسْهَا وَقَالَ نَعَمْ لِبُوسِ الْحَرْبِ أَنْتَ فَقَالَ الصَّمْتُ حِكْمَةٌ وَقِيلَ فَاعْلَهُ فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ بِحَقِّ مَا سَمِيتَ حَكِيماً وَرَوَى أَنَّ مَوْلَاهُ أَمْرَهُ بِذَبْحِ شَاةٍ وَبِأَنَّ يَخْرُجُ مِنْهَا أَطِيبٌ مَضْغَتَيْنِ فَأَخْرَجَ اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ ثُمَّ أَمْرَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَأَنَّ يَخْرُجُ أَخْبَثَ مَضْغَتَيْنِ فَأَخْرَجَ اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَعَالَ سَمَّا أَطِيبٌ مَا فِيهَا إِذَا طَابَا وَأَخْبَثَ مَا فِيهَا إِذَا خَبَثَا وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ أَنَّهُ قَالَ لِأَسْوَدَ لَا تَحْزَنْ فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ ثَلَاثَةً مِنَ السُّودَانَ بِلَالٍ وَمُهْجَعٍ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ لُقْمَانَ (إِنْ) هِيَ الْمَفْسَرَةُ لِأَنَّ إِتْيَانَ الْحِكْمَةِ فِي مَعْنَى الْقَوْلِ وَقَدْ نَبَهَ

### (القول في سورة لقمان)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ۝ قَوْلُهُ تَعَالَى هُوَ إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ بَعْضُهُ، الْآيَةُ (ذَكَرَ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافَ الْعُلَمَاءِ فِي نُبُوَّتِهِ وَذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ أَنَّهُ خَيْرٌ بَيْنَ النَّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ فَاخْتَارَ الْحِكْمَةَ) قَالَ أَحْمَدُ فِي مَذَاهِبِهِمْ وَذَلِكَ أَرِ الْحِكْمَةَ دَاخِلَةٌ فِي النَّبُوَّةِ وَقَطْرَةٌ

(قَوْلُهُ غَلِيظَ الشَّفِيقِينَ مَتَشَفِّقٌ) فِي الصَّحَاحِ الشَّفِيقُ الرَّدِيُّ مِنَ الْأَشْيَاءِ يُقَالُ غَطَّاهُ مَشْفَقٌ أَيْ مَقْلَلٌ لَهُ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مَتَشَفِّقٌ بِمَا فِيهِ

لَقَمْنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لِأَتَشْرِكُ بِاللهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهنا  
عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ۝ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ  
بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِمَهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ

الله سبحانه على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسّر إيتاء الحكمة بالبعث  
على الشكر (غنى) غير محتاج إلى الشكر (حميد) حقيق بأن يحمده وإن لم يحمده أحد ۝ قيل كان اسم ابنه أنعم وقال  
الكلبي أشكم وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فزال بهما حتى أسلما (لظلم عظيم) لأن التسوية بين من لانهمة إلهي منه  
ومن لانهمة منه البتة ولا يتصور أن تكون منه ظلم لا يكنته عظمه ۝ أي (حملته) هن (وهنا على وهن) كقولك رجعت  
عودا على بدء بمعنى يعود عوداً على بدء وهو في موضع الحال والمعنى أنها تضعف ضعفاً فوق ضعف أي يتزايد ضعفها  
ويتضاعف لأن الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلاً وضعفاً وقرئ وهناً على وهن بالتحريك عن أبي عمر ويقال وهن  
يوهن ووهن يهن وقرئ وفصله (أن اشكر) تفسير لوصينا (ماليس لك به علم) أراد بنى العلم به نفيه أي لا تشرك بي  
ماليس بشيء يريد الأصنام كقوله تعالى ما يدعون من دونه من شيء (معروفاً) صحاباً أو مصاحباً معروفاً حسناً بخاق  
جميل وحلم واحتمال وبروصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة (واتبع سبيل من أناب إلى) يريد واتبع سبيل المؤمنين في  
دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأموراً بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم إلى مرجعك ومرجعهما فأجازيك على  
إيمانك وأجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الإنسان في صحبتها ومعاشرتهما من مراعاة حق  
الآبوة وتعظيمه ومالهها من المواجه التي لا يسوغ الإخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في الآخرة وروى أنها نزلت  
في سعد بن أبي وقاص وأمه وفي القصة أنها مكثت ثلاثاً لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فها يعود وروى أنه قال لو كانت  
لها سبعون نفساً فخرجت لما ارتدت إلى الكفر (فإن قلت) هذا الكلام كيف وقع في أثناء وصية لقمان (قلت) هو  
كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تأكيداً لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك (فإن قلت) فقوله حملته أمه وهنا  
على وهن وفصله في عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر (قلت) لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم وتعانيه  
من المشاق والمتاعب في حملها وفصله هذه المدة المتطاولة إيجازاً للتوصية بالوالدة خصوصاً وتذكيراً بحقها العظيم مفرداً  
ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من أبر أمك ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك وعن بعض  
العرب أنه حمل أمه إلى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه

أحمل أمي وهي الحماله ۝ ترضعني الدرّة والعلاله ۝ ولا يجازي والدفعاله

(فإن قلت) ما معنى توقيت الفصال بالعامين (قلت) المعنى في توقيته بهذه المدة أنها الغاية التي لا تتجاوز والامر فيما دون  
العامين موكل إلى اجتهاد الأم إن علمت أنه يقوى على الفطام فلها أن تفضمه ويدل عليه قوله تعالى والوالدات يرضعن

من بحرهما وأعلى درجات الحكمة تنحط عن أدنى درجات الأنبياء بما لا يقدر قدره وليس من الحكمة اختيار الحكمة المجردة من  
النبوة ۝ قوله تعالى وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما (قال معناه ماليس بشيء وعبر بنى العلم عن  
نفي المعلوم) قال أحمد هو من باب قوله ۝ على لاجب لا يهتدى بمناره ۝ أي ماليس ياله فيكون لك علم بالآلهية وليس  
كإذ كره في قول فرعون ما علمت لكم من إله غيري وقد مر معناه فيما تقدم ۝ قوله تعالى حملته أمه وهنا على وهن الآية  
(قال فيه تخصيص حق الأم وهو مطابق لبدايته فذكرها في وجوب البر في الحديث المأثور) قال أحمد وهذا من قبيل

(قوله حتى شجروا فها يعود) في الصحاح شجره بالرح أي طعنه

تَعْمَلُونَ ۝ يَبْنِيْ اِنَّهَا ۝ اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمٰوٰتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يٰۤاَتِهَا اِنَّ اِلٰهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ ۝ يَبْنِيْ اَقِمِ الصَّلٰوةَ وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوْفِ وَاَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاَصْبِرْ عَلٰى مَا اَصَابَكَ اِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْاُمُوْرِ ۝ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْاَرْضِ مَرْحًا اِنَّ اِلٰهَ لَاجِبٌ كُلِّ مَخْتَالٍ ۝ نَحُوْرٌ ۝

أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعي رضي الله عنه على أن مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضاءهما وهو مذهب أبي يوسف ومحمد وأما عند أبي حنيفة رضي الله عنه فمدة الرضاع ثلاثون شهراً وعن أبي حنيفة إن فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم أرضعته لم يكن رضاعاً وإن أكل أكل ضعيفاً لم يستغن به عن الرضاع ثم أرضعته فهو رضاع محرم ۝ قرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الإساءة أو الإحسان أي إن كانت مثلاً في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه بكجوف الصخرة أو حيث كانت في العالم العلوي أو السفلي (يأت بها الله) يوم القيامة فيحاسب بها عاملها (إن الله لطيف) يتوصل علمه إلى كل خفي (خبير) عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة وإنما أنت المثقال لإضافته إلى الحبة كما قال ۝ كما شرقت صدر القناة من الدم ۝ وروى أن ابن لقمان قال له رأيت الحبة تكون في مقل البحر أي في مغاصه يعلمها الله فقال إن الله يعلم أصغر الأشياء في أخفى الأماكن لأن الحبة في الصخرة أخفى منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الأرض وهي الشجج ينكتب فيها أعمال الكفار ۝ وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن إذا استقر في وكنته وهي مقره ليلاً (واصبر على ما أصابك) يجوز أن يكون عاماً في كل ما يصيبه من المحن وأن يكون خاصاً بما يصيبه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أذى من يعثمهم إلى الخير وينكر عليهم الشر (إن ذلك) مما عزمه الله من الأمور أي قطعه قطع إيجاب وإلزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل أي لم يقطعه بالنية الأتري إلى قوله عليه السلام لمن لم يبيت الصيام ومنه إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يجب أن يؤخذ بعزائمه وقولهم عزيمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك أن يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك إلا فعلت كذا إذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بدمن فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته أنه من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الأمور أي مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز أن يكون مصدراً في معنى الفاعل أصله من عازمات الأمور من قوله تعالى فإذا عزم الأمر كقولك جد الأمر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وأنها كانت مأموراً بها في سائر الأمم وأن الصلاة لم تزل عظيمة الشأن سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الأديان كلها ۝ تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال أصعر خده وصعره وصاعره كقولك أعلاه وعلاه ومعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى أقل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وشفحته كما يفعل المنكبرون ۝ أراد (ولا تمش) تمرح (مرحاً) أو وقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحاً ويجوز أن يريد ولا تمش لأجل المرح والاشتر أي لا يكن غرضك في المشي البطالة والاشتر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني أو دنيوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس ۝ والمختال مقابل الماشي مرحاً وكذلك

ما يقوله الفقهاء أن اللأم من عمل الولد قبل الحلم جله وهو مما يفيدنا كيد حقها والله أعلم ۝ قوله تعالى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكُن في صخرة (قال فيه هذا من البديع الذي يسمى التميم) قال أحمد يعني أنه تم خفاءها في نفسها بخفاء مكانها من الصخرة وهو من واد قولها كأنه علم في رأسه نار

(قوله للهنة من الإساءة) هن على وزن أخ كلمة كفاية ومعناه شيء وهؤنه هنة والقماءة الصغر والحقارة كذا في الصحاح

وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ۝ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ تَخَّرَ لَكُمْ  
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرًا وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ  
وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ  
الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى

الفخور للبصر خذه كبراً (واقصد في مشيك) واعدل فيه حتى يكون مشياً بين مشيين لاندب ديب المتأوتين ولا تلب  
وثيب الشطار قال رسول الله ﷺ سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وأما قول عائشة في عمر رضى الله عنهما كان إذا  
مشى أسرع فإني أريد السرعة المرتفعة عن ديب المتأوت وقرئ واقصد بقطع الهمزة أى سد في مشيك من أقصد الرامى  
إذا سدد سهمه نحو الرمية (واغضض من صوتك) وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان إذا قصر به ووضع  
منه (أنكر الأصوات) أوحشها من قولك شئ نكر إذا أنكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت والحمير مثل في  
الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجرداً وتفاديهم من اسمه أنهم يكنون عنه ويرغبون عن  
التصريح به فيقولون الطويل الأذنين كما يكنى عن الأشياء المستقدرة وقد عد في مساوى الآداب أن يجرى ذكر الحمير  
في مجلس قوم من أولى المرورة ومن العرب من لا يركب الحمير استنكافاً وإن بلغت منه الرجل فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير  
وتشيل أصواتهم بالنهاق ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة وإن جعلوا حميراً أو صوتهم نهاقاً بالغة شديدة  
في الذم والتهجيز وإفراط في التثييط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبه على أنه من كراهة الله بمكان (فإن قلت) لم وحد صوت  
الحمير ولم يجمع (قلت) ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وإنما المراد أن كل جنس من الحيوان  
الناطق له صوت وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده (ما في السموات) الشمس والقمر  
والنجوم والسحاب وغير ذلك (وما في الأرض) البحار والأنهار والمعادن والدواب وما لا يحصى (وأسغ) وقرئ بالسین  
والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول في سلخ صالخ وفي سقر صقر وفي صالح صالغ وقرئ نعمه ونعمة  
ونعمته (فإن قلت) ما النعمة (قلت) كل نفع قصد به الإحسان والله تعالى خالق العالم كله نعمة لأنه إما حيوان وإما غير  
حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان من حيث أن إيجاده حياً نعمة عليه لأنه لو لا إيجاده حياً لما صح منه الانتفاع وكل  
ما أدى إلى الانتفاع وصححه فهو نعمة (فإن قلت) لم كان خالق العالم مقصوداً به الإحسان (قلت) لأنه لا يخلقه إلا لغرض  
وإلا كان عبثاً والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز أن يكون لغرض راجع إليه من نفع لأنه غنى غير محتاج إلى المنافع فلم  
يبق إلا أن يكون لغرض يرجع إلى الحيوان وهو نفعه (فإن قلت) فما معنى الظاهرة والباطنة (قلت) الظاهرة كل  
ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم إلا بدليل أو لا يعلم أصلاً فكم في بدن الإنسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدى إلى العلم  
بها وقد أكثروا في ذلك فعن مجاهد الظاهرة ظهور الإسلام والنصرة على الأعداء والباطنة الإمداد من الملائكة وعن  
الحسن رضى الله عنه الظاهرة الإسلام والباطنة الستر وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية  
الأعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم  
وما أشبه ذلك ويروى في دعاء موسى عليه السلام إلهى دنى على أخفى نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتى عليهم النفس  
ويروى أن أيسر ما يعذب به أهل النار الأخذ بالأنفاس (أ) يتبعونهم (ولو كان الشيطان يدعوهم) أى في حال

(قوله منه الرجل فتشبيه الرافعين) أى المشى برجله يعنى وإن أتبعه المشى وعدم الركوب وفي الصحاح الرجل بالتحريك  
مصدر قولك رجل بالكسر أى بقى راجلاً (قوله وفي صالح صالغ) في الصحاح سلغت البقرة والشاة إذا أسقطت السن  
التي خلقت السديس والسلوغ في ذوات الأظلاف بمنزلة النزول في ذوات الأظلاف

وَالِىَ اللّٰهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۗ إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ  
بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ نَمْتَعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ  
لَيَقُولنَّ اللّٰهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ لِلّٰهِ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝ وَلَوْ أَنَّ  
فِى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرِ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَا نَفَدْتِ كَلِمَاتُ اللّٰهِ ۗ إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ مَا خَلَقَكُمْ

دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب ۝ قرأ على بن أبي طالب رضى الله عنه ومن يسلم بالتشديد يقال أسلم أمرك وسلم أمرك إلى الله (فإن قلت) ماله عدى يالى وقد عدى باللام فى قوله بلى من أسلم وجهه لله (قلت) معناه مع اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله أى خالصا له ومعناه مع إلى أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه والمراد التوكل عليه والتفويض إليه (فقد استمسك بالعروة الوثقى) من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاقق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من جبل متين مأمون انقطاعه (وإلى الله عاقبة الأمور) أى هى صائرة إليه ۝ قرئ يحزنك ويحزنك من حزن وأحزن والذى عليه الاستعمال المستفيض أحزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر من كفر وكيد للإسلام فإن الله عز وجل دافع كيد فى نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله (إن الله يعلم ما فى صدور عباده فيفعل بهم على حسبه (نمتعهم) زمانا (قليلًا) بدنيهم (ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) شبه إزمامهم التعذيب وإرهاقهم إياه باضطرار المضطر إلى الشيء الذى لا يقدر على الانفكاك منه والغلاظ مستعار من الأجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب (قل الحمد لله) ألزم لهم على إقرارهم بأن الذى خلق السموات والأرض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره ثم قال (بل أكثرهم لا يعلمون) إن ذلك يلزمهم وإذا نهوا عليه لم ينتبهوا (إن الله هو الغنى) عن حمد الحامدين المستحق للحمد وإن لم يحمده ۝ قرئ والبحر بالنصب عطفاً على اسم إن وبالرفع عطفاً على محل إن ومعمولها على ولو ثبت كون الأشجار أقلاما وثبت البحر ممدوداً بسبعة أبحر أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الأشجار أقلام فى حال كون البحر ممدوداً وفى قراءة ابن مسعود وبحر يمدّه على التنكير ويجب أن يحمل هذا على الوجه الأول ۝ وقرئ يمدّه ويمدّه وبالتام والياء (فإن قلت) كان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر ممداد (قلت) أغنى عن ذكر الممداد قوله يمدّه لأنه من قولك مدّ الدواء وأمدّها جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواء وجعل الأبحر السبعة مملوءة ممداداً فهى تصب فيه ممدادها أبداً صبا لا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام وبذلك الممداد كلمات الله لما نفذت كلماته ونفذت الأقلام والممداد كقوله تعالى قل لو كان البحر ممداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى (فإن قلت) زعمت أن قوله والبحر يمدّه فى أحد وجهى الرفع وليس فيه ضمير راجع إلى ذى الحال (قلت) هو كقوله ۝ وقد امتدى والطير فى وكناتها ۝ وجئت والجيش مصطف وما أشبه ذلك من الأحوال التى حكمها حكم الظروف ويجوز أن يكون المعنى وبحرها والضمير للأرض (فإن قلت) لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذى هو شجر (قلت) أريد تفصيل الشجر وتفصيلها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا فند

۝ قوله تعالى « ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ » (قال شبه إزمامهم التعذيب باضطرار المضطر إلى الشيء الذى لا يقدر على الانفكاك منه) قال أحمد وتفسير هذا الاضطرار فى الحديث فى أنهم لشدة ما يكابدون من النار يطلبون البرد فيرسل الله عليهم الزمهرير فيكون عليهم كشدّة اللهب فيتمنون عود اللهب اضطراراً فهو إخبار عن اضطرار وبأذبال هذه البلاغة تعلق الكندى حيث يقول : يرون الموت قدما وخلفا ۝ فيختارون والموت اضطرار

(قوله ومعمولها على ولو ثبت) لعله على معنى ولو الخ

وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنْفُسٌ وَاحِدَةٌ إِنْ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَايَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلُمِ دَعَاؤُا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمَنْ مَقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي الْبِرَّ فَتْمَهُمْ مَقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي

بريث أقلاما (فإن قلت) الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله (قلت) معناه إن كلفه لانه لا تنق بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد أوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل إن المشركين قالوا إن هذا يعنون الوحي كلام سينفذ فأعلم الله أن كلامه لا ينفذ وهذه الآية عند بعضهم مدنية وأنها نزلت بعد الهجرة وقيل هي مكية وإنما أمر اليهود وقد قرئ أن يقولوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ألتست تلوها فيما أنزل عليك إننا قد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء (إن الله عزيز) لا يعجزه شيء (حكيم) لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفذ كلماته وحكمه (إلا كنفس واحدة) إلا كلفها وبعثها أي سواء في قدرته القليل والكثير. الواحد والجمع لا يتفاوت وذلك أنه إنما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد أن لو شغله شأن عن شأن وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك (إن الله سميع بصير) يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله إدراك بعضها عن إدراك بعض فكذلك الخلق والبعث كل واحد من الشمس والقمر يجرى في فلكه ويقطعه إلى وقت معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر وعن الحسن الأجل المسمى يوم القيامة لأنه لا ينقطع جريهما إلا حينئذ دل أيضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النهرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير حساب وياحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته (فإن قلت) يجرى لأجل مسمى ويجرى إلى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين (قلت) كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا بلبد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لأن قولك يجرى إلى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي إليه وقولك يجرى لأجل مسمى تريد يجرى لإدراك أجل مسمى تجعل الجرى مختصا بإدراك أجل مسمى ألا ترى أن جرى الشمس مختص بآخر السنة وجرى القمر مختص بآخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه (ذلك) الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الأحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله إنما هو بسبب أنه هو الحق الثابت إلهيته وأن من دونه باطل الإلهية (وأن الله هو العلي) الشأن (الكبير) السلطان أو ذلك الذي أوحى إليك من هذه الآيات بسبب بيان أن الله هو الحق وأن إلهاء غيره باطل وأن الله هو العلي الكبير عن أن يشرك به ۝ قرئ الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل على مذهب التعويض ۝ وبنعمات الله يسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الفتح والكسر والسكرن (بنعمة الله) يا حسانه ورحمته (صبار) على بلائه (شكور) لنعماته وهما صفتا المؤمن فكأنه قال إن في ذلك آيات لكل مؤمن ۝ يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظل والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحب أو غيرهما ۝ وقرئ كالظلال جمع ظلة كقطة وقلال (فمنهم مقتصد) متوسط في الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار أو مقتصد في الإخلاص الذي كان عليه في البحر يعني أن ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لا حد فقط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله في البحر والخرأشد الغدر ومنه قولهم إنك لا تمد لنا شرأ من غدر إلا مددنا لك باعاً من ختر قال : وإنك لو رأيت أبا عمير ۝ ملأت يديك من غدر وختر

(قوله إلا بلبد الطبع ضيق العطن) في الصحاح أنه مبرك الإبل عند الماء لتشرب عللا بعد نمل

وَالِدٍ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودَ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا  
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝

(لايجزى) لا يقضى عنه شيئاً ومنه قيل للتفاضل المتجازى وفي الحديث في جذاعة بن نيار تجزى عنك ولا تجزى عن أحد بعدك وقرئ لايجزى لا يغنى يقال أجزاء عنك مجزأ فلان والمعنى لايجزى فيه حذف (الغرور) الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيم في المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه الغرة بالله أن يتأدى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيئاتك غره وقرئ بضم العين وهو مصدر غره غروراً وجميل الغرور غاراً كما قيل جد جدته أو أريد زينة الدنيا لأنها غرور (فإن قلت) قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه (قلت) الأمر كذلك لأن الجملة الإسمية آكد من الفعلية وقد انضم إلى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم في الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن يغفروا عنهم من الله شيئاً فلذلك جرى به على الطريق الآكد ومعنى التوكيد في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع الأب الأدنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلاً أن يشفع لمن فوقه من أجداده لأن الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك ۝ روى أن رجلاً من محارب وهو الحرث بن عمرو بن حارثة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن الساعة متى قيامها وإني قد أقيت حباتي في الأرض وقد أبطأت عنا السماء فمتى تمطر وأخبرني عن امرأتى فقد اشتملت ما في بطنها أذكر أم أنثى وإني عدت ما عدت أمس فما عمل غداً وهذا مولدي قد عرفته فإين أموت فنزلت وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس وتلاهذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب إياكم والكهانة فإن الكهانة تدعو إلى الشرك والشرك وأهله في النار وعن المنصور أنه أهمه معرفة مدة عمره فرأى في منامه كأن خيالا أخرج يده من البحر وأشار إليه بالأصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتأولوها بخمس سنين وبخمس أشهر وبغير ذلك حتى قال أبو حنيفة رحمه الله تأويلها أن مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله وأن ما طلبت معرفته لا سبيل لك إليه (عنده علم الساعة) أيان مرساها (ويزل الغيث) في إبانة من غير تقديم ولا تأخير وفي بلد لا يتجاوز به (ويعلم ما في الأرحام) اذكر أم أنثى أم ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الأحوال (وما تدرى نفس) برة أو فاجرة (ماذا تكسب غداً) من خيراً أو شروراً بما كانت عازمة على خير فعملت شراً وعازمة على شر فعملت خيراً (وما تدرى نفس) أين تموت وربما أقامت

قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم إلى قوله شيء (قال إن قلت لم أكد الجملة الثانية يون الأولى قلت لأن أكثر المسلمين كان آباؤهم قد ماتوا على الكفر فلما كان إغناء الكافر عن المسلم بعيداً لم ينجح تأكيدها ولما كان إغناء المسلم عن الكافر قد يقع في الأوهام أكد نفيه (قال أحمد وهذا الجواب تتوقف صحته على أن هذا الخطاب كان خاصاً بالموجودين حينئذ والصحيح أنه عام لهم ولكل من ينطلق عليه اسم الناس فالجواب المعتبر والله أعلم أن الله تعالى لما أكد الوصية على الآباء وقرن شكرهم بوجوب شكره عز وجل وأوجب على الولد أن يكفى والده ما يسوره بحسب نهاية إمكانه قطع ههنا وهم الوالد في أن يكون الولد في القيامة مجزيه بحقه عليه ويكفيه ما يلقاه من أهوال القيامة كما أوجب الله عليه في الدنيا ذلك في حقه فلما كان إجزاء الولد عن الوالد مظنون الوقوع لأن الله حضه عليه في الدنيا كان جديراً بتأكيد

(قوله وقرئ لايجزى لا يغنى) لعله أي لا يغنى (قوله للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم) أي أشرفهم وعظماؤهم وقوله قبض آباؤهم لعله قبض آباؤهم على أنه فعل ونائب فاعل والجملة خبر عن عليهم



## سورة السجدة مكية

إلا من آية ۱۶ إلى غاية آية ۲۰ فمدنية وآياتها ۳۰ نزلت بعد المؤمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَأُرِيَبَ فِيهِ مِنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبَهُ بَلْ هُوَ  
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ يدبر

بأرض وضرت أوتادها وقالت لا أبرحها وأقبر فيها فترى بهامراى القدرحتى تموت فى مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها  
به ظنونها وروى أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فقال الرجل من هذا قال  
ملك الموت فقال كأنه يريدنى وسأل سليمان أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام  
نظرى إليه تعجبا منه لأنى أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما فى الدراية من معنى الختل  
والحيله والمعنى أنها لا تعرف إن أعملت حيلها ما يلصق بها ويخص ولا يتخطاها ولا شىء أخص بالإنسان من كسبه وعاقبته  
فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما أبعد وقرئ بأية أرض وشبهه سيويه تأنيث أى بتأنيث كل  
فى قولهم كلتهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطى من الحسنات  
عشرا عشرة بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

﴿ سورة السجدة مكية وهى ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الم) على أنها اسم السورة مبتدأ خبره (تنزيل الكتاب) وإن جعلتها تعديدا للحروف  
ارتفع تنزيل الكتاب بأنه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره (لأريب فيه) والوجه أن يرتفع بالابتداء وخبره  
(من رب العالمين) ولأريب فيه اعتراض لا محل له والضمير فى فيه راجع إلى مضمون الجملة كأنه قيل لأريب فى ذلك  
أى فى كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله (أم يقولون افتراه) لأن قولهم هذا مفترى إنكار لأن يكون  
من رب العالمين وكذلك قوله (بل هو الحق من ربك) وما فيه من تقدير أنه من الله وهذا أسلوب صحيح محكم أثبت  
أولا أن تنزيله من رب العالمين وأن ذلك مالا ريب فيه ثم أضرب عن ذلك إلى قوله أم يقولون افتراه لأن أم هى  
المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة إنكاراً لقولهم وتعجيباً منه لظهور أمره فى عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ثم  
أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق من ربك ونظيره أن يعلل العالم فى المسئلة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها  
أنواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر أول الأفعال الواجبة على الإطلاق التى لا يعرى عن وجوبها مكلف ثم يعترض  
عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص أنه احترز من ذلك ثم يعود إلى تقرير كلامه وتمشيطه (فإن قلت)  
كيف نفى أن يرتاب فى أنه من الله وقد أثبت ما هو أطم من الريب وهو قولهم افتراه (قلت) معنى لأريب فيه أن لا مدخل  
للريب فى أنه تنزيل الله لأن نافية الريب وميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله أبعد شىء من الريب  
وأما قولهم افتراه فيما قول متعنت مع علمه أنه من الله لظهور الإعجاز له أو جاهل بقوله قبل التأمل والنظر لأنه سمع  
الناس يقولونه (ما أتاهم من نذير من قبلك) كقولهم ما أنذر آباؤهم وذلك أن قريشاً لم يبعث الله إليهم رسولا قبل محمد صلى الله

الذى لإزالة هذا الوهم ولا كذلك العكس فهذا جواب كاف شاف للعليل إن شاء الله تعالى

﴿ القول فى سورة السجدة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وقوله تعالى لتندرقوما ما أتاهم من نذير من قبلك (قال يعنى قريشاً لأنهم لم يبعث لها نبي قط فإن قلت

الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۚ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ  
وَالشَّهِدَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۚ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۚ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ  
مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۚ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۚ

عليه وسلم (فإن قلت) فإذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة (قلت) أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها إلا بالرسول فلا وأما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لأن أدلة العقل الموحدة إلى ذلك معهم في كل زمان (لعلمهم يهتدون) فيه وجهان أن يكون على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعلمه يتذكر على الترجي من موسى وهرون عليهما السلام وأن يستعار لفظ الترجي للإرادة (فإن قلت) ما معنى قوله (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع) (قلت) هو على معنيين أحدهما أنكم إذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم ولياً أى ناصرأ ينصركم ولا شفيعاً يشفع لكم والثاني أن الله وليكم الذى يتولى مصالحكم وشفيعكم أى ناصركم على سبيل المجاز لأن الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فإذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير (الامر) المأمور به من الطاعات والأعمال الصالحة ينزله مدبراً (من السماء إلى الأرض) ثم لا يعمل به ولا يصعد إليه ذلك المأمور به خالصاً كما يريد ويرتضيه إلا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخاص من عباده وقلة الأعمال الصاعدة لأنه لا يوصف بالصعود إلا الخالص ودل عليه قوله على أثره قليلاً ما تشكرون أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء إلى الأرض لكل يوم من أيام الله وهو ألف سنة كما قال وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون (ثم يعرج إليه) أى يصير إليه ويثبت عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الأمر ويدخل تحت الوجود إلى أن تبلغ المدة آخرها ثم يدبر أيضاً ليوم آخر وهلم جرا إلى أن تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السماء إلى الأرض ثم يرجع إليه ما كان من قبول الوحي أو رده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة ألف سنة لأن المسافة مسيرة ألف سنة في الهبوط والصعود لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من أيامكم لسرعة جبريل لأنه يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد وقيل يدبر أمر الدنيا من السماء إلى الأرض إلى أن تقوم الساعة ثم يعرج إليه ذلك الأمر كله أى يصير إليه ليحكم فيه (في يوم كان مقداره ألف سنة) وهو يوم القيامة وقرأ ابن أبي عمير يعرج على البناء للمفعول ۚ وقرئ يعدون بالبناء والياء (أحسن كل شيء) حسنة لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة وأوجبه المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن كما قال لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وقيل علم كيف يخلق من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته أى يعرفه معرفة حسنة بتحقيق وإتقان ۚ وقرئ خلقه على البدل أى أحسن فقد خلق كل شيء وخلق على الوصف أى كل شيء خلقه فقد أحسنه ۚ سميت الذرية نسلاً لأنها تنسل منه أى تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل و (سواه) قومه كقوله تعالى في أحسن تقويم ۚ ودلّ بأضافة

إن لم يتقدم بعث نبي إليهم فيما قامت عليهم الحجة قلت قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها إلا بالرسول لا سبيل إليه وأما قيامها بمعرفة الله تعالى وتوحيده وحكمته فنعم لأن أدلة العقل معهم في كل زمان) قال أحمد مذهب أهل السنة أنه لا يدرك علم شيء من أحكام الله تعالى التكليفية إلا بالشرع وما ذكره الزمخشري تفرع على قاعدة التحسين والتقيح بالعقل وقد يجها السمع فلم يبح بها القلم فأعرض

(قوله أى أحسن فقد خلق كل شيء) لعل لفظ فقد مزيد من قلم الناسخ وعبارة النسب على البدل أى أحسن خلق كل شيء ويمكن أنه ليس مزيداً بل هذا حاصل المعنى على البدل كما أن عكسه الآن هو حاصل المعنى على الوصف (قوله وتخرج من صلبه ونحوه) لعل قبله سقطاً تقديره كما سميت النطفة سلالة لأنها تسلس منه ، وفي الصحاح النجل النسل ونجله أبوه أى ولده

وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا أَنفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ۝ قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ  
الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُنْجِرُونَ نَارَ كُورٍ وَأُرْسِبُهَا عَلَيْهِمْ لِصِغَارِ رَبِّهِمْ أَضْرَابًا  
وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ

الروح إلى ذاته على أنه خالق عجيب لا يعلم كنهه إلا هو كقوله ويسألونك عن الروح الآية كأنه قال ونفخ فيه من الشيء  
الذي اختص هو به وبمعرفة (وقالوا) قيل القائل أبي بن خلف ولرضاهم بقوله أسند إليهم جميعاً ۝ وقرئ أئنا وأنا على  
الاستفهام وتركه (ضللنا) صرنا تراباً وذهبنا مختلطين بتراب الأرض لا تميز منه كما يضل الماء في اللبن أو غبنا (في الأرض)  
بالدفن فيها من قوله ۝ وآب مضلوه بعين جلية ۝ وقرأ على وابن عباس رضي الله عنهما ضللنا بكسر اللام يقال ضل  
يضل وضل يضل وقرأ الحسن رضي الله عنه ضللنا من صل اللحم وأصل إذا أنتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي  
الأرض (فإن قلت) بم انتصب الظرف في أئنا ضللنا (قلت) بما يدل عليه إنالني خلق جديد وهو نبعت أو يجدد  
خلقنا ۝ لقاء ربهم هو الوصول إلى العاقبة من تاتي ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء أضرب عنه إلى  
ما هو أبلغ في الكفر وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده الأتري كيف خوطبوا بتوفي ملك  
الموت وبالرجوع إلى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا ۝ والتوفي استيفاء  
النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى الأنفس وقال أخرجوا أنفسكم وهو أن يقبض كلها لا يترك منها شيء من  
قولك توفيت حتى من فلان واستوفيته إذا أخذته وأفيا كاملاً من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع  
منها تفصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد رضي الله عنه حويت لملك الموت الأرض وجعلت له مثل  
الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم ومعه أعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الأرواح فجيبه  
ثم يأمر أعوانه بقبضها (ولوترى) يجوز أن يكون خطاباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان أن يراد به التمني  
كأنه قال ولتتري كقوله صلى الله عليه وسلم للبعيرة لو نظرت إليها والتمني لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجي  
له في لعابهم يهدون لأنه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمنى أن يراهم على تلك الصفة  
الفظيعة من الحياء والحزى والغم ليشمت بهم وأن تكون لوالامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت أمراً فظيماً أول رأيت  
أسوأ حال ترى ويجوز أن يخاطب به كل أحد كما يقول فلان لئيم إن أكرمه أهاذك وإن أحسنت إليه أساء إليك  
فلا تريد به مخاطباً بعينه فكأنك قلت إن أكرم وإن أحسن إليه ولو واذ كلاهما المضي وإنما جاز ذلك لأن المترقب  
من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لترى ما يتناول له كأنه قيل ولو تكون منك الرؤية وإذا ظرف له ۝ يستغيثون  
بقولهم (ربنا أبصرنا وسمعنا) فلا يغاثون يعني أبصرنا صدق وعدك ووعدك وسمعنا منك تصديق رسلك أو كنا عمياً  
وصماً فأبصرنا وسمعنا (فارجعنا) هي الرجعة إلى الدنيا (لآتيننا كل نفس هداها) على طريق الإلجاء والقسر ولكننا بنينا  
الأمر على الاختيار دون الاضطرار فاستجوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على أهل العمى دون البصراء الأتري

عنه حتى يخوض في حديث غيره وإنما قامت الحججة على العرب بمن تقدم من الرسل إليهم كأبيهم إسماعيل وغيره والمراد بقوله تعالى ما  
أتاهم من نذير يعني ذرية العرب في زمانه عليه الصلاة والسلام إذ لم يبعث إليهم نذير معاصر فلطف الله تعالى بهم وبعث فيهم رسولا منهم

(قوله ولكننا بنينا الأمر على الاختيار) لما أوجب المعتزلة على الله الصلاح قالوا إنه قد شاء الهدى للكل ولكن  
مشيئة تخيير لأمشيئة إجبار فلذا لم يهد الكل بل البعض ولو شاء مشيئة قسر لاهتدى الكل وأهل السنة لم يوجبوا على الله  
شيئاً وقالوا كل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن خيراً كان أو شراً واستلزام الإرادة لوقوع المراد لا يستلزم القسر والإجبار  
للعباد لما لهم من الكسب في أفعالهم وإن كانت في الحقيقة مخلوقة لله تعالى كما تقرر في علم التوحيد

جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ آتَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ۝ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا

إلى ما عقبه به من قوله (فذوقوا بما نسيتم) لجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني أن الانهماك في الشهوات أذهلكم وأهلكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال (إننا نسيناكم) على المقابلة أي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك أي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استئناف قوله (إننا نسيناكم) وبناء الفعل على أن واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا أي ما أتم فيه من نكس الرأس والحزى والغم بسبب نسيان اللقاء ۝ وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة (إذا ذكروا بها) أي وعظوا وسجدوا واتواضعوا وخشوعا وشكرا أعلى ما رزقهم من الإسلام (وسبحوا بحمد ربهم) ونزهوا الله من نسبة القبائح إليه وأثنوا عليه حامدين له (وهم لا يستكبرون) كما يفعل من بصر مستكبرا كأن لم يسمعها ومثله قوله تعالى إن الذين أتوا العلم من قبله إذا تبلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا (تتجافى) ترتفع وتتحنى (عن المضاجع) عن الفرش ومواضع النوم داعين ربهم عابدين له لأجل خوفهم من سخطه وطعمهم في رحمته وهم المتمجدون وعن رسول الله ﷺ في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن رضى الله عنه أنه التجدد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقيم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقيم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وعن أنس بن مالك رضى الله عنه كان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها (ما أخفى لهم) على البناء للفعل ما أخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وما أخفى لهم وما أخفى لهم وما أخفيت لهم الثلاثة للتكلم وهو الله سبحانه وما بمعنى الذى أو بمعنى أى ۝ وقرئ من قرّة أعين وقرات أعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل أى نوع عظيم من الثواب ادخر الله لأولئك وأخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه إلا هو بما تقربه عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال (جزاء بما كانوا يعملون) لحسم أطماع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين

۝ (قوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون قال معناه بما كنتم تعملون من الكفر والكبائر الموبقة) قال أحمد قد تمهد عن مذاهب أهل السنة أن المقتضى لاستحقاق الخلود في العذاب هو الكفر خاصة وأما ما دونه من الكبائر فلا يوجب خلودا والمسئلة سمعية وأدلتها من الكتاب والسنة قطعية خلافا للقدرية ۝ قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون (قال هذا حسم لأطماع المتمنين) قال أحمد يشير إلى أهل السنة لا اعتقادهم أن المؤمن العاصى موعود بالجنة ولا بد من دخوله إياها وفاء بالوعد الصادق وأن أحدا لا يستحق على الله بعمله شيئا فلما وجد قوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون اغتم الفرصة في الاستشهاد على معتقد القدرية في أن الأعمال أسباب موجبة للجزاء ولادليل في ذلك لمعتقدهم مع قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله قيل ولأنت يا رسول الله قال ولأنا إلا أن

(قوله والكبائر الموبقة) أى المهلكة (قوله وما بمعنى الذى أو بمعنى أى وقرئ) لعله أى شئ

وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا  
 أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝ وَلَنذِيقَنَّهُمْ  
 مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا

ملاعین رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر به ما أطلعتمهم عليه اقرؤا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة  
 أعین وعن الحسن رضى الله عنه أخفى القوم أعمالا فى الدنيا فأخفى الله لهم ملاعین رأت ولا أذن سمعت (كان مؤمنا)  
 و (كان فاسقا) محمولان على لفظ من و (لا يستون) محمول على المعنى بدليل قوله تعالى (أما الذين آمنوا ۝ وأما الذين فسقوا)  
 ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك و (جنات المأوى) نوع من الجنان قال الله تعالى ولقد  
 رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال تأوى إليها  
 أرواح الشهداء وقيل هى عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد (نزلا) عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار  
 عاما (فما وهم النار) أى ملجؤهم ومنزلهم ويجوز أن يراد الجنة مأواهم النار أى النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم  
 بعذاب أليم (العذاب الأدنى) عذاب الدنيا من القتل والأسر وما نحوها به من السنة سبع سنين وعن مجاهد رضى الله عنهما عذاب  
 القبر و (العذاب الأكبر) عذاب الآخرة أى نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة (لعلهم يرجعون) أى  
 يتوبون عن الكفر أو لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله تعالى فارجعنا لعمل صالحنا وسميت إرادة الرجوع رجوعا  
 كما سميت إرادة القيام قياما فى قوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة وبدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول (فإن قلت)  
 من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله إرادة وإذا أراد الله شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون الا ترى أنها  
 لو كانت مما لا يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الأكبر (قلت) إرادة الله تتعلق بأفعاله وأفعال عباده فإذا أراد شيئا من

يتعمدنى الله بفضل منه ورحمة فهذا الحديث يوجب حمل الآية على وجه يجمع بينها وبينه وذلك إيمان تحمل الآية على  
 أن المراد منها قسمة المنازل بينهم فى الجنة فإنه على حسب الأعمال وليس بذلك فإن المذكور فى الآية مجرد دخول الجنة  
 لا اقتسام درجاتها وإيمان تحمل وهو الظاهر والله أعلم على أن الله تعالى لما وعد المؤمن جنته ووعدده يجب أن يكون  
 حقا وصدقا تعالى وتقدس صارت الأعمال بالوعد كأنها أسباب موجبات فعولت فى هذه العبارة معاملتها والمقصود  
 من ذلك تأكيد صدق الوعد فى النفوس وتصوره بصورة المستحق بالعمل كالأجرة المستحقة شاهدا على العمل من باب  
 مجاز التشبيه والله أعلم وذكر الرمحشرى الحديث المشهور وهو أعددت لعبادى الصالحين ملاعین رأت ولا أذن سمعت  
 ولا خطر على قلب بشر اقرؤا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعین وكان جدى رحمه الله يستحسن أن تقرأ  
 الآية تلو الحديث المذكور بسكون الباء من أخفى وردة إلى المتكلم وهى من القراءات المستفيضة والسبب فى اختيار  
 ذلك مطابقة صدر الحديث وهو أعددت لعبادى ملاعین رأت ولا أذن سمعت ليكون الكل راجعا إلى الله تعالى  
 مسندا إلى ضمير اسمه عز وجل صريحا والله الموفق ۝ قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم  
 يرجعون (قال) معناه لعلهم يتوبون فإن قلت من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله إرادة وإذا أراد الله شيئا كان  
 وتوبتهم مما لا يكون لأنهم لو تابوا لم يكونوا ذائقين العذاب الأكبر قلت إرادة الله تعالى تتعلق بأفعاله وأفعال عباده

(قوله ولا خطر على قلب بشر به ما) فى الصحاح به كلمة مبنية على الفتح مثل كيف ومعناها دع كما أجازة الألفش  
 فى قول كعب بن مالك تذر الجماجم ضاحيا هاماتها ۝ به الألف لم تخلق ويقال معناه سوى وفى الحديث  
 أعددت لعبادى الخ (قوله وما نحوها به من السنة) أى المجذبة أو المراد بها الجذب كما يؤخذ من الصحاح

إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُم

أفعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلص الداعي وأما أفعال عباده فيما أن يريدوا وهم يختارون لها أو مضطرون إليها بقسره وإجباره فإن أرادها وقد قسرها عليها فحكم أفعاله وإن أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدر ذلك في اقتداره كما لا يقدر في اقتدارك إرادتك أن يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لأن اختياره لا يتعلق بقدرتك وإذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقهه دالاً على عجزك وروى في نزولها أنه شجر بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن أبي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فإنك صبي أنا أشب منك شباباً وأجلد منك جلداً وأذرب منك لساناً وأحدمك سناناً وأشجع منك جناها وأملأ منك حشواً في الكتبية فقال له علي رضي الله عنه اسكت فإنك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتبارك الله عما يشركون وكل من كان في مثل حالهما وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال للوليد كيف تشتم علياً وقد سماه الله مؤمناً في عشر آيات وسماك فاسقاً ۝ ثم في قوله (ثم أعرض عنها) للاستبعاد والمعنى أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تذهزها استبعاداً لتركه الاتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة لا يكشف الغم إلا ابن حزة ۝ يرى غمرات الموت ثم يزورها

استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدتها ۝ (فإن قلت) هلا قيل إنا منه منتقمون (قلت) لما جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه العائدة (الكتاب) للجنس والضمير في (لقائه) له ومعناه إنا آتينا موسى عليه السلام مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناك مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من أنك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله تعالى «فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك» ونحو قوله من لقائه قوله «وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم» وقوله «ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً» ۝ وجعلنا الكتاب المنزل على موسى عليه السلام (هدى) لقومه (وجعلنا منهم أمة يهدون) الناس ويدعونهم إلى ماني التوراة من دين

فإذا أراد شيئاً من أفعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلص الداعي وأما أفعال عباده فيما أن يريدوا وهم يختارون لها أو مضطرون إليها بقسره فإن أرادها وقد قسرها عليها فحكم أفعاله وإن أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدر ذلك في اقتداره كما لا يقدر في اقتدارك إرادتك أن يختار عبدك الطاعة لك وهو لا يختارها لأن اختيارها لا يتعلق بقدرتك فلا يكون فقهه عجزاً منك (قال أحمد) هذا الفصل ردى جداً مفرغ على الإشراك الجلي لاعلى الإشراك الخفي فاعتصم بدليل الوجدانية على رده واجتنابه من أصله والله المستعان وإنما جزه في تفسير لعل إلى الإرادة والحق في تفسيرها أنها لترجي المخاطبين امتناع الترجي على الله تعالى كذا فسرها سيديويه فيما تقدم والله أعلم ۝ قوله تعالى «وأما الذين فسقوا فمأواهم النار» (قال سبب نزولها أنه شجر بين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والوليد بن عقبة يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فإنك صبي أنا أشب منك شباباً وأجلد منك جلداً وأذرب لساناً وأحدمك سناناً وأشجع منك جناها وأملأ حشواً في الكتبية فقال له علي اسكت فإنك فاسق قال الزمخشري فنزلت عامة للمؤمنين والكافرين تناولها معاً) قال أحمد ذكر للسبب المحقق لأن المراد بالفاسق وبالذين فسقوا الذين كفروا لأنها نزلت في

(قوله ومنها لم يقدر ذلك في اقتداره) أي عدم وقوعها وعدم اختيارهم إياها فهذا على مذهب المعتزلة من أنه قد يريد الشيء ولا يكون ومذهب أهل السنة أن كل ما أراد الله كان

يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ آهَلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ۝ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ۝

الله وشرائعه لصبرهم وإيقانهم بالآيات وكذلك لنجيمان الكتاب المنزل إليك هدى ونوراً ولجيمان من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى عليه السلام ليلة الإسراء أو يوم القيامة وقيل من لقاء موسى عليه السلام الكتاب أى من تلقيه له بالرضا والقبول ۝ وقرئ لما صبروا ولما صبروا أى لصبرهم وعن الحسن رضى الله عنه صبروا عن الدنيا وقيل إنما جعل الله التوراة هدى لبني إسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد إسماعيل عليه السلام ( يفصل بينهم ) يقضى فيميز المحق في دينه من المبطل ۝ الواو في ( أولم يهد ) للعطف على معطوف عليه منوى من جنس المعطوف والضمير في ( لهم ) لاهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل مادلّ عليه ( كم آهلكنا ) لأن كم لاتقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل تقديره أولم يهد لهم كثرة إهلاكنا القرون أو هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك بعصم لإله إلا الله الدماء والأموال ويجوز أن يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون و ( القرون ) عادو ثمود و قوم لوط ( يمشون في مساكنهم ) يعنى أهل مكة يمشون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد ( الجرز ) الأرض التي جرز نباتها أى قطع إقاماً لعدم الماء وإقاماً لأنه رعى وأزيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جزر ويدل عليه قوله ( فخرج به زرعاً ) وعن ابن عباس رضى الله عنه إنها أرض اليمن وعن مجاهد رضى الله عنه هى آيين ۝ به بالماء ( تأكل ) من الزرع ( أنعامهم ) من عصفه ( وأنفسهم ) من حبه وقرئ يأكل بالياء ۝ الفتح النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين ويفتح بيننا وبينهم فإذا سمع المشركون قالوا ( متى هذا الفتح ) أى فى أى وقت يكون ( إن كنتم صادقين ) فى أنه كائن و ( يوم الفتح ) يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن رضى الله عنهم ما يوم فتح مكة ( فإن قلت ) قد سألت عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جواباً على سؤالهم ( قلت ) كان غرضهم فى السؤال عن وقت الفتح استعجالهم على وجه التكذيب والاستهزاء فأجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم فى سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فكأنى بكم وقد حصنتم فى ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الإيمان واستنظرتهم فى إدراك العذاب فلم تنظروا ( فإن قلت ) فمن فسره بيوم الفتح أو يوم بدر كيف يستقيم على تفسيره أن لا ينفعهم الإيمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وبأنا يوم بدر ( قلت ) المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم إيمانهم فى حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند إدراك الغرق ( وانتظر ) النصرة عليهم وهلاكهم ( إنهم منتظرون ) الغابة عليكم وهلاككم كقوله تعالى ۝ فتربصوا إنامعكم متربصون ۝ وقرأ ابن السميعة رحمه الله منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فأبهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم يعنى أنهم هالكون لا محالة أو وانتظر ذلك فإن الملائكة فى السماء ينتظرونه ۝ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزىل وتبارك الذى بيده الملك أعطى من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزىل فى بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام

الوليد وهو كافر حينئذ ثم أدرج فيه المؤمن تعصباً لمذهبه فى وجوب خلود فساق المؤمنين كفساق الكافرين فلم يزل يورد هذه العقائد الفواسد ولقد اتسع الخرق على الراقع

( قوله وهى آيين به بالماء ) فى الصحاح آيين اسم رجل نسب إليه عدن فيقال عدن آيين اه فتدبر

## سورة الأحزاب مدنية

وآياتها ۷۳ نزلت بعد آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا  
وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ مَجْعَلًا  
اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ

## ﴿سورة الأحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ عن زرقال قال قال ابن كعب رضي الله عنه كم تعدون سورة الأحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال فوالذي يحلف به ابى بن كعب إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد ابى رضي الله عنه أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنها فأكلتها الداجن فن تأليفات الملاحدة والروافض جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله (يا أيها النبي اتق الله) يا أيها النبي لم تحزم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا ورفا وبإبعده وتنويفا بفضله (فإن قلت) إن لم يوقع اسمه في النداء فقد أوقعه في الإخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد إلا رسول (قلت) ذلك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والإخبار ألا ترى إلى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الإخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء لقد جاءكم رسول من أنفسكم وقال الرسول يارب لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والله ورسوله أحق أن يرضوه النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم إن الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي اتق الله واظب على ما أنت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك لأن التقوى باب لا يبلغ آخره (ولا تطع الكافرين والمنافقين) لا تساعدكم على شيء ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فإنهم أعداء الله وأعداء المؤمنين لا يريدون إلا المضادة والمضادة وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان يجب لإسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم وإذا أتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروى أن أباسفيان ابن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه في المواعدة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبدالله بن أبي معتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أرفض ذكر آلهتنا وقل إنها تشفع وتشفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت أي اتق الله في نقض العهد ونبذ المواعدة ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا إليك وروى أن أهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يرجع عن دينه ويعطوه شطر أموالهم وأن يزوجه شيبه بن ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة أنهم يقتلونه إن لم يرجع فنزلت (إن الله كان عليما) بالصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة (حكما) لا يفعل شيئا ولا يأمر به إلا بداعي الحكمة (وانبع ما يوحى إليك) في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك (إن الله) الذي يوحى إليك خبير (بما تعملون) فوح إليك ما يصلح به أعمالكم فلا حاجة بكم إلى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء أي بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم (وتوكل على الله) وأسند أمرك إليه وكله إلى تديره (وكيلا) حافظا موكولا إليه كل أمره ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وأمومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى أن الله سبحانه كالم يرفي حكمته أن يجعل للإنسان قلبين لأنه لا يخلو إما أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر من أعمال القلوب



فأحدهما فضلة غير محتاج إليها وإما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذلك فذلك يؤدي إلى اتصاف الجملة بكونه مريداً كارهاً عالماً ظاناً موقناً شاكاً في حالة واحدة لم ير أيضاً أن تكون المرأة الواحدة أما الرجل زوجها له لأن الأم مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متناقضتان وأن يكون الرجل الواحد دعياً لرجل وابناً له لأن النبوة أصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلاً غير أصيل وهذا مثل ضربه الله في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيراً وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتهر به حكيم بن حزام لعنته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه أبوه وعمه فغير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وكابوا يقولون زيد بن محمد فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقوله ما كان محمد أباً أحد من رجالكم وقيل كان أبو معمر رجلاً من أحفظ العرب وأرواهم فقيل له ذو القلوب وقيل هو جميل بن أسد الفهري وكان يقول إن لي قلبين أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد فروى أنه انهزم يوم بدر فتر بأبي سفيان وهو معلق لإحدى نعليه بيده والأخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال إحدى نعليك في رجلك والأخرى في يدك فقال ما ظننت إلا أنهما في رجلي فأكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلاً في الظهار والتبني وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فأكذبهم الله وقيل سها في صلواته فقالت اليهود له قلبان قلب مع أصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في أن الواحد يقول نفس تأمرني ونفس تنهاني والتشكيك في رجل وإدخال من الاستغراقية على قلبين تأكيداً لما قصد من المعنى كأنه قال ما جعل الله لأمة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه (فإن قلت) أي فائدة في ذكر الجوف (قلت) الفائدة فيه كالفائدة في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلي للدلول عليه لأنه إذا سمع به صور لنفسه جوفاً يشتمل على قلبين فكان أسرع إلى الإنكار وقرئ اللائي بياء وهمزة مكسورتين واللامى بياء ساكنة بعد الهمزة وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهورون من أظهر بمعنى تظهر وتظهورون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهورون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امرأته قال لها أنت علي كظهر أمي ونحوه في العبارة عن اللفظ لبي المحرم إذا قال لبيك وأقف الرجل إذا قال أف وأخواتهن (فإن قلت) فما وجه تعديته وأخواته بمن (قلت) كان الظهار طلاقاً عند أهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها

### (القول في سورة الأحزاب)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه (قال) أسد ما ذكر فيه من التأويلات أنهم كانوا يدعون لابن خطل قلبين فنفى الله صحة ذلك وقرنه بما كانوا يقولونه من الأقاويل المتناقضة كجعل الأديام أبناءاً والزوجات أمهات قال وهذه الأمور الثلاثة متنافية أما الأول فلأنه يلزم من اجتماع القلبين قيام أحد المعنيين بأحدهما وضده في الآخر وذلك كالعلم والجهل والامن والخوف وغير ذلك وأما الثاني فلأن الزوجة في مقام الامتهان والام في محل الإكرام فإني أن تكون الزوجة أما وأما الثالث فلأن النبوة أصالة وعراقة والدعوة لاصقة عارضة فهما متناقضتان وذكر الجوف ليصور به صورة اجتماع القلبين فيه حتى يبارده السامع بالإنكار

(قوله وقرئ اللائي بياء وهمزة مكسورتين) لعل مراده قرأتان إحداهما بياء مكسورة والأخرى بهمزة مكسورة لكن البياء ليست بياء صرفة بل هي همزة مسهلة ينطق بها بين الهمزة والياء. والحاصل أنه قرئ اللائي بياء ساكنة بعد الهمز وقرئ اللاء بهمزة مكسورة من غير ياء وقرئ اللائي بشبه الياء مكسورة وهي الهمزة التي ينطق بها بين وقرئ اللائي بياء ساكنة بعد الألف من غير همز فهذه أربع قراءات في لفظ اللائي أينما كان في القرآن كما في شرح الشاطبية

ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۚ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا  
 آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ  
 اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۚ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ أَوْلَىٰ مِنَ الْآرْحَامِ الْآرْحَامُ أَوْلَىٰ بِبَعْضِ

حاذر منها وظهر منها وحش منها وظهر منها خالص منها وظيره آلى من امراته لما ضمن معنى التباعد منها عدى بمن وإلا فالآلى  
 فى أصله الذى هو بمعنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمه (فإن قلت) ما معنى قولهم أنت على كظهر أمى (قلت) أرادوا أن يقولوا  
 أنت على حرام كبطن أمى فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذى ذكره يقارب ذكر الفرج وإنما جعلوا  
 الكناية عن البطن بالظهر لأنه عمود البطن ومنه حديث عمر رضى الله عنه يحيى به أحدهم على عمود بطنه أراد على ظهره  
 ووجه آخر وهو أن إتيان المرأة وظهرها إلى السماء كان محزما عندهم محظورا وكان أهل المدينة يقولون إذا أتيت  
 المرأة ووجهها إلى الأرض جاء الولد أحول فاقصد المطلق منهم إلى التغليظ فى تحريم امراته عليه شبهها بالظهر ثم لم  
 يقنع بذلك حتى جعله ظهر أمه فلم يتركه (فإن قلت) الدعى فعيل بمعنى مفعول وهو الذى يدعى ولداً فما له جمع على  
 أفعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كقتى وأتقيا وشقى وأشقياء ولا يكون ذلك فى نحو رمى وسمى (قلت) إن شدوذه  
 عن القياس كشدوذ قتلاء وأسراء والطريق فى مثل ذلك التشبيه اللفظى (ذلكم) النسب هو (قولكم بأفواهكم) هذا ابنى  
 لا غير من غير أن يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقاً ۚ والله عز وجل لا يقول إلا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدى  
 إلا سبيل الحق ۚ ثم قال ما هو الحق وهدى إلى ما هو سبيل الحق وهو قوله (ادعوهم لآبائهم) وبين أن دعاهم لآبائهم  
 هو أدخل الأمرين فى القسط والعدل وفى فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يغبى على عالم بطرق الظم ۚ  
 وقرأ قتادة وهو الذى يهدى السبيل وقيل كان الرجل فى الجاهلية إذا أعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه إلى نفسه وجعل  
 له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب إليه فيقال فلان ابن فلان (فإن لم تعلموا) لهم آباء تنسبونهم إليهم  
 (فهم إخوانكم فى الدين) وأولياؤكم فى الدين فقولوا هذا أخى وهذا مولاي ويأخى ويأمولاي يريد الأخوة فى الدين  
 والولاية فيه (ما تعمدت) فى محل الجز عطفاً على ما أخطأتم ويجوز أن يكون مرتفعاً على الابتداء والخبر محذوف تقديره  
 ولكن ما تعمدت قلوبكم فى الجناح والمعنى لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك محظنين جاهلين قبل ورد النهى ولكن الإثم  
 فيما تعمدموه بعد النهى أو لا إثم عليكم إذا قلتم لولد غيركم يا بنى على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن إذا قلتموه متعمدين  
 ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ دون العمد على طريق العموم كقوله عليه الصلاة والسلام ما أخشى عليكم الخطأ ولكن  
 أخشى عليكم العمد وقوله عليه الصلاة والسلام وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه ثم تناول لعمومه  
 خطأ التنبى وعمده (فإن قلت) فإذا وجد التنبى فما حكمه (قلت) إذا كان المتنبى مجهول النسب وأصغر سناً من المتنبى  
 ثبت نسبه منه وإن كان عبداً له عتق مع ثبوت النسب وإن كان لا يولد مثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند أبى  
 حنيفة رحمه الله تعالى وعند صاحبيه لا يعتق وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتنبى وإن كان عبداً عتق (وكان الله  
 غفوراً رحيماً) لعفوه عن الخطأ وعن العمد إذا تاب العمد (النبي أولى بالمؤمنين) فى كل شىء من أمور الدين والدنيا  
 (من أنفسهم) ولهذا أطلق ولم يقيد فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها  
 وحقه أثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها وأن يبدلوها دونه ويجعلوها فداءه إذا أعضل خط

(قوله وظهر منها وحسن منها) أى خلا منها أفاده الصحاح (قوله حتى جعله ظهر أمه فلم يترك) لعل هنا سقطاً فليحمر  
 ويمكن أن المعنى فلم يترك ذكر الآثم (قوله وفى فصل هذه الجمل ووصلها) أى فصل ما فصل منها ووصل ما وصل  
 (قوله وعن العمد إذا تاب العمد) هذا عند المعتزلة وقد يغفر بمجرد الفضل عند أهل السنة

فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَآئِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝  
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۝

ووقاه إذا لفتت حرب وأن لا يتبعوا ما ندعوهم إليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل مادعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرفهم عنه لأن كل مادعا إليه فهو إرشاد لهم إلى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرى بهم إلى الشقاوة وعذاب النار أو هو أولى بهم على معنى أنه أرف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرؤا إن شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأبما مؤمن هلك وترك مالا فليترثه عصبته من كانوا وإن ترك ديناً أو ضياعاً فألى وفي قراءة ابن مسعود النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو أبو أمته ولذلك صار المؤمنون إخوة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أبوهم في الدين (وأزواجه أمهاتهم) تشبيهه لهم بالأمهات في بعض الأحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى «ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا» وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الأجنبية ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا أمهات النساء تعنى أنهن إنما كن أمهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحریم أمهاتهم والدليل على ذلك أن هذا التحريم لم يتعد إلى بناتهن وكذلك لم يثبت لهن سائر أحكام الأمهات كان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم بإسهامهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لمادجا الإسلام وعزأهله وجعل التوارث بحق القرابة (في كتاب الله) في اللوح أو فيما أوحى الله إلى نبيه وهو هذه الآية أو في آية الموارث أو فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم (من المؤمنين والمهاجرين) يجوز أن يكون بيانا لأولى الأرحام أى الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضا من الأجانب ويجوز أن يكون لا ابتداء الغاية أى أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة (فإن قلت) مم استثنى (أن تفعّلوا) (قات) من أعم العام في معنى النفع والإحسان كما تقول القريب أولى من الأجنبي إلا في الوصية تريد أنه أحق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك إلا في الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لأنه لا وصية لو ارث وعدى تفعّلوا بالى لأنه في معنى تسدوا وتزلوا والمراد بالأولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين (ذلك) إشارة إلى ما ذكر في الآيتين جميعا وتفسير الكتاب مامر آتفا والجملة مستأنفة كالحاتمة لما ذكر من الأحكام (و) اذكر حين (أخذنا من النبيين) جميعا (ميثاقهم) بتليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم (ومنك) خصوصا (ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى) وإنما فعلنا ذلك (ليسأل) الله

قوله تعالى وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية (قال فيه قدم النبي صلى الله عليه وسلم على نوح لأنهم ذكروا تخصيصا بعد التعميم تفضيلا لهم فقدم أفضل المخصوصين) قال أحمد وليس التقديم في الذكر بمقتضى لذلك الأثرى إلى قوله بهاليل منهم جعفر وابن أمه على ومنهم أحمد المنخير فأخر ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ليختم به تشريفاً له وإذا ثبت أن التفضيل ليس من لوازم التقديم فيظهر والله أعلم في سر تقديمه عليه الصلاة والسلام على نوح ومن بعده في الذكر أنه هو المخاطب من بينهم والمنزل عليه هذا المتلو فكان تقديمه لذلك ثم لما قدم ذكره عليه الصلاة والسلام جرى ذكر الأنبياء صلوات الله عليهم بعده على ترتيب أزمنة وجودهم والله أعلم

(قوله فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا) في الصحاح حجرة الإزار معقده وحجرة السراويل التي فيها التكة (قوله ثم نسخ ذلك لما دجا الإسلام) في الصحاح دجا الإسلام أى قوى والبس كل شئ (قوله لأنه في معنى تسدوا وتزلوا) في الصحاح أزلت إليه نعمة أى أسديتها وفي الحديث من أزلت إليه نعمة فليشكرها اه

لَيْسَ لِلصَّادِقِينَ عَنْ صَدَقَتِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ إِذْ جَاءَ وَكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ

يوم القيامة عند تواقف الأشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من أشهدهم على أنفسهم ألسنت بربركم قالوا بلى (عن صدقهم) عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الأنبياء بأنهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين أو ليسأل المصدقين للأنبياء عن تصديقهم لأن من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله أو ليسأل الأنبياء ما الذي أجابتهم به أمهم وتأويل مسألة الرسل تبيحت الكافرين بهم كقوله أ أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله (فإن قلت) لم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على نوح فمن بعده (قلت) هذا العطف لبيان فضيلة الأنبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم لبيان أنه أفضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه (فإن قلت) فقد قدم عليه نوح عليه السلام في الآية التي هي أخت هذه الآية وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ثم قدم على غيره (قلت) مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك أن الله تعالى إنما أوردتها لوصف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة فكأنه قال شرع لكم الدين الأصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الأنبياء في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الأنبياء المشاهير (فإن قلت) فماذا أراد بالميثاق الغليظ (قلت) أراد به ذلك الميثاق بعينه معناه وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من وصف الأجرام والمراد عظم الميثاق وجلاله شأنه في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا (فإن قلت) علام عطف قوله (وأعد للكافرين) (قلت) على أخذنا من النيين لأن المعنى أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين وأعد للكافرين عذابا أليما وعلى ما دل عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين (اذكروا) ما أنعم الله به عليكم يوم الأحزاب وهو يوم الخندق (إذ جاءكم جنود) وهم الأحزاب فأرسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة وكانوا ألقاب الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فأخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الآوتاد وقطعت الأطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الأسدي أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة أشار عليه بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقصر لا نقدر أن نذهب إلى الغائط وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من الأحابيش وبنى كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وخرج غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة ابن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامى بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر (تعملون) قرئ بالتاء والياء (من فوقكم) من أعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة

(قوله هم مشاهيرهم وذراريهم) لعلة ذراريهم بالبدال المهملة والذراري السكواكب العظام كما أفاده الصحاح (قوله في ليلة شاتية فأخصرتهم) في الصحاح الخصر بالتحريك البرد وقد خصر الرجل إذا ألمه البرد في أطرافه اه فأخصرتهم أرقعتهم في الخصر أي البرد (قوله فرفعوا في الآطام) أي الحصون وهو جمع أطم كعق

الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِلَّا يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّوْا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ۝ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ إِلَّا الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۝ قُلْ لَنْ

حتى نتاصل محمداً (زاغت الأبصار) مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصاً وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها لشدة الروح ۝ الحنجرة رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا إذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب أو الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة ومن ثمة قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز أن يكون ذلك مثلاً في اضطراب القلوب ووجيها وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة (وتظنون بالله الظنونا) خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والأقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الإيمان إلا بالاستتھم فظن الأقولون بالله أنه يتلهم ويفتنهم تخافوا الزلل وضعف الاحتمال وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكى عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفه ظن المنافقون أن المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون أنهم يتلون وقرئ الظنون بغير ألف في الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة ألف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادها في القافية من قال ۝ أقل اللوم عاذل والعتابا ۝ وكذلك الرسول والسبيل وقرئ بزيادتها في الوصل أيضاً إجراء له مجرى الوقف قال أبو عبيد وهن كهن في الإمام بألف ۝ وعن أبي عمرو إشمام زاي زلزلوا ۝ وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى أن الخوف أزعجهم أشد الإزعاج (إلا غروراً) قيل قاله معتب بن قشير حين رأى الأحزاب قال بعدنا محمد فتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا إلا وعد غرور (طائفة منهم) هم أوس بن قيطي ومن وافقه على رأيه وعن السدي عبدالله بن أبي وأصحابه ۝ ويثرب اسم المدينة وقيل أرض وقعت المدينة في ناحية منها (لامقام لكم) قرئ بضم الميم وفتحها أي لا قرار لكم هنا ولا مكان تقيمون فيه أو تقومون (فارجموا) إلى المدينة أمرهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قالوا لهم ارجعوا كفاراً وأسلموا محمداً وإلا فليست يثرب لكم بمكان ۝ قرئ عورة بسكون الواو وكسرهما فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عوراً إذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز أن تكون عورة تخفيف عورة اعتذروا أن بيوتهم معرضة للعدو بمكنة للسراق لأنها غير محترزة ولا محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا إليه فأكذبهم الله بأنهم لا يخافون ذلك وإنما يريدون الفرار (ولو دخلت عليهم) المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره (من أقطارها) من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرزون خوفاً منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها والثالث على أهلهم وأولادهم ناهيين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة (الفتنة) أي الردة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين لآتوها لجأؤها وفعالها ۝ وقرئ لآتوها لآعطوها (وما تلبثوا بها) وما ألبثوا إعطاءها (إلا يسيراً) ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف أو وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم إلا يسيراً فإن الله يهلككم والمعنى أنهم يتعلمون بأعوار بيوتهم ويتمحلوا ليفرروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة الأحزاب الذين ملؤهم هولاً ورعباً وهؤلاء الأحزاب كما لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا إليه وما تعلموا بشيء وما ذاك إلا لملقتهم الإسلام وشدة بغضهم لأهله

(قوله أن يتبرز فرقا) أي خوفاً (قوله وانتالت على أهلهم وأولادهم) في الصحاح انتال عليه الناس من كل وجه أي انصبوا (قوله كما لو كبسوا عليهم) في الصحاح كبسوا دار فلان أغاروا عليها فجأة

يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ  
 إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِفِينَ مِنْكُمْ  
 وَالْقَاتِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلْ إِلَى الْبِنَاءِ لَا يَتَوَّنُ الْبَأْسُ إِلَّا قَلِيلًا ۝ أَشْجَىٰ عَلَيْكُمْ إِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ  
 تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالْأَسِنَّةِ حِدَادٍ أَشْحَىٰ عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ  
 لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ

وحيهم الكفر وتهالكهم على حزبه . عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون  
 منه أنفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن إسحق عاهدوا يوم أحد أن  
 لا يفتروا بعد ما نزل فيهم ما نزل (مسؤلا) مطلوباً بمقتضى حتى يوفى به (لا ينفعكم الفرار) مما لا بد لكم من نزوله بكم من حثف  
 أنف أو قتل ۝ وإن نفعكم الفرار مثلاً فتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع إلا زماناً قليلاً وعن بعض الرواية أنه مر بجائط  
 مائل فأسرع فقلت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب (فإن قلت) كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة  
 إلا من السوء (قلت) معناه أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام وأجرى مجرى قوله متقلداً سيفاً ورحماً  
 أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع (المعوقين) المثبتين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون ۝  
 كانوا يقولون (إخوانهم) من ساكني المدينة من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا  
 لحماً لآلهمهم أبو سفيان وأصحابه نخلوم ۝ و (هلم إلينا) أي قربوا أنفسكم إلينا وهي لغة أهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد  
 والجماعة وأما تميم فيقولون هلم يارجل وهلموا يارجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب قل هلم شهداءكم  
 (إلا قليلاً) إلا إتيانا قليلاً يخرجون مع المؤمنين يومئذ منهم أنهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون إلا شيئاً قليلاً إذا اضطروا  
 إليه كقوله ما قاتلوا إلا قليلاً (أشجى عليكم) في وقت الحرب أضواء بكم يترففون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه  
 عند الخوف (ينظرون إليك) في تلك الحالة كما ينظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذراً وخوراً ولو أذأ بك فإذا ذهب  
 الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفقة عليكم إلى الخير وهو المال والغنيمة  
 ونسوانتك الحالة الأولى واجترؤا عليكم وضربوكم بألسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فإننا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاني  
 غلبتم عدوكم وبننا نصرتم عليه ونصب (أشجى) على الحال أو على الذم وقرئ أشجى بالرفع وصلقوكم بالصاد (فإن قلت) هل  
 يثبت للنفاق عمل حتى يرد عليه الإحباط (قلت) لا ولكنه تعلم لمن عسى يظن أن الإيمان باللسان إيمان وإن لم يوطئه القلب  
 وأن ما يعمل المنافق من الأعمال يجدى عليه فبين أن إيمانه ليس بإيمان وأن كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على إتقان  
 المكلف أساس أمره وهو الإيمان الصحيح وتنبه على أن الأعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير أساس  
 وأنها مما يذهب عند الله هباءً منثوراً (فإن قلت) ما معنى قوله (وكان ذلك على الله يسيراً) وكل شيء عليه يسير (قلت)  
 معناه أن أعمالهم حقيقة بالإحباط ندعو إليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف (يحسبون) أن الأحزاب لم ينهزموا  
 وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق إلى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط (وإن  
 يأت الأحزاب) كثرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكثرة أنهم خارجون إلى البدو حاصلون بين الأعراب

(قوله ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس) أي قليلون يشبعهم رأس واحد وهو جمع آكل والالتهام الابتلاع كذا في الصحاح  
 (قوله مما منوا به هذه الكثرة) أي ابتلوا به (قوله لم يقاتلوا إلا تلة رياء) في الصحاح علله بالشيء أي لها به كما يعمل الصبي بشيء  
 من الطعام يتجزأ به عن اللبن يقال فلان يعلل نفسه بتلة

يُودُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتُلُونَنَّا عَنْ أَسْبَابِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَاقْتُلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۚ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۚ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۚ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۚ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ

(يسألون) كل قادم منهم من جانب المدينة عن أخباركم وعمالكم عليكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتالهم بقاتلوا إلا تعلقه ريبه وسهمة وقرئ بدي على فعل جمع باد كغاز وغزى وفي رواية صاحب الإقليد بدي بوزن عدى ويسألون أى يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتساءلون الأعراب كما تقول رأيت الهلال وترامناه ۚ كان عليكم أن تواسوا رسول الله ﷺ بأنفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مرحى الحرب حتى كسرت ربايته يوم أحد وشج وجهه (فإن قلت) فما حقيقة قوله (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وقرئ أسوة بالضم (قلت) فيه وجهان أحدهما أنه في نفسه أسوة حسنة أي قدوة وهو المؤتسى أي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حد يدأى هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني أن فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها أو تتبع وهي المواساة بنفسه (لمن كان يرجو الله) بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا آمن منهم ۚ يرجو الله واليوم الآخر كقولك رجوت زيدا وفضله أي فضل زيد أو يرجو أيام الله واليوم الآخر خص و صا والرجاء بمعنى الأمل أو الخوف (وذكر الله كثيرا) وقرر الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الأعمال الصالحة والمؤتسى برسول الله ﷺ من كان كذلك ۚ وعدم الله أن يزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الأحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) وأيقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه إن الأحزاب سائررون اليكم تسعاً أو عشرة أي في آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للبيعاد قالوا ذلك ۚ وهذا إشارة إلى الخطب أو البلاء (إيماناً) بالله وبمواعيده (وتسليماً) لقضائه وأقداره ۚ نذر رجال من الصحابة أنهم إذا لقوا حرباً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم رضي الله عنهم (فمنهم من قضى نجه) يعني حمزة ومصعبا (ومنهم من ينتظر) يعني عثمان وطلحة وفي الحديث من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة (فإن قلت) ما قضاء النعب (قلت) وقع عبارة عن الموت لأن كل حي لا بد له من أن يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فإذا مات فقد قضى نجه أي نذره وقوله «فمنهم من قضى نجه» يحتمل موته شهيداً ويحتمل وفاهه بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) فما حقيقة قوله : صدقوا ما عاهدوا الله عليه (قلت) يقال صدقتي أخوك وكذبتني إذا قال لك الصدق والكذب وأما المثل صدقتي سن بكره فمعناه صدقتي في سن بكره بطرح الجار وإيصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه إما أن يكون بمنزلة السن في طرح الجار وإما أن يجعل المعاهد عليه مصدوقاً على المجاز كأنهم قالوا للمعاهد عليه سنني بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوباً (وما بدلوها) العهد ولا غيره ولا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوها من أهل النفاق ومرضى القلوب جمل

(قوله في مرحى الحرب) أى مكان إدارة رحاها أفاده الصحاح  
(قوله وقرئ أسوة بالضم) يفيد أن قراءة الكسر هي المشهورة

بِصَدَقَتِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنْفِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ رَحِيمًا ۝ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
بِعِظَتِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَهَرُوا مِنْ أَهْلِ  
الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝ وَأَوْرَثَكُمُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ  
وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝ يَسْأَلُهَا النَّبِيُّ قَوْلًا لَأُزَوِّجَكَ إِنْ كُنْتِ تَرْضِينَ الْحَيَاةَ

المنافقون كأنهم قصدوا عافية السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عافية الصدق بوفائهم لأن كلا الفريقين مسوق  
إلى عاقبة من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبهما والسعي لتحصيلهما ۝ ويعذبهم (إن شاء) إذا لم يتوبوا (أو  
يتوب عليهم) إذا تابوا (ورد الله الذين كفروا) الأحزاب (بعيظهم) مغيظين كقوله ثبت بالدهن (لم يبالوا خيرا) غير  
ظافرين وهما حالان بتداخل أو تعاقب ويجوز أن تكون الثانية بيانا للأولى أو استثناء (وكفى الله المؤمنين القتال)  
بالريح والملائكة (وأنزل الذين) ظاهرها الأحزاب من أهل الكتاب (من صياصيههم) من حصونهم والصيصية ما تحصن به  
يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكه الديك وهي مخبله التي في ساقه لأنه يتحصن بها. روى أن جبريل عليه السلام أتى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم صديحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه  
الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله إن الملائكة لم تضع السلاح إن الله يأمرك بالمشير  
إلى بني قريظة وأنا عامد اليهم فإن الله دافعهم دق البيض على الصفا وإنهم لكم طعمة فأذن في الناس أن من كان سامعا  
مطيعا فلا يصلي العصر إلا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر إلا بعد العشاء الآخرة لقول رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي  
فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم أن تقتل مقاتلهم وتسي ذراريهم ونسأؤهم فكبر  
النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلهم وخذق في سوق المدينة خندقا  
وقدمهم ف ضرب أعناقهم وهم من ثمانمائة إلى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير ۝ وقرئ الرعب  
بسكون العين وضهها وتأسرون بضم السين ۝ وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للهاجرين دون  
الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال إنكم في منازلكم وقال عمر رضي الله عنه أما تخمس كما خست يوم بدر قال  
لا إنما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال رضيينا بما صنع الله ورسوله (وأرضاء لم تطؤها) عن الحسن رضي الله  
عنه فارس والروم وعن قتادة رضي الله عنه كنا نحدث أنها مكة وعن مقاتل رضي الله عنه هي خير وعن عكرمة كل  
أرض تفتح إلى يوم القيامة ومن بدع التفاسير أنه أراد نسأؤهم ۝ أردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فعم ذلك  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها وكانت أحبت إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاخترت  
الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر  
لهن الله ذلك فأنزل لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج روى أنه قال لعائشة إني ذاكر لك أمرا  
ولا عليك أن تعجلي فيه حتى تستأمرى أبوبك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله  
والدار الآخرة وروى أنها قالت لا تخبر أزواجك أني اخترتك فقال إنما بعثني الله مبلغا ولم يعثنى متعتا (فان قلت)

(قوله من فوق سبعة أرقعة) في الصحاح الرقيق سماء الدنيا وكذلك سائر السموات وفي الحديث من فوق سبعة أرقعة  
على لفظ التذكير كأنه ذهب إلى السقف



الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحكن سراحاً جميلاً ۝ وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة  
فإن الله أعد للمحسنات منكم أجراً عظيماً ۝ يئسآء النبي من يأت منكن بفحشة مبينة يضاعف لها العذاب  
ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً ۝ ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً توثبها أجرها مرتين

ما حكم التخيير في الطلاق ( قلت ) إذا قال لها اختارى فقالت اخترت نفسى أو قال اختارى نفسك فقالت اخترت  
لا بد من ذكر النفس في قول التخيير أو المخيرة وقعت طلاقه بائنة عند أبي حنيفة وأصحابه واعتبروا أن يكون ذلك في  
المجلس قبل القيام أو الاشتغال بما يدل على الإعراض واعتبر الشافعى اختيارها على الفور وهى عنده طلاق رجعية  
وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقادة والزهرى رضى الله عنهم أمرها بيدها فى ذلك المجلس وفى غيره  
وإذا اختارت زوجها لم يقع شىء بإجماع فقهاء الأمصار وعن عائشة رضى الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فاخترناه ولم يعد طلاقاً وروى أفكان طلاقاً وعن على رضى الله عنه إذا اختارت زوجها فراحدة رجعية وإن  
اختارت نفسها فواحدة بائنة وروى عنه أيضاً أنها إن اختارت زوجها فليس بشىء ۝ أصل تعال أن يقوله من فى  
المكان المرتفع لمن فى المكان المستوطى ثم كثر حتى استوت فى استعماله الامكنة ومعنى تعالين أقبلن بإرادتك  
واختياركن لأحد أمرين ولم يرد نهوضهن اليه نفسهن كما تقول أقبل يخاصمنى وذهب يكلمنى وقام يهددنى (أمتعن)  
أعطكن متعة الطلاق (فإن قلت) المتعة فى الطلاق واجبة أم لا (قلت) المطلقة التى لم يدخل بها ولم يفرض لها فى العقد  
متعها واجبة عند أبي حنيفة وأصحابه وأما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهرى رضى الله عنه متعتان إحداهما  
يقضى بها السلطان من طلق قبل أن يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل وحاصمت  
امرأة إلى شريح فى المتعة فقال متعها إن كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير رضى عنه المتعة حق مفروض  
وعن الحسن رضى الله عنه لكل مطلقة متعة إلا المختاعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والإقتار  
إلا أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك فيجب لها الأقل منهما ولا تنقص من خمسة دراهم لأن أقل المهر عشرة دراهم  
فلا ينقص من نصفها (فإن قلت) ما وجه قراءة من قرأ أمتعن وأسرحكن بالرفع (قلت) وجه الاستئناف (سراحاً  
جميلاً) من غير ضرار طلاقاً بالسنة (منكن) للبيان للتبويض ۝ الفاحشه السيئة البليغة فى القبح وهى الكبيرة ۝  
والمبينة الظاهرة فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هى عصيانن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن  
وطلبهن منه ما يشق عليه أو ما يضيق به ذرعه ويغتم لأجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر فى حديث  
الإفك وإنما ضوعف عذابهن لأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن وأقبح لأن زيادة قبح المعصية تتبع زيادة  
الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصى من المعصى وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم  
ولا على أحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقاباً يتبع كون الفعل قبيحاً فتنى ازداد  
قبحاً ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصى العالم أشد منه للعاصى الجاهل لأن المعصية من العالم أقبح ولذلك  
فضل حد الأحرار على حد العبيد حتى أن أبا حنيفة وأصحابه لا يرون الرجم على الكافر (وكان ذلك على الله يسيراً) إيدان  
بأن كونهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم ليس بمن عنهن شيئاً وكيف يغنى عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان  
داعياً إلى تشديد الأمر عليهن غير صارف عنه ۝ قرئ يأت باناء والياء ۝ مبنية بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى  
تبين يضاعف ويضعف على البناء للمفعول ويضاعف ويضعف بالياء والنون وقرئ تقنت وتعمل بالناء والياء ونوتها  
بالياء والنون والقنوت الطاعة وإنما ضوعف أجرهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطلبهن طيب  
المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله والتقوى ۝ أحد فى الأصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع فى

وَأَعْتَدْنَا لَهُا رِزْقًا كَرِيمًا ۝ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتَنَ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۝ إِنَّ اتَّقِيْتَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝ وَقَرْنَ فِي بُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ

النبي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وماوراه ۝ ومعنى قوله (لستن كأحد من النساء) لستن بجماعة واحدة من جماعات النساء أي إذا تقصيت أمة النساء جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومثله قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في أنهم على الحق المين (إن اتقيتن) إن أردتن التقوى وإن كنتن متقيات (فلا تخضعن بالقول) فلا بن بقولكن خاضعا أي لنا خشنا مثل كلام المريات والمومسات (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي ريبة وفخور وقرئ بالجزم عطفاً على محل فعل النهي على أنهن نهين عن الخضوع بالقول ونهى المريض القلب عن الطمع كأنه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصة أنه قرأ بكسر الميم وسيله ضم الياء مع كسرها وإسناد الفعل إلى ضمير القول أي فيطمع القول المريب (قولا معروفا) بعيداً من طمع المريب بجدو خشونة من غير تخنيث أو قولا حسنا مع كونه خشنا ۝ وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقاراً أو من قر يقر حذف الأولى من رأتى أقررن ونقلت كسرتها إلى القاف كما تقول ظنن وقرن بفتحها وأصله أقررن حذف الراء وألقت فتحها على ما قبلها كقولك ظنن وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجهاً آخر قال قارباً إذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها لا ترى إلى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة و(الجاهلية الأولى) هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجاهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل بين إدريس ونوح وقيل زمن داود وسليمان والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ويجوز أن تكون الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الإسلام تشبهن بها بأهل جاهلية الكفر ويعضده ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي الدرداء رضي الله عنه إن فيك جاهلية قال جاهلية كفر أم إسلام فقال بل جاهلية كفر ۝ أمرهن أمراً خاصاً بالصلاة والزكاة ثم جاء به عاماً في جميع الطاعات لأن هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما أصل سائر الطاعات من أعنتى بهما حق اعتنائته جرتاه إلى ماورائهما ثم بين أنه إنما نهان وأمرهن ووعظهن لئلا يقارف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المسأثم وليتصونواعنها بالتقوى ۝ واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لأن عرض المقترف للذخبات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث

۝ قوله تعالى لستن كأحد من النساء (قال فيه معناه لستن بجماعة واحدة من جماعات النساء أي إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومثله ولم يفرقوا بين أحد منهم) قال أحمد إنما بعثه على جعل التفضيل بين نساء النبي عليه الصلاة والسلام وبين جماعات النساء لا آحادهن أن يطابق بين المتفاضلين لأن الأول جماعة وقد كان مستغنياً عن ذلك بحمل الكلام على واحدة ويكون المعنى أبلغ والتقدير ليست واحدة منكن كأحد من النساء أي كواحدة من النساء ويلزم من تفضيل كل واحدة منهن على كل واحدة من آحاد النساء تفضيل جماعتهم على كل جماعة ولا يلزم ذلك في العكس فنأمله والله أعلم وجاء التفضيل هنا كجيبته في قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق وقوله وليس الذكر كالأنثى في تقديم الأفضل عند التفضيل وقدمت في ذلك نكتة حسنة والله الموفق

(قوله إن أردتن التقوى وإن كنتن متقيات) لعله أو إن كعبارة النسفي (قوله إلى قول عضل والديش اجتمعوا) في الصحاح عضل قبيلة وهو عضل بن الهون بن خزيمه أخوال الديش وهما القارة وفيه أيضا الديش بن الهون بن خزيمه وربما قالوه بفتح الدال وهو أحد القارة والآخر عضل بن الهون يقال لها جميعاً القارة

وَأَتَيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطَعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا  
وَأَذْكُرَنَّ مَا بُتِيَ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ  
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ  
وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ  
اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ

بذنه بالأرجاس وأما المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفرد أولى الباب عما  
كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغهم فيما رضه لهم وأمرهم به (أهل البيت) نصب على النداء أو على المدح وفي هذا دليل  
بين على أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته ثم ذكرهن أن بيوتهن مهابط الوحي وأمرهن أن لا ينسبن  
ما تبلى فيها من الكتاب الجامع بين أمرين هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لأنه معجزة بنظمه وهو حكمة  
وعلوم وشرائع (إن الله كان لطيفاً خبيراً) حير علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فأنزله عليكم أو علم من يصلح لنبوته  
ومن يصلح لأن يكونوا أهل بيته أو حيث جعل الكلام الواحد جامعاً بين الغرضين يروى أن أزواج النبي صلى الله عليه  
وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما بينا خير أن ذكره إنا نخاف أن لا نقل منا طاعة وقيل السائلة  
أم سلمة وروى أنه لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزات والمسلم  
الداخل في السلم بعد الحرب المتقاد الذي لا يعاند أو المفوض أمره إلى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه إلى الله  
والمؤمن المصدق بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها والصادق الذي يصدق  
في نيته وقوله وعمله والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل  
الذي إذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في أسبوع  
بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين والذاكر الله كثيراً من لا يكاد يخلو من  
ذكر الله بقلبه أو لسانه أو بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من  
استيقظ من نومه وأيقظ امرأته فصليا جميعاً ركعتين كتب من الذَّاكِرِينَ اللهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ هِ وَالْمَعْنَى وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرَاتِ  
لخذف لأن الظاهر يدل عليه (فإن قلت) أي فرق بين العطفين أعني عطف الإناث على الذكور وعطف الزوجين على  
الزوجين (قلت) العطف الأول نحو قوله تعالى ثيبات وأبكاراً في أنهما جنسان مختلفان إذا اشتركا في حكم لم يكن بدمن  
توسيط العاطف بينهما وأما العطف الثاني فن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكأن معناه أن الجامعين والجامعات  
لهذه الطاعات (أعد الله لهم) خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبدالمطلب  
على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبي أخوها عبد الله فنزلت فقال رضينا يا رسول الله فأنكحها إياه وساق عنه إليها مهرها  
ستين درهما وخماراً وملحفة ودرعاً وإزاراً وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر وقيل هي أم كلثوم بنت عقبة  
ابن أبي معيط وهي أول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيداً فسخطت  
هي وأخوها وقالوا إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين  
(إذا قضى الله ورسوله) أي رسول الله أو لأن قضاء رسول الله هو قضاء الله (أمراً) من الأمور أن يختاروا من أمرهم  
ما شاؤوا بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره (فإن قلت) كان من حق الضمير أن يوحد  
كما تقول ما جاءني من رجل ولا امرأة إلا كان من شأنه كذا (قلت) نعم ولكنهما وقعات تحت النبي فعما كل مؤمن ومؤمنة

أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً ۖ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ

فرجع الضمير على المعنى لاعلى اللفظ ه وقرئ يكون بالناء والياء و (الخيرة) ما يتخير (لذي أنعم الله عليه) بالإسلام الذي هو أجل النعم وبتوفيقك لعنته ومحبه واختصاصه (وأنعمت عليه) بما وفقك الله فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو زيد بن حارثة (أمسك عليك زوجك) يعني زينب بنت جحش رضي الله عنها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصرها بعد ما أنكحها إياه فوقت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك أن نفسه كانت تجفوا عنها قبل ذلك لا تريد لها ولو أرادت لا اختطها وسمعت زينب بالتسيحة فذكرتها لزيد ففطن وأتى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني أريد أن أفارق صاحتي فقال مالك أراك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها إلا خيراً ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما عدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أجد أحداً أوثق في نفسي منك أخطب على زينب قال زيد فانطلقت فإذا هي تخمر عجبينها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها حين علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب أبشري إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وقالت ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن زوجها كما فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار (فإن قلت) ما أراد بقوله (واتق الله) (قلت) أراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهى تنزيهه لالتحريم لأن الأولى أن لا يطلق وقبل أراد واتق الله فلا تدمتها بالنسبة إلى الكبر وأذى الزوج (فإن قلت) ما الذي أخفى في نفسه (قلت) تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد إياها وقيل علمه بأن زيدا سيطلقها وسينكحها لأن الله قد أعلمه بذلك وعن عائشة رضي الله عنها لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً مما أوحى إليه لكنتم هذه الآية (فإن قلت) فإذا أراد الله منه أن يقول حين قال له زيد أريد مفارقتها وكان من الهجنة أن يقول له افعل فإني أريد نكاحها (قلت) كأن الذي أراد منه عز وجل أن يصمت عند ذلك أو يقول له أنت أعلم بشأنك حتى لا يخالف سره في ذلك علانيته لأن الله يريد من الأنبياء تساوى الظاهر والباطن والتصلب في الأمور والتجاوب في الأحوال والاستمرار على طريقة مستتبه كما جاء في حديث إرادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عبدالله بن أبي سرح واعتراض عثمان بشفاعته له أن عمر قال له لقد كان عيني إلى عينك هل تشير إلي فأقبله فقال إن الأنبياء لا تومض ظاهراً وباطنهم واحده (فإن قلت) كيف عاتبه الله في ستر ما استهجن التصريح ولا يستهجن النبي صلى الله عليه وسلم التصريح بشيء إلا والشيء في نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق إلا بما يستقبح في العقول والعادات وماله لم يعاتبه في نفس الأمر ولم يأمره بقمع الشهوة وكف النفس عن أن تنازع إلى زينب وتبعتها ولم يعصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة (قلت) كم من شيء يتحفظ منه الإنسان ويستحي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلباً إلى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين ويجل ثوابها ولولم يتحفظ منه لأطلق كثير من الناس فيه أسنتهم إلا من أوتي فضلاً وعلماً وديناً ونظراً في حقائق الأمور ولبوبها دون قشورها ألا ترى أنهم كانوا إذا طعموا في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستأنسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه فعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء بصده أن يأمرهم بالانتشار حتى نزلت إن ذلكم كان يؤذي النبي

(قوله لا تومض) في الصحاح أو مضت المرأة إذا سارقت النظر

أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لَسْكَى لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَا تِهِمْ  
 إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۚ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ  
 خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ۚ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ

فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق ولو أبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون ضميره وأمرهم أن ينتشروا لشق  
 عليهم ولكان بعض المقالة فهذا من ذلك القبيل لأن طموح قلب الإنسان إلى بعض مشتهياته من امرأة أو غيرها غير  
 موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لأنه ليس بفعل الإنسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي  
 ليس بقبيح أيضاً وهو خطبة زيب ونكاحها من غير استئصال زيب عنها ولا طلب إليه وهو أقرب منه من زرق قيصه أن بواسيه  
 بمفارقتها مع قوة العلم بأن نفس زيد لم تكن من التعلق بها في شيء بل كانت تجفوا عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم متعلقة بها ولم يكن مستنكراً عندهم أن ينزل الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجنأ إذا نزل عنها أن ينكحها الآخر  
 فإن المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الأنصار بكل شيء حتى إن الرجل منهم إذا كانت له امرأتان نزل عن  
 إحداهما وأنكحها المهاجر وإذا كان الأمر مباحاً من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة  
 يزيد ولا بأحد بل كان مستجزاً مصالح ناهيك بواحدة منها أن بنت عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمنت الأئمة والضيعة  
 ونالت الشرف وعادت أما من أمهات المسلمين إلى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة العامة في قوله لسكى لا يكون على المؤمنين  
 حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً فالحري أن يعاتب الله رسوله حين كتبه وبالغ في كتبه بقوله أمسك  
 عليك زوجك واتق الله وأن لا يرضى له إلا الاتحاد الضمير والظاهر والثبات في موطن الحق حتى يقتدى به المؤمنون فلا يستحيوا  
 من المكافئة بالحق وإن كان مراً ( فإن قلت ) الواو في وتخي في نفسك وتخشي الناس والله أحق ما هي ( قلت )  
 واو الحال أي تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفياً في نفسك إرادة أن لا يسكها وتخي خاشياً قاله الناس وتخشي الناس  
 حقيقة في ذلك بأن تخشى الله أو واو العطف كأنه قيل وإذا تجمع بين قولك أمسك وإخفاء خلافه وخشية الناس والله  
 أحق أن تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك ۚ إذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما  
 لم يبق لزيد فيها حاجة وتناصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها (زوجاً كها) وقراءة أهل البيت  
 زوجته وقيل لجعفر بن محمد رضى الله عنهما أليس تقرأ على غير ذلك فقال لا والذي لا إله إلا هو ما قرأتها على أبي إلا  
 كذلك ولا قرأها الحسن بن علي على أبيه إلا كذلك ولا قرأها علي بن أبي طالب على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كذلك ( وكان  
 أمر الله مفعولاً ) جملة اعتراضية يعنى وكان أمر الله الذي يريد أن يكونه مفعولاً مكثراً لا محالة وهو مثل ما أراد كونه من  
 تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زيب ومن نفى الحرج عن المؤمنين في إجراء أزواج المتبين مجرى أزواج البنين في  
 تحريمهم عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن ويجوز أن يراد بأمر الله المكنون لأنه مفعول بكن وهو أمر الله  
 ( فرض الله ) قسم له وأوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم ( سنة الله ) اسم موضوع  
 موضع المصدر كقولهم تربا وجزء لا مؤكد لقوله تعالى « ما كان على النبي من حرج » كأنه قيل سن الله ذلك سنة في الأنبياء  
 الماضين وهو أن لا يخرج عليهم في الإقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر  
 والسراير وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلاثمائة سرية وسليمان عليه السلام ثلاثمائة وسبعائة ( في الذين خلوا )  
 في الأنبياء الذين مضوا ( الذين يبلغون ) يحتمل وجوه الإعراب الجز على الوصف للأنبياء والرفع والنصب على المدح على

( قوله لشق عليهم ولكان بعض المقالة ) لعلة المقالة ( قوله ومن نفى الحرج عن المؤمنين في إجراء ) لعلة في عدم إجراء

ويمكن أن المراد الحرج الذي يكون في الإجراء والتسوية لو حصل ذلك الإجراء

وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ۚ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رُّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ  
عَلِيمًا ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۚ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ

هم الذين يبلغون أو على أعني الذين يبلغون ۚ وقرئ رسالة الله ۚ قدر أمقدوراً قضاء مقضياً وحكامبتوتنا ، ووصف الأنبياء  
بأنهم لا يخشون إلا الله تعريض بعد التصريح في قوله تعالى «وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» (حسيباً) كافياً للخوارف  
أو محاسباً على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية من مثله (ما كان محمداً بأحد من رجالكم) أي لم يكن أباً لرجل  
منكم على الحقيقة حتى ثبت بينه وبينه ما ثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح (ولكن) كان (رسول الله)  
وكل رسول أو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لاني سائر الأحكام  
الثابتة بين الآباء والأبناء وزيد واحد من رجالكم الذين يسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والادعاء والنبى من باب  
الاختصاص والتقريب لا غير (و) كان (خاتم النبيين) يعنى أنه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبياً ولم يكن هو خاتم  
الأنبياء كما يروى أنه قال في إبراهيم حين توفى لو عاش لكان نبياً (فإن قلت) أما كان أباً للطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم  
(قلت) قد أخرجوا من حكم النبي بقوله من رجالكم من وجهين أحدهما أن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني أنه قد أضاف  
الرجال إليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم (فإن قلت) أما كان أباً للحسن والحسين (قلت) بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ  
وهما أيضاً من رجاله لا من رجالهم وشيء آخر وهو أنه إنما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله تعالى وخاتم النبيين  
الآتى أن الحسن والحسين قد عاشا إلى أن نيف أحدهما على الأربعين والآخر على الخمسين ۚ قرئ ولكن رسول الله  
بالنصب عطفاً على أباً أحد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله  
من عرفتموه أى لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود  
ولكن نبياً ختم النبيين (فإن قلت) كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان قلت معنى كونه آخر الأنبياء أنه  
لا نبياً أحد بعده وعيسى من نبيه قبله وحين ينزل ينزل عاملاً على شريعة محمد مصلياً إلى قبلته كأنه بعض أمته (اذكروا الله)  
أثنا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو أهله وأكثروا ذلك (بكرة وأصيلاً) أى  
في كافة الأوقات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله على فم كل مسلم وروى في قلب كل مسلم وعن قيادة قولوا سبحان الله  
والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وعن مجاهد هذه كلمات يقوها الطاهر والجنب والغفلان  
أعنى اذكروا وسبحوا وجهان إلى البكرة والأصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكروا إنما اختصه من  
بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة لبيان فضله على سائر الأذكار لأن معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من  
الصفات والأفعال وتبرئته من القبائح ومثال فضله على غيره من الأذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من أدناس المعاصى والطهر  
من أرجاس المآثم على سائر أوصافه من كثرة الصلاة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتغال على العلوم والاشتهار  
بالفضائل ويجوز أن يريد بالذكور كثارة تكثير الطاعات والإقبال على العبادات فإن كل طاعة وكل خير من جملة الذكروا ثم خص  
من ذلك التسبيح بكرة وأصيلاً وهى الصلاة فى جميع أوقاتها فضل الصلاة على غيرها أو صلاة الفجر والعشاءين لأن أداءها أشق  
ومراعاتها أشده لما كان من شأن المصلئ أن يعطف فى ركوعه وسجوده استعير لمن يعطف على غيره حنوً وأعليه وترؤفاً كعائد  
المريض فى انعطافه عليه والمرأة فى حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل فى الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك  
أى ترحم عليك وترأف (فإن قلت) قوله (هو الذى يصلى عليكم) إن فسرته بترحم عليكم وترأف فما تصنع بقوله

ۚ قوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور الآية (قال إن جعلت يصلى بمعنى يرحم

(قوله قد عاشا إلى أن نيف أحدهما) أى زاد والنيف بالتشديد والتخفيف الزيادة كذا فى الصحاح

وَمَلَأْنَاكَ لِتُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝ نُحْيِيهِمْ يَوْمَ يُلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝ وَلَا تَطْعِ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ وَدَعِ أَذْيَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ

(وملائكته) ومما نبى صلاتهم (قلت) هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكرتهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرافة ونظيره قوله حياك الله أي أحياك وأبقاك وحييتك أي دعوت لك بأن يحييك الله لأنك لا تنالكك على إجابة دعوتك كأنك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه أي ادعوا الله بأن يصلى عليه والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويتراف حيث يدعوكم إلى الخير ويأمركم بالكثير الذكر والتوفير على الصلاة والطاعة (ليخرجكم) من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة (وكان بالمؤمنين رحيمًا) دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة ويروى أنه لما نزل قوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر رضى الله عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه فأزلت (نحييتهم) من إضافة المصدر إلى المفعول أي يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز أن يعظمهم الله بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم وأن يكون مثلًا كاللقاء على ما فسرنا وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والأجر الكريم الجنة (شاهدًا) على من بعث إليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم أي مقبول قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم (فإن قلت) وكيف كان شاهدًا وقت الإرسال وإنما يكون شاهدًا عند تحمل الشهادة أو عند أدائها (قلت هي) حال مقدرة كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا أي مقدرًا به الصيد غدا (فإن قلت) قد فهم من قوله إننا أرسلناك داعيًا أنه مأذون له في الدعاء فما فائدة قوله (بإذنه) (قلت) لم يرد به حقيقة الإذن وإنما جعل الإذن مستعارًا للتسهيل والتيسير لأن الدخول في حق المالك متعذر فإذا صودف الإذن تسهل وتيسر فلما كان الإذن تسهيلًا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك إن دعاء أهل الشرك والجاهلية إلى التوحيد والشرائع أمر في غاية الصعوبة والتعذر فقبل بإذنه الإيدان بأن الأمر صعب لا يتأتى ولا يستطيع إلا إذا سأل الله ويسره ومنه قولهم في الشجيع أنه غير مأذون له في الإنفاق أي غير مسهل له الإنفاق لكونه شاقا عليه داخلًا في حكم التعذر جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به أو أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الأبصار وصفه بالإشارة لأن من السراج ما لا يضيئ إذا قل سلبه ودقت قنبلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضيئ رسول بطيء وسراج لا يضيئ ومائدة ينتظر لها من يجي وموسى بعظمهم عن الموحشين فقال ظلام سائر وسراج فاتر وقيل وذا سراج منير أو تاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير أن يعطف على كاف أرسلناك ۝ الفضل ما يفضل به عليهم زيادة على الثواب وإذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز أن يريد بالفضل الثواب من فوقهم للعطايا فضول وفواضل وأن يريد أن لهم فضلا كبيرا على سائر الأمم وذلك الفضل من جهة الله وأنه آتاهم ما فضلوه به (ولا تطع الكافرين) معناه الدرهم والثبات

فما بال عطف الملائكة عليه فأجاب بأنهم لما كانوا يدعون الله بالرحمة ويستجيب دعاءهم بذلك جعلوا كأنهم فاعلون الرحمة كما تقول حياك الله بمعنى أحياك ثم تقول حييته بمعنى دعوة الله له بالحياة والمقصد بذلك جعل الحياة محففة له كأنك قلت دعوت له بالحياة فاستجبت الدعوة قال أحمد كثيرا ما يفر الزمخشري من اعتقاد إرادة الحقيقة والمجاز معا بلفظ واحد وقد التزمه ههنا ولكن جعل الصلاة من الله حقيقة ومن الملائكة مجازاً لأنه حملها على الرحمة وأما غيره فحملها على الدعاء وجعلها من الملائكة حقيقة ومن الله مجازاً والله أعلم

بِاللَّهِ وَكَيْلًا ۝ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ  
 مِنْ عَدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ  
 أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عُمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ

على ما كان عليه أو التهييج (أذاهم) يحتمل إضافته إلى الفاعل والمفعول يعنى ودع أن تؤذيهم بضرر أو قتل وخذ بظواهرهم  
 وحسابهم على الله في باطنهم أو ودع ما يؤذونك به ولا تجازمهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي منسوخة بآية  
 السيف (وتوكل على الله) فإنه يكفيكمهم وكفى به مفوضا إليه ولقائل أن يقول وصفه الله بخمسة أوصاف وقابل كلا  
 منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لأنه يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر  
 الأمم وهو الفضل الكبير والمبشر بالإعراض عن الكافرين والمنافقين لأنه إذا عرض عنهم أقبل جميع لإقباله على  
 المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع أذاهم لأنه إذا ترك أذاهم في الحاضر والأذى لا بد له من عقاب عاجل أو أجل  
 كانوا منذرين به في المستقبل والداعى إلى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لأن من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج  
 المنير بالا كتفاء به وكيفا لأن من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديراً بأن يكفى به عن جميع خلقه النكاح  
 الوطء وتسمية العقد نكاحاً ملابسته له من حيث أنه طريق إليه ونظيره تسميتهم الحمر إنما لأنها سبب في إقرار الإثم  
 ونحوه في علم البيان قول الراجز ۝ أسنمة الآبال في صحابه ۝ سمي الماء بأسنمة الآبال لأنه سبب سمن المسال وارتفاع  
 أسنمته ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله إلا في معنى العقد لأنه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن  
 السكناية عنه باهظ للمامسة والمماساة والقربان والتغشى والإتيان ۝ (فإن قلت) لم خص المؤمنات والحكم الذي نطقت  
 به الآية تستوى فيه المؤمنات والكتبايات (قلت) في اختصاصهن تنبيه على أن أصل أمر المؤمن والأولى به أن يتخير  
 لنطقته وأن لا ينكح إلا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاجرة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف أن يدخل تحت لحاف  
 واحد عدوة الله ووليه فالتى في سورة المائدة تعلم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين أوتوا الكتاب  
 وهذه فيها تعليم ما هو الأولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات (فإن قلت) ما فائدة ثم في قوله (ثم طلقتموهن) (قلت) فائدته  
 نفي التوهم عن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين أن يبعدها بالنكاح ويتراخى  
 بها المدة في حباله الزواج ثم يطلقها (فإن قلت) إذا خلاها خلوة يمكنه معها إلماس هل يقوم ذلك مقام المساس  
 (قلت) نعم عند أبي حنيفة وأصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله (فما لكم عليهن من عدة) دليل على أن العدة  
 حق واجب على النساء للرجال (تعتدونها) تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها كقولك كته فاكلناه  
 وزنه فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففاً أى تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله تعالى ولا تمسكوهن  
 ضرارا لعتدوا ۝ (فإن قلت) ما هذا التمتع أو واجب أم مندوب إليه (قلت) إن كانت غير مفروض لها كانت المتعة  
 واجبة ولا تجب المتعة عند أبي حنيفة إلا لها وحدها دون سائر المطلقات وإن كانت مفروضاً لها فالمتعة مخنفة فيها  
 فبعض على الندب والاستحباب ومنهم أبو حنيفة وبعض على الوجوب (سراحاً جميلاً) من غير ضرار ولا منع واجب  
 (أجورهن) مهورهن لأن المهر أجر على البضع وإبتاؤها إما إعطاؤها عاجلاً وإما فرضها وتسميتها في العقد (فإن قلت)  
 لم قال اللاتي آتيت أجورهن ومما أفاء الله عليك واللاتى هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات (قلت) قد اختار  
 الله لرسوله الأفضل الأولى واستحبه بالأطيب الأزكى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الأثر  
 وذلك أن تسمية المهر في العقد أولى وأفضل من ترك التسمية وإن وقع العقد جائزاً وله أن يماسها وعليه مهر المثل  
 إن دخل بها والمتعة إن لم يدخل بها وسوق المهر إليها عاجلاً أفضل من أن يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلم



الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأُمَّرَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ

وستتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية إذا كانت سبية ماليتها وخطبه سيفه وريحه وما غنمه الله من دار الحرب أحل وأطيب مما يشتري من شق الجلب والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبيثة فسبي الطيبة ما سبي من أهل الحرب وأما من كان له عهد فالسبي منهم سبي خبيثة ويدل عليه قوله تعالى (وما أفاء الله عليك) لأن فيء الله لا يطلق إلا على الطيب دون الخبيث كما أن رزق الله يجب إطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرائبه غير المحارم أفضل من غير المهاجرات معه وعن أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرتني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأنني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وأحللنا لك من وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهراً من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن عباس رضي عنهما لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد ممنن بالهبة وقيل الموهوبات أربع ميمونة بذت الحرث وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم رضي الله عنهن قرئ (إن وهبت) على الشرط وقرأ الحسن رضي الله عنه أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز أن يكون مصدرًا محذوفًا معه الزمان كقولك اجلس مادام زيد جالساً بمعنى وقت دوامه جالساً ووقت هبتها نفسها وقرأ ابن مسعود بغير أن (فان قلت) ما معنى الشرط الثاني مع الأول (قلت) هو تقييد له شرط في الإحلال هبتها نفسها وفي الهبة إرادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها لأن إرادته هي قبول الهبة وما به تتم (فإن قلت) لم عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى (نفسها للنبي إن أراد النبي) ثم رجع إلى الخطاب (قلت) للإيدان بأنه مما خص به وأوثر ومجئته على لفظ النبي للدلالة على أن الاختصاص تكريمة له لأجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به أبو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقمته سواء في الأحكام إلا فيما خصه الدليل وقال الشافعي لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى الهبة ولفظها جميعاً لأن اللفظ تابع للمعنى والمدعى للاشتراك في اللفظ يحتاج إلى دليل وقال أبو الحسن الكرخي إن عقد النكاح بلفظ الإجارة جائز لقوله تعالى اللاتي آتيت أجورهن وقال أبو بكر الرازي لا يصح لأن الإجارة عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان (خالصة) مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله أي خلص لك إحلال ما أحللك خالصة بمعنى خلوصاً والفاعل والقاعدة في المصادر غير عزيزين كالأجارج والقاعد والعاوية والكاذبة والدليل على أنها وردت في أثر الإحلال الأربعة مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التوكيد لها قوله (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم) بعد قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله (لكيلا يكون عليك حرج) متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية أن الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الأزواج والإماء وعلى أي حد وصفة يجب أن يفرض عليهم فقرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لئلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو أولى وأفضل وفي دينك حيث أحللك أجناس المنكوحات وزدناك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع أي ذلك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعنا للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأة خالصة لك من دونهم (وكان الله غفوراً) للواقع في الحرج إذ اناب (رحيماً) بالتوسعة

(قوله كما أن رزق الله يجب إطلاقه على الحلال) هذا عند المعتزلة أما أهل السنة فيطلقونه على القسمين

عَفُورًا رَحِيمًا ۝ تَرْجَىٰ مِنْ تَسَاءٍ مِنْهُنَّ وَتَوَوَّىٰ إِلَيْكَ مِنْ تَسَاءٍ ۝ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ  
ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عَيْنَهُنَّ وَلَا تَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ۝  
لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حَسَنَهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ

على عباده ۝ روى أن أمهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغيظن رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرته من شهر ربيع الأول ونزل التحيير فأشفقن أن يطلقهن فقلن يا رسول الله أفرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروى أن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله إني أرى ربك يسارع في هواك (ترجى) بهمز وغير همز تؤخر (وتووى) أضمر يعنى تترك مضاجعة من تشاء ممنن وأضاجع من تشاء أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء أو لا تقسم لآيتهن شئت وتقسم لمن شئت أو تترك نزوج من شئت من نساء أمتك وتزوج من شئت وعن الحسن رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لأنه إما أن يطلق وإما أن يمسك فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم وإذا طلق وعزل فإما أن يخلى المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها روى أنه أرجى ممنن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب رضي الله عنهن أرجى خمساً وآوى أربعاً وروى أنه كان يسوى مع ما أطلق له وخير فيه الأسود فإنها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك (ذلك) التفويض إلى مشيئتكم (أدنى) إلى قرّة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعاً لأنه إذا سوى بينهن في الإيواء والإرجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لإحداهن مما تريد ومما لا تريد إلا مثل ما الأخرى وعلين أن هذا التفويض من عند الله بوجه اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب (والله يعلم ما في قلوبكم) فيه وعيدان لم ترض ممنن بما دبر الله من ذلك وفوض إلى مشيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على تواطئ قلوبهن بتصافي بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه طيب نفسه ۝ وقرئ تقرأ أعينهن بضم التاء ونصب الأعين وتقرأ عينهن على البناء المدفوعول (وكان الله عليماً) بذات الصدور (حليماً) لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بأن يتقى ويحذر ۝ كلهن تأكيد لكون يرضين وقرأ ابن مسعود ويرضين كلهن بما آتيتن على التقديم وقرأ كلهن تأكيداً لهن في آتيتن ۝ (لا تحل) وقرئ بالذكير لأن تأنيث الجمع غير حقيق وإذا جاز بغير فصل في قوله تعالى وقال نسوة كان مع الفصل أجوز (من بعد) من بعد التسع لأن التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأزواج كما أن الأربع نصاب أمته ممنن فلا يحل له أن يتجاوز النصاب (ولا أن تبدل بين) ولا أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجاً آخر بكلهن أو بعضهم أراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر النبي صلى الله عليه وسلم عليهن وهي التسع اللاتي مات عنهن عائشة بنت أبي بكر حفصة بنت عمر أم حبيبة بنت أبي سفيان سودة بنت زمعة أم سلمة بنت أبي أمية صفية بنت حيي الخيرية ميمونة بنت الحارث الحلالية زينب بنت جحش الأسدية جويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنهن ۝ من في (من أزواج) لتأكيد النفي وقائده استغراق جنس الأزواج بالتحريم وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص إحلالهن لك من الأجناس الأربعة من الاعرابيات والغرائب أو من الكتابيات أو من الإماء بالنكاح وقيل في تحريم التبديل هو من البديل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل الرجل بآداني بامرأتك وأبادلك بامرأتى فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويحكى أن عبيدة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة عن غير استئذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبيدة أين الاستئذان قال يا رسول الله ما استئذنت على رجل قط ممن مضى منذ أدركت ثم قال من هذه الجميلة

(قوله فقصر النبي صلى الله عليه وسلم عليهن وهي التسع) لعله ومن

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ۖ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرِ نَظِيرِ لِأَنَّهُ  
وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي  
مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ

إلى جنبك فقال صلى الله عليه وسلم هذه عائشة أم المؤمنين قال عبيدة أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم إن الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة رضى الله عنها من هذا يا رسول الله قال أحق مطاع وأنه على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة رضى الله عنها مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء تعنى أن الآية قد نسخت ولا يخلو نسخها إيمان يكون بالسنة وإما بقوله تعالى إنا أحلنا لك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف (ولو أعجبك) في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذى هو من أزواج لأنه موغل في التنكير وتقديره مفروضا إعجابك بهن وقيل هي أسماء بنت عيسى الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب والمراد أنها بمن أعجبه حسنهن واستثنى من حرم عليه الإمام (رقيبا) حافظا مهمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطى حلاله إلى حرامه (أن يؤذن لكم) في معنى الظرف تقديره وقت أن يؤذن لكم (غير ناظرين) حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معاً كأنه قيل لا تدخلوا بيوت النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقت الإذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه ومعناه لا تدخلوا ياهؤلاء المتحينون للطعام إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إنا وإلا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصاً لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤذن له إذنا خاصا وهو الإذن إلى الطعام فحسب وعن ابن أبي عمير أنه قرأ غير ناظرين مجروراً بصفة لطعام وليس بالوجه لأنه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له أن يبرز إلى اللفظ فيقال غير ناظرين إنا أنتم كقولك هند زيد ضاربه هي وإني الطعام إدراكه يقال أنى الطعام إني كقولك قلاه قلى ومنه قوله بين حميم أن بالغ إناه وقيل إناه وقته أى غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج إلى أن قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقى ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فانطلق إلى حجرة عائشة رضى الله عنها فقال السلام عليكم أهل البيت فقالوا عليك السلام يا رسول الله كيف وجدت أهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعونهن ورجع فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديداً الحياء فتولى فلما رأوه متولياً خرجوا فراجع ونزلت (ولامستأنسين لحديث) فهو اعن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به أو عن أن يستأنسوا حديث أهل البيت واستئناسه تسمعه وتوجه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين ه لا بد في قوله (فيستحى منكم) من تقدير المضاف أى من إخراجكم بدليل قوله والله لا يستحى من الحق يعنى أن إخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيا منه ه ولما كان الحياء مما يمنع الحى من بعض الأفعال قيل (لا يستحى من الحق) بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحى منكم وهذا أدب الله به الثقلان وعن عائشة رضى الله عنها حسبك في الثقلان أن الله تعالى لم يحتملهم وقال فإذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحى بياء واحدة ه الضمير في (سألتوهن) لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكرن لأن الحال ناطقة بذكرهن (متاعاً) حاجة (فأسألوهن) المتاع قيل إن عمر رضى الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن بحجة شديدة وكان يذكره كثيراً ويود أن ينزل فيه وكان يقول لو أطاع فيكن ما رأتكن عيني وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروى أنه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال لئن

وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ۖ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخَفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۖ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَاءَهُنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۖ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

احتجبتن فإن لکن علی النساء فضلا كما أن لزوجک علی الرجال الفضل فقالت زینب رضی اللہ عنہا یا ابن الخطاب إنک لاتغار علینا والوحي یزل فی بیوتنا فلم یلبسوا إلا سیرا حتی نزلت وقیل إن رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم کان یطعم معه بعض أصحابه فأصابته بدرجل منهم ید عائشة ففکره النبی صلی اللہ علیہ وسلم ذلك فنزلت آية الحجاب و ذکر أن بعضهم قال أنتهی أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب لأن مات محمد لا تزوجن عائشة فأعلم اللہ أن ذلك محرم (وما كان لكم) وما صح لكم إیذاء رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ولا نکاح أزواجه من بعده ۖ وسمى نکاحهن بعده عظیما عنده وهو من أعلام تعظیم اللہ لرسوله وإیحاب حرمة حیاً ومیتاً وإعلامه بذلك مما طیب به نفسه وسر قلبه واستغزر شکره فإن نحو هذا مما یحدث الرجل به نفسه ولا یخفی منه ففکره ومن الناس من تفرط غیرته علی حرمة حتی یتعمی لها الموت إلا تنکح من بعده وعن بعض الفقیان أنه كانت له جاریة لا یرى الدنیا بها شغفاً واستهتاراً فنظر إليها ذات یوم فتنفس الصعداء وانتحب فعمی نحبیه مما ذهب به ففکره هذا المذهب فلم یزل به ذلك حتی قتلها تصوراً لما عسی یتفق من بقائها بعده وحصولها تحت ید غیره وعن بعض الفقهاء أن الزوج الثانی فی هدم الثلاثی مما یمجرى بجرى العقوبة فصین رسول اللہ ﷺ عما یلاحظ ذلك (إن تبدوا شیئاً) من نکاحهن علی السننکم (أو تخفوه) فی صدورکم (فإن اللہ) یعلم ذلك فیما قبکم به وإعما جاء به علی أثر ذلك عاماً لكل بادوخاف لیدخل تحتہ نکاحهن وغیره ولأنه علی هذه الطریقة أهول وأجزل روى أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب یا رسول اللہ أوتحن أيضاً نكلمن من وراء الحجاب فنزلت (لا جناح علیهن) أى لا إثم علیهن فی أن لا یحتجبن من هؤلاء ولم یذكر العم والخال لانهما یمجریان بجرى الوالدین وقد جاءت تسمية العم أباً قال اللہ تعالی وإله آباءک إیراهیم وإسمعیل وإسحق وإسمعیل عم یعقوب وقیل کره ترک الاحتجاب عنهما لانهما یصفانها لآبائهما وأبناؤهما غیر محارم ۖ ثم نقل الکلام من الغیة إلى الحصاب وفى هذا النقل ما یدل علی فضل تشدید فقیل (واتقین اللہ) فیما أمرتن به من الاحتجاب وأیزل فیہ الوحي من الاستتار وأحظطن فیہ وفما استثنی منه ما قدرتین واحفظن حدودهما وأسلکن طریق التقوی فی حفظهما ولیکن عملکن فی الحجب أحسن مما کان وأنتم غیر محجبات لیفضل سرکن عملکن (إن اللہ کان علی کل شیء) من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه (شهیداً) لا یتفاوت فی علمه الأحوال ۖ قرئ وملائکته بالرفع عطفاً علی محل إن واسمها وهو ظاهر علی مذهب الکفریین ووجهه عند البصریین أن یحذف الخبر لدلالة یصلون علیہ (صلوا علیہ وسلموا) أى قولوا الصلاة علی الرسول والسلام ومعناه الدعاء بأن یترحم علیہ اللہ ریسلم (فإن قلت) الصلاة علی رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم واجبة أم مندوب إليها (قلت) بل واجبة وقد اختلفوا فی حال وجوبها فمنهم من أوجبها کلیها جرى ذکره وفى الحدیث من ذکرت عنده فلم یصل علیّ فدخل النار فأبعده اللہ ویروی أنه قیل یا رسول اللہ أرأیت قول اللہ تعالی إن اللہ وملائکته یصلون علی النبی فقال صلی اللہ علیہ وسلم هذا من العلم الممکنون ولولا أنکم سألتونی عنه ما أخبرتکم به إن اللہ وكل بی ملکین فلا أذکر عند عبد مسلم فیصلی علیّ إلا قال ذانک المکان غفر اللہ لک وقال اللہ تعالی وملائکته جو اباً لذینک المملکین آمین ولا أذکر عند عبد مسلم فلا یصلی علیّ إلا قال ذانک المکان لا غفر اللہ لک وقال اللہ وملائکته لذینک المملکین آمین ومنهم من قال تجب فی کل مجلس مرة وإن تکرر ذکره كما قیل فی آية السجدة وتشمیت العاطس وكذلك

(قوله لا یرى الدنیا بها شغفاً واستهتاراً) فی الصحاح فلان مستهتر بالشراب أى مولع به لا یبالی ما قیل فیہ

تَسْلِمًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ  
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا فَقَدْ احْتَمَلُوا بِهْتِنًا وَإِنَّمَا مَبِينَا ۚ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكَ وَبَنَاتِكَ  
 وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ ادْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ اللَّهُ غُفُورًا رَحِيمًا ۚ

في كل دعاء في قوله وخره ومنهم من أوجها في العمر مرة وكذا قال في إظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة  
 عليه عند كل ذكر لما ورد من الأخبار (فإن قلت) فالصلاة عليه في الصلاة أهي شرط في جوازها أم لا (قلت) أبو حنيفة  
 وأصحابه لا يرونها شرطا وعن إبراهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالشهادة وهو السلام عليك أيها النبي  
 وأما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا (فإن قلت) فماتقول في الصلاة على غيره (قلت) القياس جواز الصلاة على كل مؤمن  
 لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وقوله تعالى وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على  
 آل أبي أوفى ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو أنها إن كانت على سبيل التبعية كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها  
 وأما إذا أفرده من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه لأن ذلك صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن موافق  
 التهم (يؤذون الله ورسوله) فيه وجهان أحدهما أن يعبر بإيذاءهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي  
 وإنكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنواع المكروه على سبيل المجاز وإنما  
 جعلته مجازاً فيهما جميعاً وحقبة الإيذاء صحيحة في رسول الله صلى الله عليه وسلم لثلاثاً جعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز  
 والحقبة والثاني أن يراد يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في أذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين يداؤهم  
 مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه وقيل قول الدين يلحدون في أسمائه وصفاته  
 وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمأحكي عن ربه «شتمني ابن آدم ولم ينبغ له أن يشتمني وآذاني ولم ينبغ له أن يؤذيني  
 فأما شتمه إياي فقول له إن اتخذت ولداً وأما أذاه فقول له إن الله لا يعبدني بعد أن بدأتني وعن عكومة فعل أصحاب التصاوير  
 الذين يرمون تكوين خالق مثل خلق الله وقيل في أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل  
 كسر رباعيته وشج وجهه يوم أحد وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حبي وأطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين  
 والمؤمنات لأن أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حق أبدأ وأما أذى المؤمنين والمؤمنات فنهو منه ومعنى (بغير ما كتسبوا)  
 بغير جناية واستحقاق الأذى وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون علياً رضي الله عنه ويسمعونه وقيل في الذين أفكوا  
 على عائشة رضي الله عنها وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذي كلباً أو خنزيراً بغير حق  
 فكيف وكان ابن عون لا يكرى الحوانيت إلا من أهل الذمة لمسا فيه من الروعة عند كثر الحول الجلباب ثوب واسع أو سع من  
 الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقى منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما الرداء الذي يستر من فوق  
 إلى أسفل وقيل الملحفة وكل ما يستر به من كساء أو غيره قال أبو زيد مجلب من سواد الليل جلباباً ومعنى (بدنين عليهن من  
 جلابيبهن) برخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطاهن بقال إذا زال الثوب عن وجه المرأة أدنى ثوبك على وجهك وذلك  
 أن النساء كن في أول الإسلام على هجرتهن في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار فصل بين الحرة والأمة وكان الفتيان  
 وأهل الشطارة يتعترضون إذا خرجن بالليل إلى مقاضي حوائجهن في النخيل والعبان الإماء ورمات عرضوا للحرة بعللة الأمة يقولون  
 حسبنا أمة فأمرن أن يخالفن بزينة عن زى الإماء بلبس الأردية والملاحف وستر الرأس والوجه ليحتشمن ويهين  
 فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله (ذلك أدنى أن يعرفن) أي أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلتقن ما يكرهن (فإن

(قوله فكيف وكان ابن عون لا يكرى) عبارة النسفي فكيف إيذاء المؤمنين والمؤمنات

لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَّعُونِينَ أَيْنَ مَا تُوقَفُوا أَخَذُوا وَقَتُّوا تَعْتِيلًا ۖ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَئِن تَحْسَبِ اللَّهُ تَبْدِيلًا ۖ يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۖ إِنَّ اللَّهَ

قلت ( ما معنى من في من جلايبهن ) قلت ( هو للنبعيض إلا أن معنى النبعيض محمل وجهين أحدهما أن يجلبين ببعض ما لهن من الجلايب والمراد أن لا تكون الحرة متبدلة في درع وخمار كالامة والمساهنة ولها جلبان فساعدان في بيتها والثاني أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تنقع حتى تمنين من الامة وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال أن تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على أنفها وعن السدي أن تغطي إحدى عينيها وجهها والشق الآخر إلا العين وعن الكسائي بتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن أراد بالانضمام معنى الإدناء ( وكان الله غفورا ) لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لأن هذا مما يمكن معرفته بالعقل ( الذين في قلوبهم مرض ) قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة وأهل الفجور من قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض ( والمرجفون ) ناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا منزلولا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدكم والفسقة عن فجرهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء لنامرتك بأن تفعل بهم الأفاعيل التي تسوءهم وتؤءهم ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة وإلى أن لا يساكنوك فيها ( إلا ) زمتنا ( قليلا ) ربنا يرتحلون ويلتقطون أنفسهم وعيالاتهم فسمى ذلك إغراء وهو التحريش على سبيل المجاز ( ملعونين ) نصب على الشتم أو الحال أي لا يجاورونك إلا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر في قوله إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولا يصح أن ينتصب عن أخذوا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلا هو منصرب على الحال أيضا ومعناه لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين ( فإن قلت ) ما موقع لا يجاورونك ( قلت ) لا يجاورونك عطف على لنغربنك لأنه يجوز أن يجاب به القسم ألا ترى إلى صحة قولك لئن لم يذهبوا لا يجاورونك ( فإن قلت ) أما كان من حق لا يجاورونك أن يعطف بالفاء وأن يقال لنغربنك بهم فلا يجاورونك ( قلت ) لو جعل الثاني مسببا عن الأول لكان الأمر كما قلت ولكنه جعل جرابا آخر للقسم معطوفا على الأول وإنما عطف بثم لأن الجلاء عن الأوطان كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه ( سنة الله ) في موضع مصدر مؤكدا أي سن الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما نفقوا وعن مقاتل يعني كما قتل أهل بدر وأسروا ۖ كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزم اليهود يسألونه امتحانا لأن الله تعالى عصى وقتها في التوراة وفي كل كتاب فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين وإسكانا للمتعجلين ( قريبا ) شيئا قريبا أو لأن الساعة في معنى اليوم أو في زمان قريب ۖ السعير النار المسعورة

قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغربنك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ( قال فيه المراد بقوله تعالى إلا قليلا ربنا يلتقطون عيالاتهم وأنفسهم لا غير ) قال أحمد وفيها إشارة إلى أن من توجه عليه إخلاء منزل مملوك للغير بوجه شرعي بمهل ربنا يتقل بنفسه ومتاعه وعياله برهة من الزمان حتى يتحصل له منزل آخر على حسب الاجتهاد والله أعلم

( قوله لما سلف منهن من التفريط مع التوبة ) هذا عند المعتزلة أو بمجرد الفضل عند أهل السنة ( قوله الأفاعيل التي تسوءهم وتؤءهم ) في الصحاح يقال له عندي ما ساءه وناه أي أثقله وما يسوءه وينوءه وقال بعضهم أراد ساءه وناه وإنما قال ناه وهو لا يتعدى لأجل ساءه ليزدوج الكلام

لَعَنَ السَّكْفَرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۖ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۖ يَوْمَ تَقَلَّبَ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ۖ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَّرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ۖ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ بِخَبْرٍ كَافٍ ۖ رَبَّنَا ضَعِيفِينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاءِ كَبِيرًا ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ

الشديدة الإيقاد ۖ وقرئ تقلب على البناء المفعول وتقلب بمعنى تنقلب ونقلب أى نقلب نحن وتقلب على أن الفعل للسعيير ومعنى تقلبها تصرفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في الفدر إذا غلت فنرمى بها الغليان من جهة إلى جهة أو تغيرها عن أحوالها وتحويلها عن هيئاتها أو طرحها في النار مقلوبين منكوسين ونخصت الوجوه بالذكر لأن الوجه أكرم وضع على الإنسان من جسده ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة وناسب الظرف بقولون أو محذوف وهو أذكر وإذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا ۖ وقرئ ساداتنا وساداتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوم الكفر وزينود لهم ۖ يقال ضل السبيل وأضله آياه وزيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف ۖ وقرئ كثيرا تكثيرا لإعداد اللعائن وكبيرا ليبدل على أشد اللعن وأتظمه (ضعفين) ضعفا لضلاله وضعفا لإضلاله يعترفون ويستغيثون ويتعنون ولا ينفعهم شيء من ذلك (لأنكرونا كالذين آذوا موسى) قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل في أذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها وقيل إنهم إياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الجبل فأتى هناك فحمله الملائكة ومروا به عليهم ميتا فأبصروه حتى عرفوا أنه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم ببراهة موسى عليه السلام وقيل قرفوه بعيب في جسده من برص أو أدرة فأطلعهم الله على أنه برى منه (وجيها) إذا جاء ومنزلة عنده فلذلك كان يميظ عنه التهم ويدفع الأذى ويحافظ عليه لئلا يبلعته وصم ولا يوصف بنقبصة كما يفعل الملك بمن له عنده قرابة ووجاهة وقرأ ابن مسعود والأعمش وأبو حنيفة وكان عبدالله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعتة يقرؤها وقراءة العامة أوجه لأنها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله تعالى عند ذى العرش مكين وهذه ليست كذلك (فإن قلت) قوله مما قالوا معناه من قولهم أو من مقولهم لأن ما إمام صدرية أو موصولة وأيهما كان فكيف تصح للبراهة منه (قلت) المراد بالقول أو المقول مؤداه ومضمونه وهو الأمر المعيب ألا ترى أنهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول (قولا سديدا) قاصدا إلى الحق والسداد القصد إلى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على أن يسد قولهم في كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وقيل لإصلاح الأعمال التوفيق في المجي بها صالحة مرضية وهذه الآية مقتررة للنهي قبلها بنبت تلك على النهي عما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الأمر باتقاء الله تعالى في حفظ اللسان ليرادف عليهم النهي والأمر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الأمر الوعد البليغ

(قوله على أن الفعل للسعيير) يعنى ووجوههم بالنصب (قوله وقيل قرفوه بعيب) في الصحاح قرفت الرجل أى عتبه ويقال هو يقرف بكذا أى يرمى برؤيته (قوله ألا ترى أنهم سموا السبة بالقالة) في الصحاح صار هذا الأمر سبة عليه بالصم أى عارا (قوله على أن يسد قولهم) في الصحاح سد قوله يستد الكسر أى صار سديدا

أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ  
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝

فيقوى الصارف عن الأذى والداعى إلى تركه ۝ لما قال (ومن يطع الله ورسوله) وعلق بالطاعة الفرز العظيم أتبعه قوله  
(إنا عرضنا الأمانة) وهو يريد بالأمانة الطاعة فعظم أمرها ونغم شأنها وفيه وجهان أحدهما أن هذه الأجرام العظام  
من السموات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله عز وعلا انقياداً تلقاها وهو ما يتأتى من الجمادات وأطاعت له  
الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته إيجاداً وتكويناً وتسوية على هيآت مختلفة وأشكال  
متنوعة كما قال قلنا أتينا طائعين وأما الإنسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعات ويليق به من الانقياد لا وأمر  
الله ونواهيته وهو حيوان عاقل صالح للكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم  
الامتناع والمراد بالأمانة الطاعة لأنها لازمة الوجود كما أن الأمانة لازمة الأداء وعرضها على الجمادات وإباؤها  
وإشفاقها مجاز ۝ وأما حمل الأمانة فمن قولك فلان حامل الأمانة ومحمّل لها تريد أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول  
عن ذمته ويخرج عن عهدتها لأن الأمانة كأنها راكبة للمؤمن عليها وهو حاملها ألا تراهم يقولون ركبته الديون ولى  
عليه حق فإذا أداها لم تبقى راكبة له ولا هو حاملها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصراً يريدون أنه يبذل النصرة  
له ويساعده بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل

أخوك الذي لا يملك الحس نفسه ۝ وترفض عند المحفظات الكتائف

أى لا يمسك الرقة والعطف إمساك المالك الضمين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق أخيك لأنه إذا أحبه لم  
يخرجه إلى أخيه ولم يؤده وإذا أبغضه أخرجه وأداه فمعى فأبين أن يحملها وحملها الإنسان فأبين إلا أن يؤديها وأنى الإنسان إلا أن  
يكرن محتملاً لها لا يؤديها ۝ ثم رصفه بالظلم لكونه تاركاً لا أداء الأمانة وبالجهل لإخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو أدائها  
والثاني أن ما كلفه الإنسان بلغ من عظمه وثقل محمله أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواه وأشدّه أن  
يتحمّله ويستقل به فأبى حملة والاستقلال به وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته (لأنه كان ظلوماً جهولاً)  
حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحوه هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن إلا على  
طريقهم وأساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوى العوج وكم وكم لهم من أمثال على السنة البهائم  
والجمادات وتصور مقابلة الشحم محال ولكن الغرض أن السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه كما أن العجف مما يقبح  
حسنه فتصور أثر السمن فيه تصويراً هو أوقع في نفس السامع وهي به آنس وله أقبل وعلى حقيقته أوقف وكذلك  
تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها وثقل حملها والوفاء بها (فإن قلت) قد علم وجه التمثيل في قولهم للذى لا يثبت على رأى  
واحد أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى لأنه مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرأيين وتركه المضى على أحدهما بحال من  
يتردد في ذهابه فلا يجمع رجله للمضى في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة  
وليس كذلك ما في هذه الآية فإن عرض الأمانة على الجراد وإبائه وإشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء  
التمثيل على المحال ومما مثال هذا إلا أن أشبه شيئاً والمشبه به غير معقول (قلت) الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم

(قوله وترفض عند المحفظات الكتائف) أى تفرق وتذهب والمحفظات المغضبات والكتائف جمع كتيفة وهى السخيمة  
والحقديقول هو الذى إذا رآك مظلوماً رآك لك وذهب حقه كذا فى الصحاح (قوله ثم خاس بضمانه فيها) فى الصحاح حاس به  
يخبس ويخوس أى غدر به يقال خاس بالعهد إذا نكث



## سورة سبأ مكية

إلا آية ٦ فمدنية وآياتها ٥٤ نزلت بعد لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ  
الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ

أين تذهب وفي نظائره مفروض والمفروضات تنخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنها وأشققن منها ۝ واللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لأن التعذيب نتيجة حمل الأمانة كما أن التأديب في ضربته للتأديب نتيجة الضرب ۝ وقرأ الأعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لأنه إذا تيب على الوافي كان ذلك نوعاً من عذاب الغادر والله أعلم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وماملكت يمينه أعطى الأمان من عذاب القبر

(سورة سبأ مكية وهي أربع وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ما في السموات والأرض كله نعمة من الله وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله ولما قال (الحمد لله) ثم وصف ذاته بالإنعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه أنه المحمود على نعم الدنيا كما تقول أحمد أخاك الذي كساك وحملك تريد أحمد على كسوته وحملانه ولما قال (وله الحمد في الآخرة) علم أنه المحمود على نعم الآخرة وهو الثواب (فإن قلت) ما الفرق بين الحمد في الدنيا فواجب لأنه على نعمة متفضل بها وهو الطريق إلى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب وأما الحمد في الآخرة فليس بواجب لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها إنما هو تنمية سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد (وهو الحكيم) الذي أحكم أمور الدارين ودبرها بحكمته (الخبير) بكل كائن يكون ۝ ثم ذكر ما يحيط به علما (ما يلبج في الأرض) من الغيث كقوله فسلكه ينابيع في الأرض ومن الكنوز والدفائن والأموات وجميع ما هي له كفات (وما يخرج منها) من الشجر والنبات وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك (وما ينزل من السماء) من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأرزاق والملائكة وأنواع البركات والمقادير كما قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون (وما يعرج فيها) من الملائكة وأعمال العباد (وهو) مع كثرة نعمه وسبوغ فضله (الرحيم الغفور) المفرطين في أداء مواجب شكرها ۝ وقرأ

(القول في سورة سبأ)

۝ قوله تعالى الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة (قال فيه الحمد الأول واجب لأنه على نعمة متفضل بها والثاني ليس بواجب لأنه على نعمة واجبة على المنعم) قال أحمد والحق في الفرق بين الحمدين أن الأول عبادة مكلف بها والثاني غير مكلف به ولا متكلف وإنما هو في النشأة الثانية كالجلبات في النشأة الأولى ولذلك قال عليه الصلاة والسلام يلهمون التسييح كما يلهمون النفس وإلا فالنعمة الأولى كالثانية بفضل من الله تعالى على عباده لا عن استحقاق والله الموفق

(قوله ويتوب) أي بالرفع كما في النسفي (قوله نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها) مبنى على مذهب المعتزلة أما أهل السنة فلا يوجبون على الله شيئاً ولا يجب الحمد في الآخرة لأنها ليست دار تكليف (قوله كما يلتذ من به العطاش البارد) في الصحاح العطاش داء يصيب الإنسان يشرب الماء فلا يروى

الْغُفُورُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ۝ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝

على بن أبي طالب رضى الله عنه نزل بالنون والتشديد ۝ قولهم (لا تأتينا والساعة) نفي للبعث وإنكار لمجيء الساعة أو استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الجزم والسخرية كقولهم متى هذا الوعد ۝ أوجب ما بعد النفي بلى على معنى أن ليس الأمر إلا إتيانها ثم أعيد إيجابه مؤكداً بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أمد التوكيد القسحى إمداداً بما أتبع المقسم به من الوصف بما وصف به إلى قوله ليجزى لأن عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر وكلما كان المستشهد به أعلى كعباً وأبين فضلاً وأرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ (فإن قلت) هل للوصف الذى وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى (قلت) نعم وذلك أن قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية وأولها مسارعة إلى القلب إذا قيل عالم الغيب فحين أقسم باسمه على إثبات قيام الساعة وأنه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع إلى علم الغيب وأنه لا يفوت علمه شيء من الخفيات واندرج تحته إحاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئاً واضحاً (فإن قلت) الناس قد أنكروا إتيان الساعة وجحدوه فهب أنه حلف لهم بأغاظ الأيمان وأقسم عليهم جهدهم فيمينا من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة لما أنكروه (قلت) هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهى قوله ليجزى فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وأن المحسن لا يبدله من ثواب والمسيء لا يبدله من عقاب وقوله ليجزى متصل بقوله لتأتينكم تعليلاً ۝ قرئ لتأتينكم بالياء ووجه من قرأ بالياء أن يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم أو يسند إلى عالم الغيب أى ليأتينكم أمره كما قال تعالى هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك وقال أوبأنى أمر ربك ۝ وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربى وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر فى الراى من العزوب وهو البعد يقال روض عزيز بعيد من الناس (مِثْقَالُ ذَرَّةٍ) مقدار أصغر نملة (ذلك) إشارة إلى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ ۝ وقرئ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالرفع على أصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة إلا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع عما قبله (فإن قلت) هل يصح عطف المرفوع على مِثْقَالِ ذَرَّةٍ كأنه قيل لا يعزب عنه مِثْقَالِ ذَرَّةٍ وأصغر وأكبر وزيادة للتأكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بأنه فتح فى موضع الجر لا متاع الصرف كأنه قيل لا يعزب عنه مِثْقَالِ ذَرَّةٍ ولا مِثْقَالِ أصغر من ذلك ولا أكبر (قلت) يابى ذلك حرف الاستثناء إلا إذا جمعت الضمير فى عنه للغيب وجعلت الغيب اسماً للخفيات قبل أن تكتب فى اللوح لأن إثباتها فى اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى أنه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه إلا مسطوراً فى اللوح ۝ وقرئ معجزين وأليم بالرفع والجر ۝ وعن قتادة الرجز سوء العذاب (ويرى) فى موضع الرفع أى ويعلم أولوا العلم يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يظأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا مثل كعب الأحبار وعبدالله بن سلام رضى الله عنهما ۝ الذى أنزل إليك الحق وهما مفعولان ليرى وهو فصل من قرأ الحق بالرفع جعله مبتدأ والحق خبراً والجملة فى موضع المفعول الثانى وقيل يرى فى موضع النصب معطوف على ليجزى أى ويعلم

(قوله وركب فى الغرائز وجرب الجزاء) هذا مقتضى الحكمة وإن لم يجب على الله تعالى شيء عند أهل السنة فتدبر

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُوكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبْشُرُكُمْ إِذَا مُرِقْتُمْ كُلٌّ مُّرِقٍ إِنَّكُمْ لَنِىٰ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ افترى علىٰ  
الله كذباً أم به جنّة بل الذين لا يؤمنون بالأخرة في العذاب والضلل البعيد ۝ أفلم يروا إلى ما بين أيديهم  
وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء إن في  
ذلك لآية لكل عبد منيب ۝ ولقد آتينا داود منا فضلاً فجبالاً أوبى معه والطير والناله الحديد ۝ أن اعمل

أولوا العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علماً لا يزداد عليه في الإيقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز أن يربد  
وليعلم من لم يؤمن من الأحبار أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغمماً (الذين كفروا) قریش قال بعضهم لبعض  
(هل ندأكم على رجل) يعنون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب أنكم تبعثون وتنشؤون  
خلقاً جديداً بعد أن تكونوا رفاتاً وتراباً ۝ بمزق أجسادكم التي كل ممزق أى بفرقكم ويبدد أجزاءكم كل تبديد ۝ أهو  
مفتر على الله كذباً فيما ينسب إليه من ذلك أم به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ۝ ثم قال سبحانه ليس محمد من  
الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث وافعون في عذاب النار فيما يؤدبهم إليه  
من الضلال عن الحق وهم غائلون عن ذلك وذلك أجن الجنون وأشدّه إطباقاً على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رسيلاً  
لو قوعهم في الضلال كأنهما كائنان في وقت واحد لأن الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلاً كأنهما في  
الحقيقة مقترنان ۝ وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه بدينكم (فإن قلت) فقد جعلت الممزق مصدراً كبيت الكتاب

لم تعلم مسرحى القوافى ۝ فلا عيا بهن ولا اجتلاباً

فهل يجوز أن يكون مكاناً (قلت) نعم ومعناه ما حصل من الأموات في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به  
كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح ۝ (فإن قلت) ما العامل في إذا (قلت) ما دلّ عليه إنكم لنى خلق جديد  
وقد سبق نظيره ۝ (فإن قلت) الجديد فعيل بمعنى فاعل أم مفعول (قلت) هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد  
فهو جديد كجد فهو حديد وقلّ فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده إذا قطعه وقالوا هو الذى جد الناسج الساعة  
في الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا ملحفة جديد وهى عند البصريين كقوله تعالى إن رحمة الله قريب ونحو ذلك  
(فإن قلت) لم أسقطت الهمزة في قوله افترى دون قوله آلسحر وكتناهما همزة وصل (قلت) القياس الطرح ولكن  
أمر اضطرهم إلى ترك إسقاطها في نحو آلسحر وهو خوف الناس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة  
الاستفهام (فإن قلت) ما معنى وصف الضلال بالبعد (قلت) هو من الإسناد المجازى لأن البعيد صفة الضلال إذا بعد عن  
الجماعة وكلما ازداد عنها بعداً كان أضل (فإن قلت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهوراً علماً في قریش وكان  
إنباؤه بالبعث شائعاً عندهم فما معنى قوله هل ندلكم على رجل يبشركم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل  
على جهول في أمر مجهول (قلت) كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فأخرجوه مخرج التحلى بعض الأحاجى التى  
يتحاجى بها للضحك والتلهى متجاهلين به وبأمره ۝ أعموا فلم ينظروا إلى السماء والأرض وأنهما حيثما كانا وأينما ساروا  
أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدر أن ينفذوا من أقطارهما وأن يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله عز وجل  
ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفاً لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وبما جاء  
به كما فعل بقارون وأصحاب الأيكة (إن في ذلك) النظر إلى السماء والأرض والفكر فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله  
(آية) ودلالة (لكل عبد منيب) وهو الراجع إلى ربه المطيع له لأن المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على أنه قادر  
على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به ۝ يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى افترى على الله كذباً والتون

سَبَّغْتِ وَقَدَّرْتِ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَلَاحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بِصِيرٍ ۝ وَأَسْلَيْتِ مِنَ الرِّيحِ غَدُوَهَا شَهْرًا وَرَوَّاحَهَا شَهْرًا  
وَأَسْلَنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ

لقوله ولقد آتينا وكسفاً بفتح السين وسكونه ۝ وقرأ الكسائي يخسف بهم بالإدغام وليست بقوية (يا جبال) إقنا أن يكون بدلا من فضلا وإقنا من آتينا بتقدير قولنا يا جبال أو قلنا يا جبال وقرئ أوتى وأوتى من التأويب والأوب أى رجعى معه التسبيح أو راجعى معه فى التسبيح كلما رجع فيه لأنه إذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال أن الله سبحانه وتعالى يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام فى الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتخزين وكانت الجبال تساعد على نوحه بأصواتها والطيور بأصواتها وقرئ والطيور رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلا وجوزوا أن ينتصب مفعولا معه وأن يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير (فإن قلت) أى فرق بين الظم وبين أن يقال ۝ وآتينا داود منا فضلا ۝ تأويب الجبال معه والطيور (قلت) كم بينهما ألا ترى إلى ما فيه من الفخامة التى لا تخفى من الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الإلهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا إشعاراً بأنه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت إلا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على إرادته (والنا له الحديد) وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع بصرفه يده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد فى يده لما أوتى من شدة القوة وقرئ صابغات وهى الدروع الواسعة الضافية وهو أول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بنى إسرائيل متسكراً فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون فى داود فيثنون عليه فقيض الله له ما يكافى فى صورة آدمى فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فربح داود فسأله فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال فعليه صنعة الدروع (وقدر) لا يجعل المسامير دقاقتلق ولا غلاظاً فنقصم الحلق والسرد نسج الدروع (واعملوا) الضمير لداود وأهله (و) سخرنا (لسليمان الريح) فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع (غدوها شهر) جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك وقرئ غدوتها وروحها وعن الحسن رضى الله عنه كان يغدو فيقبل باصطخر ثم يروح فيكون رواجه بكابل ويحكى أن بعضهم رأى مكتوباً فى منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان نحن نزلناه وما بنيناه ومبذياً وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فباتون بالشام إن شاء الله . القطر النحاس المذاب من القطران (فإن قلت) ماذا أراد بعين القطر (قلت) أراد به معدن النحاس ولكنه أسأله كما ألان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل إليه كما قال إني أراني أعصر خمرأ وقيل كان يسيل فى الشهر ثلاثة أيام (بإذن ربه) بأمره (ومن يزغ منهم) ومن يعدل (عن أمرنا) الذى أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ من أزاعه ۝ وعذاب السعير عذاب الآخرة . عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن السدى : كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجنى ۝ المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لأنه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هى المساجد ۝ والتماثيل صور الملائكة والديين والصالحين كانت تعمل فى المساجد من نحاس وفضة وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدونها نحو عبادتهم (فإن قلت) كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل النساوير (قلت) هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع لأنه ليس من مقبحات العقل

(قوله بأصداثها) جمع صدى وهو الذى يجيبك بمثل صوتك فى الجبال وغيرها كذا فى الصحاح  
(قوله ولكنه أسأله كما ألان الحديد) لعله أسأله له

السَّعِيرُ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرَبٍ وَنَسِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا  
وَقَلِيلٍ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا  
خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ لَقَدْ كَانَ لِسِيَّ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ

كالظلم والكذب وعن أبي العالية لم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محزوماً ويجوز أن يكون غير صور الحيوان كصور الأشجار  
وغيرها لأن التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان أو تصور مخدوفة الرأس وروى أنهم عملوا له  
أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما  
والجوابي الحياض الكبار قال : تروح على آل المحلق جفنة . بكناية السبع العراقي تفهق

لأن الماء يجي فيها أي يجمع جعل الفعل لها مجازاً وهي من الصفات الغلبة كالداية قبل كان يقعد على الجفنة ألف رجل  
وقرى بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله تعالى يوم يدع الداع (راسيات) ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها (اعملوا  
آل داود) حكاية ما قيل لآل داود وانتصب (شكراً) على أنه مفعول له أي عملوا لله وعبدوه على وجه الشكر لنعماؤه وفيه  
دليل على أن العبادة يجب أن تؤدى على طريق الشكر أو على الحال أي شاكرين أو على تقدير الشكر وشكر الآن عملوا فيه معنى  
اشكروا من حيث أن العمل للنعمة شكره ويجوز أن ينتصب باعملوا مفعولاً به ومعناه أنا نذكر نالكم الجن يعملون لكم  
ما شئتم فاعملوا أنتم شكراً على طريق المشاكلة (والشكور) المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه  
وجوارحه اعتقاداً واعترافاً وكدها وأكثر أوقانه وعن ابن عباس رضى الله عنهما من يشكر على أحواله كلها وعن السدى  
من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات  
إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى وعن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلاً يقول اللهم اجعلنى من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء  
فقال الرجل إني سمعت الله يقول وقليل من عبادى الشكر فأنا أدعوه أن يجعلنى من ذلك القليل فقال عمر كل الناس أعلم من عمره  
قرئ فلما قضى عليه الموت ودابة الأرض الأرضة وهى الدويبة التى يقال لها السرقة والأرض فعلها فأضيفت إليه يقال أرضت  
الحشبة أرضاً إذا أكلتها الأرضة . وقرئ بفتح الراء من أرضت الحشبة أرضاً وهو من باب فعلت ففعل كقولك أكلت  
القوادح الأسنان أكلافاً كلاتا كلاً والمندسة العصا لأنه ينسأ بها أى يطرد ويؤخره وقرئ بفتح الميم وبخفيف الهمزة  
قلبا وحذفاً وكلاهما ليس بقياس ولكن إخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسى ومنسأته على مفعلة كما يقال  
فى الميضأة ميضأة ومن سآته أى من طرف عصاه سميت بسآة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم فحة وقحة  
وقرى أكلت منسأته (تبينت الجن) من تبين الشيء إذا ظهر وبجلى . و (أن) مع صلتهما بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك  
تبين زيد جهله والظهور له فى المعنى أى ظهر أن الجن (لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب) أو علم الجن كلهم  
علماً بينا بعد التباس الأمر على عاقبتهم وضعفتهم وتوهمهم أن كبارهم يصدقون فى ادعائهم علم الغيب أو علم المدعون  
علم الغيب منهم عجزهم وأنهم لا يعلمون الغيب وإن كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وإنما أريد التهمك بهم كما تنهك بمدعى  
الباطل إذا دحضت حجته وظهر إبطاله بقولك هل تبينت أنك مبطل وأنت تعلم أنه لم يزل كذلك متيناً وقرئ تبينت  
الجن على البناء للفعول على أن المتبين فى المعنى هو أن مع ما فى صلتهما لأنه بدل وفى قراءة أبى تبينت الإنس وعن الضحاك

(قوله بكناية السبع العراقي تفهق) أى الماء الجارى على وجه الأرض وفهق الأثناء إذا امتلأ حتى يتصب كذا  
فى الصحاح (قوله سميت بسآة القوس) فى الصحاح سية القوس ما عطف من طرفها وكان رطوبة يهزمية القوس وسائر  
العرب لا يهزونها (قوله كقولهم فحة وقحة) كسعة وكذة بمعنى الوقاحة وهى الصلابة (قوله بمدعى الباطل إذا دحضت  
حجته) فى الصحاح بطلت

جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ

تباينت الإنس بمعنى تعارفت وتعاملت والضمير في كانوا للجن في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه أي علمت الإنس أن لو كان الجن يصدقون فيما يوهومونهم من علمهم الغيب ما لبثوا وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب روى أنه كان من عادة سليمان عليه السلام أن يعتكف في مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا أجله لم يصبح إلا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله فيسألها لأي شيء أنت فتقول لكذا حتى أصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لحراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وأناحي أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فزعتها وغرسها في حائط له وقال اللهم عم عن الجن موتى حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يسترقون السمع ويؤهون على الإنس أنهم يعلمون الغيب وقال ملك الموت إذا أمرت بي فأعلمني فقال أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى فلم يكن شيطان ينظر إليه في صلواته إلا احترق فمز به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فإذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فإذا العصا قد أكلتها الأرضة فأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها في يوم وليلة مقداراً فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قدمات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حياً فأيقن الناس أنهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب سنة وروى أن داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به إلى سليمان فأمر الشياطين بإتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب روى أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الأسدان ساقه فكسراها فلم يجسر أحد بعد أن يدنوا منه وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقى في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع مئتين من ملكه قرى (لسبأ) بالصرف ومنعه وقلب الهمزة ألفا ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكنهم وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا مقيمين فيها أو مسكن كل واحد منهم وقرى مساكنهم و(جنتان) بدل من آية أو خير مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح تدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح (فإن قلت) ما معنى كونها آية (قلت) لم نجعل الجنتين في أنفسهما آية وإنما جعل قصتهما وأنأهاهما أعرضوا عن شكر الله تعالى عليهما فخرجهما وأبدلهم عنهما الخط والأل آية وعبرة لهم ليحسبوا ويتعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز أن تجعلهما آية أي علامة دالة على الله وعلى قدرته وإحسانه ووجوب شكره (فإن قلت) كيف عظم الله جنتي أهل سبأ وجعلهما آية ورب قرية من قرى العراق يحتف بها من الجنان ما شئت (قلت) لم يرد بستانين اثنين فحسب وإنما أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها واتصافها كأنها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها أو أراد بستانى كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب (كلوا من رزق ربكم) إما حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون اليهم أو لما قال لهم لسان الحال أو هم أحق بأن يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق ربكم (واشكروا له) أتبعه قوله (بلدة طيبة ورب غفور) يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت أخصب البلاد وأطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجرة فيمتلي المكتل بما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وقرى بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن

(قوله وكل واحد من الجماعتين في تقاربها واتصافها كأنها جنة واحدة

وهذه عبارة النسفي

سَبَّأِ الْعَرَمِ وَبَدَانِهِمْ بِجَنَّتَيْهِمْ ذَوَاتِي أَكُلُ نَخْتِ وَأَثَلِ وَشَىءٌ مِّنْ سَدْرِ قَائِلٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا  
كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكٰفُرُونَ ۚ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ظَهْرًا وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ  
سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ۚ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرْقَمَهُمْ

ثُمَّ لَبَّ مَعْنَاهُ اسْكُرَ وَاعْبُدَ (العرم) الجرذ الذي نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجباين  
بالصخر والقار فحقت به ماء العيون والأمطار وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم فلما طغرا  
قيل بعث الله اليهم ثلاثة عشر نبيا يدعونهم إلى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف الله نعمة ساط الله  
على سدوم الخلد فنقبه من أسفله ففرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة ويقال للكُدس من الطعام عرمة  
والمراد المسناة التي عقدوها سكرًا وقيل العرم اسم الوادي وقيل العرم المطر الشديد ۚ وقرئ العرم بسكون الراء وعن  
الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ۚ وقرئ أكل بالضم والسكون وبالتنوين والإضافة  
والأكل الثمر ۚ والنخت شجر الأراك وعن أنى عبدة كل شجر ذى شوك وقال الزجاج كل نبت أخذ طعما من مرارة  
حتى لا يمكن أكله ۚ والأثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عوداً ووجه من تون أن أصله ذواتى أكل أكل نخط  
فخفف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أو وصف الأكل بالنخت كأنه قيل ذواتى أكل بشع ومن أضاف وهو  
أبو عمرو وحده فلأن أكل النخت في معنى البربر كأنه قيل ذواتى بربر والأثل والسدر معطوفان على أكل لأعلى نخط لأن  
الأثل لا أكل له وقرئ وأثلا وشيئا بالصب عطفاً على جنتين وتسمية اليدل جنتين لأجل المشاكلة وفيه ضرب من  
التهكم وعن الحسن رحمه الله قل السدر لأنه أكرم ما بدلوا ۚ وقرئ وهل يجازى وهل يجازى بالنون وهل يجازى  
والفاعل الله وحده وهل يجزى والمعنى أن مثل هذا الجزاء لا يستحقه إلا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل المؤمن  
تكفر سيأنه بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما عمله من سوء ووجه آخر وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة  
يستعمل تارة في معنى المعاقبة وأخرى في معنى الإثابة فله الاستعمل في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبتهم  
بكفرهم قيل وهل يجازى إلا الكفور بمعنى وهل يعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقائل أن يقول لم قيل وهل يجازى  
إلا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لأنه لم يرد الجزاء العام وإنما أراد الخاص  
وهو العقاب بل لا يجوز أن يراد العموم وليس بموضعه ألا ترى أنك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا  
الكافر والمؤمن لم يصح ولم يستد كلاماً فتيب أن ما يتخيل من السؤال مضمحل وأن الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء  
عليه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (القرى التي باركنا فيها) وهي قرى الشام (قرى ظهرة)  
متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لأعين الناظرين أو رابكة من الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن  
مسالكهم حتى تخفى عليهم (وقدرنا فيها السير) قيل كان الغادى منهم يقبل في قرية والرائح يبيت في قرية إلى أن يبلغ  
الشام لا يخاف جوعاً ولا عطشاً ولا عدواً ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء (سيروا فيها) وقتلنا لهم سيروا ولا قول ثم  
واكثرتهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه كأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه (فإن قلت) ما معنى قوله (ليالي وأياماً)  
(قلت) معناه سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار فإن الأمن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات أو سيروا فيها  
آمنين لا تخافون وإن تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت أياماً وليالي أو سيروا فيها لياليكم وأيامكم مدة أعماركم فإنكم في

(قوله العرم الجرذ) في الصحاح الجرذ ضرب من الفار وفيه سكرت النهر سكر إذا سدده (قوله سلط الله على سدوم الخلد  
فنقبه) في الصحاح الخلد ضرب من الجرذان أعشى وفيه المسكدس بالضم وأحد كداس الطعام (قوله والمراد المسناة التي عقدوها)  
في الصحاح المسناة العرم وفيه العرم المسناة وفي ذلك دور (قوله فلأن أكل النخت في معنى البربر) في الصحاح البربر ثمر الأراك

كُلُّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ۝ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍ وَمَالَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أِذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ

كل حين وزمان لا تلقون فيها إلا الأمن قرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبعد وياربنا على الدعاء ۝ بطروا النعمة وبشموامن طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناتنا أبعد كان أجدر أن نشتهي وتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الأزواد فجعل الله لهم الإجابة وقرئ ربنا بعد بين أسفارنا وبعد بين أسفارنا على النداء وإسناد الفعل إلى بين ورفع به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين أسفارنا وقرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الأول وهو استبعاد مسيرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفعهم كأنهم كانوا يتشاجرون على ربهم ويتحازنون عليه (أحاديث) يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم وفرقاهم تفريقاً اتخذها الناس مثلاً مضروباً يقولون ذهبوا أيدي سبأ وتفرقوا أيادي سبأ قال كثير بن أيادي سبأ يا عزمًا كنت بعدكم ۝ فلم يجلب بالعينين بعدكم مظهر لحق غسان بالشام وأعمار يثرب وجزام بتهامة والأزد بعمان (صبار) عن المعاصي (شكور) للنعم ۝ قرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع إبليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه أو وجده صادقاً ومن خفف فعلى صدق في ظنه أو صدق يظن ظاً نحو فعلته جهدك وبنصب إبليس ورفع الظن فمن شدد فعلى وجد ظنه صادقاً ومن خفف فعلى قال له ظنه الصادق حين خيبله إغواءهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعها على صدق عليهم ظن إبليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعها لكان على المبالغة في صدق كقوله صدقت فيهم ظنوني ومعناه أنه حين وجد آدم ضعيف العزم قد أصغى إلى وسوسته قال إن ذريته أضعف عزمًا منه فظن بهم اتباعه وقال لأضلنهم لأغوينهم وقيل ظن ذلك عند إخبار الله تعالى الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها ۝ والضمير في عليهم واتبعوه إقما لأهل سبأ أو لبني آدم ۝ وقل المؤمنين بقوله (إلا فريقاً) لأنهم قليل بإضافة إلى الكفار كما قال لاحتسكن ذريته إلا قليلاً ولا تجد أكثرهم شاكرين (وما كان له عليهم) من تسليط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء إلا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم ۝ وقرئ ليعلم على البناء للمفعول (حفيظ) محافظ عليه وفعل ومفاعل متآخيان (قل) لمشركي قومك (ادعوا الذين) عبدتموهم من دون الله من الأصنام والملائكة وسميتهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا إليهم فيما يعرفونكم كما تلجئون إليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تظنون أن يستجيب لكم ويرحمكم ثم أجاب عنهم بقوله (لا يملكون مثقال ذرة) من خير أو شر أو نفع أو ضرر (في السموات ولا في الأرض وما لهم) في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك كقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والأرض، وما له منهم من عرين يعين على تدبير خلقه يريد أنهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن أحوال الربوبية فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى (فإن قلت) أين مفعول لا زعم (قلت) أحدهما الضمير المحذوف الراجع منه إلى الموصول وأما الثاني فلا يخلو إقما أن يكون من دون الله أو لا يملكون أو محذوفاً فلا يصح الأول لأن قولك هم من دون الله لا يلتزم كلاماً ولا الثاني لأنهم ما كانوا يزعمون ذلك فكيف يتكلمون بما

(قوله وبشموامن طيب العيش) بشمو أي شمو وأفاده الصحاح (قوله كأنهم كانوا يتشاجرون) في الصحاح الشجواهم والحزن



قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا

هو حجة عليه وبما لوقالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي أن يكون محذوفاً تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله تحذف  
الراجع إلى الموصول كما حذف في قوله أهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا فالطول الموصول لصلته وحذف آلهة  
لأنه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوماً فإذا مفعولاً زعم  
محذوفاً جميعاً بسببين مختلفين ۝ تقول الشفاعة لزيد على معنى أنه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى أنه المشفوع  
له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) أن يكون على أحد هذين الوجهين أي  
لا تنفع الشفاعة إلا كائناً لمن أذن له من الشافعين ومطلقة له أو لا تنفع الشفاعة إلا كائناً لمن أذن له أي لشفيعه أو هي  
اللام الثانية في قولك أذن لزيد لعمره أي لأجله وكأنه قيل إلا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله وهذا وجه لطيف وهو  
الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعواؤنا عند الله (فإن قلت) بما اتصل قوله (حتى إذا فرغ عن قلوبهم) ولا شيء  
وقعت حتى غاية (قلت) بما فهم من هذا الكلام من أن ثم انتظاراً للإذن وتوقعا وتمهلاً وفرغاً من الرجوع للشفاعة  
والشفعاء هل يؤذن لهم أولاً يؤذن وأنه لا يطلق الإذن إلا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال  
دلّ عليه قوله عز وجل رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً يوم يقوم الروح والملائكة  
صفاً لا يتكلمون إلا لمن أذن له الرحمن وقال صواباً كأنه قيل يتربصون ويتوقفون ملياً فرعين وهلين حتى إذا فرغ  
عن قلوبهم أي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بهارب العزة في إطلاق الإذن ۝ تباشروا  
بذلك وسأل بعضهم بهضاً (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) أي القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن  
ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فإذا أذن لمن أذن أن يشفع فرغته الشفاعة وقرئ أذن له أي أذن  
له الله وأذن له على البناء للمفعول وقرأ الحسن فرغ مخففاً بمعنى فرغ وقرئ فرغ على البناء للفاعل وهو الله وحده  
وفرغ أي نفي الوجع عنها وأقنى من قولهم فرغ الزاد إذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجع وأسند إلى الجار والمجرور  
كما تقول دفع إلى زيد إذا علم ما المدفوع وقد تخفف وأصله فرغ الوجع عنها أي اتنى عنه وفي ثم حذف الفاعل  
وأسند إلى الجار والمجرور وقرأ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن أبي علقمة أنه هاج به المزار  
فالتف عليه الناس فلما أفاق قال ما لكم تكأ تكأ على كآكم على ذي جنة افرنقعوا عنى والكلمة مركبة من حروف المفارقة  
مع زيادة العين كما رب اقطر من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع أي مقوله الحق (وهو العلي الكبير)  
ذو العلو والكبرياء ليس ملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه وأن يشفع إلا لمن ارتضى ۝ أمره بأن يقرهم  
بقوله (من يرزقكم) ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للإشعار بأنهم مقررون به بقلوبهم  
إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لأن الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد أجم أفواههم عن الطق  
بالحق مع علمهم بصحته ولأنهم إن تفوهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم فما لكم لاتعبدون من يرزقكم وتوثرون  
عليه من لا يقدر على الرزق ألا ترى إلى قوله قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار حتى قال  
فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق إلا الضلال فكانهم كانوا يقرّون بالسنة مرة ومرة كانوا يتلثمون عناداً وضراراً  
وحذاراً من إلزام الحجة ونحوه قوله عز وجل قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء  
لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضراً ۝ وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذي إن لم يزد على إقرارهم بالسنة

(قوله أنه هاج به المزار) في الصحاح المزار بضم الميم شجر مراداً أكلت منه الإبل قاصت عنه مشافرها ومنه بنو آكل  
المزار وهم قوم من العرب

أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلِّي هَدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۚ قُلْ لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۚ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ۚ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أُحْصِيْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ

لم يتقاصر عنه (وإنا أو إياكم لعلّي هدى أو في ضلال مبين) ومعناه وإن أحد الفريقين من الذين يوحّدون الرّازق من السموات والأرض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلّي أحد الأمرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام لمنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك وفي درجة بعد تقدّمه ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية أفضل بالمجادل إلى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وقلّ شوكته بالهويننا ونحوه قول الرجل لصاحبه علم الله الصادق مني ومنك وإن أهدنا لكاذب ومنه بيت حسان أتتهجوه ولست له بكفء ۚ فشركا لخير كما الفداء

(فإن قلت) كيف خولف بين حرفي الجزر الداخلين على الحق والضلال (قلت) لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه وفي قراءة أبي وإنا أو إياكم إما على هدى أو في ضلال مبين ۚ هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ فيه من الأول حيث أسند الإجماع إلى المخاطبين والعمل إلى المخاطبين وإن أراد بالإجماع الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام ۚ وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله أنه يدخل هؤلاء الجنة وأولئك النار ۚ (فإن قلت) ما معنى قوله (أروني) وكان يراهم ويعرفهم (قلت) أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على إحالة القياس إليه

ۚ قوله تعالى وإنا أو إياكم لعلّي هدى أو في ضلال مبين (قال) لما ألزمهم الحجة في قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير، وهلم جزأ إلى الآية المذكورة وهذا الإلزام إن لم يزد على إقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه أمره أن يقول وإنا أو إياكم لعلّي هدى أو في ضلال مبين ومعناه أن أحد الفريقين من الموحدين الرّازق من السموات والأرض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة على ذرة لعلّي أحد الأمرين من الهدى أو الضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موافق أو مخالف قال للمخاطب به قد أنصفك صاحبك والتعريض أنصف بالمجادل إلى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وقل شوكته بالهويننا ونحوه قول الرجل لصاحبه الله يعلم الصادق مني ومنك وإن أهدنا لكاذب ومنه قول حسان: أتتهجوه ولست له بكفء ۚ فشركا لخير كما الفداء (قال أحمد) وهذا تفسير مهذب وافتنان مستعذب رددته على سمعي فزاد رونقا بالترديد واستعادته الخاطر كأنى بطيء الفهم حين يفيد ولا ينبغي أن ينكر بعد ذلك على الطريقة التي أكثر تعاطيها متأخرو الفقهاء في مجادلاتهم ومحاوراتهم وذلك قولهم أحد الأمرين لازم على الإبهام فهذا المسلك من هذا الوادي غير بعيد فتأمله والله الموفق ۚ قوله تعالى قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون (قال وهذا القول أدخل في الإنصاف من الأول حيث أسند الإجماع إلى النفس وأراد به الزلات والصغائر التي لا يخلو عنها مؤمن وأسند العمل إلى المخاطبين وأراد به الكفر والمعاصي والكبائر) قال أحمد فعبر عن الهفوات بما يعبر به عن العظام وعن العظام بما يعبر به عن الهفوات التزاما للإنصاف وزيادة على ذلك أنه ذكر الإجماع المنسوب إلى النفس بصيغة الماضي الذي يعطى تحقيق المعنى وعن العمل المنسوب إلى الخصم بما لا يعطى ذلك والله أعلم

(قوله ولكن التعريض والتورية أفضل) في الصحاح ناضله راماه يقال ناضلت فلانا فنضلته إذا غلبته اه فالأنضل الأشد رميا فلذا عدى يالى (قوله وقل شوكته) أى كسرهما

الْحَكِيمُ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَأَسْكَنَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَسْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدَهُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا آنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ

والإشراك بهو (كلا) ردع لهم عن مذهبه بعد ما كسده بإبطال المقايسة كإقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام أف لكم ولما تعبدون من دون الله بعباد ما حجههم وقد نه على تناحش غاظهم وإن لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز الحكيم) كأنه قال أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع إلى الله وحده أو ضمير الشأن كما في قوله تعالى قل هو الله أحد (إلا كافة للناس) إلا رسالة عامة لهم محيطة بهم لأنها إذا شملتهم فقد كفهم أن يخرج منها أحد منهم وقال الزجاج المعنى أرسلناك جامعاً للناس في الإنذار والإبلاغ فجعلها حالاً من الكاف وحق التاء على هذا أن تكون للبيالغة كثناء الراوية والعلامة ومن جعله حالاً من المجرور متقدماً عليه فقد أخطأ لأن تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجاروكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم إليه أن يجعل اللام بمعنى إلى لأنه لا يستوى له الخطأ الأول إلا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطأين ۝ قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد يوماً والميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو ذهنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه اليوم (فإن قلت) فما تأويل من أضافه إلى يوم أو نصب يوماً (قلت) أما الإضافة فأضافة تبيين كما تقول شحق ثوب وبعير سانية وأما نصب اليوم فعلى التعظيم بإضمار فعل تقديره لكم ميعاد أعني يوماً أو أريد يوماً من صفته كيت وكيت ويجوز أن يكون الرفع على هذا أعني التعظيم (فإن قلت) كيف انطبق هذا جواباً على سؤالهم (قلت) ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له إلا لتعتالا استرشاداً لجاء الجواب على طريق التهديد مطابقاً لمجيء السؤال على سبيل الإنكار والتعنت وأنهم مرصدون ليوم يفاجؤهم فلا يستطيعون تأخراً عنه ولا تقدماً عليه ۝ الذي بين يديه منازل قبل القرآن من كتب الله يروى أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم فأغضبهم ذلك وقرنوا إلى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله عز وجل في الكفر فكفروا بها جميعاً وقيل الذي بين يديه يوم القيامة والمعنى أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله تعالى وأن يكون لمسا دل عليه من الإعادة للجزاء حقيقة ۝ ثم أخبر عن عاقبة أمرهم وما لهم في الآخرة فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام أول للبخاطب (ولو ترى) في الآخرة موقفهم وهم يتجادبون أطراف المحادثة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجيب خذف الجواب ۝ والمستضعفون هم الاتباع ۝ والمستكبرون هم الرؤس والمقدمون ۝ أولى الاسم أعني نحن حرف الإنكار لأن الغرض إنكار أن يكونوا هم الصادين لهم عن الإيمان وإثبات أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عنه وأنهم أتوا من قبل اختيارهم كأنهم قالوا نحن أجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين (بعد إذ جاءكم) بعد أن صمتم على الدخول في الإيمان وصحت نياتكم في اختياره بل أنتم منعمتم أنفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى وأطعتم أمر الشهوة دون أمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لا خياركم لا لقولنا وتسويلنا (فإن قلت) إذو إذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت إذ مضافاً إليها (قلت) قد اتسع

(قوله لرأيت العجيب) لعله العجب كعبارة النسفي

اسْتَضَعُوا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا  
الْندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون . وما  
أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلناهم به كفرون . وقالوا نحن أكثر أولاداً وأولاداً  
وما نحن بمعذبين . قل إن ربي ببسط الرزق لمن يشاء ويقدر . وآسن أكثر الناس لا يعلمون . وما  
أولادكم ولا أولادكم بالني تقربكم عندنا زانف إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما

في الزمان ما لم يتسع في غيره فأضيف إليها الزمان كما أضيف إلى الجمل في قولك جئتك بعد إذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان  
ذلك أو أن الحجاج أمير وحين خرج زيد لما أنكر المستكبرون بقولهم أنحن صددناكم أن يكونوا هم السبب في كفر  
المستضعفين وأثبتوا بقولهم (بل كنتم مجرمين) أن ذلك يكسبهم واختيارهم كرعليهم المستضعفون بقولهم (بل مكر الليل  
والنهار) فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم كأهم قالوا ما كان الأجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائماً ليلاً ونهاراً وحماكم  
إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فانسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول  
به وإضافة المكر إليه أو جعل ليهم ونهارهم ما كرم على الإسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتوين ونصب  
الظرفين وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أي تكرون الإغواء مكرأ دائماً لا تفترون عنه (فإن قلت) ما وجه الرفع  
والنصب (قلت) هو مبتدأ أو خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم أو مكركم أو مكركم سبب ذلك والنصب على  
بل تكرون الإغواء مكر الليل والنهار (فإن قلت) لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا  
(قلت) لأن الذين استضعفوا أمر ولا كلامهم فحى بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم حى بكلام  
آخر للمستضعفين فطع على كلامهم الأول (فإن قلت) من صاحب الضمير في (وأسروا) قلت الجنس المشتمل على النوعين  
من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في قوله إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يندم المستكبرون على ضلالهم  
وإضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين (في أعناق الذين كفروا) أي في أعناقهم فجاء بالصرح للتوبيه  
بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الأغلال وعن قتادة أسروا الكلام بذلك بينهم وقيل أسروا الندامة أظهرها وهو  
من الأضداد . هذا نسبية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما نفي به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة  
بكثرة الأموال والأولاد والمماخرة وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أي الفريقين  
خير مقاماً وأحسن ندياً وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
أهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا أمر الآخرة الموهومة والمفروضة عندهم على أمر الدنيا واعتقدوا أنهم لو لم  
يكرموا على الله لما رزقهم ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا (وما نحن بمعذبين) أرادوا  
أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظراً إلى أحوالهم في الدنيا . وقد أبطل الله تعالى حسابهم بأن الرزق فضل من الله  
يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح وربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما  
وضيق عليهما فلا ينقاس عليه أمر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق . وقد الرزق تضيقه قال تعالى ومن قدر عليه  
رزقه . وقرئ بقدر بالتشديد والتخفيف . أرادوا جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالني تقربكم وذلك أن الجمع المكسر  
عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأييد ويجوز أن يكون التي هي التقوى وهي المقربة عند الله زانف وحدها أي ليست

(قوله مما منى به من قومه) أي ابتلى به (قوله والمفاخرة وزخارفها) لعله بالدنيا وزخارفها

عَمَلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ۝ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحَضَّرُونَ ۝ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ۝ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضِرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ

أموالكم بتلك الموضوعات للتقريب ۝ وقرأ الحسن باللاتي تقربكم لأنها جماعات وقرئ بالذي يقربكم أي بالشئ الذي يقربكم والزاني والزلفة كالكربي والكربة ومحالها النصب أي تقربكم قربة كقوله تعالى أنبتكم من الأرض نباتا (الامن آمن) استثناء من كم في تقربكم والمعنى أن الأموال لا تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والأولاد لا تقرب أحدا إلا من علمهم الخير وفقهم في الدين ورشحهم للصالح والطاعة جزاء (الضعف) من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرة وقرئ جزاء الضعف على فأولئك لهم الضعف جزاء جزاء الضعف على أن يجازوا الضعف وجزاء الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء قرئ في الغرفات بضم الراء وفتحها وسكوتها وفي الغرفة (فهو يخلفه) فهو يعوضه لا معوض سواء إما عاجلا بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد وإما آجلا بالثواب الذي كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فإن الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يق طول عمره في فقر ولا يتأولن وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه فإن هذا في الآخرة ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه (خير الرازقين) وأعلام رب العزة بأن كل مارزق غيره من سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق عبده أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه على أيدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الأسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي أوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشتته لا يجدو واجد لا يشتهي ۝ هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وورد على المثل السائر إياك أعنى واسمعي يا جاره ونحوه قوله تعالى أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض أن يقول ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم أشد وتعيرهم أبلغ وخجلهم أعظم وهو أنه أكرم ويكون اقتصاص ذلك لطف لمن سمعه وزاجر لمن اقتص عليه والموا الالة خلاف المعادة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما أن المعادة من العدو وهي البعد والولي يقع على الموالى والموالى جميعا والمعنى أنت الذي تواليه من دونهم إذ لا موا الالة بيننا وبينهم فينوا بإثبات مولاة الله ومعادة الكفار برامتهم من الرضا بعبادتهم لهم لأن من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك (بل كانوا يعبدون الجن) يريدون الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتها ۝ وقرئ نحشرهم ونقول بالنون والياء ۝ الأمر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه أحد منفعه ولا مضرة لاحد لأن الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها يخلى بينهم يتضارون ويتنافعون والمراد أنه لا ضار ولا نافع يومئذ إلا هو وحده ۝ ثم ذكر معاقبة الظالمين بقوله (ونقول للذين ظلموا) معطوفا على لا يملك ۝ الإشارة الأولى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية إلى القرآن

(قوله الحمد لله الذي أوجدني وجعلني) في الصحاح وجد مطلوبه وأوجده الله مطلوبه أي أظفره به وأوجده أي أغناه (قوله إياك أعنى واسمعي يا جاره) لعله فاسمعي

ظَلُّوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝ وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قُلُوبًا مَّاهِدًا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ  
 أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ  
 هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَمَا آتَيْنَهُمْ مِّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَّذِيرٍ ۝ وَكَذَّبَ  
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةِ  
 أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرْدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝

والثالثة إلى الحق والحق أمر النبوة كله ودين الإسلام كما هو وفي قوله (وقال الذين كفروا) وفي أن لم يقل وقالوا وفي قوله (للحق لما جاءهم) وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه وفي لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن إنكار عظيم وغضب شديد وتوجب من أمرهم بليغ كأنه قال وقال أولئك الكفرة المنتمدون بجرامتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل أن يذوقوه (إن هذا إلا سحر مبين) فبتوا القضاء على أنه سحر ثم بتوه على أنه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحراً ۝ وما آتيناكم كتباً يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك ولا أرسلنا إليهم نذيراً ينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا كما قال عز وجل أم أنزلنا عليهم سلطاناً ما فهم يتكلم بما كانوا به يشركون أو وصفهم بأنهم قوم أميون أهل جاهلية لاملة لهم وليس لهم عهد بإنزال كتاب ولا بعثة رسول كما قال أم آتيناكم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول أهل الكتاب وإن كانوا مبطلين نحن أهل كتب وشرائع ومستندون إلى رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله (وكذب الذين) تقدموهم من الأمم والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا أولئك من طول الأعمار وقوة الأجرام وكثرة الأموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم إنكارى بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس أو من درس الكتاب ودرس الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفعلون من الدرس والمعشار كالمربع وهما العشر والرابع (فإن قلت) ما معنى (فكذبوا رسل) وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم (قلت) لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسيئاً عنه ونظيره أن يقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو ففضل عليه (فكيف كان نكير) أى للتكذابين الأولين فليحذروا من مثله (بوحدة) بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله (أن تقوموا) على أنه عطف بيان لها وأراد بقيامهم إما القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفترقهم عن مجتمعهم عنده وإما القيام الذى لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب فى الأمر والنهوض فيه بالهمة والمعنى إنما أعظكم بوحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهى أن تقوموا لوجه الله خالصاً متفترقين اثنين اثنين وواحداً واحداً (ثم تفكروا) فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر فى نفسه بعدل ونصفه من غير أن يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجارى أحوالهم والذى أوجب تفترقهم مثنى وفرادى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمى البصائر

(قوله فكيف كان نكير) وفى النسبى أن يعقوب قرأ نكيرى بالياء فى الوصل والوقف

قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ قُلْ إِنْ رَبِّي يَتَوَفَّاكَ بِالْحَقِّ  
عَلَّمَ الْغُيُوبَ ۝ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِيهِ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُهُ ۝ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ

ويمنع من الروية ويخاطب القول ومع ذلك يقل الإنصاف ويكثر الاعتساف ويشور عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصره المذهب  
وأراهم بقوله (ما بصاحبكم من جنة) أن هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعاً لا يتصدى لادعاء مثله  
إلا رجلاً إن ما مجنون لا يبالي باقتضاه إذا طول بالبرهان فمجز بل لا يدري ما الاقتضاح ومارقة العواقب وإما عاقل  
راجع العقل مرشح للبقوة بخار من أهل الدنيا لا يدعيه إلا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه وإلا فما يجدي على العاقل دعوى شيء  
لا يديه له عاينه وقد علمتم أن محمداً صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل علمتموه أرجح قريش عقلاً وأرزنهم حلالاً وأنقهم ذهناً  
وأصلهم رأياً وأصدقهم قولاً وأنزههم نفساً وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لأن تطوا به الخير  
وترجعوا فيه جانب الصدق على الكذب وإذا فعمتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن يأتيكم آية فإذا أتى بهاتين أنه نذير مبين  
(فإن قلت) ما بصاحبكم بهم يتعاق (قلت) يجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً تنبهاً من الله عز وجل على طريقة النظر في أمر  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون المعنى ثم تفكروا ففعلوا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم أن تكون  
ما استفهامية (بين يدي عذاب شديد) كقوله عليه الصلاة والسلام بعثت في نسم الساعة (فهو لكم) جزاء الشرط الذي هو  
قوله ما سألتكم من أجرٍ تقديره أي شيء سألتكم من أجرٍ فهو لكم كقوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معيار أحدهما  
نفي مسألة الأجر رأساً كما يقول لرجل لصاحبه إن أعطيتني شيئاً نخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيئاً ولكنه يريد به البت لتعليقه  
الأخذ بما لم يكن والثاني أن يريد بالأجر ما أراد في قوله تعالى قل ما سألتكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً  
في قوله قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى لأن اتخاذ السبيل إلى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة  
لأن القرابة قد انتظمت وإياهم (على كل شيء شهيد) حفيظ مهيم يعلم أني لا أطلب الأجر على نصيحتكم ودعائكم إليه إلا منه  
ولا أطمع منكم في شيء ۝ المذف والرمي تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد وبستعاران من حقيقتهم لمعنى الإلقاء ومنه  
قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب أن اقذفه في التابوت ومعنى (يقذف بالحق) يلقيه وينزله إلى أنبيائه أو يرمى به الباطل  
فدمغه ويرهقه (علام الغيوب) رفع محمول على محل إن واسمها أو على المستكن في يقذف أو هو خبر مبتدأ محذوف وقرئ  
بالنصب صفة لربي أو على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب كالغيوب والغيوب كالصبور وهو الأمر الذي  
غاب وخفي جداً ۝ والحق إما أن يبدى فعلاً أو يعيد فإذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة فخلوا قولهم لا يبدى ولا يعيد مثلاً  
في الهلاك ومنه قول عبيد :  
أفقر من أهله عبيد ۝ فاليوم لا يبدى ولا يعيد

والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله تعالى «جاء الحق وزهق الباطل» وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخل النبي صلى الله  
عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان  
زهوقاً جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد ۝ والحق القرآن وقيل الإسلام وقيل السيف وقيل الباطل إبليس لعنه الله أي  
ما ينشئ خلفاً ولا يعيده ۝ المذئى والباعث هو الله تعالى وعن الحسن لا يبدى لأهله خيراً ولا يعيده أي لا ينفعهم في الدنيا  
والآخرة وقال الزجاج أي شيء ينشئ إبليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لأنه صاحب الباطل  
أولاً لأنه هالك كما قيل له الشيطان من شاط إذا هلك قرئ ضللت أضل بفتح العين مع كسرهما وضللت أضل بكسرهما مع

(قوله بعثت في نسم الساعة) في الصحاح نسم الريح أو لها حين تقبل بلين قبل أن تشتد ومنه الحديث بعثت في نسم الساعة  
أي حين ابتدأت وأقبلت أوائلها والنسيم أيضاً جمع نسمة وهي النفس (قوله القذف والرمي تزجية السهم) في الصحاح  
زجيت الشيء تزجية إذا دفعته برفق (قوله فجعل يطعنه بعود نبعة) لعله معه كعبارة النسي

أَهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزَعُوا قِلَافَاتٍ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝  
 وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ  
 بَعِيدٍ ۝ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ۝

فتحتها وهما لغتان نحو ظلمات أظلم وظلمات أظلم وقرئ إضل بكسر الهمزة مع فتح العين (فإن قلت) أين التقابل بين قوله  
 فإنا أضل على نفسي وقوله فبما يوحى إلى ربى وإنما كان يستقيم أن يقال فإنا أضل على نفسي وإن اهتديت فإنا اهتدي لها  
 كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها أو يقال فإنا أضل بنفسى  
 (قلت) هما متقابلان من جهة المعنى لأن النفس كل ما عليها فهو بها أعنى أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها  
 لأنها الأمانة بالسوء وماله ما ينفعها فهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وإنما أمر رسوله صلى الله عليه  
 وسلم أن يسنده إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالته حمله وسداد طريقته كان غيره أولى به (إنه سميع قريب)  
 يدرك قول كل ضال ومهدى وفعله لا يخفى عليه منهما شيء (ولو ترى) جوابه محذوف يعنى لرأيت أمرا عظيما وحالاهائلة  
 ولو واذوا الأفعال التي هي فزعوا وأخذوا وحيل بينهم كلها البضى والمراد بها الاستقبال لأن ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان  
 ووجه التحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس رضى الله عنهما  
 نزات في خسف اليباء وذلك أن ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فإذا دخلوا اليباء خسف بهم (فلا فوت) فلا يفوتون  
 الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوت ۝ والأخذ من مكان قريب من الموقف إلى النار إذا بعثوا أو من ظهر الأرض إلى  
 بطها إذا ماتوا أو من صحراء بدر إلى القلب أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم (فإن قلت) علام عطف قوله وأخذوا  
 (قلت) فيه وجهان العطف على فزعوا أى فزعوا وأخذوا فلا فوت لهم أو على لا فوت على معنى إذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا  
 وقرئ وأخذ وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك أخذ (آمنا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم  
 لمور ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة ۝ والتناوش والتناول أخوان إلا أن التناوش تناول سهل لشيء قريب يقال  
 ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم مالا يكون وهو أن ينفعهم  
 إيمانهم في ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين إيمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة كما يتناوله  
 الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لاتعب فيه وقرئ التناوش همزت الواو المضمومة كما همزت في أجره وأدور وعن  
 أبي عمرو التناوش بالهمز التناول من بعد من قولهم ناشت إذا أبطأت وتأخرت ومنه البيت

۝ تمنى نثيشا أن يكون أطاعنى ۝ أى أخيرا (ويقذفون) معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعنى وكانوا  
 يتكلمون (بالغيب) ويأتون به (من مكان بعيد) وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا  
 تكلم بالغيب والأمر الخفى لأنهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله  
 لأن أبعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وأبعد شيء من عاداته التي عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون  
 بالغيب على البناء للمفعول أى يأتهم به شياطينهم ويلقنونهم إياه وإن شئت فقلقه بقوله وقالوا آمنا به على أنه مثلهم  
 في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الإيمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان  
 بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشيء الغائب ويجوز أن يكون الضمير  
 للعذاب الشديد في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين إن كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة

(قوله أن يتناول الشيء من غلوة) في الصحاح غلوت بالسهم غلوا إذا رميت به أبعد ما تقدر عليه والغلوة الغاية مقدار رمية  
 وفيه يقال بينهما قيس ربح وقاس ربح أى قدر ربح (قوله رمة البيت تمنى نثيشا) تمام البيت: وقد حدثت بعد الأمور أمور



## سورة فاطر مكية

وآياتها ٤٥ نزلت بعد الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّثْنَىٰ  
وَأَثَلًا ۝ وَرَبِّعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ

والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا قائسين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قد فهم بالغيب وهو غيب ومقدوف به من جهة بعيدة لأن دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف (ما يشتهون) من نفع الإيمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة أو من الرد إلى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا (بأشياءهم) بأشبههم من كفره الأمم ومن كان مذهبه مذهبهم (مريب) إمامن أرابه إذا أوقعه في الريبة والتهمة أو من أراب الرجل إذا صار ذاربية ودخل فيها وكلاهما مجاز إلا أن بينهما فريقا وهو أن المريب من الأول منقول من يصح أن يكون مريبا من الأعيان إلى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك إلى الشك كما تقول شعر شاعر . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي إلا كان له يوم القيامة رفيقا ومصاحفا

﴿سورة الملائكة مكية وهي خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (فاطر السموات) مبتدئها ومبتدعها وعن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى اختصم إلى أعرايين في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها وقرئ الذى فطر السموات والأرض وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح (رسلا) بضم السين وسكونها (أولى أجنحة) أصحاب أجنحة وأولو اسم جمع لذا وكما أن أولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في المتمكنة المخاض والخفة (مثنى وثلاث ورباع) صفات لأجنحة وإنما لم تنصرف لتكرار العدل فيها وذلك أنها عدلت عن ألفاظ الأعداد عن صيغ إلى صيغ آخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير إلى غير تكرير وأما الوصفية فلا يفترق الحال فيما بين المعدولة والمعدول عنها ألا تراك تقول مررت بنسوة أربع ورجال ثلاثة فلا يعرج عليها والمعنى أن الملائكة خلقا أجنحتهم اثنان اثنان أى لكل واحد منهم جناحان وخلقنا أجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقنا أجنحتهم أربعة أربعة (يزيد في الخلق ما يشاء) أى يزيد في خلق الأجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والأصل الجناحان لأنهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الأصل وذلك أقوى للطيران وأعون عليه (فإن قلت) قياس الشفع من الأجنحة أن يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلاثة (قلت) لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة أو لعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب أن صنفاً من الملائكة لهم ستة أجنحة لجناحان يلفون بهما أجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الأمر من أمور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروى أنه سأل جبريل عليه السلام أن يتراءى له في صورته فقال إنك لن تطيق ذلك قال إني أحب أن تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فأتاه جبريل في صورته فغشى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده وإحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى أن شيئاً من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت إسرافيل له اثنا عشر جناحاً جناح منها بالشرق وجناح بالمغرب وإن العرش على كاهله وإنه ليتضاءل الأحابيين لعظمة الله حتى يعود مثل

(قوله والمعنى أن الملائكة خلقا) لعله متنوعة خلقا الخ

لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا يُرْسِلُ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنِّي تُوفِّكُونَ . وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ

الوصع وهو العصفور الصغير وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة الملاحه في العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامه واعتدال صورة وتمام في الأعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وجرأة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأن في مزاولة الأمور وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف . استعير الفتح للإطلاق والإرسال ألا ترى إلى قوله فلا يرسل له من بعده مكان لا فأنح له يعني أى شيء يطلق الله من رحمة أى من نعمة رزق أو مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعماته التي لا يحاط بعددها . وتكبيره الرحمة للإشاعة والإبهام كأنه قال من آية رحمة كانت سماوية أو أرضية فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها وأى شيء يمسك الله فلا أحد يقدر على إطلاقه . (فإن قلت) لم أنت الضمير أولاً ثم ذكر آخرأ وهو راجع في الحالين إلى الاسم المتضمن معنى الشرط (قلت) هما لغتان الحل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فهما فأنح على معنى الرحمة وذكر على أن لفظ المرجوع إليه لا تأنيث فيه ولأن الأول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير . وقرئ فلا يرسل لها (فإن قلت) لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره (قلت) يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأول ولكنه ترك لدلالته عليه وأن يكون مطلقاً في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وإنما فسر الأول دون الثاني للدلالة على أن رحمته سبقت غضبه (فإن قلت) فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه إلى ابن عباس رضى الله عنهما (قلت) إن أراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذى أراد ابن عباس رضى الله عنهما إن قاله فمقبول وإن أراد أنه إن شاء أن يتوب العاصى تاب وإن لم يشأ لم يتب فردود لأن الله تعالى يشاء التوبة أبداً ولا يجوز عليه أن لا يشاءها (من بعده) من بعد إمساكه كقوله تعالى فمن يهديه من بعد الله فبأى حديث بعد الله أى من بعد هدايته وبعد آياته (وهو العزيز) الغالب القادر على الإرسال والإمساك (الحكيم) الذى يرسل ويمسك ما تقتضى الحكمة إرساله وإمساكه . ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به القلب وحفظها من الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليا ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه اذكر أيدى عندك بربد حفظها وشكرها والعمل على موجهها والخطاب عام للجميع لأن جميعهم مغمورون في نعمة الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد يا أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث أسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية . وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجز والرفع على الوصف انظما ومحلا والصب على الاستثناء . (فإن قلت) ما محل (يرزقكم) (قلت) يحتمل أن يكون له محل إذا وقعت صفة الخالق وأن لا يكون له محل إذا رفعت محل من خالق يا ضمير يرزقكم وأوقعت يرزقكم تفسيره أو جعلته كلاماً مبتدأ بعد قوله هل من خالق

هـ (القول في سورة الملائكة) . (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم الآية (قال فيه إن قلت ما محل يرزقكم قلت يحتمل أن يكون له محل إذا وقعت صفة الخالق وأن لا يكون له محل إذا جعلته تفسيراً وجعلت

(قوله مثل الوضع وهو العصفور) في الصحاح الوضع طائر أصغر من العصفور (قوله وحصافة) أى إحكام أفاده الصحاح (قوله وذلاقة) أى حدة وطلاقة أفاده الصحاح (قوله ولباقة في التكلم) أى حذق أفاده الصحاح (قوله يشاء التوبة أبداً) هذا وما بعده على مذهب المعتزلة من أنه تعالى يجب عليه الصلاح للعبد وعند أهل السنة لا يجب عليه شئ . فالكلام على ظاهره وردّه مردود (قوله وحفظها من الكفران والغمط) أى الاحتقار أفاده الصحاح

رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ وَ إِلَى اللَّهِ تَرْجَعُ الْأُمُورُ ۚ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنَ اصْحَابِ السَّعِيرِ ۚ الَّذِينَ

غير الله (فإن قلت) هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غير الله تعالى (قلت) نعم إن جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقييد فيهما بالرزق من السماء والأرض وخرج من الإطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالإطلاق والرزق من السماء المطر ومن الأرض النبات (لا إله إلا هو) جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلت كما وصلت يرزقكم لم يسأد عليه المعنى لأن قولك هل من خالق آخر سوى الله لا إله إلا ذلك الخالق غير مستقيم لأن قولك هل من خالق سوى الله إثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الإثبات (فأني تؤفكرون) فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك ۚ نعى به على قريش سوء تلقيهم آيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن له في الأنبياء قبله أسوة حسنة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الأمور إلى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقه ۚ وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها (فإن قلت) ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء أن يتعقب الشرط وهذا سابق له (قلت) معناه وإن يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب أعني بالتكذيب عن التأسى (فإن قلت) ما معنى التنكير في رسل (قلت) معناه فقد كذبت رسل أي رسل ذوو عدد كثير وأولوا آيات ونذر وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم وما أشبه ذلك وهذا أسلى له وأحث على المصابرة ۚ وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب (فلا تغرنكم) (الدنيا) ولا يذهبنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل الآخرة وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) لا يقولون لكم اعملوا ما شئتم فإن الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان لأن ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك أو جمع غار كقاعه وقعود أخبرنا الله عز وجل

من خالق مرفوع المحل بفعل يدل عليه هذا كأنه قيل هل يرزقكم خالق غير الله أو جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ) قال أحمد والوجه المؤخر أوجهها ۚ عاد كلامه (قال) فإن قلت هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غير الله تعالى قلت نعم إن جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقييد فيهما بالرزق من السموات والأرض وخرج من الإطلاق فكيف يستشهد به على نفيه مطلقا (قال أحمد) القدرة إذا قرعت هذه الآية أسماءهم قالوا بجرأة على الله تعالى نعم ثم خالق غير الله لأن كل أحد عندهم يخلق فعل نفسه فلها رأيت الزمخشري وسع الدائرة وجلب الوجوه الشاردة النافرة وجعل الوجهين يطابقان معتقده في إثبات خالق غير الله ووجهها هو الحق والظاهر وأخره في الذكر تأسيا له والذي يحقق الوجه الثالث وأنه هو المراد أن الآية خوطب بها قوم على أنهم مشرورون إذا سئلوا عن رازقهم من السموات والأرض قالوا الله فقرروا بذلك وقرعوا به إقامة للحجة عليهم بإقرارهم ولو كان على غير هذا الوجه قيد لكان مفهومه إثبات خالق غير الله لكنه لا يرزق وهو لاء الكفرة قد تبرؤا عن ذلك فلا وجه لتقريعهم بما يلائم قولهم هذا ترجع الوجه الثالث من حيث مقصود سياق الآية وأما من حيث النظم اللامعنى فلأن الجملتين اللتين هما قوله يرزقكم وقوله لا إله إلا هو سيقنا سياقاً واحداً والثانية مفصولة اتفاقاً مما تقدم فكذلك وزينتها ۚ قوله تعالى يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا الآية (قال معناه ولا يقولن لكم الشيطان اعملوا ما شئتم فإن الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة) قال أحمد هو يعرض بأهل السنة في اعتقادهم جواز مغفرة الكبائر للموحدين إن لم يكن توبة وهذا لا يناقض صدق وعده تعالى لأن الله تعالى حيث توعد على الكبائر قرن الوعد بالمشيئة في مثل قوله لهم إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهم إذا صدقون بوعد الله تعالى موقنون به على حسب ما ورد

كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ أَفَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ  
فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۝ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ  
بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَمَسْكَنَةً إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

أن الشيطان لنا عدو مبین واقص علينا قصته وما فعل بأبينا آدم عليه السلام وكيف انتدب لعدارة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فو عظنا عز وجل بأنه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو أعرق في العداوة منه وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله (فاتخذوه عدواً) في عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدن منكم إلا ما يدل على معاداته ومناصبته في سرهم وجهرهم ۝ ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذي يؤتمه في دعرة شيعته ومتبعي خطواته هو أن يوردهم مورد الشفوة والهلاك وأن يكونوا من أصحاب السعير ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الأطماع الفارغة والأمان الكاذبة فبنى الأمر كله على الإيمان والعمل وتركهما ۝ لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبه (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً) يعني أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) ومعنى تزيين العمل والإضلال واحده وهو أن يكون العاصي على صفة لا تجدى عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى وتخليته وشأنه فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق أمر الهوى ويعتق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسناً والحسن قبيحاً كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول أبي نواس

اسقني حتى تراني ۝ حسناً عند القبيح

وإذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم فإن على الرسول أن لا يهتم بأمرهم ولا ياتي بالآلى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله تعالى في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج أن المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهب نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ۝ عليه حسرات مفعول له يعني فلاتملك نفسك للحسرات وعليهم صلة نذهب كما تقول هلك عليه حياً ومات عليه حزناً أو هو بيان للتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز أن يكون حالاً كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير

مشق الهواجر لخمهن مع السرى ۝ حتى ذهبن كلا كلا وصدوراً

يريد رجعت كلا كلا وصدوراً أى لم يبق إلا كلا كلها وصدورها ومنه قوله

فعلى أثرهم تساقط نفسى ۝ حسرات وذكرهم لى سقام

وقرئ فلا تذهب نفسك (إن الله عليم بما يصنعون) وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم وقرئ أرسل الريح (فإن قلت) لم جاء فتير على المضارعة دون ما قبله وما بعده (قلت) ليحكى الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أوتهم المخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط شراً

بأنى قد لقيت الغول تهوى ۝ بسهب كالصحيفة صحصجان

(قوله وقشر اللحاء) في الصحاح اللحاء يورد قشر الشجر (قوله لخمهن مع السرى ۝ حتى ذهبن كلا كلا) في الصحاح سريت سرى إذا سرت ليلاً وفيه الكاكل والكلكال الصدر اه فالعطف تفسير (قوله قد لقيت الغول تهوى ۝ بسهب) في الصحاح السهب الفلاة والصحصجان المكان المستوى والجران مقدم العنق

كَذَلِكَ نُشَوِّرُهُمْ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ  
يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ

فأضربها بلاد دهش نخرت ه صريعاً للبدن وللجران

لأنه قصد أن يصور لقرمه الحاله التي أشجع فيها بزعمه على ضرب الغزل كأنه يبصرهم إياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة  
للتعجب من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السجاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بالمطر  
بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في  
الاختصاص وأدل عليه والكاف في ( كذلك ) في محلّ الرفع أي مثل إحياء الموات نشور الأموات وروى أنه قيل  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي أهلك محلام مررت  
بهيز خضراً قال نعم قال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش  
كمنى الرجال تنبت منه أجساد الخلق ه كان الكافرون يتعززون بالأصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة  
ليكونوا لهم عزاً والذين آمنوا بالسنتهم من غير موأطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال تعالى الذين يتخذون  
الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتبعون عديم العزة فإن العزة لله جميعاً فين أن لا عزة إلا لله ولأوليائه وقال والله العزة  
ولرسوله والمؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله ( فله العزة جميعاً ) موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لأن الشيء لا يطلب  
إلا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد النصيحة فهى عند الأبرار تريد فليطلبها عندهم إلا أنك أقمت ما يدل  
عليه مقامه ومعنى فله العزة جميعاً أن العزة كلها مختصة بالله : عزة الدنيا وعزة الآخرة ه ثم عرف أن ماتطلب به العزة  
هو الإيمان والعمل الصالح بقوله ( إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ) والكلم الطيب لا إله إلا الله . عن  
ابن عباس رضى الله عنهما يعنى أن هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد إلى السماء فتكتب حيث تكتب الأعمال المقبولة  
كما قال عز وجل إن كتاب الأبرار لفي عابدين إلا إذا اقترب بها العمل الصالح الذى يحققها ويصدقها فرفعها وأصعدها وقيل  
الرافع الكلم والمرفوع العمل لأنه لا يقبل عمل إلا من موحد وقيل الرافع هو الله تعالى والمرفوع العمل وقيل الكلم  
الطيب كل ذكر من تكبير وتسييح وتهليل وقرآنة ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم  
هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فخيا بها وجه  
الرحمن فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولاً إلا بعمل ولا يقبل قولاً ولا عملاً إلا بنية ولا يقبل  
قولاً وعملاً ونية إلا باصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثير يد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ  
إليه يصعد الكلم الطيب على البناء للفعول وإليه يصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل من أصعد والمصعد هو الرجل  
أى يصعد إلى الله عز وجل الكلم الطيب وإليه يصعد الكلام الطيب وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع  
الكلم أو الله عز وجل ه ( فإن قلت ) مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فم نصب ( السيئات ) ( قلت ) هذه صفة  
للصدر أو لما فى حكمه كقوله تعالى ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله أصله والذين مكروا المكرات السيئات أو أصناف  
المكر السيئات وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا فى دار الندوة وتداولوا الرأى فى إحدى ثلاث مكرات يمكرونها  
برسول الله صلى الله عليه وسلم أمالاباته أو قتله أو إخراجة كما حكى الله سبحانه عنهم وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك  
أو يقتلوك أو يخرجوك ( ومكر أوائك هو يبور ) يعنى ومكر أوائك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة  
يبور أى يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم فى قلب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعاً

( قوله ثم مررت بهيز خضراً ) فى الخازن بهيز

جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بُعْلَهُ وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ  
 إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ  
 تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝  
 يُوجِبُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوجِبُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ

وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحق المكر السيء إلا بأهله (أزواجاً) أصنافاً  
 أو ذكرانا وإناثا كقوله تعالى أوزير وجهم ذكرانا وإناثا وعن قتادة رضى الله عنه زوج بعضهم بعضا (بعله) في موضع  
 الحال أى إلا معلومة له (فإن قلت) ما معنى قوله وما يعمر من معمر (قلت) معناه وما يعمر من أحد وإنما سماه معمرأ  
 بما هو صار إليه (فإن قلت) الإنسان إمامعمر أى طويل العمر أو منقوص العمر أى قصيره فيما أن يتعاقب عليه  
 التعمير وخلافه فحال فكيف صح قوله (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره) (قلت) هذا من الكلام المتساع  
 فيه ثقة في تأويله بأفهام السامعين وانكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وأنه لا يلبس عليهم إحالة الطول والقصر في عمر  
 واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبداً ولا يعاقبه إلا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته إلا قل فيه  
 ثوائى وفيه تأويل آخر وهو أنه لا يطول عمر إنسان ولا يقصر إلا في كتاب وصورته أن يكتب في اللوح إن حج فلان  
 أو غزا فعمره أربعون سنة وإن حج وغزا فعمره ستون سنة فإذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر وإذا أفرد أحدهما فلم  
 يتجاوز به الأربعون فقد نقص من عمره الذى هو الغاية وهو الستون واليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله  
 إن الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار وعن كعب أنه قال حين طعن عمر رضى الله عنه لو أن عمر دعا الله لآخر  
 في أجله فقيل لكعب أليس قد قال الله إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله وما يعمر من معمر  
 وقد استفاض على الألسنة أطال الله بقاءك وفسح في مدتك وما أشبهه وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه يكتب في  
 الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على آخره وعن قتادة رضى الله  
 عنه المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس رضى الله  
 عنهما ويجوز أن يراد بكتاب الله علم الله أو صحيفة الإنسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف  
 ضرب البحرين العذب والمالح مثلين للؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما  
 من نعمته وعطائه (ومن كل) أى ومن كل واحد منهما (تأكلون لحماً طرياً) وهو السمك (وتستخرجون حلية) وهى  
 اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك فيه) فى كل (مواخر) شواق الماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب نبات  
 مخر لأنها تمخر الهواء والسفن الذى اشتقت منه السفينة قريب من المخر لأنها تسفن الماء كأنها تقشره كما تمخره (من  
 فضله) من فضل الله ولم يجر له ذكر فى الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه ۝ وحرف الرجاء  
 مستعار لمعنى الإرادة ألا ترى كيف سلك به مسلك لأم التعليل كأنما قيل لتبتغوا ولتشكروا ۝ والفرات الذى يكسر  
 العطر ۝ والسائغ المرى السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل ۝ والأجاج  
 الذى يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو أن يشبهه الجنس بالبحرين ثم يفضل البحر الأجاج على  
 الكافر بأنه قد شارك العذب فى منافع من السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو فى طريقة  
 قوله تعالى « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة » ثم قال « وإن من الحجارة لما يتفجر منه

(قوله ولا اجتويته إلا قل فيه ثوائى) أى كرهت المقام به كذا فى الصحاح

الْمَلِكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۚ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعْوَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۚ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۚ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهْلِهَا لِتَحْمِلَ مِنْهُ شَيْءًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَفَاءُوا

الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله (ذلكم) مبتدأ و(الله ربكم له الملك) أخبار مترادفة أو الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) ويجوز في حكم الإعراب إيقاع اسم الله صفة لاسم الإشارة أو عطف بيان وربكم خبرا لولا أن المعنى بأباه والقطمير لفافة النواة وهي الفشرة الرقيقة الملتفة عليها إن ندعوا الأوثان (لا يسمعون دعاءكم) لأنهم جماد (ولو سمعوا) على سبيل الفرض والتمثيل (ما استجابوا لكم) لأنهم لا يدعون ما تدعون لهم من الإلهية وبتبرؤن منها وقيل ما نفعوكم (يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم به ويريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى أن هذا الذي أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق لأنني خبير بما أخبرت به وقرئ يدعون بالياء والياء (فإن قلت) لم عرف الفقراء (قلت) قصد بذلك أن يريد أنهم أشد افتقارهم إليه هم جنس الفقراء وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم لأن الفقر مما يدع الضعف وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله وخاق الإنسان ضعيفا وقال سبحانه وتعالى الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى أنتم بعض الفقراء (فإن قلت) قد قوبل الفقراء بالغنى فما فائدة الحميد (قلت) لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم وليس كل غنى نافعا بغناه إلا إذا كان الغنى جوادا منعمًا فإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليبدل به على أنه الغنى النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بإنعامه عليهم أن يحمده الحميد على السنة مؤمنهم (بعزيز) بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له أندادا وكفرهم بآياته ومعاصيهم كما قال وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس رضى الله عنهما يخلق بعدكم من يعبد لا يشرك به شيئا ۚ الوزر والوقر أخوان ووزر الشيء إذا حملة ۚ والوازره صفة للنفس والمعنى أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل إلا وزرها الذي افتقرته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبارة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار (فإن قلت) هلا قيل ولا تزر نفس وزر أخرى ولم قيل وازرة (قلت) لأن المعنى أن النفوس الوازرات لا ترى مهن واحدة إلا حامله ووزرها لا وزر غيرها (فإن قلت) كيف توفى بين هذا وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم (قلت) تلك الآية في الضالين المضلين وأنهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم وذلك كله أوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء (فإن قلت) ما الفرق بين معنى قوله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وبين معنى (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء) (قلت) الأولى في الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه وأنه تعالى لا يؤخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في أن لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى أن نفسا قد أثقلها الأوزار وبهظتها لودعت إلى أن يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وإن كان المدعو بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ (فإن قلت) لإلام أسند كان في (ولو كان ذا قربي) (قلت) إلى المدعو المفهوم من قوله وإن تدع مثقلة (فإن قلت) فلم ترك ذكر المدعو (قلت)

(قوله ما نفعوكم يكفرون بشرككم) كأن تفسيره قد سقط وفي النسق يكفرون بشرككم بإشراككم لهم وعبادتهم إياهم ويقولون ما كنتم إيانا تعبدون ولا ينبئك الخ

الصلوة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير . وما يستوي الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا  
النور . ولا الظل ولا الحرور . وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء . وما أنت  
بمسمع من القبور . إن أنت إلا نذير . إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير .

ليعم ويشمل كل مدعو (فإن قلت) كيف استفهام إضمار العام ولا يصح أن يكون العام ذا قرين للثقله (قلت) هو من  
العموم الكائن على طريق البديل (فإن قلت) ما تقول فيمن قرأ ولو كان ذو قرين على كان التامة كقوله تعالى وإن كان  
ذو عسرة (قلت) نظم الكلام أحسن ملاممة للناقصة لأن المعنى على أن المثقلة إن دعت أحداً إلى حملها لا يحمل منه شيء  
وإن كان مدعوها ذا قرين وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قرين لنفسك وخرج من اتساقه والثامه على أن  
ههنا ما ساغ أن يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما أوردته (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول أى يخشون ربهم غائبين  
عن عذابه أو يخشون عذابه غائباً عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
من أصحابه فكانت عاداتهم المستمرة أن يخشوا الله . وهم الذين أقاموا الصلاة وتركوا ما مناراً منصوباً وعلماً مرفوعاً يعنى  
إنما تقدر على إبدار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الإنذار فيهم دون متمردتهم وأهل عنادهم (ومن  
تزكى) ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن أزكى فإنما يزكى وهو اعتراض مؤكداً لحشيتهم وإقامتهم  
الصلاة لأنهما من جملة التزكى (وإلى الله المصير) وعد المبتزكين بالثواب (فإن قلت) كيف اتصل قوله إنما تنذر بما قبله  
(قلت) لما غضب عليهم في قوله إن يشأ يذهبكم أتبعه الإنذار بيوم القيامة وذكر أهوالها ثم قال إنما تنذر كأن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل إنما تنذر أو أخبره الله تعالى بعلمه فيهم (الأعمى والبصير) مثل للكافر  
والمؤمن كما ضرب البحرین مثلاً لهما أوللصنم والله عز وجل . والظلمات والنور والظل والحرور مثلاً للحق والباطل  
وما يؤتيان إليه من الثواب والعقاب . والأحياء والأموات مثل الذين دخلوا في الإسلام والذين لم يدخلوا فيه وأصروا  
على الكفر . والحرور السموم إلا أن السموم يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل خاصة (فإن قلت)  
لا المقرونة بواو العطف ما هي (قلت) إذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لنا كيد معنى النفي (فإن قلت) هل من فرق  
بين هذه الواوات (قلت) بعضها ضمت شفيعاً إلى شفيع وبعضها نترأ إلى وتر (إن الله يسمع من يشاء) يعنى أنه قد  
علم من يدخل في الإسلام من لا يدخل فيه فهدى الذى قد علم أن الهداية تنفع فيه ويخذل من علم أنها لا تنفع فيه وأما  
أنت فخفى عليك أمرهم فلذلك تحرص وتنهالك على إسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من يريد أن يسمع  
المقبورين وينذر وذلك مالا سبيل إليه ثم قال (إن أنت إلا نذير) أى ما عليك إلا أن تبلغ وتنذر فإن كان المذر  
من يسمع الإنذار نفع وإن كان من المصرين فلا عليك ويحتمل أن الله يسمع من يشاء أنه قادر على أن يهدى المطبوع على  
قلوبهم على وجه القسر والإجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق وأما أنت فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم  
بمنزلة الموتى (بالحق) حال من أحد الضميرين يعنى محقاً أو محققين أو صفة المصدر أى إرسالا مصحوباً بالحق أو صلة لبشير ونذير  
على بشير بالوعد الحق ونذيراً بالوعيد الحق . والأمة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه أمة من الناس ويقال لأهل  
كل عصر أمة وفي حدود المتكلمين الأمة هم المصدقون بالرسول صلى الله عليه وسلم دون المبعوث إليهم وهم الذين يعتبر  
إجماعهم والمراد ههنا أهل العصر (فإن قلت) كم من أمة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ولم يخل فيها نذير  
(قلت) إذا كانت آثار الذرة باقية لم يخل من نذير إلى أن تدرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمداً  
صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما (قلت) لما كانت النذارة

(قوله وخرج من اتساقه والثامه) أى انتظامه



وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزَّبْرُ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ثُمَّ أَخَذتُ  
الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا  
وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ۝ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ  
كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ وَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

مشفوعة بالبشارة لا محالة دلّ ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الآية على ذكرهما (بالبينات) بالشواهد على صحة  
النبوة وهي المعجزات (وبالزبر) وبالصحف (وبالكتاب المنير) نحو التوراة والإنجيل والزبور. لما كانت هذه الأشياء  
في جنسهم أسناد المجيء بها إليهم إسناداً مطلقاً وإن كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب  
وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (الوانها) أجناسها من الزمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أوهيئاتها  
من الحمر والصفرة والخضرة ونحوها والجدد: الخطط والطرائق قال لييد ۝ أو مذهب جدد على ألوانه ۝ ويقال جدد  
الحمار للخطاة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جددتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه (وغرابيب) معطوف  
على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة رضي الله عنه  
هي الجبال الطوال السود (فإن قلت) الغرابيب تأكيد للأسود يقال أسود غرابيب وأسود حلكوك وهو الذي أبعده  
في السواد وأغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التأكيدي أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق وما أشبه ذلك  
(قلت) وجهه أن يضم المؤكد قبله ويكون الذي بعده تسييراً لما ضم كقول النابغة والمؤمن العائدات الطير وإنما يفعل  
ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الإظهار والإضمار جميعاً ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله  
تعالى ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمرة وسود حتى يؤل إلى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات  
مختلف ألوانها (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه) يعني ومنهم بعض مختلف ألوانه وقرئ ألوانها قرأ الزهري  
جدد بالضم جمع جديدة وهي الجدة يقال جديدة وجدود جدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسرها قول أبي ذؤيب يصف  
بار وحش ۝ جون السراة له جدائد أربع ۝ وروى عنه جدد بفتحين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع  
الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض وقرئ والدواب مخففاً ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضالين  
لأن كل واحد منهما فرار من التقاء الساكنين فترك ذلك أو لها وحذف هذا آخرهما وقوله (كذلك) أي كاختلاف الثمرات  
والجبال المراد العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق قدره  
وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علماً ازداد منه خوفاً ومن كان عليه به أقل كان آمن وفي الحديث أعلمكم بالله أشدكم له  
خشية وعن مسروق كفي بالمرء علماً أن يخشى وكفي بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي أفنى أيها العالم فقال العالم  
من خشى الله وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه (فإن قلت) هل يختلف المعنى  
إذا قدم المفعول في هذا الكلام أو آخر (قلت) لا بد من ذلك فإنك إذا قدمت اسم الله وأخبرت العلماء كان المعنى إن الذين  
يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم وإذا عملت على العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله تعالى  
«ولا يخشون أحداً إلا الله» وهما معنيان مختلفان (فإن قلت) ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله (قلت) لما قال ألم تر بمعنى  
ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماءً وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعه وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس وما يستدل  
به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك (إنما يخشى الله من عباده العلماء) كأنه قال إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك بمن عرفه حق

(قوله ما هو على لون واحد غرابيب) لعله غرابيب (قوله أصفر فاقع وأبيض يقق) بفتح القاف الأولى وحكى كسرهما أفاده الصحاح

وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ۚ لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ غَفُورٌ  
شَكُورٌ ۚ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ۚ  
ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ۗ يُؤْتِيهِمْ  
ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۚ جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَأُكُلُوا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۚ

معرفة وعلمه كنه علمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أننا أرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به (فإن قلت) فما وجه قراءة من قرأ إنما يخشى الله من عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز ويحكي عن أبي حنيفة (قلت) الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى إنما يحلمهم ويعظمهم كما يحلم المهيب الخشى من الرجال بين الناس من بين جميع عباده (إن الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المتيب حقه أن يخشى (يتلون كتاب الله) يداومون على تلاوته وهي شأنهم ودينتهم وعن مطرف رحمه الله هي آية القراء وعن الكلبي رحمه الله يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي رحمه الله هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم وعن عطاءهم المؤمنون (يرجون) خبر إن والتجارة طلب الثواب بالطاعة و (ليوفيهم) متعلق بلى تبور أى تجارة ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده (أجورهم) وهي ما استحقوه من الثواب (ويزيدهم) من التفضل عن المستحق وإن شئت جعلت يرجون في موضع الحال على وأنفقوا راجين ليوفيهم أى فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر إن قوله (إنه غفور شكور) على معنى غفور لهم شكور لأعمالهم والشكر مجاز عن الإثابة (الكتاب) القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعض (مصداقاً) حال مؤكدة لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق (لما بين يديه) لما تقدمه من الكتب (لخبير بصير) يعنى أنه خبرك وأبصر أحوالك فأرك أهلاً لأن يوحى إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب (فإن قلت) ما معنى قوله (ثم أورثنا الكتاب) (قلت) فيه وجهان أحدهما إنا أوحينا إليك القرآن ثم أورثنا من بعدك أى حكمتنا بتوريثه أو قال أورثناه وهو يريد نوره لما عليه أخبار الله (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة لأن الله اصطفاً على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الاتناء إلى أفضل رسل الله وحمل الكتاب الذى هو أفضل كتب الله (ثم قسمهم إلى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجأ لأمر الله ومقتصد وهو الذى خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وسابق من السابقين والوجه الثانى أنه قدم إرساله فى كل أمة رسولا وأنهم كذبوا برسالمهم وقد جاؤهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال إن الذين يتلون كتاب الله فأثنى على النالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الأمم واعترض بقوله والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا أى من بعد أولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده أهل الملة الخنيفية (فإن قلت) فكيف جعلت (جات عدن) بدلا من الفضل الكبير الذى هو السبق بالخيرات المشار إليه بذلك (قلت) لما كان السبب فى نيل الثواب نزل

ه قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله (قال يعنى بالمصطفين أمة محمد عليه الصلاة والسلام ثم قسمتهم الآية إلى ظالم لنفسه وهو المرجأ لأمر الله وإلى مقتصد وهو الذى خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وإلى سابق ثم قال الزمخشري فإن قلت كيف جعل الجنات بدلا من الفضل الكبير وذلك

(قوله ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله) أى تروج أفاده الصحاح

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ

منزلة لمسبب كأنه هو الثواب فأبدك عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليلتزم الظالم لنفسه حذراً وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقاً ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فإن شرط ذلك صحة التوبة لقوله تعالى «عسى الله أن يتوب عليهم» وقوله «إما يعذبهم وإما يتوب عليهم» ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الأمر ولم يعال نفسه بالخدع ۝ وقرئ سابق ومعنى بإذن الله بتيسيره وتوفيقه (فإن قلت) لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق (قلت) للإيدان بكثرة الفاسقين وغلبتهم وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم والسابقين أقل من القليل ۝ وقرئ جنة عدن على الأفراد كأنها جنة مختصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر أي يدخلون جنات عدن يدخلونها ويدخلونها على البناء للمفعول ۝ ويحلون من حليت المرأة فهي حال (ولوؤا) معطوف على محل من أساور ومن داخله للتبعيض أي يحلون بعض أساور من ذهب كأنه بعض سابق لسائر الأبعاض كما سبق المسورون به غيرهم وقيل إن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ وقرئ ولوؤا بتخفيف الهمزة الأولى ۝ وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس رضي الله عنهما حزن الأعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن إبليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد أكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه أنه يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لاله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكأني بأهل لاله إلا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ۝ وذكر الشكور دليل على أن القوم كثير والحسنات ۝ المقامة بمعنى الإقامة يقال أقمت إقامة ومقاماً ومقامة (من فضله) من عطائه وإفضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل لأن الثواب بمنزلة الأجر المستحق والتفضل كال تبرع ۝ وقرئ لغوب بالغوب وهو اسم ما يلغ منه أي لا تتكلف عملاً يلغينا أو مصدر كالقبول والولوج أو صفة للمصدر كأنه لغوب لغوب كقولك موت مائت (فإن قلت)

في تمة الآية في قوله ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها . قلت لأن الإشارة بالفضل إلى السابق بالخيرات وهو السبب في الجنات ونيل الثواب فأقام السبب مقام المسبب وفي اختصاص السابقين بذكر الجزاء دون الآخرين ما يوجب الحذر فليحذر المقتصد وليلتزم الظالم لنفسه حذراً وعليهما بالتوبة النصوح ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سابقاً ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فإن شرط ذلك صحة التوبة فلا يعلل نفسه بالخدع) قال أحمد وقد صدرت هذه الآية بذكر المصطفين من عباد الله ثم قسمتهم إلى الظالم والمقتصد السابق ليلزم اندراج الظالم لنفسه من المرحدين في المصطفين وإنه لمنهم وأي نعمة أتم وأعظم من اصطفاؤه للتوحيد والعقائد السالمة من البدع فما بال المصنف يطنب في التسوية بين الموحد المصطفى والكافر المجترى وقوله جنات عدن يدخلونها الضمير فيه راجع إلى المصطفين عمومًا والجنات جزاؤهم على توحيدهم جميعاً وإعرابها جنات مبتدأ ويدخلونها الخبر وقوله يحلون فيها من أساور من ذهب ولوؤا ولباسهم فيها حرير إلى آخر الآية خبر بعد خبر وخير على خير والله المستعان

(قوله فإن شرط ذلك صحة التوبة) هذا عند المعتزلة أما أهل السنة فيجوزون الغفران بمجرد الفضل (قوله أو صفة

للمصدر كأنه) لعله كأنه قال

مَنْ عَذَابَهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۝ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبِّنا أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَائِدًا كَرِّفِيهِ مَنْ تَدَّكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا الْعَذَابَ الَّذِينَ مِنْ نَصِيرٍ ۝ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَاتَمَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا أَقْبَاتًا وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي

ما الفرق بين النصب واللغوب (قلت) النصب النصب والمشقة التي أصيب المنتصب للأمر المزاوول له وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكافة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة (فيوتوا) جواب النبي ونصبه بإضمار أن وقرئ فيموتون عطفاً على يقضى وإدخاله في حكم النفي أي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (كذلك) مثل ذلك الجزاء (نجزي) وقرئ يجازي ونجزي (كل كفور) بالنون (بصطرخون) يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصباح بجهد وشدة قاله كصرخة حبل أسلمتها قبيلها واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته (فان قلت) هلا اكتفى بصالح كما اكتفى به في قوله تعالى فارجعنا نعمل صالحاً وما فائدة زيادة (غير الذي كنا نعمل) على أنه يؤذن أنهم يعملون صالحاً آخر غير الصالح الذي عملوه (قلت) فائدة زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به وأما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولأنهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالح كما قال الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقالوا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نحسبه صالحاً فعمله (أولم نعمركم) توبيخ من الله يعني فتقول لهم وقرئ ما يذكركم فيه من اذكر على الإدغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر إلا أن التوبيخ في المتناول أعظم وعن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة وعن مجاهد بين العشرين إلى الستين وقيل ثمانين عشر وسبع عشر و (النذير) الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل الشيب وقرئ وجاءتكم النذر (فإن قلت) علام عطف وجاءكم النذير (قلت) على معنى أولم نعمركم لأن لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى إخبار كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير (إنه عايم بذات الصدور) كالتعليل لأنه إذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور: مضمراتها وهي تأنيث ذو في نحو قول أبي بكر رضي الله عنه ذو بطن خارجة جارية وقوله لتغني عن ذا إنائك أجمعاً المعنى ما في بطنها من الحبل وما في إنائك من الشراب لأن الحبل والشراب يصحبان البطن والإناء ألا ترى إلى قولهم معاً حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معاً وذو مريض معنى الصعوبة يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى أنه جعلكم خلفاءه في أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي مابق بعده خسار والمقت أشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امرأة أبيه مقتى لكونه ممقوتاً في كل قلب وهو خطاب الناس وقيل خطاب لمن بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلكم أمة خلفت من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي أن تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة كما أن ذلك حكم من قبلكم (أروني) بدل من أرايتم لأن المعنى أرايتم أخبروني كأنه قال أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعمما استحقوا به الإلهية والشركة أروني أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله

(قوله ونجزي كل كفور بالنون) ونصب كل في هذه القراءة ورفعه فيما قبلها (قوله ولأنهم كانوا يحسبون) لعله أول أنهم

كانوا (قوله وغمط هذه النعمة) أي واحتقر

مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُم كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ عِدَّ الظَّالِمِينَ  
بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ  
مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۚ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَىٰ  
الْأُمَّمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۚ اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السُّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السُّيِّئِ  
إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۚ أَوَلَمْ يَسِيرُوا

أم لهم مع الله شركة في خالق السموات أم معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب أو يكون  
الضمير في آياتهم للمشركين كقوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا أم آتيناهم كتابا من قبله بل إن يعد بعضهم وهم الرؤساء (بعضاً) وهم  
الاتباع (الإغوراء) وهو قولهم هؤلاء شفعاءنا عند الله وقرئ بيّنات (أن تزولا) كراهة أن تزولا أو يمنعها من أن تزولا لأن  
الإمساك منع (إنه كان حلماً غفوراً) غير معاجل بالعقوبة حيث أمسكها وكاتنا جديرتين بأن تهدها لعظم كلمة الشرك  
كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وقرئ ولوزالتا وإن أمسكها جواب القسم في ولئن زالتا لدممت  
الجوابين ومن الأولى مزيدة لتأكيد النفي والثانية للإبتداء من بعده من بعد إمساكه وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال  
لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعباً قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول إن السموات على منكب ملك قال كذب  
كعب أمارك يهوديته بعد ثم قرأ هذه الآية ۚ بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسالهم  
فقال لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن آتانا رسول لسكون أهدى من إحدى الأمم فلما بعث  
رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه ۚ وفي (إحدى الأمم) وجهان أحدهما من بعض الأمم ومن واحدة من الأمم من اليهود  
والنصارى وغيرهم والثاني من الأمة التي يقال لها إحدى الأمم تفضيلاً لها على غيرها في الهدى والاستقامة (مازادهم) إسناد  
بجازي لأنه هو السبب في أن زادوا أنفسهم نفورا عن الحق وابتعاد عنه كقوله تعالى فزادهم رجسا إلى رجسهم (استكباراً)  
بدل من نفورا أو مفعول له على معنى مازادهم إلا أن نفروا استكباراً وعلوا (في الأرض) أو حال بمعنى مستكبرين وما كبرن  
برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ۚ ويجوز أن يسكن (ومكر السبي) معطوفاً على نفورا (فإن قلت) فما وجه قوله ومكر  
السبي (قلت) أصله وأن مكروا السبي أي المكر السبي ثم ومكر السبي ثم مكر السبي والدليل عليه قوله تعالى (ولا يحيق  
المكر السبي إلا بأهله) ومعنى يحيق يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السبي أي لا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن  
النبي صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ما كرا فإن الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السبي إلا بأهله ولا تعينوا باغياً  
يقول الله تعالى إنما بغيتكم على أنفسكم وعن كعب أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما قرأت في التوراة من حفر مغواة وقع  
فيها قال أنا وجدت ذلك في كتاب الله وقرأ الآية وفي أمثال العرب من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا وقرأ حمزة ومكر السبي  
بإسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظان سكوناً أو وقفه خفيفة ثم ابتداء ولا يحيق  
وقرأ ابن مسعود ومكراً سيثاً (سنت الأولين) إنزال العذاب على الذين كذبوا برسولهم من الأمم قبلهم وجعل استقبالهم  
لذلك انتظارا لهم منهم وبين أن عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها أي لا يغيرها وأن ذلك  
مفعول له لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسائرهم ومتاجرهم في رحلتهم إلى الشام والعراق واليمن من آثار

(قوله من حفر مغواة وقع فيها) في الصحاح وقع الناس في أغوية أي في داهية والمغويات بفتح الواو مشددة جمع المغواة

وهي حفرة كالزبية يقال من حفر مغواة وقع فيها والزبية حفرة نحفر للأسد اه أي لصيد الأسد

فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۝ وَلَوْ يَؤُوحِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ۝

﴿سورة يس مكية : إلا آية ٥٤ فمدنية وآياتها ٨٣ نزلت بعد الجن﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ يَس ۝ وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۝ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝

الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (ليعجزه) ليسبقه ويفرته (بما كسبوا) بما اقترفوا من معاصيهم (على ظهرها) على ظهر الأرض (من دابة) من نسمة تدب عليها يريد بنى آدم وقيل ما ترك بنى آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم وعن ابن مسعود كاد الجمل يعذب في جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه الآية وعن أنس أن الضب لموت هزلا في جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر فيمك كل شيء (إلى أجل مسمى) إلى يوم القيامة (كان بعباده بصيرا) وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أى باب شئت

﴿سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۝ قرئ يس بالفتح كآين وكيف أو بالنصب على اتل يس وبالكسر على الاصل كجر وبالرفع على هذه يس أو بالضم كحيت ونخمت الالف وأميت وعن ابن عباس رضى الله عنهما معناه يا انسان في لغة طي والله أعلم بصحته وإن صح فوجهه أن يكون أصله يا أنيسين فكثير النداء به على أسنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم م الله أيمن الله (الحكيم) ذى الحكمة أولانه دليل ناطق بالحكمة كالحى أولانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به (على صراط مستقيم) خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين (فإن قلت) أى حاجة إليه خبرا كان أو صلة وقد علم أن المرسلين لا يكونوا إلا على صراط مستقيم (قات) ليس الغرض بذلك ما ذهب إليه من تمييز من أرسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وإنما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد كأنه قال إنك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وأيضاً فإن التنكير فيه دل على أنه أرسل من بين الصراط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه قرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وبالنصب على أعنى وبالجزء على البدل من القرآن (قوما ما أنذر آباؤهم) قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله تعالى لتنذر قوما ما أنذرهم من نذير من قبلك وما أرسلنا إليهم قبلك من

۝ (القول في سورة يس) ۝ (بسم الله الرحمن الرحيم) يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم (قال فيه إن قلت ما سر قوله على صراط مستقيم وقد علم بكونه من المرسلين أنه كذلك وأجاب بأن الغرض وصفه ووصف ما جاء به فجاء بالوصفين في نظام واحد فكأنه قال إنك لمن المرسلين على طريق ثابت قال وأيضاً ففي تنكير الصراط أنه مخصوص من بين الصراط المستقيمة بصراط لا يكتنه وصفه انتهى كلامه) قال أحمد قد تقدم في مواضع أن التنكير قد يفيد تفخيماً وتعظيماً وهذا منه ۝ قوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم (قال فيه أنه على الوصف كقوله لتنذر قوما ما أنذرهم من نذير من قبلك وما أرسلنا إليهم قبلك من

(قوله قرئ يس بالفتح) يفيد أن السكون قراءة الجمهور والحركات قرأت لبعضهم فالفتح بناء أو نصب والكسر بناء فقط فندبر (قوله وأخفيت الالف وأميت) يعنى قرأ الجمهور بالفتح وقرأ بعضهم بالإمالة كما في النسخ

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ۖ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا

نذير وقد فسر ما نذر آباؤهم على إثبات الإنذار ووجه ذلك أن تجعل ما مصدرية لتنذر قوماً نذر آباؤهم أو موصولة ومصوبة على المفعول الثاني لتنذر قوماً ما نذرهم من العذاب كقوله تعالى إنا نذرناكم عذاباً قريباً (فإن قلت) أي فرق بين تعاقب قوله (فهم غافلون) على التفسيرين (قلت) هو على الأول متعلق بالفي أي لم ينذروا فهم غافلون على أن عدم نذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله إنك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك إلى فلان لتنذره فإنه غافل أو فهو غافل (فإن قلت) كيف يكونون منذرين غير منذرين لما قضية هذا ما في الآي الأخر (قلت) لا مناقضة لأن الآي في نفي إنذارهم لا في نفي إنذار آباؤهم وآباؤهم القدماء من ولد إسماعيل وكانت النذارة فيهم (فإن قلت) ففي أحد التفسيرين أن آباؤهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به (قلت) أريد آباؤهم الآدون دون الأبعاد (القول) قوله تعالى لا ملان جهنم من الجنة والناس أجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لأهم من علم أنهم يموتون على الكفر ۖ ثم مثل تصميحهم على الكفر وأنه لا سبيل إلى إرغوائهم بأن جعلهم كالمخلولين المقمحجين في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يباطون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدمهم ولا ما خلفهم في أن لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر في آيات الله ۖ (فإن قلت) ما معنى قوله (فهى إلى الأذقان) (قلت) معناه فالأغلال واصله إلى الأذقان ملزومة اليها وذلك أن

الإذار على أن ما مصدرية أو موصولة قال والفرق بين موقع الفاء على التفسيرين أنها على الأول متعلقة بالفي معنى جواباً له والمعنى أن نفي إنذارهم هو السبب في غفلتهم وعلى الثاني بقوله إنك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك إلى فلان لتنذره فإنه غافل أو فهو غافل انتهى) قلت يعني أنها على التفسير الثاني تفهم أن غفلتهم سبب في إنذارهم قال فإن قلت كيف يكونون منذرين على هذا التفسير غير منذرين في قوله ما أنماهم من نذير من قبلك وأجاب بأن الآية لنفي إنذارهم لا لنفي إنذار آباؤهم وآباؤهم القدماء من ولد إسماعيل وقد كانت النذارة فيهم ۖ قال فما تصنع بأحد التفسيرين الذي مقتضاه أن آباؤهم لم ينذروا وهو التفسير الأول في هذه الآية مع التفسير الثاني ومقتضاه أنهم أنذروا ۖ وأجاب بأن آباؤهم الأبعادهم المنذرون لا آباؤهم الآدون قال ثم مثل تصميحهم على الكفر وأنهم لا يرجعون ولا يرجعون بأن جعلهم كالمخلولين المقمحجين في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يباطون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدمهم ولا ما خلفهم قال والضمير للأغلال لأن طوق الغل يكون في ماتي طرفيه تحت الذقن حلقه فيها رأس العمود نادراً من الحلقة إلى الذقن فلا تخليه يطاق رأسه فلا يزال مقمحا انتهى كلامه (قلت) إذا فرقت هذا التشبيه كان تصميحهم على الكفر مشبهاً بالأغلال وكان استكبارهم عن قبول الحاق وعن الخضوع والنواضع لاستنائه مشبهاً بالإقحاح لأن المقمحح لا يطاق رأسه وقوله فهى إلى الأذقان تتمم للزوم الإقحاح لهم وكان عدم الفسك في القرون الحالية مشبهاً بسد من خلفهم وعدم النظر في العواقب المستقبلية مشبهاً بسد من قدامهم ۖ قال فإن قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدى وزعم أن الغل لما كان جامعاً لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الأعناق دالاً على ذكر الأيدى ۖ وأجاب بأن الوجه هو الأول واستدل على هذا التفسير الثاني بقوله فهم مقمحون لأنه جعل الإقحاح نتيجة قوله فهى إلى الأذقان ولو كان الضمير الأيدى لم يكن معنى التسبب في الإقحاح ظاهر أو ترك الحق الأجاج للباطل اللجاج انتهى كلامه (قلت) ويحتمل أن تكون الفاء للتعقيب كالفاء الأولى في قوله فهى إلى الأذقان أو للتسبب ولا شك أن ضغط اليد مع العنق في الغل يوجب الإقحاح فإن اليد والعياذ بالله تعالى تبقى بمسكة بالغل تحت الذقن دافعة بها وممانعة من وطأتها ويكون التشبيه أتم على هذا التفسير فإن اليد متى كانت مرسلة مخلاة كان للمخلول بعض الفرج بإطلاقها ولعله يتحيل بها على فكك الغل ولا كذلك إذا كانت مغلولة فيضاف إلى ما ذكرناه من التشبيهات المفرقة أن يكون انسداد باب الحيل عليهم في الهداية والانخلاع مزربقة

(قوله لتنذر قوماً ما نذرهم) لعله أي لتنذر قوماً بذكر أي وذكراً لتنذر مرة ثانية

فَأَغْشَيْنَهُمْ فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ ۝ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ  
وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ

طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون ملتقى طرفية تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادراً من الحلقة إلى الذقن فلا تخلبه بطاطىء رأسه ويوطىء قذاله فلا يزال مقمحا ۝ والمقمح الذي يرفع رأسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قماح إذا روى فرفع رأسه ومنه شهراً قماح لأن الإبل ترفع رؤوسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتحمت السويق (فإن قلت) فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدي وزعم أن الغل لما كان جامعاً لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الأعناق دالاً على ذكر الأيدي (قلت) الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحوون الأتري كيف جعل الإقماح نتيجة قوله فهي إلى الأذقان ولو كان الضمير للأيدي لم يكن معنى التسبب في الإقماح ظاهراً على أن هذا الإضرار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى إلى نفسه إلى الباطن الذي يحفو عنه وترك للحق الأبلج إلى الباطل اللجاج (فإن قلت) فقد قرأ ابن عباس رضى الله عنهما في أيديهم وابن مسعود في أيمنهم فهل تجوز على هاتين القراءتين أن تجعل الضمير للأيدي أو للإيمان (قلت) يأبى ذلك وإن ذهب الإضرار المتعسف ظهور كون الضمير للأغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت ۝ وقرئ سداً بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس بالفتح وما كان من خلق الله بالضم (فأغشيناهم) فأغشينا أبصارهم أى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن أن تطمح إلى مرتى وعن مجاهد فأغشيناهم فألبسنا أبصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمداً يصلى أيرضخن رأسه فأناه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع أثبتت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم فقال مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله عينيه ۝ (فإن قلت) قد ذكر ما دل على انتفاء إيمانهم مع ثبوت الإنذار ثم قفاه بقوله إنما تنذر وإنما كانت تصح هذه التقفية لو كان الإنذار منقياً (قلت) هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيًا للإيمان مع وجود الإنذار وكان معناه أن البغية المرومة بالإنذار غير حاصلة وهي الإيمان قفى بقوله إنما تنذر على معنى إنما تحصل البغية بالإنذار من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن أو الوعظ الخاشون ربهم (نحي الموتى) نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن إحيائهم أن يخرجهم من الشرك إلى الإيمان (ونكتب ما) أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علوه أو كتاب صنفوه أو حبيس حبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك أو سبي كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدثها فيها تخسيرهم وشيء أحدث فيه صدعن ذكر الله من ألحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر أى قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هي آثار المشائين إلى المساجد وعن جابر أردنا النقلة إلى المسجد والباق حول

الكفر المقدر عليهم مشبهاً بغل الأيدي فإن اليد آلة الحيلة إلى الخلاص ۝ قوله تعالى إنما تنذر من اتبع الذكر الآية (قال إن قلت قد ذكر ما دل على انتفاء إيمانهم مع ثبوت الإنذار ثم قفاه بقوله إنما تنذر وإنما كانت التقفية تصح لو كان الإنذار منقياً وأجاب بأن الأمر كذلك ولكن لما بين أن البغية المرومة بالإنذار وهي الإيمان منفية عنهم قفاه بقوله إنما تنذر أى إنما تحصل بغية الإنذار بمن اتبع الذكر انتهى كلامه (قلت) في السؤال سوء أدب وينبغي أن يقال

(قوله رأس العمود نادراً) أى شاذاً كما يفيد الصراح (قوله ويوطىء قذاله) في الصراح القذال جماع مؤخر الرأس فتدبر (قوله ومنه شهراً قماح) بوزن كتاب وغراب كما نقل عن القاموس وفي الصراح سمياً بذلك لأن الإبل إذاوردت فيهما آذاها برد الماء فقاحت (قوله إلى الباطل اللجاج) أى الذى يردد من غير ان ينفذ أفاده الصراح



شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ۖ وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلًا مِّنَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ۚ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِم  
اثنین فکذبوہما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليکم مرسلون ۚ قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن

خالیه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتانا في ديارنا وقال يابني سلمة بلغني أنكم تريدون النقلة إلى المسجد فقلنا  
نعم بعد علينا المسجد والباق حول خالية فقال عليكم دياركم فإنما تكتب آثاركم قال فما وددنا حضرة المسجد لما  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئاً لا غفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح  
والإمام اللوح وقرئ ويكتب ما قدموا وآثارهم على البناء للفعول وكل شيء بالرفع (واضرب لهم مثلاً) ومثل لهم مثلاً  
من قولهم عندي من هذا الضرب كذا أي من هذا المثل وهذه الأشياء على ضرب واحد أي على مثال واحد والمعنى  
واضرب لهم مثلاً مثل أصحاب القرية أي اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثاني بيان للأول ۚ وانتصاب  
إذبانہ بدل من أصحاب القرية والقرية انطاكية و (المرسلون) رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها بعثهم دعاة إلى الحق وكانوا  
عبدة أوثان ۚ أرسل إليهم اثنین فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألها  
فأخبراه فقال أمعك آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الأكمة والأبرص وكان له ولد مريض من سذنين فمسحاه فقام  
فآمن حبيب وفشا الخبر فشفني على أيديهما خلق كثير ورقى حديثهما إلى الملك وقال لها أنا إله سوى آلهتنا قالوا نعم من  
أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون  
فدخل متنكراً وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغني أنك حبست  
رجلين فهل سمعت ما يقولانه فقال لاحال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلك قال الله الذي خلق  
كل شيء وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالاً يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتك قالاً ما يتعنى الملك فدعا  
بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشقه بصره وأخذنا بندقين فوضعاهما في حدقيه فكأنا مقلتين ينظرهما فقال له  
شمعون أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر إن إلهنا لا يبصر ولا يسمع  
ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون أنه منهم ثم قال إن قدر إلهك على  
إحياء ميت آمنابه فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال إني أدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم  
فيه فأمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان  
فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فأمن وآمن معه قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه  
السلام صيحة فهلكوا (فعززنا) فقوينا يقال المطر يعزز الأرض إذالدها وشدها وتعزز لحم الدقة وقرئ بالتخفيف  
من عزه يعزه إذا غلبه أي فغلبنا وقهرنا (بثالث) وهو شمعون (فإن قلت) لم ترك ذكر المفعول به (قلت) لأن الغرض  
ذكر المعزز به وهو شمعون ومالطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل وإذا كان الكلام منصبا إلى غرض من  
الأغراض جعل سياقه له وتوجهه إليه كأن ما سواه مرفوض مطرح ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض  
المسوق إليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه ۚ وإنما رفع بشر ونصب في قوله ما هذا بشرا  
لأن إلاته قض النبي فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه فلا يبقى له عمل (فإن قلت) لم قيل إنا إليكم مرسلون أولا و (إنا إليكم

وماوجه ذكر الإنذار الثاني في معرض المخالفة للأول مع أن الأول لإثبات والإنذار الثاني كذلك قوله تعالى إنا إليكم  
مرسلون (قال إن قلت لم استقط اللام هنا وأثبتها في الثانية عند قوله ربنا يعلم إنا إليكم مرسلون قلت الأول ابتداء

(قوله إنما رفع بشر ونصب) عبارة النسبي إنما رفع بشرنا ونصب الخ

من شئ إن أنتم إلا تكذبون ۝ قالوا ربنا يعلم ۝ إنا إليكم لمرسلون ۝ وما علينا إلا البلاغ المبين ۝ قالوا  
إنا تطيرنا بكم لنن لم تنهوا ليرجنكم ولیمسنكم منا عذاب الیم ۝ قالوا طيركم معكم أن ذکرتم بل أنتم  
قوم مسرفون ۝ وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يقوم اتبعوا المرسلين ۝ اتبعوا من لا يسئلكم  
أجراً وهم مهتدون ۝ ومالی لأعبد الذی فطرني وإليه ترجعون ۝ أتأخذ من دونه الهة إن یردن الرحمن

لمرسلون) آخر (قلت) لأن الأول ابتداء إخبار والثاني جواب عن إنكار ۝ وفوله ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد  
وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وإنما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم (وما علينا  
إلا البلاغ المبين) أي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته وإلا فلو قال المدعى والله إني لصادق فيما ادعى ولم  
يحضر البينة كان قبيحا (تطيرنا بكم) تشاء منا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منهم نفوسهم وعادة الجهال أن يقيموا  
بكل شئ مالوا إليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاهموا بما نفروا عنه وكرهوه فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا  
بركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وإن تصبهم  
سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة إن أصابنا شئ كان من أجلكم (طيركم  
معكم) وقرئ طيركم أي سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم أو أسباب شؤمكم معكم وهي كفرهم ومعاصيهم وقرأ الحسن  
أطيركم أي تطيركم ۝ وقرئ أن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآئن بألف بينهما بمعنى تطيرون إن ذكرتم  
وقرئ أن ذكرتم بهمزة الاستفهام وأن الناصبة يعني أنطيرتم لأن ذكرتم وقرئ أن وإن بغير استفهام لمعنى  
الإخبار أي تطيرتم لأن ذكرتم أو إن ذكرتم تطيرتم وقرئ أين ذكرتم على التخفيف أي شؤمكم معكم حيث جرى  
ذكرهم وإذا شتم المكان بذكرهم كان بجلولهم فيه أشأم (بل أنتم قوم مسرفون) في العصيان ومن ثم أتاكم الشؤم  
لأن قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم قوم مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم حيث تشاهمون بمن يجب التبرك به  
من رسل الله (رجل يسعى) هو حبيب بن إسرائيل النجار وكان ينحت الأصنام وهو من آه نوا برسل الله صلى الله  
عليه وآله وسلم وبينهما ستائة سنة كما آمن به تبع الأ أكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي أحد إلا بعد ظهوره  
وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقول الكفرة فقالوا أو أنت تخالف ديننا فوثبوا  
عليه فقتلوه وقيل توطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل رجوه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق أنطاكية فلما  
قتل غضب الله عليهم فأهلكوا بصيحة جبريل عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الأمم ثلاثة لم  
يكفروا بالله طرفة عين : على بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون (من لا يسئلكم أجراً وهم مهتدون) كلمة  
جامعة في الترغيب فيهم أي لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم وترجون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة  
ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويدياريهم ولأنه أدخل في إحاض النصح حيث  
لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله (ومالی لأعبد الذی فطرني) مكان قوله ومالكم لاتعبدون الذی فطرکم  
الأتري إلى قوله (وإليه ترجعون) ولولا أنه قصد ذلك لقال الذی فطرني وإليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق إلى أن  
قال آمنت بربكم فاسمعون يربد فاسمعوا قولي وأطيعوني فقد نهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه أن العبادة لاتصح إلا

إخبار والثاني جواب إنكار) قال أحمد أي فلاق توكيده

(قوله ونفرت منهم نفوسهم) لعله منه كعبارة النسفي (قوله وآئن بألف بينهما) الذي في النسفي أن هذا وما قبله بياض  
مكسورة بدل الهمزة الثانية (قوله بأرجلهم حتى خرج قصة) في الصحاح القصب بالضم المتقى والمعنى واحد الأمعاء

بِضْرٍ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شِفَاءَهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِدُونَ ۚ إِنِّي إِذَا لَبِيتُ ضَلِيلٌ مُبِينٌ ۚ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ ۚ قِيلَ  
أَدْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۚ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ۚ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ  
بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ۚ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ ۚ يَحْسُرَةَ عَلَى

لمن منه مبتدؤكم وإليه مرجعكم وما أذفع العقول وأنكرها لأن تستحبوا على عبادته عبادة أشياء إن أرادكم هو بضر  
وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يسكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على إنقاذكم منه بوجه من الوجوه  
إنكم في هذا الاستحياب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتميز وقيل لما نصح قومه أخذوا يرجونه  
فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم (إني آمنت بربكم فاسمعون) أي اسمعوا إيماني تشهدوا لي به ۚ وقرئ إن يردني  
الرحمن بضر بمعنى أن يوردني ضراً أي يجعلني مورداً للضر ۚ أي لما قتل (قيل) له (ادخل الجنة) وعن قتادة أدخله الله  
الجنة وهو فيها حتى يرزق أراد قوله تعالى «بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين» وقيل معناه البشري بدخول الجنة وأنه من  
أهلها (فإن قلت) كيف مخرج هذا القول في علم البيان (قلت) مخرجه مخرج الاستئناف لأن هذا من مظان المسألة عن  
حاله عند لقاء ربه كأن قائلها قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل  
أدخل الجنة ولم يقل قيل له لأن نصاب الغرض إلى المقول وعظمه لا إلى المقول له مع كونه معلوماً وكذلك (قال باليت قومي  
يعلمون) مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وإنما تبنى علم قومه بحاله ليكون عليهم  
بها سبباً لا كتساب مثلها لأنفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والعمل الصالح المفضيين بأهلها إلى الجنة  
وفي حديث مرفوع نصح قومه حياً وميتاً وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل والتروف على  
من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف في اقتدائه والاشتغال بذلك عن الشتمات به  
والدعاء عليه ألا ترى كيف تبنى الخير لقتله والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام ويجوز أن يتبنى ذلك ليعلموا  
أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة وأن عداوتهم لم تكسبه إلا فوزاً ولم تعقبه إلا  
سعادة لأن في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والأول أوجه ۚ وقرئ المكرمين (فإن قلت) ما في قوله تعالى (بما  
غفر لي ربي) أي المآت هي (قلت) المصدرية أو الموصولة أي بالذي غفره لي من الذنوب ويحتمل أن تكون استفهامية بمعنى بأي  
شيء غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لإعزاز الدين حتى قتل إلى أن قولك بم غفر لي بطرح الألف أجود وإن كان  
إثباتها جائزاً يقال قد علمت بما صنعت هذا أي بأي شيء صنعت وبم صنعت المعنى أن الله كفي أمرهم بصيحة لك ولم ينزل لإهلاكم  
جنداً من جنود السماء كما فعل يوم بدر أو الخندق (فإن قلت) وما معنى قوله (وما كنا منزلين) (قلت) معناه وما كان يصح في  
حكما أن ينزل في إهلاك قوم حبيب جنداً من السماء وذلك لأن الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض وما  
ذلك إلا بناء على ما اقتضته الحكمة وأوجبه المصلحة ألا ترى إلى قوله تعالى «فمنهم من أرسلنا عليك حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة  
ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا» (فإن قلت) فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق قال تعالى «فأرسلنا  
عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها» بألف من الملائكة مردفين، بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين، بخمسة آلاف من الملائكة  
مستورين (قلت) إنما كان يكفي ملك واحد فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح  
بصيحة منه وسكن الله فضل محمداً صلى الله عليه وسلم بكل شيء على كبار الأنبياء وأولى العزم من الرسل فضلاً عن حبيب  
النجار وأولاده من أسباب الكرامة والإعذار ما لم يوله أحداً فمن ذلك أنه أنزل له جنوداً من السماء وكأنه أشاؤ بقوله :  
وما أنزلنا وما كنا منزلين : إلى أن أنزل الجنود من عظام الأمور التي لا يؤهل لها إلا ملك وما كنا نفعله بغيرك (إن كانت  
إلا صيحة واحدة) إن كانت الأخذة أو العقوبة إلا صيحة واحدة وقرأ أبو جعفر المدني بالرفع على كان الناقمة أي ما وقعت

الْعِبَادَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۚ أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۚ وَإِنْ كُلُّ لُحْمٍ جَمِيعٍ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۚ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ

إلا صيغة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لأن المعنى ما وقع شيء إلا صيغة ولكنه نظر إلى ظاهر اللفظ وإن الصيغة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم وبيت ذى الرقة ۚ وما بقيت إلا الضلوع الجراشع ۚ وقرأ ابن مسعود الأزقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويرقى إذا صاح ومنه المثل أثقل من الزواقي (خامدون) نخدموا كما تخدم النار فتعود رماداً كما قال لبيد : وما المرء إلا كالشهاب وضوته ۚ يحور رماداً بعد إذ هو ساطع (ياحسرة على العباد) نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالى يا حسرة فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسول والمعنى أنهم أحقوا بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلطف على حالهم المتهلِّفون أو هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز أن يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومخوضها به وفرط إنكاره له وتعجيبه منه وقراءة من قرأ ياحسرة ناعتضد هذا الوجه لأن المعنى ياحسرتي وقرئ ياحسرة العباد على الإضافة إليهم لاختصاصها بهم من حيث أنها موجهة إليهم وياحسرة على العباد على إجراء الوصل مجرى الوقف (ألم يروا) ألم يعلموا وهو معلق عن العمل في (كم) لأن كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لأن أصلها الاستفهام إلا أن معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك ألم يروا إن زيدا لمنطلق وإن لم يعمل في لفظه و (أنهم إليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكتنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم وعن الحسن كسر إن على الاستئناف وفي قراءة ابن مسعود ألم يروا من أهلكتنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتغال وهذا ما يرد قول أهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قبل له إن قوم يزعجون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة فقال بس القوم نحن إذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه ۚ قرئ لما بالتخفيف على أن ماصلة للتأكيد وإن مخففة من الثقيلة وهي متلقة باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى إلا كالتى في مسألة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وإن نافية ۚ والتنوين في كل هو الذى يقع عوضاً من المضاف إليه كقولك مررت بكل قائماً والمعنى أن كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة وقيل محضرون معذبون (فإن قلت) كيف أخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد (قلت) ليس بواحد لأن كلا يفيد معنى الإحاطة وأن لا ينفلت منهم أحد والجميع معناه الاجتماع وأن المحشر بجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حتى جميع وجاءوا جميعاً القراءة بالميتة على الخفة أشبع لسلسها على اللسان (وأحييناها) استئناف بيان لسكون الأرض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الأرض والليل بالفعل لأنه أريد بهما الجنسان مطلقين لأرض وليل بأعيانها فعملاً لمعاملة النكرات في وصفها بالأفعال ونحوه ولقد أمر على اللثيم يسبنى ، وقوله (فمنه يأكلون) بتقديم الظرف للدلالة على أن الحب هو الشيء الذى يتعلق به معظم العيش ويقوم

ۚ قوله تعالى ۚ وإن كل لما جميع لدينا محضرون ، (قال فيه إن قلت لم أخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد وأجاب بأن كلا تفيد الإحاطة حتى لا ينفلت عنهم أحد وجميع تفيد الاجتماع وهو فعيل بمعنى مفعول وبينهما فرق انتهى كلامه) قال أحمد ومن ثم وقع أجمع في التوكيد تابعا لكل لأنه أخص منه وأزيد معنى ۚ قوله تعالى وآية لهم الأرض الميتة أحييناها الآية (قال يجوز أن يكون أحييناها صفة للأرض وصح ذلك لأن المراد بالأرض الجنس ولم يقصد بها أرض معينة وأن يكون بيانا لوجه الآية فيها) قال أحمد وغيره من النحاة يمنع وقوع جملة صفة للمعرف وإن كان جنسيا وليس الغرض منه معينا ويراعى هذا المانع المطابقة اللفظية في الوصفية ومنه ۚ ولقد أمر على اللثيم يسبنى ۚ

(قوله وما بقيت إلا الضلوع الجراشع) جمع جرشع وهو العظم والزواقي هى الديوك لأنهم كانوا يسمررون فإذا صاحت الديكة تفرقوا أفاده الصحاح

يَا كُؤُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعِيُونَ ۝ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ  
 أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝ سُبْحٰنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝  
 وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ۝ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ وَالْقَمَرَ  
 قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۝ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ التَّمْرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلُّ

بالارتزاق منه صلاح الإنس وإذا قل جاء القحط ووقع الضر وإذا فقد جاء الهلاك ونزل البلاء ۝ قرئ (وجرنا) بالتخفيف  
 والثقل والفجر والتفجير كالفتح والفتيح لفظاً ومعنى وقرئ (ثمره) بفتحين وضمين وضمه وسكون والضمير لله تعالى والمعنى  
 ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر (و) من (ما عملته أيديهم) من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الأعمال إلى أن بلغ الثمر  
 منتهاه وإبان أكله يعني أن الثمر في نفسه فعل الله وخلقته وفيه آثار من كذبى آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وجرنا  
 فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز أن يرجع إلى النخيل وترك الأعناب غير مرجوع إليها لأنه علم  
 أنها في حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة

فيها خطوط من بياض وبلق ۝ كأنه في الجلد توليع البهق

فقيل له فقال أردت أن ذاك ولك أن تجعل مانافية على أن الثمر خلق الله ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدر على قرئ على  
 الوجه الأول وما علمت من غير راجع وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام  
 مع الضمير (الأزواج) الأجناس والأصناف (ومما لا يعلمون) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها  
 بطريق من طرق العلم ولا يبعد أن يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقاً إلى العلم به لأنه لا حاجة  
 بهم في دينهم ودنياهم إلى ذلك العلم ولو كانت بهم إليه حاجة لأعلمهم بما لا يعلمون كما أعلمهم بوجود ما لا يعلمون وعن ابن  
 عباس رضى الله عنهما لم يسمهم وفي الحديث مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعهم عليه فأعلمنا  
 بوجوده وإعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وفي الإعلام بكثرة ما خلق مما علموه  
 ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه ۝ سلخ جلد الشاة إذا كشطه عنها وأزاله ومنه سلخ الحية لخرشائها  
 فاستعير لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله (مظلمون) داخلون في الظلام يقال أظلمنا كما تقول أعتنا  
 وأدجينا (لمستقر لها) لحد لها مؤقت مقدر تنتهى إليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره  
 أو لمنتهى لها من المشارق والمغرب لأنها تتقاصها مشرقاً ومغرباً حتى تبلغ أنصافها ثم ترجع فذلك حدها  
 ومستقرها لأنها لا تعدوه أو لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها أجلها الذي أقر الله عليه  
 أمرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة ۝ وقرئ تجرى  
 إلى مستقرها وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها أي لا تزال تجرى لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على أن بمعنى ليس (ذلك) الجرى  
 عن ذلك التقدير والحساب الدقيق الذى تكمل الفطن عن استخراجها وتنحير الأفهام فى استنباطه ما هو إلا تقدير الغالب  
 بقدرته على كل مقدور المحيط علماً بكل معلوم ۝ قرئ والقمر رفعا على الابتداء أو عطفاً على الليل يريد من آياته القمر ونصبا  
 بفعل يفسره قدرناه ولا بدنى (قدرناه منازل) من تقدير مضاف لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرناه مسيره

(قوله فى الحديث مالا عين رأت) وفى الحديث أوله أعددت لعبادى الصالحين كما مر فى تفسير السجدة (قوله ومنه سلخ  
 الحية لخرشائها) فى الصحاح الخرشاء مثل الخرباء جلد الحية (قوله أعتنا وأدجينا لمستقرها) الوجى وجع فى حافر الفرس  
 أو خف البعير أفاده الصحاح وغيره

منازل وهي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستولا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين ثم يستر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت إليها العرب الأنواء المستمطرة وهي الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجهة الزبرة الصرفة العق السماك الغفر الزباني الإكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الدايج سعد بلع سعد السعود سعد الأخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا إذا كان في آخر منازل دق واستقوس (عاد كالعرجون القديم) وهو عود العذق ما بين شماريحه إلى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الأعراج وهو الانعطاف وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما الغتان كالزبون والبزبون والقديم المحول وإذا قدم دق وانحنى واصفر فشبّه به من ثلاثة أوجه، وقيل أقل مدة الموصوف بالقدم المحول فلوان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر أو كتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى له حول أو أكثر وقرئ سابق النهار على الأصل والمعنى أن الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وأتبعهما قسماً من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر أمرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس أي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وإن جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله (أن تدرك القمر) فجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الأمر على هذا الترتيب إلى أن يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما ألف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها (فإن قلت) لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق (قلت) لأن الشمس لا تقطع فلحها إلا في سنة والقمر يقطع فلحها في شهر فكانت الشمس جديرة بأن توصف بالإدراك لا بطيء سيرها عن سير القمر والقمر خليقاً بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره (وكل)

ه قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار (قال) فيه معناه أن كل واحد منهما لا يدخل على الآخر في سلطانه فيطمس نوره بل هما متعاقبان بمقتضى تدبيره تعالى قال فإن قلت لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق قلت لأن الشمس بطيئة السير تقطع فلحها في سنة والقمر يقطع فلحها في شهر فكانت الشمس لبطئها جديرة بأن توصف بالإدراك والقمر لسرعة سيره جديراً بأن يوصف بالسبق انتهى كلامه (قلت) يؤخذ من هذه الآية أن النهار تابع لليل وهو المذهب المعروف للفقهاء وبيانه من الآية أنه جعل الشمس التي هي آية النهار غير مدركة للقمر الذي هو آية الليل وإنما نفي الإدراك لأنه هو الذي يمكن أن يقع وذلك يستدعي تقدم القمر وتبعية الشمس فإنه لا يقال أدرك السابق اللاحق ولكن أدرك اللاحق السابق وبحسب الإمكان توقيع النفي فالليل إذا متبوع والنهار تابع فإن قيل هل يلزم على هذا أن يكون الليل سابق النهار وقد صرحت الآية بأنه ليس سابقاً فالجواب أن هذا مشترك الإلزام وبيانه أن الأقسام المحتملة ثلاثة إما تبعية النهار لليل وهو مذهب الفقهاء أو عكسه وهو المنقول عن طائفة من النحاة أو اجتماعهما فهذا القسم الثالث منفي باتفاق فلم يبق إلا تبعية النهار لليل وعكسه وهذا السؤال وارد عليهما جميعاً لأن من قال إن النهار سابق الليل لزمه أن يكون مقتضى البلاغة أن يقال ولا الليل يدرك النهار فإن المتأخر إذا نفي إدراكه كان أبلغ من نفي سابقه مع أنه يتنامى عن مقتضى قوله لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر تنائياً لا يجمع شمل المعنى باللفظ فإن الله تعالى نفي أن تكون مدركة فضلاً عن أن تكون سابقة فإذا أثبت ذلك فالجواب المحقق عنه أن المنفي السبقية الموجبة لتراخي النهار عن الليل وتخلل زمن آخر بينهما وحيث نثبت التعاقب وهو مراد الآية وأما سبق أول المتعاقبين للآخر منهما فإنه غير معتبر ألا ترى إلى جواب موسى بقوله هم أولاء على أثرى فقد قربهم منه عذراً عن قوله تعالى وما أعجلك عن قولك فكان سهل أمر هذه العجلة بكونهم على أثره فكيف لو كان متقدماً هم في عقبه لا يتخلل بينهم وبينه مسافة فذاك لو اتفق لكان سياق الآية يوجب أنه لا يعد عجلة ولا سبقاً حينئذ يكون القول بسبقية النهار لليل مخالفاً صدر الآية على وجه لا يقبل التأويل فإن بين عدم الإدراك الدال على التأخير والتبعية وبين السابق بونا بعيداً ومخالفاً أيضاً لبسببية الآية فإنه لو كان الليل تابعاً ومتأخراً لكان أحرى أن يوصف بعدم الإدراك ولا يبلغ به عدم السبق ويكون القول بتقدم الليل على النهار مطابقاً لصدور الآية صريحاً ولعجزها بوجه

(قوله وقرئ العرجون بوزن الفرجون) في الصحاح الفرجون المحسة وقد فرجت الدابة إذا فرجتها ومنه قول بعضهم ادقوني في ثيابي ولا تحسوا عني تراباً أي لا تنغصوه وفيه البتزون السندس (قوله في النيرين سلطان) لعله سلطانا

فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ۝ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ۝ وَإِنْ نَشَاءُ نَغْرِقْهُمْ فَلَا يَصْرِخُونَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَنْقُدُونَ ۝ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ اطْعَمَهُمْ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝

التنوين فيه عوض عن المضاف إليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والأقمار على ما سبق ذكره (ذريتهم) أولادهم ومن يهملهم حملة وقيل اسم الذرية يقع على النساء لأنهن مزارعها وفي الحديث أنه نهى عن قتل الذراري يعني النساء (من مثله) من مثل الفلك (مايركيون) من الإبل وهي سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين وفي أصلابهم هم وذريارتهم وإنما ذكر ذرياتهم دونهم لأنه أبلغ في الامتنان عليهم وأدخل في التعجيب من قدرته في حمل أعقابهم إلى يوم القيامة في سفينة نوح. ومن مثله من مثل ذلك الفلك مايركيون من السفن والزوارق (لاصريح) لامغيث أو لاإغاثة يقال أتاهم الصريح (ولاهم ينقدون) لاينجون من الموت بالفرق (إلا رحمة) إلا لرحمة منا ولتتبع بالحياة (إلى حين) إلى أجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الفرق ولقد أحسن من قال ولم أسلم لسكى أبقي ولكن ۝ سلمت من الحمام إلى الحمام

وقرأ الحسن رضي الله عنه نغرقهم (اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) كقوله تعالى أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين أيديكم من الوقائع التي خلت يعني من مثل الوقائع التي ابتليت بها الأمم المكذبة بأنبيائها وما خلفكم من أمر الساعة (لعلكم ترحمون) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب إذا محذوف مدلول عليه بقوله (إلا كانوا عنهم معرضين) فكأنه قال وإذا قيل لهم اتقوا أعرضوا ثم قال ودأبهم الإعراض عند كل آية وموعظة ۝ كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون أفعال الله تعالى بمشيئته فيقولون لو شاء الله لأغنى فلانا ولو شاء لأعزه ولو شاء لكان كذا فأخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الأمور بمشيئة الله ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك أنهم كانوا دافعين أن يكون الغنى والفقر من الله لأنهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت بمكة زنادقة فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون أن الله تعالى لما كان قادراً على إطعامه ولا يشاء إطعامه فنحن أحق بذلك نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطونا مما زعمتم من أموالكم أنها لله يعنون قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فحرموهم وقالوا لو شاء الله لأطعمكم (إن أنتم إلا في ضلال مبين) قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين ۝ قرئ وهم يخصمون بإدغام التاء في الصاد مع فتح الحاء وكسرها وإتباع الياء الحاء في الكسر ويخصمون على الأصل ويخصمون من خصمه والمعنى أنها تبغتهم وهم في أمنهم وغفلتهم عنها لا يخطرورها يبالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى خصمون يخضم بعضهم بعضاً وقيل تأخذهم

من التأويل مناسب لنظم القرآن وثبوت ضده أقرب إلى الحق من حبل وريده والله الموفق للصواب من القول وتسديده ۝ قوله تعالى وإن نشأ نغرقهم فلاصريح لهم إلى قوله ومتاعاً إلى حين (قلت) من هنا أخذ أبو الطيب ۝ ولم أسلم لسكى أبقي ولكن ۝ سلمت من الحمام إلى الحمام لأنه تعالى أخبر أنهم إن سلموا من موت الفرق فلك السلامة متاع إلى حين أي إلى أجل يموتون فيه ولا بد

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ۝  
 قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ۝ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً  
 فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝ فَالْيَوْمَ لَا تَظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا يَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ  
 الْيَوْمِ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَآئِكِ مُتَكِّتُونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ۝

وهم عند أنفسهم يخصمون في الحجّة في أنهم لا يبعثون ( فلا يستطيعون ) أن يوصوا في شيء من أمورهم ( توصية ) ولا  
 يقدرّون على الرجوع إلى منازلهم وأهاليهم بل يموتون بحيث تفجّؤهم الصيحة ۝ قرئ الصور بسكون الواو وهو القرن أو  
 جمع صورة وحزكها بعضهم و ( الأجداث ) القبور وقرئ بالقاء ( ينسلون ) يعدون بكسر السين وضمها وهي الفخة  
 الثانية ۝ قرئ يا ويلنا ۝ وعن ابن مسعود رضي الله عنه من أهنا من هب من نومه إذا اتبته وأهبه غيره وقرئ من هبنا  
 بمعنى أهنا وعن بعضهم أراد هب بنا فحذف الجار وأوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر  
 و ( هذا ) مبتدأ و ( ما وعد ) خبره وما مصدرية أو موصولة ويجوز أن يكون هذا صفة للبرقذ وما وعد خبر مبتدأ  
 محذوف أي هذا وعد الرحمن أي مبتدأ محذوف الخبر أي ما وعد ( الرحمن وصدق المرسلون ) حق وعن مجاهد للكفار  
 هجمة يجدون فيها طعم اليوم فإذا صبح بأهل القبور قالوا من بعثنا واما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس  
 وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا ( فإن  
 قلت ) إذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعد والمصدق فيه بالوعد والصدق  
 فما وجه قوله وصدق المرسلون إذا جعلتها موصولة ( قلت ) تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى  
 والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقبال ومنه صدقني سن بكره ( فإن قلت ) من بعثنا من مرقدنا  
 سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا ( قلت ) معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وانبأكم به الرسل إلا أنه  
 جرى به على طريقة سيئت بها فلوبهم وبعث إليهم أحوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم وأخبروا بوقوع ما اندرؤا به  
 وكأنه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهيمكم السؤال عن الباعث إن هذا هو البعث  
 الأكبر ذوالأهوال والأفزع وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على السنة رساله الصادقين ( إلا صيحة واحدة ) قرئت  
 منصوبة ومرفوعة ( فالיום لا تظلم نفس شيئا ۝ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل ) حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم وفي مثل  
 هذه الحكاية زيادة تصوير للوعد وتمكين له في النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يشره في شغل في أي شغل  
 وفي شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل إلى نيل تلك الغبطة وذلك الملك  
 الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي أعدّها الله للمتقين من عباده ثوابا لهم على أعمالهم مع كرامته وتعظيم  
 وذلك بعد الوله والصبابة والنصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية وتخطي الأهوال وتجاوز الأخطار  
 وجواز الصراط ومعاينة مآلتي العصاة من العذاب وعن ابن عباس في اقتضاض الأبكار وعنه في ضرب الأوتار وعن  
 ابن كيسان في الزاور وقيل في ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه أهل النار التعم بما هم فيه وعن الكلبي هم في شغل  
 من أهاليهم من أهل النار لا يهيمهم أمرهم ولا يذكروهم لأن لا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم ۝ قرئ في شغل بضمين

۝ قوله تعالى في شغل فاكهون ( قلت ) هذا مما التفسير فيه للتفخيم كأنه قيل في شغل أي شغل وكذا قوله تعالى سلام قولا

( قوله والأجداث القبور وقرئ بالقاء ) في الصحاح الجذف القبر وهو إبدال الجرث قال الفراء العرب تعقب بين القاء  
 والباء في اللغة فيقولون جدث وجدف وهي الأجداث والأجداف



سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ۝ وَامْتَزُوا لِيَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ۝ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يٰٓبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ  
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَإِنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا

وضمة وسكون وفتحين وفتحة وسكون ۝ والفاكه والفاكه المنعم والمثلذ ومنه الفا كمة لانها مما يثلذ به وكذلك  
الفكاهة وهي المزاحة ۝ وقرئ فاكهون وفكهمين بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس  
وقرئ فاكهين وفكهمين على أنه حال والظرف مستقر (هم) يحتمل أن يكون مبتدأ وأن يكون تأكيذا للضمير في شغل  
وفي فاكهون على أن أزواجهم يشاركنهم في ذلك الشغل والتفكك والإتكاء على الأرائك تحت الظلال ۝ وقرئ في ظلل  
والأريكة السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها وقرأ ابن مسعود متكبين ( يذعون ) يفتعلون من الدعاء أي يدعون به  
لأنفسهم كقولك اشتوى واجتمعت إذا شوى وجعل لنفسه قال لبيد فاشتوى ليلة ريح واجتمعت ۝ ويجوز أن يكون بمعنى  
يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه على وفلان في خير ما ادعى أي  
في خير ما تمنى قال الزجاج وهو من الدعاء أي ما يدعو به أهل الجنة بأنهم و(سلام) بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام  
يقال لهم (قولا من) جهة (رب رحيم) والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم  
وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونهم قال ابن عباس فالملائكة يدخلون عليهم بالنعمة من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ  
وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله تعالى ولهم ما يدعون سلام أي  
عدة من رب رحيم والأوجه أن ينتصب على الاختصاص وهو من مجازة وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وعن  
ابن مسعود سلاما نصب على الحال أي لهم مرادهم خالصا (وامتازوا) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين  
يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
فهم في روضة يجبرون وأما الذين كفروا الآية يقال مازه فامتاز وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك  
لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه أن بعضهم يمتاز من بعض ۝ العهد الوصية وعهد إليه إذا  
وصاه وعهد الله إليهم ما ركزه فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع ۝ وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به  
إليهم ويزينه لهم ۝ وقرئ لعهد بكسر الهمزة وباب فعل كاه يجوز في حروف مضارعة الكسر لإفافي الياء وأعهد بكسر  
الهاء وقد جوز الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب وأعهد بالحاء وأحد وهي لغة نعيم ومنه قولهم دحا  
محا (هذا) إشارة إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن إذ لا صراط أقوم منه ونحو التنكير فيه ما في قول كثير  
لئن كان يهدى برد أنيابها العلى ۝ لا فقر منى إننى لفقر

أراد إننى لفقر بليغ الفقر حقيق بأن أوصف به لجمال شرائطه في وإلام يستقيم معنى البيت وكذلك قوله (هذا صراط  
مستقيم) يريد صراط بليغ في بابه بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه ويجوز أن يراد هذا بعض

من رب رحيم ومنه قوله تعالى وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم قال ومعناه لا صراط أقوم منه والتنكير يفيد ذلك إفادته  
إياه في قول كثير عزة ۝ فإن كان يهدى برد أنيابها العلى ۝ لا فقر منى البيت . ولولا ذلك لم يستقيم معنى البيت قال  
ويجوز أن يكون معناه هذا صراط أقل الأحوال فيه أن يعتقد أنه مستقيم كما يقول الرجل لولده هذا فيما أظن قول  
نافع غير ضار تويخاله على الإعراض عن ناصحته

(قوله كقولهم رجل حدث وحدث) أي حسن لحديث والنطس الباطخ في التطهر والمدقق في العلم أفاده الصحاح (قوله والأريكة  
السرير في الجملة) بيت العروس يزين بالثياب الستور كذا في الصحاح (قوله واجتمعت إذا شوى) في الصحاح جمعت الشحم  
أجمه جملا واجتمعت إذا أذبت (قوله في حروف مضارعة الكسر) لعله مضارعه (قوله ومنه قولهم دحا محا) أي دعها معها

تَعْلُونَ ۝ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝ أَصَلُّوا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ  
وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ  
فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَاتَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ۝ وَمَنْ نَعْمَرَهُ نَكَسْهُ  
فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝ لِيُنذِرَ مَنِ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ

الصرط المستقيمة تويخالم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادي الناس عن الطريق المعوج الذي يؤدي إلى الضلالة والتهلكة كأنه قيل أقل أحوال الطريق الذي هو أقوم الطرق أن يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصيح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما أظن قول نافع غير ضار تويخاله على الإعراض عن نصائحه ۝ قرئ جبالاً بضم الجيم وضم الجيم وشديدة وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وشديدة وهذه اللغات في معنى الخاق وقرئ جبالاً جمع جبلة كقطر وخاب وفي قرامة على رضى الله عنه جبالاً واحداً لا جبالاً ۝ يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرتهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة إني لأجيز على شاهد إلامن نفسي فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقت بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكن وسحقاً فعنك كنت أماض ۝ وقرئ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وقرئ وتكلمنا أيديهم وتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك تختم على أفواههم وقرئ وتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الأمر والجزم على أن الله يأمر الأعضاء بالكلام والشهادة ۝ الطمس تعفية شق العين حتى تعود مموحة (فاستبقوا الصراط) لا يخلو من أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل والأصل فاستبقوا إلى الصراط أو يضمن معنى ابتدروا أو يجعل الصراط مسبوقة لأمسبوقاً إليه أو ينتصب على الظرف والمعنى أنه لو شاء لمسح أعينهم فلوراموا أن يستبقوا إلى الطريق المهيع الذي اعتادوا سلوكه إلى مساكنهم وإلى مقاصدهم المألوفة التي تردوا إليها كثيراً كما كانوا يستبقون إليه ساعين في متصرفاتهم موضعين في أمور دنياهم لم يقدرُوا وتعابوا عليهم أن يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلاً عن غيره أولو شاء لأعماهم فلورادوا أن يمشوا مستبقين في الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا أولو شاء لأعماهم فلوطلبوا أن يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقاً يعنى أنهم لا يقدرُونَ إلا على سلوك الطريق المعتادون ماوراه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما ألغوا به وضربوا به من المقاصد دون غيرها (على مكاتتهم) وقرئ على مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أى لمسختهم مسخاً يجمدهم مكانهم لا يقدرُونَ أن يبرحوه بإقبال ولا إديار ولا مضى ولا رجوع واختلف في المسخ فعن ابن عباس لمسختهم قرده وخنزير وقيل حجارة وعن قتادة لأقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم ۝ وقرئ مضياً بالحركات الثلاث فالمضى كالعنى والعنى كالمضى كالصبي (تنكسه في الخلق) نقله فيه فخلقته على عكس ما خلقناه من قبل وذلك أنا خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال إلى حال

۝ قوله تعالى ۝ ومن نعمره نكسه في الخاق ۝ (قال) فيه مناسبة لقوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم من حيث أنه استدلال بقدرته على رده إلى أرذل العمر وإلى الضعف بعد القوة كما أنه قادر على طمس أعينهم والله أعلم

(قوله كنت أماض) أى أجادل (قوله إلى الطريق المهيع) الهبوع الجبن والهبة الذوبان والسيلان وكل ما أفرعك من صوت كذا في الصحاح ولعل المراد الذي سهله كثرة سلوكه (قوله في متصرفاتهم موضعين) في الصحاح وضع البعير وغيره أسرع من سيره وأوضعه راكبه (قوله فيما ألغوا وضروا به) أى مروا

الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۝ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا

وبرتقى من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فإذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً ثم رددناه أسفل سافلين وهذه دلالة على أن من ينقلهم من الشباب إلى الهرم ومن القوة إلى الضعف ومن رجاحة العقل إلى الخرف وقلة التمييز ومن العلم إلى الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسحهم على مكاتهم ويفعل بهم ما شاء وأراد وقرئ بكسر الكاف وفتحها ونكسه ونكسه من التنكيس والإنكاس (أفلا يعقلون) بالياء والتاء ۝ كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر وروى أن القائل عقبة بن أبي معيط فقيلاً (وما علمناه الشعر) أي وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء وأين هو عن الشعر والشعر إنما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين التقفية وأين المعاني التي يندرجها الشعراء عن معانيه وأين نظم كلامهم عن نظمه وأساليبه فإذا لا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققت اللهم إلا أن هذا لفظه عربي كما أن ذلك كذلك (وما ينبغي له) وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه أي جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يأت له ولم يتسهل كما جعلناه أمياً لا يتهدى للخط ولا يحسنه لتكون الحججة أثبت والشبهة أدحض وعن الخليل كان الشعر أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له (فإن قلت) فقله أنا النبي لا كذب ۝ أنا ابن عبدالمطلب

وقوله هل أنت إلا أصعب دميته ۝ وفي سبيل الله ما لقيت (قلت) ما هو إلا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمى به على السليقة من غير صنعة ولا تكلف إلا أنه اتفق ذلك من غير قصد إلى ذلك ولا التفات منه إليه إن جاء موزوناً كما يتفق في كثير من إنشادات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة لا يسميها أحد شعراً ولا يخاطر بيال المتكلم ولا السامع أنها شعر وإذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في أوزان البحور غير عزيز على أن الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعراً ولما نفي أن يكون القرآن من جنس الشعر قال (إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) يعني ما هو إلا ذكر من الله تعالى يوعظ به الإنس والجن كما قال إن هو إلا ذكر للعالمين وما هو إلا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المنعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين (لينذر) القرآن أو الرسول وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به إذا علمه (من كان حياً) أي عاقلاً متأملاً لأن الغافل كالميت أو معلوماً منه أنه يؤمن فيجاء بالإيمان (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الإيمان (مما عملت أيدينا) مما تولينا نحن إحداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وإنما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح أن يقدر عليها إلا هو وعمل الأيدي استعارة من عمل من يعملون بالأيدي (فهم لها مالكون) أي خلقناها لأجلهم فملكناها لإياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع فيها لا يراحمون أو فهم لها ضابطون قاهرون من قوله أصبحت لأحمّل السلاح ولا ۝ أملك رأس البعير إن نفرا

أي لا أضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة والإفمن كان يقدر عليها لولا تذييله وتسخيره لها كما قال القائل  
يصرفه الصبي بكل وجه ۝ ويحبسه عن الحسف الجربير  
وتضربه الوليدة بالهراوى ۝ فلا غير لديه ولا نكير

(قوله وقرئ بكسر الكاف وفتحها ونكسه) يفيد أن القراءة المشهورة بضم الكاف وهما من النكس (قوله فلا غير لديه ولا نكير) الغير جمع الغيرة بالكسر وهي الدية والغير أيضاً الاسم من قولك غيرت الشيء فتغير كذا في الصحاح والمعنى الثاني هو المراد في البيت

رَكُوبِهِمْ وَمِنْهَا يَا كَاوُنَ ۝ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ  
يُنصَرُونَ ۝ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ۝ فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يَسِرُونَ وَمَا يُعْلَنُونَ ۝  
أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ

ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحانه الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين ۝ وقرئ ركوبهم  
وركوبتهم وهم ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم أي ذو ركوبهم أو فن منافعهم ركوبهم (منافع)  
من الجلود والأوبار والأصواف وغير ذلك (ومشارب) من اللبن ذكرها بجملة وقد فصاها في قوله تعالى وجعل لكم من جلود  
الأنعام بيوتنا الآيات والمشارب جمع شرب وهو وضع الشرب أو الشرب ۝ اتخذوا الآلهة طمعا في أن يتقوا بهم ويعتصموا  
بمكانهم والأمر على عكس ما قدرنا حيث هم جند لآلهتهم معتدون (محضرون) يخدمونهم ويذنون عنهم ويعضبون لهم والآلهة  
لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر أو اتخذوا لهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والأمر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة  
جند معتدون لهم محضرون لعذابهم لأنهم يعملون وقوداً للنار وقرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه وأحزنه والمعنى  
فلا يهينك تكذيبهم وأذاهم وجفائهم فإننا عالمون بما يسرون لك من عداوتهم (وما يعنون) وإنا مجازوهم عليه فحق ذلك أن  
يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن (فإن قلت) ما تقول  
فيمن يقول إن قرأ قارئ أنا نعلم بالفتح انتقضت صلواته وإن اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر (قلت) فيه وجهان أحدهما  
أن يكون على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن وفي الشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء  
وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الحمد والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح الشافعي وكلاهما تعليل والثاني أن يكون  
بدلاً من قولهم كأنه قيل فلا يحزنك إنا نعلم ما يسرون وما يعنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها مفعولة للقول فقد  
تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالماً وعدم تعلقه لا يدوران على كسر إن وفتحها وإنما يدوران على تقدير كسر إن فنفسه إن  
فتحت بأن تقدر معنى التعليل ولا تقدر البديل كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم إن قدرته  
كاسراً أو فاتحاً على ما نظم فيه الخطب ذلك القائل فافيه إلا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على كون الله عالماً  
بسرهم وعلانيتهم وأيس النهي عن ذلك مما يوجب شيئاً ألا ترى إلى قوله تعالى فلا تكونن ظهيراً للكافرين ولا تكونن من  
المشركين ولا تدع مع الله إلهاً آخره فتح الله عز وجل إنكارهم البعث تقييحا لا ترى أعجب منه وأبلغ وأدل على تمادي كفر  
الإنسان وإفراطه في جحود النعم وعقوق الأيادي وتوغله في الحسة وتغلغله في القحة حيث قرره بأن نصره الذي خلقه منه  
هو أحسن شيء وأمهنة وهو النطفة المذرة الخارجة من الإحليل الذي هو قناة النجاسة ۝ ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله  
على مهانة أصله ودناءة أوله لمخاصمة الجبار وشرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل والباطل ويمحك ويقول من يقدر على إحياء  
الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وأصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر إنشاءه من موات  
وهي المكابرة التي لا مطمح ورامها وروى أن جماعة من كفار قريش منهم أبي بن خلف الجمحي وأبو جهل والعاصي بن وائل  
والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبي الأنزورون إلى ما يقول محمد إن الله يبعث الأموات ثم قال واللات والعزى لأصيرن  
إليه ولا خصمته وأخذت عظامي بالياً فجعل يفته بيده وهو يقول يا محمد أتري الله يحيي هذا بعد ما قدرتم قال صلى الله عليه وسلم نعم وبعثك  
ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله (فإذا هو خصيم مبين) فإذا هو بعدما كان ماءً هيناً رجل يميز منطبق قادر على الخصام مبين معرب عما  
في نفسه فصيح كما قال تعالى أو من ينشأ في الحاية وهو في الخصام غير مبين (فإن قلت) لم سمي قوله (من يحيي العظام وهي رميم)

(قوله وتغلغله في القحة) في الصحاح وقع الرجل قحة ووقاحة إذا صار قليل الحياء (قوله وشرز صفحته لمجادلته الخ)  
في الصحاح الشرز الشرس وهو الغلظ والمحك اللجاج

وَهِيَ رَمِيمٌ ۚ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۚ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ۚ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۚ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۚ

مثلاً (قلت) لماد عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثلي وهي إنكار قدرة الله تعالى على إحياء الموتى أو ما فيه من التشبيه لأن ما أنكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشأة الأولى فإذا قيل من يحيى العظام على طريق الإنكار لأن يكون ذلك بما يوصف الله تعالى بكونه قادر أعلى كان تعجزاً لله وتشبيهاً له بخلقه في أنهم غير موصوفين بالقدرة عليه ۚ والرميم اسم السالى من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يؤث وقد وقع خبر المؤث ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من ثبتت الحياة فى العظام ويقول إن عظام الميتة نجسة لأن الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحلها وأما أصحاب أبي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويرسمون أن الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد بإحياء العظام فى الآية ردها إلى ما كانت عليه غضة رطبة فى بدن حى حساس (وهو بكل خلق عليم) يعلم كيف يخلق لا يتعاضمه شىء من خلق المنشآت والمعادات ومن أجناسها وأراعيها وجلالها ودقائقها ۚ ثم ذكر من بدائع خلقه انقذاح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهى الزناد التى تورى بها الأراض وأكثرها من المرخ والعفار وفى أمثالهم فى كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهى أنثى فتندح النار بإذن الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من شجرة إلا وفيها النار إلا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذبيقات القصارين ۚ قرئ الأخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالمون منها البطون فشاربون عليه من الحميم ۚ من قدر على خلق السموات والأرض مع عظم شأنهما فهو على خلق الأناسى أقدر وفى معناه قوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله (أن يخلق مثلهم) يحتمل معنيين أن يخلق مثلهم فى الصغر والقمامة بالإضافة إلى السموات والأرض أو أن يعيدهم لأن المعاد مثل المبتدأ وليس به (وهو الخلاق) الكثير المخلوقات (العليم) الكثير المعلومات وقرئ الخالق (إنما أمره) إنمأ شأنه (إذا أراد شيئاً) إذا دعاه داعى حكمة إلى تكوينه ولا صارف (أن يقول له كن) أن يكونه من غير توقف (فيكون) فيحدث أى فهو كائن موجود لا محالة (فإن قلت) ما حقيقة قوله أن يقول له كن فيكون (قلت) هو مجاز من الكلام وتمثيل لأنه لا يمتنع عليه شىء من المسكونات وأنه بمنزلة المأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الأمر المطاع (فإن قلت) فما وجه القراءتين فى فيكون (قلت) أما الرفع فلا لأنها جملة من مبتدأ وخبر لأن تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهى أمره أن يقول له كن وأما النصب فللمعطف على يقول والمعنى أنه لا يجوز عليه شىء مما يجوز على الأجسام إذا فعلت شيئاً مما تقدر عليه من المباشرة بحال القدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب إنمأ أمره وهو القادر العالم لذاته أن يخلص داعيه إلى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الإعادة (فسبحان) تنزيهه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا (بيده ملكوت كل شىء) هو مالك كل شىء والمتصرف فيه بموجب مشيئته وقضايها حكمته وقرئ ملكة كل شىء وملك كل شىء والمعنى واحد (ترجعون) بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رضى الله عنهما كنت لأعلم ما روى فى فضائل يس وقرائها كيف خصت

(قوله مثلهم فى الصغر والقمامة) الصغر والذلة أفاده الصحاح

## سورة الصافات مكية

وآياتها ١٨٢ نزلت بعد الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ

بذلك فإذا أنه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل شيء قلباً وإن قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله تعالى له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنين وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفًا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يحياه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه الصلاة والسلام إن في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها ألا وهي سورة يس

## ﴿سورة الصافات مكية﴾

وهي مائة وإحدى وثمانون آية وقيل واثنان وثمانون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أقسم الله سبحانه بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة من قوله تعالى وإنا لنحن الصافون أو أجنحتها في الهواء وافقة منتظرة لأمر الله (فالزاجرات) السحاب سوقا (فالتاليات) الكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطيور صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التجدد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعها أو بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (فإن قلت) ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات (قلت) إما أن تدل على ترتيب معانيها في الوجود كقوله يالهف زياية للحرث الصابح فالغانم فالآيب

كأنه قيل الذي صح فغنم فآب وإما على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه كقوله خذ الأفضل فالأكمل واعمل الأحسن فالأجمل وإما على ترتيب موصوفاتها في ذلك كقوله رحم الله المحلقين فالمفصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة في الصفات (فإن قلت) فعلى أي هذه القوانين هي فيما أنت بصدده (قلت) إن وحدت الموصوف

## القول في سورة الصافات

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا الآية (قال) في تفسيرها المقسم به طوائف الملائكة أو نفوسهم والمراد صفهم في الصلاة وزجرهم السحاب أي سوقهم وتلاوتهم ذكر الله أو العلماء والمراد تصافف أقدامهم في الصلاة وزجرهم بالمواعظ عن المعاصي وتلاوتهم الذكر أو الغزاة يصفون في الحرب ويزجرون الخيل ولا يشغلهم ذلك عن تلاوة الذكر فإن قلت ما حكم الفاء العاطفة للصفات وأجاب بأنها تقع لثلاثة أوجه إما لتعاقب وقوع الصفات وجودا كقوله يالهف زياية للحرث الصابح فالغانم فالآيب

أو على ترتيبها لتفاوتها من بعض الوجوه كقوله كقولك اعلم الأحسن فالأجمل وإما لترتيب موصوفاتها كقوله رحم الله المحلقين فالمفصرين فعلى هذا إن وحدت الموصوف كانت الدلالة على ترتيب الصفات في التفاضل وإن ثلثته فهي للدلالة على

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۚ إِنَّا زِينَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۖ وَحِفْظًا  
مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۚ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۖ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۚ

كانت للدلالة على ترتيب الصفات في النفاضل وإن ثلثته فهي للدلالة على ترتيب الموصوفات فيه بيان ذلك أنك إذا جريت هذه الأوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتيبها لها في الفضل إما أن يكون الفضل للأصف ثم الزجر ثم لللاوة وإما على العكس وكذلك إن أردت العلماء وقواد الغزاة وإن أجريت الصفة الأولى على الطوائف والثانية والثالثة على آخر فقد أفادت ترتيب الموصوفات في الفضل أعني أن الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أهر فضلاً أو على العكس وكذلك إذا أردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزرع عن معصية وبالتاليات كل نفس تلو الذكر فإن الموصوفات مختلفة ۚ وقرئ بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال (رب السموات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف و (المشارك) ثلثمائة وستون مشرقاً وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين (فإن قلت) فماذا أراد بقوله «رب المشرقين ورب المغربين» (قلت) أراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما (الدنيا) القربى منكم ۚ والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملها قوله (بزينة الكواكب) فإن أردت المصدر فعلى إضافته إلى الفاعل أى بأن زانها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على إضافته إلى المفعول أى بأن زان الله الكواكب وحسبها لأنها إنما زينت السماء لحسنها في أنفسها وأصله بزينة الكواكب وهي قراءة أبي بكر والاعمش وابن وثاب وإن أردت الاسم فالإضافة وجهان أن تقع الكواكب بيانا للزينة لأن الزينة مهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وأن يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومساييرها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الإبدال ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلا من مح بزينة (وحفظا) مما حمل على المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظاً من الشياطين كما قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز أن يقدر الفعل المعلى كأنه قيل وحفظاً (من كل شيطان) زيناها بالكواكب وقيل وحفظاً ما حفظاً ۚ والمراد الخارج من الطاعة المتمسك منها ۚ الضمير في (لا يسمعون) لكل شيطان لأنه في معنى

ترتيب الموصوفات فيه ومعنى توحيدها أن تعتقد أن صنفاً مما ذكر في التفاسير المذكورة جامع للصفات الثلاثة ويجوز أولى الصفات وأفضلها أو على العكس ومعنى تثليثها أن تجمل كل صفة لطائفة ويكون النفاضل بين الطوائف إما على أن الأول هو الأفضل أو على العكس انتهى كلامه (قلت) قد جوز أن يكون ترتيبها في النفاضل على أن الأول وهو الأفضل وعلى العكس ولم يبين وجه كل واحد منهما من حيث صنعة البديع ونحن نبينه فنقول وجه البداهة بالأفضل الاعتناء بالأهم فقدم ووجه عكس هذا الترتيب من الأدنى إلى الأعلى ومنه قوله

بهايل منهم جعفر وابن أمه ۚ على ومنهم أحمد المتخير

ولا يقال إن هذا إنما ساغ لأن الواو لا تقتضى رتبة فإن هذا غاية أنه عذر وما ذكرناه بيان لما فيه من مقتضى البديع والبلاغة وفي هذه الآية دلالة على مذهب سيويه والخليل في مثل والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى فإيهما يقولان الواو الثانية وما بعدها عواطف وغيرهما يذهب إلى أنها حروف قسم فوقع الفاء في هذه الآية موقع الواو والمعنى واحد إلا أن ما تزیده الفاء من ترتيبها دليل واضح على أن الواو الواقعة في مثل هذا السياق للعطف لا انضم ۚ قوله تعالى وحفظاً من كل شيطان مارداً لا يسمعون (أبطل) أن يكون لا يسمعون صفة لأن الحفظ من شيطان لا يسمع لا معنى له

(قوله على ترتيب الموصوفات فيه) لعله الصفات (قوله من الطاعة المتمسك منها) في الصحاح يقال انمست من الأمر إذا قلت منه

إِلَّا مَنْ خَطَفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبِعْهُ شَهَابٌ ثَابِتٌ ۖ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمُ أَشَدَّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ۝

الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد (فإن قلت) لا يسمعون كيف اتصل بما قبله (قلت) لا يخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان أو استثناء فلا تصح الصفة لأن الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له وكذلك الاستثناء لأن سائلا لو سأل لم تحفظ من الشياطين فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم فبقى أن يكون كلاما منقطعاً مبتدأ اقتصاصاً لما عليه حال المسترفة للسمع وأنهم لا يقدر أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك ۝ إلا من أهل حتى خطف خطفة واسترق استراقاً فعندها تعاجله الهلكة بإتباع الشهاب الثاقب (فإن قلت) هل يصح قول من زعم أن أصله لثلاث يسمعون حذف اللام كما حذف في قولك جئتكم أن تكرمي فبقى أن لا يسمعون فحذفت أن وأهدر عملها كما في قول القائل ألا أيهاذا الزاجري أحضر الوغى (قلت) كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فأما اجتماعهما فنكر من المنكرات على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب (فإن قلت) أي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت إليه يتحدث وسمعت حديثه وإلى حديثه (قلت) المعتدى بنفسه يفيد الإدراك والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك والملا الأعلى الملائكة لأنهم يسكنون السموات والإنس والجن هم الملا الأسفل لأنهم سكان الأرض وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الكتبة من الملائكة وعنه أشراف الملائكة (من كل جانب) من جميع جوانب السماء من أي جهة سعدوا الاستراق (دحورا) مفعول له أي ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال أو لأن القذف والطرد متقاربان في المعنى فكأنه قيل يدحرون أو قذفا وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طروداً أو على أنه قد جاء مجيء القبول والولوع والواصب الدائم وصب الأمر وصوباً يعني أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع (من) في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون أي لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي (خطف الخطفة) وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها وأصلهما اختطف ۝ وقرئ فاتبعه وفاتبعه ۝ الهمزة وإن خرجت إلى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في

وأبطل أن يكون أصله لثلاث يسمعون وحذفها كثير ثم حذف أن وأهدر عملها مثل

ألا أيهاذا الزاجري أحضر الوغى ۝ وأن أشهد للذات هل أنت مخلد

واستبعد اجتماع هذين الحذفين وإن كان كل واحد منهما بانفراده سائلاً ولما أبطل هذين الوجهين تعين عنده أن يكون ابتداء كلام اقتصاصاً لما عليه أحوال المسترفة للسمع اه كلامه (قلت) كلا الوجهين مستقيم والجواب عن إشكاله الوارد على الوجه الأول أن عدم سماع الشيطان سببه الحفظ منه فحال الشيطان حال كونه محفوظاً منه هي حاله حال كونه لا يسمع وإحدى الحالين لازمة للأخرى فلا مانع أن يجتمع الحفظ منه وكونه موصوفاً بعدم السماع في حالة واحدة لا على أن عدم السماع ثابت قبل الحفظ بل معه وقسيمه ونظير هذه الآية على هذا التقدير قوله تعالى «وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره» فقوله تعالى مسخرات حال مما تقدمه العامل فيه الفعل الذي هو سخر ومعناه مستقيم لأن تسخيرها يستلزم كونها مسخرة فالحال التي سخرت فيها هي الحال التي كانت فيها مسخرة لا على معنى تسخيرها مع كونها مسخرة قبل ذلك وما أشار له الزمخشري في هذه الآية قريب من هذا التفسير إلا أنه ذكر معه تأويلاً آخر كالمستشكل لهذا الوجه فجعل مسخرات جمع مسخر مصدر كمنزق وجعل المعنى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر أنواعاً من التسخير وفيما ذكرناه كفاية ومن هذا النمط ثم أرسلنا رسلاً وهم ما كانوا رسلاً إلا بالإرسال وهو لاء ما كانوا لا يسمعون إلا بالحفظ وأما الجواب عن إشكاله الثاني فورد حذفين في مثل قوله تعالى بين الله لكم أن تضلوا وأصله لثلاث تضلوا والحذف اللام ولا جميعاً من محليهما



بَلْ عَجَّبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۖ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۖ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ۖ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ  
مُّبِينٌ ۖ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنْتَا لَمَبْعُوثُونَ ۖ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۖ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ۖ فَإِنَّمَا  
هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۖ وَقَالُوا يَوْمَئِذٍ أَيُّهَا الْأَبْدَانُ لِمَنْ لَدُنْكُمْ هَذِهِ الْقُرْآنُ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكَذِّبُونَ ۖ

أصلها فلذلك قيل (فاستفتهم) أى استخبرهم (أهم أشد خلقا) ولم يقل فقرروهم والضمير لمشركي مكة قبيل نزلت في أبي  
الاشد بن كادة وكنى بذلك لشدة بطشه وقوته (أم من خلقنا) يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات  
والارض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغاب أولى العقل على غيرهم فقال من خلقنا  
والدليل عليه قوله بعد عد هذه الاشياء فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله أم من خلقنا مطلقا  
من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كأنه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه فاستفتهم أهم أشد خلقا  
أم الذى خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ أم من عددنا بالتخفيف والتشديد وأشد خلقا يحتمل أقوى خلقا من  
قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة وأصعب خلقا وأشقه على معنى الرد لإنكارهم البعث والنشأة الأخرى وأن من هان  
عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون ۖ وخلقهم (من طين لازب)  
إما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لأن ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة واحتجاج عليهم بأن الطين  
اللازب الذى خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أنذا كنا ترابا وهذا المعنى بعضه  
ما يتلوه من ذكر إنكارهم البعث وقيل من خلقنا من الأمم الماضية وليس هذا القول بملائم ۖ وقرئ لازب ولانب  
والمعنى واحد والثاقب الشديد الإضاءة (بل عجبنا) من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة (وهم) هم (يسخرون) منك  
ومن تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله أو من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث وقرئ بضم التاء أى بلغ  
من عظم آياتي وكثرة خلائقي أنى عجبنا منها فكيف بعبادى وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي أو عجبنا من أن  
ينسكروا البعث من هذه أفعاله وهم يسخرون من يصف الله بالقدرة عليه (فإن قلت) كيف يجوز العجب على الله تعالى  
وإنما هو روعة تعترى الإنسان عند استعظامه الشيء والله تعالى لا يجوز عليه الروعة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن مجرد  
العجب لمعنى الاستعظام والثانى أن يتخيل العجب ويفرض وقد جاء في الحديث عجب ربكم من ألكم وقنوطكم وسرعة إجابته  
إياكم وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول إن الله لا يعجب من شيء وإنما يعجب من لا يعلم فقال إبراهيم النخعي إن شريحا  
كان يعجبه عليه وعبد الله أعلم يريد عبدالله بن مسعود وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبنا (وإذا ذكروا)  
ودأبهم أنهم إذا وعظوا بشيء لا يتعظون به (وإذا رأوا آية) من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه (يستسخرون)  
يبالغون في السخرية أو يستدعى بعضهم من بعض أن يسخر منها (وآباؤنا) معطوف على محل (إن) واسمها أو على  
الضمير في مبعوثون والذى جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد  
يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل وقرئ أو آباؤنا (قل نعم) وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان وقرئ قال نعم أى الله  
تعالى أو الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى نعم تبعثون (وأنتم داخرون) صاغرون (فإنما) جواب شرط مقدر تقديره  
إذا كان ذلك فما (هى) للزجرة واحدة) وهى لا ترجع إلى شيء إنما هى مبهمة موضحها خبرها ويجوز فإنما البعثة زجرة  
واحدة وهى النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعى الإبل أو الغنم إذا صاح عليها فربعت لصوته ومنه قوله  
زجر أبى عروة السباع إذا ۖ أشفق أن يختلطن بالغنم  
يريد تصويته بها (فإذا هم) أحياء بصراء (ينظرون) يحتمل أن يكون (هذا يوم الدين) إلى قوله احشروا من كلام الكفرة

(قوله من ألكم وقنوطكم) الآل يأتى بمعنى السرعة والآنين والفساد أفاده الصحاح

أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۚ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۚ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ  
مَسْئُولُونَ ۚ مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ ۚ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۚ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۚ قَالُوا إِنَّا كُنْمْ  
كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۚ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۚ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَغَيْنَ ۚ  
فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذٰئِقُونَ ۚ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غٰوِينَ ۚ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۚ إِنَّا كَذٰلِكَ

بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة لهم وأن يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة و (هذا يوم الفصل)  
من كلام الملائكة جواباً لهم ويوم الدين اليوم الذي ندان فيه أي نجازي بأعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق  
الهدى والضلالة (احشروا) خطاب الله للملائكة أو خطاب بعضهم مع بعض (وأزواجهم) و ضرباً بهم عن النبي صلى الله  
عليه وسلم وهم نظر أو هم وأشباههم من العصاة أهل الزنا مع أهل الزنا وأهل السرقة مع أهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل  
نساؤهم اللاتي على دينهم (فاهدوهم) فعدوهم طريق النار حتى يسلكوها ۚ هذاتهم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد  
ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين (بل هم اليوم مستسلمون) قد أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن  
عجز فكلمهم مستسلم غير منتصر ۚ وقرئ لا تنصرون ولا تنصرون بالإدغام ۚ اليمين لما كانت أشرف العضوين وأمتنهما  
وكانوا يتيمين بها فيها يصافحون ويمسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون أكثر الأمور ويتشاءمون بالشمال ولذلك  
سموها الشؤمي كما سموا أختها اليميني وتيمنوا بالساح وتطيروا بالبارح وكان الأعرس معيياً عندهم وعضدت الشريعة ذلك  
فأمرت مباشرة أفاضل الأمور باليمين وأرادلها بالشمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شيء  
وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه والمسيء أن يؤتاه بشماله  
استعيرت لجهة الخير وجانبه فقبل أتاه عن اليمين أي من قبل الخير وناحيته فصده عنه وأضله وجاء في بعض التفاسير  
من أياه الشيطان من جهة اليمين أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن أتاه من جهة الشمال أتاه من قبل الشهوات  
ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ومن أتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه  
وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحماً ولم يؤد زكاة (فإن قلت) قولهم أتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف  
جعلت اليمين مجازاً عن المجاز (قلت) من المجاز ما غاب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا من ذلك ولك أن تجعلها  
مستعارة للقوة والقهر لأن اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى أنكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا  
عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتفسرونا عليه وهذا من خطاب الاتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم  
(بل لم تكونوا مؤمنين) بل أيئتم أتم الإيمان وأعرضتم عنه مع تمسكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين إليه  
(وما كان لنا عليكم) من تسلط نسلبكم به تمسكنكم واختياركم (بل كنتم قوماً) مختارين الطغيان (حق علينا) فلزنا (قول ربنا) إنا  
لذائقون) يعني وعيد الله بأننا ذائقون لعذابه لا محالة لعله بحالنا واستحقاقنا بالعقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال إنكم لذائقون  
ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قول القائل ۚ لقد زعمت هو وزن قل مالي ۚ  
ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لأخرجن ولتخرجن الهمة لحكاية لفظ الحالف  
والنساء لإقبال المحلف على المحلف (فأغويتنا كم) فدعونا كم إلى الغي دعوة محصلة للبغية لقبولكم لها واستجابكم الغي على  
الرشد (إنا كنا غاوين) فأردنا لغوا كم لتكونوا أمثالنا (فإنهم) فإن الاتباع والمتبوعين جميعاً (يومئذ) يوم القيامة  
مشتركون في العذاب كما كانوا مشتركين في الغواية (إنا) مثل ذلك الفعل (نفعل) بكل مجرم يعني أن سبب العقوبة هو

(قوله وتيمنوا بالساح) الساح المسار من اليسار إلى اليمين والبارح عكسه أفاده الصحاح

فَعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۚ وَيَقُولُونَ ءَنَّا لَتَارِكُو آءِالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ  
مُجْنُونٍ ۚ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ۚ لَأَنكُمْ لَذَأْتُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۚ وَمَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ  
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۚ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ۚ فَوَاكِهِ وَهُمْ مَكْرُمُونَ ۚ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۚ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ۚ  
يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ۚ بِيضَاءٍ لَّذَّةٍ لِلشَّرِيبِينَ ۚ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ۚ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ

الإجرام فمن ارتكبه استوجبها (إنهم كانوا إذ) سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وأبوا إلا الشرك (الشاعر مجنون) يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم (بل جاء بالحق) رد على المشركين (وصدق المرسلين) كقوله مصدقاً لما بين يديه وقرئ لذاتنقوا العذاب بالنصب على تقدير النون كقوله ۚ ولاذاكر الله إلا قليلاً بتقدير التنوين وقرئ على الأصل لذاتنقون العذاب (إلا ما كنتم تعملون) إلا مثل ما علمتم جزاء سيئاً بعمل سيئ (إلا عباد الله) ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع ۚ فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني أن رزقهم كله فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات بأنهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ ويجوز أن يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات يأباه وقوله (وهم مكرمون) هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من أعظم ما يجب أن تتوق إليه نفوس ذوى الهمم كما أن من أعظم ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم هو أن أهل النار وصغارهم ۚ التقابل أتم للسرور وأنس وقيل لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض يقال الزجاجة فيها الخمر كاس وتسمى الخمر نفسها كأساً قال ۚ وكأس شربت على لذة ۚ وعن الأخفش كل كاس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس (من معين) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجاري على وجه الأرض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لأنه يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر (بيضاء) صفة للكأس (لذة) إما أن توصف باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أوهى تأنيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيد ووزنه فعل كقولك رجل طب قال : ولذ كطعم الصرخدى تركته ۚ بأرض العدا من حشية الحدان

يريد النوم ۚ الغول لمن غاله يغوله غولا إذا أهلكه وأفسده ومنه الغول الذي في تكاذيب العرب وفي أمثالهم الغضب غول الحلم (وينزفون) على البناء للفعول من نزف الشارب إذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال للبطعون نزف فمات إذا خرج دمه كله ونزحت الركبة حتى نزفتها إذا لم تترك فيها ماء وفي أمثالهم أجب من المنزوف شرطاً وقرئ ينزفون من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه قال : لعمرى لئن أنزفتما وصحرتما ۚ لبئس الندامى كنتموا آل أبجرا ومعناه صار ذا نزف ونظيره أقشع السحاب وقشعته الريح وأكب الرجل وكبته وحققتها دخلا في الفشع والكب وفي قراءة طلحة بن مصرف وينزفون بضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب إذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من أنواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص أو صداع أو خمار أو عريضة أولغوا وتأنم أو غير ذلك ولاهم يسكرون وهو أعظم مفسدها فأفرزه وأفرده بالذکر (قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفاً إلى غيرهم كقوله تعالى عرباً ۚ

(قوله ولذ كطعم الصرخدى) شراب منسوب إلى صرخد وهو موضع نسب إليه الشهاب كما في الصحاح (قوله من نزف الشارب) في الصحاح نزفت ماء البئر نزفاً إذا نزحته كله ونزفت هي يتعدى ولا يتعدى ونزفت أيضاً على ما لم يسم فاعله (قوله من مغص أو صداع أو خمار) في الصحاح الخمر بقية السكر (قوله ولاهم يسكرون) لعله ولاهم عنها يسكرون (قوله كقوله تعالى عرباً والعين) أى متحبيبات إلى أزواجهن كما يأتي

الطَّرْفِ عَيْنٍ ۝ كَانَهُنَّ بَيْضٌ مَّكَنُونٌ ۝ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝  
يَقُولُ أَأَنْتَ لِمَنْ الْمُصَدِّقِينَ ۝ أَأَظَاهِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ۝ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ  
فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ۝ قَالَ تَأَلَّهَ إِنْ كُنتَ لَتُرْدِينِ ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۝ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ۝

والعين : النجل العيون ، شبههن ببيض النعام المكثون في الأداحي وبها تشبه العرب النساء وتسمين بيضات الخدور (فإن قلت) علام عطف قوله (فأقبل بعضهم على بعض) (قلت) على يطاق عليهم والمعنى يشربون فيتجادثون على الشراب كعادة الشرب قال وما بقيت من اللذات إلا ۝ أحاديث الكرام هلى المدام

فيقبل بعضهم على بعض (يتساءلون) عما جرى لهم وعليهم في الدنيا إلا أنه جرى به ماضياً على عادة الله في أخباره ۝ قرئ من المصدقين من التصديق ومن المصدقين مشدد الصاد من التصديق وقيل نزلات في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدي بعض إخوانه فقال وأين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله به في الآخرة خير أمنه فقال أنتك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيئاً (لمدينون) لمجزيون من الدين وهو الجزاء أو لمسوسون مربوطون يقال دانه ساسه ومنه الحديث : العاقل من دان نفسه (قال) يعني ذلك القائل (هل أتم مطلعون) إلى النار لا ريبكم ذلك القرين قيل إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى أهل النار وقيل القائل هو الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لأهل الجنة هل تحبون أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار وقرئ مطلعون فاطلع و فاطلع بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع المنصوب ومطلعون فاطلع و فاطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع وأطلع بمعنى واحد والمعنى هل أتم مطلعون إلى القرين فاطلع أنا أيضاً أو عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وإن جعلت الاطلاع من أطلعه غيره فالعنى أنه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة أن لا يستبد بشيء دون جلسائه فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون أراد مطلعون إياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله :

۝ هم الفاعلون الخيرو الأمر ونه ۝ أو شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتأخ بينهما كأنه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع إلا في الشعر (في سواء الجحيم) في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائى وعن أبي عبيدة قال لى عيسى بن عمر كنت أكتب يا أبا عبيدة حتى ينقطع سوائى (إن) مخففة من الثقيلة وهى تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه إن كاد ليضلنا واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والإرداء الإهلاك وفي قراءة عبدالله لتغوين (نعمة ربي) هى العصمة والتوفيق فى الاستمساك بعروة الإسلام والبرائة من قرين السوء أو إنعام الله بالثواب وكونه من أهل الجنة (من المحضرين) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك الذى عطف عليه الفاء محذوف معناه نحن مخلدون منعمون فما نحن بمبتلين ولا معذبين وقرئ بماتين والمعنى أن هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به لهم للعلم بأعمالهم أن لا يذقوا إلا الموتة الأولى بخلاف

۝ قوله تبارك وتعالى يطاق عليهم بكأس من معين إلى قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (قال) فيه معناه يتساءلون فيتجادثون على الشراب كعادة الشرب : وما بقيت من اللذات إلا ۝ أحاديث الكرام على المدام  
۝ قوله تعالى هل أتم مطلعون (قال) فاطلع على صبغة المضارع المنصوب قال فى موجب هذه القراءة فإن معناها أنه لا يستبد بأمر دونهم فشرط فى اطلاعه اطلاعهم وذلك من آداب المجالسة

(قوله النجل العيون) فى الصحاح النجل بالتحريك كشف العين والرجل أنجل والعين نجلاء والجمع نجل وفيه مدحى النعامة موضع ييضها وأدحيا موضعها وهو أفعال من دحوت لأنها تدحوه برجلها ثم تبيض فيه اه والأداهى جمعه (قوله كعادة الشرب قال وما بقيت) جمع شارب كالصحب جمع صاحب كذا فى الصحاح

إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ۚ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۚ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ۚ أَذَلَّ  
خَيْرٌ نَزَلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ۚ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ۚ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۚ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ  
الشَّيَاطِينِ ۚ فَإِنَّهُمْ لَا كُلُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۚ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۚ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ

الكفار فإنهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ماشر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت . يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتيابا بحاله وبمسمع من قرينه ليكون توبيخا له يزيد به تعذبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفًا وزاجرا ويجوز أن يكون قولهم جميعا وكذلك قوله (إن هذا هو الفوز العظيم) أي إن هذا الأمر الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله عز وجل تقريراً لقولهم وتصديقا له وقرئ هو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة تمت تمتة المؤمن وقرينه ثم رجع إلى ذكر الرزق المعلوم فقال (أذلك) الرزق (خير نزلا) أي خير حالا (أم شجرة الزقوم) وأصل النزل الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للعاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الألم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك أن يجعله حالا كما تقول أثمر النخلة خير بلحا أم رطبا يعني أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقال للنازل بالمكان من الرزق ومنه إنزال الجند لإرزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الأول أن للرزق المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فأيهما خير نزلا ومعلوم أنه لا خير في شجر الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما أدى إلى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما أدى إلى شجرة الزقوم قبل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم (فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم في الآخرة أو ابتلاء لهم في الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا وقرئ نابتة (في أصل الجحيم) قيل منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها إما استعارة لفظية أو معنوية وشبه برؤس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لا اعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة كأنه وجه شيطان كأنه رأس شيطان وإذا صوره المصورون جاؤا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله كما أنهم اعتقدوا في الملك أنه خير محض لا شرف فيه فشهروا به الصورة الحسنة قال الله تعالى ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم وهذا تشبيه تخيلي وقيل الشيطان حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل إن شجرا يقال له الأستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين وما سمعت العرب هذا الثمر برؤس الشياطين إلا قصدا إلى أحد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع أصلا ثالثا يشبهه به (منها) من الشجرة أي من طلوعها (فما لتون) بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد أو يقسرون على أكلها وإن كرهوها ليكون بابا من العذاب فإذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق أو صديد شوبه أي مزاجه (من حميم) يشوي وجوههم ويقطع أمعاءهم كما قال في صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به والأول تسمية بالمصدر (فإن قلت) ما معنى حرف التراخي في قوله ثم إن لهم عليها لشوبا وفي قوله (ثم إن مرجعهم) (قلت) في الأول وجهان أحدهما أنهم يملئون البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون إلا بعد ملي تعذبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم والثاني أنه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع فجاء ثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني أنهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي أسكنوها إلى شجرة الزقوم فإيا كلون إلى أن يتملؤا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون إلى

(قوله ما يقال للنازل بالمكان) لعله ما يقام كعبارة النسبي (قوله لساكن الدار السكن) في الصحاح السكن كل ما سكنت إليه

لِإِلَى الْجَحِيمِ ۖ إِنَّهُمْ الْفَوَّاءُ ۖ أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ۖ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يَهْرَعُونَ ۖ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ۖ  
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ۖ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ۖ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنعَمِ  
 الْمَجِيبُونَ ۖ وَبَجِينَتِهِ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۖ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۖ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلْمًا عَلَىٰ  
 نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ۖ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۖ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ۖ وَإِنَّ مِنْ  
 شِيعَتِهِ لِبِرَاهِيمَ ۖ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۖ أَتُفَكِّكُمُ الْهَةَ دُونَ اللَّهِ

درکاتہم ومعنی التراخی فی ذلك بین وقرئ ثم إن منقلبهم ثم إن مصيرهم ثم إن منقذهم إلى الجحيم علل استحقاقهم  
 للوقوع فی تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء فی الدين واتباعهم إياهم على الضلال وترك اتباع الدليل والإهرع الإسراع  
 الشديد كأنهم يحثون حثا وقيل إسراع فيه شبه بالرعدة (ولقد ضلّ قبلهم) قبل قومك قريش (منذرين) أنبياء حذروهم  
 العواقب (المنذرين) الذين أذروا وحذروا أى أهلكوا جميعا (إلا عباد الله) الذين آمنوا منهم وأخلصوا دينهم لله  
 أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين ۖ لما ذكر إرسال المنذرين فى الأهم الخالية وسوء عاقبة المنذرين أتبع ذلك ذكر  
 نوح ودعائه إياه حين آيس من قومه واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف  
 تقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى إنا أجبتاه أحسن الإجابة وأوصلها إلى  
 مراده وبغيته من نصرته على أعدائه والإنتقام منهم بأبلغ ما يكون (هم الباقين) هم الذين بقوا وحدهم وقد فنى غيرهم  
 فقد روى أنه مات كل من كان معه فى السفينة غير ولده أو هم الذين بقوا متناسلين إلى يوم القيامة قال قتادة الناس  
 كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وحام ويافث فسام أبوالعرب وفارس والروم وحام  
 أبوالسودان من المشرق إلى المغرب ويافث أبوالترك ويأجوج وماجوج (وتركنا عليه فى الآخريين) من الأمم هذه  
 الكلمة وهى (سلام على نوح) يعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكى كقولك قرأت سورة  
 أنزلناها (فإن قلت) فما معنى قوله (فى العالمين) (قلت) معناه الدعاء بثبوت هذه النجوة فيهم جميعا وأن لا يخلو أحد  
 منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه فى الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم ۖ علل مجازاة نوح  
 عليه السلام بتلك التكرمة السنة من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه إلى آخر الدهر بأنه كان محسناً ثم علل كونه محسناً  
 بأنه كان عبداً مؤمناً ليريك جلاله محل الإيمان وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم ويرغبك فى تحصيله والازدياد  
 منه (من شيعته) ممن شايعه على أصول الدين وإن اختلفت شرائعها أو شايعه على التصلب فى دين الله ومصايرة  
 المكذبين ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق فى أكثر الأشياء وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أهل دينه وعلى  
 سنته وما كان بين نوح وإبراهيم إلا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة ۖ (فإن  
 قلت) بم تعلق الظرف (قلت) بما فى الشيعة من معنى المشايعة يعنى وإن ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه  
 بقلب سليم لإبراهيم أو بمحذوف وهو اذكر (بقلب سليم) من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص  
 لأنه مطلق فليس بعض الآفات أولى من بعض فيتناولها كلها (فإن قلت) ما معنى المجيء بقلبه ربه (قلت) معناه أنه  
 أخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك (إفكاً) مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله إفكاً  
 وإنما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لأنه كان الأهم عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك  
 وباطل فى شركهم ويجوز أن يكون إفكاً مفعولاً يعنى أتريدون به إفكاً ثم فسر الإفك بقوله آلهة من دون الله على أنها

تُرِيدُونَ ۚ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۚ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۚ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۚ فَرَاغَ  
إِلَىٰ آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۚ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ۚ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۚ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ۚ قَالَ  
أَعْبُدُونِ مَا تَنْحِتُونَ ۚ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۚ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ ۚ فَرَادُوا بِهِ كَيْدًا

إفك في أنفسها ويجوز أن يكون حالا بمعنى أتريدون آلهة من دون الله آفكين (فما ظنكم) بمن هو الحقيق بالعبادة لأن من كان ربا للعالمين استحق عليهم أن يعبدوه حتى تركتم عبادته إلى عبادة الأصنام والمعنى أنهم لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته أو فما ظنكم به أي شيء وهو من الأشياء حتى جعلتم الأصنام له أندادا أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره (في النجوم) في علم النجوم أو في كتابها أو في أحكامها وعن بعض الملوك أنه سئل عن مشتاه فقال حبيب أنظر إليه ومحتاج أنظر له وكتاب أنظر فيه ، كان القوم نجامين فأوهمهم أنه استدل بأماره في علم النجوم على أنه يسقم (فقال إنني سقيم) إنني مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأصنام ما فعل (فإن قلت) كيف جاز له أن يكذب (قلت) قد جوزه بعض الناس في المكيدة في الحرب والنقبة وإرضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح أن الكذب حرام إلا إذا عرض وورى والذي قاله إبراهيم عليه السلام معراض من الكلام ولقد نوى به أن من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ۚ ليصحي فإذا السلامة داء

وقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال أعرابي أصحيح من الموت في عنقه وقيل أراد : إنني سقيم النفس لكفركم (فراغ إلى آلهم) فذهب إليها في خفية من روعة الثعلب ، إلى آلهم : إلى أصنامهم : التي هي في زعمهم آلهة كقوله تعالى أين شركائي (ألا تأكلون مالكم لا تنطقون) استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبادتها (فراغ عليهم) فأقبل عليهم مستخفياً كأنه قال فضر بهم (ضرباً) لأن راغ عليهم بمعنى ضربهم أو فراغ عليهم يضرهم ضرباً أو فراغ عليهم ضرباً بمعنى ضارباً وقرئ صفقاً وسفقاً ومعناها الضرب ومعنى ضرباً (باليمن) ضرباً شديداً قويا لأن اليمن أقوى الجارحتين وأشدهما وقيل بالقوة والمثانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لا كيدن أصنامكم (يزفون) يسرعون من زفيف النعام ويزفون من أزف إذا دخل في الزيف أو من أزفه إذا حمله على الزيف أي يزف بعضهم بعضاً ويزفون على البناء للفعول أي يحملون على الزيف ويزفون من وزف يزف إذا أسرع ويزفون من زفاه إذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضها اتسارهم إليه (فإن قلت) بين هذا وبين قوله تعالى قالوا من فعل هذا بأهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتي يذكركم يقال له إبراهيم كالتناقض حيث ذكر ههنا أنهم أدبروا عنه خيفة العدوى فلما أبصروه يكسروهم أقبلوا إليه متبادرين ليكفروه ويوقعوه به وذكر ثم إنهم سألوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا إبراهيم يذمهم فلعله هو الكاسر فني أحدهما أنهم شاهدوه يكسرها وفي الآخر أنهم استدلوا بذمه على أنه الكاسر (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون الذين أبصروه وزفوا إليه نفرأ منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم إلى بيت الأصنام لياكلوا الطعام الذي وضعوه عندها لتبرك عليه ورأوا مكسورة أشمازوا من ذلك وسألوا من فعل هذا بها ثم لم ينم عليه أولئك نفر نعمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا فتي يذكركم لبعض الصوارف والثاني أن يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك أحد ويكون إقبالهم إليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم قالوا فأتوا به على أعين الناس (والله خلقكم وما تعملون) يعني خلقكم

(قوله من زفاه إذا حداه) أي ساقه أفاده الصحاح (قوله فلما رجع الجمهور والعلية) أي العظاء

وخلق ما تعملونه من الأصنام كقوله بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطر الأصنام ( فإن قلت ) كيف يكون الشيء الواحد مخلوقاً لله معمولاً لهم حيث أوقع خلقه وعملهم عليها جميعاً ( قلت ) هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي وعمل الصانع السوار والخلخال والمراد عمل أشكال هذه الأشياء وصورها دون جواهرها والأصنام جواهر وأشكال نخلق جواهرها الله وعاملوا أشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض أجزائها حتى يستوى التشكيل الذي يريدونه ( فإن قلت ) فما أنكرت أن تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة ( قلت ) أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب أن معنى الآية يا باه يا باه جلياً وينبوعه نبواظهاً وذلك أن الله عز وجل قد احتج عليهم بأن العابد والمعبود جميعاً خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد منهما هو الذي عمل صورته المعبود وشكله لولا ما قدر أن يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجاً عليهم ولا كان لكلامك طباق وشيء آخر وهو أن قوله ما تعملون ترجمة عن قوله ما تحتون وما في ما تحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن أختها إلا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر في علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن ( فإن قلت ) اجعلها موصولة حتى لا يلزمي ما ألزمت وأريد ما تعملونه من أعمالكم ( قلت ) بل الإلزامان في عنقك لا يفكهما إلا الإذعان للحق وذلك أنك وإن جعلتها موصولة فإنك في إرادتك بها العمل غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وأيضاً فإنك قاطع بذلك الوصلة

قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون ( قال ) فيه يعني خلقكم وما تعملون من الأصنام كقوله بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن فإن قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقاً لله تعالى معمولاً لهم ؟ وأجاب بأن هذا كما يقال عمل النجار الباب فالمراد عمل شكله لا جوهره وكذلك الأصنام جواهرها مخلوقة لله تعالى وأشكالها وصورها معمولة لهم ؟ فإن قلت ما منعك أن تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما يقول المجبرة ؟ وأجاب بأن أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بالحجج العقلية أن معنى الآية يا باه فإن الله تعالى احتج عليهم بأنه خالق العابد والمعبود فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد منهما هو الذي عمل صورته المعبود ؟ قال ولو قلت والله خلقكم وعملكم لم يكن للكلام طباق وشيء آخر وهو أن قوله ما تعملون شرحه في قوله أتعبدون ما تحتون ولا مقال في أن ما هذه موصولة فالتفرقة بينهما تعسف وتعصب ؟ قال فإن قلت اجعلها موصولة ومعناها وما تعملونه من أعمالكم وحينئذ توافق الأولى في أنها موصولة فلا يلزمي التفرقة بينهما وأجاب فقال بل الإلزامان في عنقك لا يفكهما إلا الإذعان للحق وذلك أنك وإن جعلتها موصولة فهي واقعة عندك على المصدر الذي هو جوهر الصنم وفي ذلك فك للنظم وتبني كما لو جعلتها مصدرية اه كلامه ( قلت ) إذا جاء سيل الله ذهب سيل معقل فنقول يتعين حملها على المصدرية وذلك أنهم لم يعبدوا هذه الأصنام من حيث كونها حجارة ليست مصورة فلو كان كذلك لم يتعاونوا في تصويرها ولا اختصوا بعبادتهم حجراً دون حجر فدل أنهم إنما يعبدونها باعتبار أشكالها وصورها التي هي أثر عملهم في الحقيقة أنهم عبدوا عملهم وصلحت الحججة عليهم بأنهم مثله مع أن المعبود كسب العابد وعمله فقد ظهر أن الحججة قائمة عليهم على تقدير أن تكون ما مصدرية أوضح قيام وأبلغه فإذا أثبت ذلك فليتبّع كلامه بالإبطال أما قوله أنها موصولة وأن المراد بعملهم لها عمل أشكالها فمخالف للظاهر فإنه مفتقر إلى حذف مضاف في موضع اليأس يكون تقديره والله خلقكم وما تعملون

( قوله فإن قلت فما أنكرت ) لعله لم أنكرت ( قوله كما تقول المجبرة ) يريد أهل السنة حيث ذهبوا إلى أنه لا خالق إلا الله فهو الخالق لعمل العبد والمعتزلة يقولون إن العبد هو الخالق لعمل نفسه فجعلوا العبد شريكاً لله في الخالقية مع أنهم سمو أنفسهم أهل العدل والتوحيد قالوا لو كان الله هو الخالق لفعل العبد لكان تعذيبه للعبد على المعاصي ظلماً لا عدلاً قال أهل السنة يعذبه عليها كما يشبهه على الطاعة لماله فيهما من الكسب والاختيار فلا ظلم لكن المعتزلة لم ينظروا في التوحيد تمام النظر ولم يتبصروا في أدلته تمام التبصر ( قوله وخلق عملكم لم يكن محتجاً عليهم ) يكفي في الاحتجاج أن الله هو الخالق لهم ولأعمالهم في الأصنام وغيرها والأصنام لا تخلق شيئاً بل الأفراد بالخالفية أدل على الأفراد بالإلهية



جَعَلْنَهُمُ الْأَسْفَلِينَ ۖ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَاهِدِينَ ۖ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۖ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۖ  
فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبُنْيُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْشُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَسَابِتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ

بين ما تعملون وما تنتحون حيث تخالف بين المرادين بهما فريد بما تنتحون الأعبان التي هي الأصنام وبما تعملون المعاني التي هي الأعمال وفي ذلك فك النظم وتبديره كما إذا جعلها مصدرية (الجحيم) النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم والمعنى أن الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعا وأذلهم بين يديه أرادوا أن يغلبوه بالحجة فلقنه الله وألممه ما ألقمهم به الحجر وقهرهم فمالوا إلى المكرف أبطل الله مكرهم وجعلهم الأذلين الأسفلين لم يقدرُوا عليه ۖ أراد بذهابه إلى ربه مهاجرته إلى حيث أمره بالمهاجرة إليه من أرض الشام كما قال إني مهاجر إلى ربي (ساهددين) سيرشدني إلى ما فيه صلاح في ديني ويعصمني ويوقيني كما قال موسى عليه السلام كلاً إن معي ربي سيهدين كأن الله وعده وقال له سأهديك فأجرى كلامه على سنن موعده ربه أو بناء على عادة الله تعالى معه في هدايته وإرشاده أو أظهر بذلك توكله وتفويضه أمره إلى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عليه السلام عسى ربي أن يهديني سواء السبيل (هب لي من الصالحين) هب لي بعض الصالحين يريد الولد لأن لفظ الهبة غلب في الولد وإن كان قد جاء في الآخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا قال عز وجل ووهبنا له إسحاق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن أبي طالب لابن عباس رضي الله عنهم حين هنأه بولده عليّ أبي الأملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب ۖ وقد انطوت البشارة على ثلاث على أن الولد غلام ذكر وأنه يبلغ أو أن الحلم وأنه يكون حلما وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال استجدي إن شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله الأنبياء عليهم السلام بأقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله به إبراهيم في قوله إن إبراهيم لأقواه حلیم إن إبراهيم لحليم أو اه منيب لأن الحادثة شهدت بجلههما جميعا ۖ فلما بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوادثه (فإن قلت) (معها) بم يتعلق (قلت) لا يخلو إيمان يتعلق يبلغ أو بالسعى أو بمحذوف فلا يصح تعلقه يبلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعى ولا بالسعى لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقى أن يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعى أي الحد الذي يقدر فيه على السعى قيل مع من فقال مع أبيه والمعنى في اختصاص الأب أنه أرفق الناس به وأعطفهم عليه وغيره ربما عطف به في الاستسعاء فلا يحتمله لأنه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشر سنة والمراد أنه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحه الصدر ماجسه على احتمال

شكله وصورته بخلاف توجيه أهل السنة فإنه غير مفتقر إلى حذف البتة ثم إذا جعل المعبود نفس الجوهر فكيف يطابق توبيخهم ببيان أن المعبود من عمل العابد مع موافقته على أن جواهر الأصنام ليست من عملهم فما هو من عملهم وهو الشكل ليس معبود ألهم على هذا التأويل وما هو معبودهم وهو جوهر الصنم ليس من عملهم فلم يستقر له قرار في أن المعبود على تأويله من عمل العابد وعلى ما قررناه يتضح وأما قوله إن المطابقة تنفك على تأويل أهل السنة بين ما ينتحون وما يعملون فغير صحيح فإن لنا أن نحمل الأولى على أنها مصدرية وأنهم في الحقيقة إنما عبدوا نحتهم لأن هذه الأصنام وهي حجارة قبل النحت لم يكونوا يعبدونها فلما عملوا فيها النحت عبدوها ففي الحقيقة ما عبدوا سوى نحتهم الذي هو عملهم فالمطابقة إذاً حاصلة والإلزام على هذا أبلغ وأمتن ولو كان كما قال لقامت لهم الحججة ولقالوا كما يقول الزمخشري مكافئين لقوله والله خلقكم وما تعملون بأن يقولوا لا ولا كرامة ولا يخلق الله ما نعمل نحن لأننا إنما عملنا التشكيل والتصوير وهذا لم يخلق الله وكانوا يجدون الذريعة إلى اقتحام الحججة ويأبى الله إلا أن تكون لنا الحججة البالغة ولهم الأكاذيب الفارغة فهذا إلزام بل إلجام لمن خالف السنة وغلّ بعنقه وعقر بكتفه وضرب على يده حتى يرجع إلى الحق آيها ويعترف بخطئه تابا

سَجَدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۝ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۝ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۝ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ۝ وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝

تلك البلية العظيمة والإجابة بذلك الجواب الحكيم أتى في المنام فقبل له اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحى كالوحى فى اليقظة فهذا قال (إنى أرى فى المنام أنى أذبحك) فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى أنه راكب فى سفينة رأبت فى المنام أنى ناج من هذه المحنة وقيل رأى ليلة التروية كأن قائلها يقول له إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى فى ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أو من الشيطان فمن ثم سعى يوم التروية فلما أسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سعى يوم عرفة ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر وقيل إن الملائكة حين بشرته بغلام حلیم قال هو إذن ذبیح الله فلما ولد وبلغ حد السعى معه قيل له أوف بنذرك (فانظر ماذا ترى) من الرأى على وجه المشاورة وقرئ ماذا ترى أى ماذا تبصر من رأيك وتبديه وماذا ترى على البناء للمفعول أى ماذا ترىك نفسك من الرأى (افعل ما تؤمر) أى ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به وأمرتك على إضافة المصدر إلى المفعول وتسمية المأمور به أمر أو قرئ ما تؤمر به (فإن قلت) لم شاوره فى أمر هو حتم من الله (قلت) لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله قيبت قدمه ويصبره إن جزع ويأمن عليه الزلل إن صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله قبل نزوله ولأن المغافضة بالذبح مما يستسمح وليكون سنة فى المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة فى أكله من الشجرة لما فرط منه ذلك (فإن قلت) لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة (قلت) كما أرى يوسف عليه السلام سجود أبويه وإخوته له فى المنام من غير وحى إلى أبيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام فى المنام وما سوى ذلك من منامات الأنبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدوقين لأن الحال إما حال يقظة أو حال منام فإذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة من انفراد أحدهما ۝ يقال سلم لأمر الله وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا إذا انقاد له وخضع وأصلها من قولك سلم هذا لفلان إذا خالص له ومعناه سلم من أن ينازع فيه وقولهم سلم لأمر الله وأسلم له منقول لأن منه وحقيقة معناه أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة فى أسلم أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (وتله للجبين) صرعه على شقه فوقه أحد جنبه على الأرض تواضعا على مباشرة الأمر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروى أن ذلك كان عند الصخرة التى بنى وعن الحسن فى الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك فى المنحر الذى ينحرفه اليوم (فإن قلت) أين جواب لما (قلت) هو محذوف تقديره فلما أسلمنا وتله للجبين (ونادينا أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسب فى تضاعفه يتوطن الألفس عليه من الثواب والأعواض ورضوان الله الذى ليس وراءه مطلوب وقوله (إنا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لتحويل ما خولها من الفرج بعد الشدة والتأثر بالبغية بعد اليأس (البلاء المبين) الاختبار البين الذى يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة الصعوبة التى لا تحتمل أصعب منها ۝ الذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الكبش الذى قرب به هايل فقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به إسماعيل وعن الحسن فدى بوعل أهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لكانت سنة وذبح الناس أبناءهم (عظيم) ضخم الجثة سمين وهى السنة فى الأضاحى وقوله عليه السلام استشرفوا ضحاياكم فإنها

(قوله وقرئ ماذا ترى) لعله بضم التاء وكسر الراء من أراه يربه فليحرر (قوله المغافضة) فى الصحاح غافضت الرجل أى أخذته على غرة (قوله تواضعا على مباشرة الأمر) أى توفقا (قوله بوعل) فى الصحاح الوعل الأروى اه ويقال التيس الجبلى

على الصراط مطاياكم وقيل لأنه وقع فداء عن ولد إبراهيم وروى أنه هرب من إبراهيم عليه السلام عند الجرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة في الرمي وروى أنه رمى الشيطان حين تعرض له بالسوسنة عند ذبح ولده وروى أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر فقال إبراهيم عليه السلام الله أكبر والله الحمد في سنة وحكي في قصة الذبيح أنه حين أراد ذبحه وقال يا بني خذ الحبل والمدينة وانطلق بنا إلى الشعب نختطب فلما توسط الشعب ثبير أخبره بما أمر فقال له اشدد رباطي لا أضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص أجرى وتراه أمي فتحزن واشخذ شفرتك وأسرع إمرارها على حلقى حتى تجهز على ليكون أهون فإن الموت شديد واقراء على أمي سلامي وإن رأيت أن ترد قيصى على أمي فافعل فإنه عسى أن يكون أسهل لها فقال إبراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بني على أمر الله ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم تعمل لأن الله ضرب صفيحة من نحاس على حلقه فقال له كبتى على وجهى فإنك إذا نظرت وجهى رحمتى وأدر كنت رقة تحول بينك وبين أمر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودى بإبراهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فإذا جبريل عليه السلام معه كبش أقرن أملح فكبر جبريل والكبش وإبراهيم وابنه وأتى المنحرف من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود منه إلى الأرض جاء الفرج وقد استشهد أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة (فإن قلت) من كان الذبيح من ولديه (قلت) قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين أنه إسماعيل والحجة فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وقال له أعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال إن عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر الله لئن سهل الله له أمرها ليدبحن أحد ولده فخرج السهم على عبد الله فنعه أخواله وقالوا له أفديناك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل والثاني إسماعيل وعن محمد بن كعب القرظي قال كان مجتهد بنى إسرائيل يقول إذا دعا اللهم إله إبراهيم وإسماعيل وإسرائيل فقال موسى عليه السلام يارب ما مجتهد بنى إسرائيل إذا دعا قال اللهم إله إبراهيم وإسماعيل وإسرائيل وأنا بين أظهرهم فقد أسمعتي كلامك واصطفيتني برسالك قال يا موسى لم يجبنى أحد حب إبراهيم قط ولا خير بيني وبين شيء قط إلا اختارني وأما إسماعيل فإنه جاد بدم نفسه وأما إسرائيل فإنه لم ييأس من روحى في شدة نزلت به قط يدل عليه أن الله تعالى لما أتم قصة الذبيح قال وبشرناه بإسحاق نبيا وعن محمد بن كعب أنه قال لعمر بن عبد العزيز هو إسماعيل فقال عمر إن هذا شيء ما كنت أنظر فيه وإني لأراه كما قلت ثم أرسل إلى يهودى قد أسلم فسأله فقال اليهود لتعلم أنه إسماعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه أن قرنى الكبش كانا منوطين في الكعبة في أيدي بنى إسماعيل إلى أن احترق البيت وعن الأصمعي قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعي أين عزب عنك عقلك ومتى كان إسحاق بمكة وإنما كان إسماعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع أبيه والمنحرف بمكة ومما يدل عليه أن الله تعالى وصفه بالصبر دون أخيه إسحاق في قوله وإسماعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله إنه كان صادق الوعد لأنه وعد أباه الصبر من نفسه على الذبح فوفى به ولأن الله بشره بإسحاق وولده يعقوب في قوله فضحكك فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فلو كان الذبيح إسحاق لكان خلفا للوعد في يعقوب وعن علي بن أبي طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين أنه إسحاق والحجة فيه أن الله تعالى أخبر عن خليله إبراهيم حين هاجر إلى الشام بأنه استوهبه ولدا ثم أتبع ذلك البشارة بغلام حلیم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب إلى يوسف من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله (فإن قلت) قد أوحى إلى إبراهيم صلوات الله عليه في المنام بأن يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وإنما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح

• قوله تعالى قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا هو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم (قال) فيه فإن قلت قد أوحى إلى إبراهيم في المنام أن يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وإنما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح • فأجاب بأنه قد بذل وسعه وفعل ما يفعله الذابح من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقة ولكن الله

سَلَّمَ عَلٰى اِبْرَاهِيْمَ ۝ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ ۝ اِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِيْنَ ۝ وَبَشَرْنَاهُ بِاسْحٰقَ نَبِيًّا مِّنَ الصّٰلِحِيْنَ ۝

(قلت) قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة أن تمضي فيه وهذا لا يقدر في فعل إبراهيم عليه السلام ألا ترى أنه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لومضت فيه الشفرة وفرت الأوداج وأنهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أو ان الفعل في شيء كما يسبق إلى بعض الأوهام حتى يشتغل بالكلام فيه (فإن قلت) الله تعالى هو المفتدى منه لأنه الأمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه (قلت) الفادي هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام والله عز وجل وهب له الكبش ليفدى به وإنما قال وفديناه إسناد للفداء إلى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهيته (فإن قلت) فإذا كان ما أتى به إبراهيم من البطح وإمرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء إنما هو التخليص من الذبح بيد (قلت) قد علم بمنع الله أن حقيقة الذبح لم تحصل من فري الأوداج وإنهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس إسماعيل ولكن في نفس الكبش بدلا منه (فإن قلت) فأى فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من إبراهيم مقام الذبح من غير نقصان (قلت) الفائدة في ذلك أن يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالندور وإيجاد المأمور به من كل وجه (فإن قلت) لم قيل ههنا (كذلك نجزي المحسنين) وفي غيرها من القصص إنا كذلك (قلت) قد سبقه في هذه القصة إنا كذلك فكأنما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية (نبيا) حال مقدرة كقوله تعالى فادخلوها خالدين (فإن قلت) فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك أن المدخول موجود مع وجود الدخول، والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيا وليس كذلك المبشر به فإنه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به أوجب عدم حاله لا محالة لأن الحال حلية والحلية لا تقوم إلا بالمحلى وهذا المبشر به الذي هو إسحق حين وجد لم توجد النبوة أيضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل أو المفعول عند وجود الفعل منه أو به فالخلود وإن لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لأن المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فإنه لا سبيل

سبحانه منع الشفرة أن تمضي فيه وهذا لا يقدر في فعل إبراهيم ألا ترى أنه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لومضت فيه الشفرة وفرت الأوداج وأنهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أو ان الفعل في شيء كما يسبق إلى بعض الأوهام حتى يشتغل بالكلام عليه انتهى كلامه (قلت) كل ما ذكر دندنة حول امتناع النسخ قبل التمكن من الفعل وتلك قاعدة المعزلة وأما أهل السنة فيثبتون جوازه لأن التكليف ثابت قبل التمكن من الفعل فجاز رفعه كالموت وأيضا فكل نسخ كذلك لأن القدرة على الفعل عندنا مقارنة لا متقدمة ثم يثبتون وقوعه بهذه الآية ووجه الدليل منها أن إبراهيم عليه السلام أمر بالذبح بدليل ما تؤمر ونسخ قبل التمكن بدليل العدول إلى الفداء فمن ثم تحوم الزمخشري على أنه فعل غاية وسعه من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه وإنما امتعت بأمر من الله تعالى وغرضه بذلك أحد أمرين إما أن يكرن الأمر وإنما توجه عليه بمقدمات الذبح وقد حصلت لا بنفس الذبح أو توجه الأمر بنفس الذبح وتعاطيه ولكن لم يتمكن وكلا الأمرين لا يخلصه أقاؤه أمر بمقدمات الذبح فبالباطل بقوله إني أرى في المنام أني أذبحك وقوله افعل ما تؤمر وأما قوله لم يتمكن لأن الشفرة منعت بأمر من الله تعالى بعد تسليم الأمر بالذبح فخالصه أنه لم يتمكن من الذبح المأمور به فكان النسخ إذا قبل التمكن وهو عين ما أنكره المعزلة ولما لم يكن في هذين الجوابين لهم خلاص لجأ بعضهم إلى تسليم أنه أمر بالذبح ودعوى أنه ذبح ولكنه كان يلتحم وهو باطل لاثبوت له وسياق الآية يحل دعواه ويفل ثنياه

(قوله عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم) لعله فتقديره

وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ۝ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۝ وَبَجَيْنَهُمَا  
 وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۝ وَعَاتَيْنَهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ۝ وَهَدَيْنَهُمَا  
 الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۝ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝  
 إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمَنْ أَمْرُسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۝ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ  
 أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ۝ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَنهَم لِمَحْضُرُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ۝  
 وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَّمَ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ ۝ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝

إلى أن تكون موجودة أو مقدره وقت وجود البشارة بإسحق لعدم إسحق (قلت) هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك  
 والذي يحل الإشكال أنه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود إسحق نيا أي بأن يوجد مقدره  
 نبوته فالعامل في الحال الوجود لافعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين (من الصالحين) حال  
 ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريض لأن كل نبي لا بد أن يكون من الصالحين وعن قتادة بشره الله بنبوته إسحق بعد  
 ما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح إسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه بإسحق قالوا ولا يجوز أن يبشره  
 الله بمولده ونبوته معا لأن الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بأنه سيكون نيا (وباركنا عليه وعلى إسحق) وقرئى وبركنا  
 أى أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين وقيل باركنا على إبراهيم  
 في أولاده وعلى إسحق بأن أخرجنا أنبياء بني إسرائيل من صلبه وقوله (وظالم لنفسه) نظيره قال ومن ذريتي قال لا ينال  
 عهدى الظالمين وفيه تنبيه على أن الخبث والطيب لا يجرى أمرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر  
 وهذا ما يهدم أمر الطباع والعناصر وعلى أن الظلم في أعقابها لم يعد عليهما بعيد ولا نقیصة وأن المرء إنما يعاب بسوء فعله  
 ويعاتب على ما اجتاحت يده لا على ما وجد من أصله أو فرعه (من الكرب العظيم) من العرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم  
 (ونصرناهم) الضمير لهما وقومههما في قوله ونجيناهما وقومهما (الكتاب المستبين) البليغ في بيانه وهو التوراة كما قال إنا أنزلنا  
 التوراة فيها هدى ونور، وقال من جواز أن تكون التوراة عربية أن تشتق من وري الزند فوعلة منه على أن التاء مبدلة  
 من واو (الصراط المستقيم) صراط أهل الإسلام وهى صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ۝  
 قرئى إلياس بكسر الهمزة والياء على لفظ الوصل وقيل هو إدريس النبي وقرأ ابن مسعود وأن إدريس في موضع إلياس  
 وقرئى إدرا س وقيل هو إلياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى (أتدعون بعلا) أتعبدون بعلا وهو علم لصم كان لهم كناية  
 وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخذموه أربع مائة سادن وجعلوهم أنبياء  
 فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشریعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلك من بلاد  
 الشام وبه سميت مدينتهم بعلك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار أى من ربها والمعنى أتعبدون بعض البعول  
 وتركون عبادة الله (الله ربكم ورب آبائكم) قرئى بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة إذا وصل نصب وإذا وقف  
 رفع ۝ وقرئى على الياسين وإدريس بن إدريس بن إدريس بن إدريس بن إدريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية  
 معنى وقرئى على الياسين بالوصل على أنه جمع براديه إلياس وقومه كقولهم الخبيدون والمهلبون (فإن قلت) فهلا حملت على  
 هذا الياسين على القطع وأخواته (قلت) لو كان جمعا لعرف بالالف واللام وأما من قرأ على آل ياسين فعلى أن ياسين

(قوله وغشمهم) فى الصحاح الغشم الظلم (قوله أن تشتق من وري الزند) لعله يجوز أن تشتق

وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۖ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ۖ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ۖ وَإِنَّكُمْ لَتَعْرُونَ عَلَيْهِمْ مَصِيبِينَ ۖ وَبِالْبَلِّ أَفْلا تَعْقِلُونَ ۖ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفَلْكِ الْمَشْحُونِ ۖ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ۖ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۖ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۖ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۖ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۖ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ۖ وَارْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۖ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۖ فَاسْتَفْتِهِمُ الرَّبُّ الْبَنَاتِ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ۖ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ

اسم أبي الياس أضيف إليه الآل (مصباحين) داخلين في الصباح يعني تمرون على منازلهم في متاجرهم إلى الشام أيلاً ونهاراً فما فيكم عقول تعتبرون بها ۖ قرئ يونس بضم النون وكسر ها ۖ وسمى هر به من قومه بغير إذن ربه إباحة على طريقة المجاز ۖ والمساهمة المقارعة ويقال استهم القوم إذا اقترعوا ۖ والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة روى أنه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا ههنا عبد أبى من سيده وفيما يزعم البحارون أن السفينة إذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه في الماء (فالتقمه الحوت وهو مليم) داخل في الملامة يقال رب لا ثم مليم أى يلوم غيره وهو أحق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنياً على شيب ونحوه مدعى بناء على دعوى (من المسبحين) من الذاكرين الله كثيراً بالتمسيح والتقديس وقيل هو قوله في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس كل تسيح في القرآن فهو صلاة وعن قتادة كان كثير الصلاة في الرخاء قال وكان يقال إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر وإذا صرع وجد متكاً وهذا ترغيب من الله عز وجل في إكثار المؤمن من ذكره بما هو أهله وإقباله على عبادته وجمع همه لتقيد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده تعالى في المضايق والشدائد (لبث في بطنه) الظاهر لبثه فيه حياً إلى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة وروى أنه حين ابتلعه أوحى الله إلى الحوت: إني جعلت بطنك له سجناً ولم أجعله لك طعاماً. واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي أربعون يوماً وعن الضحاك عشرون يوماً وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن الحسن لم يلبث إلا قليلاً ثم أخرج من بطنه بعد الوقت الذي التقم فيه ۖ وروى أن الحوت سار مع السفينة رافعاً رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البر فلفظه سالماً لم يتغير منه شيء فأسلموا وروى أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل ۖ والعراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه (وهو سقيم) اعتل سحاح به وروى أنه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد ۖ واليقطين كل ما ينسحق على وجه الأرض ولا يقوم على ساق كشجرة البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعل من قطن بالمكان إذا أقام به وقيل هو الدباء. فائدة الدباء أن الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتحب القرع قال أجل هي شجرة أخى يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطي بورقها واستظل بأغصانها وأفطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب من لبنها وروى أنه مر زمان على الشجرة فبيست فبكي جزعاً فأوحى الله إليه بكيت على شجرة ولا تبكى على مائة ألف في يد الكافر (فإن قلت) ما معنى وأنبتنا عليه شجرة (قلت) أنبتناها فوقه مظلة له كما يطيب البيت على الإنسان (وأرسلناه إلى مائة ألف) المراد به ما سبق من إرساله إلى قومه وهم أهل نينوى وقيل هو إرسال ثان بعد ما جرى عليه إلى الأولين أو إلى غيرهم وقيل أسلموا فسألوه أن يرجع إليهم فأبى لأن النبي إذا هاجر عن قومه لم يرجع إليهم مقيماً فيهم وقال لهم إن الله باعث إليكم نبياً (أو يزيدون) في مرأى الناظر أى إذا رآها الرائي قال هي مائة ألف أو أكثر والغرض الوصف

(قوله وكانت وعلة) يقال هي شاة جبلية

شَهِدُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ۝ فَآتُوا بِكُتٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا ۝ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ۝ فَإِنَّكُمْ

بالكثرة (إلى حين) إلى أجل مسمى وقرئ يزيدون بالواو وحتى حين (فاستفتهم) معطوف على مثله في أول السورة وإن تباعدت بينهما المسافة أمر رسوله باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أو لاثم ساق الكلام موصولا بعبءه ببعض ثم أمره باستفتاءهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور فى قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا فى ذلك ثلاثة أنواع من الكفر أحدها التجسيم لأن الولادة مختصة بالأجسام والثانى تفضيل أنفسهم على ربهم حين جعلوا أو وضع الجنس له وأرفعهم ما لهم كما قال «وإذا بشر أحدهم بما ضرب الرحمن مثلا ظل وجهه مسوداً وهو كظيم» أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين، والثالث أنهم استهانوا بأكرم خلق الله عليه وأقربهم إليه حيث أنثوهم ولو قيل لأقلهم وأدناهم فيك أنوثة أو شكلك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولا تقلبت حماليقه وذلك فى أهاجهم بين مكشوف فكتر الله سبحانه الأنواع كلها فى كتابه مرات ودل على فظاعتها فى آيات «وقالوا اتخذ الرحمن ولداً» لقد جئتم شيئاً إداه تكاد السموات يتفطرن منه، «وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون» «وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما فى السموات والأرض» «بديع السموات والأرض أى يكون له ولد» «ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله» «وجعلوا له من عباده جزءاً» «ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون» «أم له البنات ولكم البنون» «ويجعلون لله ما يكرهون» «أصطفى البنات على البنين» «أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين» «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً» (أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون) (فإن قلت) لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة (قلت) ما هو إلا استهزاء بهم وتجهيل وكذلك قوله «أشهدوا خلقهم» ونحوه قوله «ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم» وذلك أنهم كالم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله عليه فى قلوبهم ولا بإخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز أن يكون المعنى أنهم يقولون ذلك كلقائل قولاً عن ثبج صدر وطمانينة نفس لإفراط جهلهم كأنهم قد شاهدوا خلقهم «وقرئ ولد الله أى الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدى وهؤلاء ولدى (فإن قلت) (أصطفى البنات) بفتح الهمزة استفهام على طريق الإنكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة أبى جعفر بكسر الهمزة على الإثبات (قلت) جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرأها حمزة والأعمش رضى الله عنهما وهذه القراءة وإن كان هذا محلها فهى ضعيفة والذى أضعفها أن الإنكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (مالك كيف تحكمون) فمن جعلها لإثبات فقد أوقعها دخيلة بين نسيين «وقرئ تذكرون من ذكر (أم لكم سلطان) أى حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بأن الملائكة بنات الله (فاتوا بكتابتكم) الذى أنزل عليكم فى ذلك كقوله تعالى «أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون» وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم وإنكار فظيع واستبعاد لا قائل لهم شديد وما الأساليب التى وردت عليها إلا ناطقة بتسفيه أحلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من أن يخطر بخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفساً فضلاً أن يجعله معتقداً ويتظاهر به مذهبا (وجعلوا) بين الله وبين الجنة وأراد الملائكة (نسباً) وهو زعمهم أنهم بنانه والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم وأثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة (فإن قلت) لم سعى الملائكة جنة (قلت) قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شراً كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيراً كله فهو ملك فذكرهم فى هذا الموضع باسم جنسهم وإتمام ذكرهم بهذا الاسم ووضعا منهم وتقصير أبهم وإن كانوا معظمين فى أنفسهم أن يبلغوا

(قوله ولا تقلبت حماليقه) فى الصحاح حلاق العين باطن أجفانها الذى يسوده الكحل اه

وَمَا تَعْبُدُونَ إِلَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ يَفْتَنُونَ ۚ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ۚ وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ مُقَامٌ مَعْلُومٌ ۚ وَإِنَّا لَنَجْنُ  
الصَّافُونَ ۚ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ۚ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ۚ لَوْ أَن عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأُولِينَ ۚ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ

منزلة المناسبة التي أضافوها إليهم وفيه إشارة إلى أن من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الأجرام لا يصلح أن يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله أن تسوى بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك أتسوى بيني وبين عبدى وإذا ذكره في غير هذا المقام وقزه وكناهه والضمير في (إنهم لمحضرون) للكفرة والمعنى أنهم يقولون ما يقولون في الملائكة وقد علم الملائكة أنهم في ذلك كاذبون مفترون وأنهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب حيث أضيف إلى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا إن الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا إن الله والشيطان أخوان وعن الحسن أشرك الجن في طاعة الله ويجوز إذا فسر الجنة بالشياطين أن يكون الضمير في أنهم لمحضرون لهم والمعنى أن الشياطين عالمون بأن الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له أو شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من الواو في يصفون أى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به والضمير في (عليه) لله عز وجل ومعناه فإنكم ومعبوديكم ما أنتم وهم جميعاً بفاتنين على الله إلا أصحاب النار الذين سبق في علمه أنهم لسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها (فإن قلت) كيف يفتنهم على الله (قلت) يفسدونهم عليه بإغرائهم واستهزائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وخيبها عليه ويجوز أن يكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضعته وأن كل رجل وضعته جاز أن يسكت على قوله فإنكم وما تعبدون لأن قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لأن معناه فإنكم مع ما تعبدون والمعنى فإنكم مع آلهنكم أى فإنكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما أنتم عليه أى على ما تعبدون (بفاتنين) يباعثين أو حاملين على طريق الفتنة والإضلال (إلا من هو) ضال مثلكم أو يكون في أسلوب قوله

فإنك والكتاب إلى على كدابة وقد حلم الأديم

وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هي ولام التعريف (فإن قلت) كيف استقام الجمع مع قوله من هو قلت من موحد اللفظ بمجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه في آية واحدة والثاني أن يكون أصله صائل على القلب ثم يقال صال في صائل كقولهم شك في شائك والثالث أن تحذف لام صال تخفيفا ويجرى الإعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة وأصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرأ وجنى الجنيتين دان وله الحوار المنشآت بإجراء الإعراب على العين (ومامنا) أحد (إلا له مقام معلوم) تحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه كقوله أنا ابن جلا وطلاع الثنايا بكفى كان من أرمى البشر مقام معلوم مقام في العبادة والانتها إلى أمر الله مقصور عليه لا يتجاوز كما روى فهم راع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه (لنحن الصافون) نصف أقدامنا في الصلاة أو أجنحتنا في الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف أجنحتنا حول العرش داعين للؤمنين وقيل إن المسلمين إنما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف أحد من أهل الملل في صلاتهم غير المسلمين (المسبحون) المنزهون أو المصلون والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فزهوه عن ذلك واستنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فإذا صح ذلك فإنكم وآلهنكم لا تقدر أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه وأصلوه إلا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لالتقديره وإرادته تعالى الله عما يقول

(قوله بكفى كان من أرمى البشر) لعله وقوله بكفى الخ



الْمُخْلِصِينَ ۝ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۝  
وَأَنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ۝ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝

الظالمون علواً كبيراً أنهم من أهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة وجمعتها وإياه جنسية واحدة وما نحن إلا عبيد  
أذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفراً خشوعاً لعظمته وتواضعاً لجلاله ونحن الصافون  
أقدامنا لعبادته وأجنحتنا مدعنين خاضعين مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يعنى وما من المسلمين أحد إلا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك  
مقاماً محموداً ثم ذكر أعمالهم وأنهم هم الذين يصطفون في الصلاة يسبحون الله وينزهونه مما يضيف إليه من لا يعرفه  
مما لا يجوز عليه ۝ هم مشركو قريش كانوا يقولون (لو أن عندنا ذكراً) أى كتاباً (من) كتب (الآولين) الذين نزل  
عليهم النوراة والإنجيل لأخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد  
الأذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً فسوف يعلمون  
مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام ۝ وإن هى الخففة من الثقلة واللام هى الفارقة وفى ذلك أنهم كانوا يقولونه مؤكداً  
للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره ۝ الكلمة قوله (إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) وإنما سماها  
كلمة وهى كلمات عدة لأنها المتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة ۝ وقرئى كلمتنا والمراد الموعد بعلمهم على عدوهم  
فى مقاوم الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا وعلوهم عليهم فى الآخرة كما قال والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ولا يلزم انهم  
فى بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فإن الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم فى العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله عليه  
وسلم والخلفاء الراشدين مثلاً يحتذى عليها وعبراً يعتبر بها وعن الحسن رحمه الله ما غلب نبي فى حرب ولا قتل فيها ولأن  
قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وإن وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب  
وعن ابن عباس رضى الله عنهما إن لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى الآخرة ۝ وفى قراءة ابن مسعود على عبادنا على  
تضمنين سبقت معنى حقت (فتول عنهم) فأعرض عنهم وأغض على أذاهم (حتى حين) إلى مدة يسيرة وهى مدة الكف  
عن القتال وعن السدى إلى يوم بدر وقيل الموت وقيل إلى يوم القيامة (وأبصرهم) وما يقضى عليهم من الأسر والقتل  
والعذاب فى الآخرة فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب فى العاقبة والمراد بالأمر بإبصارهم  
على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على أنها كائنة واقعة لا محالة وأن كينوتها قريبة كأنها قدام ناظريك وفى ذلك تسلية  
له وتفيس عنه وقوله (فسوف يبصرون) للوعيد كما سلف لا للتبديد ۝ مثل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فأنكروه  
بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصائحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره ولا أخذوا أهبتهم ولا دبروا أمرهم تديراً ينجيهم حتى  
أناخ بفنائهم بغته فشتن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحاً فسميت الغارة صباحاً وإن  
وقعت فى وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التى نحس بها ويروكك موردها على نفسك وطبعك  
إلا لمجيئها على طريقة التمثيل ۝ وقرأ ابن مسعود فبئس صباح ۝ وقرئى نزل بساحتهم على إسناده إلى الجار والمجرور  
كقولك ذهب بزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام فى المنذرين مبهم فى جنس

(قوله لا لتقديره وإرادته تعالى) مبنى على مذهب المعتزلة أن الله لا يقدر الشر ولا يريد به وقال أهل السنة إن كل  
كائن فهو بقضاء الله وقدره كما بين فى التوحيد (وقوله وكما يجب على العباد بربهم) لعله كما يجب كعبارة النسبى (قوله ولا  
يلزم انهم) أى لا يرد نقضا للغلبة والنصر (قوله وأغض على أذاهم) فى الصحاح الإغضاء إدناء الجفون (قوله ونزل  
على ونزل العذاب) لعله على نزل العذاب فيكون بياناً للقراءة نزل بالتشديد مبنياً للفعول

فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ ۝ وَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ وَأَبْصُرُوا فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ۝ سَبِّحْنَ رَبَّكَ رَبَّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝

## سورة ص مكية

وآياتها ۸۸ نزلت بعد القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ

من أنذروا لأن ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة وعن أنس رضى الله عنه لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين إلى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخيس ورجعوا إلى حصنهم فقال عليه الصلاة والسلام الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ۝ وإنما ثنى (وتول عنهم) ليكون تسليية على تسليية وتأكيذاً لوقوع الميعاد إلى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي إطلاق الفعلين معاً عن التقييد بالمفعول وأنه يبصر وهم يبصرون مالا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد بأحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة ۝ أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذوالعزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد أنه مامن عزة لأحد من الملوك وغيرهم إلا وهو ربه ومالكها كقوله تعالى تعز من تشاء ۝ اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا إليه مما هو منزله عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصر عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين (والحمد لله رب العالمين) على ما قبض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمينات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي رضى الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الصافات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظه يوم القيامة أنه كان مؤمناً بالمرسلين

﴿سورة ص مكية وهي ست وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (ص) على الوقف وهي أكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن ينتصب بحذف حرف القسم وإيصال فعله كقولهم الله لأفعلن كذا بالنصب أو بإضمار حرف القسم والفتح في موضع الجز كقولهم الله لأفعلن بالجز وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لأنها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ ص بالجز والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الأماكن الخالية من الأجسام الصلبة ومعناه ما عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانه عن نواهيه (فإن قلت) قوله ص (والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدى والتنبيه على الإعجاز كما مر فى أول الكتاب ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدى عليه كما قال والقرآن ذى الذكر أنه لكلام معجز والثانى أن يكون ص خبر مبتدأ محذوف على أنها اسم للسورة كأنه قال هذه ص يعنى هذه

قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ فَنَادُوا وَّلَاتَ حِسِينٍ مَّنَاصٍ ۝ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ

السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال أقسمت بص والقرآن ذي الذكر إنه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الإذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله وإذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر جازلك أن تريد بالقرآن التنزيل كله وأن تريد السورة بعينها ومعناه أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وإنه لذكر لك ولقومك أو الذكري والموعظة أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من الشرائع وغيرها كأقاصيص الأنبياء والوعد والوعيد والتسكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غزوة أي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كم أهلكنا) وعيد لذوى العزة والشقاق (فادوا) فدعوا واستغاثوا وعن الحسن فنادوا بالتوبة (ولات) هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب و ثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضياتها إما الاسم وإما الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الأخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنى الأحيان و (حين مناص) منصوب بها كأنك قلت ولا حين مناص لهم وعنه أن ما ينتصب بعده بفعل مضمرة أي ولا أرى حين مناص ويرتفع بالابتداء أي ولا حين مناص كأنهم لم وعندهما أن النصب على ولات الحين حين مناص أي وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصل لهم وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول أبي زيد الطائي طلبوا صلحنا ولات أوان ۝ فأجبنا أن لات حين بقاء

(فإن قلت) ما وجه الكسر في أوان (قلت) شبهه بإذ في قوله وأنت إذ صحيح في أنه زمان قطع منه المضاف إليه و عوض التنوين لأن الأصل ولات أوان صلح (فإن قلت) فما تقول في حين مناص والمضاف إليه قائم (قلت) نزل قطع المضاف إليه من مناص لأن أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف إليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف ثم بنى الحين لكونه مضافا إلى غير متمسك وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجبر (فإن قلت) كيف يوقف على لات (قلت) يوقف عليها بالتاء كما يوقف على الفعل الذي يتصل به تاء التأنيث وأما الكسائي فيقف عليها بالتاء كما يوقف على الأسماء المؤنثة وأما قول أبي عبيد إن التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين في الإمام لا متشبث به فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط والمناص المناء والفوت يقال ناصه ينوصه إذا فاته واستنص طلب المناص قال حارثة بن بدر: غمر الجراء إذا قصرت عنانه ۝ بيدي استنص ورام جرى المسجل (منذر منهم) رسول من أنفسهم (وقال الكافرون) ولم يقل وقالوا إظهار الغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهممكون في النفي الذين قال فيهم أو لئلكم الكافرون حقوا هل ترى كفرا أعظم وجهلا أبلغ من أن يسبوا من صدقه الله بوجه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته ۝ روى أن إسلام عمر رضي الله تعالى عنه فرح به المؤمنون فرحاشديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا إلى أبي طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الإسلام وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال عليه السلام أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتكم أمعطي أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقالوا نعم وعشرا أي نعطيكمها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا إله إلا الله

(قوله ورام جرى المسجل) في الصحاح الحمار الوحشي (قوله يسألونك السؤال فلا تمل) لعله السواء كما في عبارة النسفي

كَذَّابٌ ۝ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّجْتَبَأٌ ۝ وَأَنْطَلِقُ الْمَلَائِكَةَ مِنْ هَبْلٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ حَرْلًا وَلَمْ نُجِبْكَ بِهِ كَلِمًا ۝ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنْتَ الرَّاغِبُ ۝ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ حَرْلًا وَلَمْ نُجِبْكَ بِهِ كَلِمًا ۝ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنْتَ الرَّاغِبُ ۝ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ حَرْلًا وَلَمْ نُجِبْكَ بِهِ كَلِمًا ۝ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنْتَ الرَّاغِبُ ۝

فقاموا وقالوا (أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجائب) أي بليغ في العجب وقرئ عجب بالتشديد كقوله تعالى مكرراً كباراً وهو أبلغ من الخفف ونظيره كريم وكرام وكرام وقوله أجمع الآلهة إلها واحداً مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً في أن معنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعيم كأنه قال اجعل الجماعة واحداً في قوله لأن ذلك في الفعل محال (الملائ) أشرف قريش يريدوا واطلقوا عن مجلس أبي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض (امشوا واصبروا) فلاحيلة لكم في دفع أمر محمد (إن هذا) الأمر (لشيء يراد) أي يريد الله تعالى ويحكم بامضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر أو أن هذا الأمر شيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكك لنا منه أو أن دينكم شيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه ۝ وأن بمعنى أي لأن المنطلقين عن مجلس التقاؤل لا بد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمناً معنى القول ويجوز أن يراد بالانطلاق الاندفاع في القول وأنهم قالوا امشوا أي أكثروا واجتمعوا من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضموا فواشيكم ۝ ومعنى واصبروا على آلهتكم واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لاتزالوا عنها ۝ وقرئ وانطلق الملائمهم امشوا بغير أن على إضمار القول وعن ابن مسعود وانطلق الملائمهم يمشون أن اصبروا (في الملة الآخرة) في ملة عيسى التي هي آخر الملال لأن النصرى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة أو في ملة قريش التي أدر كنا عليها آباءنا أو ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الآخرة على أن يجعل في الملة الآخرة حالاً من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجهين والمعنى أنا لم نسمع من أهل الكتاب ولا من الكهان أنه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله ۝ ما (هذا إلا اختلاق) أي افعال وكذب ۝ أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرفهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الإنكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما أوتى من شرف النبوة من بينهم (بل هم في شك) من القرآن يقولون في أنفسهم أما واما وقولهم إن هذا إلا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد (بل لما يذوقوا عذاب) بعد فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعني أنهم لا يصدقون به إلا أن يسهم العذاب مضطربين

(القول في سورة ص) (بسم الله الرحمن الرحيم) ۝ قوله تعالى وانطلق الملائمهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا شيء يراد (قال) فيه معناه اصبروا فلاحيلة لكم في دفع أمر محمد إن هذا الشيء يراد أي يريد الله ويحكم بامضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر اه كلامه ۝ قوله تعالى أنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب (قال معناه لم يذوقوه بعد فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم الخ) قلت ويؤخذ منه أن لما لائقة بالجواب وإنما ينفي بها فعل يتوقع وجوده كما يقول سيويه وفرق بينها وبين لم بأن لم نفي لفعل يتوقع وجوده لم يقبل مثبتته قد ، ولما نفي لما يتوقع وجوده أدخل على مثبتته قد وإنما ذكرت ذلك لأنني حديث عهد بالبحث في قوله عليه الصلاة والسلام الشفعة فيما لم يقسم فإني استدلت به على أن الشفعة خاصة بما يقبل القسمة فقبل لي إن غايته أنه أثبت الشفعة فيما نفي عنه القسمة فيما لأنها لا تقبل قسمة وإما أنها تقبل ولم تقع القسمة فأبطلت ذلك بأن آلة النفي المذكورة

(قوله ضموا فواشيكم) بقيته في الصحاح حتى تذهب غمة العشاء (قوله أنكروا أن يختص بالشرف) لعله أنكروا كما في النسفي

لَهُمْ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۝ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ۝  
كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد ۝ وثمود وقوم لوط وأصحاب لشيكه أولئك الأحزاب ۝

إلى تصديقه (أم عندهم خزائن رحمة ربك) يعني ما هم بما لكي خزائن الرحمة حتى يصيدوا بها من شأوا ويصرفوها عن شأوا  
ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويرفعوا بها عن محمد عليه الصلاة والسلام ۝ وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز الفاهر على  
خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بهما واقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال أم يقسمون رحمة ربك نحن  
قسمنا ثم رشح هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والأرض) حتى يتكلموا في الأمور الربانية والتدابير الإلهية التي تنص  
بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال وإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت  
عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بإيتاء النبوة دون من لا تحق له (فليرتقوا في الأسباب) فليصعدوا في المعارج  
والطرق التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستروا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي إلى من يختارون  
ويستصوبون ثم خسأهم خساءة عن ذلك بقوله (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) يريد ما هم لإلجيش من الكفار  
المتحزون على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لمآبه يهدون وما مزيدة وفيها معنى  
الاستعظام كما في قول امرئ القيس وحديث ما على قصره ۝ إلا أنه على سبيل الهزء

وهناك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من  
أهله لست هنالك (ذو الأوتاد) أصله من ثبات البيت المطب بأوتاده قال

والبيت لا يبتنى إلا على عمد ۝ ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الأمر كما قال الأسود في ظل ملك ثابت الأوتاد وقيل كان يشبح المعذب بين أربع  
سوار كل طرف من أطرافه إلى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمدده بين أربعة أوتاد  
في الأرض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وجبال يلعب بها بين يديه (أولئك الأحزاب) قصد  
بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وأنهم هم الذين وجد منهم التكذيب ۝ ولقد

لم ومقتضاها قبول المحل الفعل المنفي وتوقع وجوده الأتراك تقول الحجر لا يتكلم ولو قلت الحجر لم يتكلم لكان ركيكا  
من القول لإفهامه قبوله للكلام ۝ قوله تعالى أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب (قال)  
ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال إن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة فكانت عندهم المعرفة التي  
يميزون بها بين من هو حقيق بإيتاء النبوة دون من لا يستحق فليرتقوا في المعارج والطرق الموصلة إلى العرش حتى يستروا  
عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله تعالى وينزلوا الوحي على من يختارونه قال ثم خسأهم بقوله جند ما هنالك مهزوم  
من الأحزاب معناه إن هؤلاء إلا جند متحزون على النبي صلى الله عليه وسلم عما قليل يهزمون ويولون الأدبار اه كلامه  
(قلت) الاستواء المنسوب لله ليس استواء استقرار بحجم تعالى الله عن ذلك وإنما هو صفة فعل أي فعل  
فوقه لأن الاستواء المنسوب إلى الله تعالى ليس استواء استقرار بحجم تعالى الله عن ذلك وإنما هو صفة فعل أي فعل  
فيه فعلا سماه استواء هذا تأويل القاضي أبي بكر وليست عبارة الزخشرى في هذا الفصل مطابقة للفصل على جاري  
عاداته في تحرير العبارة على مراده ۝ قوله تعالى أولئك الأحزاب (قال فيه قصد هذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين  
جعل الجند المهزوم منهم هم وأنهم هم الذين وجد التكذيب منهم اه كلامه) قلت وفي تكرار تكذيبهم فائدة أخرى وهي

(قوله ثم خسأهم خساءة) في الصحاح خسأت الكلب خسأ طردته وخسأ بنفسه يتعدى ولا يتعدى (قوله وقيل كان

يشبح المعذب) أي يمد أفاده الصحاح

إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ۖ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّأَلَهَا مِنْ فَوَاقٍ ۖ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا  
لَنَا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ۖ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۖ إِنَّا نَحْنَرُنَا الْجِبَالَ  
مَعَهُ يَسْبَحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۖ وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ كُلُّ لَهَا أَوَّابٌ ۖ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ

ذكر تكذيبهم أولاً في الجملة الخبرية على وجه الإبهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها بأن كل واحد من الأحزاب  
كذب جميع الرسل لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعاً وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع  
في تكريره بالجملة الخبرية أولاً وبالاستثنائية ثانياً وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص أنواع من  
المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه ثم قال (حق عقاب) أي فوجب لذلك أن أعاقبهم حق عقابهم (هؤلاء)  
أهل مكة ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب لاستحضارهم بالذكر أولاً لأنهم كالحضور عند الله ۖ والصيحة النفخة  
(وما لها من فواق) وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني إذا جاء  
وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة وعن ابن عباس ما لها من رجوع  
وترداد من أفق المريض إذا رجع إلى الصحة وفواق الناقة ساعة ترجع الدزالى ضرعها يريد أنها نفخة واحدة لحسب  
لاثنى ولا تردد ۖ القط القسط من الشيء لأنه قطعة منه من قطعه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من  
القرطاس وقد فسرها قوله تعالى (عجل لنا قطناً) أي نصيناً من العذاب الذي وعدته كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب  
وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيناً منها أو عجل لنا صحيفة  
أعمالنا ننظر فيها (فإن قلت) كيف تطابق قوله (اصبر على ما يقولون) وقوله (واذكر عبدنا داود) حتى عطف أحدهما  
على صاحبه (قلت) كأنه قال لنيه عليه الصلاة والسلام اصبر على ما يقولون وعظم أمر معصية الله في أعينهم بذكر قصة  
داود وهو أنه نبي من أنبياء الله تعالى قد أولاه ما أولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث  
إليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر وأناب ووجد منه ما يحكى من  
بكاؤه الدائم وغمه الواصب ونقش جنائته في بطن كفه حتى لا يزال يجدد النظر إليها والندم عليها فما الظن بكم مع  
كفركم ومعاصيكم أوقاله صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها أن تزل فيما كلمت من  
مصابرتهم وتحمل أذاهم واذكر أخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيره فلقى من توبيخ الله وتظليمه  
ونسبته إلى البغي مالتى (ذا الأيد) ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه بأعباء النبوة والملك  
يصوم يوماً ويفطر يوماً وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان أيد وذو أيد وذو آد وأباد كل شيء ما يتقوى  
به (أواب) تواب رجاء إلى مرضاة الله (فإن قلت) مادلك على أن الأيد القوة في الدين (قلت) قوله تعالى إنه أواب  
لأنه تعليل لذي الأيد (والإشراق) ووقت الإشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت  
الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فدعا بوضوء فتم صلى صلاة الضحى وقال يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال هل

أن الكلام لما طال بتعدد آحاد المكذبين ثم أريد ذكر ما حاق بهم من العذاب جزاء لتكذيبهم كرر ذلك مصحوباً  
بالزيادة المذكورة ليلي قوله تعالى حق عقاب على سبيل التطرية المعتادة عند طول الكلام وهو كما قدمته في قوله وكذب موسى  
حيث كرر الفعل ليقترن بقوله فأملت للكافرين ۖ قوله عز وعلا يسبحن بالعشي والإشراق (قال) الإشراق حين تشرق  
الشمس أي يصفو نورها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق ومنه أخذ ابن

(قوله وغمه الواصب) أي الدائم

تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأنا له الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق وقال كانت صلاة يصلها داود عليه السلام وعنه ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية وعنه لم يزل في نفسى من صلاة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها بهذه الآية يسبحن بالعشى والإشراق وكان لا يصلى صلاة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب أنه قال لابن عباس إني لأجد في كتب الله صلاة بعد طلوع الشمس فقال أنا أوجدك ذلك في كتاب الله تعالى يعنى هذه الآية ويحتمل أن يكون من أشرق القوم إذا دخلوا في الشروق ومنه قوله تعالى فأخذتهم الصبيحة مشرقين وقول أهل الجاهلية أشرق ثبير ويراد وقت صلاة الفجر لانتهاه بالشروق وبسبحن في معنى ومسبحات على الحال (فإن قلت) هل من فرق بين يسبحن ومسبحات (قلت) نعم وما اختير يسبحن على مسبحات إلا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال وكان السامع محاضرتك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الأعشى إلى ضوء نار في يفاع تحرق . ولو قال محرقة لم يكن شيئاً وقوله (محشورة) في مقابلة يسبحن إلا أنه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئاً بعد شيء جىء به اسماً لافعلاً وذلك أنه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على أن الحشر يوجد من حشرها شيئاً بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفاً لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان إذا سبج جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت فذلك حشرها . وقرئ والطير محشورة بالرفع (كل له أبواب) كل واحد من الجبال والطير لأجل داود أى لأجل تسبيحه مسبح لأنها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الأبواب موضع المسبح إقاماً لأنها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاء لأنه يرجع إلى فعله رجوعاً بعد رجوع وإقاماً لأن الأبواب وهو التواب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته من عاداته أن يكثير ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أى كل من داود والجبال والطير لله أبواب أى مسبح مرجع للتسبيح (وشددنا ملكه) قوتناه قال تعالى سنشد عضدك وقرئ شددنا على المبالغة قيل كان بيت حول محرابه أربعون ألف مستلم يحرسونه وقيل الذى شد الله به ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة أن رجلا ادعى عنده على آخر بقرة ويجز عن إقامة

عباس صلاة الضحى قال ويحتمل أن يكون من أشرق القوم إذا دخلوا في وقت الشروق ويكون المراد وقت صلاة الفجر لانتهاه بشروق الشمس اه كلامه (قلت) الوجه الثانى يفرق بين العشى والإشراق فإن العشى ظرف بلا إشكال فلو حمل الإشراق على الدخول في وقت الشروق لكان مصدرأ مع أن المراد به الظرف لأنه فعل الشمس وصفتها التي تستعمل ظرفاً كالطلوع والغروب وشبهها . عاد كلامه إلى قوله تعالى يسبحن (قال فيه إن قلت لم اختار يسبحن على مسبحات وأيهما وقع كان حالاً وأجاب بأن اختيارهما لمعنى وهو الدلالة على حدوث التسبيح شيئاً بعد شيء كأن السامع محاضرها فيسمعها تسبح ومنه قول الأعشى إلى ضوء نار في يفاع تحرق . ولو قال محرقة لم يكن شيئاً) قلت ولهذا النكتة فرق سخنون من أصحابنا بين أنا محرم يوم أفعال كذا بصيغة اسم الفاعل وبين أحرم بصيغة المضارع فرأى أن المعلق بصيغة اسم الفاعل يكون محرماً يوجد صيغة التعليق ولا كذلك المعلق بصيغة الفعل المضارع فإنه لا يكون محرماً حتى يحرم ويقال له أحرم فكأنه رأى أن صيغة الفعل خصوصية في الدلالة على حدوثه ولا كذلك اسم الفاعل وإن كان متأخراً وأصحابنا اختلفوا في معنى قول سخنون في اسم الفاعل يكون محرماً يوم يفعل فمنهم من قال أراد الفور فينشئ إحراماً ومنهم من قال يكون محرماً في الحال بالتعليق الأول ولا يحدد شيئاً ومذهب مالك التسوية بين صيغتي اسم الفاعل والفعل في هذا المقام والله أعلم وحقق الزمخشري هذا الفرق بين اسم الفاعل والفعل في قوله والطير محشورة كل له أبواب . فقال لما كان الواقع حشر الطير دفعة واحدة وكان ذلك أدل على القدرة لم يكن لاستعمال الفعل الدال على الحدوث شيئاً فشيئاً معنى فاستعمل فيه اسم المفعول على خلاف استعمال الفعل في الأول

(قوله أشرق ثبير) كانوا يقولون أشرق ثبير كما نغير كما في الصحاح (قوله نار في يفاع تحرق) في الصحاح اليفاع ما ارتفع من الأرض (قوله أربعون ألف مستلم يحرسونه) أى لابس اللامة وهى الدرع أفاده الصحاح

الْحَطَّابِ ۝ وَهَلْ أَتَاكَ نَبِيُّ الْخُصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْحُرَابَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ

البينة فأوحى الله تعالى إليه في المنام أن اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فأعيد الوحي في اليقظة فأعلم الرجل فقال إن الله عز وجل لم يأخذني بهذا الذنب ولكن بأني قتلت أباهذا غيلة فقتله فقال الناس إن أذنب أحد ذنباً أظهره الله عليه فقتله فهابوه (الحكمة) الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة ۝ الفصل التمييز بين الشيتين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الأوير لأنهم قالوا كلام متبس وفي كلامه ايس والملبس المختلط فقيل في نقبضه فصل أى مفصول بعضه من بعض فعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذى يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وما خصه أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للصلين إلا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وأنتم حتى يصله بقوله لا تعدون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والإضمار والإظهار والحذف والتكرار وإن شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور وأردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذى يفصل بين الصحيح والفاقد والحق والباطل والصواب والخطأ وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه هو قوله البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله أما بعد لأنه يفتح إذا تكلم في الأمر الذى له شأن بذكر الله وتحميده فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق إليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد ويجوز أن يراد الخطاب القصد الذى ليس فيه اختصار مخل ولا إشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نذرو ولا نذر ۝ كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبهت وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها وقدروا أن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له أوريا فأجابها فأسأله النزول له عنها فاستحيا أن يرده ففعل فيتزوجها وهي أم سليمان فقيل له إنك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شأنك وكثرة نسائك لم يكن ينبغى لك أن تسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة النزول بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما متحتن به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وأما ما يذكر أن داود عليه السلام تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب فقال يارب إن آبائى قد ذهبوا بالخير كله فأوحى إليه أنهم ابتلوا ببلياً فصبروا واعلمها قد ابتلى إبراهيم بنمروذ وذبح ولده وإسحق بذبحه وذهب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسأل الابتلاء فأوحى الله إليه إنك لمبتلى في يوم كذا وكذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه وأغلق بابيه وجعل يصلى ويقرأ الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمديده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد إليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة قد نقصت شعرها فغطى بدننها وهي امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب إلى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء إن ابعت أوريا وقدمه على التابوت وكان

قوله تعالى ۝ وهل أتاك نبا الخضم إذ تسوَّروا الحُرَابَ ۝ الآية (ذكر) في تفسيرها فصلاً أسرده على الاختصار والإيجاز لتدرج حقاً في فصل الخطاب قال كان أهل زمان داود يسأل بعضهم بعضاً النزول له عن امرأته إذا أعجبهت فيتزوجها وقد روى مثله عن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فوقع عين داود عليه السلام على امرأة أوريا فأعجبهت فسأله إيثاره بها ليتزوجها فاستحيا منه فنزل عنها فتزوجها وأولدها سليمان فقيل له إنك مع كثرة نسائك لم يكن ينبغى لك أن تسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها وكان الأفضل قهر الهوى وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فرغب إليه أهلها فاندرج في الخطاب على خطبة أخيه وأما ما يذكر أن داود تمنى منزلة آبائه الأنبياء فقيل له إنهم ابتلوا فصبروا فسأل الابتلاء ليصبر فقيل له إنك ابتلى يوم كذا فاحترس ذلك اليوم وأغلق عليه محرابه فمديده له الشيطان في صورة حمامة ذهب فمديده ليأخذها ولد صغير فطارت فتبعها فرأى المرأة قد نقصت شعرها فبعث إلى أيوب صاحب بعث البلقاء أن قدم أوريا إلى التابوت وهو من غزاة البلقاء وكان المتقدم

(قوله من غزاة البلقاء) في الصحاح مدينة بالشام



من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد ففتح الله على يده وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل فأتاه خبر قله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أئمة المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء وعن سعيد بن المسيب والحريث الأعور أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها أو أعظم بأن يقال غير ذلك وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها استرا على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه فقال عمر لسامعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضرب به الله لقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب (فإن قلت) لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح (قلت) لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثر فيه وأجلب لاحتشامه وحيائه وأدعى إلى التنبه على الخطأ فيه من أن يبادر به صريحا مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة الأتري إلى الحكمة كيف أوصوا في سياسة الولد إذا وجدت منه هنة منكرة أن يعرض له بإنكارها عليه ولا يصرح وأن تحكي له حكاية ملاحظة لحاله إذا تأملها استمع حال صاحب الحكاية فاستمع حال نفسه وذلك أزجر له لأنه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة (فإن قلت) فلم كان ذلك على وجه التعاطف اليه (قلت) ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه (وهل أتاك نبأ الخصم) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأنبياء العجبية التي حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد والتشويق إلى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله تعالى حديث ضيف إبراهيم المكرمين لأنه مصدر في أصله تقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا (فإن قلت) هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك (قلت) معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى هذا خصمان اختصموا في ربهم (فإن قلت) فما تصنع بقوله إن هذا أخي وهو دليل على اثنين (قلت) هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض (فإن قلت) فقد جاء في الرواية أنه بعث إليه ملكان (قلت) معناه أن التحاكم كان بين ملكين ولا يمنع ذلك أن

إليه يحرم عليه الرجوع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد فقدم وسلم فأمر بتقدمه مرة أخرى وثالثة فقتل فلم يحزن عليه كحزنه على الشهداء وتزوج امرأته المذكورة فهذا ونحوه مما يقبح الحديث به عن متسم بالصلاح من آحاد المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء وعن سعيد بن المسيب أن علي بن أبي طالب قال من حدثكم قصة داود كما يرويه القصاص جلدته مائة وستين حد الفرية مضاعفا روى أن عمر بن عبد العزيز حدثه رجل بذلك بحضرة عالم محقق فكذب الحديث بذلك وقال إن كانت القصة على ما في كتاب الله فالتمس خلافها فرية وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها استرا لنبيه عليه السلام فما ينبغي لك إظهار ما استره الله تعالى فقال عمر بن عبد العزيز استماعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس قال الزمخشري والذي يدل عليه المثل الذي ضرب به الله أن قصته ليست إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فقط ثم نبه الزمخشري على مجي الإينكار على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح وذلك أن التعريض داع إلى التأمل والتنبه لوجه الخطأ مع ما فيه من اجتناب المجاهرة في الإنكار والتوبيخ والقاء بطريق التمثيل ليستقبح ذلك من غيره فيجعله مقياسا لاستقبح ذلك من نفسه مع البقاء على الحشمة كما أوصى الحكماء بذلك في سياسة الوالد لولده إذا حصلت منه هنة منكرة قال وجاء ذلك على وجه التحاكم بقوله لقد ظلمك فتقوم الحجة عليه بحكمة قال وقوله وهل أتاك جاء على وجه الاستفهام تنبيها على أن هذه قصة عجيبة من حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد وتشويقا

(قوله يحدث به بعض المتسمين بالصلاح الخ) لعله عن بعض أولئك يحدث من بعض وفي الصحاح يقال هو من أئمة الناس إذا لم يعلم ممن هو وعبارة النسفي بدل قوله فهذا ونحوه الخ فلا يليق من المتسمين الخ

بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۝ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً وَلِيَ نَعِجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۝ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِجَتِكَ إِلَى

يصحهما آخرون (فإن قلت) فإذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعاً خصماً في قوله نبا الخصم وخصمان (قلت) لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به ۝ (فإن قلت) بم انتصب (إذ) (قلت) لا يخلو إيمان ينتصب بأنك أو بالنبا أو بمحذوف فلا يسوغ انتصابه بأنك لأن إتيان النبا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع إلا في عهده لاني عهد داود ولا بالنبا لأن النبا الواقع في عهد داود لا يصح إتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أردت بالنبا القصة في نفسها لم يكن ناصباً فبقى أن ينتصب بمحذوف وتقديره وهل أتاك نبا تحاكم الخصم ويجوز أن ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل وأما إذ الثانية فبدل من الأولى (تسوروا المحراب) تصعدوا سورة ونزلوا إليه والسور الحائط المرتفع ونظيره في الأبنية تسنمه إذا علا سنامه وتذراه إذا علا ذروته وروى أن الله تعالى بعث إليه ملكين في صورة إنسانين فطلبوا أن يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادته فتمعهما الخرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان (ففرع منهم) قال ابن عباس إن داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوماً للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص أموره ويوما يجمع بني إسرائيل فيعظهم ويبيحهم فجأؤه في غير يوم القضاء ففرع منهم ولأنهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه (خصمان) خبر مبتدأ محذوف أي نحن خصمان (ولا تشطط) ولا تجر وقرئ ولا تشطط أي ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلاهما من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق و (سواء الصراط) وسطه ومحجته ضربه مثلاً لعين الحق ومحضه (أخي) بدل من هذا أو خبر لأن المراد أخوة الدين أو أخوة الصداقة والألفة أو أخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وإن كثيراً من الخطاء وكل واحدة من هذه الأخوات تدلى بحق مانع من الاعتداء والظلم ۝ وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطح ونطع ولقوة ولقوة (أكفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلني أكفلها كما أكفل ماتحت يدي (وعزني) وغلبنى يقال عزه تعززه قال قطة عزها شرك فباتت ۝ تجاذبه وقد علق الجناح

يريد جاني بحجاج لم أقدر أن أوردته عليه ما أردت به وأراد بالخطاب مخاطبة الحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو مخاطبني خطاباً أي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجه دوني وقرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة وقرأ أبو حيوة وعزني بتخفيف الزاي طلباً للخفة وهو تخفيف غريب وكأنه قاسه على نحو ظلت ومست (فإن قلت) ما معنى ذكر النعاج (قلت) كأن تحاكمهم في نفسه تمثيلاً وكلامهم تمثيلاً لأن التمثيل أبلغ في التوبيخ لما ذكرنا وللتنبية على أمر يستحيا من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسج الإفصاح به وللستر على داود عليه السلام والاحتفاظ بجرمته ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصه أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة وخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تمة المائة

إلى سماعها أيضاً ۝ وقال في قوله هذا أخي الأخوة كيف ما كانت إما من الصداقة أو من الدين أو من الشركة والخلطة تدلى بحق مانع من الاعتداء والظلم فلذلك قال إن هذا أخي ۝ وقال في الخطاب يحتمل أن يكون من المخاطبة ومعناه أتاني بما لم أقدر على رده من الجدال ويحتمل أن يكون من الخطبة مفاعلة أي خطبت فخطب علي خطبتي فغلبني والمفاعلة لأن الخطبة صدرت منهما جميعاً ۝ وقال في ذكر النعاج إنها تمثيل فكان تحاكمهم تمثيلاً وكلامهم أيضاً تمثيلاً لأنه أبلغ لما تقدم وللتنبية على أن هذا أمر يستحيا من التصريح به وأنه مما يكنى عنه سماجة الإفصاح به وللستر على داود عليه السلام ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا بجل له نعجة واحدة وخليطه تسع وتسعون فأراد أن يتهمها مائة بالنعجة المذكورة ثم قال

(قوله نحو نطع ولقوة ولقوة) في الصحاح النطع فيه أربع لغات وفيه اللقوة داء في الوجه والناقة السريعة اللقاح والعقاب الأثني واللقوة بالكسر مثله (قوله قطة عزها شرك) لعله عزه يعززه ويعزه

نَعَا جِهَ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَاطِئِينَ لَيَبَغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ

فطمع في نعمة خليطه وأراده على الخروج من ملكها إليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وإن كثيراً من الخاطيء وإنما خص هذه القصة لما فيها من الرمز إلى الغرض بذكر النعجة (فإن قلت) إنما تستقيم طريقة التمثيل إذا فسرت الخطاب بالجدال فإن فسرت بالفاعلة من الخطبة لم يستقم (قلت) الوجه مع هذا التفسير أن أجعل النعجة استعارة عن المرأة كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله  
يا شاة ما قص لمن حلت له • فرميت غفلة عينه عن شاته

وشبهها بالنعجة من قال كنعاج الملائكة تعسفن رملا لولا أن الخلطاء تأباه إلا أن يضرب داود الخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم (فإن قلت) الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم أن يخبروا عن أنفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شأنهم (قلت) هو تصوير للمسألة وفرض لها فصوروها في أنفسهم وكانوا في صورة الأناشي كما تقول في تصوير المسائل زيد له أربعون شاة وعمره له أربعون وأنت تشير إليهما خلطاها وحال عليهما الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمره سبد ولا لبد وتقول أيضا في تصويرها لي أربعون شاة وأربعون خلطاناها ومالك من الأربعين أربعة ولا ربعاها (فإن قلت) ما وجه قراءة ابن مسعود ولي نعمة أنثى (قلت) يقال لك امرأه أنثى للحسنة الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة في لين الأنوثة وقورها وذلك أملح لها وأزيد في تكسرهما وتثنيها ألا ترى إلى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله فتور القيام قطيع الكلام وقوله تمشي رويدا تكاد تنفر (لقد ظلمك) جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه • والسؤال مصدر مضاف إلى المفعول كقوله تعالى من دعاء الخير وقد ضمن معنى الإضافة فعدى تعديتها كأنه قيل بإضافة (نعجتك إلى نعاجه) على وجه السؤال

فإن قلت طريقة التمثيل إنما تستعمل على جعل الخطاب من الخطابة فإن كان من الخطبة فما وجهه قال الوجه حينئذ أن تجعل النعجة استعارة للمرأة كما استعاروا لها الشاة في قوله • يا شاة ما قص لمن حلت له • إلا أن لفظ الخلطاء يأباه اللهم إلا أن يكون ابتداء مثل من داود عليه السلام (قلت) والفرق بين التمثيل والاستعارة أنه على التمثيل يكون الذي سبق إلى فهم داود عليه السلام أن التحاكم على ظاهره وهو التخاصم في النعاج التي هي البهائم ثم انتقل بواسطة التثنية إلى فهم أنه تمثيل لحاله وعلى الاستعارة يكون فهم عنهما التحاكم في النساء المعبر عنهن بالنعاج كناية ثم استشعر أنه هو المراد بذلك • قال فإن قلت لم صح من الملائكة الإخبار عن أنفسهم بما لم يتلبسوا بشيء منه وأجاب بأن ذلك على سبيل التصوير والفرض كما تقول في تصوير المسألة زيد له أربعون شاة وعمره له أربعون خلطاها فماذا يجب عليهما من الزكاة وتقول أيضا لي أربعون شاة ولك أربعون ومالك ولا له من الأربعين أربعة ولا ربعاها فإن قلت فما وجه قراءة ابن مسعود ولي نعمة أنثى وأجاب بأنه يقال امرأة أنثى للحسنة الجميلة ومعناه وصفها بالعراقة في لين الأنوثة وقورها وذلك أملح لها وأزيد في تكسرهما وتثنيها ألا ترى إلى وصفهم إياها بالكسول والمكسال كقوله :  
• فتور القيام قطيع الكلام • اه كلامه (قلت) ولكن قوله ولي نعمة إنما أورده على سبيل التقليل لما عنده والتحقيق ليستجل على خصمه بالبغى لطلبه هذا القليل الحقير وعنده الجم الغفير فكيف يليق وصف ما عنده والمراد تقليله بصفة الحسن التي توجب إقامة عذر ما لخصمه ولذلك جاءت القراءة المشهورة على الاقتصار على ذكر النعجة وتأكيد قلتها بقوله واحدة فهذا إشكال على قراءة ابن مسعود يمكن الجواب عنه بأن القصة الواقعة لما كانت امرأة أوربا الممثلة بالنعجة فيها مشهورة بالحسن وصف مثالها في قصة الخصمين بالحسن زيادة في التطبيق لنا كيد التثنية على أنه هو المراد بالتمثيل ثم

(قوله لمن حلت له فرميت) لعله وقوله فرميت (قوله كنعاج الملائكة تعسفن رملا) في الصحاح الملائكة الصحراء ويروى الفلا وهو جمع فلاة وهي المغازاة كذا في الصحاح (قوله وما لزيد وعمره سبد ولا لبد) في الصحاح ماله سبد ولا لبد أي لا قليل ولا كثير والسبد من الشعر والبد من الصوف

وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۗ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَثَابٍ ۗ

والطلب (فإن قلت) كيف سارع إلى تصديق أحد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه (قلت) ما قال ذلك إلا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القرآن لأنه معلوم ويروى أنه قال أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاजी مائة فقال داود إن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار إلى طرف الأنف والجهة فقال داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه (الخلطاء) الشركاء الذين خلطوا أموالهم الواحد خليط وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية والشافعي رحمه الله يعتبرها فإذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة أو لكل واحد منهما ماشية على حدة إلا أن مراحمهما ومساقهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والفحولة مختلطة فهما يزيان زكاة الواحد فإن كان لهما أربعون شاة فعليهما شاة وإن كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد أربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد وعند أبي حنيفة لا تعتبر الخلطة والخليطة والمنفرد عنده واحد ففي أربعين بين خليطين لا شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلاثة ثلاث شياه (فإن قلت) فهذه الخلطة ما تقول فيها (قلت) عليهما شاة واحدة فيجب على ذي النعجة أداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعي رحمه الله وعند أبي حنيفة لا شيء عليه (فإن قلت) ماذا أراد بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام (قلت) قصد به الموعدة الحسنة والترغيب في إثارة عادة الخلطاء الصالحاء الذين حكم لهم بالقلّة وأن يكره إليهم الظلم والاعتداء الذي عليه أكثرهم مع التأسف على حالهم وأن يسلي المظلوم عما جرى عليه في خليطه وأن له في أكثر الخلطاء أسوة وقرئ ليبيغ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله ۗ اضرب عنك الهموم طارقتها ۗ وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وما في (وقليل ما هم) للإيهام وفيه تعجب من قلتهم وإن أردت أن تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقي له معنى قط لما كان الظن الغالب يداني العلم استعير له ومعناه وعلم داود وأيقن (أنما فتناه) أنا ابتليناه لا محالة بامرأة أوريا هل يثبت أو يزل وقرئ فتناه بالتشديد للبالغته وأفتناه من قوله لئن فتنتني لهي بالأمس أفنت وفتناه وفتناه على أن الألف ضمير الملكين وعبر بالراكع عن الساجد لأنه ينحني ويخضع كالساجد

قال فإن قلت لما سارع بتصديق أحد الخصمين قبل سماع كلام الآخر وأجاب بأن ذلك كان بعد اعتراف خصمه ولكنه لم يحك في القرآن لأنه معلوم اه كلامه (قلت) ويحتمل أن يكون ذلك من داود على سبيل الفرض والتقدير أي إن صح ذلك فقد ظلمك ونقل بعضهم أن هذه القصة لم تكن من الملائكة وليست تمثيلا وإنما كانت من البشر إما خليطين في الغنم حقيقة وإما كان أحدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهاثر والسراري والثاني معسرا وماله إلا امرأة واحدة فاستنزله عنها وفزع داود وخوفه أن يكونا مغتالين لأنهما دخلا عليه في غير وقت القضاء وما كان ذنب داود إلا أنه صدق أحدهما على الآخر ونسبه إلى الظلم قبل مسأله اه كلامه (قلت) مقصود هذا القائل تنزيه داود عن ذنب يبعثه عليه شهوة النساء فأخذ الآية على ظاهرها وصرف الذنب إلى العجلة في نسبة الظلم إلى المدعى عليه لأن الباعث على ذلك في الغالب إنما هو التهاب الغضب وكراهيته أخف مما يكون الباعث عليه الشهوة والهوى ولعل هذا القائل يؤكد رأيه في الآية بقوله تعالى عقبها وصية لداود عليه السلام يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فما جرت العناية بتوصيته فيما يتعلق بالأحكام إلا والذي صدر منه أو لاوبان منه من قبيل ما وقع له في الحكم بين الناس وقد التزم المحققون من أئمتنا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام داود وغيره منزهون من الوقوع في صفات الذنوب مبرؤون من ذلك والتمسوا المحامل الصحيحة لأمثال هذه القصة وهذا هو الحق الأبلج والسبيل الأبهج إن شاء الله تعالى

(قوله لهي بالأمس أفنت يروى فهي وبقية البيت : سعيدا فأمسى قدملا كل مسلم . أفاده الصحاح

يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نُسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۝ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۝ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وبه استشهد أبو حنيفة وأصحابه في سجدة التلاوة على أن الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن لأنه لا يكون ساجدا حتى كع ويجوز أن يكون قد استغفر الله لذنيه وأحرم بركتي الاستغفار والإجابة فيكون المعنى وخر للسجود را كما أي مصليا لأن الركوع يجعل عبارة عن الصلاة (وأباب) ورجع إلى الله تعالى بالتوبة والتنصل وروى أنه بقي ساجدا أربعين يوما وإله لا يرفع رأسه إلا للصلاة مكتوبة أو مالا بد منه ولا يقرأ دمه حتى نبت العشب من دمه إلى رأسه ولم يشرب ماء إلا وثلاثه دمع وجهه نفسه راغبا إلى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا إلى نفسه واجتمع إليه أهل الزبيغ من بني إسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروى أنه نقش خطبته في كفه حتى لا ينساها وقيل إن الخصمين كانا من الإنس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما إما كانا خليطين في الغنم وإما كان أحدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهاجر والسراي والثاني معسرا ماله إلا امرأة واحدة فاستنزله عنها وإنما فرغ لدخولها عليه في غير وقت الحكومة أن يكونا مغتالين وما كان ذنب داود إلا أنه صدق أحدهما على الآخر وظلمه قبل مسئلته (خليفة في الأرض) أي استخلفناك على الملك في الأرض كما يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في أرضه أو جعلناك خليفة من كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير (فاحكم بين الناس بالحق) أي بحكم الله تعالى إذا كنت خليفة (ولا تتبع) هوى النفس في قضائك وغيره مما تصرف فيه من أسباب الدين والدنيا (فيضلك) الهوى فيكون سببا لضلالك (عن سبيل الله) عن دلائله التي نصبها في العقول وعن شرائع التي شرعها وأوحى بها (يوم الحساب) متعلق بنسوا أي بذنبيهم يوم الحساب أو بقوله لهم أي لهم عذاب يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بني مروان أنه قال لعمر بن عبدالعزيز أو للزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا أن الخليفة لا يجرى عليه القلم ولا تكتب عليه معصية فقال بأمر المؤمنين الخلفاء أفضل أم الأنبياء ثم تلا هذه الآية (باطلا) خلقا باطلا لا اغرض صحيح وحكمة بالغة أو مبطلين عابثين كقوله تعالى وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لالعابثين ما خلقناهما إلا بالحق . وتقديره ذوى باطل أو عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيا موضع المصدر وهو صفة أي ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو أن خلقناها نفوسا أو دعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكنين وأزحنا عنها ثم عرضناها للنافع العظيمة بالتكليف وأعدنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم و (ذلك) إشارة إلى خلقها باطلا . والظن بمعنى المظنون أي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا (فإن قلت) إذا كانوا مقرين بأن الله خالق السموات والأرض وما بينهما لم يبق لهم أن يقولوا أن الله خالق السموات والأرض ليقولن الله فم جعلوا ظانين أنه خلقها للعبث لا للحكمة (قلت) لما كان إنكارهم للعبث والحساب والثواب والعقاب مؤديا إلى أن خلقها عبثا وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لأن الجزاء هو الذي سبقت إليه الحكمة في خلق العالم من رأسها فمن جحدته فقد جحد الحكمة من أصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك أنه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان إقراره بكونه خالقا كإقرار (أم) منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الإنكار والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال من أصلح وأفسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيا ولم يكن حكما

(قوله وهو أن خلقنا نفوسا) عبارة النسفي وهو أنا خلقنا نفوسا

كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ۝ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصُّفُوفَ الْجِيَادِ ۝ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ۝ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ۝

وقرئ مباركا ولتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التفكر فيها والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة لأن من اقتنع بظاهر المنلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لفحة درور لا يحلبها ومهرة ثور لا يستولدها وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبداً وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى إن أحدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفاً وقد والله أسقطه كله ما يرى للقرآن عليه أثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لاكثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين وأعدنا من القراء المتكبرين ۝ وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح مخدوف ۝ وعلل كونه بمدوحاً بكونه أو بارجاعاً اليه بالتوبة أو مسبحاً مؤوباً للنسيح مرجعاً له لأن كل مؤوب أواب ۝ والصابن الذي في قوله ألف الصفون فما يزال كأنه ۝ مما يقوم على الثلاث كسيرا وقيل الذي يقوم على طرف سنك يد أو رجل هو المنخيم وأما الصافن فالذي يجمع بين يديه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن يقوم الناس له صفونا فليتبوا مقعده من النار أي واقفين كما خدم الجبابرة (فإن قلت) مامعنى وصفها بالصفون (قلت) الصفون لا يكاد يكون في الهجن وإنما هو في العراب الخالص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها وإذا جرت كانت سراعاً خفافاً في جريها وروى أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيدين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العماقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوماً بعدما صلى الأولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد من الذكر كان له وقت العشي وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فانه فاستردّها وعقرها مقرباً لله وبقى مائة فما بقى في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيراً منها وهي الریح تجري بأمره (فإن قلت) مامعنى (أحببت حب الخير عن ذكر ربي) (قلت) أحببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربي أو جعلت حب الخير مجزياً أو مغنياً عن ذكر ربي وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان أن أحببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء إذ أحبنا وليس بذلك والخير المال كقوله إن ترك خيراً وقوله وإنه لحب الخير لشديد والمال الخيل التي شغلته أو سمى الخيل خيراً كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها قال

۝ قوله تعالى الصافات الجياد (قال) الصفون أن يقف على ثلاث وعلى طرف الرابع وقيل هذا للمنخيم والصابن الذي يجمع بين يديه قال ووصفها بذلك لأنه لا يكون في الهجن غالباً وإنما يكون في العراب الخالص أو وصفها ليجمع لها الوصفين المحمودين جارية واقفة فوصفها في جريها بالجودة والسرعة وفي وقوفها بالسكينة والطمأنينة لأن ذلك من لوازم الصفون غالباً

(قوله لم يحل منه بكثير طائل) في الصحاح قولهم لم يحل منه بطائل أي لم يستفد منه كبير فائدة وفيه اللغج بالكسر الإبل بأعيانها الواحدة لقوح وهي الحلوب مثل قلوص وقلاص واللحمة اللقوح والجمع بفتح مثل قرية قرب وفيه ناقة درور أي كثيرة اللبن وفيه الثور أي كثيرة الولد (قوله ولا الوزعة) جمع وازع وهو الذي يكف عن الضرر والذي يتقدم الصف فيصلحه بالتقديم والتأخير أفاده الصحاح (قوله وقرئ نعم العبد على الاصل) لعله بفتح النون وكسر العين كما يفيد الصحاح (قوله بعد ما صلى الأولى على كرسيه) عبارة النسفي صلى الظهر (قوله وعقرها مقرباً لله) عبارة النسفي تقرباً

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَانَ عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ه قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِّنْ

رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بتواصيها الخير إلى يوم القيامة وقال في زيد الخيل حين وفد عليه وأسلم ما وصف لي رجل فرأيتُه إلا كان دون ما بلغني إلا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسأل رجل بلالا رضي الله عنه عن قوم يستقون من السابق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرجل أردت الخيل فقال وأنا أردت الخير والتواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك أو الحجابة بحجابها والذي دل على أن الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للضمير من جرى ذكر أو دليل ذكر وقيل الضمير للصافيات أي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ومن يدع التفاسير أن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه (فطلق مسحا) فجعل يمسح مسحا أي يمسح بالسيف بسوقها وأعناقها يعني يقطعها يقال مسح علاوته إذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب إذا قطع أطرافه بسيفه وعن الحسن كسف عراقيها وضرب أعناقها أراد بالكسف القطع ومنه الكسف في ألغاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فصحف وقيل مسحها بيده استحسانا لها وإعجابا بها (فإن قلت) بهم اتصل قوله ردوها على (قلت) بمحذوف تقديره قال ردوها على فأضمر وأضمر ما هو جواب له كأن قائلا قال فماذا قال سليمان لأنه موضع مقتض للسؤال انتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبي من أنبياء الله بأمر الدنيا حتى تفوته الصلاة عن وقتها وقرئ بالسوق بهمز الواو لضمها كما في أدور ونظيره الغور في مصدر غارت الشمس وأما من قرأ بالسوق فقد جعل الضمة في السين كأنها في الواو للتلاصق كما قيل موسى ونظير ساق وسوق أسد وأسد وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لأن الإلباس قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنه أنه ولد له ابن فقالت الشياطين إزعاش لم تنفك من السخرة فسيبنا أن نقتله أو نجبله فلم ذلك فكان يغذوه في السحابة فاراعه إلا أن ألقى على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه في أزم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب إليه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم يحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسى بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون فذلك قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان) وهذا ونحوه مما لا بأس به وأما ما يرى من حديث الخاتم والشياطين وعبادة الوثن في بيت سليمان فأنه أعلم بصحته حكوا أن سليمان بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر وأن بها ملكا عظيم الشأن لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج إليه تحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وأصاب بذأ له اسمها جرادة من أحسن الناس وجهاً فاصطفاها لنفسه وأسدت وأحبا وكانت لا يرقأدها حزنا على أبيها فأمر الشياطين فثقلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائها يسجدن له كعادتهن في ملكه فأخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده إلى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا إلى الله متضرعا وكانت له أم ولد يقال لها أمينة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما وأتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال يا أمينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسى سليمان وعكفت عليه الطير والجن والإنس وغير سليمان عن هيئته فأنى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطرده فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف فإذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد إلى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فكث على ذلك أربعين صباحا عددا عبد الوثن في بيته فأنكر آصف وعظما

(قوله ومسح المسفر الكتاب) الذي في الصحاح سفرت الكتاب أسفره سفراً وسفرت المرأة كشفت عن وجهها وأسفر الصبح أي إحناء وأسفر وجهه حسنا أي أشرق فليحرر (قوله فكان يغذوه في السحابة) في الصحاح غاداه أي غدا عليه فلعل عبارة الكتاب بالذال المعجمة وفي الصحاح غذوت الصبي بالين أي ربيته به فاغذى وعبارة النسفي يغذوه بالمعجمة

بَعْدَىٰ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً ۝ حَيْثُ أَصَابَ ۝ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ  
وَعَوَّاصٍ ۝ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا

بنی اسرائیل حکم الشیطان وسأل آصف نساء سلیمان فقلنا ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء إلا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلغته سمكة ووقعت السمكة في يد سلیمان فيقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتعتم به ووقع ساجداً ورجع إليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال له آصف إنك لمفتنون بذنبك والخاتم لا يقتر في يدك فنب إلى الله عز وجل ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من أباطيل اليهود، والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل وتسليط الله إياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الأحكام وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهم قبيح وأما اتخاذ التماثيل فيجوز أن تختلف فيه الشرائع ألا ترى إلى قوله من محاريب وتماثيل وأما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله أن يأذن فيه وإذا كان بغير علمه فلا عليه وقوله (والقينا على كرسيه جسداً) ناب عن إفادة معنى إنبابة الشيطان منابه بتوأ ظاهره قدم الاستغفار على استيهاب الملك جرياً على عادة الأنبياء والصالحين في تقديمهم أمر دينهم على أمور دنياهم (لا ينبغي) لا يتسهل ولا يكون ۝ ومعنى (من بعدى) دوني (فان قلت) أما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة أن يستعطي الله مالا يعطيه غيره (قلت) كان سلیمان عليه السلام ناشئاً في بيت الملك والنبوة ووارثاً لها فأراد أن يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب ألفه ملكاً زانداً على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الإعجاز ليكون ذلك دليلاً على نبوته قاهراً للبعوث إليهم وأن يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لأحد من بعدى وقيل كان ملكاً عظيماً يخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقيل ملكاً لا أسأله ولا يقوم غيري فيه مقامى كما سلبته مرة وأقيم مقامى غيرى ويجوز أن يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم أنه لا يضطلع بأعبائه غيره وأوجبت الحكمة استيهابه فأمره أن يستوهبه إياه فاستوهبه بأمر من الله على الصفة التي علم الله أنه لا يضبطه عليها إلا هو وحده دون سائر عباده أو أراد أن يقول ما كان عظيماً فقال لا ينبغي لأحد من بعدى ولم يقصد بذلك إلا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال وربما كان للناس أمثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن الحجاج أنه قيل له إنك حسود فقال أحسد منى من قال هبلى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدى وهذا من جرأته على الله وشيئته كما حكى عنه طاعتنا أو جب من طاعة الله لأنه شرط في طاعته فقال ۝ فاتقوا الله ما استطعتم ۝ وأطلق طاعتنا فقال وأولى الأمر منكم ۝ قرئ الريح والرياح (رخاء) لينة طيبة لا ترزعزع وقيل طبيعة له لا تمتنع عليه (حيث أصاب) حيث قصد وأراد حكى الأصمعي عن العرب أصاب الصواب فأخطأ الجواب وعن رؤبة أن رجلين من أهل اللغة قصداً ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج إليهما فقال أين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجما ويقال أصاب الله بك خيراً (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء) بدل من الشياطين (وآخرين) عطف على كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ماشاء من الأبدية وبغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو أول من استخراج الدر من البحر وكان يقترن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد وعن السدى كان يجمع أيديهم إلى أعناقهم مغللين في الجرامع والصفد القيد وسمى به العطاء لأنه ارتباط المنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه

(قوله وجاب صخرة لصخر) أي خرق أو قطع أفاده الصحاح (قوله في الجوامع والصفد) في الصحاح الجامعة الغل لأنها تجمع اليدين إلى العنق



لِزَانِي وَحَسَن مَّثَابٍ ۝ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝ أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ  
هَذَا مَغْتَسِلَ بَارِدٍ وَشَرَابٍ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لَأُولَى الْأَلْبَابِ ۝ وَخُذْ بِيَدِكَ

من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك ومنه قول القائل ۝ غل يدا مطلقها وأرق رقية معتقها ۝ وقال حبيب إن العطاء  
إسار وتبعه من قال ۝ ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا ۝ وفزقوا بين الفعلين فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه كوعده  
وأوعده أي (هذا) الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا) بغير حساب يعني جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه  
وحصره (فامن) من المنة وهي العطاء أي فأعط منه ماشئت (أو أمسك) ممنوناً إليك التصرف فيه وفي قراءة ابن مسعود  
هذا فامن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب وهذا التسخير عطاؤنا فامن على من شئت من الشياطين بالإطلاق وأمسك من شئت  
منهم في الوفاق بغير حساب أي لا حساب عليك في ذلك (أيوب) عطف بيان و(إذ) بدل احتمال منه (أي مسني) بأن مسني  
حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولولم يحك لقال بأنه مسه لأنه لأنه غائب وقرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد  
وبفتحها وضمها فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على أصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى واحد  
وهو التعب والمشقة ۝ والعذاب الألم يريدمرضه وما كان يقاسى فيه من أنواع الوصب وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب  
الأهل والمال (فإن قلت) لم ينسبه إلى الشيطان ولا يجوز أن يسلمه الله على أنبيائه ليقضى من أتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر  
على ذلك لم يدع صالحا إلا وقد نكبه وأهلكه وقد تكرر في القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة لحسب (قلت) لما كانت  
وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سبيا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبة إليه وقد راعى الأدب في ذلك حيث  
لم ينسبه إلى الله في دعائه مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو وقيل أرادما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به  
من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ إلى الله تعالى في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه وردة  
بالصبر الجميل وروى أنه كان يعود ثلاثه من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل أتى إليه الشيطان إن الله لا يبتلي الأنبياء  
والصالحين وذكر في سبب بلائه أن رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهه ولم يغزه  
وقيل أعجب بكثرة ماله (اركض برجلك) حكاية ما أجيب به أيوب أي اضرب برجلك الأرض وعن قتادة هي أرض  
الجابية فضربها فنبعت عين فقيل (هذا مغتسل بارد وشراب) أي ماء تغتسل به وتشرب منه فيراً باطنك وظاهره وتقلب  
الجابية فقيل نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله وقيل  
ما بك قلبية وقيل نبعت له عينان فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها (رحمة منا وذكري) مفعول لها والمعنى  
ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها (رحمة منا وذكري) مفعول لها والمعنى  
أن الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الألباب لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبتهم في الصبر على البلاء وعاقبة  
الصابرين وما يفعل الله بهم (وخذ) معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش أوريحان أو غير ذلك وعن  
ابن عباس قبضة من الشجر كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برأ فقال الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها الحسن خدمتها  
إياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتى بخدج قد خبث بأمة فقال خذوا عشا كالا فيه مائة  
شماخ فاضربوه بها ضربة ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة إما أطرافها قائمة وإما أعراضها مبسوطة مع  
وجود صورة الضرب وكان السبب في يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة في حاجة فخرج صدره وقيل باعت ذواتها برغيفين وكانتا  
متعلق أيوب إذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة فأرد عليك ما لكم وأولادكم فهمت، بذلك فأدركتها العصمة فذكرت

(قوله من أنواع الوصب) في الصحاح الوصب المرض (قوله هي أرض الجابية) مدينة بالشام كما في الصحاح (قوله وتقلب  
ما بك قلبية) في الصحاح القلاب داء يأخذ البعير وقولهم ما به قلبية أي ليست به علة (قوله إنه أتى بخدج) الخراج النقصان  
وأخذت الناقة إذا جامت بولدها ناقص الخلق وإن كانت أيامه تامة فهي مخدج والولد مخدج كذا في الصحاح

ضَغْنًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ  
أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ۝ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ۝ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْآخِيَارِ ۝ وَاذْكُرْ  
إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْآخِيَارِ ۝ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنِّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَّآبٍ ۝ جَدَّتْ عَدْنٌ مَّفْتَحَةٌ

ذلك له خلف وقيل أو همها الشيطان أن أيوب إذا شرب الخمر برا فعرضت له بذلك وقيل سأله أن يقرب للشيطان بعناق  
(وجدناه صابراً) علمناه صابراً (فان قلت) كيف وجدته صابراً أو قد شككنا إليه ما به واسترحمه (قلت) الشكرى إلى الله عز و علا  
لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب عليه السلام إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وكذلك شكوى العليل إلى الطبيب وذلك  
أن أصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمنى العافية وطلبها فإذا صحح أن يسمى صابراً مع تمنى العافية وطلب الشفاء فليس  
صابراً مع اللجا إلى الله تعالى والدعاء بكشف ما به ومع العلاج ومشاورة الأطباء على أن أيوب عليه السلام كان يطلب  
الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس إليهم كما كان يوسوس إليه أنه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل  
ما ابتلى به وإرادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان ويروى أنه قال في مناجاته إلهي  
قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهني ماملكت يميني ولم آكل إلا ومعنى يتيم ولم أبت شعبان  
ولا كاسيا ومعنى جائع أو عريان فكشف الله عنه (إبراهيم وإسحق ويعقوب) عطف بيان لعبادنا ومن قرأ عبدا جمل  
إبراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدا وهي إسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس وإله أيك إبراهيم وإسماعيل  
وإسحق ۝ لما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت أيديهم وإن كان عملا لا يتأني  
فيه المباشرة بالأيدي أو كان العمال جزما لا أيدي لهم وعلى ذلك ورد قوله عز و علا (أولى الأيدي والأبصار) يريد  
أولى الأعمال والفكر كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون أفكار ذوى الديانات  
ولا يستبصرون في حكم الزمى الذين لا يقدر على أعمال جوارحهم والمسلوب العقول الذين لا استبصار بهم وفيه  
تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم  
ممكنين منها وقرئ أولى الأيادي على جمع الجمع وفي قراءة ابن مسعود أولى الأيدى على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة  
وتفسيره بالأيدي من التأييد قلق غير متمكن (أخلصناهم) جعلناهم خالصين (بخالصة) بخالصة لا شرب فيها ۝ ثم فسرها  
بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الإضافة والمعنى بما أخلص من  
ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر إنما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكراهم  
الآخرة دائبا ونسيانهم إليها ذكر الدنيا أو تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهدهم في الدنيا كما هو شأن الأنبياء ودينتهم  
وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذى ليس لغيرهم (فان قلت) ما معنى أخلصناهم بخالصة (قلت)  
معناه أخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبأنهم من أهلها أو أخلصناهم بتوفيقهم لها واللفظ بهم في اختيارها وتعاضد الأوتل  
قراءة من قرأ بخالصتهم (المصطفين) المختارين من أبناء جنسهم و(الآخيار) جمع خيرا وخير على التخفيف كالأموات  
في جمع ميت أو ميت (واليسع) كأن حرف التعريف دخل على يسع وقرئ واليسع كأن حرف التعريف دخل على  
ليسع فيعمل من اليسع ۝ والتنوين في (وكل) عوض من المضاف إليه معناه وكلهم من الآخيار (هذا ذكر) أى هذا نوع  
من الذكر وهو القرآن لما أجرى ذكر الأنبياء وأتمه وهو باب من أبواب التنزيل ونوع من أنواعه وأراد أن يذكر  
على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها قال هذا ذكر ثم قال (وإن للمتقين) كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم

قوله تعالى هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب (قال فيه إنما قال هذا ذكر ليدرك عقبه ذكرا آخر وهو ذكر الجنة

(قوله ولم يهني ماملكت يميني) أى لم ينشطى ولم يهيجنى من هبت الريح أى هاجت وهب البعير أى نشط كافي الصحاح

لَهُمُ الْآبُوابُ هُ مُمْسِكِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَسْكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ه وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْأَطْرَافِ أَرْبَابٌ ه هَذَا مَا تَدْعُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ه إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ه هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَثَابٍ ه جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبئْسَ الْمِهَادُ ه هَذَا فَلْيَذوقوه حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ه وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ه هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَأَمْرَحِبَابِهِمْ ه إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ه قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْرَحِبَابِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمْوه لَنَا فَبئْسَ الْقَرَارُ ه قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا

يشرع في باب آخر ويقول الكاتب إذا فرغ من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه أنه لما أتى ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال هذا وإن للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكرا جميل يذكرون به أبدا وعن ابن عباس رضي الله عنه هذا ذكر من مضى من الأنبياء (جنات عدن) معرفة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب و (مفتحة) حال والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والآبواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الآبواب كقولهم ضرب زيد باليد والرجل وهو من بدل الاشتغال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على أن جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره أو كلاهما خبر مبتدأ محذوف أي هو جنات عدن هي مفتحة لهم كأن اللغات سميت أترابا لأن التراب مسهن في وقت واحد وإنما جعل على سن واحدة لأن النحاب بين الأقران أثبت وقيل هن أتراب لا أزاجهن أسنانهن كأسنانهم قرئ يوعدون بالثناء والياء (ليوم الحساب) لا أجل يوم الحساب كما تقول هذا ما تذوقونه ليوم الحساب أي ليوم تجزى كل نفس ما عملت (هذا) أي الأمر هذا أو هذا كما ذكر (فبئس المهاد) كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما تحتم من النار بالمهاد الذي يفرشه النائم أي هذا حميم فليذوقوه أو العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتداء فقال هو (حميم وغساق) أو هذا فليذوقوه بمنزلة وإياي فارهبون أي ليدوقوا هذا فليذوقوه والغساق بالخفيف والتشديد ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين إذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحمزه والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لتنت أهل المغرب ولو قطرت منه قطرة في المغرب لتنت أهل المشرق وعن الحسن رضي الله عنه الغساق عذاب لا يعمله إلا الله تعالى ه إن الناس أخنوا الله طاعة فأخفى لهم ثوابا في قوله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة (وآخر) ومدركات آخر من شكل هذا المدرك من مثله في الشدة والفضاعة (أزواج) أجناس وقرئ وآخر أي وعذاب آخر أو مدرك آخر وأزواج صفة لآخر لأنه يجوز أن يكون ضربا أو صفة للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من شكاه وقرئ من شكاه بالكسر وهي لغة وأما الغنج فبالكسر لا غير (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كشاف قد اقتحم معكم النار أي دخل النار في صحبتكم وقرانكم والافتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أي يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لامرحبا بهم) دعاء مهم على أتباعهم تقول لمن تدعوه له مرحبا أي أتيت رحبا من البلاد لاضيقاً أو رحبت ببلادك رحبا ثم تدخل عليه لاني دعاء السوء وبهم بيان للدعوى عليهم (لأنهم صالوا النار) تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم ولامرحبا بهم لأنهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة (قالوا)

وأما كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر) قلت وكما ما يقول الفقيه إذا ذكر أدلة المسئلة عند تمام الدليل الأول هذا دليل ثان كذا وكذا إلى آخر ما في نفسه ويدل عليه أنه عند انقضاء ذكر أهل الجنة قال هذا

(قوله وقرئ من شكاه بالكسر وهي لغة) أي في الشكل بمعنى المثل (قوله وأما الغنج فبالكسر لا غير) في الصحاح الغنج والغنج الشكل وقد غنجت الجارية وتغنجت فهي غنجة وفيه الشكل بالفتح المثل وبالكسر الدل يقال امرأة ذات شكل

فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ۚ وَقَالُوا مَا لَنَا لَنْزِي رَجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ۚ أَخَذْنَا مِنْهُمُ الْخَبْرَ أَمْ ذَاتَ عَنَانٍ يَتَوَلَّوْنَ ۚ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ۚ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۚ رَبُّ

أى الاتباع (بل أنتم لا مرحبا بكم) يريدون الدعاء الذى دعوتهم به علينا أنتم أحق به وعللوا ذلك بقولهم (أنتم قدمتموه لنا) والضمير للعذاب أو لصليهم (فإن قلت) مامعى تقديمهم العذاب لهم (قلت) المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه بإغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل أنتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لأن العاملين هم المقدمون فى الحقيقة لا رؤسائهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه (فإن قلت) فالذى جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الحزنة ما يصنع بقوله بل أنتم لا مرحبا بكم والمخاطبون أعنى رؤسائهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا لهم (قلت) كأنه قيل هذا الذى دعا به علينا الحزنة أنتم يا رؤساء أحق به منا لإغرائكم إيانا وتسبيكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوى فارتكبوه فقيل للزينين أخزى الله هؤلاء ما أسوأ فعلهم فقال المزين لهم للزينين بل أنتم أولى بالخزى منا فلولا أنتم لم ترتكب ذلك (قالوا) هم الاتباع أيضا (فزده عذابا ضعفا) أى مضاعفا ومعناه ذاعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله عز وجل ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء فى التفسير عذابا ضعفا حيات وأفاعى (وقالوا) الضمير للطاغين (رجالا) يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم (من الأشرار) من الأراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولأنهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم أشرارا (أخذناهم سخرى) قرئ بلفظ الإخبار على أنه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الأشرار وبهمزة الاستفهام على أنه إنكار على أنفسهم وتأنيب لها فى الاستسخبار منهم وقوله (أم زأغت عنهم الأبصار) له وجهان من الاتصال أحدهما أن يتصل بقوله مالنا أى مالنا لا نراهم فى النار كأهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار إلا أنه خفي عليهم مكانهم والوجه الثانى أن يتصل بأخذناهم سخرى إما أن تكون أم متصلة على معنى أى الفعلين فعلنا بهم الاستسخبار منهم أم الأزدراء بهم والتحقيق وأن أبصارنا كانت تلو عنهم وتفحصهم على معنى إنكار الأمرين جميعا على أنفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخرى وزأغت عنهم أبصارهم محقرة لهم وإما أن تكون منقطعة بعد مضى أخذناهم سخرى على الخبر أو الاستفهام كقولك إنها لإبل أم شاء وأزيد عندك أم عندك عمرو ولك أن تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير همزته لأن أم تدل عليها فلا تفرق القراءتان إثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير فى وقالوا لصناديد قريش كأبى جهل والوليد وأضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال وأشباهم ۚ وقرئ سخرى بالضم والكسر (إن ذلك) أى الذى حكينا عنهم (لحق) لا بد أن يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو (تخاصم أهل النار) وقرئ بالنصب على أنه صفة لذلك لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس (فإن قلت) لم سى ذلك تخاصما (قلت) شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين من نحو ذلك ولأن

وإن للطاغين لشر مآب فذكر أهل النار ۚ قوله تعالى قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا وقال فى موضع آخر آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا والقصة واحدة (قلت) وفيه دليل على أن الضعفين اثنان من شىء واحد خلافا لمن قال غير ذلك لأنه فى موضع قال فزده عذابا ضعفا والمراد مثل عذابه فيكونا عذابين وقال فى موضعين ضعفين والمراد إذا عذابان ۚ قوله تعالى إن ذلك لحق تخاصم أهل النار (قال) إن قلت لم سى ذلك تخاصما قلت شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين من نحو ذلك ولأن قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل أنتم لا مرحبا بكم

(قوله وجاء فى التفسير عذابا) عبارة الخازن قال ابن عباس حيات وأفاعى (قوله وتأنيب لها) أى تعنيف ولوم أفاده الصحاح

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ قُلْ هُوَ نَبِيُّ عَظِيمٍ ۝ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ  
الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝ إِنَّ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ  
فَإِذَا سُوِّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ  
وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ۝

قول الرؤساء لامر حبا بهم وقول أتباعهم بل أنتم لامر حبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لاجل اشتماله  
على ذلك (قل) يا محمد لمشركي مكة ما أنا إلا رسول (منذر) أنذركم عذاب الله للبشر كين وأقول لكم إن دين الحق توحيد  
الله وأن يعتقد أن لا إله إلا الله (الواحد) بلادة ولا شريك (القهار) لكل شيء ۝ وأن الملك والربوبية له في العالم كله  
وهو (العزیز) الذي لا يغلب إذا عاقب العصاة وهو مع ذلك (الغفار) لذنوب من التجأ إليه ۝ أو قل لهم ما أنا  
إلا منذر لكم ما أعلم وأنا أنذركم عقوبة من هذه صفته فإن مثله حقيق بأن يخاف عقابه كما هو حقيق بأن يرجي ثوابه (قل  
هو نبأ عظيم) أي هذا الذي أنبأتكم به من كوني رسولا منذرا وأن الله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن مثله  
إلا غافل شديد الغفلة ۝ ثم احتج لصحة نبوته بأن ما ينبي به عن الملا الأعلى واختصاصهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علم ولم  
يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل إلا بالوحي من  
الله (إن يوحى إلى إلا إنما أنا نذير) أي لا إنما أنا نذير ومعناه ما يوحى إلى إلا للإنذار لحذف اللام وانتصب بإفشاء الفعل  
الفعل إليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى إلى إلا هذا وهو أن أندر وأبلغ ولا إفراط في ذلك أي ما أمر إلا بهذا الأمر  
وحده وليس إلى غير ذلك وقرئ إنما بالكسر على الحكاية أي لإلهذا القول وهو أن أقول لكم إنما أنا نذير مبين ولا أدعى  
شيأ آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم عليه السلام والإنباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس القرآن وعن الحسن يوم  
القيامة (فإن قلت) ثم تعلق إذ يختصمون (قلت) بمحذوف لأن المعنى ما كان لي من علم بكلام الملا الأعلى وقت اختصاصهم  
و(إذ قال) بدل من إذ يختصمون (فإن قلت) ما المراد بالملا الأعلى (قلت) أصحاب القصة الملائكة وآدم وإبليس لأنهم  
كانوا في السماء وكان التقاول بينهم (فإن قلت) ما كان التقاول بينهم إنما كان بين الله تعالى وبينهم لأن الله سبحانه وتعالى هو  
الذي قال لهم وقالوا له فأنت بين أمرين إيمان تقول الملا الأعلى هؤلاء وكان التقاول بينهم ولم يكن التقاول بينهم وإيمان  
تقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملا الأعلى (قلت) كانت مقابلة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول في  
الحقيقة هو الملك المتوسط فصح أن التقاول كان بين الملائكة وآدم وإبليس وهم الملا الأعلى والمراد بالاختصاص التقاول  
على ما سبق (فإن قلت) كيف صح أن يقول لهم (إني خالق بشرأ) وما عرفوا ما للبشر ولا عهدوا به قبل (قلت) وجهه أن  
يكون قد قال لهم إني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم (فإذا سوئته) فإذا أنمت  
خلقه وعدلته (ونفخت فيه من روحى) وأحييته وجعلته حساسا متنفسا (فقعوا) فخر واكل للإحاطة وأجمعون للاجتماع  
فأفادا معا أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلا سجد وأنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات  
(فإن قلت) كيف ساغ السجود لغير الله (قلت) الذي لا يسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة فأما على وجه التكرمة  
والتبجيل فلا ياباه العقل إلا أن يعلم الله فيه مفسدة فينبى عنه (فإن قلت) كيف استثنى إبليس من الملائكة وهو من الجن  
(قلت) قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملائكة ثم استثنى إبليس من الملائكة استثناء متصلا (وكان من  
من باب الخصومة) (قلت) هذا يحقق أن ما تقدم من قوله لامر حبا بكم منهم صلوا النار من قول المتكبرين الكفار  
وقوله تعالى بل أنتم لامر حبا بكم من قول الاتباع فالخصومة على هذا التأويل حصلت من الجهتين فيتحقق التخاصم خلافا  
لمن قال إن الأول من كلام خزنة جهنم والثاني من كلام الاتباع فإنه على هذا التقدير إنما تكون الخصومة من أحد الفريقين

الكافرين) أريد وجود كفره ذلك الوقت وإن لم يكن قبله كافراً لأن كان مطلق في جنس الأوقات الماضية فهو صالح لا يها شئت ويجوز أن يراد وكان من الكافرين في الأزمنة الماضية في علم الله (فإن قلت) ما وجه قوله (خلقت يدي) (قلت) قد سبق لنا أن ذا اليمين يباشر أكثر أعماله بيديه فغلب العمل باليمين على سائر الأعمال التي تباشر بغيرها حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل من لا يدي له يداك أو كتنا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى نما عملت أيدينا ولما خلقت يدي (فإن قلت) فما معنى قوله ما منعك أن تسجد لما خلقت يدي (قلت) الوجه الذي استنكر له إبليس السجود لآدم واستنكف منه أنه سجد لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر أن يكون سجوده لغير الخالق وانضم إلى ذلك أن آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ورأى للنار فضلاً على الطين فاستعظم أن يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وزلّ عنه أن الله سبحانه حين أمر به أعزّ عباده عليه وأقربهم منه زاني وهم الملائكة وهم أحق بأن يذهبوا بأنفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا أمر الله وجعلوه قدام أعينهم ولم يلتفتوا إلى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيماً لأمر ربهم وإجلالاً لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حرياً بأن يقتدى بهم ويقتفى أثرهم ويعلم أنهم في السجود لمن هو دونهم بأمر الله أو غل في عبادته منهم في انسجود له لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك أن تسجد لما خلقت يدي أي ما منعك من السجود لشيء هو كما تقول مخلوق خلقته يدي لا شك في كونه مخلوقاً أمثالاً لأمرى وإعظاماً لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد أمرك الله به يعني كان عليك أن تعتبر أمر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتباراً لسقوطه فيقول له ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى على سقوطه يريد هلاً اعتبرت أمرى وخطابي وتركت اعتبار سقوطه وفيه أي خلقته يدي فأنا أعلم بحاله ومع ذلك أمرت الملائكة أن يسجدوا لله لداعي حكمة دعاني إليه من إنعام عليه بالتمكينة

فالتفسير الأول أمكن وأثبت ه قوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت يدي ه (قال) فيه لما كان ذو اليمين يباشر أكثر أعماله بيديه غلب العمل باليمين على سائر الأعمال التي تباشر بغير اليمين حتى قيل في عمل القلب هذا مما عملت يداك ه ومعناه أن الوجه الذي استنكره إبليس السجود لآدم واستنكف بسببه أنه سجد لمخلوق مع أنه دون الساجد لأن آدم من طين وإبليس من نار فرأى للنار فضلاً على الطين وزلّ عنه أن الله سبحانه حين أمر أعز عباده عليه وأقربهم منه وهم الملائكة أن يسجدوا لهذا البشر لم يمتنعوا ولم يذهبوا بأنفسهم إلى التكبر مع انحطاطه عن مراتبهم فقيل له ما منعك أن تسجد لهذا الذي هو مخلوق يدي كما وقع لك مع أنه لا شك أن في ذلك أمثالاً لأمرى وإعظاماً لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له العلة التي منعت من السجود وقيل له ما حملك على اعتبار هذه العلة دون اعتبار أمرى ومثاله أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتباراً لسقوطه فيقول له ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى على سقوطه يريد هلاً اعتبرت أمرى وخطابي وتركت اعتبار سقوطه يريد هلاً اعتبرت أمرى وخطابي وتركت اعتبار سقوطه من الآية بعد تطويل وإطناب وإكثار وإسهاب (قلت) إنما أطال القول هنا ليفر من معتقدين لأهل السنة تشتمل عليهما هذه الآية ه أحدهما أن اليمين من صفات الذات أثبتتها السمع هذا مذهب أبي الحسن والقاضي بعد إبطالها حمل اليمين على القدرة فإن قدرة الله تعالى واحدة واليدان مذكورتان بصيغة التثنية وأبطلتا حملهما على النعمة بأن نعم الله لا تحصى فكيف تحصر بالتثنية وغيرهما من أهل السنة كإمام الحرمين وغيره يجوز حملهما على القدرة والنعمة ويجب عما ذكرناه بأن المراد نعمة الدنيا والآخرة وهذا مما يحق تفضيله على إبليس إذ لم يخاف إبليس لنعمة الآخرة وعلى أن المراد القدرة فالتثنية تعظيم ومثل ذلك يوجد في اللغة كثيراً ه المعتقد الثاني أن النبي أفضل من الملك والزخشرى شديد العصية في هذه المسئلة والإنكار على من قال

(قوله يداك أو كتنا) في الصحاح أو كى على ما في سقائه إذا شده بالوكاء (قوله حين أمر به أعز عباده) مبنى على مذهب المعتزلة أن الملك أفضل من البشر وعند أهل السنة البشر أفضل من الملك

قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ۝ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ  
الدِّينِ ۝ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ ۝ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۝ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۝ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ  
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ۝ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ

السنية وابتلاء للملائكة فمن أنت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الأمر بالسجود له وقيل معنى لما خلقت  
بيدي لما خلقت بغير واسطة ۝ وقرئ بيدي كما قرئ بمصرخي وقرئ بيدي على التوحيد (من العالمين) بمن علوت وقت  
فأجاب بأنه من العالمين حيث (قال أما حير منه) وقيل استكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمة  
التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لأن أم تدل عليه أو بمعنى الإخبار ۝ هذا على سبيل الأولى أي لو كان  
مخلوقا من نار لما سجدت له لأنه مخلوق مثلي فكيف أسجد لمن هو دوني لأنه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة  
الثانية من الأولى وهي (خلقتني من نار) مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه في البيان والإيضاح (منها) من الجنة  
وقيل من السموات وقيل من الحلقة التي أنت فيها لأنه كان يفخر بخلقه فغير الله خلقته فأسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد  
ما كان حسنا وأظلم بعد ما كان نورانيا ۝ والرجيم المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له المدحور والملعون لأن من طرد رمى  
بالحجارة على أثره والرجم الرمي بالحجارة أو لأن الشياطين يرجمون بالشهب (فإن قلت) قوله (لعنتي إلى يوم الدين) كأن لعنة  
إبليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع (قلت) كيف تنقطع وقد قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى  
أن عليه اللعنة في الدنيا فإذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكأنها انقطعت (فإن قلت) ما الوقت المعلوم الذي  
أضيف إليه اليوم (قلت) الوقت الذي تقع فيه الفخة الأولى ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من أجزائه ومعنى المعلوم  
أنه معلوم عند الله معين لا يستقدم ولا يستأخر (فبعزتك) إقسام بعزة الله تعالى وهي سلطانه وقهره ۝ قرئ فالحق والحق منصوبين  
على أن الأول مقسم به كالله في أن عليك الله أن تبايعا وجوابه (لأملأن) والحق أقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه  
ومعناه ولا أقول إلا الحق والمراد بالحق إماما اسمه عز وعلا الذي في قوله إن الله هو الحق المبين أو الحق الذي هو نقيض الباطل  
عظمه الله بإقسامه به ومرفوعين على أن الأول مبتدأ محذوف الخبر كقوله لعمر كأي فالحق قسمي لأملأن والحق أقول  
أي أقوله كقوله كله لم أصنع ومجرورين على أن الأول مقسم به قد أضمر حرف قسمه كقولك الله لأفعلن والحق أقول  
أي ولا أقول إلا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع أيضا  
وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الأول وجزءه مع نصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا (منك) من جنسك وهم الشياطين

بذلك من أهل السنة لا جرم أنه أجرم في بسط كلامه على آدم عليه السلام فمثل قصته في انحطاط مرتبته على زعمه عن  
مرتبة الملائكة بقول الملك لوزيره زر بعض سقاط الحشم فجعل سقاط حشم الملك مثالا لآدم الذي هو عنصر الانبياء  
عليهم السلام وأقام لإبليس عذره وصوب اعتقاده أنه أفضل من آدم لسكونه من نار وآدم من طين وإنما غلظه من  
جهة أخرى وهو أنه لم يقس نفسه على الملائكة إذ سجدوا له على علمهم أنه بالنسبة إليهم محطوط الرتبة ساقط المنزلة  
وجعل قوله تعالى لما خلقت بيدي وإنما ذكر تقريراً للعلة التي منعت إبليس من السجود وهو كونه دونه وهذا نساءل  
الله العصمة المراد منه ضد ما فهم الرخسرى وإنما ذكر ذلك تعظيماً لمعصية إبليس إذ امتنع من تعظيم من عظمه الله  
إذ خلقه بيده وذلك تعظيم لآدم لا تحقير منه ويدل عليه الحديث الوارد في الشفاعة إذ يقول له الناس عند ما يقصدونه  
فيها أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته وإنما يذكر ذلك في سياق تعدد كراماته  
وخصائصه لافياً يحط منه معاذ الله وإياه نساءل أن يعصمنا من مهاري الهوى ومهالكته وأن يرشدنا إلى سبيل الحق  
ومسالكه إنه ولي التوفيق وبالإجابة حقيق

أَجْمَعِينَ ۝ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ ۝ إِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ لِلْعَالَمِينَ ۝ وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ

## سورة الزمر مكية

إلا الآيات ۵۲ و ۵۳ و ۵۴ فمدنية وآياتها ۷۵ نزلت بعد سبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝ إِلَّا اللَّهُ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ۝ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا

(ومن تبعك منهم) من ذرية آدم (فإن قلت) (أجمعين) تأكيد لماذا (قلت) لا يخلو أن يؤكده الضمير في منهم أو الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لا ملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحداً أولاً ملاً منها من الشياطين ومن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من أولاد الأتقياء وغيرهم (عليه من أجر) الضمير للقرآن أو للوحي (وما أنا من المتكلمين) من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله وما عرفتموني قط متصنعاً ولا مدعياً ما ليس عندي حتى اتحل النبوة وأتقول القرآن (إن هو إلا ذكر) من الله (للعالمين) للثقلين أوحى إلى فأنا بلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للكتف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم (ولتعلن نبأه) أي ما يأتيكم عند الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام وفشوه من صحة خبره وأنه الحق والصدق رفيه تهديد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه أن يصر على ذنب صغير أو كبير

## سورة الزمر مكية وهي خمس وسبعون آية

﴿وقال ثنتان وسبعون آية إلا قوله قل يا عبادي الذين أسرفوا الآية وتسمى سورة الغرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (تنزيل الكتاب) قرئ بالرفع على أنه مبتدأ أخبر عنه بالظرف أو خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله أو غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان إلى فلان فهو على هذا خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله أو حال من التنزيل عمل فيها معنى الإشارة وبالنصب على إضمار فعل نحو اقرأ والزمر (فإن قلت) ما المراد بالكتاب (قلت) الظاهر على الوجه الأول أنه القرآن وعلى الثاني أنه السورة (مخلصاً له الدين) محضاً له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلصاً بفتح اللام كقوله تعالى وأخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله إلا الله الدين الخالص والخالص واحد إلا أن يصف الدين بصفة صاحبه على الإسناد المجازي كقولهم شعر شاعر وأما من جعل مخلصاً حالاً من العابد وله الدين مبتدأ وخبراً فقد جاء بإعراب رجع به الكلام إلى قولك لله الدين إلا الله الدين الخالص أي هو الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاع على الغيوب والأسرار ولأنه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها وعن قيادة الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله وعن الحسن الإسلام (والذين اتخذوا) يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى. عن ابن عباس رضى الله عنهما فالضمير في اتخذوا على الأول راجع إلى الدين وعلى الثاني إلى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوماً والراجع إلى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون أولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء (فإن قلت) فالخبر ما هو (قلت) هو على الأول إما (إن الله يحكم بينهم)



لَا صَافِيٍّ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ه خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ بِكُورِ الْبَلِّ عَلَى

أو ما أضمر من القول قبل قوله ما نعبدهم وعلى الثاني أن الله يحكم بينهم (فإن قلت) فإذا كان الله يحكم بينهم الخير فما موضع القول المضمر (قلت) يجوز أن يكون في موضع الحال أي قائلين ذلك ويجوز أن يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما أن المبدل منه كذلك وقرأ ابن مسعود بإظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي قراءة أبي ما نعبدكم إلا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة في الأمر والتثوين في عذاب أركض والضمير في بينهم لهم ولأولياهم والمعنى أن الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي تحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يحولهم وإياها حسب جهنم واختلافهم أن الذين يعبدون موحدون وهم مشركون وأولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم إلى الله زلفى وقيل كان المسلمون إذا قالوا لهم من خلق السموات والأرض أقروا وقالوا الله فإذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الأصنام قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فالضمير في بينهم غائد إليهم وإلى المسلمين والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين والمراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأر لا لطف لهم وأنهم في علم الله من الهالكين وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) يعني لو أراد اتخاذ الولد لا تمتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت إلا أن يصطفى من خلقه بفضله ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتم به وغررهم اختصاصه إياهم فزعمهم أنهم أولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الأجسام والأعراض كأنه قال لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفا ما يشاء من خلقه وهم الملائكة إلا أنكم لجهلكم به حسبتم اصطفاهم اتخذهم أولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهمكم فخذتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين متبالغين في الافتراء على الله وملائكته غالبين في الكفر ثم قال (سبحانه) فتره ذاته عن أن يكون له أحد ما نسبوا إليه من الأولاد والأولياء ودل على ذلك بما يتألفه وهو أنه واحد فلا يجوز أن يكون له صاحبة لأنه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له وإذا لم يتأت أن يكون له صاحبة لم يتأت أن يكون له ولد وهو معنى قوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وقهار غلاب لكل شيء ومن الأشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكرنون له أولياء وشركاء ثم دل بخلق السموات والأرض وتكوير كل واحد من الملوك على الآخر وأسخير النيرين وجريهما لأجل مسمى وبث اللبس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الأنعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يغالب والتكوير اللبس واللبس يقال كارت العمامة على رأسه وكورها وفيه أوجه منها أن الليل والنهار خلفه يذهب هذا ويغشى مكانه هذا وإذا غشى مكانه فكأنما ألبسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب تلوى الشايا بأحقها حواشيه إلى الملاء بأبواب التفاريح

### (القول في سورة الزمر)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار (قال المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا يلفظ بهم وأنه في علمه من الهالكين انتهى كلامه) قلت مذهب أهل السنة حمل هذه الآية وأمثالها على الظاهر فإن معتقدتهم أن معنى هداية الله تعالى للؤمن خلق الهدى فيه ومعنى إضلاله للكافر إزاحته عن الهدى وخلق الكافر له ومع ذلك فيجزز عند أهل السنة أن يخلق الله تعالى للكافر لطفًا يؤمن عنده طائعا خلافا للقدرية وغرضنا

(قوله متبالغين في الافتراء) لعله غالبين في الكفر (قوله بأحقها حواشيه) في الصحاح الحقو الإزار وثلاثة أحق وأصله أحقر على أفعل مخذف وأبدلت عن الضمة الكسرة فصار آخره ياء مكسورا ما قبلها فكان بمنزلة القاضى والغارى وفيه الملامة بالضم بمدود الربطة والجمع ملاء وفيه الربطة والملامة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقتين

النَّهَارَ وَيَكْوُرُ النَّهَارَ عَلَى الْيَلِيلِ وَنَحْرُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى الْإِلهُ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَآتَىٰ تَصْرُفُونَ ۝ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ

ومنها أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه فشبّه في تغيبه إياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الأبصار ومنها أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعاً فشبّه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على أثر بعض (ألهو العزيز) الغالب القادر على عقاب المصرين (الغفار) لذنوب التائبين أو الغالب الذي يقدر على أن يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم إلى أجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة ۝ (فإن قلت) ما وجه قوله (ثم جعل منها زوجها) وما يعطيه من معنى التراخي (قلت) هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالاً على وحدانيته وقدرته تشييب هذا الخلق الفاتت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه إلا أن إحداهما جعلها الله عادة مستمرة والأخرى لم تجربها العادة ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت أدخل في كونها آية وأجلب لعجب السامع فعطفها ثم على الآية الأولى للدلالة على مباينتها لها فضلاً ومزية وتراخيا عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كأنه قيل خلقكم من نفس وحدث ثم شفعها الله بزواج وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء (وأنزله لكم) وقضى لكم وقسم لأن قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كائن يسكنون وقيل لا تعيش الأنعام إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء فكانه أنزلها وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها (ثمانية أزواج) ذكرها وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز والزواج اسم لواحد معه آخر فإذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى (خلقاً من بعد خلق) حيواناً سوياً من بعد عظام مكسوة لحماً من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف ۝ والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن (ذالكم) الذي هذه أفعاله هو (الله ربكم ۝ فأتى تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره (فإن الله غنى عنكم) عن إيمانكم وإنكم المحتاجون إليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالإيمان (ولا يرضى لعباده الكفر) رحمة لهم لأنه يوقعهم في الهلكة (وإن تشكروا يرضه لكم) أى يرض الشكر لكم لأنه سبب فوزكم وفلاحكم فإن ما ذكره كفركم ولا يرضى شكركم إلا لكم وإصلاحكم لأن منفعة

التنبيه على مذهب أهل الحق لا غيره ۝ قوله تعالى ألهو العزيز الغفار (قال أى لذنوب التائبين انتهى كلامه) قلت الحق أنه تعالى غفار للتائبين ولمن يشاء من المصرين على مادون الشرك وقنوطهم من رحمة الله تعالى ولقد قيد الزمخشري الآية بما ترى ۝ قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها (قال فيه فإن قلت ما وجه العطف ثم في قوله ثم جعل وأجاب بأنهما آيتان الخ) قال أحمد إنما منعه من حمل ثم على التراخي في الوجود أنها وقعت بين خلق الذرية من آدم وخلق حواء منه وهو متقدم على الذرية فضلاً عن كونه متراخياً عن خلق الذرية فلم يستقم حملها على تراخي الوجود لما جعلها في الوجه الآخر متعلقة بمعنى واحدة على تقدير خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها يعنى شفعها بزواجها فكانت مهنا على بابها لتراخي الوجود والله سبحانه وتعالى أعلم ۝ قوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج (قال إنما جعلها منزلة لأن قضاياه تعالى وقسمه موصوفة بالنزول الخ قال أحمد ومن هذا النمط بعينه قول الراجز أسنمة الأيال في سخابة ۝ قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم (حمل الرضا على الإرادة والعباد على

فَيَذِيبُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ

ترجع إليه لأنه الغنى الذى لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله تعالى مانفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر فقال هذا من العام الذى أريد به الخاص وما أراد لإعبادته الذين عناهم في قوله إن عبادى ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون ، وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها (خوله) أعطاه قال أبو النجم أعطى فلم يبخل ولم يبخل ۝ كوم الذرى من خول المخول وفي حقيقته وجهان أحدهما جملة خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال إذ كان متهدداً له حسن القيام به ومنه ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة والثاني جعله يخول من خال يخول إذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب ۝ إن الغنى طويل الذيل مياس ۝ (ما كان يدعو إليه) أى نسي الضر الذى كان يدعو الله إلى كشفه وقيل نسي ربه الذى كان يتضرع إليه ويبتهل إليه وما بمعنى من كقوله تعالى وما خلق الذكور والأنثى ۝ وقرئ ليضل بفتح الياء وضمها بمعنى أن نتيجة جعله لله أنداداً ضلاله عن سبيل الله أو إضلاله والنتيجة قد تكون غرضاً في الفعل وقد تكون غير غرض وقوله (تمتع بكفرك) من باب الخذلان والتخلية كأنه قيل له إذ قد آيدت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة فمن حَقِّكَ ألا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشأنه لأنه لا مبالغة في الخذلان لأن أشد من أن يعث على عكس ما أمر به ونظيره في المعنى قوله متاع قليل ثم ما وأهم جهنم قرئ أمن هو قانت بالتخفيف على إدخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على إدخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن هو قانت كغيره وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل معناه أمن هو قانت أفضل أمن هو كافر أو أهذا أفضل أمن هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أفضل الصلاة طول القنوت وهو

العموم الخ) قال أحمد إن المصر على هذا المعتقد على قلبه رين أو في ميزان عقله غين أليس يدعى أو يدعى له أنه الخريت في مغائر العبارات وبديع الزمان في صناعة البديع فكيف نباعن جادة الإجابة فهما وأعار منادى الحذافة أذنا صما اللهم إلا أن يكون الهوى إذا تمسكن أرى الباطل حقاً وغطى سنى مكشوف العبارة فسحقاً بحقاً أليس مقتضى العربية فضلاً عن القوانين العقلية أن المشروط مرتب على الشرط لا يتصور وجود المشروط قبل الشرط عقلاً ولا ماضيه واستقبال الشرط لغة وعقلاً واستقر باتفاق الفريقين أهل السنة وشيعة البدعة أن إرادة الله تعالى لشكر عباده مثلاً مقدمة على وجود الشكر منهم فحينئذ كيف ساغ حمل الرضا على الإرادة وقد جعل في الآية مشروطاً وجزاء وجعل وقوع الشكر شرطاً وجزاء وباللزام من ذلك عقلاً تقدم المراد وهو الشكر على الإرادة وهي الرضا ولغة تقدم المشروط على الشرط والزخشرى أخص من قال إن المشروط متى كان ماضياً محضاً لزمته الفاء وقد كقولك إن تكرمنى فقد أكرمتك قبل وقد عريت الآية عن الحرفين المذكورين على أنه لا بد من تأويل يصح الشرطية مع ذلك فإذا ثبت بطلان حمل الرضا على الإرادة عقلاً ونقلًا تعين التماس الحمل الصحيح له وهو المجازاة على الشكر بما عهد أن يجازى به المرضى عنه من الثواب والكرامة فيكون معنى الآية والله أعلم وإن تشكروا يجازكم على شكركم جزاء المرضى عنه ولا شك أن المجازاة مستقبلة بالنسبة إلى الشكر فجرى الشرط والجزاء على مقتضاهما لغة وانتظم ذلك بمقتضى الأدلة العقلية على بطلان تقدم المراد على

(قوله ليثبت لله تعالى) وإنما يتم لو كان الرضا بمعنى الإرادة وهو مذهب المعتزلة وعند أهل السنة هو غيرها فكفر الكافر مراد غير مرضى وعند المعتزلة غير مراد ولا مرضى

سورة الزمر - من اصحاب النار ه امن هو قنت انا اليل ساجدا وقاما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ه قل يعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم الذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ه قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ه وأمرت لأن أكون أول المسلمين ه قل إنى أخاف إن عصيت ربي

القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لأنه دعاء المصلي قائماً (ساجداً) حال وقرئ ساجد وقائم على أنه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين ه وقرئ ويحذر ذاب الآخرة ه وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء تعظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويفتنون ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه أى كالأستوى العالمون والجاهلون كذلك لا يستوى القانتون والعاثون وقيل نزلت في عمار بن ياسر رضى الله عنه وأبى حذيفة ابن المغيرة المخزومى وعن الحسن أنه سئل عن رجل يتهدى في المعاصى ويرجو فقال هذا من وإنما الرجاء قوله وتلا هذه الآية ه وقرئ إنما يذكر بالإدغام (في هذه الدنيا) متعلق بأحسنوا لا بحسنة معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهى دخول الجنة أى حسنة غير مكتتبه بالوصف وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية (فإن قلت) إذا علق الظرف بأحسنوا فإعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح أن يقع صفة لها لتقدمه (قلت) هو صفة لها إذا تأخر فإذا تقدم كان بياناً لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وإن لم يكن التعلق وصفاً ومعنى (وأرض الله واسعة) أن لا عذر للمفرتين في الإحسان البتة حتى إن اعتلوا بأوطانهم وببلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الإحسان وصرف الهمم اليه قبل لهم فإن أرض الله واسعة وبلادهم كثيرة فلا يجتمعوا مع العجز وتحولوا إلى بلاد آخر واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحساناً إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم وقيل هو المدين كانوا في بلد المشركين فأمروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هى أرض الجنة و (الصابرون) الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشائرتهم وعلى غيرها من تجزع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير (بغير حساب) لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال وغير ميزان يعرف لهم عرفاً وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يهتدى إليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى أهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم دبران ويصب عليهم الأجر صفاً قال الله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قل إنى أمرت) بإخلاص الدين (وأمرت) بذلك لأجل (أن أكون أول المسلمين) أى مقدمهم وسابقهم في

الإرادة عقلاً ومثل هذا يقدر في قوله ولا يرضى لعباده الكفر أى لا يجازى غير الكافر مجازاة المغضوب عليه من الكمال والعقوبة ه قوله تعالى أمن هو قانت آنا الليل ساجداً وقاماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (قال سئل الحسن عن يتهدى على المعاصى ويرجو الخ) قال أحمد كلام الحسن رضى الله عنه صحيح غير منزل على كلام الزمخشري بقريته حاله فإن الحسن أراد أن المتهدى على المعصية هصر آلمها غير تائب إذا غلب رجاءه خوفه كان متمنياً لأن اللائق بهذا أن يغلب خوفه رجاءه ولم يرد الحسن إقباط هذا من رحمة الله تعالى وحاشاه وأما قريته حال الزمخشري فإنها تتم على ما أضمره من إيراده هذه المقالة بأن معتقده أن مثل هذا العاصى وإن كان موحداً يجب خلوده في نار جهنم ولا معنى لرجائه ولتتميته صحة هذا المعتقد أو رده مقالة الحسن كالتزام إلى تتميم هذه النزعة وعمما قليل يقرع سمعه ما فى أنباء هذه

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي ۝ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا  
 أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ  
 ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُونَ فَاتَّقُوا ۝ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى

الدنيا والآخرة والمعنى أن الإخلاص له السبقة في الدين فن أخاص كان سابقاً (فإن قلت) كيف عطف أمرت على أمرت  
 وهما واحد (قلت) ليسا بواحد لاختلاف جهتهما وذلك أن الأمر بالإخلاص وتكليفه شيء والأمر به ليحرز القائم  
 به نصب السبق في الدين شيء وإذا اختلف وجه الشيء وصفاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك أن تجعل اللام  
 مزيدة مثلها في أردت لأن أفعل ولا تزداد إلا مع أن خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضاً من ترك الأصل إلى  
 ما يؤول مقامه كما عوض السين في أسطاع عوضاً من ترك الأصل الذي هو أطوع والدليل على هذا الوجه مجيء بغير  
 لام في قوله وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرت أن أكون من المؤمنين وأمرت أن أكون أول من أسلم  
 وفي معناه أوجه أن أكون أول من أسلم في زمانى ومن قومي لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحطمها وأن  
 أكون أول الذين دعوتهم إلى الإسلام إسلاماً وأن أكون أول من دعا نفسه إلى مادعا إليه غيره لا كون مقتدى بي  
 في قولى وفعلى جميعاً ولا تكون صفتى صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون وأن أفعل ما أستحق به الأولية من  
 أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعنى أن الله أمرنى أن أخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليل  
 العقل والوحى ۝ فإن عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا أعصيه ولا أتابع أمركم وذلك حين دعوته إلى دين  
 آبائه (فإن قلت) ما معنى التكرير في قوله قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وقوله (قل الله أعبد مخلصاً له ديني)  
 (قلت) ليس بتكرير لأن الأول إخبار بأنه مأمور من جهة الله بإحداث العبادة والإخلاص والثانى إخبار بأنه  
 يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصاً له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره في الأول  
 فالكلام أولاً واقع فى الفعل نفسه وإيجاده وثانياً فيمن يفعل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم  
 من دونه) والمراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير المبالغة فى الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين قل  
 إن الكاملين فى الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه هم الذين خسروا أنفسهم لوقوعها فى هلكة لا هلكة بعدها (و) خسروا  
 (أهلهم) لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم  
 ذهاباً لا يرجع بعده إليهم وقبل وخسروهم لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل فى الجنة يعنى وخسروا  
 أهلهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسراهم بغاية الفظاعة فى قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين)  
 حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين (ومن تحتهم) أطباق  
 من النار هى (ظلال) لآخرين (ذلك) العذاب هو الذى يتوعد الله (به عباده) ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه (يا عباد فاتقون)

السورة ۝ قوله تعالى « قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين » إلى قوله « قل الله  
 أعبد مخلصاً له ديني » (قال فيه فإن قلت كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد وأجاب بأنه ليس بتكرير الخ) قال  
 أحمد ولقد أحسن فى تقوية هذا المعنى فى هذه الآية بقوله فاعبدوا ما شئتم من دونه فإن مقابلته بعدم الحصر توجب كونه  
 للحصر والله أعلم وما أحسن ما بين وجوه المبالغة فى وصف الله تعالى لفظاعة خسراهم فقال استأنف الجملة وصدرها  
 بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين وبين فى تسمية الشيطان طاغوتا وجوها  
 ثلاثة من المبالغة أحدها تسميته بالمعذر كأنه نفس الطغيان الثانى بناؤه على فعلوت وهى صيغة مبالغة كالرحوت وهى

(قوله وخسروهم لأنهم لم يدخلوا) لعله خسروهم بدون واو

فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ  
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ  
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعًا فِي الْأَرْضِ

ولا تعترضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى ونصيحة بالغة وقرئ يا عباد (الطاغوت) فعلوت من الطغيان  
كالملكوت والرحوت إلا أن فيها قبلًا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكونها مصدر أو فيها مبالغت  
وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فإن الرحوت الرحمة الواسعة والمملكوت الملك المبسوط  
والقلب وهو الاختصاص إذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها هنا الجمع وقرئ الطواغيت (أن يعبدوها) بدل من الطاغوت  
بدل الاشتغال (لهم البشرى) هي البشارة بالثواب كقوله تعالى «لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة» الله عز وجل يبشرهم  
بذلك في وحيه على السنة رسله وتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى «يوم ترى المؤمنين  
والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشرا كم اليوم جنات» وأراد بعباده (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)  
الذين اجتنبوا وابتغوا الأجرهم وإنما أرادهم أن يكونوا مع الاجتناب والإجابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير  
وأراد أن يكونوا نقاداً في الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فإذا اعترضهم أمران واجب وندب  
اختروا الواجب وكذلك المباح والندب حرصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثرا وابتغوا المذاهب واختياراً ثبتها  
على السبك وأقواها عند السبر وأبينها دليلاً أو أماراً وأن لا تكون في مذهبه كما قال القائل :

ولا تكن مثل غير قيد فانقاداً يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون أو أمر الله  
فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والإغضاء والإبداء والإخفاء لقوله تعالى «وأن تعفوا أقرب للتقوى  
وإن تحفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن  
ومساو فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفة من يقف على فبشر عبادي وابتدئ الذين يستمعون يرفعه  
على الابتداء وخبره (أولئك) أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة الإنكار  
والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره أنت مالك أمرهم فمن حق عليه  
العذاب فأنت تنقذه والهمزة الثانية هي الأولى كترت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير  
فالآية على هذا جملة واحدة ووجه آخر وهو أن تكون الآية جملتين أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه فأنت تنقذ من في النار  
وإنما جاز حذف فأنت تخلصه لأن فأنت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذه نفسه في دعائهم إلى الإيمان منزلة إنقاذهم من النار وقوله فأنت تنقذ يفيد أن الله تعالى  
هو الذي يقدر على الإنقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك أحد غيره فكما لا تقدر أنت أن تنقذ الداخل في النار من النار لا تقدر  
أن تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الإيمان فيه (غرف من فوقها غرف) علالي بعضها فوق بعض (فإن قلت)  
ما معنى قوله (مبنيّة) (قلت) معناه والله أعلم أنها بنيت بناء المنازل التي على الأرض وسويت تسويتها (تجري من تحت الأنهار)  
كما تجري من تحت المازل من غير تماوت بين العاق والسفل (وعدا لله) مصدره وكدلان قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك

الرحمة الواسعة والمملكوت وشبهه الثالث تقديم لامة على عينه ليفيد اختصاص الشيطان بهذه التسمية قوله تعالى  
«الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه» (قال يدخل تحت هذا المذاهب واختياراً ثبتها على السبك وأقواها عند السبر الخ)  
قال أحمد لقد كنت أطمع لعله رجع عما ضمن هذا الكتاب من المذاهب الرديئة والمعتقدات الفاسدة حتى حققت من كلامه  
هذا أن ذلك التصميم كان متمكناً من فؤاده الصميم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتربه مصفراً ثم يجعله حطماً إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب  
 أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال  
 مبين ۝ الله نزل أحسن الحديث كتبها مثاباً وتشبهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم

(أنزل من السماء ماء) هو المطر وقيل كل ماء في الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ثم يقسمه الله (فما كره) فأدخله  
 ونظمه (ينابيع في الأرض) عيوناً ومسالك ومجاري كالعروق في الأجساد (مختلفاً ألوانه) هيئته من خضرة وحمرة وصفرة  
 وبياض وغير ذلك وأصنافه من بز وشعير وسمسم وغيرها (يهيج) يتم جفافه عن الأصمى لأنه إذا تم جفافه حاله أن يشور  
 عن مثابته ويذهب (حطماً) فتاناً ودربناً (إن في ذلك لذكرى) لند كبيراً وتنبهاً على أنه لا بد من صانع حكيم وأن ذلك كائن  
 عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل وإهمال ويجوز أن يكون مثلاً للدنيا كقوله تعالى إنما مثل الحياة الدنيا كقطرة من الماء  
 وقرئ مصفراً (أفمن) عرف الله أنه من أهل اللطف فاطف به حتى انشرح صدره للإسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو  
 حرج الصدر قاسى القلب ۝ ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقبله يارسول الله كيف انشرح الصدر  
 قال إذا دخل النور القلب انفسح فتقبل يارسول الله فما علامة ذلك قال الإجابة إلى دار الخلود والتجاني عن دار  
 الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وهو نظير قوله أمن هو قات في حذف الخبر (من ذكر الله) من أجل ذكره  
 أي إذا ذكر الله عندهم أو آياته أشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجساً إلى رجسهم وقرئ عن  
 ذكر الله (فإن قلت) ما الفرق بين من وعن في هذا (قلت) إذا قلت قساوته من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من أن القسوة  
 من أجل الذكر وبسببه وإذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاء من العيمة أي  
 من أجل عطشه وسقاه عن العيمة إذا أرواه حتى أبعده عن العطش ۝ عن ابن مسعود رضى الله عنه أن أصحاب رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم ملؤا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وإيقاع اسم الله مبتداً وبناء نزل عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث  
 ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده إلى الله وإنه من عنده وإن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه وتنبه على  
 أنه وحى مبرز مبين لسائر الأحاديث و(كناياً) بدل من أحسن الحديث ويحتمل أن يكون حالاً منه (ومتشابهاً)  
 مطلق في مشابهة بعضه بعضاً فكان متناولاً لتشابه معانيه في الصحة والإحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق  
 وتناسب ألفاظه وتناسفها في التخيير والإصابة وتجارب نظمته وتأليفه في الإعجاز والسبكيت ويجوز أن يكون (مثاني)  
 بياناً لكونه متشابهاً لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لمثاني من قصصه  
 وأنبأته وأحكامه وأوامره ونواهيته ووعده ووعيدته ومواعظه وقيل لأنه يثنى في النلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه  
 ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعول من التثنية بمعنى التكرير والإعادة كما كان قوله تعالى  
 ثم أرجع البصر كرتين بمعنى كرتة بعد كرتة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك (فإن قلت) كيف وصف الواحد بالجمع  
 (قلت) إنما صبح ذلك لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفصيل الشيء هي جملة لا غير ألا تراك تقول القرآن أسباع  
 وأخماس وسور وآيات وكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الإنسان عظام وعروق  
 وأعصاب إلا أنك تركت المرصوف إلى الصفة وأصله كتاباً متشابهاً فصولاً مثاني ويجوز أن يكون كقولك برمة أذشار  
 وثوب أخلاق ويجوز أن لا يكون مثاني صفة ويكون منتصباً على التمييز من متشابهاً كما تقول رأيت رجلاً حسناً مثاناً  
 والمعنى متشابهة مثانيه (فإن قلت) ما فائدة التثنية والتكرير (قلت) النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة فمالم

(قوله فتاناً ودربناً) في الصحاح الدر بن خطام المرعى إذا قدم وهو ما بلى من الحشيش  
 (قوله لا يتفه ولا يتشان) في الصحاح النافه الحقيير اليسير وفيه تشانت الفربة أخلقت وتشان الجلد يبس وتشنج

وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكُمْ هَدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهٖ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ  
سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ۚ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ  
حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۚ فَادْفَقَهُمُ اللَّهُ الْحَزَنَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۚ وَلَقَدْ  
ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۚ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۚ

يكرر عليها عودا عن يده لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعاً ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضاً شديداً وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس مضمراً إليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعياً ودالاً على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز أن يريد به الله سبحانه التمثيل تصويراً لإفراط خشيتهم وأن يريد التحقيق والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم إذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة (فإن قلت) ما رجه تعدية لأن يالي (قلت) ضمن معنى فعل متعد بالي كأنه قيل سكنت أو اطمأنت إلى ذكر الله لينة غير متقبضة راجية غير خاشية (فإن قلت) لم أقصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة (قلت) لأن أصل أمره الرحمة والرافة ورحمته هي سابقة غضبه فلاصلة رحمته إذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته إلا كونه رؤفاً رحماً (فإن قلت) لم ذكرت الجلود وحدها أولاً ثم قرنت بها القلوب ثانياً (قلت) إذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكانه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في أول وهلة فاذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة ليناً في جلودهم (ذلك) إشارة إلى الكتاب وهو (هدى الله يهدي به) يوفق به من يشاء يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى المتقين (ومن يضل الله) ومن يخذله من الفساق والفجرة (فما له من هاد) أو ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله أي أثر هداة وهو لطفه فسماه هدى لأنه حاصل بالهدى يهدي به بهذا الأثر من يشاء من عباده يعني من صحب أولئك ورآهم خاشين راجين فكان ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضل الله ومن لم يؤثر فيه أظافه لقسوة قلبه وإصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه إياه واتناه بيده وتقديره (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) كمن أمن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه أن الإنسان إذا اتقى مخوفاً من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يبق بها وجهه لأنه أعز أعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولاً يده إلى عنقه فلا يتبأله أن يتقى النار إلا بوجهه الذي كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في أبي جهل وقيل لهم خزنة النار (ذوقوا) وبال (ما كنتم تكسبون) من حيث لا يشعرون) من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتهم منها بينما هم آمنون رافهون إذ فوجئوا من مأمهم ۚ والحزى الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما أشبه ذلك من نكال الله (قرآنا عربياً) حال مؤكدة

قوله تعالى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة (قال فيه معناه) كمن هو آمن فحذف الخبر أسوة أمثاله الخ) قال أحمد الملقى في النار والعياذ بالله لم يقصد الانتقام بوجهه ولكنه لم يجد ما يتقى به النار غير وجهه ولو وجد انعمل فلما لقيها بوجهه كانت حاله حال

(قوله من الخوف وقف شعره) أي قام من الفرع كذا في الصحاح (قوله ومن يخذله من الفساق) تأويل الضلال بذلك مبنى على مذهب المعتزلة أن الله لا يخلق الشر وعند أهل السنة أنه يخلقه كالخير فالإضلال خلق الضلال في القلب



ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ه فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ

كقولك جاءني زيد رجلا صالحا وإنسانا عاقلا ويجوز أن ينتصب على المدح (غير ذى عوج) مستقيما برئنا من التناقض والاختلاف (فإن قلت) فهلا قيل مستقيما أو غير معوج (قلت) فيه فائدتان إحداهما نفي أن يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثانية أن لفظ العوج يختص بالمعاني دون الأعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وأنشد وقد أتاك يقين غير ذى عوج ه من الإله وقول غير مكذوب

واضرب لقومك مثلا وقل لهم ماتقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعى أنه عبدهم فهم يتجادون ويتعاونون في مهن شتى ومشاده وإذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير في أمره سادر قد أشبعت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره لا يدري أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخاص له فهو معتق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع أي هذين العبدان أحسن حالا وأجمل شأنا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعى كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال تعالى ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متعيرا ضائعا لا يدري أيهم يعبد وعلى ربوبية أيهم يعتمد ومن يطلب رزقه ومن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع وحال من لم يثبت إلا إلهها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما أرضاه وما أسخطه متفضل عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله و (فيه) صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاحس الاختلاف تقول تشاكست أو تشاحست أسانه (سالمًا لرجل) خالصا وقرئ سلما بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرهما مع سكون العين وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل أي داخلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة وقرئ بالرفع على الابتداء أي وهناك رجل سالم لرجل وإنما جعله رجلا ليكون أفطن لما شقى به أو سعد فإن المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك (هل يستويان مثلا) هل يستويان صفة على التمييز والمعنى هل يستوى صفتاهما وحالهما وإنما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى وأكثر أموالا وأولادا مع قوله أشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ مثلين أن يكون الضمير في يستويان للمثلين لأن التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع إلى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين (الحمد لله) الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه أي يجب أن يكون الحمد متوجها إليه وحده والعبادة فقد ثبت أنه لا إله إلا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم مرته فأخبر أن الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالقاني وعن قتادة نعى إلى نبيه نفسه ونعى إليكم أنفسكم وقرئ مانت وماتون والفرق بين الميت والمات أن الميت صفة لازمة كالسيد وأما المانت فصفة حادثة تقول زيد مانت غدا كما تقول ساند غدا أي سيموت وسيسود

المتقى بوجهه فعبر عن ذلك بالاتقاء من باب المجاز التمثيلي والله أعلم ه قوله تعالى إنك ميت وإنا هم ميتون (قال فيه قرئ إنك ميت ومات الخ) قال أحمد فاستعمال ميت مجاز إذا الخطاب مع الأحياء واستعمال مانت حقيقة إذ لا يعطى اسم الفاعل وجود الفعل حال الخطاب ونظيره قوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها يعني توفى الموت والتي لم تمت في منامها أي بتوفاهما حين المنام تشبيها للنوم بالموت كقوله وهو الذي يتوفىكم بالليل فيمسك الأنفس التي قضى عليها الموت الحقيقي أي لا يردها في وقتها حية ويرسل الأخرى أي النائمة إلى الأجل الذي سماه أي قدره لموتها الحقيقي هذا أوضح ما قيل في تفسير الآية والله أعلم

(قوله في أمره سادر) في الصحاح السادر المتحير (قوله فهمه شعاع) بالفتح أي متفرق وقولهم ها أوزاع من الناس أي جماعات كذا في الصحاح (قوله ونعى إليكم أنفسكم) لعلة إليهم أنفسهم

عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصَّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۗ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ  
أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۗ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۗ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا  
وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ

وإذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه فيما يرجع إلى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله (إنك ميت وإنهم ميتون) إنك وإياهم وإن كنتم أحياء فأنتم في عداد الموتى لأن ما هو كائن فكأن قد كان (ثم إنكم) ثم إنك وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب (تختصمون) فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا فاجتهدت في الدعوة فلبجوا في العناد ويعتذرون بمالاطائل تحته تقول الاتباع أطعنا سادتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون وقد حمل على اختصاص الجميع وأن الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدى المؤمنين الكافرين يكتبونهم بالحجج وأهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتاب قلنا كيف نختم ونبيننا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها نزلت فينا وقال أبو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن إبراهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن إخوان فلما قتل عثمان رضى الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام الله هو ما قدمت أولا ألا ترى إلى قوله تعالى فمن أظلم ممن كذب على الله وقوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو إلا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة (كذب على الله) افتري عليه بإضافة الولد والشريك إليه (وكذب بالصدق) بالأمر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (إذ جاءه) فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لإعمال روية واهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون (مثنوى للكافرين) أى لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في للكافرين إشارة إليهم (والذي جاء بالصدق وصدق به) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالصدق وآمن به وأراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى إياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال (أولئك هم المتقون إلا أن هذا في الصفة وذلك في الاسم ويجوز أن يريد والفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق به بالتخفيف أى صدق به الناس ولم يكذبهم به يعنى أداه إليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل صار صادقا به أى بسببه لأن القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يده ولا يجوز أن يصدق إلا لصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقرئ وَصَدَّقَ بِهِ (فإن قلت) ما معنى إضافة الأسوأ والأحسن إلى الذي عملوا وما معنى التفضيل فيهما (قلت) أما الإضافة فهاهي من إضافة أفعل إلى الجملة التي يفضل عليها ولكن من إضافة الشيء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الأشج أعدل بنى مروان وأما التفضيل فأيدان بأن السيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الأسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه هو عند الله الأحسن لحسن إخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالأسوأ وحسنهم بالأحسن وقرئ أسوأ الذي عملوا جمع سوء (أليس الله بكاف عبده) أدخلت همزة الإنكار على كلمة النبي فأفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها قرئ بكاف عبده وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكاف عباده وهم الأنبياء وذلك أن قرىشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نخاف أن تحبلك آلهتنا وإنا نخشى عليك معرفتها لعيبك

(قوله وإنا نخشى عليك معرفتها) أى أتمتها أفاده الصحاح

يُضِلُّ اللَّهُ قَوْمًا مِّنْ هَادٍ ۖ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ۝ وَآتَيْنَا سَالِمِينَ  
مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ  
هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝  
قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمَلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝  
إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ

إياها ويروى أنه بعث خالدًا إلى العزى ليكسرها فقال له سادنها أحذر كها يا خالد إن لها لشدة لا يقوم لها شيء فعمد  
خالدًا إليها فهشم أنفها فقال الله عز وجل أليس الله بكاف عبده أن يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن  
الخوف وفي هذاتكم بهم لأنهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضرر أو أليس الله بكاف عبده ولقد قالت أمهم نحو ذلك فكفاهم  
الله وذلك قول قوم هود إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ويجوز أن يريد العبد والعباد على الإطلاق لأنه كافيهم  
في الشدائد وكافل مصالحهم وقرئ بكافي عباده على الإضافة ويكافي عباده ويكافي يحتمل أن يكون غير مهموز مفاعلة  
من الكفاية كقولك يجازي في يجزي وهو أبلغ من كفي لبناؤه على لفظ المبالغة والمبالاة أن يكون مهموزًا من المكافأة  
وهي المجازاة لما تقدم من قوله ويجزيهم أجرهم (بالذين من دونه) أراد الأوثان التي اتخذها آلهة من دونه (بعزير)  
بغالب منيع (ذو انتقام) ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم قرئ  
كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الأصل وبالإضافة للتخفيف (فإن قلت) لم فرض المسئلة في نفسه دونهم  
(قلت) لأنهم خوفوه معزة الأوثان وتخيلها فأمر بأن يقزروهم أولاً بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير  
فإذا أرادني خالق العالم أقررتم به بضر من مرض أو فقر أو غير ذلك من النوازل أو برحمة من صحة أو غنى أو نحوهما  
هل هؤلاء اللاتي خوفتموني إياهن كاشفات عنى ضره أو ممسكات رحمته حتى إذا ألقمهم الحجر وقطعهم حتى لا يجيروا  
بينت شفة قال (حسبي الله) كافيًا لمعزة أو ثباتكم (عليه يتوكل المتوكلون) وفيه تهكم ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم  
سألهم فسكتوا فنزل قل حسبي الله (فإن قلت) لم قيل كاشفات وممسكات على البأنث بعد قوله تعالى ويخوفونك بالذين  
من دونه (قلت) أنهن وكن إناثًا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى  
الكم الذكر وله الأنثى ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجز عما طالبهم به من كشف الضر وإمسك الرحمة لأن  
الأنوثة من باب اللين والرخاوة كما أن الذكورة من باب الشدة والصلابة كأنه قال الإناث اللاتي هن اللات والعزى  
ومناة أضعف مما تدعون لهن وأعجز وفيه تهكم أيضا (على مكاتكم) على حالكم التي أنتم عليها وجهتم من العداوة التي  
تمسكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العزى للمعنى كما يستعار هنا وحيث الزمان وهما للمكان (فإن قلت)  
حق الكلام فإني عامل على مكاتني فلم حذف (قلت) للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والإبذان بأن حاله لا تنق  
وتزداد كل يوم قوة وشدة لأن الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله ألا ترى إلى قوله (فسوف تعلمون من يأتيه)  
كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبًا عليهم في الدنيا والآخرة لأنهم إذا أنام الخزي والعذاب فذاك عزه وغلبته  
من حيث أن الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه وبذل ذليل من أعدائه (بخزيه) مثل مقيم في وقوعه صفة للعذاب أي  
عذاب يخزله وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار وقرئ مكاتكم (للناس) لأجلهم ولأجل حاجتهم إليه  
ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم إلى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لي إلى ذلك فأنا الغني فمن اختار الهدى فقد  
نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لنجبرهم على الهدى فإن التكليف مبني على الاختيار دون

بَوَكِيلٍ ۝ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ  
إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أُولَٰئِكَ  
لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ۚ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۚ لِمَنْ مَلَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۚ وَإِذَا  
ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۚ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۚ  
قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۚ

الإجبار (الأنفس) الجمل كما هي ۝ وتوفيها إمامتها وهو أن يسلب ما هي به حية حساسة ذراكة من صحة أجزائها وسلامتها  
لأنها عند سلب الصحة كأن ذاتها قد سلبت ( والتي لم تمت في منامها) يريد ويتوفي الأنفس التي لم تمت في منامها أي يتوفاها  
حين تمام تشبها للنائم بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما أن الموتى  
كذلك ( فيمسك ) الأنفس ( التي قضى عليها الموت ) الحقيقي أي لا يردّها في وقتها حية ( ويرسل الأخرى ) النائمة ( إلى  
أجل مسمى ) إلى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفي الأنفس يستوفيا ويقبضها وهي الأنفس التي تكون معها الحياة والحركة ويتوفي  
الأنفس التي لم تمت في منامها وهي أنفس التمييز قالوا فالتى تتوفي في النوم هي نفس التمييز لأن نفس الحياة لأن نفس الحياة إذا زالت زال  
معها النفس والنائم يتنفس وروا عن ابن عباس رضي الله عنهما في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها  
العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت أو لأن الله عز  
وعلاقتى التوفى والموت والمنام جميعا بالأنفس وما عداها نفس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم  
وإنما الجملة هي التي تموت وهي التي تمام ( إن في ذلك ) إن في توفى الأنفس مائة وناائمة وإمسا كهوا وإرسالها إلى أجل آيات على قدرة  
الله وعلمه لقوم يجلبون فيه أفكارهم ويعتبرون ۝ وقرئ قضى عليها الموت على البناء المفعول ( أم اتخذوا ) بل اتخذ  
قريش والهمزة للإنكار من دون الله من دون إذنه شفعا حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده أحد  
إلا بإذنه ألا ترى إلى قوله تعالى ( قل لله الشفاعة جميعا ) أي هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة إلا بشرطين أن يكون  
المشفوع له مرضى وأن يكون الشفيع مأذونا له وههنا الشرطان مفقودان جميعا ( أو لو كانوا ) معناه أيشفعون ولو كانوا  
( لا يملكون شيئا ولا يعقلون ) أي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم ( له ملك  
السموات والأرض ) تقرير لقوله تعالى الله والشفاعة جميعا لأنه إذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها  
( فإن قلت ) بم يتصل قوله ( ثم إليه ترجعون ) ( قلت ) بما يليه معناه له ملك السموات والأرض اليوم ثم إليه ترجعون  
يوم القيامة فلا يكون الملك في ذلك اليوم إلا لله فله ملك الدنيا والآخرة مدار المعنى على قوله وحده أي إذا أفرده الله  
بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم اشتمأزوا أي نفروا وانقبضوا ( وإذا ذكر الذين من دونه ) وهم آلهتهم ذكر الله معهم أولم  
يذكر استبشروا لاقتنائهم بها ونسيانهم حق الله إلى هوانهم فيها وقيل إذا قيل لا إله إلا الله وحده لا شريك له نفروا لأن  
فيه نفيا لآلهتهم وقيل أراد استبشارهم بما سبق إليه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر آلهتهم حين قرأ  
والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشتمزاز إذ كل واحد منهما غاية في بابه لأن  
الاستبشار أن يمتلي قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشتمزاز أن يمتلي غما وغيظا حتى يظهر الانقباض  
في أديم وجهه ( فإن قلت ) ما العامل في إذا ذكر ( قلت ) العامل في إذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا

( قوله وقت الاستبشار بعل رسول الله ) في الصحاح بعل الرجل بالكسر أي دهش ( قوله وعن الربيع بن خثيم )

في النسفي خثيم

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَّاهُمْ مِنْ  
 اللَّهُ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ۚ وَبَدَّاهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۚ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ  
 ضِرٌّ دَعَا نَادِيَهُ إِذَا خَوْلَانَهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلِ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۚ قَدْ قَالَهَا

وقت الاستبشار بعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وبشدة شكيمتهم في الكفر والعناد فقيل له ادع الله بأسمائه  
 العظمى وقل أنت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالمهم وإعذار لرسول الله صلى  
 الله عليه وسلم وتسلية له ووعد لهم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط  
 على قاتله وقالوا الآن يتكلم فما زاد على أن قال آه أو قد فعلوا وقرأ هذه الآية وروى أنه قال على أثره قتل من كان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه (وبداهم من الله) وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدته وهو  
 نظير قوله تعالى في الوعد فلا تعلم نفس ما أخفى لهم والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم  
 يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فإذا هي سيئات وعن سفیان الثوري أنه قرأها فقال ويل لأهل  
 الرياء ويل لأهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فأنا أخشى  
 أن يدولى من الله ما لم أحسبه (وبداهم سيئات ما كسبوا) أي سيئات أعمالهم التي كسبوها أو سيئات كسبهم حين تعرض  
 صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه أو أراد بالسيئات أنواع العذاب التي يجازون بها على  
 ما كسبوا فسمها سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق بهم) ونزل بهم وأحاط جزاء هزمهم ۚ التخويل مختص  
 بالفضل يقال خولني إذا أعطاك على غير جزاء (على علم) أي على علم مني أني سأعطاه لما في من فضل واستحقاق  
 أو على علم من الله بي وباستحقاق أو على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندي (فإن قلت) لم ذكر  
 الضمير في أوتيته وهو للنعمة (قلت) ذهابه إلى المعنى لأن قوله نعمة من شياً من النعم وفسما منها ويحتمل أن تكون  
 ما في إنما موصولة لا كافة فيرجع إليها الضمير على معنى أن الذي أوتيته على علم (بل هي فتنة) إنكار لقوله كأنه قال  
 ما خولناك ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة أي ابتلاء وامتحان لك أنشكر أم تكفر (فإن قلت) كيف ذكر  
 الضمير ثم أنه (قلت) حملا على المعنى أولا وعلى اللفظ آخرأ ولأن الخبر لما كان مؤثرا أعنى فتنة ساغ تأنيث المتبدا  
 لأجله لأنه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق إنما أوتيته (فإن قلت) ما السبب في عطف هذه الآية  
 بالباء وعطف مثلها في أول السورة بالواو (قلت) السبب في ذلك أن هذه وقعت مسيبة عن قوله وإذا ذكر الله وحده اشتمزت  
 على معنى أنهم يشتمون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فإذا مس أحدهم ضر دعامن اشتمز من ذكره دون من

قوله تعالى ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة (قال فيه معناه على علم من الله بي وباستحقاق الخ)  
 قال أحمد كذلك يقول على قدرى تمنى على الله أن يشبهه في الآخرة أن الفرق بين حمد الدنيا وحمد الآخرة أن حمد الدنيا  
 واجب على العبد لأنه على نعمة منفضل بها وحمد الآخرة ليس بواجب عليه لأنه على نعمة واجبة على الله عز وجل ولقد  
 صدق الله إذ يقول وهي فتنة إنما سلم منها أهل السنة إذ يعتقدون أن الثواب بفضل الله وبرحمته لا باستحقاق ويتبعون  
 في ذلك قول سيد البشر صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة بعمله قيل ولأنك يا رسول الله قال ولأننا إلا أن يتغمدني  
 الله برحمته فما أحق من منى نفسه وركب رأسه وطمع أنه يستحق على الله الجنة (قال فإن قلت لم عطف هذه الآية على  
 التي قبلها بالفاء والآية التي قبلها في أول السورة بالواو وأجاب بأن هذه الآية مسيبة عن قوله وإذا ذكر الله الخ) قال  
 أحمد كلام جليل فافهمه فضلا عن مشبه قليل

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۚ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ  
سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي  
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۚ قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أُسْرِفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ  
الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۚ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَبُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ۚ

استبشر بذكره وما بينهما من الآي اعتراض (فإن قلت) حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه (قلت) مافي  
الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بأمر منه وقوله أنت تحكم بينهم ثم ما عقبه من الوعيد العظيم  
تأكيد لإنكار اشمزازهم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله في الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل يا رب لا يحكم بيني وبين  
هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجراءة ويرتكبون مثل هذا المنكر إلا أنت وقوله ولو أن الذين ظلموا متناول  
لهم ولكل ظالم إن جعل مطلقاً أو إياهم خاصة إن عنيتهم به كأنه قيل ولو أن هؤلاء الظالمين مافي الأرض جميعاً ومثله  
معه لافتدوا به حين أحكم عليهم بسوء العذاب وهذه الأسرار والنكت لا يبرزها إلا علم النظم والإبقيت محتججة في أحكامها  
وأما الآية الأولى فلم تقع مسيبة وما هي إلا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو وكقولك قام زيد وقعد عمرو  
(فإن قلت) من أي وجه وقعت مسيبة والاشمزاز عن ذكر الله ليس بمقتضى الالتجاء إليه بل هو مقتضى لصدوفهم  
عنه (قلت) في هذا التسبيب لطف وبيان أنك تقول زيد مؤمن بالله فإذا مسه ضر التجأ إليه فهذا تسبيب ظاهر لالابس  
فيه ثم تقول زيد كافر بالله فإذا مسه ضر التجأ إليه فجيء بالفاء مجيئك به ثمة كأن الكافر حين التجأ إلى الله التجاء المؤمن  
إليه مقيم كفره مقام الإيمان ومجريه مجراه في جعله سبياً في الالتجاء فأنت تحكي ما عكس فيه الكافر الأثرى أنك تقصد  
بهذا الكلام والإنكار والتعجب من فعله ۚ الضمير في (قالها) راجع إلى قوله إنما أوتيته على علم لأنها كلمة أو جملة  
من القول ۚ وقرئ قد قاله على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال إنما أوتيته على  
علم عندي وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون في الأمم الخالية آخرون قائلون مثلها (فما أغنى عنهم  
ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا ويجمعون منه (من هؤلاء) من مشركي قومك (سيصيبهم) مثل ما أصاب أولئك  
فقتل صنابيرهم بيد وحبس عنهم الرزق ففحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فطروا سبع سنين فقيل لهم (أولم يعلموا)  
أنه لا قابض ولا باسط إلا الله عز وجل (أسرفوا على أنفسهم) جنوا عليها بالإسراف في المعاصي والغلو فيها (لا تقنطوا)  
قرئ بفتح النون وكسرها وضمها (إن الله يغفر الذنوب جميعاً) يعني بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن  
فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكراً له فيما لم يذكر فيه لأن القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفي قراءة ابن عباس  
وابن مسعود يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لأن مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله لا للملكه وجبروته  
وقيل في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة رضي الله عنها يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله  
تعالى ولا يخاف عقابها وقيل قال أهل مكة يزعم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم تهاجر وقد  
عبدنا الأوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت وروى أنه أسلم عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا  
فافتنوا فكتنا نقول لا يقبل الله لهم صرفاً ولا عدلاً أبداً فنزلت فكتب بها عمر رضي الله عنه إليهم فأسلموا وهاجروا وقيل نزلت

(قوله المعترض بينه وبينه) لعل قوله وبينه مزيد من بعض الناسخين (قوله لصدوفهم عنه) أي إعراضهم أفاده الصحاح  
(قوله يعني بشرط التوبة) عند التوبة فالعموم شامل للشرك وعند عدمها فلا غفران للكبائر عند المعتزلة ويجوز بالشفاعة  
وبعزاد الفضل عند أهل السنة «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» كما تفرز في علم التوحيد فارجع إليه

وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۚ أَنْ تَقُولَ  
نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ ۚ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ  
مِنَ الْمُتَّقِينَ ۚ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۚ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ آيَاتِي

في وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب أنلى الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل  
يارسول الله ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات (وأنيبوا إلى ربكم) وتوبوا إليه (وأسلموا  
له) وأخلصوا له العمل وإنما ذكر الإنابة على أثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على أنها شرط  
فيها لازم لا تحصل بدونها (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (وأنتم  
لا تشعرون) أى يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم وسهولكم (أن تقول نفس) كراهة أن تقول (فإن  
قلت) لم نكرت (قلت) لأن المراد بها بعض الأنفس وهى نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس متميزة من الأنفس إما  
بإجاء في الكفر شديد أو بعذاب عظيم ويجوز أن يراد التكسير كما قال الأعشى

ورب بقيع لو هتفت بجؤه ۚ أتانى كريم ينفض الرأس مغضبا

وهو يريد أفواجا من الكرام ينصرونه لا كريمة واحداً ونظيره ربّ بلد قطعت ورب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة  
ولا يقصد إلا التكسير ۚ وقرئ يا حسرتى على الأصل ويا حسرتاى على الجمع بين العوض والمعوض منه والجنب الجانب  
يقال أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان بين الجنب والجانب ثم قالوا فرطت فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه قال سابق  
البربرى أما تتقين الله فى جنب وامق ۚ له كبد حرى عليك تقطع

وهذا من باب الكناية لأنك إذا أثبت الأمر فى مكان الرجل وحيزه فقد أثبتته فيه ألا ترى إلى قوله :

إن الساحة والمرومة والسدى ۚ فى قبة ضربت على ابن الحشرج

ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لا جلك وفى الحديث من الشرك الخفى أن يصلى الرجل لمكان الرجل وكذلك  
فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع إلى أداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل (فرطت فى جنب الله) على معنى  
فرطت فى ذات الله (فإن قلت) فرجع كلامك إلى أن ذكر الجنب كلا ذكروا ما يعطى من حسن الكناية وبلاغها فكانه  
قيل فرطت فى الله فمأعنى فرطت فى الله (قلت) لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب أو لم يذكر والمعنى فرطت  
فى طاعة الله وعبادة الله وما أشبه ذلك وفى حرف عبدالله وحفصة فى ذكر الله وما فى ما فرطت مصدرية مثلها فى بمارحبت  
(وإن كنت لمن الساخرين) قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخّر من أهلها ومحل وإن كنت النصب على الحال كأنه  
قال فرطت وأنا ساخر أى فرطت فى حال سخريتى وروى أنه كان فى بنى إسرائيل عالم ترك عليه وفسق وأتاه إبليس وقال له تمتع من  
الدنيا ثم تب فأطاعه وكان له مال فأنفقه فى الفجور فأتاه ملك الموت فى الذما كان فقال يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله ذهب عمرى  
فى طاعة الشيطان وأسخطت ربي فدم حين لم ينفعه الدم فأنزل الله خبره فى القرآن (لو أن الله هدىنا) لا يخلو إما أن يريد به الهداية

(قوله لو هتفت بجؤه أتانى كريم) فى الصحاح الجؤ القطعة من الأرض فيها عاظم وما اتسع من الأودية وما بين السماء والأرض  
وفيه البقيع موضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى وأما الحق بالحاء المهملة فلم يذكر فيه نعم ذكر الحقوة بمعنى سواد مشوب  
بجمرة (قوله لا يخلو إما أن يريد به الهداية) تمحل لتطبيق الآية على مذهب المعتزلة ولكن خلق الهداية لا يصل إلى حد الإلجاء لأنه  
لا يسلب الاختيار عند أهل السنة كخلق التقوى والطاعة وغيرها من الأفعال الاختيارية لما أثبتوه للعبد من الكسب فيها وإن  
كان فاعلها فى الحقيقة هو الله تعالى كما تقرّر فى التوحيد

فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ ۝ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ تَرَى الَّذِيْنَ كَذَبُوْا عَلٰى اللّٰهِ وَجُوْهُهُمْ  
مَسْوُوۡةٌ اِلَيْسَ فِيْ جَهَنَّمَ مَثْوٰى لِّلْمُتَكَبِّرِيْنَ ۝ وَيُنَجِّي اللّٰهُ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا بِمَفَارَتِهِمْ لَا يَمْسُهُمْ السُّوۡءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ۝

بالإلجاء أو بالإلطف أو بالوحي فالإلجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من أهل الإلطف فيلطف به وأما الوحي فقد كان ولاكنه أعرض ولم يتبعه حتى يهتدى وإنما يقول هذا تحيراً في أمره وتعللاً بما لا يجدى عليه كما حكى عنهم التعلل بإغراء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله (بلى قد جاءتك آياتي) رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت عن قبوله وآثرت الكفر على الإيمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس (فإن قلت) هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو أن الله هداني ولم يفصل بينهما بآية (قلت) لأنه لا يخلو إما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهما وإما أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن وأما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمنى الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظامها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب (فإن قلت) كيف صح أن تقع بلى جواباً لغير منفي (قلت) لو أن الله هداني فيه معنى ما هديت (كذبوا على الله) وصفوه بما لا يجوز عليه تعالى وهو متعال عنه فأضافوا إليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله أمرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهُونه بفعل القبائح وتجوز أن يخلق خلقاً لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويحسمونه بكونه مرئياً معانينا مدركا بالحاسة ويثبتون له يداً وقدما وجنباً مستترين بالبالكفة ويجعلون له أنداداً بإثباتهم معه قدماء (وجوههم مسودة) جملة في موضع

قوله تعالى «ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة» (قال فيه يعنى الذين وصفوه تعالى بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه الخ) قال أحد قديري التفسير لمرض في قلبه لا دواء له إلا التوفيق الذى حرمة ولا يعافيه منه إلا الذى قدر عليه هذا الضلال وحتمه وسنقيم عليه حد الرد لأنه قد أبدى صفحته ولولا شرط الكتاب لأضربنا عنه صفحا ولو بنا عن الالتفات إليه كشحا وباللغة التوفيق فنقول أما تعريضه بأن أهل السنة يعتقدون أن القبائح من فعل الله تعالى فيرجمه باعتقادهم المشار إليه قوله تعالى بعد آيات من هذه السورة «الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل» أما الزمخشري وإخوانه القدرية فيغبرون في وجه هذه الآية ويقولون ليس خالق كل شيء لأن القبائح أشياء وليست مخلوقة له فاعتقدوا أنهم زهوا وإنما أشركوا وأما تعريضه لهم في أنهم يجوزون أن يخلق خلقاً لا لغرض فذلك لأن أفعاله تعالى لا تعال لأنه الفعال لما يشاء وعند القدرية ليس فعلا لما يشاء لأن الفعل إما منطوق على حكمة ومصلحة فيجب عليه أن يفعله عندهم وإما عار عنها فيجب عليه أن لا يفعله فإين أثر المشيئة إذا هـ وأما اعتقاده أن في تكليف ما لا يطاق تظليماً لله تعالى فاعتقاد باطل لأن ذلك إنما ثبت لازماً لاعتقادهم أن الله تعالى خالق أفعال عبده فالتكليف بها تكليف بما ليس مخلوقاً لهم والقاعدة الأولى حق ولازم الحق حق ولا معنى للظلم إلا الانصراف في ملك الغير بغير إذنه والعباد ملك الله تعالى فكيف يتصور حقيقة الظلم منه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً هـ وأما تعريضه بأنهم يجوزون أن يؤلم لا لعوض فيقال له ما قولك أيها الظنين في إبلام البهائم والأطفال والأعراض لها وليس مرتباً على استحقاق سابق خلافاً للقدرية إذ يقولون لا بد

(قوله وقرئ بكسر التاء على مخاطبة) لعل من كسر الكاف أيضاً (قوله تعالى قوم يسفهُونه بفعل القبائح) يريد بهم أهل السنة حيث ذهبوا إلى أنه تعالى هو الخالق لأفعال العباد ولو معاصي وأن فعله لا لغرض بل لحكمة وإبلام الأطفال لا يستوجب عليه عوضاً وتظليماً نسبة إلى الظلمة بتجوز تكليف المحال كما في علم الأصول وجوزوا عليه الرؤية وهي غير مختصة بالأجسام عندهم وجوز السلف أن يكون له يد ونحوها لكن لا كالأبدى وأراد بالقدماء صفات المعاني كالقدرة والإرادة حيث قال أهل السنة إنها موجودة بوجودات زائدة على وجود الذات وتحقيق ذلك في التوحيد والأصول فانظره والبالكفة قولهم بلا كيف



اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ثَابَتَ اللَّهُ

الحال إن كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان إن كان من رؤية القلب ۝ وقرئ ينجى وينجى (بمفازتهم) بفلاحهم يقال فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفاضة قوله (لا يمسهم سوء ولا هم يحزنون) كأنه قيل ما مفازتهم فقيل لا يمسهم سوء أى ينجيهم بنفى سوء والحزن عنهم أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أى بمفازة منه لأن النجاة من أعظم الملاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما المفاضة بالأعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لأن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح فى نفسه مفازة لأنه سببها وقرئ بمفازاتهم على أن لكل متق مفازة (فإن قلت) لا يمسهم ما محله من الإعراب على التفسيرين (قلت) أما على التفسير الأول فلا محل له لأنه كلام مستأنف وأما على الثانى فمحله نصب على الحال (له مقاليد السموات والأرض) أى هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزان ومدبر أمرها هو الذى يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان ألقى إليه مقاليد الملك وهى المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال إقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية (فإن قلت) ما للكتاب العربى المبين وللفارسية (قلت) العربى أحالها عربية كما أخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا ۝ (فإن قلت) بما اتصل قوله (والذين كفروا) (قلت) بقوله وينجى الله الذين اتقوا أى ينجى الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعتراض بينهما بأنه خالق الأشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شئ من أعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على أن كل شئ فى السموات والأرض فالله خالقها وفاتح بابها والذين كفروا واجحدوا أن يكون الأمر كذلك أو أنك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والأرض فقال يا عثمان ما سألنى عنها أحد قبلك تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخِر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير وتأويله على هذا أن الله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا آيات

فى الألم من استحقاق سابق أو عوض ۝ وأما اعتقاده أن تجويز رؤية الله تعالى يسألزم اعتقاد الجسمية فإنه اغترار فى اعتقاده بأدلة العقل المجوزة لذلك مع البراءة من اعتقاد الجسمية ولم يشعر أنه يقابل بهداية قول نبي الهدى عليه الصلاة والسلام إنكم سترون ربكم كالقمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته فهذا النص الذى ينبوع التأويل ولا يردع المتمسك به شئ من التأويل وأما قوله لهم يتسترون باللبس الكفة فى معنى قولهم بلا كيف أجل إنها لستر لا تهتك يد الباطل البراء ولا تبعد عن الهدى عين الضلال العوراء وأما تعريضه بأنهم يجعلون لله أندادا بإثباتهم معه قداما فتفى لإثباتهم صفات الكمال كلا والله إنما جعل الله أندادا القدريّة إذ جعلوا أنفسهم يخلقون ما يريدون ويشتهون على خلاف مراد ربهم حتى قالوا إن ماشاؤه كان وما شاء الله لا يكون وأما أهل السنة فلم يريدوا على أن اعتقدوا أن الله تعالى علما وقدره وإرادة وسمعا وبصرا وكلاما وحياة حسبا دلّ عليه العقل وورد به الشرع وأى مخلص للقدري إذا سمع قوله تعالى وسع ربنا كل شئ علما إلا اعتقاد أن الله تعالى علما أو جحد آيات الله وإطفاء نوره وبأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وأما قوله لهم يثبتون لله تعالى يدا وقدماء ووجها فذلك فرية ما فيها مرية ولم يقل بذلك أحد من أهل السنة وإنما أثبت القاضى أبو بكر صفات سمعية وردت فى القرآن اليدان والعينان والوجه ولم يتجاوز فى إثباتها ما وردت عليه فى كتاب الله العزيز على أن غيره من أهل السنة حمل اليدان على القدرة والنعمة والوجه على الذات وقد مر ذلك فى مواضع من الكتاب فقد اتصف فى هذه المباحثة بحال من بحث بظنّه عن حقه وتعريضه معتقده الفاسد لهتك ستره وكشفه وإنما حملنى على إغلاظ مخاطبته الغضب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وأهل سنته فإنه قد أساء عليهم الأدب ونسبهم بكذبه إلى الكذب

أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۖ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ۖ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ  
 قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۖ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۖ وَمَا  
 قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا

الله وكلمات توحيدِهِ وتمجيدِهِ أولئك هم الخاسرون (أفغير الله) منصوب بأعبدو (تأمروني) اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد  
 بأمركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن بإلهك أو ينصب بما يدل عليه جملة قوله تأمروني أعبد لانه في معنى  
 تعبدونني وتقولون لي اعبد والأصل تأمروني أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل كما في قوله ۖ ألا أي هذا الزاجري أحضر  
 الوغى ۖ ألا تراك تقول أفغير الله تقولون لي أعبده وأفغير الله تقولون لي أعبد فكذلك أفغير الله تأمروني أن أعبده  
 وأفغير الله تأمروني أن أعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ أعبد بالنصب ۖ وقرئ تأمروني على الأصل  
 وتأمروني على إدغام النون أو حذفها ۖ قرئ ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول ولنجبطن بالنون والياء أي  
 ليحبطن الله أو الشرك ۖ (فإن قلت) الموحى إليهم جماعة فكيف قال (لئن أشركت) على التوحيد (قلت) معناه أوحى  
 إليك لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله وأوحى إليك وإلى كل واحد منهم لئن أشركت كما تقول  
 كسانا حلة أي كل واحد منا (فإن قلت) ما الفرق بين اللامين (قلت) الأولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب  
 وهذا الجواب ساد مستد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط (فإن قلت) كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى أن  
 رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم (قلت) هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لأغراض فكيف بما ليس  
 بمحال ألا ترى إلى قوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً يعني على سبيل الإلجاء ولن يكون ذلك لامتناع  
 الداعي إليه ووجود الصارف عنه ۖ (فإن قلت) ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين (قلت) يحتمل ولتكونن من الخاسرين  
 بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا أنفسهم إن مت على الردة ويجوز  
 أن يكون غضب الله على الرسول أشد فلا يمهل بعد الردة ألا ترى إلى قوله تعالى إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف  
 الممات (بل الله فاعبد) رد لما أمره به من استسلام بعض آلهتهم كأنه قال لا تعبد ماأمروك بعبادته بل إن كنت عاقلاً  
 فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضاً منه (وكن من الشاكرين) على ما أنعم به عليك من أن جعلك سيد  
 ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل مضمّر هذا معطوف عليه تقديره بل الله أعبد فاعبد ۖ لما كان العظيم من الأشياء  
 إذا عرفه الإنسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل (وما قدروا الله حق قدره) وقرئ  
 بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه ثم نهم على عظمتهم وجلالة شأنه على طريقة التخيل فقال (والأرض جميعاً  
 قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه) والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملة وبمجموعه تصوير عظمتهم  
 والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى

والله الموعده قوله تعالى بل الله فاعبد (قال في أصل الكلام إن كنت عابداً فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضاً  
 منه اه كلامه) قلت مقتضى كلام سيويه في أمثال هذه الآية أن الأصل فيه فاعبد الله ثم حذفوا الفعل الأول اختصاراً  
 فلما وقعت الفاء أو لا استنكروا الابتداء بها ومن شأنها التوسط بين المعطوف والمعطوف عليه فقدموا المفعول وصارت  
 متوسطة لفظاً ودالة على أن ثم محذوفاً اقتضى وجودها ولتعطف عليه ما بعدها وبضاف إلى هذه الغاية في التقديم  
 فائدة الحصر كما تقدم من إشعار التقديم بالاختصاص ۖ قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة  
 والسماوات مطويات بيمينه (قال) فيه الغرض من هذا الكلام تصوير عظمتهم تعالى والتوقيف على كنه جلاله من غير  
 ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز وكذلك حكم يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن حبراً

أن جبريل جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والارضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجباً مما قال ثم قرأ تصديقاً له وما قدروا الله حق قدره الآية وإنما ضحك أفصح العرب صلى الله عليه وسلم وتعجب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور إمساك ولا أصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وأن الأفعال العظام التي تنحير فيها الأفهام والأذهان ولا تنكتنهما إلا وهام هينة عليه هو أننا لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا إجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخيل ولا ترى با باني علم البيان أدق ولا أرق ولا أطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء فإن أكثره وعليته تخيلات قد زلت فيها الأقدام قديماً وما أتى الزالون إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقيب حتى يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علماً لو قدره حق قدره لما خفي عليهم أن العلوم كلها مفتقرة إليه وعيال عليه إذ لا يحل عقدها المؤربة ولا يفك قيودها المكربة إلا هو ولم آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول قد ضم وسم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لأن من تأول ليس من هذا العلم في غير ولا نفير ولا يعرف قبلاً منه من دبير والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعاً وقوله والسموات ولأن الموضوع موضع تفخيم وتعظيم فهو مقتض للبالغه ومع القصد إلى الجمع وتأكيده بالجميع أتبع الجميع مؤكداً قبل مجيء الخبر ليعلم أول الأمر أن الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة ولكن عن الاراضي كلهن والقبضة المرة من القبض وقبضت قبضة من أثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال أيضاً أعطى قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روى أنه نهي عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعاً قبضته أي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني أن الارضين مع عظمتهم وبسطنهم لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور أكلة لقمان والفلة جرعة أي ذات أكلته وذات جرعة تريد أنهما لا يفيان إلا بأكلة فذة من أكلانه وجرعة فردة من جرعاته وإذا أريد معنى القبضة فظاهر لأن المعنى أن الارضين بحملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة (فإن قلت) ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب (قلت) جعلها ظرفاً مشبهاً للثوقت بالمهم مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوى السماء كطي السجل للكتاب وعادة طوى السجل أن يطويه يمينه وقيل قبضته ملهك بلامدافع ولا منازع ويمينه بقدرته وقيل مطويات

جاء إليه فقال يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والارضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجب مما قال الخبر ثم قرأ هذه الآية تصديقاً له وإنما ضحك أفصح العرب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور إمساك ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة التي لا يوصل السامع إلى الوقوف عليها إلا إجراء العبارة على مثل هذه الطريقة من التخيل ثم قال وأكثر كلام الأنبياء والكتب السماوية وعليتها تخيل قد زلت فيه الأقدام قديماً كلامه (قلت) وإنما غنى بما أجراه ههنا من لفظ التخيل التمثيل وإنما العبارة موهمة منكورة في هذا المقام لا تليق به بوجه من الوجوه والله أعلم

(قوله أن جبريل جاء إلى رسول الله) قيل الصواب أنه خبر من أحبار اليهود لا جبريل ويدل عليه ما في البخاري ومسلم والترمذي كذا بهامش ويؤيده أن يا أبا القاسم عادة اليهود في ندائه صلى الله عليه وسلم (قوله وعليته تخيلات) أي معظمه (قوله وما أتى الزالون) أي أجبيوا (قوله بالتأويلات الغثة) في الصحاح الغث نبت يختبز حبه ويؤكل في الجوب وتكون خبزه غليظة شبيهة بخبز الملة (قوله قبلاً منه من دبير) في الصحاح القبيل ما تقبل به المرأة من غزلها حين تفتله وفيه الدبير ما تدبره به المرأة من غزلها حين تفتله ومنه قيل فلان ما يعرف قبلاً من دبير (قوله نهي عن خطفة السبع) أي والمراد مخطوفة

يُشْرِكُونَ ۚ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ  
فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ۚ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ  
بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۚ وَوَفِيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۚ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ  
زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ  
وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ ۚ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ

يمينه مفيات بقسمه لأنه أقسم أن يفنيها ومن اشم رائحة من علنا هذا فليعرض عليه هذا التأويل ليلتهى بالتعجب منه  
ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما منى من به أمثاله وأثقل منه على الروح وأصدع للكبد تدرين  
العلماء قوله واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين وقرئ مطويات على نظم  
السماوات في حكم الأرض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على الحال (سبحانه وتعالى) ما أبعد من هذه قدرته  
وعظمته وما أعلاه عما يضاف إليه من الشركاء (فإن قلت) (أخرى) ما محلها من الإعراب (قلت) يحتمل الرفع والنصب  
أما الرفع فعلى قوله فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وأما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة والمعنى ونفخ في الصور  
نفخة واحدة ثم نفخ فيه أخرى وإنما حذف لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان وقرئ قياما  
ينظرون يقبلون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت إذا فاجأه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز أن يكون القيام  
بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتخيرهم ۚ قد استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل  
وهذا من ذلك والمعنى (وأشرفت الأرض) بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحساب ووزن  
الحسنات والسيئات وينادي عايه بأنه مستعار إضافة إلى اسمه لأنه هو الحق العدل وإضافة اسمه إلى الأرض لأنه يزينها  
حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين أهلها ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لها  
منه وفي هذه الإضافة أن ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها وإنما يجوز فيها غير ربها ثم ما عطف على أشراق الأرض  
من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون للملك العادل  
أشرفت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا بقسطك كما تقول أظلمت البلاد بجور فلان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
الظلم ظلمات يوم القيامة وكما فتح الآية بإثبات العدل ختمها بنفي الظلم وقرئ وأشرفت على البناء للمفعول من شرقت بالضوء  
تشرق إذا امتلأت به واغتصت وأشرفها الله كما تقول ملأ الأرض عدلا وطبقها عدلا (الكتاب) صحائف الأعمال ولكنها كتنى  
باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ (والشهداء) الذين يشهدون للأمام وعليهم من الحفظة والاختيار وقيل المستشهدون في سبيل الله  
الزمر الأفواج المتفرقة بعضها في أربعض وقد تزمروا قال حتى احزالت زمر بعد زمر وقيل في زمر الذين اتقوا هي الطبقات المختلفة  
الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم ۚ وقرئ نذر منكم ۚ (فإن قلت) لم أضيف إليهم اليوم (قلت) أرادوا لقاء وقتكم  
هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة وقد جاء استعمال اليوم والأيام مستفيضا في أوقات الشدة (قالوا بلى) أتونا  
وتلوا علينا ولكن وجبت علينا كلمة الله لأملائن جهنم لسوء أعمالنا كما قالوا غابت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا

(قوله وما منى به من أمثاله) أى ابتلى (قوله أما الرفع فعلى قوله فإذا نفخ) أى فى الحفاة وقوله من قرأ أى هناك وقوله  
حذفت أى هنا (قوله بمعنى الوقوع والجمود) لعله الوقوف (قوله وقد تزمروا) وفى نسخة أخرى تزامروا وفى الصحاح  
احزالت الإبل فى السير ارتفعت

جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۝ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا  
وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبِّكُمْ فَاذْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۝ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ  
وَأَوْثَقْنَا الْأَرْضَ تَقْبُورًا مِّنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۝ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۝ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِن حَوْلِ  
الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝

عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال ۝ اللام في المتكبرين للجنس لأن (مثنوى المتكبرين) فاعل بئس  
وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف إلى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثنوى المتكبرين  
جهنم (حتى) هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية إلا أن جزاءها محذوف وإنما حذف لأنه في  
صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى إذا جاؤا جاؤا  
وفتحت أبوابها أى مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها وأما أبواب الجنة فتقدم فتحها  
بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الأبواب فلذلك جرى بالواو كأنه قيل حتى إذا جاؤا وقد فتحت أبوابها (فإن قلت)  
كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق (قلت) المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل  
بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنه لا يذهب بهم  
إلا راكبين وحثها لإسراعهم إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بما يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك  
فستان ما بين السوقين (طبتهم) من دنس المعاصى وطهرتهم من خبث الخطايا (فادخلوها) جعل دخول الجنة مسيبا عن  
الطيب والطهارة فما هى إلا دار الطيبين ومثنوى الطاهرين لأنها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قدر فلا يدخلها  
إلا مناسب لها موصوف بصفتها فما أبعد أحوالنا من تلك المناسبة وما أضعف سعينا فى اكتساب تلك الصفة إلا أن  
يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا تنقى أنفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب (خالدين) مقدرين الخلود  
(الأرض) عبارة عن المكان الذى أقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوا وقد أورثوها أى ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق  
تصرفهم فيها كما يشاؤون تشبها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه فى إنفاقه طولا وعرضا (فإن قلت)  
ما معنى قوله (حيث نشاء) وهل يتبوا أحدهم مكان غيره (قلت) يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة  
على الحاجة فيتبوا من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى جنة غيره (حافين) محذوقين من حوله (يسبحون بحمد ربهم) يقولون  
سبحان الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين (فإن قلت) إلام يرجع الضمير فى قوله (بينهم) (قلت) يجوز أن يرجع إلى العباد  
كلهم وأن إدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون إلا قضاء بينهم بالحق والعدل وأن يرجع إلى الملائكة على أن  
ثوابهم وإن كانوا معصومين جميعا لا يكون على سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم فى أعمالهم  
فهو القضاء بينهم بالحق (فإن قلت) قوله (وقيل الحمد لله) من القائل ذلك (قلت) المقضى بينهم إما جميع العباد وإما الملائكة  
كأنه قيل وقضى بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وإنزال كل منا منزلة التى هى حقه . عن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا وعن عائشة  
رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ كل ليلة بنى إسرائيل والزمر

## سورة غافر مكية

إلا آيتي ٥٦ و ٥٧ فمدنيتان وآياتها ٨٥ نزلت بعد الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ حَمَّ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ

## ﴿سورة المؤمن مكية﴾

﴿قال الحسن لإقوله وسبح بحمد ربك لأن الصلوات نزلت بالمدينة ، وقد قيل في الحواميم كلها أنها مكيات عن ابن عباس وابن الحنفية ، وهي خمس وثمانون آية وقيل ثنتان وثمانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قرئ بإمالة ألف حا وتفخيمها وتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وإيثار أخف الحركات نحو أين وكيف أو النصب بإضمار اقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف أو للتعريف وأنها على زنة أعجمي نحو قائل وهابيل . التوب والثوب والأوب أخوات في معنى الرجوع والطول والفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول والإفضال يقال طال عليه وتطول إذا تفضل (فإن قلت) كيف اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتنكيراً والموصوف معرفة يقتضى أن يكون مثله معارف (قلت) أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفة لأنهما لم يرد بهما حدث الفعلين وأنه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غداً حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون إضافة غير حقيقية وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش وأما شديد العقاب فأمره مشكل لأنه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلاً وفي كونه بدلاً وحده بين الصفات نبوة ظاهر والوجه أن يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل أن يقول هي صفات وإنما حذف الألف واللام من شديد العقاب ليزواج ما قبله وما بعده لفظاً فقد غيروا كثيراً من كلامهم عن قوائمه لأجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سعاديه من عناديه فتشوا ما هو وترلاً لجل ما هو شفع على أن الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل أنه على نية الألف واللام كما كان الجاء الغفير على نية طرح الألف واللام وبما سهل ذلك الأمن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز أن يقال قد تعدد تنكيره وإبهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء أدهى منه وأمر لزيادة الإنذار ويجوز

## ﴿القول في سورة غافر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى «غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب» الآية (قال) فيه فإن قلت لم اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتنكيراً والموصوف معرفة يقتضى أن يكون مثله معارف وأجاب بأن غافر الذنب وقابل التوب معرفتان لأنهما صفتان لازمتان وليستا لحدث الفعل حتى يكونا حالاً أو استقبالا بل إضافة حقيقية وأما شديد العقاب فلا شك في أن إضافته غير حقيقية يريد لأنه من الصفات المشبهة ولا تكون إضافتها محضة أبداً . عاد كلامه قال وجعله الزجاج بدلاً وحده وانفراد البدل من بين الصفات فيه نبوة ظاهر والوجه أن يقال أن جميعها أبدال غير أوصاف لوقوع هذه النكرة التي لا يصح أن تكون صفة كما لوجاءت قصيدة تفاعيلها كلها على مستفعلن قضى عليها بأنها من بحر الرجز فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل (قلت) وهذا لأن دخول مستفعلن في الكامل يمكن لأن متفاعلن يصير بالضمير إليه مستفعلن وليس وقوع متفاعلن في الرجز ممكناً إذ لا يصير إليه مستفعلن البتة فما يفضى إلى الجمع بينهما فإنه يتعين وهذا كما يقضى الفقهاء بالخاص على العام لأنه الطريق في الجمع بين الدليلين وأجاز فيه وجهاً آخر وهو

الْعَقَابِ ذِي الطُّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلِبُهُمْ  
فِي الْبِلَادِ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ  
لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ

أن يقال هذه النكته هي الداعية إلى اختيار البدل على الوصف إذا سلكت طريقة الإبدال ( فإن قلت ) ما بال الواو  
في قوله وقابل التوب ( قلت ) فيها نكته جائلة وهي إفادة الجمع المذنب النائب بين رحمتين بين أن يقبل توبه فيكتبها له  
طاعة من الطاعات وأن يجعها حماة الذنوب كأن لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول وروى أن عمر رضى الله عنه  
افتقد رجلا ذابأس شديد من أهل الشام فقيل له تنابع في هذا الشراب فقال عمر لكتابه اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك  
وأنا أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو باسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله إليه المصير، وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه  
إليه حتى نجده صاحباً ثم أمر من عنده بالدعاء بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وخذرتني  
عقابه فلم يبرح يردد ما حتى يبكي ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أحاكم  
قدزل زلة فسددوه ووقفوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعواناً للشياطين عليه ۝ سجل على المجادلين في آيات الله  
بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد إلى إدحاض الحق وإطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا  
بالباطل ايدحضوا به الحق فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل  
الزيغ بها وعظم جهاد في سبيل الله وقوله صلى الله عليه وسلم إن جدالا في القرآن كفر وإبراده منكر أو إن لم يقل إن الجدال  
تمييز منه بين جدال وجدال ( فإن قلت ) من أين تسبب لقوله ( فلا يغررك ) ما قبله ( قلت ) من حيث أنهم لما كانوا مشهوداً  
عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا أحد أشق منه عند الله وجب على من تحقق ذلك أن لا ترجح أحوالهم في عينه ولا يغره  
إقبالهم في دنياهم وتقبلهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قریش كذلك يتقبلون في بلاد الشام واليمن ولهم  
الأموال يتجرون فيها ويترجمون فإن مصير ذلك وعاقبته إلى الزوال ووراءه شقاوة الأبد ۝ ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم  
للرسل وجدالهم بالباطل وما أذخر لهم من سوء العاقبة مثلاً ما كان من نحو ذلك من الأمم وما أخذهم به من عقابه وأحله بساحتهم  
من انتقامه ۝ وقرئ فلا يغرك ( الأحزاب ) الذين تحزبوا على الرسل وناصرهم وهم عادوث وود وفرعون وغيرهم ( وهمت كل أمة )  
من هذه الأمم التي هي قوم نوح والأحزاب ( برسولهم ) وقرئ برسولها ( ليأخذوه ) ليتمكنوا منه ومن الإيقاع به وإصابته بما  
أرادوا من تعذيب أو قتل ويقال للأسير أخيد ( فأخذتهم ) يعني أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على إرادته أخذه لأن أخذتهم

أن تكون كلها صفات معارف ويكون شديد العقاب محذوف الألف ليجانس ما قبله وذلك مثل قولهم ما يعرف سخاديه  
من عناديه فتوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على أن الخليل قد قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك  
وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل كذا أنه على نية الألف واللام كما جاء الجاء الغفير على نية حذف الألف واللام  
مضافاً إلى ما سهل ذلك وهو عدم اللبس وأمن الجهالة ۝ وأجاز وجهاً آخر وهو أن يكون صفة قصد تكبيرها لما في  
الإبهام من الدلالة على فرط الشدة ۝ قال ولعل هذه النكته هي الداعية إلى اختيار البدل على الوصف إذا سلكت طريقة  
الإبدال ۝ قال فإن قلت فما بال الواو في قوله وقابل التوب وأجاب بأن فيها نكته جائلة وهي إفادة الجمع بين رحمتي مغفرة  
الذنب وقبول التوب ۝ قوله تعالى ما يجادل في آيات الله الآية ( قال ) الجدال المذموم هو الجدال بالباطل لإدحاض  
الحق وقصد إطفاء نور الله فقد دل على ذلك قوله تعالى وجادلوا بالباطل ايدحضوا به الحق وأما الجدال فيها لإيضاح  
ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة العلماء في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ عنها فأعظم جهاد في سبيل الله تعالى وعلى  
هذا يحمل قوله عليه الصلاة والسلام إن جدالا في القرآن كفر ولهذا أورده منكرًا للتمييز بين جدال وجدال

النَّارِ ۝ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا

(فكيف كان عقاب) فإنكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون أثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب (انهم أصحاب النار) في محل الرفع بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب إهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب إهلاكهم بعذاب النار في الآخرة أو في محل النصب بحذف لام التعليل وإيصال الفعل ۝ والذين كفروا فریش ومعناه كما وجب إهلاك أولئك الأمم كذلك وجب إهلاك هؤلاء لأن علة واحدة تجمعهم أنهم من أصحاب النار ۝ قرئ كلمات ۝ روى أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تنفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فإن خلفا من الملائكة يقال له إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الأرض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وإنه ليتضام من عظمة الله حتى يصير كأنه الوضع وفي الحديث إن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلاً لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين العائمتين من قواته خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صنّف من الملائكة يطوفون به، الملائكة مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالنهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر ۝ وقرأ ابن عباس العرش بضم العين (فإن قلت) ما فائدة قوله (ويؤمنون به) لا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون (قلت) فائدته إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه كما رصف الأنبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب أعمال الخير بقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الإيمان وفائدة أخرى وهي التنبيه على أن الأمر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معانين ولما وصفوا بالإيمان لأنه إنما يوصف بالإيمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم أن إيمانهم وإيمان من في الأرض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في أن إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وأنه لا طريق إلى معرفته إلا هذا وأنه منزّه عن صفات الأجرام وقدر وعي التناسب في قوله ويؤمنون به (ويستغفرون للذين آمنوا) كأنه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على أن الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون ادعى شيء إلى النصيحة وأبعثه على إحاض الشفقة وإن تفاوتت الأجناس وتباعدت الأيمان

۝ قوله تعالى « يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا » الآية (قال) فيه إن قلت ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة يؤمنون بالله تعالى وأجاب بأن فائدته إظهار شرف الإيمان كما وصف الأنبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب أفعال البر بقوله ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الإيمان وفائدة أخرى وهي التنبيه على أن الأمر لو كان كما يقول المجسمون لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين ولما وصفوا بالإيمان لأنه إنما يوصف بالإيمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء علم أن إيمانهم وإيمان من في الأرض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في أن إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وأنه لا طريق إلى معرفته إلا هذا ۝ قال وفيه تنبيه على أن الاشتراك في وصف الإيمان يجب أن يكون ادعى شيء إلى النصيحة وأبعث شيء على إحاض الشفقة وإن تفاوتت الأجناس وتباعدت الأيمان كما كن فيه لا تجانس بين ملك وبشر ومع ذلك لما اشتركا في صفة الإيمان نزل ذلك منزلة الاشتراك الحقيقي والتناسب الجنسي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الأرض اه كلامه (قلت) كلام حسن إلا استدلاله بقوله ويؤمنون به على أنهم ليسوا مشاهدين فهذا لا يدل لأن الإيمان هو

(قوله حتى يصير كأنه الوضع) طائر أصغر من العصفور (قوله كما تقول المجسمة) يريد أهل السنة لأنهم لما جوزوا رؤيته تعالى معاينة لهم الفول بأنه تعالى جسم ولكن الرؤية لا تستلزم الجسمية خلافاً للمعتزلة كما بين في علم التوحيد



وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةٌ وَعِلْمًا فَاعْفُرِ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۚ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ  
عَدْنِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۚ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ

الاماكن فإيه لا تجانس بين ملك وإنسان ولا بين سماوى وأرضى قط ثم لما جاء جامع الإيمان جاء معه النجاس الكلى  
والتناسب الحقيقى حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الأرض قال الله تعالى ويستغفرون لمن فى الأرض ۚ أى  
يقولون (ربنا) وهذا المضمير يحتمل أن يكون بيانا يستغفرون مرفوع المحل مثله وأن يكون حالا (فإن قلت) تعالى  
الله عن المسكان فكيف صح أن يقال وسع كل شيء (قلت) الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء فى المعنى والأصل  
وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم وأخرجنا  
منصوبين على التمييز الإغراق فى وصفه بالرحمة والعلم كأن ذاته رحمة وعلم واسعا كل شيء (فإن قلت) قد ذكر الرحمة  
والعلم فوجب أن يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعاً وما ذكر إلا الغفران وحده (قلت) معناه فاعفرو للذين  
علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التى نهجها لعباده ودعا إليها (إنك أنت العزيز الحكيم) أى  
الملك الذى لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لاتفعل شيئاً إلا بداعى الحكمة وموجب حكمتك أن تنى بوعدك  
(وقههم السيئات) أى العقوبات أو جزاء السيئات حذف المضاف على أن السيئات هى الصغائر أو الكبائر المتوب  
عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة (فإن قلت) ما الفائدة فى استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون  
المغفرة والله لا يخلف الميعاد (قلت) هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب وقرئ جنة عدن وصلاح  
بضم اللام والفتح أفصح يقال صلح فهو صالح وصلاح فهو صليح وذريتهم أى ينادون يوم القيامة فيقال لهم

التصديق غير مشروط فيه غيبة المصدق به بدليل صحة إطلاق الإيمان بالآيات مع أنها مشاهدة كانشقاق القمر وقلب  
العصا حية وإنما نقب الزمخشري بهذا التكلف عما فى قلبه من مرض لكنه طاح بعيداً عن الغرض فقرر أن حملة  
العرش غير مشاهدين بدليل قوله تعالى ويؤمنون لأن معنى الإيمان عده التصديق بالغائب ثم يأخذ من قولهم غير  
مشاهدين أن البارى عز وجل لو صحت رؤيته لرأوه فحيث لم يروه لزم أن تكون رؤيته تعالى مما لا يصححه العقل وقد  
أبطلنا ما ادعاه من أن الإيمان مستلزم عدم الرؤية ولو سلمناه فلا نسلم أنه يلزم من كون حملة العرش مشاهدين له  
تعالى أن تكون رؤيته غير صحيحة وقوله ولو كانت صحيحة لرأوه شرطية عقيمة الانتاج لأن الرؤية عبارة عن إدراك  
بخاق الله تعالى هذا الإدراك لحملة العرش إلا أن يذهب بالزمخشري الوهم إلى أن مصححي الرؤية يعتقدون الجسمية  
والاستقرار على العرش فيلزمهم رؤية حملة العرش له تعالى الله عن ذلك وحاشى أهل السنة ومصححي الرؤية من ذلك  
قوله تعالى ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاعفرو للذين تابوا واتبوا سبيلك وقههم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات  
عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقههم السيئات ومن تنى السيئات  
يومئذ فقد رحمته الآية (قال) فيه فإن قلت قد ذكر أولاً الرحمة والعلم ثم ذكر ما توجه به الرحمة وهو الغفران فأين موجب  
العلم وأجاب بأن معناه فاعفرو للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك ۚ قال وقوله إنك أنت العزيز الحكيم معناه  
الملك الذى لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لاتفعل شيئاً إلا بداعى الحكمة وموجب حكمتك أن تنى بوعدك ثم قال  
ومعنى السيئات العقوبات التى هى جزاء السيئات أو على حذف مضاف على أن السيئات هى الصغائر أو الكبائر المتوب  
عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة ثم قال فإن قلت ما الفائدة فى استغفارهم وهم تائبون صالحون موعودون  
بالمغفرة والله لا يخلف الميعاد وأجاب بأن هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب اه كلامه (قلت) كلامه

(قوله سبيل الحق التى نهجها لعباده) أبانها وأوضحها أفاده الصحاح

وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَلَأْتِ اللَّهُ أَكْبَرَ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ۝ قَالُوا رَبَّنَا آتِنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا

(لمقت الله أكبر) والتقدير لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم فاستغنى بذكر هامة (إذ تدعون) منصوب بالمقت الأول والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الأمانة بالسوء والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهم اليوم وأتم في النار إذ أوقعتكم فيها باتباعكم هواهم وعن الحسن لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فودوا لمقت الله وقيل معنا لمقت الله إياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض وبلعن بعضكم بعضاً وإذ تدعون لتعلل والمقت أشد الغض فوضع في موضع أبلغ الإنكار وأشدّه (اثنتين) إمامتين وإحياءتين أو موتتين وحياتين وأراد بالإمامتين خلقهم أمواتاً أولاً وإمامتهم عند انقضاء آجالهم وبالإحياءتين الإحياءة الأولى وإحياءة البعث وناهيك تفسيراً لذلك قوله تعالى وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما (فإن قلت) كيف صح أن يسمى خلقهم أمواتاً إمامة (قلت) كما صح أن تقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركبة ووسع أسفلها وليس ثم نقل من كبر إلى صغر ولا من صغر إلى كبر ولا من ضيق إلى سعة ولا من سعة إلى ضيق وإنما أردت الإنشاء على تلك الصفات والسبب في صحته أن الصغر والكبر جائزان معاً على المصنوع الواحد من غير ترجيح لأحدهما وكذلك الضيق والسعة فإذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفة عنه كنقله منه ومن جعل الإمامتين التي بعد حياة الدنيا والتي بعد حياة القبر لزمه إثبات ثلاث إحياءات وهو خلاف ما في القرآن إلا أن يتحمل فيجعل إحداها غير معتد بها أو يزعم أن الله تعالى يحييهم في القبور وتستمر

ههنا محشو بأنواع الاعتزال منها اعتقاد وجوب مراعاة المصلحة ودواعي الحكيم على الله تعالى ومنها اعتقاد أن اجتناب الكبائر يكفر الصغائر وجوباً وإن لم يكن توبة ومنها اعتقاد امتناع غفران الله تعالى للكبائر التي لم يتب عنها ومنها اعتقاد وجوب قول التوبة على الله تعالى ومنها جحد الشفاعة واعتقاد أهل السنة أن الله تعالى لا يجب عليه مراعاة المصلحة وأنه يجوز أن يعذب على الصغائر وإن اجتنب الكبائر وأنه يجوز أن يغفر الكبائر ما عدا الشرك وإن لم يتب منها وأن قبول التوبة بفضله ورحمته لا بالوجوب عليه وأنها تنال أهل الكبائر المصيرين من الموحدين فهذه جواهر خمسة نسأل الله تعالى أن يقلد عقائل ناهيا إلى الخاتمة وأن لا يجر منا أظافه ومراحه آمين وجميع ما يحتاج إلى تزييفه مما ذكره على قواعد الاعتزال في هذا الموضوع قد تقدم غير أنه جدد ههنا قوله إن فائدة الاستغفار كفاءة الشفاعة وذلك مزيد الكرامة لا غير يريد أن المغفرة للتائب واجبة على الله فلا تسأل وهذا الذي قاله مما يحمل لنفسه فيه الفضيحة زادت على بطلانه هذه الآية بالأسن الفصيحة كيف يجعل المسؤول مزيد الكرامة لا غير وأنص الآية فأغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم فهي ناطقة بأنهم يسألون من الله تعالى المغفرة للتائب ووقاية عذاب الجحيم وهو الذي أنكر الزمخشري كونه مسؤلاً قوله تعالى آتينا اثنتين وأحييتنا اثنتين (قال) فيه إحدى الإمامتين خلقهم أمواتاً أولاً والأخرى إمامتهم عند انقضاء آجالهم ثم قال فإن قلت كيف سمي خلقه لهم أمواتاً إمامة وأجاب بأنه كما يقال سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وكما يقال للحفار ضيق فم الركبة ووسع أسفلها وليس ثم نقل من صغر إلى كبر ولا عكسه ولا من ضيق إلى سعة ولا عكسه وإنما أردت الإنشاء على تلك الصفات والسبب في صحته أن الكبر والصغر جائزان معاً على المصنوع الواحد وكذلك الضيق والسعة فإذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكن من الآخر جعل صرفاً عن الآخر وهو متمكن منه اه كلامه (قلت) ما أسد كلامه ههنا حيث صادق التمسك بأذيال نظر مالك رحمه الله في مسألة ما إذا باعه إحدى وزنتين معينتين على اللزوم لإحداهما والخيرة في عينها فإنه منع من ذلك لأن المشتري لما كان

فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۚ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ  
الْكَبِيرِ ۚ هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ وَيُنزِلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُذِيبُ ۚ فَادْعُوا اللَّهَ  
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۚ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ

بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها وبعدهم في المستئين من الصعقة في قوله تعالى إلا من شاء الله (فإن قلت) كيف نسب  
هذا لقوله تعالى (فاعترفوا بذنوبنا) (قلت) قد أنكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لأن من لم  
يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما رأوا الإمامة والإحياء قد تكررا عليهم علموا بأن الله قادر على الإعادة قدرته على  
الإنشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من إنكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل إلى خروج) أي إلى نوع من  
الخروج سريع أو بطيء (من سبيل) قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه وهذا كلام من غاب  
عليه اليأس والقنوط وإنما يقولون ذلك تعللا وتخييراً ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله (ذلكم) أي ذلكم  
الذي أنتم فيه وأن لا سبيل لكم إلى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالإشراك به (فالْحُكْمُ لِلَّهِ) حيث حكم  
عليكم بالعذاب السرمد وقوله (العلي الكبير) دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى أن عقاب مثله لا يكون إلا كذلك وهو  
الذي يطابق كبريائه ويناسب جبروته وقيل كان الحرورية أخذوا قولهم لاحكم إلا لله من هذا (يريكُم آياته) من الريح  
والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها ۚ والرزق المطر لأنه سببه (وما يتذكر إلا من يذيب) وما يتعظ وما يعتبر بآيات  
الله إلا من يتوب من الشرك ويرجع إلى الله فإن المعاند لا سبيل إلى تذكيره واتهائه ثم قال للنبيين (فادعوا الله) أي عبدوه (مخلصين  
له الدين) من الشرك ۚ وإن غاظ ذلك أعداءكم بمن ليس على دينكم (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح) ثلاثة  
أخبار لقوله هو مترتبة على قوله الذي يريكُم أو أخبار مبتدأ محذوف وهي مختلفة تعريفاً وتنكيراً وقرئ رفيع الدرجات  
بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله تعالى ذى المعارج وهي مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش وهي دليل على  
عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء العرش فوقهن ويجوز أن يكون عبارة عن رفعة شأنه وعلو سلطانه كما أن  
ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هي درجات ثوابه التي ينزلها أوليائه في الجنة (الروح من أمره) الذي هو سبب الحياة  
من أمره يريد الوحي الذي هو أمر بالخير وبعث عليه فاستعار له الروح كما قال تعالى أو من كان ميتاً فأحييناه

متمكنا من تعيين كل واحدة منهما على سواء فإذا عين واحدة منهما بالاختيار نزل عدوله عن الأخرى وقد كان متمكنا  
منها منزلة اختيارها أولاً ثم الانتقال عنها إلى هذه فإذا آل إلى بيع إحداهما بالأخرى غير معلومتى التماثل وهو لذي لخصه  
أصحابنا في قولهم إن من خير بين شيئين فاختر أحدهما عد منتقلا وقد سبقت هذه القاعدة لغير هذا الغرض فيما تقدم  
ۚ قوله تعالى فهل إلى خروج من سبيل (قال) أي إلى نوع من الخروج سريع أو بطيء من سبيل قط أم اليأس واقع  
دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وإنما يقولون ذلك تعللا وتخييراً ولهذا  
جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم معناه أن اعتبار السبيل إلى خروجكم  
من النار سببه كفركم بتوحيد الله تعالى وإيمانكم بالإشراك به كلامه (قلت) وعلى هذا النمط بنى الشعراء مثل قولهم  
هل إلى نجد ووصول ۚ وعلى الخيف نزول وإنما قصدتم أن هذا أمر غلب فيه اليأس على الطمع

(قوله تخرق في المعاصي) في الصحاح يقال هو يتخرق في السخاء إذا توسع فيه (قوله الحرورية) في الصحاح أنها  
طائفة من الخوارج تنسب إلى حرور اسم قرية وكأنه يريد أهل السنة فإنهم الذين اشتهر عنهم هذا القول خلافاً للمعتزلة في قولهم إن  
الفعل قد يدرك الحكم قبل ورود الشرع كما بين في الأصول

عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ۝ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝  
الْيَوْمَ يُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ  
لَدَىٰ الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَالٍ لَظْلَمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ۝ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ۝ وَاللَّهُ

(لينذر) الله أو الملقى عليه وهو الرسول أو الروح وقرئ لتندري لتندري الروح لانها تؤنث أو على خطاب الرسول وقرئ لينذر  
يوم التلاق على البناء للمفعول (ويوم التلاق) يوم القيامة لأن الخلائق تلتقي فيه وقيل باقى فيه أهل السماء وأهل الأرض  
وقيل المعود والعايد (يومهم بارزون) ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء لأن الأرض بارزة قاع صنف  
ولا عليهم ثياب إنما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا (لا يخفى على الله منهم شيء) أى  
من أعمالهم وأحرامهم وعن ابن مسعود رضى الله عنه لا يخفى عليه منهم شيء (فإن قلت) قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان  
وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا أو لم يبرزوا فما معناه (قلت) معناه أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا  
إذا استتروا بالحيطان والحجب أن الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال  
لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى وإكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال تعالى يستخفون  
من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم أن الناس يبصرونهم وظنهم أن الله لا يبصرهم وهو معنى قوله يبرزوا لله  
الواحد القهار (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يسئل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه أنه ينادى  
مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد بأرض  
بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأقول ما يتكلم به أن ينادى مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى  
كل نفس الآية فهذا يقتضى أن يكون المنادى هو المجيب و لما قرر أن الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي  
أن كل نفس تجزى ما كسبت وأن الظلم مأمون لأن الله ليس بظلام للعبيد وأن الحساب لا يطع لأن الله لا يشغله حساب  
عن حساب فيحاسب الخلق كل في وقت واحد وهو أسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضى الله عنهما إذا أخذ في حسابهم  
لم يقل أهل الجنة إلا فيها ولا أهل النار إلا فيها والآزة القيامة سميت بذلك لأزوفها أى لقرها ويجوز أن يريد يوم  
الآزة وقت اخطئة الآزة وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فلتصق بحناجرهم فلاهى تخرج  
فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها ويتنفسوا ويترقحوا ولكهما معترضة كالشجا كما قال تعالى فلما رآه زلفة سيئت وجوه  
الذين كفروا فإن قلت (كاظمين) بهم انتصب (قلت) هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى لأن المعنى إذ قلوبهم لدى  
حناجرهم كاظمين عليها ويجوز أن يكون حالاً عن القلوب وأن القلوب كاظمة على غم و كرب فيها مع لوغها الحناجر وإنما جمع  
الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذى هو من أفعال العقلاء كما قال تعالى رأيتهم لى ساجدين وقال فظلت أعناقهم  
لها خاضعين وتعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز أن يكون حالاً عن قوله رأيتهم أى وأنذرهم مقتدرين أو مشارفين الكظم  
كقوله تعالى فادخلوها خالدين الحميم المحب المشفق والمطاع مجاز في المشفع لأن حقيقة الطاعة نحو حقيقة الأمر في  
أنها لا تكون إلا لمن فرقك (فإن قلت) ما معنى قوله تعالى (ولا شفيع بطاع) (قلت) يحتمل أن يتناول النفي الشفاعة  
والطاعة معا وأن يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محال نفي البيع وحده وأن عندك كتابا  
إلا أنك لا تبعه ونفهم جميعا وأن لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينحجر يريد نفي الضب وانحجاره

• قوله تعالى مال للظالمين من حميم ولا شفيع بطاع (قال فيه يحتمل أن يكون المنقى الشفيع الذى هو المرصوف  
وصفته وهي الطاعة ويحتمل أن يكون المنقى الصفة وهي الطاعة والشفيع ثابت اه كلامه) قلت إنما جاء الاحتمال

(قوله لم يقل أهل الجنة إلا فيها) من قال يقبل قيلولة

يَقْضَىٰ بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ  
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ

(فإن قلت) فعلى أى الاحتمالين يجب حمله (قلت) على نفي الأمرين جميعا من قبل أن الشفعاء هم أولياء الله وأولياء الله لا يحبون ولا يرضون إلا من أحبه الله ورضيه وأن الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم وإذا لم يحوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى وما للظالمين من أنصار وقال ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ولأن الشفاعة لا تكون إلا في زيادة التفضل وأهل التفضل وزيادته وإنما هم أهل الثواب بدليل قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن الحسن رضى الله عنه والله ما يكون لهم شفيع البتة (فإن قلت) الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها (قلت) في ذكرها فائدة جلية وهي أنها ضمت إليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لأن الصفة لا تأتي بدون موصوفها فيكون ذلك إزالة لتوهم وجود الموصوف بيانه أنك إذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت مالى فرس أركبه ولا معنى سلاح أحارب به فقد جمعت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كأنك تقول كيف يتأتى منى الركوب والمحاربة ولا فرس لى ولا سلاح معى فكذلك قوله ولا شفيع بطاع معناه كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتیه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الأمر المعروف غير المنكر الذى لا ينبغي أن يتوهم خلافه ۝ الخائنة صفة للنظرة أو مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر إلى ما لا يحل كما يفعل أهل الرب ولا يحسن أن يراد الخائنة من الأعين لأن قوله وما تخفى الصدور لا يساعد عليه (فإن قلت) بم اتصل قوله (يعلم خائنة الأعين) (قلت) هو خبر من أخبار هو في قوله هو الذى يريكم مثل باقى الروح ولكن باقى الروح قد عال بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرذ ذكر أحوال يوم التلاق إلى قوله ولا شفيع بطاع فبعد ذلك عن أخواته (والله يقضى بالحق) يعنى والذى هذه صفاته وأحواله لا يقضى إلا بالحق والعدل لاستغناؤه عن الظلم ۝ وآهنتكم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لأن ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضى أو لا يقضى (إن الله هو السميع البصير) تقرير لقوله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ووعيد لهم بأنه يسمع ما يقولون ويصير ما يعملون وأنه يعاقبهم عليه وتعرض بما يدعون من دون الله وأنها لا تسمع ولا تبصر ۝ وقرئ يدعون بالتاء والياء ۝ هم في (كانوا هم أشد منهم) فصل (فإن قلت) من حق الفصل أن لا يقع إلا بين معرفتين فما باله واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو أشد منهم (قلت) قد ضارع المعرفة في أنه لا تدخله الآف واللام فأجرى مجراها ۝ وقرئ منكم وهي في مصاحف أهل الشام (وآثارا)

من حيث دخول النفي على مجموع الموصوف والصفة ونفي المجموع كما يكون بنفي كل واحد من جزئيه وكذلك يكون بنفي أحدهما على أن المراد هنا كما قال نفي الأمرين جميعا قال وفائدة ذكر الموصوف أنه كالدليل على نفي الصفة لأنه إذا اتقى الموصوف انتفت الصفة قطعا (قلت) فكأنه نفي الصفة مرتين من وجهين مختلفين ۝ قوله تعالى يعلم خائنة الأعين (قال الخائنة إمّا صفة للنظرة وإمّا مصدر كالعافية قال ولا يحسن أن يراد الخائنة من الأعين لأنه لا يساعد عليه قوله تعالى وما تخفى الصدور انتهى كلامه) قلت إنما لم يساعد عليه لأن خائنة الأعين على هذا التقدير معناه الأعين الخائنة وإنما يقابل الأعين الصدور لا ما تخفيه الصدور بخلاف التأويل الأول فإن المراد به نظرات الأعين فيطابق خفيات الصدور

(قوله لا تكون إلا في زيادة التفضل) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فتكون في الخروج من النار أيضا كما تقررى التوحيد وحديث الشفاعة مشهور نعم الكفار لا خروج لهم من النار (قوله موضع الأمر المعروف) أى الذى يعرفه السامع ويسلمه كما هو شأن الشاهد على الدعوى وإذا كان انتفاء الشفيع معروفا فلا ينتفى أن يتوهم وجوده وبهذا يتبين قوله فيما سبق فيكون ذلك إزالة لتوهم وجود الموصوف

وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّاتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدٌ  
الْعِقَابِ ۚ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ۚ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمٰنَ وَقَرَأُوا فَقَالُوا سِحْرٌ كَذٰبٌ ۚ  
فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي  
ضَلٰلٍ ۚ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُوْنِي ۖ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِيْنَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ۚ  
وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ۚ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ

يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من آثارهم أو أرادوا أكثر آثارا كقوله متقلدا سيفاً وريحاً (وسلطان  
مبين) وحجة ظاهرة وهي المعجزات فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذا (فلما جاءهم بالحق)  
بالبينة (فإن قلت) أما كان قتل الأبناء واستحياء النساء من قبل خيفة أن يولد المولود الذي أنذرتة الكهنة بظهوره  
وزوال ملكه على يده (قلت) قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله قالوا  
اقتلوا أعيديا عليهم القتل كالذي كان أولا يريد أن هذا قتل غير القتل الأول (في ضلال) في ضياع وذهاب باطلا لم يجد  
عليهم يعني أنهم باثروا قتلهم أولا فما أغنى عنهم ونفذ قضاء الله بإظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان  
فرعون قد كلف عن قتل الولدان المابعث موسى وأحس بأنه قد وقع أعاده عليهم غيظاً وحنقا وظانمته أنه يصددهم بذلك عن مظاهرة  
موسى وما علم أن كيد ضائع في الكرتين جميعا (ذروني أقتل موسى) كانوا إذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي نخافه وهو أقل من  
ذلك وأضعف وما هو إلا بعض السحرة ومثله لا يقاوم إلا ساحرا مثله ويقولون إذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس  
واعتقدوا أنك قد عجزت عن معاوضته بالحجة والظاهر أن فرعون لعنه الله كان قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات  
وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجريزة وكان قتالا سفاكا للدماء في أهون شيء فكيف لا يقتل من أحس  
منه بأنه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وقوله (وليدع ربه) شاهد  
صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني أقتل موسى تمويها على قومه وإيهاما أنهم هم الذين يكفونه  
وما كان يكفه إلا ما في نفسه من هول الفرع (أن يبدل دينكم) أن يغير ما أنتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الأصنام  
بدليل قوله ويذرك وآلهتك ۚ والفساد في الأرض التفان والنهارج الذي يذهب معه الأمن وتتعطل المزارع والمكاسب  
والمعاش ويهلك الناس قتلا وضياعا كأنه قال إني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم إلى دينه أو يفسد عليكم دنياكم  
بما يظهر من الفتن بسببه وفي مصاحف أهل الحجاز وأن يظهر بالواو ومعناه إني أخاف فساد دينكم ودنياكم معا ۚ  
وقرئ يظهر من أظهر والفساد منصوب أي يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من أظهر بمعنى تظاهر  
أي تتابع وتعاون ۚ لما سمع موسى عليه السلام بما أجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه (إني عذت) بالله الذي

قوله تعالى حكاية عن فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه (قال فيه) كانوا إذا هم بقتله كفوه عنه بقولهم ليس هذا من يخاف  
وإنما هو ساحر لا يقاومه إلا مثله وقله يوقع الشبهة عند الناس أنك إنما قتلته خوفا وكان فرعون لعنه الله في ظاهر أمره والله أعلم عالما  
أنه نبي خائفاً من قتله مع رغبته في ذلك لولا الجزع وأراد أن يكتم خوفه من قتله بأن يقول لهم ذروني أقتله ليكفوه عنه فينسب  
الإنكشاف عن قتله إليهم لا إلى جزعه وخوفه ويبدل على خوفه منه لكونه نبيا قوله وليدع ربه وهذا من تمويهاً للمعروفة (قلت) هو  
من جنس قوله إن هؤلاء شر ذمة قليلون وإنما جميع حاذرون فقد تقدم أن مراده بذلك أن يظهر لقومه قلة احتفاله

(قوله وقرئ يظهر من أظهر) يفيد أن القراءة المشهورة يظهر من ظهر والفساد مرفوع

فَرَعُونَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقُولُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ  
كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ هُوَ يَقُومُ أَكْمَ الْمَلِكِ

هو ربي وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم عن أن يقتدوا به فيعوزوا بالله عياده ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال (من كل متكبر) لتشمل استعاضته فرعون وغيره من الجبابرة وليكبرن على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد بالتكبر الاستكبار عن الإذعان للحق وهو أفح استكبار وأدله على ذمته صاحبه وههانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال (لا يؤمن بيوم الحساب) لأنه إذا اجتمع في الرجل النجبر والكذب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجرأة على الله وعباده ولم يترك عظمة إلا ارتكبا وعدت ولدت أخوان وقرئ عت بالإدغام (رجل مؤمن) وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد في عضد وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن موسى سرا وقبل كان إسرائيليا و(من آل فرعون) صفة لرجل (أو صلة ليكنتم أي يكتنم إيمانه من آل فرعون واسمه سمعان أو حبيب وقيل خربيل أو حزيل والظاهر أنه كان من آل فرعون فإن المؤمنين من بني إسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون أبناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا دليل ظاهر على أنه ينصح لقومه (أن يقول) لأن يقول وهذا إنكار منه عظيم وتبكيك شديد كأنه قال أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة ومالك علة قط في ارتكابها إلا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله (ربي الله) مع أنه لم يحضر لتصحیح قوله بيته واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب إليه الربوبية وهو ربكم لاربه وحده وهو استدراج لهم إلى الاعتراف به ولياين بذلك جماهم ويكسر من سورتهم ولك أن تقدر مضافا محذوفا أي وقت أن يقول والمعنى اتقلون ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر في أمره وقوله (بالبينات) يريد بالبينات العظيمة التي عهدتموها وشهدتموها ثم أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا فإن يك كاذبا فعليه كذبه) أي يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره (وإن يك صادقا يصيبكم بعض) ما يعدكم إن تعرضتم له (فإن قلت) لم قال بعض (الذي يعدكم) وهو نبي صادق لا بد لما يعدكم أن يصيبهم كله لا بعضه (قلت) لأنها احتاج في مقابلة خصوم موسى ومناكريه إلا أن يلاوصهم ويذاريهم ويسلك معهم طريق الإنصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم له رقبولهم

بهم ويوهمهم أن قتاله لهم ليس خوفا منهم ولكن غيظاً عليهم وكان من عادته الحذر والتحصن وحماية الذريعة في المحافظة على حوزة المملكة لأن ذلك خوف وهلع لقد كذب إنما كان فؤاده مملوءاً رعباً ه قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه الآية (قال) الظاهر أن الرجل من آل فرعون وقيل إنه من بني إسرائيل ومن آل فرعون متعاق بيكنتم تقديره يكتم إيمانه من آل فرعون وهو بعيد لأن بني إسرائيل كان إيمانهم ظاهرا فاشيا ولقد استدرجهم هذا المؤمن في الإيمان باستشهادته على صدق موسى بإحضاره عليه السلام من عند من نسب إليه الربوبية بينات عدة لا يده واحدة وأتى بها معرفة معناه البينات العظيمة التي شهدتموها وعرفتتموها على ذلك ليأين بذلك جماهم ويكسر من سورتهم ثم أخذهم بالاحتجاج بطريق التقسيم فقال لا يخلو أن يكون صادقا أو كاذبا فإن يك كاذبا فضرر كذبه عائد عليه أو صادقا فيصيبكم إن تعرضتم له بعض الذي يعدكم ه قال وإنما ذكر بعض مع تقدير أنه نبي صادق والنبي صادق في جميع ما يعد به لأنه سلك معهم طريق المناصحة لهم والمثارة فجاء بما هو أقرب إلى تسليمهم وأدخل في تصديقهم له ليسمعوا منه ولا يردوا عليه صحته وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعدد ولكنه أردفه بصيغته بعض الذي يعدكم ليضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وأثنى عليه فضلا عن أن يكون متعصبا له

(قوله إلى أن يلاوصهم ويذاريهم) في الصحاح فلان يلاوص الشجر أي ينظر كيف يأتيها لقلعها

الْيَوْمَ ظَهَرْنَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا  
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ه وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَوْمَئِذٍ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ه مِثْلَ دَابِ قَوْمِ

منه فقال وإن يك صادقا يصبغكم بهض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعدد ولكنه أردفه يصبغكم بعض الذي يعدكم ليضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيأ فضلا أن يتعصب له أو يرمى بالخصا من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق أيضا من هذا القبيل وكذلك قوله إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب (فإن قلت) فعن أبي عبيدة أنه فسر البعض بالكل وأنشد بيت لبيد تراك أمكنة إذا لم أرضها ه أو يرتبط بعض النفوس حمامها (قلت) إن صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسألة العاقب كان أجنبي من أن يفقه ما أقول له (إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) يحتمل أنه إن كان مسرفا كذابا خذله الله وأهلكه ولم يستقم له أمر فيتخلصون منه وأنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للبقوة ولما عضده بالبينات وقيل ماتولى أبو بكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشد من ذلك طاف صلى الله عليه وسلم بالبيت فلقوه حين فرغ فأخذوا بمجامع ردايه فقالوا له أنت الذي تنهاها عما كان يعبد آباؤنا فقال أنا ذاك فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فالتزمه من ورائه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر الصادق أن مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وأبو بكر قاله ظاهرا (ظاهرين في الأرض) في أرض مصر عالين فيها على بني إسرائيل يعني أن لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فإنه لا قبل لكم به إن جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال (ينصرونا) وجاءنا لأنه منهم في القرابة وليعلمهم بأن الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه (ما أريكم إلا ما أرى) أي ما أشير عليكم برأى إلا بما أرى من قتله يعني لا أستصوب إلا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب (وما أهديكم) بهذا الرأي (إلا سبيل الرشاد) يريد سبيل الصواب والصلاح أو ما أعلمكم إلا ما أعلم من الصواب ولا أذكر منه شيئا ولا أسر عندكم خلاف ما أظهر يعني أن لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد ولو لا استشعاره لم يستشر أحدا ولم يقف الأمر على الإشارة ه وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام أو من رشد بالفتح كعباد وقيل هو من أرشد كجبار من أجبز وليس بذلك لأن فعلا من أفل لم يجئ إلا في عدة أحرف نحو دراك وسار وقصار وجبار ولا يصح القياس على القليل ويجوز أن يكون

ه قال وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل اه كلامه (قلت) لقد أحسن الفهم والتفطن لأسرار هذا القول ويناسب تقديم الكاذب على الصادق هنا قوله تعالى وشهد شاهد من أهلها إن كان قبيصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قبيصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فقدم الشاهد أمانة صدقها على أمانة صدق يوسف وإن كان الصادق هو يوسف دونها لرفع النعمة وإبعاد الظن وإدلالا بأن الحق معه ولا يضره التأخير لهذه الفائدة ه وقريب من هذا التصرف لإبعاد النعمة ما في قصة يوسف مع أخيه إذ بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه حتى قيل إنه لما انتهى إليه قال اللهم ما سرق هذا ولا هو بوجه سارق فاطمأنت أنفسهم وانزاحت النعمة عن يوسف أن يكون قصد ذلك فقالوا والله لنفتشنه فاستخرجها من وعائه (قال) وقد قيل إن ما لقيه أبو بكر رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم أشد مما لقيه مؤمن آل فرعون ولقد طاف عليه الصلاة والسلام بالبيت فلقوه فأخذوا بمجامع ردايه وقالوا أنت الذي تنهاها عما كان يعبد آباؤنا فقال عليه السلام أنا ذلك لجاء أبو بكر فالتزمه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر قال إن مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وقاله أبو بكر جهرا قال وقال مؤمن آل فرعون فمن ينصرونا من بأس الله إن جاءنا يعلمهم أنه يساهمهم فيه فيتحققوا نصحه لهم



نُوحٌ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُولُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ

نسبة إلى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه إلى فعل (مثل يوم الاحزاب) مثل أيامهم لأنه لما أضافه إلى الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لأن المضاف إليه أغنى عن ذلك كقوله «كلوا في بعض بطونكم تغفوا» وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء دؤبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائماً دائماً منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم (فإن قلت) بهم انتصب مثل الثاني (قلت) بأنه عطف بيان لمثل الأول لأن آخر ما تناولته الإضافة قوم نوح ولو قلت أهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن إلا عطف بيان لإضافة قوم إلى أعلام فسرى ذلك الحكم إلى أول ما تناولته الإضافة (وما الله يريد ظلماً للعباد) يعني أن تدميرهم كان عدلاً وقسطاً لأنهم استوجبوه بأعمالهم وهو أبلغ من قوله تعالى «ومار بك بظلام للبيد» حيث جعل المنفي إرادة الظلم لأن من كان عن إرادة الظلم بعيداً كان عن الظلم أبعد وحيث نكر الظلم كأنه نفي أن يريد ظلماً للعباد ويجوز أن يكون معناه كعنى قوله تعالى «ولا يرضى لعباده الكفر» أى لا يريد لهم أن يظلموا يعني أنه دمرهم لأنهم كانوا ظالمين «التنادى ما حكى الله تعالى في سورة الاعراف من قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور «وقرى بالتشديد وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يقر المرء من أخيه» وعن الضحاك إذا سمعوا زفير النار نندوا هرباً فلا يأتون قطراً من الأقطار إلا وجدوا ملائكة صفوفاً فينادونهم يمجج بعضهم في بعض إذ سمعوا منادياً أقبلوا إلى الحساب (تولون مدبرين) عن قيادة منصرفين عن موقف الحساب إلى النار وعن مجاهد فارتين عن النار غير معجزين «هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبياً عشرين سنة وقيل إن فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر إلى زمنه وقيل هو فرعون آخر وبخهم بأن يوسف أتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين (حتى إذا) قبض (قلتم لن نبعث الله من بعده رسولا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فإذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذى أسستموه وليس قولهم ان يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته وقرئ أن يبعث الله على إدخال همزة الاستفهام على حرف النفي كان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث «ثم قال (كذلك يضلل الله) أى مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف

«قوله تعالى وما الله يريد ظلماً للعباد (قال فيه) يجوز أن يكون معناه معنى وماربك بظلام للعبد وهذا أبلغ لأنه إذا لم يرد الظلم كان عن فعله الظلم أبعد وحيث نكر الظلم أيضاً كأنه نفي أن يريد ظلماً للعباد قال ويجوز أن يكون معناه كعنى قوله ولا يرضى لعباده الكفر فيكون المعنى أن الله لا يريد لعباده أن يظلموا لأنه ذمهم على كونهم ظالمين (قلت) هذا من الطراز الأول وقد

(قوله كعواج وبتات) أى صاحب العاج والعاج عظم الفيل والبتات الذى يبيع البتوت أو يعملها والبت الطيلسان من الخبز كذا فى الصحاح (قوله كأنه نفي أن يريد ظلماً للعباد يجوز) هذا على مذهب المعتزلة من أنه تعالى لا يفعل الشر ولا يريد به وأن الإرادة بمعنى الرضا وعند أهل السنة أنه تعالى يخلق الشر ويريد كالحير ولا يرضى الشر فالرضا غير الإرادة عندهم كما تقرر فى التوحيد (قوله وقيل هو يوسف بن إبراهيم) عبارة النسبى أفرأيتم (قوله أى مثل هذا الخذلان المبين) المعتزلة يؤولون الإضلال بالخذلان والترك بناء على مذهبهم أن الله لا يخلق الشر وأهل السنة يفسرونه بخناق الضلال فى القلب بناء على أنه تعالى يخلق الشر كالحير كما بين فى التوحيد

هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ۝ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا  
كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ ۝ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ ابْنُ بِلْعَانَاسِ إِنَّهُ عَلَّمْنِي السِّبْحَ ۝ أَسْبَبَ  
السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ۝ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ

في عصيانه مرتاب في دينه (الذين يجادلون) بدل من من هو مسرف (فإن قلت) كيف جاز إبداله منه وهو جمع وذلك موحد (قلت) لأنه لا يريد مسرفاً واحداً فكأنه قال كل مسرف (فإن قلت) فما فاعل (كبر) (قلت) ضمير من هو مسرف (فإن قلت) أما قلت هو جمع ولهذا أبدلت منه الذين يجادلون (قلت) بلى هو جمع في المعنى وأما اللفظ فهو جمع فحمل البدل على معناه والضمير الراجع إليه على لفظه وليس يبدع أن يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى وله نظائر ويجوز أن يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا ويحتمل أن يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أنهم خبراً وفاعل كبر قوله (كذلك) أي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد إشكاله من الكبار ۝ وقرئ سلطان بضم اللام وقرئ قلب بالتونين ووصف القلب بالتكبر والتجبر لأنه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأيت العين وسمعت الأذن ونحوه قوله عز وجل «فإنه آثم قلبه» وإن كان الآثم هو الجملة ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي على كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب ۝ قيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد اشتقوه من صرح الشيء إذا ظهر (أسباب السموات) طرفها وأبوابها وما يؤدي إليها وكل ما أدرك إلى شيء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه (فإن قلت) ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعل أبغ أسباب السموات لأجزاء (قلت) إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيماً لشأنه فلما أراد تفخيماً ما أمل بلوغه من أسباب السموات أهمها ثم أوضحها ولأنه لما كان بلوغها أمراً عجبياً أراد أن يورده على نفس متشوقة إليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأهمه ليشفو إليه نفس هامة ثم أوضحه ۝ وقرئ فأطلع بالنصب على جواب الترجي تشبهاً للترجي بالتمنى ۝ ومثل ذلك التزيين وذلك الصدد (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) والمزين إما الشيطان بوسوسته كقوله تعالى وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدمهم عن السبيل أو الله تعالى على وجه التسبب لأنه مكن

تقدم مذهب أهل السنة فيما يتعلق بإرادة الله تعالى خلافاً لهذا وأشياعه ۝ قوله تعالى كذلك يضلل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أنهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا (قال) في إعرابه الذين يجادلون بدل من من هو مسرف لأن المراد كل مسرف وجاز إبداله على معنى من لا على لفظها قال فإن قلت ما فاعل كبر وأجاب بأنه ضمير من هو مسرف فحمل البدل على المعنى والضمير على اللفظ وليس يبدع اه كلامه (قلت) فيما ذكره معاملة لفظ من بعدم معاملة معناها وهذا ما قدمت أن أهل العربية يستغربونه والأولى أن يجتنب في إعراب القرآن فإن فيه إبهاماً بعد إيضاح والمعهود في قراءة البلاغة تنكبه والصواب أن يجعل الضمير في قوله كبر راجعاً إلى مصدر الفعل المتقدم وهو قوله يجادلون تقديره كبر جدالهم مقتا ويجعل الذين مبتدأ على تأويل حذف المضاف تقديره جدال الذين يجادلون في آيات الله والضمير في قوله كبر مقتا عائد إلى الجدال المحذوف والجملة مبتدأ وخبر ومثله في حذف المصدر المضاف وبناء الكلام عليه قوله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله على أحد تأويله ومثله كثير وفيه سوى ذلك من الوجوه السالبة عما يتطرق إلى الوجه المتقدم فالوجه العدول عنه

(قوله وقرئ فأطلع بالنصب على جواب) يفيد أن القراءة المشهورة بالرفع على العطف (قوله على وجه التسبب لأنه مكن) أول بهذا لأنه تعالى لا يخلق الشر عند المعتزلة أما عند أهل السنة فيخلقها كالخير فلا حاجة إلى هذا التأويل وتبقى الآية على ظاهرها

فَرَعُونَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ۚ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَوْمَ يَقَوْمٌ آتِبَعُونَ أهدكم سبيل الرشاد ۚ يَقَوْمٌ إِنَّمَا هذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا  
مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۚ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أُوْتِيَ وَهُوَ  
مُؤْمِنٌ فَلَا يَدْعُونَ إِلَيْكَ أَلْجَاءَ الْجَنَّةِ يَرْزُقُونَ فِيهَا بغير حساب ۚ وَيَقَوْمٌ مَا لِي آدَعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى  
النَّارِ ۚ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَاشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا آدَعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفِيرِ ۚ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي

الشیطان وأمهله ومثله زینا لهم أعمالهم فهم یعمهون وقرئ وزین له سوء عمله علی البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دلّ علیه قوله إلى إله موسى وصد بفتح الصاد وضمها وكسرهما علی نقل حركة العين إلى الفاء كما قبل قبله والتباب الخسران والهلاك وصد مصدر مطوف علی سوء عمله وصدوا هو وقومه ۚ قال (أهدكم سبیل الرشاد) فأجل لهم ثم فسر فافتتح بدم الدنيا وتصغیر شأنها لأن الإخلاق إليها هو أصل الشرکة ومنه يتشعب جمیع ما یؤدی إلى سخط الله ویجلب الشقاوة فی العاقبة وثنی بتعظیم الآخرة والاطلاع علی حقیقتها وأنها هی الوطن والمستقر وذكر الأعمال سیدها وحسنها وعاقبة کل منهما لیثبط عما یتلف وینشط لما یزلف ثم وازن بین الدعوتین دعوة إلى دین الله الذی ثمرته النجاة ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذی عاقبته النار وحذروا وأذروا اجتهد فی ذلك واحتشد لاجرم أن الله استثناء من آل فرعون وجعله حجة علیهم وعبرة للمعتبرین وهو قوله تعالی فوقاه الله سیآت ما مکروا وحق بالفرعون سوء العذاب وفی هذا أيضا دلیل بین علی أن الرجل کان من آل فرعون والرشاد نقیض الغیّ وفیه تعریض شیبه بالتصریح أن ما علیه فرعون وقومه هو سبیل الغیّ (فلا یجزی إلا مثلها) لأن الزیادة علی مقدار جزاء السیئة قبیحة لأنها ظلم وأما الزیادة علی مقدار جزاء الحسنة فحسنة لأنها فضل ۚ قرئ یدخلون ویدخلون (بغير حساب) واقع فی مقابلة إلا مثلها یعنی أن جزاء السیئة لها حساب وتقدير لثلاث یزید علی الاستحقاق فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزیادة علی الحق والکثرة والسعة ۚ (فإن قلت) لم کرر نداء قومه ولم جاء بالواو فی النداء الثالث دون الثاني (قلت) أما تکریر النداء ففیه زیادة تنبیه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة وفیه أنهم قومه وعشیرته وهم فیما یوبقهم وهو یعلم وجه خلاصهم ونصیحتهم علیه واجبة فهو یتحزن لهم یتلطف بهم ویستدعی بذلك أن لا یتهموه فإن سرورهم سروره وغمهم غمه وینزلوا علی تنصیحه لهم كما کرر إبراهیم علیه السلام فی نصیحة أیه یأبت وأما المجی بالواو العاطفة فلأن الثاني داخل علی کلام هو بیان للجمل وتفسیره فأعطی الداخل علیه حکمه فی امتناع دخول الواو وأما الثالث فداخل علی کلام لیس بذلك المثابة ۚ ینقل دعاه إلى کذا ودعاه له كما تقول هداه إلى الطریق وهداه له (مالیس لی به علم) أي بربوبیته والمراد بنی العلم نقی المعلوم کأنه قال وأشرك به مالیس باله وما لیس باله کیف یصح أن یعلم لها (لا جرم) سیاقه علی مذهب البصریین أن یجعل لارد المادعاه الیه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأن مع مافی حیزه فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته أو بمعنى کسب من قوله تعالی ولا یجر منکم شأن قوم أن صدوکم عن المسجد الحرام أن تعتدوا أي کسب ذلك الدعاء الیه بطلان

قوله تعالی تدعوننی لا کفر بالله وأشرك به مالیس لی به علم (قال المراد بنی العلم نقی المعلوم کأنه قال وأشرك به مالیس باله وما لیس باله کیف یصح أن یعلم لها) قلت وهذا من قبیل ۚ علی لاجب لا یهتدی بمناره ۚ أي لامنار له فهتدی به وكلام الزمخشری ههنا أشد من کلامه علی قوله تعالی حکایة عن فرعون ما علمت لكم من إله غیرى قوله تعالی لا جرم أن ما تدعوننی الیه لیس له دعوة فی الدنيا ولا فی الآخرة (قال فیه) سیاق لا جرم عند البصریین أن یکون لارد المادعاه الیه قومه وجرم بمعنى کسب أي وكسب دعاؤهم الیه بطلان دعوته أي ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته ویجوز

(قوله وقرئ وزین له سوء عمله) أي بدل قوله تعالی وكذلك زین لفرعون سوء عمله

إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَسْتَدِ كُرُونَ  
مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فُوقَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِثَالِ فِرْعَوْنَ  
سُوءَ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ وَإِذْ  
يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مَغْنُونٌ عَنَا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ

دعوته على معنى أنه ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته ويجوز أن يقال أن لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما أن بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما أن معنى لا بد أنك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم أن لهم النار أى لا قطع لذلك بمعنى أنهم أبدأ يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الأصنام أى لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا وروى عن العرب لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل وفعل أخوان كرشد ورشد وعدم وعدم (ليس له دعوة) معناه أن ما تدعوننى إليه ليس له دعوة إلى نفسه قط أى من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد إلى طاعته ثم يدعو العباد إليها إظهاراً لدعوة ربهم وما تدعون إلى عبادته لا يدعو هو إلى ذلك ولا يدعى الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله (في الدنيا ولا في الآخرة) يعنى أنه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئاً من دعاء وغيره وفي الآخرة إذا أنشأه الله حيوانا تبرا من الدعاة إليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا ولا في الآخرة أو دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة فيها كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء (المسرفين) وعن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حائها وقبل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون وقرئ فستدكرون أى فسيذركم بعضكم بعضاً (وأفوض أمرى إلى الله) لأنهم توعدوه (فوقاه الله سيئات ما مكروا) شذائد مكروهم وما هموا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى (وحاق بآل فرعون) ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم (النار) بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدأ محذوف كأن قال قال ماسوء العذاب فقبل هو النار أو مبتدأ خبره (يعرضون عليها) وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها إحراقهم بها يقال عرض الإمام الأسارى على السيف إذا قتلهم به وقرئ النار بالنصب وهى تعضد الوجه الأخير وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز أن ينتصب على الاختصاص (غدوآ وعشيا) في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله أعلم بحالهم فإما أن يعذبوا بجنس آخر من العذاب أو بنفس عنهم ويجوز أن يكون غدوآ وعشيا عبارة عن الدوام هذا مادامت الدنيا فإذا قامت الساعة قيل لهم (ادخلوا) يا (آل فرعون أشد) عذاب جهنم وقرئ أدخلوا آل فرعون أى يقال لحزنة جهنم أدخلوهم (فإن قلت) قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه أنه رجع عليهم ما هموا به من المسكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكبا فإذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكروهم راجعا عليهم لأنهم لا يعذبون بجهنم (قلت) يجوز أن يهيم الإنسان بأن يفرق قوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك حيقا لأنه هم بسوء فأصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط في الحيق أن يكون الحائق ذلك السوء بعينه ويجوز أن يهيم فرعون لما سمع إنذار المسلمين بالنار وقوا، المؤمن وأن المسرفين هم أصحاب النار فيفعل نحو ما فعل نمرود ويعذبهم بالنار فخاق به مثل ما أضمره وهم بفعله ويستدل بهذه الآية على إثبات عذاب القبر واذكر وقت يتحاجون (تبعاً) تباعا كخدم في جمع خادم أو ذوى تبع أى أتباع

أن يكون لا جرم نظير لا بد من الجرم وهو القطع فكما أنك تقول لا بد أنك تفعل والبد من التبديد الذى هو التفريق ومعناه لا مفارقة لك من فعل كذا فكذلك لا جرم معناه لا انقطاع لبطلان دعوة الأصنام بل هى باطلة أبداً

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ۖ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِحِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ  
يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ۖ قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُن تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فادْعُوا وَمَا دُعَاؤُا  
الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۖ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۖ يَوْمَ  
لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذرتَهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۖ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا هُوسَىٰ الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ

أو وصفاً بالمصدر وقرئ كلا على التأكيد لاسم إن وهو معرفة والتنوين هوض من المضاف إليه يريد إنا كلنا أو كلنا  
فيها (فإن قلت) هل يجوز أن يكون كلاحالا قد عمل فيها فيها (قلت) لا لأن الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل  
في الظرف متقدمة تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائماً في الدار زيد (قد حكم بين العباد) قضى بينهم وفصل بأن  
أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (لحزنة جهنم) للقوام بتعذيب أهلها (فإن قلت) هلا قيل الذين في النار لحزنتها  
(قلت) لأن في ذكر جهنم تهويلاً وتفظيلاً ويحتمل أن جهنم هي أبعد النار قرأ من قولهم بئر جهنم بعيدة القعر  
وقولهم في النابغة جهنم تسمية بها لزعمهم أنه باقى الشعر على لسان المنتسب إليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال  
أبو نواس في خلف الأحمر فليذم من العيايم الخسف وفيها أعنى الكفار وأطعامهم فلعن الملائكة الموكلين بعذاب أولئك  
أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم (أو لم تك تأتكم) إلزام للحجة  
وتوبيخ وأنهم خلفوا وراءهم أوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الأسباب التي يستجيب الله لها الدعوات (قالوا فادعوا)  
أنتم فإنما لا نجتري على ذلك ولا نشفع إلا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والإذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك  
قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن الدلالة على الحية فإن الملك المقرب إذا لم يسمع  
دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافر (في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) أى في الدنيا والآخرة يعنى أنه يغلبهم في الدارين  
جميعاً بالحجة والظفر على مخالفهم وإن غلبوا في الدنيا في بعض الأحيان امتحاناً من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص  
من أعدائهم ولو بعد حين والأشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة من الملائكة والأنبياء والمؤمنين من  
أمة محمد صلى الله عليه وسلم لتكونوا شهداء على الناس واليوم الثاني بدل من الأول يحتمل أنهم يعتذرون بمعذرة ولكنها  
لا تنفع لأنها باطلة وأنهم لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (ولهم اللعنة) البعد من

قوله تعالى وقال الذين في النار لحزنة جهنم (قال) فإن قلت فهلا قيل لحزنتها وأجاب أن في ذكر جهنم تهويلاً وتفظيلاً  
ويحتمل أن جهنم هي أبعد النار قرأ من قولهم بئر جهنم أى بعيدة القعر وكان النابغة يسمى الجهنم لبعد غوره في الشعر  
أه كلامه (قلت) الأول أظهر والتفخيم فيه من وجهين أحدهما وضع الظاهر موضع المضمرة وهو الذى أشار إليه  
والثاني ذكره وهو شيء واحد بظاهر غير الأول أفضع منه لأن جهنم أفضع من النار إذ النار مطلقة وجهنم أشدها  
قوله تعالى قالوا فادعوا (قال في معناه أنهم لما ألزمواهم بالحجة بقولهم أو لم تك تأتكم رسلهم بالبينات واعترفوا بذلك  
وكان في ضمن ذلك أنهم خلفوا أوقات الدعاء وأسباب الإجابة وراءهم قالوا لهم فادعوا أنتم معناه إنا نحن لا نجتري  
أن ندعو لكم فادعوا أنتم وليس قولهم فادعوا ترجية للكفار ولكن قطعاً لرجائهم لأنه إذا لم يسمع دعاء الملك المقرب  
فكيف يسمع دعاء الكافر قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم (قال فيه يحتمل أنهم يعتذرون بمعذرة لكنها  
لا تنفعهم لأنها باطلة ويحتمل أنهم لا يعتذرون ولو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة انتهى كلامه) قلت هما لاحتلالان في قوله

(قوله بئر جهنم بعيدة القعر الخ) في الصحاح بكسر الجيم والهاء وفيه القليذم البئر الغزيرة وفيه العيلم الركة الكثيرة الماء وفيه  
الحسيف البئر التي تحضر في حجارة فلا ينقطع ماؤها كثرة والجمع خسف (قوله ويتيح الله من يقتص) أى يقدر

الْكِتَابِ هُدًى وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ ه فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ  
بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ه إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ  
يَبْلُغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ه لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّا أَكْثَرَ  
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ه وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا

رحمة الله (ولهم سوء الدار) أى سوء دار الآخرة وهو عذابها وقرئى تقوم ولا تنفع بالتاء والياء يريد بالهدى جميع ما آتاه  
فى باب الدين من المعجزات والنوراة والشرايع (وأورثنا) وتركتنا على بنى إسرائيل من بعده (الكتاب) أى النوراة  
(هدى وذكرى) إرشادا وتذكرة وانتصاهما على المفعول له أو على الحال وأولو الألباب المؤمنون به العاملون بما  
فيه (فاصبر إن وعد الله حق) يعنى أن نصرة الرسل فى ضمان الله وضمن الله لا يخاف واستشهد بموسى وما آتاه من  
أسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وإبقاء آثار هداة فى بنى إسرائيل والله ناصر كذا نصرهم ومظهر كذا على الدين  
كله ومبلغ ملك أمتك مشارق الأرض ومغاربها فاصبر على ما يجزئك قومك من الغصص فإن العاقبة لك وما سبق به  
وعدى من نصرتك وإعلاء كلمتك حق وأقبل على التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء  
عليه (بالعشى والإبكار) وقيل هما صلاتا العصر والفجر (إن فى صدورهم إلا كبر) إلا تكبر وتعظم وهو إرادة  
التقدم والرياسة وأن لا يكون أحد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة أن تتقدمهم ويسكونوا تحت يدك وأمرك  
ونهيك لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسة أو إرادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله تعالى ولو  
كان خيرا ماسبقونا إليه، أو إرادة دفع الآيات بالجدال (ماهم بالغيه) أى ببالغى موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق  
إرادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود  
يريدون التجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله فيرجع إلينا الملك فسمى الله تمنيهم  
ذلك كبرا ونفى أن يبلغوا متمناهم (فاستعذ بالله) فالنجى إليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك (إنه هو السميع) لما  
تقول ويقولون (البصير) بما تعمل ويعملون فهو ناصر كذا عليهم وعاصمك من شرهم (فإن قلت) كيف اتصل قوله  
(لخلق السموات والأرض) بما قبله (قلت) إن مجادلهم فى آيات الله كانت مشتملة على إنكار البعث وهو أصل  
المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والأرض لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقها بأنها خلق عظيم لا يقادر قدره  
وخلق الناس بالقياس إليه شىء قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانته أقدر وهو  
أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله (لا يعلمون) لأنهم لا ينظرون ولا يتأملون لغابة الغفلة عليهم واتباعهم أهواهم ه ضرب

تعالى ولا شفيع بطاع ولكن بين الموضوعين فرقا يصير أحدهما معه عكس الآخر وذلك أنه هنا على تقدير أن يكون  
المراد أنهم لا معذرة لهم البتة يكون قد نفي صفة المعذرة وهى المنقعة التى لها تراد المعذرة قطعاً لرجائهم كى لا يعتذروا  
البتة كأنه قيل إذا لم يحصل ثمرة المعذرة فكيف يقع مالا ثمرة له وفى الآية المتقدمة جعل نفي الموصوف بتا نفي الصفة  
ولهذا أولى النفي فى هذه الآية الفعل وفى المتقدمة أولى النفي الذات المنسوب إليها الفعل قوله تعالى لخلق السموات والأرض  
أكبر من خلق الناس (قال فيه) فإن قلت كيف اتصل قوله لخلق السموات والأرض بما قبله وأجاب بأن مجادلهم  
فى آيات الله كانت مشتملة على إنكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والأرض لأنهم كانوا  
مقرين بأن الله خالقها وبأنها خلق عظيم بخلق الناس بالقياس إليه شىء قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان  
على الإنسان الضعيف أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله انتهى كلامه (قلت) الأولوية فى هذا الاستشهاد ثابتة

مَا تَدْعُرُونَ ۚ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَّارِيبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّا كَثْرَ النَّاسِ لَآيُؤْمِنُونَ ۚ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۚ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّا كَثْرَ النَّاسِ لَآيَشْكُرُونَ ۚ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ

الاعمى والبصير مثلاً للمحسن والمسيء ۚ وقرئ يتذكرون بالياء والتاء والتاء أعم (لاريب فيها) لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتأب فيها لانه لا بد من جزاء (لا يؤمنون) لا يصدقون بها (ادعوني) اعبدوني والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله تعالى إن الذين يستكبرون عن عبادتي ۚ والاستجابة الإجابة وفي تفسير مجاهد اعبدوني أنيكم وعن الحسن وقد سئ عنها اعملوا وأبشروا فإنه حق على الله أن يستجيب للذين آمنوا و عملوا الصالحات ريزبدهم من فضله وعن الثوري أنه قيل له ادع الله فقال إن ترك الذنوب هو الدعاء وفي الحديث إذا شغل عبدى طاعنى عن الدعاء أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وروى النعمان بن بشير رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية ويجوز أن يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتى دعائى لأن الدعاء باب من العبادة ومن أفضل أبوابها يصدقه قول ابن عباس رضى الله عنهما أفضل العبادة الدعاء وعن كعب أعطى الله هذه الأمة ثلاث خلال لم يعطهن إلا نبياً مرسلًا كان يقول لكل نبي أنت شاهدى على خلقى وقال هذه الأمة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعنى أستجب لك وقال لنا ادعوني أستجب لكم وعن ابن عباس وحدوتى أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد (داخرين) صاخرين (مبصراً) من الإسناد المجازى لأن الإبصار فى الحقيقة لأهل النهار (فإن قلت) لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين أو مفعولاً لهما فإراعى حق المقابلة قلت هما متقابلان من حيث المعنى لأن كل واحد منهما يؤدى مؤدى الآخر ولأنه لو قيل لتبصروا فيه فانت الفصاحة التى فى الإسناد المجازى ولو قيل ساكنا والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى إلى قولهم ليل ساج وساكن لا يريح فيه لم تتميز الحقيقة من المجاز (فإن قلت) فهلا قيل لمفضل أو لمنفضل (قلت) لأن الغرض تكثير الفضل وأن يجعل فضلاً لا يوازيه فضل وذلك إنما يستوى بالإضافة (فإن قلت) فلوقيل ولكن أكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس (قلت) فى هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله إن الإنسان لكفور إن الإنسان لربه لكنود إن الإنسان لظلم كفار (ذلكم) المعلوم المتميز بالأفعال الخاصة التى لا يشاركه فيها أحدهم (الله ربكم خالق كل شىء لا إله إلا هو) أخبار مترادفة أى هو الجامع لهذه الأوصاف من الإلهية والربوبية وخلق

بدرجتين أحدهما ما ذكره من أن القادر على العظيم هو على الحقير أقدر الثانية أن مجادلتهم كانت فى البعث وهو الإعادة ولا شك أن الابتداء أعظم وأبهر من الإعادة فإذا كان ابتداء خلق العظيم يعنى السموات والأرض داخلات تحت القدرة فابتداء خلق الحقير يعنى الناس أدخل تحتها وإعادته أدخل من ابتدائه فهو أولى بأن يكون مقدوراً عليه مما اعترفوا به من خلق السموات والأرض بدرجتين وإلى هذا الترتيب وقعت الإشارة بقوله تعالى فى الم غلبت الروم ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون فقرر أن قيام السماء والأرض هو بأمره أى خلقها من آياته فكيف بما هو أخط من قيامها بدرجتين وهو إعادة البشر أهون عليه من الابتداء لينحقق الدرجتان المذكورتان فقال تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وإذا تأملت الذى ذكرته منسوبة لما ذكره الزمخشري علمت أن ما ذكره هو لباب المراد لجود عهدابه إن لم تعلم ذلك ۚ قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يشكرون (قال فيه) هلا قيل ولكن أكثرهم فيستغنى عن التكرير وأجاب بأن فى التكرير تخصيصاً لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه إن الإنسان لكفور إن الإنسان لظلم كفار

شَيْءٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ۝ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ  
الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ۝ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ  
رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ  
أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ هُوَ الَّذِي  
خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شِوَاكُم مِّنكُمْ  
مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا

كل شيء وإنشائه لا يمتنع عليه شيء والوحدانية لاثاني له (فأني تؤفكون) فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته  
إلى عبادة الأوثان ۝ ثم ذكر أن كل من جحد آيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه هممة طلب الحق وخشية العاقبة أفك كما  
أفكوا ۝ وقرئ خالق كل شيء نصبا على الاختصاص وتؤفكون بالناء والياء هذه أيضا دلالة أخرى على تمييزه بأفعال  
خاصة وهي أنه جعل الأرض مستقرا (والسما بناء) أي قبة ومنه أبنية العرب لمضاربهم لأن السماء في منظر العين كقبة  
مضروبة على وجه الأرض (فأحسن صوركم) وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من  
الإنسان وقيل لم يخلفهم منكرسين كالبهايم كقوله تعالى في أحسن تقويم (فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أي الطاعة  
من الشرك والرياء قائلين (الحمد لله رب العالمين) وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها  
الحمد لله رب العالمين ۝ (فإن قلت) أمانه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الأوثان بأدلة العقل حتى جاءته  
البيئات من ربه (قلت) بلى ولكن البيئات لما كانت مقوية لأدلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى  
أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وأشبه ذلك من التنبيه على أدلة العقل كان ذكر البيئات ذكرا لأدلة العقل  
والسمع جميعا وإنما ذكر ما يدل على الأمرين جميعا لأن ذكر الأمرين أقوى في إبطال  
مذهبهم وإن كانت أدلة العقل وحدها كافية (لتبلغوا أشدكم) متعلق بفعل مجذوف تقديره ثم يبيحكم لتبلغوا وكذلك  
لتكونوا وأما (ولتبلغوا أجلا مسمى) فمعناه ونفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيامة ۝

قوله تعالى قل إنني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البيئات من ربي (قال فيه) فإن قلت النبي عليه  
الصلاة والسلام قد أتضحت له أدلة العقل على التوحيد قبل مجئ الوحي فعلام تحمل الآية وأجاب بأن الأمر كذلك  
ولكن البيئات مقوية لأدلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون  
وأشبه ذلك من التنبيه على أدلة العقل والسمع جميعا وإنما ذكر ما يدل على الأمرين جميعا لأن ذكر الأمرين أقوى في  
إبطال مذهبهم وإن كانت أدلة العقل وحدها كافية انتهى كلامه (قلت) اللائق بقواعد السنة أن يقال أمامعرفة الله تعالى  
ومعرفة وحدانيته واستحالة كون الأصنام آلهة فاستفاد من أدلة العقول وقد ترد الأدلة العقلية في مضامين السمعيات  
وأما وجوب عبادة الله تعالى وتحريم عبادة الأصنام فحكم شرعي لا يستفاد إلا من السمع فعلى هذا يترك الجواب عن هذا  
السؤال وقوله تعالى إنني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله إنما أريد به والله أعلم بتحريم عبادة غير الله فهذا لا يستفاد  
إلا من نهي الله تعالى عن ذلك لا من العقل لسك قاعدة المخشري تقتضي أن تحريم عبادة غير الله تعالى تنافي من العقل قبل  
ورود الشرع إذ العقل عنده حاكم بمقتضى النجسين والتبحيح ولهذا أورد الإشكال عليه واحتاج إلى الجواب عنه ثم قوله  
في الجواب أن أدلة الشرع مقوية لأدلة العقل ضعيف مع اعتقاده أن العقل يدل على الحكم قطعا وما دل قطعا كيف يحتمل



يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۚ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَجِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْ يَصْرَفُونَ ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا  
 أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۚ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ۚ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ۚ  
 ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ۚ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ  
 يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ۚ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ۚ ادْخُلُوا  
 أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُنْكَبِرِينَ ۚ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِينَاكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ

وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم أو اقتصر على الواحد لأن الغرض بيان الجنس (من قبل) من قبل الشيخوخة أو من قبل هذه الأحوال إذا خرج سقطا (ولعلمكم تعقلون) ما في ذلك من العبر والحجج (فإذا قضى أمرا فإنما) يكونه من غير كلفة ولا معاناة جدل هذا نتيجة من قدرته على الإحياء والإماتة وسائر ما ذكر من أفعاله الدالة على أن مقدورا لا يمتنع عليه كأنه قال فلذلك من الاقتدار إذا قضى أمرا كان أهون شيء وأسرعه (بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من الكتب (فإن قلت) وهل قوله (فسوف يعلمون) إذا الغلال في أعناقهم) إلى مثل قولك سوف أصوم أمس (قلت) المعنى على إذا إلا أن الأمور المستقبلية لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ويرجد والمعنى على الاستقبال ۚ وعز ابن عباس والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الإسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه أنه لو قيل إذ أعناقهم في الأغلال مكان قوله إذ الأغلال في أعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الأخرى ونظيره مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ۚ ولا ناعب إلا بين غرابها

كأنه قيل بمصالحين وقرئ وبالسلاسل يسحبون (في النار يسجرون) من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومنه السجير كأنه سجر بالحب أي ملى ومعناه أنهم في النار فهمي محيطه بهم وهم مسجورون بالنار ملوثة بها أجرافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة اللهم أجرنا من نارك فإنا عائدون بجوارك (ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم (فإن قلت) أما ذكرت في تفسير قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنهم مقرنون بالهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم (قلت) يجوز أن يضلوا عنهم إذا وبخروا وقيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم وأن يكرنوا معهم في سائر الأوقات وأن يكونوا معهم في جميع أوقاتهم إلا أنهم لم ينفعوهم فكأنهم ضالون عنهم (بل لم تكن ندعوا من قبل شيئا) أي تبين لنا أنهم لم يكرنوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت أن فلانا شيء فإذا هو ليس بشيء إذا خبرته فلم تر عنده خبراً (كذلك يضل الله الكافرين) مثل ضلال آلهم عنهم يضلهم عن آلهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا (ذاكم) الإضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح (بغير الحق) وهو الشرك وعبادة الأوثان (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (خالدين) مقدرين الخلود (فبئس مَثْوًى المنكبرين) عن الحق المستخفين به مثواكم أو جهنم (فإن قلت)

الزيادة والأكيد والقطعيات لا تفاوت في ثبوتها ۚ قوله تعالى وادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مَثْوًى المنكبرين (قال فيه) فإن قلت كان قياس النظم أن يقال فبئس مدخل المنكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وأجاب بأن

(قوله ومنه السجير كأنه سجر) في الصحاح سجر الرجل صفيه وخليله والجمع السجراء (قوله في سائر الأوقات) أي

بأبواب جهنم

أَوْ تَوَفِّيكَ فَأَلَيْنَا يَرْجِعُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ  
عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ۝  
اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ

أليس قياس النظم أن يقال فتمس مدخل المتكبرين كما تقول زريت الله فنعلم المزار وصل في المسجد الحرام فنعلم المصلي  
(قلت) الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء (فإما نرينك) أصله فإن نرك وما زيدة لتأكيد معنى الشرط ولذلك  
ألحقت النون بالفعل الأتراك لا تقول إن تكرمني أكرمك ولكن أما تكرمني أكرمك (فإن قلت) لا يخلو إيمان تعطف  
(أو توفيتك) على نرينك وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله تعالى (فإلينا يرجعون) فقولك وإما نرينك بعض الذي  
نعدهم وإلينا يرجعون غير صحيح وإن جعلت وإلينا يرجعون مختصاً بالمعطوف الذي هو توفيتك بقى المعطوف عليه بغير جزاء  
(قلت) وإلينا يرجعون متعلق بتوفيتك وجزاء نرينك محذوف تقديره وإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو  
القتل والأسر يوم بدر فذاك أو إن توفيتك قبل يوم بدر وإلينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام ونحوه قوله  
تعالى ۝ وإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون (ومنها من لم نقصص عليك)  
قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن علي رضي الله عنه  
أن الله تعالى بعث نبياً أسود فهو ممن لم يقصص عليه وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
عناداً يعني أما قد أرسلنا كثيراً من الرسل وما كان لواحد منهم (أن يأتي بآية إلا بإذن الله) فمن لي بأن آتى بآية مما  
تقترحونه إلا أن يشاء الله ويأذن في الإتيان بها (فإذا جاء أمر الله) وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات وأمر الله القيامة  
(المبطلون) هم المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد أتتهم الآيات فأنكروها وسموها سحراً ۝ الأنعام الإبل خاصة  
(فإن قلت) لم قال (لتركبوا منها) وتبلغوا عليها ولم يقل لنا كلوا منها وتصلوا إلى منافع أو هلاقال منها تركبون ومنها تأكلون وتبلغون  
عليها حاجة في صدوركم (قلت) في الركوب الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد إلى بلد لإقامة دين  
أو طلب علم وهذه أغراض دينية إقواء اجبة أو مندوب إليها مما يتعلق به إرادة الحكيم وأما الأكل وإصابة المنافع فمن جنس

الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء ۝ قوله تعالى وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو توفيتك وإلينا يرجعون (قال فيه  
المصحيح للحاق النون المؤكدة دخول ما المؤكدة للشرط ولولا ما لم يجوز دخولها) قلت وإنما كان كذلك لأن النون  
المؤكدة حقها أن تدخل في غير الواجب والشرط من قبيل الواجب إلا أنه إذا أكد قوى إيهامه فقربته قوة الإيهام من غير  
الواجب فيساغ دخول النون فيه ۝ ثم قال وقوله تعالى أو توفيتك إما أن يشرك مع الأول في الشرط ويكون قوله وإلينا  
يرجعون جزاء مشركاً بينهما فلا يستقيم المعنى على وإما نرينك بعض الذي نعدهم وإلينا يرجعون وإن جعل الجزاء مختصاً  
بالثاني بقى الأول بغير جزاء وأجاب بأنه مختص بالثاني وجزاء الأول محذوف تقديره وإما نرينك بعض الذي نعدهم  
وهو ما حل بهم يوم بدر فذاك أو توفيتك وإلينا يرجعون فننتقم منهم اه كلامه (قلت) وإنما حذف جواب الأول  
دون الثاني لأن الأول إن وقع فذاك غاية الأمل في اتسكهم فالثابت على تقدير وقوعه معلوم وهو حصول المراد على  
التمام وأما إن لم يقع ووقع الثاني وهو توفيه قبل حلول المجازاة بهم فهذا هو الذي يحتاج إلى ذكره للتسلية وأطمين النفس  
على أنه وإن تأخر جزاؤهم عن الدنيا فهو حتم في الآخرة ولا بد منه ۝ قال ومثله قوله تعالى وإما نذهبن بك فإنا منهم  
منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون كأنه يستشهد على أن جزاء الأول محذوف بذكر هذه الآية  
۝ قوله تعالى ۝ لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع وتبلغوا عليها حاجة في صدوركم ۝ (قال فيه) فإن قلت هلا قيل

وَعَابَهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ هـ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ هـ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا  
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا آغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا

المباح الذي لا يتعلق به إرادته ومعنى قوله (وعابها وعلى الفلك تحمّلون) وعلى الأنعام وحدها لا تحمّلون ولكن عليها وعلى الفلك  
في البر والبحر (فإن قلت) هلا قيل وفي الفلك كما قال قلنا حمل فيها من كل زوجين اثنين (قلت) معنى الإيعاء ومعنى الاستعلاء  
كلاهما مستقيم لأن الفلك وعاء ما يكون فيها حمولة له يستعملها فلما صح المعنيان صححت العبارة وان و أيضا فليطابق قوله وعليها بزوجه  
(فأى آيات الله) جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات  
نحو حمار وحماره غريب وهي في أي أغرب لإيهامه (وآثاراً) قصورهم ومصانعهم وقيل مشبههم بأرجلهم لعظم أجراهم  
(فما أغنى عنهم) مانافية أو مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب والثانية موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع بمعنى أي شيء أغنى  
عنهم مكسوبهم أو كسبهم) فرحوا بما عندهم من العلم) فيه وجوه منها أنه أراد العلم الوارد على طريق التهمك في قوله تعالى  
بل ادرك عليهم في الآخرة وعلهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت  
إلى ربّي إن لي عنده للحسنى وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربّي لخير أمنها منقلباً وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون  
به البيئات وعلم الأنبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها أن يريد علم الفلاسفة والدهريين من نبي يونان  
وكانوا إذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم وعن سقراط أنه سمع بموسى صلوات الله عليه وسلامه  
وقيل له لو هاجرت إليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا ومنها أن يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم  
ولا علم عندهم البتة ووضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحى الموجب لأقصى الفرح والمسرّة مع تمك  
بفرط جهلهم وخلوهم من العلماء ومنها أن يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزؤا  
بالبيئات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله تعالى وحق بهم ما كانوا به يستهزئون ومنها أن يجعل  
الفرح للرسل ومعناه أن الرسل لما رأوا جهلهم المتنادى واستهزائهم بالحق وعلوا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة  
على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أتوا من العلم وشكروا الله عليه وحق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز  
أن يريد بما فرحوا به من العلم عليهم بأموال الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة  
هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي أبعث شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظاف

لتركبوا منها وإنما كلوا منها ولتباغوا منها ومنها أن يكون ومنها أن يكون وعليها تباغون وأجاب بأن في الركوب الركوب في الغزو  
والحج وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد إلى بلد لإقامة دين أو علم وهذه أغراض دينية إما واجبة أو مندوبة مما يتعلق به  
إرادة الحكيم وأما الأكل وإصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به الإرادة اه كلامه (قلت) جواب متداع للسقوط  
مؤسس على قاعدة واهية وهي أن الأمر راجع إلى الإرادة فالواجب والمندوب مرادان لأنهما مندرجان في الأمر والمباح  
غير مراد لأنه غير مأوربه وهذا من هنيات المعتزلة في إنكار كلام النفس فلا تطيل فيه النفس وقاعدة أهل الحق أنه لا يربط  
بين الأمر والإرادة فقد يأمر بخلاف ما يريد ويريد بخلاف ما يأمر به فالجواب الصحيح إذن أن المقصود المأمور من الأنعام  
والمنفعة المشهورة فيها إنما هي الركوب وبلوغ الحوائج عليها بواسطة الأسفار والانتقال في ابتغاء الأوطار فلذلك ذكرهما  
هنا مقرونين باللام الدالة على التعليل والغرض وأما الأكل وبقية المنافع كالأصواف والأوبار والألبان وما يجري مجراها

(قوله المباح الذي لا يتعلق به) مبنى على مذهب المعتزلة أن الإرادة بمعنى الأمر فلا تتعلق إلا بالمطلوب وعند أهل السنة  
هي صفة تُخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه فتعلق بجميع الممكنات كما تقرر في علم التوحيد  
(قوله قلت معنى الإيعاء) في الصحاح أوعيت الزاد والمتاع إذا جعلته في الوعاء  
(قوله على رفض الدنيا والظلف) في الصحاح ظلفت نفسى عن كذا بالكسر تظلف ظلماً أي كفت

يَكْسِبُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝  
فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ۝ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا  
بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ۝

## سورة فصلت مكية

وآياتها ٤٥ نزلت بعد غافر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ حَم ۝ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ

عن الملاذو الشهيرات لم يفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفرائد من علمهم ففرحوا به ۝  
البأس شدة المذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئس (فإن قلت) أي فرق بين قوله تعالى (قلم يك ينفعهم إيمانهم) وبينه  
لوقيل فلم ينفعهم إيمانهم (قلت) هو من كان في نحو قوله ما كان الله أن يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم أن  
ينفعهم إيمانهم (فإن قلت) كيف ترادفت هذه الفاآت (قلت) أما قوله تعالى فما أغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا  
أكثر منهم وأما قوله فلما جاءتهم رسالهم بالبينات فجاءت بجرى البيان والتفسير لقوله تعالى فما أغنى عنهم كقولك رزق  
زيد المال ففزع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما  
رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم إيمانهم تابع لإيمانهم لما رأوا بأس الله (سنت الله) بمنزلة وعد الله وما أشبهه  
من المصادر المؤكدة و (هنالك) مكان مستعار الزمان أي وخسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك  
المبتلون بعد قوله فإذا جاء أمر الله قضى بالحق أي وخسروا وقت مجيء أمر الله أو وقت القضاء بالحق ۝ عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا صلى عليه واستغفر له  
(سورة السجدة مكية وهي أربع وخمسون وقيل ثلاث وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) إن جعلت (حم) إسما للسورة كانت في موضع المبتدا و (تنزيل) خبره وإن جعلتها تعديدا  
للحروف كان تنزيل خبر المبتدا محذوف و (كتاب) بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف وجوز  
الزجاج أن يكون تنزيل مبتدا وكتاب خبره ووجه أن تنزيبا لخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدا (فصلت آياته) ميزت  
وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواظ و وعد ووعد وغير ذلك وقرئ فصلت أي فرقت

فهي وإن كانت حاصلة منها فغير خاصة بها خصوص الركوب والحمل وتوابع ذلك بل الأكل بالغنم خصوص الضأن أشهر فذلك  
اخترت الضحاها منها على الغنم فذلك جردت هذه المنافع بالإخبار عن وجودها فيها غير مقرونة بما يدل على أنها المقصودة قوله تعالى  
فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا (قال) فإن قلت أي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم إيمانهم وبينه لوقيل فلم ينفعهم وأجاب  
بأن معنى كان هنا معناها في قوله ما كان الله أن يتخذ من ولد بمعنى فلم يستقم ولم يصح أن ينفعهم إيمانهم اه كلامه (قلت)  
كان الذي ثبت التصرف فيها بإجراء نونها مجرى حروف العلة حتى حذف للجازم هي كان الكثير استعمالها المكرر  
دورانها في الكلام وأما كان هذه فليست كثيرة التصرف حتى يتسع فيها بالحذف بل هي مثل صان وحان في القلة  
فالأولى بقاؤها على بابها المعروف وفائدة دخولها في هذه الآية وأمثالها المبالغة في نفي الفعل الداخلة عليه بتعدد جهة  
نفيه عموما باعتبار الكون وخصوصا باعتباره في هذه الآية مثلا فكأنه نفي مرتين والله أعلم

يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي  
ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُ غَيْرَ مَا نَحْمَلُ وَأَنَا نَشْكُرُ مَثَلَكُمْ يَوْحَىٰ إِلَىٰ أُمَّةٍ إِلَهُكُمْ

بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد (قرأنا عربيا) نصب على الاختصاص والمدح أي أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال أي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا (لقوم يعلمون) أي لقوم عرب يعلمون منازل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه (فإن قلت) سم يتعلق قوله لقوم يعلمون (قلت) يجوز أن يتعلق بتنزيل أو بفصلت أي تنزيل من الله لأجلهم أو فصلت آياته لهم والأجود أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده أي قرآنا عربيا كائنات لقوم عرب لثلا يفرق بين الصلات والصفات ۝ وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب أو خبر مبتدأ محذوف (فهم لا يسمعون) لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت إلى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعته ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه ۝ والأكنة جمع كنان وهو الغطاء ۝ الوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لندوة قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف وجحهم له كأنها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كان بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقى ولا ترائى (فاعمل) على دينك (إننا عاملون) أي على ديننا وفاعمل في إبطال أمرنا إننا عاملون في إبطال أمرك وقرئ إنا عاملون ۝ (فإن قلت) هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة (قلت) نعم لأنه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى أن حجابا حاصل وسط الجهتين وأما بزيادة من فالمعنى أن حجابا ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها (فإن قلت) هلا قيل على قلوبنا أكنة كما قيل وفي آذاننا وقرئ ليكون الكلام على تمط واحد

### (القول في سورة فصلت)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب الآية (قال فيه) فإن قلت ما فائدة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب وأجاب بأن فائدتها الدلالة على أن من جهتهم ابتدأ الحجاب ومن جهته أيضا ابتدأ حجاب فلزم أن المسافة المتوسطة بينهما مملوءة بالحجاب لا فراغ فيها ولولا ذكر من فيها لكان المعنى على أن في المسافة بينهما حجابا فقط اه كلامه (قلت) لا ينفك المعنى بدخول من عما كان عليه قبل ولو كان الأمر كما ذكر لكانت من مقدره مع بين الثانية لأنه جعلها مفيدة للابتداء في الثانية كما هي مفيدة للابتداء في الأولى فيكون التقدير إذا ومن بيننا وبينك حجاب وهذا يخل بمعنى بين إخلالا بينا فإنها تأتي تكرار العامل معها حتى لو قال القائل جلست بين زيد وجلست بين عمرو لم يكن مستقيما لأن تكرار العامل بصيرها داخله على مفرد فقط ويقطعه عن قرينه المتقدم ومن شأنها الدخول على متعدد لأن في ضمن معناها التوسط وزاد الزمخشري على هذا فجعل بين الثانية غير الأولى لأنه جعل الأولى بجهتهم والثانية بجهته وليس الأمر كما ظنه بل بين الأولى هي الثانية بعينها وهي عبارة عن الجهة المتوسطة بين المضافين وتكرارها إنما كان لأن المعطوف مضمحل محفوظ فوجب تكرار حافظه وهو بين والدليل على هذا أنه لا تفاوت باتفاق بين أن تقول جلست بين زيد وعمرو وبين أن تقول جلست بين زيد وبين عمرو وإنما كان ذكرهما مع الظاهر جوازاً ومع المضمحل وجوباً لما بيناه فإذا وضع ذلك فالظاهر والله أعلم أن موقع من هاهنا كوقعها في قوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً وذلك للإشعار بأن الجهة المتوسطة مثلاً بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام مبدأ الحجاب لا غير وجود من قريب من عدمها ألا ترى إلى آخر هذه الآية كيف لم تستعمل فيها من وهي قوله تعالى وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا

إِلَهُ وَاحِدًا فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْبَشْرِكِينَ ۚ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۚ  
 إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۚ قُلْ أَنتُمْ لَسْكَفَرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ

(قلت) هو على نمط واحد لأنه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في أكنة وعلى قلوبنا أكنة والدليل عليه قوله تعالى إنا جعلنا على قلوبهم أكنة ولو قبل إنا جعلنا قلوبهم في أكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة إلا في المعاني (فإن قلت) من أين كان قوله (إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) جواباً لقلوبهم قلوبنا في أكنة (قلت) من حيث أنه قال لهم إني لست بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحى إلي دونكم فصحت بالوحى إلى وأنا بشر نبوتى وإذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى وفيما يوحى إلي أن إلهكم إله واحد (فاستقيموا إليه) فاستووا إليه بالتوحيد وإخلاص العبادة غير ذاهبين يميناً ولا شمالاً ولا ملتفتين إلى ما يسوق لكم الشيطان من اتخاذ الأولياء والشفعاء (وتوبوا إليه) بما سبق لكم من الشرك (واستغفروه) ۚ وقرئ قال إنما أنا بشر ۚ (فإن قلت) لم خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقروناً بالكفر بالآخرة (قلت) لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته ألا ترى إلى قوله عز وجل ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم أى يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها بإففاق الأموال وما خدع المؤلف قلوبهم إلا بملظة من الدنيا فقزت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وأهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا إلا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجرهتوا وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخريف شديد من منعها حيث جعل المنع من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كانت قریش بطمعون الحاج ويحرمون من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا يفعلون ما يكرنون به أزياء وهو الإيمان الممنون المقطوع وقيل لا يمن عليهم لأنه إنما يمن النفضل فأما الأجر فحق أدائه وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كما صح ما كانوا يعملون (أنتم) بهمزتين

على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وكلام الرخصى هذا إذا امتحنته بالتحقيق الذى ذكرناه تبين ضعفه والله الموفق وفي هذه الآية وأختها من المبالغة والبلاغة ما لا يليق أن ينتظم إلا في درر الكتاب العزيز فإنها اشتملت على ذكر حجب ثلاثة مترالية كل واحد منها كاف في فنه فأولها الحجاب الحائل الخارج ويلبه حجاب الصمم وأقصاها الحجاب الذى أكن القلب والعياذ بالله فلم تدع هذه الآية حجاباً مرتخياً إلا أسبلته ولم تبق لهؤلاء الأشقياء مطمعاً ولا صريحاً إلا استلبته ففسأل الله كفايته قوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم الآية (قال) فإن قلت كيف كان هذا جواباً لما تقدمه (وأجاب) بما تلخصه فنقول لما أبوا القبول منه عليه الصلاة والسلام كل الإباء بدأهم بإقامة الحججة على وجوب القبول منه فإنه بشر مثلهم لا قدرته على إظهار المعجزات التى ظهرت وإنما القادر على إظهارها هو الله تعالى تصديقاً له عليه الصلاة والسلام ثم بين لهم بعد قيام الحججة عليهم أهم ما بعث به وهو التوحيد وندرج تحت الاستقامة جميع تفاصيل الشرع ونعم ذلك بإبذارهم على ترك القبول بالويل الطويل ۚ قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة (قال فيه) فإن قلت لم خص الزكاة وأجاب بأن أحب الأشياء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه فبذله مصداقاً لاستقامته ونصوع طويته وما خدع المؤلف قلوبهم إلا بملظة من الدنيا وأهل الردة ما تظاهروا إلا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجرهتوا أم كلامه (قلت) كلام حسن بعد تبديل قوله وما خدع المؤلف فإن استعماله الخداع غير لائق لأنهم إنما تألفهم عليه الصلاة والسلام على الإيمان من قبيل الملاطمة ودفع السيئة بالحسنة وما نحاهذا النحو

(قوله الطباق والملاحظة) لعله والملاحظة (قوله إلا بملظة من الدنيا) فى الصحاح لفظ إذا تتبع أسانه بقية الطعام فى فمه أم فلمظه بمعنى ملوظ كعضة بمعنى مضوغ (قوله أنتم بهمزتين) لعله قرئ بهمزتين الخ

وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أُنُوفًا فِي  
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا

الثانية بين بين وآلائكم بالآلف بين همتين (ذلك) الذي قدر على خلق الأرض في مدة يومين هو (رب العالمين ۝  
رواسي) جبالات أو ابنت (فإن قلت) ما معنى قوله (من فوقها) وهل اختصر على قوله وجعل فيها رواسي كقوله تعالى  
وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الأرض رواسي وجعل لها رواسي (قلت) لو كانت تحتها كالأساطين  
لها تستقر عليها أو مركوزة فيها كالمسامير لمعت من الميدان أيضا وإنما اختار إرساءها فوق الأرض لتكون المافع  
في الجبال معرضة لطالبها حاضرة محصلها وليبصر أن الأرض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة إلى تمسك لابتد لها  
منه وهو تمسكها عز وعللا بقدرته (وبارك فيها) وأكثر خيرها وأمنها (وقدر فيها أرواسيها) أرزاق أهلها ومعاشهم  
وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود وقسم فيها أرواسيها (في أربعة أيام سواء) فذلك مدة خلق الله الأرض وما فيها كأنه  
قال كل ذلك في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قبل خلق الله الأرض في يوم الأحد ويوم الإثنين وما فيها  
يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وقال الزجاج في أربعة أيام في تنمة أربعة أيام يريد بالتنمة اليومين وقرئ سواء بالحركات الثلاث  
الجر على الوصف والصب على استوت سواء أي استواء والرفع على هي سواء (فإن قلت) بم تعلق قوله (للسائلين)  
(قلت) بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لأجل من سأل في كم خلقت الأرض وما فيها أو يقدر أي قدر فيها الأوقات لأجل  
الطالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين وهذا الوجه الأخير لا يستقيم إلا على تفسير الزجاج (فإن قلت) هلا قيل في يومين  
وأي فائدة في هذه الفذلكة (قلت) إذا قال في أربعة أيام وقد ذكر أن الأرض خلقت في يومين علم أن ما فيها خلق في  
يومين فبقيت الخيرة بين أن تقول في يومين وأن تقول في أربعة أيام سواء فكانت في أربعة أيام سواء فائدة ليست في  
يومين وهي الدلالة على أنها كانت أياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان ولو قال في يومين وقد يطلق اليومان على أكثرهما  
لكان يجوز أن يريد باليومين الأولين والآخرين أكثرهما (ثم استوى إلى السماء) من قولك استوى إلى مكان كذا إذا

قوله تعالى أنتم لتكفرون بالذي خالق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من  
فوقها وبارك فيها وقدر فيها أرواسيها في أربعة أيام سواء للسائلين (قال فيه) إن قوله في أربعة أيام فذلك مدة خلق  
الله الأرض وما فيها كأنه قال وقدر فيها أرواسيها في يومين آخرين فذلك أربعة أيام سواء وقال ومعنى سواء كاملة مستوية  
بلا زيادة ولا نقصان ونقل عن الزجاج أن معنى الآية في تنمة أربعة أيام يريد بالتنمة اليومين ثم قال فإن قلت  
بم تعلق قوله للسائلين وأجاب بأنه متعلق بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لأجل من سأل في كم خلقت الأرض وما فيها  
أو يقدر أي قدر فيها الأوقات لأجل السائلين المحتاجين إليها من المقتاتين ثم قال وهذا الوجه الأخير لا يستقيم إلا على  
تفسير الزجاج انتهى كلامه (قلت) لم يبين امتناعه على التفسير الأول ونحن نبينه فنقول مقتضى التفسير الأول أن قوله  
في أربعة أيام فذلك ومن شأنها الوقوع في طرف الكلام بعد تمامه فلو جعل قوله للسائلين متعلقا بمقدر لزم وقوع  
الفذلكة في حشو الكلام ولا كذلك على تفسير الزجاج فإن الأربعة على قوله من تنمة الأول وهي متعلقة بمقدر على  
تأويل حذف التنمة تعلق الظرف بالمظروف ليلام ذلك إتمام الكلام ببيان المقصود من خلق الأوقات بعد بيان من  
خلقها وتفسير الزجاج والله أعلم أرجح فإنه يشتمل على ذكر مدة خلق الأوقات بالتأويل القريب الذي قدره ومتضمن  
لما يقوم مقام الفذلكة إذ ذكر جملة العدد الذي هو ظرف لخلقها وخلق أرواسيها وعلى تفسير الزمخشرى تكرون الفذلكة  
مذكورة من غير تقدم تصريح بجملة تفاصيلها فإنه لم يذكر منها سوى يومين خاصة ومن شأن الفذلكة أن يتقدم النص  
على جميع أعدادها مفصلة ثم تأتي هي على الجملة كقوله فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتك عشرة كاملة ۝

أَتَيْنَا طَائِعِينَ ه فَفَضَّهِنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزِينَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصِيحٍ

توجه إليه توجها لا يلوى على شيء وهو من الاستواء الذي هو ضد الاوجاج ونحوه قولهم استقام إليه وامتد إليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا إليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة إلى خلق السماء بعد خالق الأرض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه قبل خلق السموات والأرض على الماء فأخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فأبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتحها فجعلها أرضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع ه ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما أنه أراد تكرينهما فلم يمتنع عليهما ووجدتا كما أرادهما وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الأمر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز أن يسكون تخيلا ويبنى الأمر فيه على أن الله تعالى كلم السماء والأرض وقال لهما اتينا شتما ذلك أو أبيتاه فقالتا آتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير أثر قدرته في المقدورات لا غير من غير أن يحتمق شيء من الخطاب والجواب ونحوه قول القائل قال الجدار لو تد لم تشقني قال لو تد أسأل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي (فإن قلت) لم ذكر الأرض مع السماء وانتظمهما في الأمر بالإتيان والأرض مخلوقة قبل السماء بيومين (قلت) قد خلق جرم الأرض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال تعالى ه والأرض بعد ذلك دحاها ه فالمعنى اتينا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف اتى بأرض مدحوة قرارا ومهادا لأهلك واتى باسماء مقببة سقفا لهم ومعنى الإتيان الحصول والوقوع كما نقول أتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز أن يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبها الإتيان الذي أريده وتفضييه الحكمة والتدبير من كون الأرض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للأرض وتنصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا من المؤاناة وهي المرافقة أي لتوات كل واحدة أختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا أمرى ومشيتي ولا تمتعنا (فإن قلت) ما معنى طوعا أو كرها (قلت) هو مثل للزوم تأثير قدرته فيهما وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لنفعلن هذا شئت أو أبيت ولنفعلنه طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكرهتين (فإن قلت) هلا قيل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لاسم سموات وأرضون (قلت) لما جعلن مخاطبات رجييات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعتين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين (فقضاءن) يجوز أن يرجع الضمير فيه إلى السماء

قوله تعالى ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها والأرض اتينا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعتين (قال فيه) إتما أن يكون هذا من مجاز التمثيل كان عدم امتناعهما على قدرته أمثال المأمور المطيع إذا ورد عليه الأمر المطاع فهذا وجه وإتما أن يكون تخيلا فيبنى الأمر فيه على أن الله تعالى كلم السموات والأرض فأجابته والغرض منه تصوير أثر القدرة في المقدور من غير أن يحتمق شيئا من الخطاب والجواب ومثله قول القائل قال الحائط للو تد لم تشقني فقال لو تد أسأل من يدقني لم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي اه كلامه (قلت) قد تقدم إنكارى عليه لإطلاق التخييل على كلام الله تعالى فإن معنى هذا الإطلاق لو كان صحيحا والمراد منه التصوير لوجب اجتناب التعبير عنه بهذه العبارة لما فيها من إيهاام وسوء أدب والله أعلم ه قوله تعالى ه ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض اتينا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعتين ه الآية (قال) فإن قلت لم ذكر الأرض مع السماء وانتظمها في الأمر بالإتيان معها والأرض مخلوقة قبل السماء بيومين وأجاب بأنه قد خاق جرم الأرض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال ه والأرض بعد ذلك دحاها فالمعنى اتينا على ما ينبغي من الشكل اتى بأرض مدحوة وقرارا ومهادا واتى باسماء مقببة ه ثم قال فإن قلت ما معنى طوعا أو كرها وأجاب بأنه تمثيل للزوم تأثير القدرة فيهما كما يقول الجبار لمن تحت يده لنفعلن هذا شئت أو أبيت ه ثم قال فإن قلت هلا قيل طائعتين على اللفظ وطائعات على المعنى لاسم سموات وأرضون وأجاب بأنه لما جعلن مخاطبات

(قوله فعل الأمر المطاع) لعله أمر الأمر (قوله تصوير أثر قدرته) لعله تأثير



وَحَفِظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝ إِذْ جَاءَتْهُمْ  
الرَّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ۝ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ

على المعنى كما قال طائمين ونحوه أنجاز نخل خاوية ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصبين  
أن أحدهما على الحال والثاني على التمييز قبل خالق الله السموات وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر  
ساعة من يوم الجمعة تخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وفي هذا دليل على ما ذكرت من أنه لو قيل في يومين  
في موضع أربعة أيام سواء لم يعلم أنهما يومان كاملان أو ناقصان (فإن قلت) فلو قيل خلق الأرض في يومين كاملين  
وقدر فيها أقرانها في يومين كاملين أو قيل بعد ذكر اليومين تلك أربعة سواء (قلت) الذي أورده سبحانه أخصروا أفصح  
واحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصة الفرائح ومصاك الركب ليشير الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص  
وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب (أمرها) ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك أو شأها  
وما يصلحها (وحفظا) وحفظناها حفظا يعنى من المسترفة بالثواب ويجوز أن يكون مفعولا له على المعنى كأنه قال وخلقنا  
المصاييح زينة وحفظا (فإن أعرضوا) بعدما تلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته ۝ فحذرهم أن تصيبهم صاعقة  
أى عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة ۝ وقرئ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وهي المزة من الصعق أو الصعق يقال صعقته  
الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل (من بين أيديهم ومن خلفهم) أى أنوهم من كل جانب واجتهدوا بهم  
وأعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا العتو والإعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان لا يبينهم من بين أيديهم ومن  
خلفهم يعنى لا يبينهم من كل جهة ولا عملان فيهم كل حيلة وتفعل استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة وعن

ومجيبات وموصوفات بالطوع والكراهة ۝ قيل طائمين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين اه كلامه (قلت) لم يحقق  
الجواب عن السؤال الآخر وذلك أن في ضمن الآية سؤالين أحدهما لم ذكرها وهي مؤنثة وهذا هو السؤال الذى أورده  
الثانى أتى بها على جمع العقلاء وهي لا تعقل وهذا لم يذكره فالجواب الذى ذكره مختص بالسؤال الذى لم يذكره ولهذا  
نظره بقوله ساجدين فإن تلك الآية ليس فيها سوى السؤال عن كونها جمعت جمع العقلاء فأما السؤال الآخر فلا لأن  
الكلام راجع إلى السكواكب وهي مذكرة والشمس وإن كانت مؤنثة إلا أنه غاب في الكلام المذكور على المؤنث على  
المنهاج المعروف فأما هذه الآية فتزيد على تلك بهذا السؤال الآخر وهو أن جميع ما تقدم ذكره من السموات والأرض  
مؤنثة فيقال أولا لم ذكرها وثانيا لم أتى جمعها المذكور على نعت جمع العقلاء ليتحقق نسبة السؤال والجواب والطوع  
اللاتى تختص بالعقلاء لا بها ولم يوجد في جمع المؤنث عدول إلى جمع المذكور لوجود الصيغة المرشدة إلى العقل فيه فتمت  
الفائدة بذلك على تأويل السموات والأرض بالأفلاك مثلا وما في معناه من المذكور ثم يغلب المذكور على المؤنث ولا  
يعدم مثل هذا التأويل في الأرضين أيضا ۝ قوله تعالى «فقضاهن سبع سموات في يومين» (قال فيه) قيل إن الله تعالى  
خلق السموات وما فيها في يوم الخميس ويوم الجمعة وفرغ آخر ساعة من يوم الجمعة وخلق آدم في تنمة اليوم وفيه تقوم  
القيامة ثم استدل بذلك على ما ذكره من أنه لو قال في يومين في موضع أربعة أيام سواء لم يعلم أنهما يومان كاملان  
أو ناقصان اه كلامه (قلت) كأنه يستدل بإهمال اليومين عن التأكيد حيث لم يكن خلق السموات بما فيها في جملة  
اليومين على أنه إنما فذلك أيام خلق الأرض بما فيها لأنه لو فصلها لم يكن فيها دليل على استيعاب الخلق لكل يومين  
منها بل كان يجوز أن يكون الخلق في أحد اليومين وبعض الآخر كما كان في هذه الآية على النقل الذى ذكر وهذا لا يتم  
له منه غرض فإن للفتائل أن يقول إنما كان خلق السموات بما فيها في يومين كاملين لأن آدم لمن يكن في السموات

(قوله من مغاصة الفرائح ومصاك الركب) أى أمكنة الغوص على اللؤلؤ وأمكنة اصطكاك الركب

كَفَرُونَ ۚ فَأَمَّا آدُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۚ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِيَقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ

الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة لأهم إذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجرى عليهم وقبل معناه إذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم (إن قلت) الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بأنهم جاؤهم وكيف يخاطبونهم بقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون (قلت) قد جاءهم هود وصالح داعيين إلى الإيمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أي من قبلهم ومن يحيى من خلفهم أي من بعدهم فكان الرسل جميعاً قد جاؤهم وقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الأنبياء الذين دعوا إلى الإيمان بهم ۚ أن في (أن لا تعبدوا) بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة أصله أنه لا تعبدوا أي بأن بالشأن والحديث قولنا لكم لا تعبدوا ۚ ومفعول شاء محذوف أي (لو شاء ربنا) إرسال الرسل (لا ينزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون) معناه فإذا أنتم بشر ولستم بملائكة فإنا لا تؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم أرسلتم به ليس بإقرار بالإرسال وإنما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون روى أن أبا جهل قال في ملا من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التستم لنا رجلاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أنانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علماً وما يخفى علي فأناه فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبدالمطلب أنت خير أم عبدالله فم تشم آهتنا وتضلنا فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وإن تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش شئت وإن كان بك المال جمعناك من أهوالنا ما نستغني به ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة إلا قد صبأ فأنطلقوا إليه وقالوا يا عتبة ما حسبك عنا إلا أنك قد صبأت فغضب وأقسم لا يكلم محمداً أبداً ثم قال والله لقد كلمته فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب تخفت أن ينزل بكم العذاب (فاستكبروا في الأرض) أي تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الأجرام أو استولوا في الأرض واستولوا على أهلها بغير استحقاق للولاية (من أشد منا قوة) كما واذوى أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصحرة من الجبل فيقتلعها بيده (فإن قلت) القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف وأما القدرة فما لأجله يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات أو بصفة بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه وتعالى لا يوصف بالقوة إلا على معنى القدرة فكيف صح قوله (هو أشد منهم قوة) وإنما يصح إذا أريد بالقوة في الموضوعين شيء واحد (قلت) القدرة في الإنسان هي صحة البنية والاعتدال والقوة والشدة والصلابة في البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح

حينئذ وبخلقه كل اليومان على مقتضى ما نقله فتأمل ۚ قوله تعالى أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة (قال فيه) القوة الشدة في البنية ونقيضها الضعف والقدرة ما لأجله يصح الفعل من الفاعل وهي نقيضة العجز فإن وصف الله تعالى بالقوة فذلك بمعنى القدرة وليست القوة على حقيقتها فكيف صح قوله هو أشد منهم قوة ولا بد أن يراد بالقوة في الموضوعين شيء واحد وأجاب عنه بأن القدرة في الإنسان هي صحة البنية والاعتدال والشدة والقوة والصلابة في البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح

(قوله من تميز بذات أو بصفة بنية) هذا كقوله الآتي إنه يقدر لذاته تمحل لتطبيق الآية على مذهب المعتزلة على أنه تعالى قادر بذاته لكن مذهب أهل السنة أنه تعالى قادر بقدرة قائمة بذاته وكذا بقية الصفات كما في التوحيد

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ۚ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ  
فَآخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۚ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۚ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ

أن يقال الله أفدر منهم جاز أن يقال أقوى منهم على معنى أنه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم (بجحدون) كانوا يعرفون أنها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعه وهو معطوف على فاستكبروا أى كانوا كفرة فسقة ۚ الصرصر العاصفة التي تصرصر أى تصوت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تكرر لبناء الصر وهو البرد الذي يصر أى يجمع ويقبض (نحسات) قرئ بكسر الحاء وسكونها ونحس نحساً نقيض سعد سعداً وهو نحس وأما نحس فأما مخفف نحس أو صفة على فعل كالضخم وشبهه أو وصف بمصدره ۚ وقرئ لتذيقهم على أن الإذاقة لا يج أو الأيام: نحسات ۚ وأضاف العذاب إلى الخزي وهو الذل والاستكانة على أنه وصف للعذاب كأنه قال عذاب خز كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء والدليل عليه قوله تعالى (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو من الإسناد المجازى ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به ألا ترى إلى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر ۚ وقرئ ثمود بالرفع والنصب منوناً وغير منون والرفع أفصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الناء (فهديناهم) فدللتناهم على طريق الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشd (فإن قلت) أليس معنى هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردهته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة (قلت) للدلالة على أنه ۚ مكهم وأزاح اللهم ولم يبق له عذراً ولا علة فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها (صاعقة العذاب) داهية العذاب وقارعة العذاب ۚ و (الهون) الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه ولولم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهداً لإلهذه الآية لكفى بها حجة ۚ قرئ يحشر على البناء

منهم على معنى أنه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرتهم انتهى كلامه (قلت) فسر القدرة على خلاف ما هي في اعتقاد المتكلمين فإن سلمه من حيث اللغة فقد نكص عنه إلى حمل القدرة في الآية على مقتضاها في فن الكلام وجعل التفضيل من حيث أن الله تعالى قادر لذاته أى بلا قدرة والمخلوق قادر بقدرة على القاعدة الفاسدة للقدرة ونظير هذا التفسير في الفساد تفسير قول القائل زيد أعلم من عمرو بإثبات صفة العلم المفضول وسلبها بالكلية عن الأفضل وهل هذا إلا عته وعمى في اتباع الهوى وعمه فالحق أن التفضيل إنما جاء من جهة أن القدرة الثابتة للعبد قدرة مقارنة لفعله معلومة قبله وبعده مفردة غير مؤثرة في العقل الراجع في محلها فضلا عن تجاوزها إلى غيره وقدرة الله جلت قدرته مؤثرة في المقدرات موجودة أزلا وأبداءة التعلق بجميع الكائنات من الممكنات فهذا هو النور الذي لا يلوح إلا من إثبات عقائد السنة لمن سبقت له من الله المنة ۚ قوله تعالى وأما ثمود فهديناهم (قال فيه) فدللتناهم على طريق الضلالة والرشد ۚ ثم قال فإن قلت أليس معنى هديته حصلت له الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة وأجاب بأنه مكهم وأزاح اللهم ولم يبق لهم عذراً ولا علة فكأنه حصل البغية فيهم بحصول موجبها ۚ ثم قال ولولم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبيها صلى الله عليه والسلام وكفى به شهيداً لإلهذه الآية لكفى بها حجة انتهى كلامه (قلت)

(قوله وهو معطوف على فاستكبروا) أى قوله تعالى وكانوا الخ (قوله حجة على القدرية الذين هم مجوس) يريد أهل السنة سماهم المعتزلة بذلك لقولهم جميع الحوادث خيرا كانت أو شراً من أفعال العباد الاختيارية أو غيرها فهى بقضاء الله تعالى وقدره خلافاً للمعتزلة حيث ذهبوا إلى أن جميع الأفعال الاختيارية ليست بقضائه تعالى وقدره ولأن تأثير له فيها أصلاً وهذا أحق بالتنقيص الذي يفيد الحديث وفسروا الإضلال والهدى في قوله تعالى ۚ يضل من يشاء ويهدى من يشاء ۚ بخناق الضلال وخلق الاهتداء خلافاً للمعتزلة حيث فسروا الإضلال بالخذلان وترك العبد وشأنه والهدى بالبيان ونقل

اللَّهُ إِلَى النَّارِ فهُمْ يُوزَعُونَ ۚ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمْ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ  
وَقَالُوا لَوْلَا جُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۚ  
وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا  
تَعْمَلُونَ ۚ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَبَكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۚ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ هِيَ لَهُمْ وَإِنْ

للمفعول ونحشر بالون وضم الشين وكسرهما ويحشر على البناء للفاعل أى يحشر الله عز وجل (أعداء الله) الكفار من  
الأولين والآخرين (يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم أى يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم نوالهم وهى عبارة  
عن كثرة أهل النار نسأل الله أن يجيرنا منها بسعة رحمته (فإن قلت) مائى قوله (حتى إذا ما جاءوها) مائى (قلت)  
مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلو منها ومثله  
قوله تعالى أتم إذا ما وقع آمنتم به أى لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به شهادة الجلود باللامسة للحرام وما أشبه  
ذلك مما يفضى إليها من المحرمات (فإن قلت) كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق (قلت) الله عز وجل ينطقها كما  
أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هى كناية عن الفروج أراد بكل شىء كل شىء من الحيوان  
كما أراد به فى قوله تعالى والله على كل شىء قدير كل شىء من المقدورات والمعنى أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذى قدر  
على نطق كل حيوان وعلى خلقكم وإنشائكم أول مرة وعلى إعادتكم ورجعكم إلى جزائه وإنما قالوا لهم (لم شهدتم علينا) لما  
تعاضدهم من شهادتها وكبر عليهم من الاقتضاح على السنة جوارحهم (المعنى أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند  
ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن يشهدتلكم جوارحكم لأنكم كنتم غير عالين بشهادتها عليكم بل كنتم  
جاحدين بالبعث والجزاء أصلا ولكنكم إنما استترتم لظنكم (أن الله لا يعلم كثيرا مما) كنتم (تعملون) وهى الخفيات من  
أعمالكم وذلك الظن هو الذى أهلككم وفى ذنائبه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزل عن ذمته أن عليه من الله  
عينا كائنه ورقباً مهيمناً حتى يكون فى أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاماً وأوفر تحفظاً وتصوناً مع الملائكة  
ولا يتبسط فى سره مراقبة من تشبه بهؤلاء الظانين وقرئ (ولكن زعمتم) ورفع بالابتداء (و(ظنكم) و(أرداكم)

قد أنطقه الله الذى أدق كل شىء. بأن القدرية مجوس هذه الأمة بشهادة النبى صلى الله عليه وسلم وقد شهد صحبه الأكرمون أن  
الطائفة الذين قفا الزمخشرى اثرم القدرية المنجسة الذين أديانهم بأدناس الفساد متجسة فهم أول منخرط فى هذا السلك ومنهبط  
فى مهواة هذا الهلك (ولنرجع إلى أصل الكلام فنقول الهدى من الله تعالى عند أهل السنة حقيقة هو خلق الهدى فى قلوب  
المؤمنين والإضلال خالق الضلال فى قلوب الكافرين ثم ورد الهدى على غير ذلك من الوجوه مجازاً واتساعاً نحو هذه الآية فإن  
المراد فيها بالهدى الدلالة على طريقة كاسره الزمخشرى وقد اتفق الفريقان أهل السنة وأهل البدعة على أن استعمال الهدى ههنا  
مجاز ثم إن أهل السنة يحملونه على المجاز فى جميع موارد فى الشرع فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعملون وأى دليل

الذنى عن ابن منصور المازيدى أن الهدى المضاف للخلاق يكون تارة بمعنى البيان كما فى هذه الآية وتارة بمعنى خلق  
الاهتداء كما فى قوله تعالى «يضل من يشاء ويهدى من يشاء» والمضاف للمخلوق بمعنى البيان فقط ويحتمل أن يكون هدى  
ثمود بمعنى خالق الاهتداء فهم وأهم آمنوا قبل عقرب الناقة ثم كفروا وعقروها اه (قوله لأن يخلو منهم) لعله منها  
(قوله كما أنطق الشجرة) على زعم المعتزلة أن تكليمه مع موسى عليه السلام هو خالقه الكلام فى الشجرة التى  
كانت عند الطور وعند أهل السنة هو بأن كشفه عن كلامه القديم وأسمعه إياه كما بين فى محله  
(قوله وذلك الظن هو الذى أهلككم) لعله وذلكم (قوله فى سره مراقبة من التشبه) أى مخافة كما أفاده الصحاح

يَسْتَعْتَبُوا فَفَهِمُوا مِنَ الْمُعْتَبِينَ ۝ وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ ۝ فَرَيْنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ذَلِكَ

خبران ويجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم وأرادكم الخبر (فإن يصبروا) لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواب في النار (إن يستعتبوا) وإن يسألوا العتي وهو الرجوع لهم إلى ما يحبون جزاء ما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتي ولم يجابوا إليه ونحوه قوله عز وجل أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محبص وقرئ وإن يستعتبوا ففهم من المعتبين أي إن سئلوا أن يرضوا بهم ففهم فاعلون أي لا سبيل لهم إلى ذلك (وقيضنا لهم) وقدرنا لهم يعني لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيطان إذا كان متكافئين والمقايضة المعاوضة (قرناء) أخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله تعالى «ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين» (فإن قلت) كيف جاز أن يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم (قلت) معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض (ما بين أيديهم وما خلفهم) ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا يبعث ولا حساب (وحق عليهم القول) يعني كلمة العذاب (في أمم) في جملة أمم ومثل في هذه ما في قوله :

إن تك عن أحسن الصنعة ما ۝ فوكا في آخرين قد أفكوا

يريد فأنت في جملة آخرين وأنت في عداد آخر بن است في ذلك بأوحد (فإن قلت) في أمم ما محله (قلت) محله النصب على الحال من الضمير في عليهم أي حق عليهم القول كائنين في جملة أمم (إنهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللأمم قرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغى بلغى ولغاب لغو واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته قال من اللغاورفت النكلم والمعنى لا تسمعوا له إذا قرئ وتشاغلو عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والهديان والزمل وما أشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وأشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته كانت قریش بوصى بذلك بعضهم بعضا (فلنذيقن الذين كفروا) يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والامر بن لهم باللغو خاصة وأن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم وقد ذكرنا إضافة أسوأ بما أغنى عن إعادته وعن ابن عباس (عذابا شديدا) يوم بدر . و (أسوأ الذي كانوا يعملون) في الآخرة (ذلك) إشارة إلى الأسوأ ويجب أن

في هذه الآية على أهل السنة لأهل البدعة حتى يرميهم بما ينعكس إلى نحره ويذيقه وبالأمرة ۝ قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء (قال) فيه كيف جاز أن يقيض لهم قرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم وأجاب بأن معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن الآية انتهى كلامه (قلت) جواب هذا السؤال على مذهب أهل السنة أن الأمر على ظاهره فإن قاعدة عقيدتهم أن الله تعالى قد ينهى عما يريد وقوعه ويأمر بما لا يريد حصوله وبذلك نطق هذه الآية وأخواتها وإيماننا ولها الزخشي ليتبعها هواه الفاسد في اعتقاده أن الله تعالى لا ينهى عما يريد وإن وقع النهي عنه فعلى خلاف الإرادة تعالى الله عن ذلك وبه نستعين من جعل القرآن تبعا للهوى وحينئذ فنقول لو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبيها عليه الصلاة والسلام سوى هذه الآية لكفى بها فهنا موضع هذه المقالة التي أنطقه الله بها الذي أنطق كل شيء في الآية التي قبل هذه

(قوله قرناء أخدانا من الشياطين) أي أصدقاء أفاده الصحاح (قوله قلت معناه أنه خذلهم) هذا على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يقدر الشر أما على مذهب أهل السنة أنه تعالى يقدره كالخير فلا داعي إلى هذا التكلم قال تعالى ۝ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين ، الخ (قوله والهديان والزمل) الذي في الصحاح الأزملة والصوت والأزمولة بالضم المصوت من الوعول وغيرها

جَزَاءَ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءَ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ۝ نَزَلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ۝ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي

يكون التقدير أسوأ جزاء الذين كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الإشارة (النار) عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف (فإن قلت) ما معنى قوله تعالى (لهم فيها دار الخلد) (قلت) معناه أن النار في نفسها دار الخلد كقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور وأنت تعنى الدار بعينها (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) أى جزاء بما كانوا يبالغون فيها ذكر الجحود الذى هو سبب اللغو (الذين أضلنا) أى الشيطانين الذين أضلنا (من الجن والإنس) لأن الشيطان على ضربين جنى وإنسى قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن وقال تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما إبليس وقابيل لأهماسنا الكفر والقتل بغير حق ۝ وقرئ أرننا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا فى نخذ نخذ وقيل معناه أعطنا الذين أضلنا وحكوا عن الخليل أنك إذا قلت أرنى ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه وإذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه أعطنى ثوبك ونظيره اشتهار الإيتاء فى معنى الإعطاء وأصله الإحضار (ثم) لتراخى الاستقامة عن الإقرار فى المرتبة وفضلها عليه لأن الاستقامة لها الشأن كله ونحوه قوله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولاً وعنه أنه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الأمر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان وعن عمر رضى الله عنه استقاموا على الطريقة لم يروغرا وروغان الثعالب وعن عثمان رضى الله عنه أخلصوا العمل وعن على رضى الله عنه أدروا الفرائض وقال سفيان بن عبد الله الثقفى رضى الله عنه قلت يا رسول الله أخبرنى بأمر أعتصم به قال قل ربى الله ثم استقم قال فقلت ما أخوف ما تخاف على فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا (تنزل عليهم الملائكة) عند الموت بالبشرى وقيل البشرى فى ثلاثة مواطن عند الموت وفى القبر وإذا قاموا من قبورهم (الأتخافوا) أن بمعنى أى أو مخففه من الثقيلة وأصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه لا تخافوا أى يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لوقوع المكروه ۝ والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضرر والمعنى أن الله كتب لكم الأمن من كل غم فلن تدركوه أبداً وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم ۝ كما أن الشياطين قرناء العصاة وإخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم فى الدارين (تدعون) تمنون ۝ والنزل رزق النزىل وهو الضيف وانتصابه على الحال (من دعا إلى الله) عن ابن عباس رضى الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى الإسلام (وعمل صالحاً) فيما بينه وبين ربه وجعل الإسلام نخلة له وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضى الله عنها ما كنا نشك أن هذه الآية نزلت فى المؤذنين وهى عامة فى كل من جمع بين هذه الثلاث أن يكون موحداً معتقداً الدين الإسلام عاملاً بالخير داعياً إليه وماهم إلا طبقة العالمين العاملين من أهل العدل والتوحيد الدعاة إلى دين الله وقوله (وقال إنى من المسلمين) ليس الغرض أنه تسكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الإسلام

(قوله العاملين من أهل العدل والتوحيد الدعاة) إن أراد بهم المعتزلة سموا أنفسهم بذلك فلا وجه للتخصيص

هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝ وَإِنَّمَا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝ فَإِن اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْتَمُونَ ۝ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ۝ وَإِنِّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ

مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول أبي حنيفة تريد مذهبه ۝ يعنى أن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما بخلاف الحسنة التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك ومثالث ذلك رجل أساء إليك إساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك مثل أن يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتقتدى ولده من يدعده فإليك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاقق مثل الولي الحميم مضافة لك ۝ ثم قال وما يلقى هذه الخليفة أو السجية التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان إلا أهل الصبر ۝ وإلا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير (فإن قلت) فهلا قيل فادفع بالتي هي أحسن (قلت) هو على تقدير قائل قال فكيف اصنع فقيل ادفع بالتي هي أحسن ۝ وقيل لا مزبدة والمعنى ولا تستوى الحسنة والسيئة (فإن قلت) فكان القياس على هذا التفسير يقال ادفع بالتي هي أحسن (قلت) أجل ولكر وضع التي هي أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها وعن ابن عباس رضى الله عنهما بالتي هي أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن رحمه الله والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في أبي سفيان بن حرب وكان عدواً مؤذياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار ولياً مصافياً ۝ النزغ النسخ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان بزغ الإنسان كأنه ينخسه بيعته على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغاً كما قيل جد جده أو أريد وإما ينزغك نازغ وصفاً للشيطان بالمصدر أو اتسويله والمعنى وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن (فاستعد بالله) من شره وامنض على شأنك ولا تقعه الضمير في (خلقهن) لليل والنهار والشمس والقمر لأن حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأثني أو الإناث يقال الأقلام بربتها وبريتها أو لما قال ومن آياته كن في معنى الآيات فقيل خلقهن (فإن قلت) أين موضع السجدة (قلت) عند الشافعي رحمه الله تعالى (تعبدون) وهي رواية مسروقة عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند أبي حنيفة رحمه الله يسأمون لأنها تمام المعنى وهي عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب لعل ناساً منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لها السجود لله فنوا عن هذه الوساطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله تعالى خالصاً إن كانوا إياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين (فإن استكبروا) ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا إلا الوساطة فدعهم وشأنهم فإن الله عز سلطانه لا يعدم عابداً ولا ساجداً بالإخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الأنداد وقوله (عند ربك) عبارة عن الزاني والمكانة والكرامة وقرئ لا يسأمون بكسر الياء ۝ الخشوع التذلل والتناصر فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله تعالى وترى الأرض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ إذا أخصبت وتزخرت بالنبات كأنها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الأطار الرثة وقرئ وربأت أى ارتفعت لأن النبات إذا هم أن يظهر ارتفعت له الأرض ۝ يقال الحد الحافر ولحد إذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ

(قوله في الأطار الرثة) في الصحاح الطمر الثوب الخرق والجمع الأطار

فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَقْنِ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مِنْ يَأْتِي آمَنَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِ كُرَّمَا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَغْفِرَةٌ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٌ ۝ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجْمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۚ الْعَجْمِيَّةُ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۚ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا

يلحدون ويلحدون على اللغتين وقوله (لا يخفون علينا) وعيد لهم على التحريف (فان قلت) بم اتصل قوله (إن الذين كفروا بالذكر) (قلت) هو بدل من قوله إن الذين يلحدون في آياتنا والذكر القرآن لأنهم اكفروا به طعنوا فيه وحزفوا تأويله (ولانه لكتاب عزيز) أى منيع محمي بحماية الله تعالى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه مثل كأن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل إليه ويتعلق به فإن قلت أما طعن فيه الطاعنون وتأوله المبطلون قلت بلى ولكن الله قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل به بأن قيض قوما عارضوهم بإبطال تأويلهم وإفساد أقاويلهم فلم يخلو طعن طاعن إلا محوقا ولا قول مبطل إلا مضمحلا ونحو قوله تعالى إننا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون ما يقال لك أى ما يقول لك كفار قومك إلا مثل ما قال للرسول كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة إن ربك لذو مغفرة ورحمة لا نبيانه (وذو عقاب) لا عدائهم ويجوز أن يكون ما يقول لك الله إلا مثل ما قال الرسول من قبلك والمقول هو قوله تعالى إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته ويخافه أهل معصيته والغرض تخويف العصاة كانوا لتعنتهم يقولون هل نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا (لولا فصلت آياته) أى بينت ولخصت بلسان نفقهه (العجمي وعربي) الهمزة همزة الإنكار يعنى لأنكروا وقالوا أفرآن عجمي ورسول عربي أو مرسل إليه عربي وفريء العجمي والأعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من أى جنس كان والعجمي منسوب إلى أمة العجم وفي قراءة الحسن العجمي بغير همزة الاستفهام على الإخبار بأن القرآن عجمي والمرسل أو المرسل إليه عربي والمعنى أن آيات الله على أى طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنا لأن الفوم غير طالبين للحق وإنما يتبعون أهواءهم ويجوز في قراءة الحسن هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب (فان قلت) كيف يصح أن يراد بالعربي المرسل إليهم وهم أمة العرب (قلت) هو على ما يجب أن يقع في إنكار المنكر لو رأى كتابا عجميا كتب إلى قوم من العرب يقول كتاب عجمي ومكتوب إليه عربي وذلك لأن مبنى الإنكار على تنافر حالي الكتاب والمكتوب إليه لا على أن المكتوب إليه واحد أو جماعة فوجب أن يجزء لما سبق إليه من الغرض ولا يوصل به ما يخل عرضاً آخر ألا تراك تقول وقد رأيت لباساً طويلاً على امرأة قصيرة اللباس طويل واللباس قصير ولو قلت واللباسة قصيرة جئت بما هو لكنته وفضول قول لأن الكلام لم يقع في ذكورة اللباس وأنوثته وإنما وقع في غرض وراءهما (هو) أى القرآن (هدى وشفاء) إرشاد إلى الحق وشفاء (لما في الصدور) من الظن والشك (فان قلت) (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به (قلت) لا يخلو إما أن يكون الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفاً على قوله تعالى للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر إلا أن فيه عطفاً على عاملين وإن كان الأخصش يجيزه وإما أن يكون مرفوعاً على تقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر

قوله تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى (أجاز) في الواو في هذه الآية وجهين أحدهما أن تكون الواو لعطب الذين على الذين وقر على هدى وشفاء ويسكون من العطف على



مُوسَى الْكُتُبَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَرِيبٌ ۝ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ ۝ إِلَيْهِ يَرُدُّ السَّاعَةَ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بُعْلَةً وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ قَالُوا إِذْ ذُكِرَ مَامَنَا مِنْ شَهِيدٍ ۝ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمُ مِنْ مَحِيصٍ ۝ لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَوْسُقُنُوطٌ ۝ وَإِنَّ أَذْقَنَهُ رَحْمَةً مِمَّا مِنْ بَعْدِ ضَرِّ آءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً

على حذف المبتدأ أوفى آذانهم منه وقرى وقرئ وهو عليهم عم وعمى كقوله تعالى فعميت عليكم (ينادون من مكان بعيد) يعني أنهم لا يقبلونه ولا يراعونه أسماعهم فثلاثهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطئة لا يسمع من مثاها الصوت فلا يسمع النداء (فاختلف فيه) فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل والكلمة السابقة هي العدة بالقيامه وأن الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لفضى بينهم في الدنيا قال الله تعالى إلى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى (فلنفسه) نفسه نفع (فعلها) نفسه ضرر (وماربك بظلام) فيعذب غير المسمى (إليه يرد علم الساعة) أي إذا سئل عنها قيل الله يعلم أو لا يعلمها إلا الله وقرئ من ثمرات من أكمامهن والكم يسكر الكاف وعاء الثمرة بكف الطلعة أي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع إلا وهو عالم به يعلم عدداً أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكرة والأنوثة والحسن والقبح وغير ذلك (أين شركائى) أضافهم إليه تعالى على زعمهم وبيانه في قوله تعالى أين شركائى الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم وتقرع (آذناك) أعلناك (مامنا من شهيد) أي مامنا أحد اليوم وقد أبصرنا وسمعنا يشهد بأنهم شركاؤك أي مامنا إلا من هو موحدك أو مامنا من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أي مامنا من شهيد يشهد بما أضافوا إلينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير أنهم لا ينفعونهم فكأنهم ضلوا عنهم (وظنوا) وأيقنوا والمحيص المهرب (فإن قلت) آذناك إخبار بإيدان كان منهم فإذا قد آذنوا فلم سئلوا (قلت) يجوز أن يعاد عليهم أين شركائى إعادة للتوبيخ وإعادته في القرآن على سبيل الحكاية دليل على إعادة المحكى ويجوز أن يكون المعنى أنك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه ويجوز أن يكون إنشاء الإيدان ولا يكون إخباراً بإيدان قد كان كما تقول أعلم الملك أنه كان من الأمر كيت وكيت (من دعاء الخير) من طلب السعة في المال والنعمة وقرأ ابن مسعود من دعاء بالخير (وإن مسه الشر) أي الضيقة والفقر (فيؤس قنوط) ولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضام وينكسر أي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون ۝ وإذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض أو سعة بعد ضيق قال (هذالى) أي هذا حق وصل إلى لآنى استرجيته بما عندي من خير وفضل وأعمال بر أو هذالى لا يزول عنى ونحوه قوله تعالى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ونحو قوله تعالى (وما أظن الساعة قائمة) إن نطق إلا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما أظنها تكون فإن كانت على طريق التوهم

عاملين قال وإما أن يكون والذين رفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر على حذف المبتدأ أوفى آذانهم منه وقرأه (قلت) أي وبتقدير الرابط يستغنى عن تقدير المبتدأ

(قوله وقرئ من ثمرات من أكمامهن) يفيد أن القراءة المشهورة من ثمرة من أكمامها والذى في النسق من ثمرات من أكمامها ومن ثمرة من أكمامها وأمان ثمرات من أكمامهن فهي المزيدة منا فخرر (قوله أحواله من الخداج والتمام) أي النقصان كما في الصحاح

وَلَن رَّجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمَلُوا وَنُنذِقُهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ه  
وَإِذَا نَعَّمْنَا عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَتَوَّأَ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ه قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ  
عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ ه سُنَرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَ

(إِن لِي) عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا أمر الآخرة على أمر الدنيا وعن بعضهم للكافر  
أمنيتان يقول في الدنيا وأن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى ويقول في الآخرة ياليتني كنت ترابا وقيل  
نزلت في الوليد بن المغيرة فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب ولنصرنهم عكس ما اعتقدوا  
فيها أنهم يستوجون عليها كرامة وقربة عند الله وقد مننا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك أنهم  
كانوا ينفقون أموالهم رثاء الناس وطلبوا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون أن ما هم عليه سبب النسي  
والصحة وأنهم محقوقون بذلك هذا أيضا ضرب آخر من طغيان الإنسان إذا أصابه الله بنعمة أبطرت النعمة وكأنه  
لم يلق بؤسا قط فنسى المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) أي ذهب بنفسه وتكبر وتعظمه وإن مسه الضر  
والفقر أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الإتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة  
الاجرام ويستعار له الطول أيضا كما استعير الغلظ بشدة العذاب وقرئ ونأى بجانبه بإمالة الألف وكسر النون للإتباع  
وناء على القلب كما قالوا راء في رأى (فإن قلت) حقق لي معنى قوله تعالى ونأى بجانبه (قلت) فيه وجهان أن يوضع  
جانبه موضع نفسه كما ذكرنا في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله أن مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه  
قوله ونفيت عنه مقام الذئب يريد ونفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف مقام ربه ومنه قول الكتاب حضرت فلان  
ومجلسه وكتبت إلى جهته وإلى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه  
وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وأن يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار  
كما قالوا نأى عطفه وتولى بركنه (أرأيتم) أخبروني (إن كان) القرآن (من عند الله) يعني أن ما أتم عليه من إنكار القرآن  
وتكذيبه ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلت منها على اليقين وثاج الصدور وإنما هو قبل النظر واتباع الدليل  
أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده وأنتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما أنكرتم أن يكون  
حقا وقد كفرتم به فأخبروني من أضلّ منكم وأنتم أبعثتم الشوط في مشاقته ومناصبته وأعله حق فأهلكتم أنفسكم  
وقوله تعالى (من هو في شقاق بعيد) موضوع موضع منكم بيانا للحالهم وصفتمهم (سُنَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ)  
يعني ما يسهل الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده ونصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب  
عموما وفي باحة العرب خصوصا من الفتوح التي لم يتيسر أمثالها لاحد من خلفاء الأرض قبلهم ومن الإظهار على  
الجبارة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على أقويائهم وإجرائه على أيديهم أمورا خارجة من  
المعمود خارقة للعادات ونشر دعوة الإسلام في أقطار المعمورة وبسط دولته في أقاصيها والاستقرار بطلعك في التواريخ  
والكتب المدونة في مشاهد أهله وأيامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم إلا علما من أعلام الله وآية من آياته يقوى  
معها اليقين ويزداد بها الإيمان ويتبين أن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يجيد عنه إلا مكابر حسه مغالط نفسه  
وما الثبات والاستقامة إلا صفة الحق والصدق كما أن الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وأن للباطل ريحا تخفق

(قوله ونفيت عنه مقام الذئب) في الصحاح الرجل اللعين شيء ينصب وسط الزرع تسقط به الوجوب قال الشماخ  
ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين (قوله وفي باحة العرب) أي ساحتهم أفاده الصحاح (قوله  
وأن الباطل ريحا تخفق) لعله ريح أولعله وأن الباطل ريحا

لَمْ يَكْفِ أَوْلَمَ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۝

## سورة الشورى مكية

إلا الآيات ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٧ فمدنية وآياتها ٥٣ نزلت بعد فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ حَم ۝ عَسَق ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝  
لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ

ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل (ربك) في موضع الرفع على أنه فاعل كفى و (أنه على كل شيء شهيد) بدل منه تقديره  
أولم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد ومعناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه وبشاهدونه  
فتدنون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد أي مطلع مبهين يستوى عنده غيبه وشهادته  
فيكفيهم ذلك دليلاً على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصره  
وقرئ في مرية بالضم وهي الشك (محيط) عالم بجمل الأشياء وتفصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم  
وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله  
بكل حرف عشر حسنات

(سورة حم عسق مكية وهي تسمى سورة الشورى وهي ثلاث وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ۝ قرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما حم سق (كذلك يوحى إليك) أي مثل ذلك  
الوحي أو مثل ذلك الكتاب إليك وإلى الرسل (من قبلك الله) يعني أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله  
إليك مثله في غيرها من السور وأوحى من قبلك إلى رسله على معنى أن الله تعالى كرر هذه المعاني في القرآن في جميع  
الكتب السماوية لما فيها من التنبيه اللين والالطف العظيم لعباده من الأولين والآخرين ولم يقل أوحى إليك ولكن على  
لفظ المضارع ليدل على أن إحياء مثله عادته ۝ وقرئ يوحى إليك على البناء للفعول (فإن قلت) فما رافع اسم الله على  
هذه القراءة (قلت) ما دل عليه يوحى كأن قائله قال من الموحى فقبل الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين  
قتل أولادهم شركاؤهم على البناء للفعول ورفع شركاؤهم على معنى زينه لهم شركاؤهم (فإن قلت) فما رافعه فيمن قرأ  
نوحى بالنون (قلت) يرتفع بالابتداء ۝ والعزير وما بعده أخبار والعزير الحكيم صفتان والظرف خبر ۝ قرئ تكاد  
بالتاء والياء وينفطرن وينفطرن وروى يونس عن أبي عمر وقراءة غريبة تنفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف  
نادر روى في نوادر ابن الأعرابي الأبل تشممن ومعناه يكدن ينفطرن من علوشأن الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد  
العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تعالى تكاد السموات ينفطرن منه ۝ (فإن قلت) لم قال من فوقهن (قلت)  
لأن أعظم الآيات وأدها على الجلال والعظمة فوق السموات وهي العرش والكرسى وصفوف الملائكة المرتجة بالسيح  
والتقديس حول العرش ومالا يعلم كنهه إلا الله تعالى من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال (ينفطرن من فوقهن) أي  
يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية أو لأن كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس أن يقال ينفطرن  
من تحتهن من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينفطرن  
من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله عزّ و علا يصب من فوق رؤسهم الجحيم بصهر به

(قوله تكاد السموات ينفطرن منه) لعله ينفطرن وهما قرأتان

يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ  
أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ  
حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً

ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا في أجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الأرضين ۝ (فإن قلت) كيف صح أن  
يستغفروا لمن في الأرض وفيهم الكفار أعداء الله وقد قال الله تعالى أو أهلك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون  
لاعين مستغفرين لهم (قلت) قوله (لمن في الأرض) يدل على جنس أهل الأرض وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم  
فيجوز أن يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على أن الملائكة لا يستغفرون إلا لأولياء الله وهم المؤمنون فما أراد الله إلا إياهم  
الأتري إلى قوله تعالى في سورة المؤمن ۝ ويستغفرون للذين آمنوا ۝ وحكاية عنهم وفاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ۝  
كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا في استغفارهم  
فكيف للكفرة ويحتمل أن يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله تعالى «إن الله يمسك السموات والأرض  
أن تزولا إلى أن قال إنه كان حلما غفورا ۝ وقوله تعالى «إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ۝ والمراد الحلم عنهم  
وأن لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما (فإن قلت) قد فسرت قوله تعالى «تكاد السموات ينفطرن بتفسيرين فما وجه  
طباق ما بعده لهما (قلت) أما على أحدهما فكأنه قيل تكاد السموات ينفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه  
والملائكة الذين هم ملء السع الطباق وحافون حول العرش صفوفًا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته  
وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن في الأرض خوفا عليهم من سطواته وأما على الثاني فكأنه قيل يكدن ينفطرن من  
إقدام أهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة بوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها  
إليه الجاهلون به حامدين له على ما أولاهم من أظافه التي علم أنهم عندها يستعصمون بخنارين غير ملجئين ويستغفرون  
لمؤمني أهل الأرض الذين تبرؤوا من تلك الكلمة ومن أهلها أو يطلبون إلى زبهم أن يحلم عن أهل الأرض ولا يعاجلهم  
بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا في ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا في توبة الكفار والفساق  
منهم (والذين اتخذوا من دونه أولياء) جعلوا له شركاء وأنشأوا (الله حفيظ عليهم) رقيب على أعمالهم وأعمالهم لا يفرته منها شيء  
وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لأرقب عليهم إله واحد (وما أنت) يا محمد بموكل بهم ولا مفوض إليك أمرهم ولا قسرم على  
الإيمان إنما أنت منذر لحسب ۝ ومثل ذلك (أوحينا إليك) وذلك إشارة إلى معنى الآية قبلها من أن الله تعالى هو الرقيب عليهم وما  
أنت برقيب عليهم وإنما نذير لهم لأن هذا المعنى كرره الله في كتابه في مواضع جملة والكاف مفعول به لا وحينئذ (قرأنا عريبا) حال  
من المفعول به أي أوحينا إليك وهو قرآن عربي بين لابس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار ويجوز أن يكون  
ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا أي ومثل ذلك الإيحاء البين المفهم أوحينا إليك قرآننا عريبا بلسانك (لتنذر) يقال أنذرته  
كذا وأنذرته بكذا وقد عدى الأول أعنى لتنذر أم القرى إلى المفعول الأول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع إلى  
المفعول الثاني (أم القرى) أهل أم القرى كقوله تعالى واسئل القرية (ومن حولها) من العرب ۝ وقرئ لينذر بالياء  
والفعل للقرآن (يوم الجمع) يوم القيامة لأن الخلائق تجتمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين  
الأرواح والأجساد وقيل يجمع بين كل عامل وعمله (لأريب فيه) اعتراض لا محل له ۝ قرئ فريق وفريق بالرفع والنصب  
فالرفع على منهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين لأن المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم أي  
متفرقين كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (فإن قلت) كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة واحدة

(قوله ولأريب فيه اعتراض لا محل له) لعله لا محل له من الإعراب

وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّفَهُ  
هُمُ الْوَلِيَّ وَهُوَ بِحِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي  
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا

(قلت) هم مجموعون في ذلك اليوم مع افراقهم في دارى البؤس والنعيم كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين  
وإن أريد بالجمع جمعهم في الموقف فالمتفرق على معنى مشارفتهم للفتق (لجعلهم أمة واحدة) أى مؤمنين كلهم على القسر  
والإكراه كقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا والدليل  
على أن المعنى هو الإلجام إلى الإيمان قوله أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله تعالى أفانت تكره بإدخال  
همزة الإنكار على المكروه دون فعله دليل على أن الله وحده هو القادر على هذا الإكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك  
مشيئة قدرة لقسرهم جميعا على الإيمان ۝ ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبني أمرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنون فى  
رحمته وهم المرادون بمن يشاء الأتري إلى وضعهم فى مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولى ولا نصير فى عذابه ۝ معنى  
الهمزة فى (أم) الإنكار (فإنه هو الولى) هو الذى يجب أن يتولى وحده ويعتقد أنه المولى والسيد فالقاء فى قوله فإنه  
هو الولى جواب شرط مقدر كأنه قيل بعد إنكار كل ولى سواه إن أرادوا ولىا بحق فإنه هو الولى بالحق لا ولى سواه  
(وهو بحى) أى ومن شأن هذا الولى أنه بحى (الموتى وهو على كل شىء قدير) فهو الحقيق بأن يتخذ وليا دون من لا يقدر  
على شىء (وما اختلفتم فيه من شىء) حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أى ما خالفكم فيه الكفار من  
أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أتمم وهم فيه من أمر من أمور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض إلى الله تعالى  
وهو إثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين (ذالكم) الحاكم بينكم هو (الله رى عليه توكلت) فى رد كيد أعداء  
الدين (وإليه) أرجع فى كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتن من شىء من الخصومات فتحاكموا فيه إلى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله تعالى فإن تنازعتن فى شىء فردوه إلى والرسول وقيل  
وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا فى بيانه إلى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فى من العلوم التى لاتنصل بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه فقولوا الله أعلم  
كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي (فإن قلت) هل يجوز حمله على اختلاف  
المجتهدين فى أحكام الشريعة (قلت) لا لأن الاجتهاد لا يجوز بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاطر السموات) قرئ بالرفع والجر  
فالرفع على أنه أحد أخبار ذلكم أو خبر مبتدأ محذوف والجزء على حكمه إلى الله فاطر السموات وذلكم إلى أنيب اعتراض بين الصفة  
والموصوف (جعل لكم) خلق لكم (من أنفسكم) من جنسكم من الناس (أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً) أى وخلق من الأنعام

### (القول فى سورة حم عسق)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ۝ قوله تعالى جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذروكم فيه (قال إن  
الضعير المتصل يذرو عائد على الأنفس وعلى الأنعام مغلباً فيه المخاطبون العقلاء على الغيب بما لا يعقل وهى من الأحكام

(قوله لقسرهم جميعا على الإيمان) هذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فالإرادة تستلزم وجود المراد لكن لاتستلزم  
القسر والجر للعباد لأنها لاتنافى الاختيار لمالم فى أعمالهم من الكسب وإن كانت مخلوقه له تعالى وأما التى لاتستلزم  
المراد وهى التى سماها مشيئة الحكمة فهى التى بمعنى الأمر عند المعتزلة ولا يثبتها أهل السنة كما تقر فى التوحيد فعنى  
الآية ولو شاء ربك إيمان الكل لآمن الكل ولكن شاء إيمان البعض فأمن من شاء إيمانه

يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ ۝ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ

أزواجاً ومعناه وخلق الأنعام أيضاً من أنفسها أزواجاً (يذروكم) يكثر كم يقال ذر الله الخلق بهم وكثرهم والذرو والذرو والذره أخوات (فيه) في هذا التدبير وهو أن جعل للناس والآنعام أزواجاً حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذروكم يرجع إلى المخاطبين والآنعام مغلباً فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من الأحكام ذات العلين (فإن قلت) ما معنى يذروكم في هذا التدبير وهلاكه يذروكم به (قلت) جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للث والتكثير الأتراك تقول للحيوان في خلق الأزواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة ۝ قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فساكوا به طريق الكناية لأنهم إذا نفوه عن بسده وعن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان أبلغ من قولك أنت لا تخفر ومنه قولهم قد أيفعت لداته وبلغت أترابه يريدون إيفاعه وبلوغه وفي حديث رقيقة بنت صبي في سقيا عبدالمطلب الأوفهم الطيب الطاهر لداته والقصد إلى طهارته وطيبه فإذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثل شيء إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان معتقتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل بل يدها مبسوطتان فإن معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئاً آخر حتى أنهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كترت للتأكيد كما كترها من قال وصاليات ككبا يؤثفين ومن قال ۝ فأصبحت مثل كعصف ما كول ۝ وقرئ ويقدر (إنه بكل شيء عليم) فإذا علم أن الغنى خير للعبد أغناه وإلا أفقره (شرع لكم من الدين) دين

ذات العلين انتهى كلامه) قلت الصحيح أنهما حكمان متباينان غير متداخلين أحدهما مجيئه على نعت ضمير العقلاء أعم من كونه مخاطباً أو غائباً والثاني مجيئه بعد ذلك على نعت الخطاب فالأول لتغليب العقل والثاني لتغليب الخطاب ۝ قوله تعالى ۝ ليس كمثل شيء ۝ (قال) فيه تقول العرب مثلك لا يبخل فينفون البخل عن مثله والمراد نفسه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم ومنه قولهم قد أيفعت لداته وبلغت أترابه وفي حديث رقيقة بنت صبي في سقيا عبدالمطلب الأوفهم الطيب الطاهر لداته تريد طهارته وطيبه فإذا علم أنه من باب الكناية لم يكن فرق بين قولك ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثل شيء إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها ونحوه قوله تعالى بل يدها مبسوطتان فإن معناه بل هو جواد من غير تصور ولا بسط لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون بها شيئاً آخر حتى أنهم يستعملونها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل وفيمن لا مثل له ثم قال ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كترت للتأكيد كما كترت في قول من قال وصاليات ككبا يؤثفين ۝ ومن قال ۝ فأصبحت مثل كعصف ما كول ۝ انتهى كلامه (قلت) هذا الوجه الثاني مردود على ما فيه من الإخلال بالمعنى وذلك أن الذي يليق هنا تأكيد نفي المماثلة والكاف على هذا الوجه إنما تؤكد المماثلة وفرق بين تأكيد المماثلة المنفية وبين تأكيد نفي المماثلة فإن نفي المماثلة المهملة عن التأكيد أبلغ وآكد في المعنى من نفي المماثلة المقترنة بالتأكيد إذ يلزم من نفي المماثلة الغير المؤكدة نفي كل مماثلة ولا يلزم من نفي مماثلة محققة متأكدة بالغة نفي مماثلة دونها في التحقيق والتأكيد وحيث وردت الكاف مؤكدة للمماثلة وردت في الإثبات فأكدته فليس النظر في الآية بهذين النظرين مستقيماً والله أعلم مما يرشد إلى صحة ما ذكرته أن للقائين أن يقول ليس زيد شبيهاً بعمره لكن مشبهاً له ولو عكس هذا لم يكن صحيحاً

(قوله لا تخفر الذمم كان أبلغ) في الصحاح أخفرتة إذا أنهضت عهده وغدرت به وفيه أيفع العلام أي ارتفع وهو يافع ولا تقول موفع وقوله كان أبلغ لعل تقديره فإن قلت له ذلك كان أبلغ (قوله وصاليات فكبا يؤثفين) أي أحجار تلاقى النار ويؤثفين أي يجملن أثنى للقدر وهي الأحجار التي توضع عليها القدر عند الطبخ

وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ  
 وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ۚ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى  
 أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ۚ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا  
 أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا آتَاكَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا  
 أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۚ وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ

نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والمراد إقامة دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه ويوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلماً ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسب أحوالها فإنها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل أن أقيموا إيماناً ببدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه وإما رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هي إقامة الدين ونحوه قوله تعلق أن هذه أمتكم أمة واحدة (كبر على المشركين) عظم عليهم وشق عليهم (ماتدعوهم إليه) من إقامة دين الله والتوحيد (يجتبي إليه) يجتلب إليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد (من يشاء) من ينفع فيهم توفيقه ويجري عليهم لطفه (وما تفرقوا) يعني أهل الكتاب بعد أنبياءهم (إلا من بعد) أن علموا أن الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على ألسنة الأنبياء (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهي عدة التأخير إلى يوم القيامة (لقضى بينهم) حين افرقوا لعظم ما افرقوا (وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) وهم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لفي شك) من كتابهم لا يؤمنون به حق الإيمان وقيل كان الناس أمة واحدة مؤمنين بعد أن أهلك الله أهل الأرض أجمعين بالطوفان فلهامات الآباء اختلف الأبناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله إليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وإنما اختلفوا للبغي بينهم وقيل وما تفرق أهل الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب النوراة والإنجيل وقرئ وزثوا وورثوا (فلذلك) فلاجل التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعباً (فادع) إلى الاتفاق والاتلاف على الملة الحنيفية القديمة (واستقم) عليها وعلى الدعوة إليها كما أمر الله (ولا تتبع أهواءهم) المختلفة الباطلة بما أنزل الله من كتاب أي كتاب صح أن الله أنزله يعني الإيمان بجميع الكتب المنزلة لأن المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله تعالى ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض إلى قوله أولئك هم الكافرون حقاً (لأعدل بينكم) في الحكم إذا تخاصمتم فحاجكم إلى (لا حجة بيننا وبينكم) أي لا خصومة لأن الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة إلى المحاجة ومعناه لا إيراد حجة بيننا لأن المتحاجين يوردهم هذا حجة وهذا حجة (الله يجمع بيننا) يوم القيامة فيفصل بيننا وينقم لنا منكم وهذه محاجة ومشاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والإلزام (فإن قلت) كيف حرجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والإجلاء (قلت) المراد محاجرتهم في مواقف المفاولة للمقاتلة (محاجون في الله) يخاصمون في دينه (من بعد) ما استجاب له الناس ودخلوا في الإسلام ليردوهم إلى دين الجاهلية كقوله تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من

وما ذاك إلا أنه يلزم من نفي أدنى المشابهة نفي أعلاها ولا يلزم من نفي أعلاها نفي أدناها فني أكد التشبيه قصر عن المبالغة والوجه الأول الذي ذكره هو الوجه في الآية عنده وأنى بمطية الضعف في هذا الوجه الثاني بقوله ولك أن نزعهم فافهم

مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ  
وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا  
وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ إِلَّا الَّذِينَ يَمَارُونَ فِي السَّاعَةِ ۝ لِنِي ضَلَّلَ بَعِيدٌ ۝ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ  
الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي  
الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ۝ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَآلِمَ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ

بعد إيمانكم كفاراً كان اليهود والنصارى يقولون للؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبدأ قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق  
وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر وأظهر دين الإسلام (داحضة) باطله زالة (أنزل الكتاب) أى جنس  
الكتاب (والميزان) والعدل والتسوية ومعنى إنزال العدل أنه أنزله فى كتبه المنزلة وقيل الذى يوزن به ۝ بالحق ملتبساً بالحق  
مقترناً به بعيداً من الباطل أو بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة أو بالواجب من التحايل والتحریم وغير ذلك (الساعة) فى تأويل  
البعث فلذلك قيل (قريب) أو لعل مجيء الساعة قريب (فإن قلت) كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع إنزال الكتاب  
والميزان (قلت) لأن الساعة يوم الحساب ووضع الموازين للقسط فكانه قيل أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع  
قبل أن يفاجتكم اليوم الذى يحاسبكم فيه ويوزن أعمالكم ويوفى لمن أوفى ويظف لمن ظفف ۝ الممارسة الملائجة لأن كل واحد منهما  
يمرى ما عند صاحبه (لنى ضلال بعيد) من الحق لأن قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله ولدلالة الكتاب المعجز على أنها آتية  
لا ريب فيها وشهادة العقول على أنه لا بد من دار الجزاء (لطيف بعباده) بربليغ البر بهم قد توصل بربه إلى جميعهم وتوصل من كل  
واحد منهم إلى حيث لا يبلغه وهم أحد من كلياته وجزئياته (فإن قلت) فماتنى قوله (يرزق من يشاء) بعد توصل بربه إلى جميعهم  
(قلت) كلهم مبرورون لا يخلو أحد من بربه إلا أن البر أصناف وله أوصاف والقسم بين العباد متفاوت على حسب تفاوت قضايا  
الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لآخر ويصيب هذا حظ له ووصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه  
فن قسم له منهم ما لا يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذى أراد بقوله تعالى يرزق من يشاء كما يرزق أحد الأخرين ولداً دون الآخر  
على أنه أصابه بنعمة أخرى لم يرزقها صاحب الولد (وهو القوى) الباهر القدرة الغالب على كل شىء (العزير) المنيع الذى لا يغلب  
سمى ما يعمل العامل مما ينبغى به الفائدة والزكاء حراً على المجاز وفرق بين عملي العاملين بأن من عمل الآخرة وفق فى عمله  
وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا أعطى شيئاً منها لا ما يريد ويبتغيه وهو رزقه الذى قسم له وفرغ منه وماله نصيب قط  
فى الآخرة ولم يذكر فى معنى عامل الآخرة وله فى الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل إليه لا محالة للاستهانة بذلك إلى جنب  
ما هو بصده من زكاء عمله وفوزه فى المآب معنى الهمزة فى (أم) التقرير والتقريع ۝ وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم  
الشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا لأنهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذى شرعت لهم الشياطين وتعالى الله عن الإذن فيه والأمر به

۝ قوله تعالى ۝ من كان يريد حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ۝  
(قال فرق بين عملي العاملين بأن من عمل الآخرة وفق فى عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا أعطى شيئاً لا ما يريد  
ويبتغيه وهو رزقه الذى قسم له وفرغ منه وماله فى الآخرة من نصيب ولم يذكر فى معنى عامل الآخرة وله فى الدنيا نصيب  
على أن رزقه المقسوم له واصل إليه لا محالة للاستهانة بذلك فى جنب ما هو بصده من زكاء عمله وفوزه فى المآب

(قوله ونحن خير منكم وأولى بالحق الخ) لعله فحن كعبارة النفسى (قوله الملائجة لأن كل واحد) بالجيم التماضى فى الخصومة  
ويمرى أى يستخرج كذا فى الصحاح



الظالمين لهم عذاب اليم . ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات  
 في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير . ذلك الذي يبشر الله عباده الذين  
 آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً

وقيل شركاؤهم أو ثنائهم وإنما أضيفت اليهم لأنهم متخذوها شركاء لله فتارة تضاف اليهم لهذه الملازمة وتارة إلى الله  
 ولما كانت سبباً لضلالهم وافتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال إبراهيم صلوات الله عليه إنهن أضللن كثيراً من  
 الناس (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأجيل الجزاء أى ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة (لقضى بينهم)  
 أى بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم وقرأ مسلم بن جندب وأن الظالمين بالفتح عطفاً له على كلمة  
 الفصل يعنى ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا (ترى الظالمين) فى الآخرة  
 (مشفقين) خائفين خوفاً شديداً أرق قلوبهم (مما كسبوا) من السيئات (وهو واقع بهم) يريد ووباله واقع بهم وواصل  
 اليهم لا بد لهم منه أشفقوا أولم يشفقوا . كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها (عند ربهم) منصوب بالظرف  
 لا يبشرون . قرئ يبشر من بشره ويبشر من بشره والاصل ذلك الثواب الذى يبشر الله به عباده  
 فحذف الجار كقوله تعالى واختار موسى قومه ثم حذف الراجع إلى الموصول كقوله تعالى هذا الذى بعث الله رسولا  
 أو ذلك التبشير الذى يبشره الله عباده روى أنه اجتمع المشركون فى مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون محمداً يسأل على ما يتعاطاه  
 أجراً فنزلت الآية (إلا المودة فى القربى) يجوز أن يكون استثناء متصلاً أى لا أسألكم أجراً إلا هذا وهو أن تودوا  
 أهل قرابتى ولم يكن هذا أجراً فى الحقيقة لأن قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم فى المروءة ويجوز أن يكون  
 منقطعاً أى لا أسألكم أجراً قط ولكننى أسألكم أن تودوا قرابتى الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم (فإن قلت) هلا قيل إلا مودة  
 القربى أو إلا المودة للقربى ومعنى قوله إلا المودة فى القربى (قلت) جعلوا مكاناً للمودة ومقرأ لها كقولك لى فى آل  
 فلان مودة لى فهم هوى وحب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحلها وليست فى بصلة للمودة كاللام إذا قلت إلا  
 المودة للقربى إنما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به فى قولك المسال فى الكيس وتقديره إلا المودة ثابتة فى القربى  
 وتممكنة فيها والقربى مصدر كالزاني والبشرى بمعنى قرابة والمراد فى أهل القربى وروى أنها لما نزلت قيل يا رسول الله  
 من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وإبناهما ويدل عليه ما روى عن على رضى الله عنه شكوت  
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لى فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت  
 والحسن والحسين وأزواجنا عن إيماننا وشماننا وذريتنا خلف أزواجنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة  
 على من ظلم أهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازيه عليها فأنا أجازيه  
 عليها غدا إذا لقينى يوم القيامة وروى أن الأنصار قالوا فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا فقال عباس أو ابن عباس رضى الله  
 عنهما لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنام فى مجالسهم فقال يا معشر الأنصار ألم تكونوا  
 أذلة فأعزكم الله بى قالوا بلى يا رسول الله قال ألم تكونوا أضلالاً فهذا كم الله بى قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبونى

قوله تعالى إلا المودة فى القربى (قال فيه) إن قلت هلا قيل إلا مودة القربى أو إلا المودة للقربى وأجاب بأنهم جعلوا  
 مكاناً للمودة ومقرأ لها كقولك لى فى آل فلان هوى وحب شديد وليس فى صلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى  
 وإنما هى متعلقة بمحذوف تقديره إلا المودة ثابتة فى القربى وتممكنة فيها انتهى كلامه (قلت) وهذا المعنى هو الذى  
 قصد بقوله فى الآية التى تقدمت إن قوله يذروكم فيه إنما جاء عوضاً من قوله يذروكم به فافهمه

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افترى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ

قالوا ما نقول يا رسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فأريناك أو لم يكذبوك فصدقناك أو لم يخذلوك فصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله فنزلت الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على حب آل محمد مات شهيداً ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد فتحت له قبره بابان إلى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قرين فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه نزلت والمعنى إلا أن تودوني في القرين أى فى حق القرين ومن أجلها كما تقول الحب فى الله والبغض فى الله بمعنى فى حقه ومن أجله يعنى أنكم قومي وأحق من أجنبي وأطاعنى فإذا قد أيتيم ذلك فاحفظوا حق القرين ولا تؤذوني ولا تهجروا على وقيل أنت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وأنت ابن أختنا وأعرورك نواب وحقوق ومالك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت وردة وقيل القرين التقرب إلى الله تعالى أى إلا أن تحبوا الله ورسوله فى تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح ۝ وقرئ إلا المودة فى القرين (ومن يقترف حسنة) عن السدى أنها المودة فى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم فى أى حسنة كانت إلا أنها لما ذكرت عقيب ذكر المودة فى القرين دل ذلك على أنها تناولت المودة تناولاً أولياً كأن سائر الحسنات لها توابع ۝ وقرئ بزد أى يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرصاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة وقرئ حسنى وهى مصدر كالشرى ۝ الشكر فى صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل يتماثلون أن ينسبوا مثله إلى الافتراء ثم إلى الافتراء على الله الذى هو أعظم القرين وأخشنها (فإن يشأ الله يختم على قلبك) فإن يشأ الله يجعلك من المختمين على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب فإنه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله إلا من كان فى مثل حالهم وهذا الأسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وأنه فى البعد مثل الشرك بالله والدخول فى جملة المختمين على قلوبهم ومثال هذا أن يخون بعض الأمانة فيقول لعل الله خذلى لعل الله أعشى قلبى وهو لا يريد إثبات الخذلان وعمى القلب وإنما يريد استبعاد أن يخون مثله والتنبه على أنه ركب من تخوينه أمر عظيم ثم قال ومن عادة الله أن يمحو الباطل ويثبت الحق (بكلماته) بوجيه أو بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعنى لو كان مفترياً كما تزعمون لكشف الله افتراءه وحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه ريجوز أن يكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يمحو الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى أنت عليه بالقرآن وبقضائه الذى لا مرد له من نصرتك عليهم إن الله عليم بما فى صدوركم وصدورهم فيجرى الأمر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعنى لو افتري على الله الكذب لفعل به ذلك وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك إذا هم (فإن قلت) إن

(قوله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله) لعله مكتوباً (قوله ومعنى الهمزة فيه التوبيخ) لعله فيها (قوله من البهت والتكذيب) أى اتهام الإنسان بما ليس فيه

مَاتَفْعَلُونَ ۚ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ  
 وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنزِل بِقَدَرٍ مَّيَّسًا ۗ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ۗ وَهُوَ الَّذِي  
 يُنزِلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ۗ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

كان قوله ويمح الله الباطل كلاما مبتدأ غير معطوف على يختم فما بال الواو ساقطة في الخط (قلت) كما سقطت في قوله تعالى ويدع الإنسان بالشر وقوله تعالى سندع الزبانية على أنها مثبتة في بعض المصاحف يقال قلت منه الشيء وقبلته عنه فعنى قبلته منه أخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ومنشأه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وأبنته عنه والتوبة أن يرجع عن القبيح والإخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على أن لا يعاود لأن المرجوع عنه قبيح وإخلال بالواجب وإن كان فيه لعبد حق لم يكن بد من النفسى على طريقه وروى جابر أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على رضى الله عنه يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج إلى التوبة فقال يأمر المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية وإذافة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويغفو عن السيئات) عن الكبائر إذا تيب عنها وعن الصغائر إذا اجتنبت الكبائر ويعلم ما يفعلون قرئ بالتاء والياء أى يعلمه فيؤيب على حسناته ويعاقب على سيئاته (ويستجيب الذين آمنوا) أى يستجيب لهم لحذف اللام كما حذف فى قوله تعالى وإذا كالوهم أى يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم على الثواب تفضلاً وإذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم وقيل الاستجابة فعلهم أى يستجيبون له بالطاعة إذا دعاهم إليها (ويزيدهم) هو (من فضله) على ثوابهم وعن سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه إذا دعاهم وعن إبراهيم بن آدم أنه قيل له ما بالنان يدعو فلانجاب قال لأنه دعاءكم فلم تجيبوه ثم قرأوا الله يدعو إلى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا (لبغوا) من البغى وهو الظلم أى لبغى هذا على ذلك وذلك على هذا الآن الغنى بمطرة مآشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أخوف ما أخاف على أمتى زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب وقد جعل الوسمى يثبت بيننا وبين بنى رومان نبعا وشوحطا يعنى أنهم أحيوا أخذوا أنفسهم بالبغى والتفان أو من البغى وهو البذخ والكبر أى لتكبروا فى الأرض وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد وقيل نزلت فى قوم من أهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب بن الارت فينا نزلت وذلك أننا نظرنا إلى أموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناهما (بقدر) بتقدير يقال قدره قدره وقدرنا وقدرنا (خبير بصير) يعرف ما يؤل إليه أحوالهم فيقدر لهم ما هو أصلح لهم وأقرب إلى جمع شملهم فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط كما توجه الحكمة الربانية ولو أعتناهم جميعاً لبغوا ولو أفقرهم هللكوا (فإن قلت) قد نرى الناس يغنى بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم فإن كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم فإن كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغى بدون البسط فلم شرطه (قلت) لاشبهة فى أن البغى مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب وكلاهما سبب ظاهر الإقدام على البغى والإحجام عنه فلو عم البسط لغلب البغى حتى ينقلب الأمر إلى عكس ما عليه الآن قرئ قنطوا بفتح النون وكسرها (وينشر رحمته) أى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن عمر رضى الله عنه أنه قيل له اشتد القحط وقط الناس فقال مطروا إذا أراد هذه الآية ويجوز أن يريد رحمته فى كل شيء كأنه قال ينزل الرحمة التى هى الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة (الولى) الذى يتولى عباده بإحسانه (الحميد) المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته (وما بئ) يجوز أن يكون مرفوعاً

(قوله بمطرة مآشرة) فى الصحاح الاشرالبطر (قوله وقد جعل الوسمى الخ) مطر الربيع الأول لأنه يسم الأرض بالنبات والنبع والشوحط نوعان من شجر الجبال تتخذ منهما القسى كذا فى الصحاح (قوله عكس ما عليه الآن) لعله ما هو عليه

فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ۖ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ  
كَثِيرٍ ۖ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۖ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي

ويعجزون كما يحمل على المضاف إليه والمضاف ٥ (فإن قلت) لم جاز (ففيهما من دابة) والدواب في الأرض وحدها (قلت) يجوز أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور وإن كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فهم شاعر مجيد أو شجاع بطل وإنما هو في نخذ من أخذهم أو فصيلة من فصائلهم وبنو فلان فعلوا كذا وإنما فعله نوبس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من الملح ويجوز أن يكون اللؤلؤة عليهم السلام مشى مع الطيران فيوصفوا بالديب كما يوصف به الأناسي ولا يبعد أن يخلق في السموات حيوانا يمشى فيها مشى الأناسي على الأرض سبحانه الذي خالق مانعلم ومالا نعلم من أصناف الخلق ٥ إذا يدخل على المضارع كما يدخل على الماضي قال الله تعالى واللبل إذا يغشى ومنه (إذا يشاء) وقال الشاعر  
وإذا ما أشاء أبعث منها ٥ آخر الليل ناشطا مذهورا

٥ في مصاحف أهل العراق (فيما كسبت) بإثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفي مصاحف أهل المدينة بما كسبت بغير فاء على أن ما مبتدأة وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط الآية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع أن يستوفى الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض فأما من لا جرم له كالأولياء والأطفال والمجانين فهو لا إذا أصابهم شيء من ألم أو غيره فللعوض الموفى والمصلحة وعن أبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا يذنب ولما يعفو الله عنه أكثر وعن بعضهم من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر في إحسان ربه إليه وعن آخر العبد ملازم للجنايات في كل أوان وجناياته في طاعته أكثر من جناياته في معاصيه لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ولولا عفو ورحمته لهلك في أول خطوة وعن علي رضي الله عنه وقد رفعه من عفى عنه في الدنيا عفى عنه في الآخرة ومن عوقب في الدنيا لم تنثن عليه العقوبة في الآخرة وعنه رضي الله عنه هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن (بمعجزين)

٥ قوله تعالى وما بث فيهما من دابة (قال فيه فإن قلت لم جاز فيهما من دابة والدواب في الأرض وحدها) وأجاب بأنه يجوز أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور وإن كان لبعضه كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من الملح الخ قال أحمد إطلاق الدواب على الأناسي بعيد من عرف اللغة فكيف في إطلاقه على الملائكة والصواب والله أعلم هو الوجه الأول وقد جاء مفسر في غير ما آية كقوله إن في خالق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ثم قال وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعدما موتها وبث فيها من كل دابة يخص هذا الأمر بالأرض والله أعلم ٥ قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير (قال فيه الآية مخصوصة بالمجرمين الخ) قال أحمد هذه الآية تنكسر عندها التدرية ولا يمكنهم ترويح حيلة في صرفها عن مقتضى نصها فإنهم حملوا قوله تعالى ويعفو ما دون ذلك من يشاء على التائب وهو غير ممكن لهم ههنا فإنه قد أثبت التبعيض في العفو ومحال عندهم أن يكون العفو هنا مقرونا بالتوبة فإنه يلزم تبعيض التوبة أيضا وهي عندهم لا تبعيض وكذلك نقل الإمام عن أبي هاشم وهو رأس الاعتزال والذي تولى كبره منهم فلا يحمل لها إلا الحق الذي لا مرية فيه وهو مرد العفو إلى مشيئة الله تعالى غير موقوف على التوبة وقول الزمخشري إن الآلام التي تصيب الأطفال والمجانين لها أعراض وإنما يريد به وجوب العوض على الله تعالى على سياق معتقده وقد أخطأ على الأصل والفرع لأن المعتزلة وإن أنطقت في إيجاب العوض فلم تقل بإيجابه في الأطفال والمجانين ألا ترى أن القاضي أبا بكر ألزمهم قبح إبلام البهائم والأطفال والمجانين فقال لأعراض لها وليس مترتبا على استحقاق سابق فيحسن وإنما يتم إلزامه بموافقتهم له على أن لا أعراض لها

(قوله نخذ) العشاير أقلها الفخذ وفوقه البطن ثم العمارة ثم الفصيلة ثم القبيلة ثم الشعب فهو أكثرها أفاده الصحاح

الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ۚ إِنَّ يَشَأْ يُسْكِنَ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۚ  
 أَوْ يُوقِنَ ۚ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ۚ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ ۚ فَمَا أُوتِيتُمْ  
 مِنْ شَيْءٍ فَتَمَتَّعُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۚ وَالَّذِينَ يَحْتَبُونَ  
 كِبَٰرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ۚ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ

بفائتين ما قضى عابكم من المصائب (من ولى) من متول بالرحمة (الجوارى) السفن وقرئ الجوار (كالاعلام) كالجبال  
 قالت الخنساء كأنه نلم في رأسه نار ۚ وقرئ الرياح فيظلمن بفتح اللام وكسرهما من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل  
 ويضل (رواكِد) ثوابت لا تجرى (على ظهره) على ظهر البحر (لكل صبار) على بلاء الله (شكور) لعماته وهما صفتا  
 المؤمن الخاص في علمها كناية عنه وهو الذى وكل همته بالنظر في آيات الله فهو يستملى منها العبر (يوقن) يهلكه والمعنى أنه  
 إن يشأ يتبلى المسافرين في البحر بإحدى بلتين أما أن يسكن الريح فيركد الجوارى على متن البحر ويمنعن من الجرى  
 وإما أن يرسل الريح ناصفة فيهلكن إغراقا ۚ بسبب ما كسبوا من الذنوب (ويعف عن كثير) منها (فإن قلت) علام  
 عطف يوقن (قلت) على يسكن لأن المعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو بعصفها فيغرقن بعصفها (فإن قلت) فما  
 معنى إدخال العفو في حكم الأيلاق حيث جزم جزمه (قلت) معناه أو إن يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم  
 (فإن قلت) فمن قرأ ويعفو (قلت) قد استأنف الكلام ۚ (فإن قلت) فما وجوه القراءات الثلاث في (ويعلم) قلت أما  
 الجزم فعلى ظاهر العطف وأما الرفع فعلى الاستثاف وأما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم  
 الذين يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن منه قوله تعالى ولنجعل آية للناس وقوله تعالى  
 وخلق الله السموات والأرض بالحق ولنجزى كل نفس بما كسبت وأما قول الزجاج النصب على إضمار أن لأن قبلها  
 جزاء تقول ما تصنع أصنع مثله وأكرمك وإن شئت وأكرمك على وأنا أكرمك وإن شئت وأكرمك جزما ففيه  
 نظر لما أورده سيبويه في كتابه قال واعلم أن النصب بالفاء والواو في قوله إن تأنى آتتك وأعطيتك ضعيف وهو نحو  
 من قوله والحق بالحجاز فأستريحاً فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه إلا أنه في الجزاء صار أقوى قليلاً لأنه ليس  
 بواجب أنه يفعل إلا أن يكون من الأول فعل فلما ضارع الذى لا يوجبه كالأستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه  
 اه ولا يجوز أن نحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما أخلى  
 سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها من الآيات المشككة (فإن قلت) فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم (قلت) كأنه  
 قال وإن يشأ يجمع بين ثلاثة أمور هلاك قوم ونجاة قوم ونحوذير آخرين (من محيص) من محيد عن عقابه ۚ ما الأولى  
 ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية عن على رضى الله عنه اجتمع لآبى بكر رضى الله عنه مال  
 فصدق به كاه في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت (والذين يحننون) عطف على الذين آمنوا  
 وكذلك ما بعده ومعنى (كبار الإثم) الكبار من هذا الجنس وقرئ كبير الإثم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه كبير الإثم  
 هو الشرك (هم يغفرون) أى هم الأخصاء بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول حلوم الناس والمجى بهم

ۚ قوله تعالى إن يشأ يسكن الريح فيظلمن رواكِد على ظهره (قال فيه معناه ثوابت لا تجرى على ظهر البحر قال أحمد  
 وهم يقولون إن الريح لم ترد في القرآن إلا عذاباً بخلاف الرياح وهذه الآية تحرم الاطلاق فإن الريح المذكورة هنا نعمة  
 ورحمة إذ بواسطتها يسير الله السفن في البحر حتى لو سكنت لركدت السفن ولا ينكر أن الغالب من ورودها مفردة  
 ما ذكره وأما أطراده فلا وما ورد في الحديث اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً فلأجل الغالب في الاطلاق والله أعلم

شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ۝ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ۝ وجزاؤ سيئة سيئة مثلها ۝ فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ۝ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ۝ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب اليم ۝ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ۝ ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما راوا

وإيقاعه مبتدأ وإسناد يغفرون إليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون (والذين استجابوا لربهم) نزلت في الانتصار دعاهم الله عز وجل الإيمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه (وأقاموا الصلوة) وأتموا الصلوات الخمس ۝ وكانوا قبل الإسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة إذا كان بهم أمر اجتمعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم أي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم إلا هودوا الأرشد أمرهم ۝ والشورى مصدر كالفيا بمعنى التشاور ومعنى قوله (وأمرهم شورى بينهم) أي ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة شورى ۝ هو أن يقتصروا في الانتصار على ما جعله الله لهم ولا يعتدرا وعن النخعي أنه كان إذا قرأها قال كانوا يكرهون أن يذبلوا أنفسهم فيجئهم الفساق (فإن قلت) أهم محمودون على الانتصار (قلت) نعم لأن من أخذ حقه غير متعدي حذاه وما أمر به فلم يسرف في القتل إن كان ولي دم أورد على سفيه محاماة على عرضه وردعاه فهو مطيع وكل مطيع محمود ۝ كلنا المعلنين الأولى وجزاؤها سيئة لأنها تسوء من تنزل به قال الله تعالى «وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك» يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا والمعنى أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة فإذا قال أخراك الله قال أخراك الله (فمن عفا وأصلح) بينه وبين خصمه بالنفو والإغضاء كما قال تعالى «فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم» (فأجره على الله) عدة مهبة لا يقاس أمرها في العظم وقوله (إنه لا يحب الظالمين) دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة بإذن الله (بعد ظلمه) من إضافة المصدر إلى المفعول وتفسره قراءة من قرأ بعد ما ظلم (فأولئك) إشارة إلى معنى من دون لفظه (ما عليهم من سبيل) المعاقب ولا للعائب والعائب (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) يتأثونهم بالظلم (ويبيغون في الأرض) يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون (ولمن صبر) على الظلم والأذى (وغفر) ولم ينتصر وفوض أمره إلى الله (إن ذلك) منه (لمن عزم الأمور) وحذف الراجع لأنه مفهوم كما حذف من قره السمن منوان بدرهم ويحكى أن رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون وقالوا العفو مندوب إليه ثم الأمر قد انعكس في بعض الأحوال فيرجع ترك العفو مندوبا إليه وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغي وقطع مادة الأذى وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه وهو أن زينب أسمع عائشة بحضرتها وكان ينهاها فلا تنتهي يقال لما نشه دونك فانتصرى

۝ قوله تعالى (فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين) (قال فيه دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه الخ) قال أحمد معنى حسن يجاب به عن قول القائل لم ذكر هذا عقب العفو مع أن الانتصار ليس بظلم فيشفي غليل السائل

(قوله الحرد) في الصحاح الحرد بالتحريك الغضب

الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ۖ وَتَرَهُمْ يَعْزُضُونَ عَلَيْهَا خَشَعِينَ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِّن طَرْفِ خَفِيٍّ  
وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ۖ  
وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَسَالَهُ مِمَّن سَبِيلٍ ۖ أَسْتَجِيبُوا لِلرَّبِّكُم مِّن قَبْلِ  
أَن يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرَدٍّ لَهُ مِّنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّجْأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ۖ فَإِن أَعْرَضُوا فَأَنَّا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا

(ومن يضل الله) ومن يخذل الله (فما له من ولي من بعده) فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه (خاشعين) متضائلين متقاصرين مما يلحقهم (من الذل) وقد يعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين (ينظرون من طرف خفي) أى ابتدئ نظرم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارعة كما ترى المصبور ينظر إلى السيف وهكذا نظر الناظر إلى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها بملأ عينيه منها كما يفعل فى نظره إلى المحاب وقيل يحشرون عيما فلا ينظرون إلا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفي وفيه تعسف (يوم القيامة) إيمان يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين واقعا فى الدنيا وإما أن يتعلق بقال أى يقولون يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة (من الله) من صلة لامرد أى لا يرده الله بعدما حكم به أو من صلة يأتى أى من قبل أن يأتى من الله يوم لا يقدر أحد على رده ۖ والسكير الإنكار أى مالكم من مخلص من العذاب ولا تقدر أن تنكروا شيئا مما فترتموه ودون فى صحائف أعمالكم ۖ أراد بالإنسان الجمع لا الواحد لقوله وإن تصبهم سيئة ولم يرد إلا المجرمين لأن إصابه السيئة بما قدمت أيديهم إنما تستقيم فيهم ۖ والرحمة النعمة من الصحة والغنى والأمن ۖ والسيئة البلاء من المرض والفقير والخوف ۖ والكفور البليغ الكفران ولم يقل فإنه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال إن الإنسان لظلم كافرين الإنسان لربه لك ودو المعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها ۖ لما ذكر إذافة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها أتبع ذلك أن له الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الأولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضها بالإناث وبعضها بالذكور وبعضها بالصنفين جميعا ويعتم آخرين فلا يهب لهم ولد أقط (فإن قلت) لم تقدم الإناث أولا على الذكور مع تقدمهم عليهم ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد مانكر الإناث (قلت) لأنه ذكر البلاء فى آخر الآية الأولى وكفران الإنسان بنسيابه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الأولاد فقدم الإناث لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الإنسان فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم والأهم واجب التقديم وليلى الجنس الذى كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء وأخر الذكور فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم أحقاه بالتقديم بتعريفهم لأن التعريف تنويه وتشهير كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى

ويحصل منه على كل طائل ۖ ومن هذا النمط والله الموفق قوله تعالى « وإذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور » (قال فيه لم يقل فإنه كفور ليسجل على هذا الجنس أنه موسوم بكفران النعم الخ) قال أحـ وقد أغفل هذه النكته بعينها فى الآية التى قبل هذه وهى قوله تعالى (وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم ۖ فوضع الظالمين موضع الضمير الذى كان من حقه أن يود على اسم إن فيقال ألا إنهم فى عذاب مقيم فأتى هذا الظاهر تسجيلا عليهم بلسان ظلمهم

(قوله ومن يخذل الله فماله من ولي) تأويل على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يخاق الشر وعند أهل السنة يخلفه كالخير قال الضلال خلق الضلال ومن بعده أى من بعد إضلاله (قوله كما ترى المصبور ينظر إلى السيف) أى المحبوس للقتل أفاده الصحاح (قوله وينسى النعم ويغمطها) يطرها ويحقرها أفاده الصحاح

إِن عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلْغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ۝ اللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ ۝ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۝ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مَن وَرَاءَ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذَنِهِ مَا يَشَاءُ ۝ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ

آخر فقال (ذكرانا وإنا) كما قال إنا خلقناكم من ذكر وأنثى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى وقيل نزلت في الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه حيث وهب لشعيب ولوط وإنا وإبراهيم ذكوراً ولمحمد ذكوراً وإنا وإنا جعل يحيى وعيسى عقيمين (إنه عليم) بمصالح العباد (قدير) على تكوين ما يصلحهم (وما كان لبشر) وما صح لأحد من البشر (أن يكلمه الله إلا) على ثلاثة أوجه إما على طريق الوحي وهو الإلهام والقذف في القلب أو المنام كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده وعن مجاهد أوحى الله الزبور إلى داود عليه السلام في صدره قال عبيد ابن الأبرص

وأوحى إلى الله أن قد تأمروا ۝ بإبل أبي أوفى فقامت على رجل

أى الهمنى وقذف في قلبى وإما على أن يسمعه كلامه الذى يخلقه فى بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه لأنه فى ذاته غير مرئى وقوله (من وراء حجاب) مثل أى كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة وأما على أن يرسل إليه رسولا من الملائكة فيوحى الملك إليه كما كلم الأنبياء غير موسى وقيل وحيا كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة (أو يرسل رسولا) أى نبيا كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم ووحيا وأن يرسل مصدران واقعان موقع الحال لأن أن يرسل فى معنى إرسال ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال أيضا كقوله تعالى وعلى جنوبهم والتقدير وما صح أن يكلم أحدا إلا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا ويجوز أن يكون موحيا موضوعا موضع كلاما لأن الوحي كلام خفى فى سرعة كما نقول لا أكله إلا جهرا وإلا خفانا لأن الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك إرسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وإنما قاله وكيلك أو رسولك وقوله أو من وراء حجاب معناه أو إسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا فى معنى أن يوحى وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أى إلا بأن يوحى أو بأن يرسل فعليه أن يقدر قوله أو من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو أو أن يسمع من وراء حجاب وقرئ أو يرسل رسولا فيوحى بالرفع على أو هو يرسل أو بمعنى مرسلا عطفًا على وحيا فى معنى موحيا وروى أن اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر إليه فإنه لن يؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى إلى الله فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت أولم تسمعوا ربكم يقول فقلت هذه الآية (إنه على) عن صفات المخلوقين (حكيم) يجرى أفعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة وأخرى بغير واسطة إما الإلهام وإما خطابا (روحاً من أمرنا) يريد ما أوحى إليه لأن الخلق يحيون به فى دينهم كما يحيى الجسد بالروح ۝ (فإن قلت) قد علم أن رسول الله صلى الله

قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان (قال فإن قلت قد علم أن النبي عليه الصلاة والسلام ما كان يدري

(قوله لأنه فى ذاته غير مرئى) أى لا يجوز رؤيته وهذا عند المعتزلة أما عند أهل السنة فنجوز كما تقرّر فى محله

(قوله أو أن يسمع من وراء حجاب) لعله أو بأن



لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ۝

## سورة الزخرف

إلا آية ٥٤ فمدنية وآياتها ٨٩ نزلت بعد الشورى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّ فِي

عليه وسلم ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله (ولا الإيمان) والأنبياء لا يجوز عليهم إذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال أن يخطئهم الإيمان بالله وتوحيده ويجب أن يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر (قلت) الإيمان اسم يتناول أشياء بعضها الطريق إليه العقل وبعضها الطريق إليه السمع فعنى به ما الطريق إليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي ألا ترى أنه قد فسر الإيمان في قوله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم بالصلاة لأنها بعض ما يتناوله الإيمان (من نشاء من عبادنا) من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدى عليه (صراط الله) بدل ۝ وقرئ لتهدى أى يهديك الله وقرئ لتدعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان بمن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

### (سورة الزخرف مكية)

وقال مقاتل إلاقوله واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا وهي تسع وثمانون آية  
(بسم الله الرحمن الرحيم) ۝ أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله إنا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم

الكتاب قبل الوحي الخ) قال أحمد لما كان معتقد الزخرفى أن الإيمان اسم التصديق مضافا إليه كثير من الطاعات فعلا وتركها حتى لا يتناول الموحد العاصى ولو بكبيرة واحدة اسم الإيمان ولا يناله وعد المؤمنين وتفطن لإمكان الاستدلال على صحة معتقده بهذه الآية عدها فرصة لينتهزها وغنيمة ليحرزها وأبعد الظن بإرادة مذهب أهل السنة على صورة السؤال ليجيب عنه بمقتضى معتقده فكأنه يقول لو كان الإيمان وهو مجرد التوحيد والتصديق كما تقول أهل السنة للزم أن ينفي عن النبي عليه الصلاة والسلام قبل المبعث بهذه الآية كونه مصدقا وما كان التصديق ثابتا للنبي عليه الصلاة والسلام قبل البعث باتفاق الفريقين لزم أن لا يكون الإيمان المنفى في الآية عبارة عما اتفق على ثبوته وحينئذ يتعين صرفه إلى مجموع أشياء من جملتها التصديق ومن جملتها كثير من الطاعات التي لم تعلم إلا بالوحي وحينئذ يستقيم نفيه قبل البعث وهذا الذي طمع فيه يخزط القناد ولا يبالغ منه ما أراد وذلك أن أهل السنة وإن قالوا أن الإيمان هو التصديق خاصة حتى يتصف به كل موحد وإن كان فاسقا يخصصون التصديق بالله وبرسوله فالنبي عليه الصلاة والسلام مخاطب في الإيمان بالتصديق برسالة نفسه كما أن أمته مخاطبون بتصديقه ولا شك أنه قبل الوحي لم يكن يعلم أنه رسول الله وما علم ذلك إلا بالوحي وإذا كان الإيمان عند أهل السنة هو التصديق بالله ورسوله ولم يكن هذا المجموع ثابتا قبل الوحي بل كان الثابت هو التصديق بالله تعالى خاصة استقام نفي الإيمان قبل الوحي على هذه الطريقة الواضحة والله أعلم

### (القول في سورة الزخرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم) ۝ حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون، الآية (قال فيه أقسم بالكتاب المبين وجعل قوله إنا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم الخ) قال أحمد تذييه حسن جداً ووجه التناسب فيه أنه أقسم بالقرآن وإنما يقسم بعظيم ثم جعل المقسم عليه تعظيم القرآن بأنه قرآن عربي مرجو به أن يعقل به العالمون أى يتعقلوا آيات الله تعالى

أَمْ الْكِتَابَ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ۝ أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ۝ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ فَاهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مِثْلُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ

وهو من الإيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول أبي تمام وثناياك إنها إغريض (المبين) البين للذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم وأساليهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة في أبواب الديانة (جعلناه) بمعنى صيرناه معدي إلى مفعولين أو بمعنى خلاقناه معدي إلى واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور و (قرأنا عربيا) حال ۝ ولعل مستعار لمعنى الإرادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي أى خلقناه هربيا غير عجمي إرادة أن تعقله العرب ولثلا يقولوا لولا فصلت آياته ۝ وقرئ أم الكتاب بالكسر وهو اللوح كقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمي بأمر الكتاب لأنه الأصل الذى أثبت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ ۝ على رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزاً من بينها (حكيم) ذر حكمة بالغة أى منزلة عند منزلة كتاب هما صفاته وهو مثبت في أم الكتاب هكذا (أفضرِبُ عنكم الذكر صفحاً) بمعنى أفنحى عنكم الذكر ونزوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغراب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولاضربنكم ضرب غراب الإبل وقال طرفة

ضرب عنك الهموم طارقها ۝ ضربك بالسيف قونس الفرس  
والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهم لم يضربوا عنكم الذكر إنكاراً لأن يكون الأمر على خلاف ما قدم من إزاله الكتاب وخلق قرآنا عربياً ليعقلوه ويعملوا بما واجبه وصفحاً على وجهين أما مصدره من صفح عنه إذا عرض منتصب على أنه مفعول له على معنى أفنحى عنكم إزال القرآن وإلزام الحجة به إعرافاً عنكم وإقباً بمعنى الجانب من قولهم نظر إليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى أفنحى عنكم جانباً فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانباً وامش جانباً وتعضده قراءة من قرأ صفحاً بالضم وفي هذه القراءة وجه آخر وهو أن يكون تخفيف صفح جمع صفوف وينصب على الحال أى صالحين معرضين (إن كنتم) أى لأن كنتم وقرئ أن كنتم وإذ كنتم (فإن قلت) كيف استقام معنى إن الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت (قلت) هو من الشرط الذى ذكرت أنه يصدر عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير إن كنت عملت لك فوفى حقى وهو عالم بذلك ولكنه يخيل فى كلامه أن تفرطك فى الخروج عن الحق فعل من له شك فى الاستحقاق مع وضوح استجلالاله (وما يأتينهم) حكاية حال ماضيه مستمرة أى كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه ۝ الضمير فى (أشد منهم) للقوم المسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم (ومضى مثل الأولين) أى سلف فى القرآن فى غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التى حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد لهم (فإن قلت) قوله (ليقوان خلقهن العزيز العليم) وما سرد من الأوصاف عقيبها إن كان من

فكان جراب القسم مصححاً للقسم وكذلك أقسم أبو تمام بالثنايا وإنما يقسم الشعراء بمثل هذه الأشعار فإنه فى غاية الحسن ثم جعل المقسم عليه كونها فى نهاية الحسن لأنها هى إغريض وهو من أحسن تشبيهات الثنايا فجعل المقسم عليه مصححاً للقسم والله أعلم ۝ عاد كلامه إلى قوله تعالى «لعلكم تعقلون» (فسره بالإرادة) وقد بينا فساد ذلك غير مأمرة ۝ قوله تعالى «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقوان خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الأرض مهدياً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون» والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنثرنا به بلدة ميتة الآية (قال فيه فإن قلت قوله ليقوان خلقهن

(قوله إنما إغريض) فى الصحاح الإغريض والغرريض الطلع وكل أبيض طرى (قوله لتلاحظ معناها) لعله

ليلاحظ (قوله ومعنى الترجي) لعله أو معنى (قوله قونس الفرس) العظم الناقى بين أذنى الفرس كذا فى الصحاح

(قوله عن المدل بصحة الأمر) أى المواثق أفاده الصحاح

لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ۝ وَالَّذِي  
خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۝ اتَّسَتُوا وَعَلَىٰ ظُهُورِهِمْ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ

قولهم فما تصنع بقوله فأنشرنابه بلدة ميتاً كذلك تخرجون وإن كان من قول الله فما وجهه (قلت) هو من قول الله لا من قولهم ومعنى  
قوله ليقوان خلقهن العزيز العليم الذي هو من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها إلى الذي هذه أوصافه وليسندنه إليه (بقدر) بمقدار  
يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا و(الأزواج) الأصناف (ما تركبون) أي تركبونه (فإن قلت) يقال ركبو الأنعام وركبوا  
في الفلك وقد ذكر الجنس فكيف قال ما تركبونه (قلت) غلب المتعدى بغير واسطة لقوته على المتعدى بواسطة فقيل تركبونه (على  
ظهوره) على ظهور ما تركبونه وهو الفلك والأنعام ۝ ومعنى ذكر نعمة الله عليهم أن يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها  
ثم يحمدها عليها بالسنتهم وهو ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فإذا استوى  
على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا إلى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهل ثلاثا وقالوا إذا ركب

العزيز العليم وما سرد من الأوصاف عقبه إن كان من قولهم الخ) قال أحمد الذي يظهر أن الكلام مجزأ فبعضه من قولهم  
وبعضهم من قول الله تعالى فالذي هو من قولهم خلقهن وما بعده من قول الله عز وجل وأصل الكلام أنهم قالوا خلقهن الله ويدل  
عليه قوله في الآية الأخرى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ثم لما قالوا خلقهن الله وصف الله تعالى ذاته  
بهذه الصفات ولما سبق الكلام كله سياقه وأخذه حذف الموصوف من كلامهم وأقيمت الصفات المذكورة في كلام الله تعالى  
مقامه كأنه كلام واحد ونظير هذا أن نقول للرجل من أكرمك من القوم فيقول أكرمني زيد فتقول أنت واصف اللذكور  
الكريم الجواد الذي من صفته كذا وكذا ثم لما وقع الانتقال من كلامهم إلى كلام الله عز وجل جرى كلامه عز وجل على  
ما عرف من الافتنان في البلاغة فجاء أوله على لفظ الغيبة وآخره على الانتقال منها إلى التكلم في قوله فأنشرنابه كل ذلك افتنان  
في أفتان البلاغة ۝ ومن هذا النمط قوله تعالى حكاية عن موسى قال عليها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل  
لكم الأرض مهدياً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ، فجاء أول الكلام حكاية عن موسى  
إلى قوله ولا ينسى ثم وقع الانتقال من كلام موسى إلى كلام الله تعالى فوصف ذاته أوصافاً متصلة بكلام موسى حتى كأنه كلام  
واحد وابتدأ في ذكر صفاته على لفظ الغيبة إلى قوله فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فانظر إلى تحقيق التطبيق بين الآيتين  
ترا العجب والله الموفق ۝ قوله تعالى ۝ وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ، الآية (قال فيه يقال ركبت الدابة وركبت  
في الفلك إلى آخره) قال أحمد لم يحزّر العبارة في هذا الموضوع فإن قوله غلب المتعدى بغير واسطة على المتعدى بنفسه يوم أن بين  
الفعلين تبايناً وليس كذلك فإن المتعدى إلى الأنعام هو عين الفعل المتعدى إلى السفر غاية ما ثم أن العرب خصته باعتبار بعض مفاعيله  
بالواسطة وباعتبار بعضها بالمتعدى بنفسه والاختلاف بالتعدى والقصور أو باختلاف آلات التعدى وباختلاف أعداد المفاعيل  
لا يوجب الاختلاف في المعنى فمن ثم يعدون الفعل الواحد مرة بنفسه ومرة بواسطة مثل سكرت وأخوانه ويعدون الأفعال المترادفة  
بآلات مختلفة مثل دعوت و صليت فإنك تقول صلى النبي على آل أبي أوفى ولو قلت دعا على آل أبي أوفى لأفهم عكس المقصود ولكن  
دعا لآل أبي أوفى ويعدون بعضها إلى مفعولين ومرادفه إلى مفعول واحد كعلم وعرف فلا يترتب على الاختلاف بالتعدى  
والقصور الاختلاف في المعنى فالذي يحزّر من هذا إن ركب باعتبار القبيلين معناه واحد وإن خص أحدهما باقتران الواسطة  
الآخر بسقوطها فالصواب أحد الأمرين أما تقدير المتعلقين على ما هما عليه لو انفردا فسكون التقدير ما تركبونه  
وتركبون فيه والأقرب تعليله باعتبار التعدى بنفسه ويكون هذا من تغليب أحد اعتباري الفعل على الآخر وهو أسهل  
من التغليب في قوله تعالى ۝ فأجمعوا أمركم وشركائكم ، على أحد التأويلين فيه فإن التباين ثم ثابت بين الفعلين من حيث المعنى  
أعنى أجمع على الأمر وجمع الشركاء ولكن لما تقاربا غاب إحداهما على الآخر ثم جعل المقلب هو المتعدى بنفسه والله أعلم

إِذَا أَسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ۝ وَجَعَلُوهُ  
مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْإِنْسَانُ أَكْفُورٌ مِّبِينٌ ۝ أَمْ اتَّخَذَ مَا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ۝ وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ

في السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه رأى رجلا يركب  
دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال أهذا أمرتم فقال وبم أمرنا قال أن تذكروا نعمة ربكم كان قد أغفل التحميد  
فبها عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله ومحافظتهم على دقيقتها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسايرين  
بسيرتهم فأحسن بالعاقل النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانات (مقرنين) مطيقين يقال أقرن  
الشيء إذا أطاقه قال ابن هرمة وأقرنت ما حملتني ولقلسا ۝ يطاق احتمال الصديادعد والهجر

وحقيقة أقرنه وجده قرينته وما يقرن به لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف ألا ترى إلى قولهم في الضعيف لا يقرن  
به الصعبة وقرئ مقرنين والمعنى واحد (فإن قلت) كيف اتصل بذلك قوله ۝ وإنا إلى ربنا لمنقلبون (قلت) كم من راكب  
دابة عثرت به أو شمس أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك وكم من راكب في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان  
الركوب مباشرة أمر مخطر واتصلا بسبب من أسباب التلف كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من أسباب التلف  
أن لا ينسى عند اتصاله به يومه وأنه هالك لا محالة فنقلب إلى الله غير منقلب من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه  
حتى يكون مستعدا للقاء الله بإصلاحه من نفسه والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل  
عنه ويستعبد بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا تنزهه على الخيل أو في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع أنفسهم  
أواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب أو في بطون السفن وهي تجري بهم  
لا يذكرون إلا الشيطان ولا يمتثلون إلا أوامره وقد بلغني أن بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد إلى بلد بينهما  
مسيرة شهر فلم يصح إلا بعد ما اطمانت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا أحس به فكم بين فعل أولئك الراكبين وبين  
ما أمره الله به في هذه الآية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنائز (وجعلوا له من عباده جزءا) متصل بقوله ولئن  
سألتم أي ولئن سألتهم عن خالق السموات والأرض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا  
فوصفوه بصفات المخلوقين ومعنى من عباده جزءا إن قالوا الملائكة بنات الله فجعلوا جزءا له وبعضنا منه كما يكون الولد  
بضعة من والده وجزأ له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث وما هو  
إلا كذب على العرب ووضع مستحدث متحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه أجزاء المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا  
إن أجزاء حرة يوما فلا عجب ۝ زوجتها من بنات الأوس مجزئة

وقرئ جزوا بضمين (لكفور مبين) لوجود النعمة ظاهر وجوده لأن نسبة الولد إليه كفر والكفر أصل الكفران كله  
(أم اتخذ) بل اتخذ والهمزة للإنكار تهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث لم يرضوا بأن جعلوا الله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك  
الجزء شرا جزأين وهو الإناث دون الذكور على أنهم أنفر خلق الله عن الإناث وأمقنهم لهن ولقد بلغ بهم المقت إلى  
أن وأدوهن كأنه قيل هبوا أن إضافة اتخاذ الولد إليه جائزة فرضا وتمثيلا أما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم

۝ قوله تعالى أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنيين (قال فيه كأنه قيل هبوا أن إضافة الولد إليه جائزة فرضا وتمثيلا  
أما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعاء أنه آثركم على نفسه الخ) قال أحمد نحن معاشر أهل السنة نقول أن كل

(قوله أو شمس أو تقحمت) في الصباح شمس الفرس شموسا وشماسا منع ظهره وفيه القحمة بالضم المهلكة وقحم  
الطريق مصاعبه اه فتقحم الدابة براكبها خوضاها به في قحمته (قوله حتى تميل طلاهم) في الصباح الطلي الأعناق قال  
الأصمعي واحدها طلية وقال أبو عمرو والفراء واحدها طلاة

بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ أَوْ مَنْ يَنْشُؤْا فِي الْخَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرَ مُبِينٍ

أنه آثركم على نفسه بخير الجزأين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناها ۝ وتذكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (بما ضرب للرحمن مثلاً) بالجنس الذي جعله له مثلاً أى شهاً لأنه إذا جعل الملائكة جزءاً لله وبعضاً منه فقد جعله من جنسه ومثلاً له لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد يعنى أنهم نسبوا إليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظاً وتأسفاً وهو ملوء من الكرب وعن بعض العرب أن امرأته وضعت أنثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت

شئ بمشيئة الله تعالى حتى الضلالة والهدى اتباعاً لدليل العقل وتصديقاً لنص النقل في أمثال قوله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء وآية الزخرف هذه لا تزيد هذا المعتقد الصحيح إلا تمهيداً ولا تفيد إلا تصويها وتسديداً فقوله إذا قال الكافر لو شاء الله ما كفرت فهذه كلمة حق أراد بها باطلاً أما كونها كلمة حق فلما هدناه وأما كونه أرادها باطلاً فراد الكافر بذلك أن يكون له الحجة على الله توها أنه يلزم من مشيئة الله تعالى لضلالة من ضل أن لا يعاقبه على ذلك لأنه إنما فعل مقتضى مشيئته كما توهم القدرية إخوان الوثنية ذلك فأشركوا بربهم واعتقدوا أن الضلالة وقعت بمشيئة الخلق على خلاف مشيئة الخالق فالذين أشركوا بالملائكة أرفع منهم درجة لأن هؤلاء أشركوا أنفسهم الدنية في ملك ربهم المتوحد بالربانية جلّ وعلا فإذا وضع ما قلناه فإنما رد الله عليهم مقالته هذه لأنهم توهموا أنها حجة على الله فدحض الله حجتهم وأكذب أمنيتهم وبين أن مقالته صادرة عن ظن كاذب وتخبر محض فقال ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون وإن هم إلا يظنون وقد أفصحنا آية مع هذه الآية عن هذا التقدير وذلك قوله تعالى في سورة الأنعام وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون فبين تعالى أن الحامل لهؤلاء على التكذيب الرسل والإشراك بالله اغترارهم بأن لهم الحجة على الله بقولهم لو شاء الله ما أشركنا فشبّه تعالى حالهم في الاعتماد على هذا الخيال بحال أوائلهم ثم بين أنه معتقد نشأ عن ظن خلب وخيال مكذب فقال إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ثم لما أبطل أن يكون لهم في مقالته حجة على الله أثبت تعالى الحجة له عليهم بقوله فله الحجة البالغة ثم أوضح في الرد عليهم ليس إلا في احتجاجهم على الله بذلك لا لأن المقالة في نفسها كذب فقال فلو شاء لهداكم أجمعين وهو معنى قولهم لو شاء ما أشركنا من حيث أن لو مقتضاها امتناع الهداية لا امتناع المشيئة فدلّت الآية الأخيرة على أن الله تعالى لم يشأ هدايتهم بل شاء ضلالهم ولو شاء هدايتهم لما ضلوا فهذا هو الدين القويم والصراط المستقيم والنور اللامع والمنهج الواضح والذي يدحض به حجة هؤلاء مع اعتقاد أن الله تعالى شاء وقرع الضلالة منهم هو أنه تعالى جعل للعبد تائباً وتيسراً للهداية وغيرها من الأفعال الكسبية حتى صارت الأفعال الصادرة منه مناط التكليف لأنها اختيارية يفرق بالضرورة بينهما وبين العوارض القسرية فهذه الآية أقامت الحجة ووضحت لمن اصطفاه الله للمعتقدات الصحيحة المحجة ولما كانت تفرقة دقيقة لم تنظم في سلك الأفهام الكشيفة فلا جرم أن أفهامهم تبددت وأفكارهم تبدلت فغلّت طائفة القدرية واعتقدت أن العبد فعال لما يريد على خلاف مشيئة ربه وجارت الجبرية فاعتقدت أن لا قدرة للعبد التبة ولا اختيار وأن جميع الأفعال صادرة منه على سبيل الاضطرار أما أهل الحق فنحهم الله من هدايته قسطاً وأرشدهم إلى الطريق الوسطى فأنهجوا سبيل السلام وساروا ورائد التوفيق لهم إمام مستضيئين بأنوار العقول المرشدة إلى أن جميع الكائنات بقدره الله تعالى ومشيئته ولم يغب عن أفهامهم أن يكون بعض الأفعال للعبد مقدورة لما وجدوه من التفرقة بين الاختيارية والقسرية بالضرورة لكنها قدرة تقارن بلا تأثير وتميز بين الضروري والاختياري في التصوير فهذا هو التحقيق والله ولي التوفيق

(قوله واربد وجهه غيظاً) تغير إلى الغيرة من الغضب أفاده الصحاح

وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيَسْتَلُونَ ۖ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ  
الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَأْهُمٌ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۖ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَعْسِكُونَ

مالا بي حمزة لا يأتينا ۖ يظل في البيت الذي يلينا ۖ غضبان أن لا تلد البينا ليس لنا من أمرنا ما شينا  
ۖ وإنما نأخذ ما أعطينا ۖ

والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها وقرئ مسود ومسواد على أن في ظل ضمير المبشر  
ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر ثم قال أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه  
(ينشأ في الحلية) أي يتربى في الزينة والنعمة وهو إذا احتاج إلى مجازاة الخصوم ومجازاة الرجال كان غير مبين ليس عنده  
بيان ولا يأتي برهان يحتاج به من يخصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصان عن فطرة الرجال يقال فلما تكلمت  
امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها وفيه أنه جعل النشء في الزينة والنعمة من المعاييب والمذام  
وأنه من صفة ربات الرجال فعلى الرجل أن يحتجب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه  
اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعدوا وإن أراد أن يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى وقرئ ينشأ وينشأ وينشأ  
ونظير المناشأة بمعنى الإنشاء المغالاة بمعنى الإغلاء ۖ قد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا إلى الله الولد  
ونسبوا إليه أحسن النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم أكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم وقرئ  
عباد الرحمن وعبيد الرحمن وعباد الرحمن وهو مثل لزلقاهم واختصاصهم وأناثا وأناثا جمع الجمع ومعنى جعلوا سموا وقالوا  
أنهم أناث ۖ وقرئ أشهدوا وأشهدوا بهمزتين مفتوحة وهضمومة وأشهدوا بألف بينهما وهذا تهكم بهم بمعنى أنهم يقولون  
ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم فإن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك ولا تطرقوا إليه باستدلال ولا أحاطوا به عن  
خبر يوجب العلم فلم يبق إلا أن يشاهدوا خلقهم فأخبروا عن هذه المشاهدة (ستكتب شهادتهم) التي شهدوا بها على  
الملائكة من أنوثتهم (ويستلون) وهذا وعيد وقرئ سيكتب وستكتب بالياء والنون وشهادتهم وشهاداتهم ويسألون  
على يفاعلون (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) هما كفرتان أيضا مضمومتان إلى الكفريات الثلاث وهما عبادتهم  
الملائكة من دون الله وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله كما يقول إخوانهم المجبرة (فانقلت) ما أنكرت على من يقول قالوا  
ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين (قلت) لادليل على أنهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل  
على أن الله تعالى قد حكى عنه ذلك على سبيل الذم والشهادة بالكفر أنهم جعلوا له من عباده جزأ وأنه اتخذ بنات وأصفاهم  
بالبنين وأنهم جعلوا الملائكة المنكرين إناثا وأنهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق  
الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكى الذي هو إيمان عنده لوجدوا في النطق به مدحا لهم من قبل أنها كلمات  
كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقى أن يكونوا جادين وتشارك كلها في أنها كلمات كفر فإن قالوا نجعل هذا الأخير

(قوله إلى مجازات الخصوم) مفاعلة من جثا يجثو إذا برك على ركبتيه أفاده الصحاح (قوله يحتاج به من يخصمه) لعله على من  
يخصمه أو لعله يجمع به من يخصمه أي يغلبه في الحجاج (قوله هم أكرم عباد الله على الله) هذا عند المعتزلة أما أهل السنة فبعض البشر  
أكرم عندهم من الملك (قوله المجبرة فإن قلت ما أنكرت على من يقول) يريد أهل السنة حيث قالوا أنه تعالى يريد الشر كالخير لأنه  
لا يقع في ملكه إلا ما يريد لكن هذا لا يستلزم الجبر ولا ينافي اختيار العبد لماله في أفعاله من الكسب وإن كانت مخلوقة له  
تعالى في الحقيقة بل الجبر إنما يكون لو كان العبد لا دخل له في أفعاله أصلا كالريشة في الهواء كما قالت المجبرة الحقيقية  
وإنما ذم الله تلك المقالة من الكفار لأنهم قالوها استهزاء وعنادا لإقرارا واعتقادا والدليل على ذلك إجماع سلف الأمة  
على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقوله لكان النطق بالمحكيات الخ ممنوع وكذا ما بعده والمعتزلة قالوا لا يريد الشرباء  
على أن الإرادة هي الأمر وهو ممنوع وعفا الله عن صاحب الكتاب في بدأة لسانه على أهل السنة وجعلهم إخوان الكفار

بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ۚ قُلْ أُولَٰئِكَ جُنُودٌ لِّأَبِيهِمْ يَهْتَدُونَ ۚ وَمَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِنَاهُمْ كَافِرُونَ ۚ فَاتَّقِمْنَا مِنْهُم فَلَنظُرَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ۚ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۚ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۚ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۚ بَلْ مَتَّعْتَهُمْ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ۚ وَلَمَّا جَاءَهُمْ

وحده مقولا على وجه الهزم دون ما قبله فما بهم إلا تعويج كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزأ لم يكن لقوله تعالى (ما لهم بذلك من علم إن هم إلا بخرصون) معنى لأن من قال لا إله إلا الله على طريق الهزم كان الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لأنه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان أو هازئا (فإن قلت) ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم إن الملائكة بنات الله من علم إنهم إلا يخوضون في ذلك القول لافي تعليق عبادتهم بمشيئة الله (قلت) تحمل مبطل وتحريف مكابرو نحوه قوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم ۚ الضمير في (من قبله) للقرآن أو الرسول والمعنى أنهم ألقوا عبادة غير الله بمشيئة الله قولا قالوه غير مستند إلى علم ثم قال أم آتيناكم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح إلينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل لا حاجة لهم يستمسكون بها إلا قولهم (إنا وجدنا آباءنا على أمة) على دين وقرئ على أمة بالكسر وكتناهما من الأم وهو القصد فالأمة الطريقة التي تؤم أي تقصد كالرحلة للرحول إليه والأمة الخالة التي يكون عليها الأم وهو القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة (على آثارهم مهتدون) خبر إن أو الظرف صلة لمهتدون (مترفوها) الذين أترفهم النعمة أي أبطرتهم فلا يجوبون إلا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه ۚ قرئ قل وقال وجنتكم وجنتكم يعني أتبعون آباءكم ولو جنتكم بدين أهدي من دين آباءكم قالوا إنا ثابتون على دين آباؤنا لا ننفك عنه وإن جنتنا بما هو أهدي وأهدى ۚ قرئ براء بفتح الباء وضمها وبرئ فبرئ وبراء نحو كريم كرام وبراء مصدر كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء منك والخلاء منك (الذي فطرنى) فيه غير وجه أن يكون منصوبا على أنه استثناء منقطع كأنه قال لكن الذى فطرنى فإنه سيهدين وأن يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن كأنه قال إننى براء مما تعبدون إلا من الذى فطرنى (فإن قلت) كيف يجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون من وجهين أحدهما أن ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون والثانى أن الله تعالى غير معبود بينهم والأوثان معبوده (قلت) قالوا كانوا يعبدون الله مع أوثانهم وأن تكون إلا صفة بمعنى غير على أن مافى ما تعبدون موصوفة تقديره إننى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى فهو نظير قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا (فإن قلت) ما معنى قوله (سيهدين) على التسوية (قلت) قال مرة فهو يهدين ومرة فإنه سيهدين فاجمع بينهما وقدّر كأنه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال (وجعلها) وجعل إبراهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله إننى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى (كلمة باقية في عقبه) في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعوا إلى توحيدهِ لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ونحوه ووصى بها إبراهيم بنيه وقيل وجعلها الله وقرئ كلمة على التخفيف

(قوله ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم) لعله يفسر ما لهم بذلك بقوله ما لهم بقولهم الخ (قوله نحو كريم وكرام)

في الصحاح الكرام بالضم مثل الكريم

أَلْحَقْ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ۝ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ ۝ أَهْمُ يَقْسَمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ

وفي عقبه كذلك وفي عاقبه أي فيمن عقبه أي خلفه (بل تمتعت هؤلاء) يعني أهل مكة وهم من عقب إبراهيم بالمدنى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) وهو القرآن (ورسول مبین) الرسالة واضحا بما معه من الآيات البينة فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد منهم ما رجاء إبراهيم وقرئ بل متعنا (فإن قلت) فما وجه قراءة من قرأ تمتعت بفتح التاء (قلت) كأن الله تعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل تمتعتم بما متعتم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد وأراد بذلك الإطراب في تعبيرهم لأنه إذا متعتم بزيادة النعم وجب عليهم أن يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والإيمان لأن يشركوا به ويحلموا له أندادا فناله أن يشكر الرجل إساءة من أحسن إليه ثم يقبل على نفسه فيقول أنت السبب في ذلك بمعروفك وإحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لانقيح فعله (فإن قلت) قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتع ثم أردفه قوله (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر) فما طريقة هذا النظم ومؤداه (قلت) المراد بالتمتع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عزّ وعلّا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبین نخيل بهذه الغاية أنهم تنهوا عنها عن غفلتهم لاقتضاها إليه ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم الحق جاؤا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو أن ضموا إلى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والإصرار على أفعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخيير محمد من أهل زمانه بقولهم (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وهي الغاية في تشويه صورة أمرهم قرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين من إحدى القريتين كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أي من أحدهما والقريتان مكة والطائف وقيل من رجلى القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل وعن قيادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن على أوعلى أبي مسعود الثقفي وأبو مسعود كنية عروة بن مسعود مازالوا ينكرون أن يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتسكير الله الحجج أن الرسل لم يكونوا إلا رجالا من أهل العرى جاؤا بالإنكار من وجه آخر وهو تحكهم أن يكون أحد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة به وأرادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا وعزب عن عقولهم أن العظيم من كان عند الله عظيما (أهم يقسمون رحمت ربك) هذه الهمزة للإينكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكهم وأن يكونوا هم المدبرين لأمر النبوة والنخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها إلا هو

قوله تعالى (حتى جاءهم الحق ورسول مبین ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون) (قال فيه فإن قلت قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتع ثم أردفه إلى آخره) قال أحمد كلام نفيس لا مزيد عليه إلا أن قوله خيل بهذه الغاية أنهم تنهوا عنها إطلاق ينبغي اجتنابه والله أعلم وما أحسن مجيء الغاية على هذا النحو مجيء الإضراب في بعض التارات فكما جاءت الغاية هنا وليس المراد بها أن الفعل المذكور قبلها منقطع عنها على ما هو المفهوم منها بل المراد استمراره وزيادته فكان تلك الحالة النافعة انتهت بوجود ما هو أكمل منها كذلك الإضراب في مثل قوله تعالى بل أذارك عليهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم عنها عمون وهذه الإضرابات ليست على معنى أن الثاني منها ردة للأول بل ثانيا أكد من أولها وجاء الإضراب مع التوافق والزيادة للإشعار بأن الثاني لما زاد على الأول صار باعتبار زيادته ونقصان الأول كأنهما شيان متساويان يضرب عن أولهما ويثبت آخرهما ومثله كثير وبالله التوفيق ۝ قوله تعالى



بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون . ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . وليوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون . وزخرفا وان كل ذلك لما تتع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين . ومن يمش عن ذكر الرحمن نقبض له شيطانا

يباهر قدرته وبالغ حكمته ثم ضرب لهم مثلا فاعلم انهم عاجزون عن تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم في دنياهم وان الله عز وجل هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم تدبير العالم بها فلم يسق بينهم ولكن قاوت بينهم في اسباب العيش وغير بين منازلهم فجعل منهم اقوياء وضعفاء واغنياء ومحاويج وموالي وخدماء ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهتمهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعاشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم الى انفسهم وولاهم تدبير امرهم لضاعروا وهلكوا واذا كانوا في تدبير المعيشة الدنية في الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير امور الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم الى حلول دار السلام ثم قال (ورحمت ربك) يريد وهذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا (فان قلت) معيشتهم ما يعيشتون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله تعالى الحرام كما قسم الحلال (قلت) الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحهم من المنافع واذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه ان يسلك في تناولها الطريق التي شرعها فاذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق الله واذا لم يسلكها تناولها حراما وليس له ان يسمي رزق الله فانه تعالى قاسم المعاش والمنافع ولكن العبادم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو عدولهم فيه عما شرعه الله الى ما لم بشرعه (لبيوتهم) بدل اشتغال من قوله لمن يكفر ويجوز ان يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه . وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف وبضمها وسكون القاف ويضمها جمع سقف كرهن ورهن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتح السين كأنه لغة في سقف وسقوفا . ومعارج ومعارج جمع معرج أو اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى العلالى (عليها يظهرون) أى على المعارج يظهرون السطوح يعلونها فما استطاعوا ان يظهروه . وسررا بفتح الراء لاستئصال الضميتين مع حرفي التضعيف (لما متاع الحياة) اللام هي الفارقة بين إن الخففة والنافية وقرئ بكسر اللام أى الذى هو متاع الحياة كقوله تعالى مثلا ما بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الاوان

نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا (قال فيه فإن قلت معيشتهم ما يعيشتون به من المنافع الخ) قال أحمد قد تقدم ان الرزق عند أهل السنة يطلن على ما يقوم الله به حال العبد حلالا كان أو حراما وهذه الآية معضدة والزخرفى بنى على أصله وقد تقدم . قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم الآية (قال فيه معناه لولا كراهية ان يجتمعوا على الكفر لجعلنا للكفرة سقوفا من فضة أى لو سنعنا عليهم الدنيا لحقارتها عندنا انتهى كلامه) قال أحمد لولا هنا أخت لولا في قوله ولولا ان تصيبتهم مصيبة بما قدمت أيديهم الآية فلك ان تصحح الكلام بتقدير كراهية ذلك بان لا تقدر محذوفا كما قدمته فيكون وجه الكلام ههنا ان إجماعهم الكفر مانع من بسط الدنيا وهذا هو معنى لولا المطرد ان ما بعدها أبدا مانع من جوابها ولكن قد يكون المانع موجودا تحقيفا فيمتنع الجواب بلا إشكال كقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكانتم من الخاسرين وهو الاكثر وقد يكون وجوده تقديرا معه وعلى ذلك الآية أى لو وجد بسط الدنيا للكافر مقدر لوجد مانعه عندنا وهو الاجتماع على الكفر مقدر معه وكل ما أدى وجوده الى وجود مانعه

(قوله وليس له ان يسمي رزق الله) هذا على مذهب المعتزلة وأما عند أهل السنة فالرزق ما ينتفع به ولو حراما والمصنف يريد ان الله لا يبسر الحرام لانه لا يفعل القبيح عن المعتزلة ومذهب أهل السنة ان فاعل الكائنات كلها هو الله تعالى

نافية وقرئ الا وقرئ وما كل ذلك إلا ه لما قال خير مما يجمعون فقلل أمر الدنيا وصغرها أردفه ما يقترن قلة الدنيا عنده من قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة أى ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا الحفارة زهرة الحياة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعداً وأبواباً وسرراً كلها من فضة وجعلناهم زخرفاً أى زينة من كل شىء والزخرف الزينة والذهب ويجوز أن يكون الأصل سقفاً من فضة وزخرف يعنى بمضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفاً على محل من فضة وفى معناه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو وزنت عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء (فإن قلت) فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التى كان يؤدى إليها التوسعة عليهم من إطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الإسلام (قلت) التوسعة عليهم مفسدة أيضاً لما تؤدى إليه من الدخول فى الإسلام لأجل الدنيا والدخول فى الدين لأجل الدنيا من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل فى الفريقين أغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى ه وقرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة فى بصره قبل عشى وإذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا وأظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الخطيئة ه متى تأنه تعشو إلى ضوء ناره ه

أى تنظر إليها نظر العشى لما يضعف بصره من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين فى قول حاتم

أعشو إذا ماجرتى برزت ه حتى يوارى جارتى الخدر

وقرئ يعشوا على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ أن يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح

لا يوجد ثم (قال) فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التى كان يؤدى إليها التوسعة من الإطباق على الكفر فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الإيمان وأجاب بأن التوسعة عليهم مفسدة أيضاً لما يؤدى إليه من الدخول فى الإسلام لأجل الدنيا وذلك من دين المنافقين اه كلامه (قال أحمد) سؤال وجواب مبنيان على قاعدتين فاسدتين إحداهما تعليل أفعال الله تعالى والآخرى أن الله تعالى أراد الإسلام من الخلق أجمعين أما الأولى فقد أخرج الله السائل عنه بقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وأما الثانية فقد كفى الله المؤمنين الجواب عنه فيه بقوله ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً ه قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنما ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا الآية (قال) فيه يقال عشى بصره بكسر الشين إذا أصابته الآفة الخ) قال أحمد فى هذه الآية نكتتان بديعتان ه إحداهما الدلالة على أن النكرة الواقعة فى سياق الشرط تفيد العموم وهى مسألة اضطرب فيها الأصوليون وإمام الحرمين من القائلين بإفادتها العموم حتى استدرك على الأئمة إطلاقهم القول بأن النكرة فى سياق الإثبات تخص وقال أن الشرط يعم والنكرة فى سياقه تعم وقد رد عليه الفقيه أبو الحسن على الانبارى شارح كتابه رداً عنيفاً وفى هذه الآية للإمام ومن قال بقوله كفاية وذلك أن الشيطان ذكر فيها منكرها فى سياق شرط ونحن نعلم أنه إنما أراد عموم الشياطين لا واحداً لوجهين أحدهما أنه قد ثبت أن لكل أحد شيطانا فكيف بالعاشى عن ذكر الله والآخر يؤخذ من الآية وهو أنه أعاد عليه الضمير بجموعاً فى قوله وأنهم فإنه عائد إلى الشيطان قولاً واحداً ولولا إفادته عموم الشمول لما جاز عود ضمير الجمع عليه بلا إشكال فهذه نكتة تجدد عند إسماعيل المخالفي هذا رأى سكتة ه النكتة الثانية أن فى هذه الآية رداً على من زعم أن العود على معنى من يمنع من العود على لفظها بعد ذلك واحتج المانع لذلك بأنه إجمال بعد تفسير وهو خلاف المعهود من الفصاحة وقد نقض الكندي هذا بقوله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالد فيها أبداً قد أحسن الله له رزقا ونقض غيره بقوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين وإذا تتلى عليه الآية وكان جدى رحمه الله قد استخرج من هذه الآية بعض ذلك لأنه أعاد على اللفظ فى قوله يعش وله مرتين ثم على المعنى فى قوله ليصدونهم ثم على اللفظ بقوله حتى إذا جاءنا وقد قدمت أن الذى منع ذلك قد يكون اقتصر بمنعه على مجيء ذلك فى جملة واحدة وأما إذا تعددت الجمل واستقلت

فَهُوْلَهُ قَرِينٌ ۖ وَإِنَّهُمْ لَيَصْدُونَهِمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا بَنِيَّ أَيْنِكَ  
بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ۚ وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۚ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّةَ  
أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۚ فَإِنَّمَا نَذَرْ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي

ومن يعم (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن كقوله تعالى صم بكم عمى وأما القراءة بالضم فعناها ومن يتعام عن ذكره  
أى يعرف أنه الحق وهو يتجاهل ويتغابي كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (نقيض له شيطانا) نخذه ونخل  
بينه وبين الشياطين كقوله تعالى وقبضنا لهم قرناء ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين وقرئ يقبض أى يقبض له  
الرحمن ويقبض له الشيطان ۚ (فإن قلت) لم جمع ضمير من وضمير الشيطان فى قوله (وإنهم ليصدونهم) (قلت) لأن من  
مبهم فى جنس العاشى وقد قبض له شيطان مبهم فى جنسه فلما جاز أن يتناولوا لإيهامهما غير واحد من جاز أن يرجع  
الضمير إليهما مجموعا (حتى إذا جاءنا) العاشى وقرئ جانا على أن الفعل له واشيطانه (قال) لشيطنه (يأليت بينى وبينك  
بعد المشرقين) يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقرمان (فإن قلت) فما بعد المشرقين (قلت) تباعدهما والأصل  
بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالثنية أضاف البعد إليهما (إنكم) فى محل الرفع  
على الفاعلية يعنى ولن ينفعكم كونكم مشتركين فى العذاب كما ينفع الواقعين فى الأمر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم فى  
تحمل أعبائه وتقسيمهم لشدة وعنايه وذلك أن كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته ولك أن تجعل الفعل للمعنى  
فى قوله يألوت بينى وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما أنتم فيه من تمنى مباحة القرين وقوله إنكم فى العذاب مشتركون  
تعليل أى لن ينفعكم تمنىكم لأن حقكم أن تشاركوا أتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه وهو الكفر  
وتقوية قراءة من قرأ إنكم بالكسر وقيل إذا رأى الممتو بشدة من منى بمثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسى الذى  
ذكرته الخنساء ۚ أعزى النفس عنه بالتأسى ۚ فهو لاء لا يؤسبهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه (فإن قلت) ما معنى  
قوله تعالى إذ ظلمتم (قلت) معناه إذ صبح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة فى أنكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة وإذ بدل من  
اليوم ونظيره ۚ إذا ما اتسبنا لم تلدنى لثيمة ۚ أى تبين أنى ولد كريمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجود ويجتهد ويكدر روحه  
فى دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه إلا تصميما على الكفر وتماديا فى الغى فأنكر عليه بقوله (أفأنت تسمع الصم)  
إنكار تعجب من أن يكون هو الذى يقدر على هدايتهم وأراد أنه لا يقدر على ذلك منهم إلا هو وحده على سبيل الإلجام والقصر  
كقوله تعالى إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور ۚ ما فى قوله (فإيمان ذهاب بك) بمنزلة لام القسم فى أنها إذا  
دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فإن قبضناك قبل أن نصرك عليهم ونشقى صدور المؤمنين منهم (فإنما منهم  
منتقمون) أشد الانتقام فى الآخرة كقوله تعالى أو توفينك فإلينا يرجعون وإن أردنا أن نتجز فى حياتك ما وعدناهم  
من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتونا وصفهم بشدة الشكيمة فى الكفر والضلال  
ثم أتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة وقرئ نرينك بالنون الخفيفة وقرئ بالذى أوحى إليك على البناء للفاعل وهو  
الله عز وجل والمعنى وسواء عجلنا لك الظفر والغلبة أو أخرنا إلى اليوم الآخر فكن مستميسكا بما أوحينا إليك وبالعمل

كل بنفسها فقد لا يمنع ذلك حتى رددت على الزمخشري فى قوله تعالى لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً ۚ

(قوله نقيض له شيطانا نخذه) تأويله بذلك مبنى على أنه تعالى لا يفعل القبيح وهو مذهب المعتزلة وعند أهل السنة

أنه فاعل الكائنات كلها فالآيات على ظاهرها (قوله إذا رأى الممتو بشدة) أى المبتلى ومنى أى ابتلى أفاده الصحاح

(قوله أعزى النفس عنه) أوله ولولا كثرة الباكين حولى ۚ على إخوانهم لقتلت نفسى

ولا يكون مثل أخى ولكن ۚ أعزى الخ

وَعَدْنَهُمْ إِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ۖ فَاسْتَمْسَكَ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۚ وَإِنَّهُ لَذَكَرُكَ لَكَ  
وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ۚ وَسْئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ۚ  
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَلَاهُ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَيِّنَاتِنَا إِذَاهُمْ  
مِنهَا يَضْحَكُونَ ۚ وَمَنْزِيهِمْ مِنْ آيَةِ الْإِلَهِىِ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهِمْ وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۚ وَقَالُوا

به فإنه الصراط المستقيم الذي لا يجده عنه إلا ضال شقى، زد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بأمرهم  
إلى شيء من اللين والرخاوة في أمرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يبطئه تأخير (وإنه) وإن الذي  
أوحى إليك (لذكر) لشرف (لك ولقومك و) لسوف (تسألون) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم  
على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لإحاطته ولكنه مجاز عن النظر  
في أديانهم والفحص عن ملهم هل جاءت عبادة الأوثان قط في ملة من ملل الأنبياء وكفاه نظراً وخصانظره في كتاب الله  
المعجز المصدق لما بين يديه وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة  
إلى غيرها والسؤال الواقع مجازاً عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مسألة الشعراء الديار والرسوم والأطلال  
وقول من قال سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإنها إن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً وقيل إن النبي  
صلى الله عليه وسلم جمع له الأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس فأمهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من  
أرسلنا وهم أهل الكتابين التوراة والإنجيل وعن الفراء هم إنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكانه سأل الأنبياء  
ما أجابوه به عند قوله إني رسول رب (العالمين) محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) وهو مطالبهم إياه بإحضار البينة على  
دعواه وإبراز الآية (إذاهم منها يضحكون) أى يسخرون منها ويهزؤون بها ويسمون سحراً وإذا للفقهاء (فإن قلت) كيف جاز  
أن يجاب لما إذا المفاجأة (قلت) لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كأنه قيل فلما جاءهم آياتنا فاجؤا  
وقت ضحكهم (فإن قلت) إذا جاءهم آية واحدة من جملة التسع فما أختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات (قلت) أختها  
التي هي آية مثلاً وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة  
بعد واحدة كما تقولوا ونضرب رجل رأيت تربيته تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم إذ قروتهم رجلاً رجلاً (فإن قلت) هو كلام  
متناقض لأن معناه ما من آية من التسع إلا هي أكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة  
(قلت) الغرض بهذا الكلام أنهم موصوفات بالكبر لا يكدرن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الأشياء التي تتلاقى في الفضل

فإن الجملة واحدة فانظره في موضعه ۚ قوله تعالى ۚ واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا ۚ (قال سؤال الرسل مجاز عن  
الفحص في شرائعهم والنظر في هلهم الخ) قال أحمد ويشهد لإرادة سؤال الأمم فاسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك والله أعلم  
ۚ قوله تعالى ۚ فلما جاءهم بآياتنا إذاهم منها يضحكون ومانزيتهم من آية الإلهى أكبر من أختها (قال جازت فيه إجابة لما إذا  
التي للمفاجأة لأن فعل المفاجأة مقدر معها وهو عامل فيها النصب الخ) قال أحمد الظاهر في تسوية هذا الإطلاق والله أعلم أن  
كل واحدة من هذه الآى إذا أفردها بالفكر استغرقت عظمتها الفكر وبهرته حتى يحزم أنها النهاية وأن كل آية دونها فإذا نقل  
الفكرة إلى أختها استوعبت أيضاً فكره بعضهم وذهل عن الأولى فحزم بأن هذه النهاية وإن كل آية دونها والحاصل أنها لا يقدر  
الفكر على أن يجمع بين آيتين منهما ليتحقق عنده الفاضلة من المفضولة بل مهما أفرده بالكفر جزم بأنه النهاية وعلى هذا

(قوله ولكن كما يفعل الثابت لعله وكن أو لعله ولكن كز) (قوله لم تجبك حواراً) أى مخاطبة بالنطق في الصحاح استخاره  
أى استنطقه (قوله إذا قروتهم رجلاً رجلاً) أى تتبععتهم (قوله قليلة التفاوت ثكنهم) في الصحاح الشكل فقدان المرأة ولدها

يَسَاءَ السَّاحِرُ أَدْعُنَا رَبَّكَ بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ۝ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ ۝  
وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ أَمْ أَنَا

وتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير أن تختلف آراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذلك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذلك ومنه بيت الحماسة :  
من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم ۝ مثل النجوم التي يسرى بها السارى  
وقد فاضلت الأئمارة بين الكملة من بينها ثم قالت لما أبصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفترغة لا يدري أين طرفاها (لعلهم يرجعون) إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان (فإن قلت) لو أراد رجوعهم لكان (قلت) إرادته فعل غيره ليس إلا أن يأمره به ويطلب منه إيجاده فإن كان ذلك على سبيل القسر وجد والإدار بين أن يوجد وبين أن لا يوجد على حسب اختيار المكلف وإنما لم يكن الرجوع لأن الإرادة لم تكن قسرا ولم يختاروه ۝ والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك ۝ وقرئ بأب الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه (فإن قلت) كيف سموه بالساحر مع قولهم (إننا لمهتدون) (قلت) قولهم إننا لمهتدون وعدم نوى إخلافه وعهد معزوم على نكته معاق بشرط أن يدعوهم وينكشف عنهم العذاب ألا ترى إلى قوله تعالى (فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكشون) فما كانت تسميتهم إياه بالساحر بمنافية لقولهم إننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لا استعظامهم علم السحره بما عهد عندك بعهدك من أن دعوتك مستجابة أو بعهدك عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة أو بما عهد عندك من كشف العذاب عن اهتدى (ونادى فرعون في قومه) جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى أنه أمر بالنداء في مجامعهم وأما كنههم من نادى فيها بذلك فأسند النداء إليه كقولك قطع الأمير اللص إذا أمر بقطعه ويجوز أن يكون عنده عظام القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه في جموع القبط فكانه نودى به بينهم فقال (أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار) يعني أنهار النيل ومعظمهما أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قبل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني ويجوز أن تكون الواو عاطفة الأنهار على ملك مصر وتجرى نصب على الحال منها وأن تكون الواو للحال واسم الإشارة مبتدأ والأنهار صفة لاسم الإشارة وتجرى خبر للبتداء وليت شعري كيف ارتقت إلى دعوة الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمتهم وأمر فنودى بها في أسواق مصر وأزقتها لثلاث تخفى تلك الأبهة والجلالة على صغير ولا كبير

التقدير يجري جميع ما يرد من أمثاله والله أعلم ۝ قوله تعالى وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون الآية (قال معناه إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان الخ) قال أحمد تقدم في غير موضع أن لعل حيثما وردت في سياق كلام الله تعالى فالمراد صرف الرجاء إلى المخلوقين أي ليكونوا بحيث يرجى منهم ذلك هذا هو الحق وعليه تأويل سيدي به ماورد وأما الزخري فيحمل لعل على الإرادة لأنه لا يتحاشى من اعتقاد أن الله يريد شيئا ويريد العبد خلافة فيقع مراد العبد ولا يقع مراد الرب تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فما أشنعها زلة وأبشعها خلة ولقد أساء الأدب في هذا الموضوع حتى أنه لو لاتعين الرد عليه لما جرى القلم بنقل ما هدى به وما اهتدى وقد جرى على سنن أوائله في جعل حقيقة الأمر هو الإرادة وأضاف إلى ذلك اعتقاد أن العبد يوجد فعله ويخلقه وأن مراد العبد يقع ومراد الرب لا يقع فهذه ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض نعوذ بالله من هذه الغواية ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا

(قوله ليس إلا أن يأمره به) هذا مذهب المعتزلة أما مذهب أهل السنة فإرادته غير الأمر سواء كانت لفعل نفسه أو لفعل غيره ولا يلزم تأويل الآية بالإرادة لجواز أن يكون معناها ليكون حالهم عند الأخذ بالعذاب حال من يرجى رجوعهم (قوله لثلاث تخفى تلك الأبهة والجلال) كسكرة كذا بهامش الصحاح وفي الصحاح وهما الناس جماعتهم

خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين هـ المولا التي عليه سورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين هـ  
فاستخف قومه فاطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين هـ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين هـ فجعلناهم

وحتى يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد أنه لما قرأها قال لا أوليتها أخس عبيدي فولاها  
الخصيب وكان على وضوئه وعن عبدالله بن طاهر أنه وليها فخرج إليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال هي القرية التي  
افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله لم ي أفل عندي من أن أدخلها فثنى عنائه (أم أنا خير) أم هذه متصلة  
لأن المعنى أفلا تبصرون أم تبصرون إلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنه إذا قالوا له أنت خير فهم عنده  
بصراء وهذا من إنزال السبب منزلة المسبب ويجوز أن تذكر مقطعة على بل أنا خير والهمزة للتقرير وذلك أنه قدم  
تعدد أسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجرى الأنهار تحته ونادى بذلك وملا به مسامعهم ثم قال أنا خير  
كأنه يقول أثبت عدلكم واستقر أفي أنا خير وهذه حالي (من هذا الذي هو مهين) أي ضعيف حقير وقرئ أما أنا خير  
(ولا يكاد يبين) الكلام لما به من الرتبة يريد أنه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعترض به وهو في نفسه  
محل بما ينعت به الرجال من اللسان والفصاحة وكانت الأنبياء كلهم أئمة بلغاء هـ وأراد بإلقاء الأسرورة عليه إلقاء مقاليد  
الملك إليه لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سوره بسوار وطوقه بطوق من ذهب (مقترنين) إمامقترنين به من  
قولك قرنته فاقترن به وإما من اقترنوا بمعنى تفارنوا لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى صلوات  
الله عليه فوصفه بالضعف وقلة الأعضاد اعترض فقال هلا إن كان صادقاً ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة  
أعضاده وأنصاره هـ وقرئ أساور جمع أسورة وأساور جمع إسوار وهو السوار وأساوره على تعويض التاء من ياء  
أساور هـ وقرئ ألقى عليه أسورة وأساور على البناء للمعامل وهو الله عز وجل (فاستخف قومه) فاستفهم وحقيقته  
حملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم وكذلك استفهم من قولهم للضعيف فز (أسفونا) منقول من أسف أسفا إذا اشتد  
غضبه ومنه الحديث في موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر ومعناه إنهم أفرطوا في المعاصي وعدوا طورهم  
فاستوجبوا أن نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لانحلم عنهم هـ وقرئ سلف جمع سالف كخادم وخدم وسلفا بضمين جمع  
سليف أي فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة أي ثلثة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة الآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق  
مثل عقابهم ونزولهم لإتيانهم بمثل أفعالهم وحديثا عجيب الشأن سائر أمسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون هـ  
لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك امتعضا شديدا  
فقال عبدالله بن الزبير يا محمد أخاصة لنا ولا لهتت أم لجميع الأمم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم وجميع الأمم فقال خصمتك  
ورب الكعبة ألسنت تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتثنى عليه خيراً وعلى أمه وقد علمت أن النصراني يعبدونهما وعزير  
يعبد والملائكة يعبدون فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله  
عليه وسلم فأنزل الله تعالى إن الذين سبقتم لهم منا الحسنی ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبدالله بن الزبير عيسى  
بن مريم مثلاً وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصراني إياه (إذا قومك) قريش من هذا المثل (يصدون)  
ترتفع لهم جلبه وضحج فرحا وجزلا وضحكا بما سمعوا منه من إسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجده كما يرتفع  
لفظ القوم ولجهم إذا تعبوا بحجة ثم فتحت عليهم وأما من قرأ يصدون بالضم فن الصدود أي من أجل هذا المثل  
يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وأنهما لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائر لهما

(قوله لما به من الرتبة) بالضم العجمة في الكلام كذا في الصحاح (قوله وكانت الأنبياء كلهم أئمة) في الصحاح بان  
الشيء بياناً أتضح فهو بين وجميع أئمة مثل هين وأهيناء (قوله قرنته فاقترن به) لعله قرنته به فاقترن (قوله امتعضوا من  
ذلك) غضبوا منه وشق عليهم كذا في الصحاح (قوله ترتفع لهم جلبه وضحج) أي صياح وكذا اللجب أفاده الصحاح

سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ۝ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ ۝ وَقَالُوا آءِآهْتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ۝ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ

(وقالوا آهتنا خير أم هو) يعنون أن آهتنا عندك ليست بخير من عيسى وإذا كان عيسى من حسب النار كان أمر آهتنا هينا (ما ضربوه) أي ما ضربوا هذا المثل (لك إلا جدلا) إلا لأجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب الميزين الحق والباطل (بل هم قوم خصمون) لشداد الخصومة دأبهم اللجاج كقوله تعالى قوما لداوذلك أن قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله ما أريد به إلا الأصنام وكذلك قوله عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم إنما قصد به الأصنام ومحال أن يقصد به الأنبياء والملائكة إلا أن ابن الزبيري بحبه وخداعه وخبث دخلته لما رأى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بأن المراد أصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه إلى الشمول والإحاطة بكل معبود غير الله على طريقة المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقع في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب عنه به إن الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على أن الآية خاصة في الأصنام على أن الظاهر قوله وما تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله آهتنا خير أم هو على هذا القول تفضيل لآلهتهم على عيسى لأن المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك إلا جدلا معناه وما قالوا هذا القول يعني آهتنا خير أم هو إلا للجدال ۝ وقرئ آهتنا خير بإثبات همزة الاستفهام وبإسقاطها لدلالة أم العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود خير أم هذا ويجوز أن يكون جدلا حالا أي جدلين وقيل لما نزلت إن مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا إلا أن نعبده وأنه يستأهل أن يعبد وإن كان بشرا كما عبت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في أم هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية به والاستهزاء ۝ ويجوز أن يقولوا لما أنكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فإن النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن أشف منهم قولا وفعلنا فإننا نسبنا إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسى فقيل لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم مما أنتم عليه بما أوردتموه إلا قياس باطل بباطل وما عيسى (إلا عبد) كسائر العبيد (أنعمنا عليه) حيث جعلناه آية بأن خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني إسرائيل (ولو نشاء) لقدرتنا على عجائب الأمور وبدائع الفطر (لجعلنا منكم) لولدنا منكم يارجال (ملائكة) يخلفونكم في الأرض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد إلا من أجسام وذات القديم متعالية عن ذلك (وإنه) وإن عيسى عليه السلام (لعلم للساعة) أي شرط من أشراتها تعلم به فسمى الشرط علما لحصول العلم به وقرأ ابن عباس لعلم وهو العلامة وقرئ للعلم وقرأ أبي لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كما سمي ما يعلم به علما وفي الحديث أن عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل على نبيه بالأرض المقدسة يقال لها أفيق وعليه مصرتان وشعر رأسه دهين ويده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والإمام يؤتم بهم فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به وعن الحسن أن الضمير للقرآن

(قوله وخبث دخلته) بالضم باطن أمره أفاده الصحاح (قوله على طريقة المحك والجدال) أي اللجاج كما في الصحاح

(قوله ونحن أشف منهم) أي أرق أفاده الصحاح

مستقيم ۝ ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين ۝ ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة  
ولا بين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ۝ إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط  
مستقيم ۝ فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم ۝ هل ينظرون إلا الساعة أن  
تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ۝ الإخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ۝ يعباد لا خوف عليكم اليوم  
ولا أنتم تحزنون ۝ الذين آمنوا بتأييدنا وكانوا مسلمين ۝ أدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ۝ يطاف  
عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهي النفس وتلد الأعين وأنتم فيها خالدون ۝ وتلك الجنة  
التي أورثتموها بما كنتم تعملون ۝ لكم فيها فكهة كثيرة منها تأكلون ۝ إن المجرمين في عذاب جهنم

وأن القرآن به علم الساعة لأن فيه الإعلان بها (فلا تتمرن بها) من المرية وهي الشك (واتبعون) واتبعوا هداى وشرعى  
أورسولى وقيل هذا أمر لرسول الله أن يقوله (هذا صراط مستقيم) أى هذا الذى أدعوكم إليه أو هذا القرآن إن جعل الضمير  
فى وإنه للقرآن (عدو مبين) قدأبانت عداوته لكم إذ أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (بالبينات) المعجزات  
أو آيات الإنجيل والشرائع البينات الواضحات (بالحكمة) يعنى الإنجيل والشرائع ۝ (فإن قلت) هلا بين لهم كل الذى  
يختلفون فيه ولكن بعضه (قلت) كانوا يختلفون فى الديانات وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا  
بمعرفة والسؤال عنه وإنما بعث ليعين لهم ما اختلفوا فيه مما يعينهم من أمر دينهم (الأحزاب) الفرق المتحزبة بعد  
عيسى وقيل اليهود والصارى (فويل للذين ظلموا) وعيد الأحزاب ۝ (فإن قلت) من بينهم إلى من يرجع الضمير فيه  
(قلت) إلى الذين خاطبهم عيسى فى قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث إليهم (أن تأتيهم) بدل من الساعة والمعنى  
هل ينظرون إلا إتيان الساعة ۝ (فإن قلت) أما ادى قوله (بغتة) مؤدى قوله (وهم لا يشعرون) فيستغنى عنه (قلت)  
لا لأن معنى قوله تعالى وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم كقوله تعالى تأخذهم وهم يخضعون ويجوز  
أن تأتيهم بغتة وهم فظنون (يومئذ) منصوب بعدو أى تنقطع فى ذلك اليوم كل خلة بين المتخالفين فى غير ذات الله  
وتنقلب عداوة ومقتاً لإخلة المتصادقين فى الله فإنها الخلة الباقية المزدادة قوة إذا رأوا ثواب النحاب فى الله تعالى  
والتباغض فى الله وقيل (إلا المتقين) إلا المجتنبين أخلاء السوء وقيل نزلت فى أبى بن خلف وعقبة ابن أبى معيط  
(يا عبادى) حكاية لما ينادى به المقنون المتحابون فى الله يومئذ ۝ (والذين آمنوا) منصوب المحل صفة لعبادى لأنه  
منادى مضاف أى الذين صدقوا (بآياتنا وكانوا مسلمين) مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا وقيل إذا  
بعث الله الناس فزع كل أحد فينادى منادى يعبادى فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين آمنوا فيياس الناس منها غير  
المسلمين ۝ وقرئ يعباد (تحبرون) تسرون سروراً يظهر حباره أى أثره على وجوهكم كقوله تعالى تعرف فى وجوههم  
نضرة النعيم وقال الزجاج تكرمون إكراماً يبالغ فيه والخبرة المبالغة فيما وصف بجميل ۝ والسكر الكوز لاعروة له  
(وفىها) الضمير للجنة ۝ وقرئ تشهى وتشتهى وهذا حصر لأنواع النعم لأنها إما مشتة فى القلوب وإما مستلذة فى العيون  
(وتلك) إشارة إلى الجنة المذكورة وهى مبتدأ و (الجنة) خبر و (التي أورثتموها) صفة الجنة أو الجنة صفة للبتدأ

(قوله قد بانت عداوته لكم) فى الصحاح بان الشيء بياناً التضح فهو بين كذلك أبان فهو مبين



خَلْدُونَ ۝ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُلْسُونَ ۝ وَمَا ظَلَمْنَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ  
 عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْشُوتُونَ ۝ لَقَدْ جِئْتُمْكُمْ بِالْحَقِّ وَلَٰكِن أَكْثَرُكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ۝ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَاِنَّا  
 مَبْرَمُونَ ۝ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سُرْعَمَ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا  
 أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ۝ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ فَذَرْنَهُمْ يَخِرَّضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ

الذي هو اسم الإشارة والتي أورثتموها خبر المبتدأ أو التي أورثتموها صفة و (بما كنتم تعملون) الخبر والباء تتعلق  
 بمحذوف كما في الظروف التي تقع أخبار أو في الوجه الأول تتعلق بأورثتموها وشبهت في بقائها على أهلها بالميراث  
 الباقي على الورثة و قرئ ورثتموها ( منها تأكلون ) من للتبعية أي لانا تكون إلا بعضها وأعقابها باقية في شجرها  
 فهي مزينة بالثمار أبدا مورقة بها لانرى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل  
 في الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاها ( لا يفتر عنهم ) لا يخفف ولا ينقص من قرلهم فترت عنه الحى إذا سكنت عنه  
 قليلا ونقص حرها و الملبس اليأس الساكت سكوت يأس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار  
 ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى (هم) فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين و قرئ وهم فيها أى في النار  
 وقرأ على وابن مسعود رضى الله عنهما يامال يحذف الكاف للترخيم كقول القائل ۝ والحق يامال غير ما تصف ۝  
 وقيل لابن عباس إن ابن مسعود قرأ ونادوا يامال فقال ما شغل أهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم  
 أنهم يقطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقرأ أبو السرار الغنوى يامال بالرفع كما يقال يا حار (ليقض علينا  
 ربك) من قضى عليه إذا أماته فوكره موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضى علينا (فإن قلت) كيف قال ونادوا يامالك بعد  
 ما وضعتهم بالإبلاس (قلت) تلك أزمنة منظارلة وأحقاب ممتدة فتختلف بهم الأحوال فيسكنون أو قاتنا الغلبة اليأس عليهم و علمهم أنه  
 لا فرج لهم ويغوثون أو قاتنا أشد ما بهم (ما كثون) لا يثون وفيه استهزاء والمراد خالدون عن ابن عباس رضى الله عنهما إنما يجيبهم  
 بعد ألف سنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا ما الكافيدعون  
 يامالك ليقض علينا ربك (لقد جئناكم بالحق) كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جئناكم ويجب أن يكون في قال  
 ضمير الله عز وجل لما سألوا مالكا ان يسأل الله تعالى القضاء عليهم أجابهم الله بذلك (كارهون) لا تقبلونه وتنفرون  
 منه وتشمئزون منه لأن مع الباطل الدعة ومع الحق النعب (أم) أبرم مشركو مكة (أمرا) من كيدهم ومكرهم برسول  
 الله صلى الله عليه وسلم (فإننا مبرمون) كيدنا كما أبرموا كيدهم كقوله تعالى أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون  
 وكانوا يتنادون فينادون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (فإن قلت) ما المراد بالسر والنجوى (قلت) السر ما حدث  
 به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم (بلى) نسمعهما ونطلع عليهما (ورسلنا) يريد  
 الحفظه عندهم (يكتبون) ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازى من ستر من الناس ذنوبه وأبداها للذى لا يخفى عليه شيء  
 في السموات فقد جعله أهون الناظرين إليه وهو من علامات النفاق (قل إن كان للرحمن ولد) وصح ذلك وثبت ببرهان  
 صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها (فأنا أول) من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل

۝ قوله تعالى قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (قال فيه معناه إن صح وثبت برهان قاطع فأنا أول من يعظم

(قوله من ثمرها إلا نبت مكانها) في الخازن ورد في الحديث أنه لا ينزع أحد في الجنة من ثمرها ثمرة إلا نبت مكانها مثلاها (قوله  
 وقرئ وهم فيها أى في النار) لعل تأخير الكلام على هذه القراءة عن الكلام على الضمير السابق من تصرف الناسخ لأنه مخالف لترتيب  
 التلاوة (قوله كما يقال يا حار) في نداه حارث (قوله ويغوثون) في الصحاح غرث الرجل قال واغرثاه

يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۝ وَتَبَارَكَ

ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والإطراب فيه وأن لا يترك الناطق به شبهة الإلهية مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك أنه عاقب العبادة بكنيونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالاً مثلها فهو في صورة إثبات الكنيونة والعبادة وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها ونظيره أن يقول العدلي للمجبر إن كان الله تعالى خالقاً للكفر في القلوب ومعذبا عليه عذاباً سرمداً فأنا أول من يقول هو شيطان وليس بإله فعنى هذا الكلام وما وضع له أسلوبه ونظمه نفي أن يكون الله تعالى خالقاً للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذهاب إليه والشهادة القاطعة بإحاطته والإفصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار والاشتمزاز من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للحجاج حين قال له أما والله لأبدلك بالدينار ناراً تظلي لو عرفت أن ذلك إليك ما عبت لها غيرك وقد تحمل الناس بما أخرجوه به من هذا الأسلوب الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل بإثبات التوحيد على أبلغ وجوهه فقل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم بإضافة الولد إليه وقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد ۝ وقرأ بعضهم العبدن وقيل هي إن النافية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووجد وروى أن النضر بن عبد الدار بن قصي قال إن الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر الأترون أنه قد صدقتي فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقتك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولده وقرئ ولد بضم الواو ۝ ثم نزه ذاته موصوفة بربوبية السموات والأرض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على أنه من صفة الأجسام ولو كان جسماً لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير أمره (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم) وهذا دليل على أن ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب وإعلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وإن ركب في دعوتهم كل صعب وذلول وخذلان لهم وتخية

ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانتقياد له إلى آخره) قال أحمد لقد اجترأ عظيمًا واقتحم مهلكة في تمثيله ذلك بقول من سماه عدلياً إن كان الله خالقاً للكفر في القلوب ومعذبا عليه فأنا أول القائلين إنه شيطان وليس بإله فلينقم عليه ذلك بقول القائل قد ثبت قطعاً عقلاً وشرعاً أنه تعالى خالق لذلك في القلوب كما خالق الإيمان وفاء بمقتضى دليل العقل الدال على أن لا خالق إلا الله وتصديقاً بمضمون قوله تعالى هل من خالق غير الله وقوله الله خالق كل شيء وإذا ثبتت هذه المقدمة عقلاً ونقلًا لزمه فرك أذنه وغل عنقه إذ يلحد في الله إلحاداً لم يسبقه إليه أحد من عباده الكفرة ولا تجرأ عليه مارد من مردة الفجرة ومن خالف في كفر القدريه فقد وافق على كفر من تجرأ فقال هذه المقالة واقتحم هذه الضلالة بلا محالة فإنه قد صرح بكلمة الكفر على أقبح وجوهها وأشنع أنحاءها والله المستول أن يعصمنا وهو حسبنا ونعم الوكيل ۝ قوله تعالى وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله (قال فيه ضمن اسمه عز وجل معنى وصف فعلق به الظرف وهو قوله في السماء الخ) قال أحمد ومما سهل حذف الراجع مضافاً إلى الطول الذي ذكره وقوع الموصول خبراً عن مضمحل لو ظهر الراجع لكان كالتكرار المستكره إذ كان أصل الكلام وهو الذي هو في السماء إله ولا ينكر أن الكلام مع المحذوف الراجع أخف وأسهل وأن الراجع إنما حذف على قلة حذف مثله لأمراً كما قد فإنه لم يرد في الكتاب العزيز إلا في قوله تماماً على الذي أحسن ومع أي في موضعين على رأي ۝ عاد كلامه قال وتحتل الآية أن يكون في السماء صلة الذي على تأويل الإلهية الخ

(قوله ونظيره أن يقول العدلي للمجبر) يريد أحد المعتزلة لأحد أهل السنة وفي هذا التنظير من سوء الأدب في حقه تعالى ما لا يخفى (قوله قال له أما والله) في الصحاح أما مخفف تحقيق للكلام الذي يتلوهاه ولعل حذف الألف لغة فليحور

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ  
مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝  
وَقِيلَهُ يَا رَبِّ إِنَّا هَذَا قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝

### سورة الدخان مكية

وآياتها ٥٩ نزلت بعد الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ حَمَّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ

بينهم وبين الشيطان كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وإبعاد بالشقاء في العاقبة ضمن اسمه تعالى معنى وصف المذالك  
علق به الظرف في قوله في السماء وفي الأرض كما تقول هو حاتم في طى حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي  
شهر به كأنك قلت هو جواد في طى جواد في تغلب ۝ وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله ومثله قوله تعالى  
وهو الله في السموات وفي الأرض كأنه ضمن معنى المعبود أو المالك أو نحو ذلك والراجع إلى الموصول محذوف  
لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذي قائل لك شيئاً وزاده طولاً أن المعطوف داخل في حيز الصلة ويحتمل أن يكون في  
السماء صلة الذي وإله خبر مبتداً محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه في السماء على سبيل الإلهية والربوبية لأعلى  
معنى الاستقرار وفيه نفي الآلهة التي كانت تعبد في الأرض (ترجعون) قرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة  
وقرئ تحشرون بالتاء ۝ ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ولكن من  
(شهد بالحق) وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وإيقان وإخلاص هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء  
منقطع ويجوز أن يكون متصلاً لأن في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة ۝ وقرئ تدعون بالتاء وتدعون  
بالتاء وتشديد الدال (وقيله) قرئ بالحركات الثلاث وذكر في النصب عن الأخفش أنه حملة على أم يحسبون أنا لا نسمع  
سهم ونجواهم وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب زيد وغمراً وحمل الجز  
على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده  
علم الساعة وعلم قيله والذي قالوه ليس بقوى في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضاً مع  
تنافر النظم وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجز والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم آمين الله  
وأمانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله (إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) جواب القسم كأنه قيل وأقسم بقيله يارب أو  
وقيله يارب قسمي إن هؤلاء قوم لا يؤمنون (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم بانسأ عن إيمانهم وودعهم وتاركهم  
(وقل) لهم (سلام) أي تسلم منكم ومباركة (فسوف يعلمون) وعيد من الله لهم وتسلياً لرسوله صلى الله عليه وسلم والضمير في وقيله  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه إليه: عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ  
سورة الزخرف كان بمن يقال له يوم القيامة يا عبدي لا خوف عليكم اليوم ولا أتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

﴿سورة الدخان مكية الا قوله إنا كاشفو العذاب قليلاً الآية﴾

﴿وهي سبع وخمسون آية وقيل تسع وخمسون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ۝ الواو في (والكتاب) واو القسم إن جعلت حم تعديداً للحروف أو اسماً للسورة  
مرفوعاً على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف إن كانت حم مقسماً بها وقوله (إنا أنزلناه) جواب القسم ۝ والكتاب

كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ

المبين القرآن ۝ والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصلوة وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصلوة أن البندار إذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل هي مخصصة بخمس خصال تفريق كل أمر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله إليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكاييد الشيطان ونزول الرحمة قال عليه الصلاة والسلام إن الله يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب وحصول المغفرة قال عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى يعفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا لكاهن أو ساحر أو مشاحن أو مدمن خمر أو عاق للوالدين أو مصر على الزنا وما أعطى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمام الشفاعة وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع إلا من شرد عن الله شراد البعير ومن عادة الله في هذه الليلة أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الأكثر أن المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى «إنا أنزلناه في ليلة القدر» ولما بقية قوله «فيها يفرق كل أمر حكيم» لقوله «تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر» وقوله تعالى «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن» وليلة القدر في أكثر الأقاليم في شهر رمضان (فإن قلت) مامعنى إنزال القرآن في هذه الليلة (قلت) قالوا أنزل جملة واحدة من السماء السابعة إلى السماء الدنيا وأمر السفارة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما ۝ (فإن قلت) (إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم) ماموقع هاتين الجملتين (قلت) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسرهما جواب القسم الذي هو قوله تعالى «إنا أنزلناه في ليلة مباركة» كأنه قيل أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصا لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم ۝ والمباركة الكثيرة الخير لما يتبع الله فيها من الأمور التي تتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكانت به بركة ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم منها إلى الأخرى القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل ونسخة الحروب إلى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسوف ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات أعماله فبأق على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقرئ تفرق بالتشديد وبفرق كل على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه تفرق بالنون كل أمر حكيم كل شأن ذي حكمة أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الإسناد المجازي لأن الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة ووصف الأمر به مجاز (أمرنا من عندنا) نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا فخما بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بأن قال أعني هذا الأمر أمرنا حاصلنا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز أن يراد به الأمر الذي هو ضد الهوى ثم إيمان يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لأن معنى الأمر والفرقان واحد من حيث أنه إذا حكم بالشئ وكتبه فقد أمر به وأوجبه أو يكون حالا من أحد الضميرين في أنزلناه إما من ضمير الماعل أي أنزلناه أمرين أمرا أو من ضمير المفعول

(قوله يرحم أمتي في هذه الليلة) لعله من أمتي (قوله ملفوفتان) لعله من اللف والنشر المقرر في البيان وبيانه ما بعده

(قوله لما يتبع الله فيها) أي يقدر

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا

أى أنزلناه في حال كونه أمراً من عندنا بما يجب أن يفعل (فإن قلت) (إنا كنا مرسلين رحمة من ربك) بهم يتعلق (قلت) يجوز أن يكون بدلاً من قوله إنا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولاً له على معنى إنا أنزلنا القرآن لأن من شأننا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم وأن يكون تعليلاً ليقرب أو لقوله أمراً من عندنا ورحمة مفعولاً به وقد وصف الرحمة بالإرسال كما وصفها في قوله تعالى «وما يمسك فلا يرسل له من بعده» أى يفصل في هذه الليلة كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لأن من عادتنا أن نرسل رحمتنا وفصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك الأوامر الصادرة من جهته عز وعلا لأن الغرض في تكليف العباد تعريضهم للنفاع والأصل إنا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير إيداناً بأن الربوبية تقتضى الرحمة على المربوبين وفي قراءة زيد ابن على أمر من عندنا على هو أمر وهى تنصر انتصابه على الاختصاص وقرأ الحسن رحمة من ربك على تلك الرحمة وهى تنصر انتصابها بأنها مفعول له (إنه هو السميع العليم) وما بعده تحقيق لربوبيته وأنها لا تحقق إلا لمن هذه أوصافه وقرئ رب السموات ربكم ورب آبائكم بالجر بدلاً من ربك (فإن قلت) ما معنى الشرط الذى هو قوله (إن كنتم موقنين) (قلت) كانوا يقرون بأن للسموات والأرض ربا وخالقاً فقبل لهم إن إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة من الرب ثم قبل إن هذا الرب هو السميع العليم الذى أتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السموات والأرض وما بينهما إن كان إقراركم عن علم وإيقان كما تقول إن هذا إنعام زيد الذى تسامع الناس بكرمه واشتهروا سخاؤه إن بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم ردوا أن يكونوا موقنين بقوله (بل هم في شك يلعبون) وأن إقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جِدِّ وحقيقة بل قول مخلوط بهزؤ ولعب (يوم تأتى السماء) مفعول به مرتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرتة وانتظرته ۝ واختلف في الدخان فعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وبه أخذ الحسن أنه دخان يأتى من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد منهم كالرأس الحنيد ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكبرن الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلا المحشر قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخرية وأذنيه ودبره وعن ابن مسعود رضى الله عنه خمس قدمضت الروم والدخان والقمر والبطشة والالزام ويروى أنه قيل لابن مسعود إن قاصاً عند أبواب كندة يقول إنه دخان يأتى يوم القيامة فيأخذ بأنفاس الخلق فقال من علم علماً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من علم الرجل أن يقول لشيء لا يعلمه الله أعلم ثم قال ألا وسأحدثكم أن قريشاً لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فشئى إليه أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم واعدوه إن دعاهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا إلى شركهم (بدخان مبين) ظاهر حاله لا يشك أحد في أنه دخان (يغشى الناس) يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة

(قوله كالرأس الحنيد) أى المشوى كما في الصحاح (قوله ليس فيه خصاص) أى فرج أفاده الصحاح

(قوله أبين) فى الصحاح أبين اسم رجل نسب إليه عدن (قوله حتى أكلوا الجيف والعلهز) فى الصحاح العلهز بالكسر

طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير فى زمن المجاعة (قوله وكان يحدث الرجل فيسمع) لعله يحدث الرجل الرجل

ويمكن أن يجعل الفاعل ضميراً يعود على الرجل السابق

الْعَذَابِ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ۝ إِنَّا  
كَاشَفْنَا قَلِيلًا لَّكُمْ عَمَّا تَدُّونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ  
فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝ أَنْ أَدْوَأْ إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي  
ءَاتِيكُمْ بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ۝ وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجَمُونَ ۝ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاَعْتٰزِلُونَ ۝ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ

لدخان و (هذا عذاب) إلى قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال أي قائلين ذلك (إنا مؤمنون) موعدة بالإيمان إن كشف عنهم العذاب (أنى لهم الذكرى) كيف يذكرون ويتعظون ويفنون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم) ما هو أعظم وأدخل في وجرب الازكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بأن عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه إلى الجنون ثم قال (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون) أي ربنا نكشف عنكم العذاب تعودون إلى شرككم لا تلبثون غيب الكشف على ما أنتم عليه من التضرع والابتهاج (فإن قلت) كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيامة قوله إنا كاشفوا العذاب قليلا (قلت) إذا أتت السماء بالدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغرثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد أربعين يوما فربما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون ثم قال (يوم نبطش البطشة الكبرى) يريد يوم القيامة كقوله تعالى فإذا جاءت الطامة الكبرى (إنا منتقمون) أي ننقم منهم في ذلك اليوم (فإن قلت) بم انتصب يوم نبطش (قلت) بما دل عليه إنا منتقمون وهو ننقم ولا يصح أن ينتصب بمننقمون لأن إن تحجب عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن نبطش بضم النون كأنه يحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى أو يجول البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر وقرئ ولقد فتنا بالتشديد لأننا كيد أولوقوعه على القوم ومعنى الفتنة أنه أمهلهم ووسع عليهم في الرزق فكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم الآثام أو ابتلاهم بإرسال موسى إليهم ليؤمنوا فاخاروا الكفر على الإيمان أو سلهم ملكهم وأغرقتهم (كريم) على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم في نفسه لأن الله لم يبعث نبيا إلا من سراً قومه وكرامهم (ان أدوا إلى) هي أن المفسرة لأن مجيء الرسول من بعث إليهم متضمن لمعنى القول لا يجيهم إلا مبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله أو المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بأن الشأن والحديث أدوا إلى (وعباد الله) مفعول به وهم بنو إسرائيل يقول أدوهم إلى وأرسلوهم معى كقوله تعالى أرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم ويجوز أن يكون نداء لهم على أدوا إلى يا عباد الله ما هو واجب عليكم من الإيمان لي وقبول دعوتي وانباع سبيلي وعلل ذلك بأنه (رسول أمين) غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته (وأن لا تعلوا) أن هذه مثل الأولى في وجهها أي لا تستكبروا (على الله) بالاستهانة برسوله ووحيه أو لا تستكبروا على نبي الله (بسلطان مبين) بحجة واضحة (أن ترجون) أن تقتلون وقرئ عت بالإدغام ومعناه أنه عائد بربه متكل على أنه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل (فاعتزلون) يريد إن لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمنوا ففتحوا عنى واقطعوا أسباب الوصله عنى أي نخلوني كفا فالإلى ولاعلى ولا تعترضوا لي بشركم وأذاكم فليس جزاء من دعاكم إلى ما فيه فلاحكم ذلك (أن هؤلاء) بأن هؤلاء أي دعاؤه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه

(قوله تضور المعذبون به) النضور الصياح والتلوى عند الألم أفاده الصحاح (قوله وتولوا عنه وبهتوه) رموه بما ليس فيه والتعمير واث قولها واغوثاه كافي الصحاح أيضا

هـ. وُلَّا قَوْمَ مَجْرُمُونَ هـ فَاسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ هـ وَاتْرِكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مَغْرُقُونَ هـ كَمْ تَرَكُوا  
 مِنْ جَنَّةٍ وَعُيُونٍ هـ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ هـ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَسْكِهِينَ هـ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ هـ  
 فَسَابَكْتَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ هـ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ هـ مِنْ  
 فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ هـ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ هـ وَعَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ

بإجراءهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وإنما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجب به الهلاك وهو  
 كونهم مجرمين وقرئ إن هؤلاء بالسكسر على إضمار القول أى فدعا ربه فقال إن هؤلاء (أسر) قرئى بقطع المحذرة من  
 أسرى ووضاها من سرى وفيه وجهان إضمار القول بعد الفاء فقال أسر بعبادى وأن يكون جواب شرط محذوف كأنه  
 قيل قال إن كان الأمر كما تقول فأسر (بعبادى) يعنى فأسر بنى إسرائيل فقد دبر الله أن تنقذوا ويتبعكم فرعون وجنوده  
 فينجى المتقدمين ويغرق التابعين وهو فيه وجهان أحدهما أنه الساكن قال الأعشى

يمشون رهو أفلا الأعجاز خاذلة هـ ولا الصدور على الأعجاز تتكل

أى مشياً ساكناً على هيئة أراد موسى لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق كماضربه فانفلق فأمر بأى يتركه ساكناً  
 على هيئة قاراً على حاله من انصباب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئاً ليدخله القبط فإذا حصلوا  
 فيه أطبقه الله عليهم واثانى أن الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب أنه رأى جملاً فالجأ فقال سبحان الله وهو بين  
 سنامين أى اتركه مفتوحاً على حاله منفرجاً (إنهم جند مغرقون) وقرئى بالفتح بمعنى لأنهم هـ والمقام الكريم ما كان لهم  
 من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المابر هـ والنعمة بالفتح من النعم وبالسكسر من الإلغام هـ وقرئى فأكبر وفكهن  
 (كذلك) الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها (وأورثناها) أو فى موضع الرفع على الأمر  
 كذلك (قوما آخرين) ليسوا منهم فى شىء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو إسرائيل كانوا متخزين مستعبدين فى  
 أيديهم فأهلكهم الله على أيديهم وأورثهم ملكهم وديارهم هـ إذا مات رجل خطير قالت العرب فى تعظيمه هلاكه بكى  
 عليه السماء والأرض وبكته الريح وأظلمت له الشمس وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن مات  
 فى غربة غابت فيها بواكيه إلا بكى عليه السماء والأرض وقال جرير هـ تبكى عليك نجوم الليل والقمر هـ وقالت الخارجية  
 أياشجر الخابور مالك مورقا هـ كأنك لم تجزع على ابن طريف

وذلك على سبيل التمثيل والخييل مبالغة فى وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضى الله  
 عنهما من بكاء مصلى المؤمن وآثاره فى الأرض ومصاعد عمله ومهابط رزقه فى السماء تمثيل ونفى ذلك عنهم فى  
 قوله تعالى (فما بكى عليهم السماء والأرض) فيه تهكم بهم وبخالهم المنافية لحال من يعظم فقدمه فى بكى عليه  
 السماء والأرض وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا يهلاكمهم مسرورين يعنى فما بكى عليهم  
 أهل السماء وأهل الأرض (وما كانوا منظرين) لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا إلى وقت آخر ولم يمهلوا إلى الآخرة  
 بل عجل لهم فى الدنيا (من فرعون) بدل من العذاب المهين كأنه فى نفسه كان عذاباً مهيناً لإفراطه فى تعذيبهم وإهانتهم  
 ويجوز أن يكون المعنى من العذاب المهين واقعاً من جهة فرعون وقرئى من عذاب المهين ووجهه أن يكون تقدير  
 قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون وفى قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب  
 فرعون بالشدّة والفظاعة قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو فى عتوه وشيظنته ثم عرف حاله فى ذلك

(قوله أنه رأى جملاً فالجأ) فى الصحاح الفالج الضخم ذو السنامين

مبين ۞ إن هؤلاء ليقولون ۞ إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمبشرين ۞ فاتوا ببأبائنا إن كنتم صدقين

بقوله (إنه كان عالياً من المسرفين) أى كبيراً رفيع الطبقة ومن بينهم فائفاً لهم بليغاً فى إسرافه أو عالياً متكبراً كقوله تعالى إن فرعون علا فى الأرض ومن المسرفين خبر ثان كأنه قيل إنه كان متكبراً مسرفاً الضمير فى (اخترناهم) لبنى إسرائيل و (على علم) فى موضع الحال أى عالين بمكان الخيرة وبأنهم أحقاء بأن يختاروا ويجوز أن يكون المعنى مع علم مناباتهم يزغون ويفرط منهم الفرط فى بعض الأحوال (على العالمين) على عالمي زمانهم وقيل على الناس جميعاً لكثرة الأنبياء منهم (من الآيات) من تحوفاق البحر و أظليل الغمام وإنزال المان والسوى وغير ذلك من الآيات العظام التى لم يظهر الله فى غيرهم مثلها (بلاء مبين) نعمة ظاهرة لأن الله تعالى يبلوا بالنعمة كما يبلو بالمصيبة أو اختبار ظاهر للنظر كيف تعملون كقوله تعالى «وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم» (هؤلاء) إشارة إلى كفار قريش (فإن قلت) كان الكلام واقعا فى الحياة الثانية لافى الموت فهلا قيل إن هي إلا حياتنا الأولى وما نحن بمبشرين كما قيل إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله (إن هي إلا موتتنا الأولى) وما معنى ذكر الأولى كأنهم وعدوا مودة أخرى حتى نفوها وجحدوها وأثبتوا الأولى (قلت) معناه والله الموفق للصواب أنه قيل لهم أنكم تموتون مودة تتبعها حياة كما تقدمتكم مودة قد تعقبها حياة وذلك قوله عز وجل «وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم» فقالوا إن هي إلا موتتنا الأولى يريدون ما المرته التى من شأنها أن يتعقبها حياة إلا المودة الأولى دون المودة الثانية وما هذه الصفة التى تصفون بها مودة من تعقب الحياة لها إلا المودة الأولى خاصة فلا فرق إذاً بين هذا وبين قوله إن هي إلا حياتنا الدنيا فى المعنى ۞ يقال أنشأ الله الموتى ونشرهم إذ أبعثهم (فاتوا بأبائنا) خطاب للذين كانوا يبعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أى إن صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا إحياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلاً على أن ماتعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون اليهم أن يدعوا الله فينشر لهم قصى ابن كلاب ليشاوروه فإنه كان كبيرهم ومشاورهم فى النوازل ومعظم الشؤون ۞ هو تبع الحميرى كان مؤمناً وقومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وهو الذى سار بالجوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان إذا كتب قال بسم الله الذى ملك بزا وبحراً وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدرى أكان تبع نبياً أو غير نبى وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان نبياً وقيل نظر إلى قبرين بناحية حمير قال هذا قبر رضوى وقبر حبي بنت تبع لا تشركان بالله شيئاً وقيل هو الذى كسا البيت وقيل للملوك اليمن التبابعة لأنهم يتبعون كما قيل الأقبال لأنهم يتقبلون وسمى الظل

### (القول فى سورة الدخان)

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى وإن هؤلاء ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى (قال فيه فإن قلت) كان الكلام معهم واقعا فى الحياة الثانية لافى الموت الخ) قال أحمد وأظهر من ذلك أنهم لما وعدوا بعد الحياة الدنيا حالين آخرين الأولى منهما الموت والأخرى حياة البعث أثبتوا الحالة الأولى وهى الموت ونفوا ما بعدها وسموها أولى مع أنهم اعتقدوا أن لاشئ بعدها لأنهم نزلوا جحدهم على الإثبات فجعلوها أولى على ما ذكرت لهم وهذا أولى من حمل المودة الأولى على السابقة على الحياة الدنيا لوجهين أحدهما أن الاقتصار عليها لا يعتقدونه لأنهم يشبتون الموت الذى يعقب حياة الدنيا وحمل الحصر المباشر للموت فى كلامهم على صفة تذكر لافى نفس الموت المشاهد لهم فيه عدول عن الظاهر بلا حاجة الثانى أن الموت السابق على الحياة الدنيا لا يعبر عنه بالمودة فإن المودة فعلة فيها إشعار بالتجدد والطريان والموت السابق على الحياة الدنيا أمر مستصحب لم تتقدمه حياة طراً عليها هذا مع أن فى بقية السورة قوله تعالى «لا يذوقون فيها الموت إلا المودة الأولى» وإنما عنى بالمودة الأولى ها الموت المنعقب للحياة الدنيا فقط ففيه إرشاد لما ذكرته والله أعلم

(قوله واقعا فى الحياة الثانية) أى التى يسكرونها (قوله لأنهم يتقبلون) فى الصحاح تقبل شرب نصف النهار وتقبل فلان أباه تبعه



أَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تَبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۝ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ۝ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَئِنْ أَكْثَرْتُمْ لَيَعْلَدُونَ ۝ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ يَوْمَ  
لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ  
طَعَامٌ لِلْأَيْمِ ۝ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝ كَغَلِيِّ اللَّيْمِ ۝ خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝ ثُمَّ صَبَوْا فَوْقَ رَأْسِهِ

تبعاً لأنه يتبع الشمس (فإن قلت) ما معنى قوله تعالى (أهم خير) ولا خير في الفريقين (قلت) معناه أهم خير في التقوى والمنعة كقوله تعالى  
أ كفاركم خير من أولئكم بعد ذكر آل فرعون وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنهما أهم أشد أم قوم تبع (وما بينهما) وما بين الجنسين  
وقرأ عبيد بن عمير وما بينهما وقرأ أميقاتهم بالنصب على أنه اسم إن ويوم الفصل خبرها أي إن ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل  
(لا يغني مولى) أي مولى كان من قرابة أو غيرها (عن مولى) عن أي مولى كان (شيئاً) من إغناء أي قليلاً منه (ولاهم ينصرون) الضمير  
للموالى لأنهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الإبهام والشياع كل مولى (إلا من رحم الله) في محل الرفع على البدل من الوارثين ينصرون  
أي لا يمنع من العذاب إلا من رحمه الله ويجوز أن ينتصب على الاستثناء (إنه هو العزيز) لا ينصر منه من عصاه (الرحيم) لمن أطاعه  
قرئ إن شجرت الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرهما وشيرة بالياء وروى أنه لما نزل ذلك خير نزل أم  
شجرة الزقوم قال ابن الزبيري إن أهل اليمن يدعون أكل الزبد والتمر التزقم فدعا أبو جهل بتمر وزبد فقال تزقوا فإن هذا هو الذي  
يخوفكم به محمد فنزل إن (شجرت الزقوم طعام الأئيم) وهو الفاجر الكثير الآثام وعن أبي الدرداء أنه كان يقرئ رجلاً فكان  
يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على أن إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها  
ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهي أن يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير أن يخرج منها شيئاً  
قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة لأن في كلام العرب خصوصاً في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة  
نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها وما كان أبو حنيفة رحمه الله  
يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر وروى علي بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبه  
في إنكار القراءة بالفارسية (كالمهل) قرئ يضم الميم وفتحها وهو دردى الزيت ويدل عليه قوله تعالى يوم تكون السماء  
كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك (تغلي)  
وقرئ بالناء للشجرة وبالياء للطعام و (الحميم) الماء الحار الذي انتهى غليانه ۝ يقال للزبانية (خذوه فاعتلوه) فخذوه  
بعنف وغلظة وهو أن يأخذ بتلييب الرجل فيجر إلى حبس أو قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي وقرئ بكسر الناء  
وضمها (إلى سواء الجحيم) إلى وسطها ومعظمها ۝ (فإن قلت) هلا قيل صبا فوق رأسه من الحميم كقوله تعالى يصب من  
فوق رؤسهم الحميم لأن الحميم هو المصوب لاعتدابه (قلت) إذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عدا به وشدته إلا أن  
صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله ۝ صبت عليه صروف الدهر من صيب ۝ وكقوله تعالى أفرغ علينا صبراً فقد ذكر  
العذاب معلقاً به الصب مستعاراً له ليكون أهول وأهيب ۝ يقال (ذق إنك أنت العزيز الكريم) على سبيل الهزؤ والنهكم

۝ قوله تعالى «إن شجرة الزقوم طعام الأئيم» الآية (قال فيه نقل أن أبا الدرداء أقرأها رجلاً فلم يقم النطق بالأئيم  
وجعل يقول طعام اليتيم الخ) قال أحمد لأدليل فيه لذلك وقول أبي الدرداء محمول على إيضاح المعنى ليكون وضوح المعنى  
عند المتعلم عوناً على أن يأتي بالقراءة كما أنزلت على هذا حمله القاضي أبو بكر في كتاب الانتصار وهو الوجه والله أعلم

(قوله وهو دردى الزيت) لعله ردى الزيت كعبارة النسفي (قوله وهو أن يؤخذ بتلييب الرجل) الذي في الصحاح لبيت الرجل  
تلييباً إذا جمعت ثيابه عند صدره ونحره في الخصومة ثم جررته اه ويجوز أنه أراد بتلييب الرجل ثيابه من عند صدره ونحره

مَنْ عَذَابِ الْحَرِيمِ ۝ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۝ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝  
 فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ۝ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا  
 بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمْنِينَ ۝ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهُم عَذَابَ الْحَرِيمِ ۝ فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ  
 هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ فَإِنَّمَا يَسْرُنَا بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ۝

بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وروى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبلها أعز ولا أكرم  
 مني فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلوا بي شيئا وقرئ إنك بمعنى لأنك وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه  
 قرأ به على المنبر (إن هذا) العذاب أول إن هذا الأمر هو (ما كنتم به تمترون) أي تشكون أو تمارون وتلاجون ۝ قرئ  
 في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العموم وبالضم وهو  
 موضع الإقامة أو الأمين من قولك أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لأن المكان  
 الخيف كأنما يخون صاحبه بما ياتي فيه من المكاره قيل السندس مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب  
 استبر (فإن قلت) كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي المبين لهظ أعجمي (قلت) إذا عرب خرج من أن يكون عجميا  
 لأن معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن مناجه وإجرائه على أوجه الإعراب (كذلك) الكاف  
 مرفوعة على الأمر كذلك أو منصوب على مثل ذلك أنبأهم (وزوجناهم) وقرأ عكرمة بحور عين، على الإضافة والمعنى  
 بالحور من العين لأن العين إما أن تكون حورا أو غير حور فهو لاء من الحور العين لامن شهلن مثلا وفي قراءة عبد الله  
 بعيس عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة وقرأ عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت وقرأ عبد الله لا يذوقون فيها طعم  
 الموت (فإن قلت) كيف استثنت الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنقذ ذوقه فيها (قلت) أريد أن  
 يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله إلا الموتة الأولى موضع ذلك لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل  
 فهو من باب التعليق بالمحال كأنه قيل إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل فإنهم يذوقونها وقرئ ووقام  
 بالتشديد (فضلا من ربك) عطاء من ربك وثوابا يعني كل ما أعطى المتقين من نعم الجنة والنجاة من النار وقرئ فضل  
 أي ذلك فضل (فإنما يسرناه بلسانك) فذلكم للسورة ومعناها ذكرهم بالكتاب المبين فإنما يسرناه أي سهلناه حيث  
 أنزلناه عربيا بلسانك بلغتك إرادة أن يفهمه قومك فيتذكروا (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (أنهم مرتقبون) ما يحل بك  
 متربصون بك الدوائر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك  
 وعنه عليه السلام من قرأ حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة أصبح مغفورا له

قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ، (قال إنما استثنت الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت  
 المنقذ ذوقه فيها الخ) قال أحمد هذا الذي ذكره مبنى على أن الموتة بدل على طريقة بني تميم المجوز فيها البدل من غير  
 الجنس وأما على طريقة الحجازيين فانتصبت الموتة استثناء منقطعا وسر اللغة التيمية بناء النفي المراد على وجه لا يبقى  
 للسامع مطمعا في الإثبات فيقولون ما فيها أحدا لاحمار على معنى إن كان الحمار من الأحدين ففيها أحدهم يلقون الثبوت  
 على أمر محال حتما بالنفي وعليه حمل الزمخشري قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله أي إن كان الله بمن  
 في السموات والأرض ففي السموات والأرض من يعلم الغيب فإذا نفر السامع من ثبوت الأول تعدت النفرة إلى ثبوت  
 الثاني فجزمت بالنفي والله أعلم

(قوله من الحور العين) لعله من حور العين

## سورة الجاثية مكية

إلا آية ١٤ فمدنية وآياتها ٣٧ نزلت بعد الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ حَم ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَأَخْتَلَفُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا  
أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ تِلْكَ  
آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ۝ وَيَلْ لَكُلِّ أَفَّاكَ أَيُّم ۝ يَسْمَعُ آيَاتِ

## ﴿سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية وقيل ست﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (حم) إن جعلتها اسماً مبتدأ مخبراً عنه: (تنزيل الكتاب) لم يكن بدمن حذف مضاف  
تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب و(من الله) صلة للتنزيل وإن جعلتها تعديداً للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف  
خبراً (إز في السموات والأرض) يجوز أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى إن في خلق السموات لقوله (وفي خلقكم)  
(فإن قلت) علام عطف (وما يبتث) أعلى الخلق المضاف أم على الضمير المضاف إليه (قلت) بل على المضاف لأن  
المضاف إليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا أن يقال مررت بك وزيد وهذا أبوك وعمرو وكذلك  
إن أكدوه كرهوا أن يقولوا مررت بك أنت وزيد وقرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك إن زيدا  
في الدار وعمرا في السوق أو وعمرو في السوق وأما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت أو  
رفعت فالعاملان إذا نصبت هما إن وفي أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف الليل والنهار والنصب في آيات  
وإذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف وقرأ ابن مسعون وفي اختلاف الليل  
والنهار (فإن قلت) العطف على عاملين على مذهب الأخفش شديد لا مقال فيه وقد أباه سيديويه فما وجه تخريج الآية  
عنده (قلت) فيه وجهان عنده أحدهما أن يكون على إضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين قبلها وبعضه قراءة  
ابن مسعود والثاني أن ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفاً على ما قبله على التكرير ورفعها بإضمار  
هي ۝ وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ آية وكذلك وما يبتث من دابة آية وقرئ وتصريف الرياح والمعنى  
إن المنصفين من العباد إذا نظروا في السموات والأرض النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع  
فآمنوا بالله وأقروا فإذا نظروا في خلق أنفسهم وتنقلها من حال إلى حال وهيئة إلى هيئة وفي خلق ما على ظهر الأرض  
من صنوف الحيوان ازدادوا إيماناً وأيقنوا وانتفى عنهم اللبس فإذا نظروا في سائر الحوادث التي تنجدد في كل وقت  
كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وحياة الأرض بها بعد موتها (وتصريف الرياح) جنوباً وشمالاً وقبولاً ودبيراً  
عقلوا واستحكم عليهم وخلص يقينهم وسمى المطر رزقاً لأنه سبب الرزق (تلك) إشارة إلى الآيات المتقدمة أي تلك  
الآيات آيات الله و(تتلوها) في محل الحال أي متلوة (عليك بالحق) والعامل ما دل عليه تلك من معنى الإشارة ونحوه  
هذا بعلى شيخاً وقرئ يتلوها بالياء (بعد الله وآياته) أي بعد آيات الله كقولهم أعجبتني زيد وكرمه يريدون أعجبتني كرم  
زيد ويجوز أن يراد بعد حديث الله وهو كتابه أو قرآنه كقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث ۝ وقرئ (يؤمنون)

(قوله وأما قوله آيات لقوم) أي مع قوله واختلاف وقوله عمات أي الواو

اللَّهُ تَتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يَصْرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ۝ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا  
أَوَّلًا لَكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ مَنْ وَرَّآهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ  
أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ ۝ اللَّهُ الَّذِي  
سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَتَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ  
وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

بالتاء والياء الأفاك الكذاب والاثيم المتبالغ في اقرار الآثام (بصر) يقبل على كفره ويقم عليه وأصله من إصرار  
الجمار على العانة وهو أن ينحى عليها صارا أذنيه (مستكبرا) عن الإيمان بالآيات والإذعان لما ينطق به من الحق مزدريالها معجبا بما  
عنده قيل نزلت في الضر بن الحرث وما كان يشتري من أحاديث الأعاجم ويشغل الناس بها عن استماع القرآن والآية عاقمة في كل  
ما كان مضارا لدين الله (فإن قلت) ما معنى ثم في قوله ثم بصير مستكبرا (قلت) كعنايه في قول القائل ۝ يرى غمرات الموت ثم يزورها  
وذلك أن غمرات الموت حقيقة بأن ينجر رائها بنفسه ويطلب الفرار عنها وأما يارتها والإقدام على مزاولتها فأمر مستبعد  
فمعنى ثم الإيدان بأن فعل المقدم عليها بعدما آها وعانها شيء يستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة  
بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول إصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الإيمان بها (كأن)  
مخففة والأصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن كما في قوله ۝ كأن ظبية تعطر إلى ناضر السلم ۝ ومحل الجملة نصب  
على الحال أي بصير مثل غير السامع (وإذا) بلغه شيء من آياتنا وعلم أنه منها (اتخذها) أي اتخذ الآيات (هزوا) ولم يقل  
اتخذها للإشعار بأنه إذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات التي أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم  
خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحتمل وإذا علم من آياتنا شيئا يمكن أن يتشبث  
به المعاند ويجدله محملا يتسلق به على الطعن والغمزة افترسه واتخذ آيات الله هزواً وذلك نحو افتراص ابن الزبير  
قوله عز وجل إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله خصمك ويجوز  
أن يرجع الضمير إلى شيء لأنه في معنى الآية كقول أبي العتاهية

نفسى بشيء من الدنيا معلقة ۝ الله والقائم المهدي يكفيها

حيث أراد عتبة وقرئ علم (أولئك) إشارة إلى كل أفاك أثيم لشموله الأفاكين والوراء اسم للجهة التي يوارىها الشخص  
من خلف أو قدام قال أليس ورائي أن تراخت منيتي ۝ أدب مع الولدان أزحف كالنسر  
ومنه قوله عز وجل (من ورائهم) أي من قدامهم (ما كسبوا) من الأموال في رحلهم ومتاجرهم (ولما اتخذوا من دون  
الله) من الأوثان (هذا) إشارة إلى القرآن يدل عليه قوله تعالى «والذين كفروا بآيات ربهم لأن آيات ربهم هي القرآن»  
أي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل كامل في الرجولية وأيمارجل والرجز أنتد العذاب وقرئ بجر أليم  
ورفعه (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطرى وغير ذلك من منافع  
البحر ۝ (فإن قلت) ما معنى منه في قوله (جميعا منه) وما موقعها من الإعراب (قلت) هي واقعة موقع الحال والمعنى أنه  
سخر هذه الأشياء كائنه منه وحاصلة من عنده يعنى أنه مكوونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقها ويجوز أن

(قوله من إصرار الجمار على العانة) جماعة حمر الوحش كما في الصحاح وفيه أيضا صر الفرس أذنيه ضمها إلى رأسه

فاذا لم يوقعا قالوا أصر الفرس بالالف

أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝  
 وَلَقَدْ آتَيْنَا نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝  
 وَآتَيْنَاهُمْ بَيْنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ  
 لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّهُمْ لَنْ يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ۝  
 هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ

يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هي جميعاً منه وأن يكون وسخر لكم تأ كيداً لقوله تعالى سخر لكم ثم ابتدئ قوله  
 ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه وأن يكون ما في الأرض مبتدأ ومنه خبره وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما منه  
 وقرأ سلمة بن محارب منه على أن يكون منه فاعل سخر على الإسناد المجازي أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ذلك  
 أو هو منه حذف المقول لأن الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا (لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون وقائع  
 الله بأعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لا يأملون الأوقات التي وقتها الله اثواب المؤمنين ووعدهم الفوز  
 فيها قبل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزولها في عمر رضي الله عنه وقد شتمه رجل من غفار فهم أن يبطش  
 به وعن سعيد بن المسيب كتابين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرأ قارئ هذه الآية فقال عمر ليجزى عمر بما  
 صنع (ليجزى) تليل الأمر بالمغفرة أي إنما أمروا بأن يغفروا لما أَرَادَهُ اللهُ مِنْ تَوْفِيهِمْ جَزَاءَ مَغْفِرَتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
 (فإن قلت) قوله (قوما) ما وجه تنكيهه وإنما أراد الذين آمنوا وهم معارف (قلت) هو مدح لهم وثناء عليهم كأنه  
 قيل ليجزى أيما قوم وقوما مخصوصين لصبرهم وإغضائهم على أذى أعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يجرعونهم  
 من الغصص (بما كانوا يكسبون) من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر ليجزى عمر  
 بما صنع ليجزى بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول الآية والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب  
 في وجهي وقرئ ليجزى قوما أي الله عز وجل وليجزى قوم وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء قوما (الكتاب)  
 التوراة (والحكم) الحكمة والفقهاء أو فصل الخصومات بين الناس لأن الملك كان فيهم والنبوَّة (من الطيبات) مما أحل الله لهم وأطاب  
 من الأرزاق (وفضلناهم على العالمين) حيث لم تؤت غيرهم مثل ما آتيناهم (بينات) آيات ومعجزات (من الأمر) من أمر الدين فواقع  
 بينهم الخلاف في الدين (إلا من بعد ما جاءهم) ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وإنما اختلفوا لبغى حدث بينهم أو لعداوة  
 وحسد (على شريعة) على طريقة ومنهاج (من الأمر) من أمر الدين فاتبع شريعتك النابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه  
 من أهواء الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع إلى دين آباءك ۝ ولا توألم إلى الظالمين  
 من هو ظالم مثلم ۝ وأما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما أبين الفصل بين الولايتين (هذا) القرآن (بصائر للناس)  
 جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحاً وحياة وهو هدى من الضلالة ورحمة من  
 العذاب لمن آمن وأيقن وقرئ هذه بصائر أي هذه الآيات (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها إنكار الحساب ۝ والاجتراح  
 الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أي كاسبهم (أن نجعلهم) أن نصيرهم وهو من جعل المتعدى إلى مفعولين

(قوله أيما قوم وقوما مخصوصين) لعله أو قوما

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ  
وَلَيَجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ  
سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا  
نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝ وَإِذَا تَلَّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ

فأزلها الضمير والثاني الكاف والجملة التي هي (سواء محياهم ومماتهم) بدل من الكاف لأن الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد ألا تراك لو قلت أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا أبوه منطلق ومن قرأ سواء بالنصب أجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كقدم الحاج وخفوق النجم أي سواء في محياهم وفي مماتهم والمعنى إنكار أن يستوى المسيئون والمحسنون محيا وأن يستووا مآلنا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات وأولئك على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هؤلاء على البشري بالرحمة والوصول إلى ثواب الله ورضوانه وأولئك على اليأس من رحمة الله والوصول إلى هول ما أعد لهم وقيل معناه إنكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة لأن المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وإنما يفترون في الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستأنف على معنى أن محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه وعن تميم الداري رضي الله عنه أنه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد إلى الصباح ساء ما يحكمون وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددتها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من أي الفريقين أنت (ولتجزى) معطوف على بالحق لأن فيه معنى التعليل أو على معلى محذوف تقديره خلق الله السموات والأرض ليدل به على قدرته ولتجزى كل نفس ه أي هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه إليه فكأنه يعبد كما يعبد الرجل إلهه وقرئ آلهة هو اه لأنه كان يستحسن الحجر فيعبده فإذا رأى ما هو أحسن رفضه إليه فكأنه اتخذ هو اه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها (وأضله الله على علم) وتركه عن الهداية واللفظ وخذله على علم عالما بأن ذلك لا يجدى عليه وأنه ممن لا لطف له أو مع علمه بوجوه الهداية وإحاطته بأنواع اللطاف المحصلة والمقربة (فمن يهديه من بعد) إضلال (الله) وقرئ غشاوة بالحركات الثلاث وغشوة بالكسر والفتح وقرئ تذكرون (نموت ونحيي) نموت نحن ويحيا أولادنا أو يموت بعض ويحيا بعض أو نكون موتانا نطقا في الأصلاب ونحيا بعد ذلك أو يصيبنا لأمران الموت والحياة يريدون الحياة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقرئ نحيا بضم النون وقرئ إلا دهر يمر وما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن ونخمين كانوا يزعمون أن مرور الأيام والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان وترى أشعارهم باطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر أي فإن الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر وقرئ حجبتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتأخيرها (فإن قلت) لم سمى قولهم حجة وليس بحجة (قلت) لأنهم أدلوا به كما يدل المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهمك أولانه في حسابهم وتقديرهم حجة أولانه في أسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كأنه قيل ما كان حجبتهم إلا ما ليس بحجة والمراد نفي أن تكون لهم حجة البتة (فإن قلت) كيف وقع قوله (قل الله يحييكم) جوابا لقولهم اتنوا بآبائنا إن كنتم صادقين (قلت) لما أنكروا البعث

(قوله وتركه عن الهداية) تأويل الآية بذلك لتوافق مذهب المعتزلة أنه لا يريد الشر ولا يفعله وعند أهل السنة لا يقع في مله إلا ما يريد والله خالق كل شيء فالإضلال خلقه الضلال في القلب (قوله المحصلة والمقربة) يعني للهداية

مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوَابًا نَدَاءً إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى  
يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ  
يَوْمَئِذٍ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ۝ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝  
هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْوَزْنُ الْمُبِينُ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ  
وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ  
إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ ۝ وَبَدَّلْنَاهُمْ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَخُ  
مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نُصْرِينَ ۝ ذَٰلِكُمْ بِأَنكُم كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ فَتَنبِئْهُم  
وَعَرِّضْ لَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ حَيَاةَ الدُّنْيَا زِينَةٌ وَآلِهَتُهُمُ الْمَالُ وَالنَّسَاءُ وَالْبَنَاتُ وَالْأَمْوَالُ وَالْأَنْدَادُ وَالْأَسْوَاقُ  
الْمُبْتَاعَةُ ۝ ذَٰلِكُمْ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ

وكذبوا الرسل وحسبوا أن ما قالوه قول مبيتك ألزموا ما هم مقرون به من أن الله عز وجل هو الذي يحييهم ثم يميتهم ورضم  
إلى إلزام ذلك إلزام ما هو واجب الإقرار به إن أنصفوا وأصغوا إلى داعي الحق وهو جمعهم إلى يوم القيامة ومن كان قادرًا على ذلك كان  
قادرًا على الإتيان بأبائهم وكان أهون شيء عليه ۝ عامل النصب في (يوم تقوم) يخسر، و (يومئذ) بدل من يوم تقوم  
(جاثية) باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذبة والجذو أشد استيفازًا من الجثو لأن الجاذي هو الذي يجلس على  
أطراف أصابعه وعن ابن عباس رضى الله عنهما جاثية مجتمعة وعن قيادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثي  
وفي الحديث من جثي جهنم ۝ وقرئ (كل أمة) على الابتداء وكل أمة على الإبدال من كل أمة (إلى كتابها) إلى  
صحائف أعمالها فأكثف باسم الجنس كقوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه (اليوم تجزون) محمول على  
القول (فإن قلت) كيف أضيف الكتاب إليهم وإلى الله عز وجل (قلت) الإضافة تكون لللابسة وقد لا بسهم ولا بسه  
أما ملابسته إياهم فلأن أعمالهم مثبتة فيه وأما ملابسته إياه فلا لأنه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده  
(ينطق عليكم) يشهد عليكم بما عملتم (بالحق) من غير زيادة ولا نقصان (إنا كنا نستنسخ) الملائكة (ما كنتم تعملون)  
أى نستكتبهم أعمالكم (في رحمته) في جنته وجواب أما محذوف تقديره وأما الذين كفروا فيقال لهم (ألم تكن آياتي تتلى  
عليكم) والمعنى ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم لحذف المعطوف عليه ۝ وقرئ والساعة بالنصب عطفًا على  
الوعد وبالرفع عطفًا على محل إن واسمها (ما الساعة) أى شئ الساعة (فإن قلت) ما معنى إن نطن إلاظنا (قلت) أصله نطن  
ظنا ومعناه إثبات الظن فحسب فأدخل حرف النفي والاستثناء ليفاد إثبات الظن مع نفي ما سواه وزيدني ما سوى الظن تو كيداً بقوله  
(وما نحن بمستيقنين سيئات ما عملوا) أى قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئات كقوله تعالى وجزاء سيئة - يئة مثلها (نذاكم)  
نترككم في العذاب كما نركم عذبة (لقام يومكم هذا) وهى الطاعة أو نجعلكم بمنزلة الشئ المنسى غير المبالى به كالم تبالوا أنتم بلقائكم ولم  
تخطر وبيال كالشئ الذى يطرح نسياناً (فإن قلت) ما معنى إضافة اللقاء إلى اليوم (قلت) كمنى إضافة المكر فى قوله تعالى بل  
مكر الليل والنهار أى نسيتم لقاء الله فى يومكم هذا ولقاء جزائه : وقرئ لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون) ولا يطلب منهم أن

(قوله فى جثي جهنم) فى الصحاح الجثرة مثلثة الحجارة المجموعة وجثي الحرم بالضم وبالكسر ما اجتمع فيه من حجارة الجمار

رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَلَهُ الْكِبَرِيَّاتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝

### سورة الأحقاف مكية

إلا الآيات ١٠ و ١٥ و ٣٥ فمدنية وآياتها ٣٥ نزلت بعد الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ حَمَّ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ  
اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنَوِّى بِكُتُبٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَّرَةٌ ۝ مَنْ  
عَلِمَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَآ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ

يعتبر أربهم أى يرضون (فله الحمد) فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شىء من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته (فى السموات والارض) وحق مثله أن يتكبر ويعظم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

### ﴿سورة الأحقاف مكية وهى أربع وثلاثون آية وقيل خمس﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (إلا بالحق) لإخلاقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح (و) بتقدير (أجل مسمى) ينتهى إليه وهو يوم القيامة (والذين كفروا عما أُنذروا) من هول ذلك اليوم الذى لا بد لكل خالق من انتهائه إليه (معرضون) لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز أن تكون ما مصدرية أى عن إنذارهم ذلك اليوم (بكتاب من قبل هذا) أى من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعنى أن هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وإبطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله إلا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله (أو إثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين من قولهم سمعت الناقة على إثارة من شحم أى على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرئ أثره أى من شىء أو أثرتم به وخصصتم من علم لإحاطة به لغيركم وقرئ أثره بالحركات الثلاث فى الهمزة مع سكون التاء فالأثر بالكسر بمعنى الأثره وأما الأثره فالمتره من مصدر أثر الحديث إذا رواه وأما الأثره بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به (ومن أضل) معنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون فى الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الأصنام حيث يتركون دعاء السميع

### ﴿القول فى سورة الأحقاف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (قال فيه استفهام معناه إنكار أن يكون فى الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الأصنام الخ) قال أحمد وفى قوله إلى يوم القيامة نكتة حسنة وذلك أنه جعل يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة ومن شأن الغاية انتهاء المعنى عندها لكن عدم الاستجابة مستمر بعد هذه الغاية لأنهم فى القيامة أيضا لا يستجيبون لهم فالوجه والله أعلم أنها من الغايات المشعرة بأن ما بعدها وإن وافق ما قبلها إلا أنه أزيد منه زيادة بينة تلحقه بالثانى حتى كأن الحالتين وإن كانتا نوعا واحدا لتفاوت ما بينهما كالشئ وضده وذلك أن الحالة الأولى التى جعلت غايتها القيامة لا تزيد على عدم الاستجابة والحالة الثانية التى فى القيامة زادت على عدم الاستجابة بالعداوة بالكفر بعبادتهم إياهم فهو من وادى ما تقدم آنفا فى سورة الزخرف فى قوله بل تمتعت هؤلاء وآباؤهم حتى جاءهم الحق ورسول



دُعَاءَهُمْ غَفَلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً ۝ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۝ وَإِذَا تَنَزَّلَتْ عَلَيْنَا  
بَيِّنَاتٌ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ  
لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ قُلْ مَا كُنتُ بِدُعَاءِ

المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام وبدعون من دونه جماداً لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد منهم مادامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة وإذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضداً فليسوا في الدارين إلا على نسكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم وإنما قيل من وهم لأنه أسند إليهم ما يسند إلى أولى العلم من الاستجابة والغفلة ولأنهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلاً وغبابة ويجوز أن يريد كل معبود من دون الله من الجن والإنس والأوثان فغلب غير الأوثان عليها ۝ قرئ ما لا يستجيب وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق النهمك بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم (بينات) جمع بينة وهي الحجة والشاهد أو واضحات مبيّنات ۝ واللام في (للحق) مثلها في قوله وقال الذين كفروا الذين آمنوا لو كان خيراً أي لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر والتملؤ بالحق (لما جاءهم) أي بادهوه بالجحود ساعة أتاها وأول ما سمعوه من غير إجماله فسر ولا إعادة نظر ۝ ومن عنادهم وظلمهم أنهم سموه سحراً مبيناً ظاهراً أمره في البطلان لاشبهة فيه (أم يقولون افتراه) لإضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحراً إلى ذكر قولهم إن محمداً افتراه ومعنى الهمزة في أم الإنكار والتعجب كأنه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضى منه العجب وذلك أن محمداً كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتره على الله ولو قدر عليه دون أمة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة وإذا كانت معجزة كانت تصديقاً من الله والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفترياً والضمير للحق والمراد به الآيات (قل إن افتريته) على سبيل الفرض عاجلني الله تعالى لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدر على كفه عن معاجلتني ولا تطيقون دفع شيء من عقابه عني فكيف أفتره وأن تعرض لعقابه يقال فلان لا يملك إذا غضب ولا يملك عنانه إذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم ومن يرد الله فذته فإن يملك له من الله شيئاً ومنه قوله عليه السلام لا أملك لكم من الله شيئاً ثم قال (هو أعلم بما تفيضون فيه) أي تندفعون فيه من القدر في وحي الله تعالى والطعن في آياته وتسميته سحراً تارة وفرية أخرى (كفى به شهيداً بيني وبينكم) يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء إفاضتهم (وهو الغفور الرحيم) موعدة بالغفران والرحمة إن رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا وإشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا (فإن قلت) فسامعني إسناد الفعل إليهم في قوله تعالى فلا تملكون لي (قلت) كان فيما أتاهم به الصيحة لهم والإشفاق عليهم من سوء العاقبة وإرادة الخير بهم فكانه قال لهم إن افتريته وأنا أريد بذلك التصحح لكم

مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنابه كافرون ۝ قوله تعالى ۝ وإذا تنزلت عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه ۝ الآية (قال في اللام في قوله تعالى للحق نحو اللام في قوله وقال الذين كفروا الذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه أي لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا الخ) قال أحمد هذا الإضراب في باب مثل الغاية التي قدمتها آنفاً في بابها فإنه انتقال إلى موافق لكنه أزيد من الأول فنزل بزيادته عليه مع ما تقدمه مما ينقص عنه من نزلة المتأففين كالنبي والإثبات الذين يضرب عن أحدهما الآخر وذلك أن نسبتهم الآيات إلى أنها فتريات أشد وأبعد من نسبتها إلى أنها سحر فأضرب عن ذلك الأول إلى ذكر ما هو أغرب منه ۝ قوله تعالى ۝ قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً ۝ (قال فإن قلت ما معنى إسناد الفعل إليهم الخ) قال أحمد فيه نظر من قبيل أن الكلام جرى فرضاً وتقديراً ومتى فرض الافتراء لا يتصور على تقديره

مَنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۚ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ

وصدكم عن عبادة الآلهة إلى عبادة الله فاتغنون عن أيها المنصوحون إن أخذني الله بعقوبة الإفرام عليه ۚ البدع بمعنى البدع كالحلف بمعنى الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال أي ذابذع ويجوز أن يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به إليه من الغيوب فقبل له (قل ما كنت بدعا من الرسل) فأتيكم بكل ما تفترحونه وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات فإن الرسل لم يكونوا يأتون إلا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون إلا بما أوحى إليهم ولقد أجاب موسى صلوات الله عليه عن قول فرعون فما بال القرون الأولى بقوله علمها عند ربي (وما أدري) لأنه لا علم لي بالغيب ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان من أفعاله ويقدر لي ولكم من قضاياه (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) وعن الحسن وما أدري ما يصير إليه أمري وأمركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له أصحابه وقد ضجروا من أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم أترك بمكة أم أمر بالخروج إلى أرض قدر فت لي ورأيتها يعني في متامه ذات نخيل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» ويجوز أن يكون نفيًا للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل بفتح الياء أي يفعل الله عز وجل (فإن قلت) إن يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم (قلت) أجل ولكن النفي في ما أدري لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما في حيزه صح ذلك وحسن الاترى إلى قوله «أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر» كيف دخلت الباء في حيزه وذلك لتناول النفي إياها مع ما في حيزها وما في ما يفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة ۚ وقرئ يوحى أي الله عز وجل ۚ جواب الشرط محذوف تقديره إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به أستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى «إن الله لا يهدي القوم الظالمين» والشاهد من بني إسرائيل عبدالله بن سلام لما قدم رسول صلى الله عليه وسلم المدينة نظر إلى وجهه فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه هو النبي المنتظر وقال له إنى سأتلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى ما أول أسراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وبال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه فقال عليه الصلاة والسلام أما أول أسراط الساعة فارتحسهم من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبدحوت وأما الولد

نصح فإن النصح عبارة عن الدعاء إلى ما فيه نفع ولا ينفع المكلف في عمل ظاهر أو باطن إلا أن يكون مأمورا به من الله تعالى ولا سبيل إلى الاطلاع على ذلك إلا من الوحي الحق لا غير فإذا لا يتصور نصح مع الافتراء وإنما يتم هذا الذي قرره على قاعدة المنزلة للقاتلين بأن العقل طريق يوصل إلى معرفة حكم الله تعالى لأنه إذا أمر بطاعة من الطاعات كالتوحيد مثلا وقال إن الله حتم عليكم وجوب التوحيد وأنا رسول الله إليكم ولم يكن متعوقا فإنه محق في الأمر بالتوحيد لأن العقل دل على وجوبه عندهم وإن كان مفتريا في دعوى كونه رسولا من الله عز وجل وهذه قاعدة قد أفسدها الأدلة القاطعة فيحتمل في إجراء الآية على مذهب أهل السنة أن يكون إسناد الفعل لهم على معنى التنبيه بالشىء على مقابله بطريق المفهوم فالمعنى إذا إن كنت مفتريا فالعقوبة واقعة بي لا تدفعونها عنى ففهومه وإن كنت محقا وأنتم مفترون فالعقوبة واقعة بكم لا أقدر على دفعها عنكم ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى «قل إن افتريته فعلى إجرامى وأنا برىء مما تجرمون» وأمثلة كثيرة والله أعلم ۚ قوله تعالى «وما أدري ما يفعل بي ولا بكم» (قال أجود ما ذكر فيه حمله على الدراية المفصلة يربد بذلك أن تفصيل ما يصير إليه من خير وبصيرون إليه من شر إلى آخره) قال أحمد بنى على أن المجرور معطوف على مثله وأنهما جميعا في صلة موصول واحد ولو قيل إن المجرور الثانى من صلة موصول محذوف معطوف على مثله حتى يكون التقدير وما أدري ما يفعل بي ولا ما يفعل بكم لكأن لا واقعة بمكانة غير مفتقرة إلى تأويل وحذف الموصول المعطوف وتفصيله كثيرة ومنه فمن يهجو رسول الله منكم ۚ ويمدحه وينصره سواء ۚ يريد حسان رضى الله عنه أفمن يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يمدحه سواء

(قرله ولحم زيم) فى الصبح اللحم الزيم المتفرق ليس مجتمع فى مكان فيدن وفيه أيضا بدن الرجل يبدن إذا ضخم وسمن

كَانَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَّا إِنَّا لَأَنذِرُ الْقَوْمَ  
الظَّالِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسِيحُوا لَوْنَهُمْ هَذَا آيَاتُكَ

فإذا سبق ماء الرجل نزعه وإن سبق ماء المرأة نزعه فقال أشهد أنك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله إني اليهود قوم بهت وإن علموا بإسلامي قبل أن أسألهم عنى بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أى رجل عبد الله فكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أرايتم إن أسلم عبد الله قالوا أعاده الله من ذلك فخرج إليهم عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر قال سعد بن أبي وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشى على وجه الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام وفيه نزل (وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله) الضمير للقرآن أى على مثله فى المعنى وهو ما فى التوراة من المعانى المطابقة فى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله تعالى وإله انى زبر الأولين إن هذا انى الصحف الأولى كذلك يوحى اليك وإلى الذين من قبلك ويجوز أن يكون المعنى إن كان من عند الله وكفرتكم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعنى كونه من عند الله (فإن قلت) أخبرنى عن نظم هذا الكلام لأقف على معناه من جهة النظم (قلت) الواو الأولى عاطفة لكفرتكم على فعل الشرط كما عطفته ثم فى قوله تعالى قل أرايتم إن كان من عند الله ثم كفرتكم به وكذلك الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو فى وشهد شاهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتكم به ونظيره قولك إن أحسنت اليك وأسأت وأقبلت عليك وأعرضت عنى لم تنفق فى أنك أخذت ضميمتين فعطتهما على مثلهما والمعنى قل أخبرونى إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بنى إسرائيل على نزول مثله وإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به أستم أضل الناس وأظلمهم وقد جعل الإيمان فى قوله فأمن مسبباً عن الشهادة على مثله لأنه لما علم أن مثله أنزل على موسى صلوات الله عليه وأنه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وأنصف من نفسه فشهد علته واعترف كان الإيمان نتيجة ذلك (للذين آمنوا) لأجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عاقبة من يتبع محمد السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيراً ما سبقنا إليه هؤلاء وقيل لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لو كان خيراً ما سبقنا إليه رعاء الهم وقيل إن أمة لعمر أسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتقر ثم يقول لو أنى فترت لزدتك ضرباً وكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعوا إليه محمد حقا ما سبقنا إليه فلانة وقيل كان اليهود يقولونه عند إسلام عبد الله بن سلام وأصحابه ۝ (فإن قلت) لا بد من عامل فى الظرف فى قوله (وإذ لم يهتدوا به) ومن متعلق لقوله (فسيقولون) وغير مستقيم أن يكون فسيقولون هو العامل فى الظرف لتدافع دلالتى المضى والاستقبال فما وجه هذا الكلام (قلت) العامل فى إذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ الآن وتقديره وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا إفاك قديم فهذا

۝ قوله تعالى قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتكم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم (قال فيه إن قلت أخبرنى عن نظم هذا الكلام لأقف عليه من جهة النظم الخ) قال أحمد إنما لم بوجه المعطوف إلى جملة واحدة لأن التفصيل قد يكون عطف بمجموع مفردات على مجموع مفردات كل منهما والآية من هذا النمط ومثلها قوله تعالى وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وقوله إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الآية وقد تقدم تقرير ذلك فى الآيتين فجدد به عهداً ۝ قوله تعالى وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفاك قديم (قال فيه لا بد من عامل للظرف وغير مستقيم أن يعمل فيه الخ) قال أحمد إن لم يكن مانع من عمل فسيقولون فى الظرف إلا تنافى دلالتى

(قوله تبهتوني عندك) ترمونى بما ليس بى

أَدِيمٌ ۝ وَمَنْ قَبْلَهُ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۖ وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشْرَىٰ  
لِّلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ أَوَلَيْسَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ  
خَالِدِينَ فِيهَا جزاء بما كانوا يعملون ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا

المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون مسبباً عنه كما صح إضمار أن قوله حتى يقول الرسول لمصادقة حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم (إفك قديم) كقولهم أساطير الأولين (كتاب موسى) مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبراً مقدماً عليه وهو ناصب (إماماً) على الحال كقولك في الدار زيد قائماً وقرئ ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذين قبله التوراة ومعنى إماماً قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالإمام (ورحمة) لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصداقاً لما بين يديه (ولساناً عربياً) حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز أن ينتصب عن كتاب لتخصه بالصفة ويعمل فيه معنى الإشارة وجوز أن يكون مفعولاً لمصدق أى يصدق ذا لسان عربى وهو الرسول ۝ وقرئ ولينذر بالياء والتاء ولينذر من نذر ينذر إذا حذر (وبشرى) في محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له ۝ قرئ حسناً بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما وإحساناً وكرها بالفتح والضم وهما لغتان في معنى المشقة كالفقر والعقر وانتصابه على الحال أى ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أى حملاً ذا كره (وحمله وفصاله) ومدة حملة وفصاله (ثلاثون شهراً) وهذا دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع إذا كانت حولين لقوله عز وجل حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة أشهر ۝ وقرئ وفصله والفصل والعصال كالقطم والفظام بناء ومعنى (فإن قلت) المراد بيان مدة الرضاع لا النظام فكيف عبر عنه بالفصال (قلت) لما كان الرضاع بإيه الفصال ويلابسه لأنه ينتهى به ويتم سمي فصلاً كما سمي المدة بالآمد من قال

كل حتى مستكمل مدة العمر ومود إذا انتهى أمده

وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهى بالفصال ووقته وقرئ حتى إذا استوى وبلغ أشده ولموغ الأشد أن يكتمل ويستوفى السن التي تستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين وعن قيادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الأشد وغايته الأربعين وقيل لم يبعث نبي قط إلا بعد أربعين سنة ۝

المضى والاستقبال فهذا غير مانع فإن الاستقبال هنا إنما خرج مخرج الإشعار بدوام ما وقع ومضى لأن القوم قد حرموا الهداية وقالوا هذا إفك قديم وأساطير الأولين وغير ذلك فعنى الآية إذا وقالوا إذا لم يهتدوا به هذا إفك قديم وداموا على ذلك وأصروا عليه فمبر عن وقوعه ثم دوامه بصيغة الاستقبال كما قال إبراهيم إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين وقد كانت الهداية واقعة وماضية ولكن أخبر عن وقوعها ثم دوامها فمبر بصيغة الاستقبال وهذا طريق الجمع بين قوله سيهدين وقوله فى الآخرة فهو يهدين ولولا دخول الفاء على الفعل لكان هذا الذى ذكرته هو الوجه ولكن الفاء المسببة دلت بدخولها على محذوف هو السبب وقطعت الفعل عن الظرف المقدم فوجب تقدير المحذوف عاملاً فيه لينتظم بتقدير عاملاً أمران مصادفة الظرف للعامل والفعل المعمل لعلته فتعين ما ذكره الزمخشري لأجل الفاء لالتنافى الداليتين والله أعلم ۝ قوله تعالى وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً (أجاز في نصبه أن يكون حالاً عن كتاب لتخصه بالصفة الخ) قال أحمد وجهان حسنان أعزهما ثالث وهو النصب على الاختصاص وهذه الوجوه فى قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا والله أعلم

(قوله وآتينا الذين من قبله) لعله الذين قبله (قوله كالفقر والفقر وانتصابه) فى الصحاح والفقر لغة فى الفقر كالأضعف والضعف (قوله ومود إذا انتهى أمده) أى هالك أفاده الصحاح

وَحَمَلُهُ وَفَصَّلَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ اأَشُدَّهُ وَبَلَغَ اأَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ اأَوْزِعْنِي أَن اأَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَن اأَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ه  
 اأَوْلَآئِكَ الالذِينَ تَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّدَقِ الالذِينَ كَانُوا يُوعَدُونَ ه وَالالذِي قَالَ لَوَالِدِيهِ أَفِ لَكُمْ أَن اأُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفْخِفَانِ

والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والإسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لأن النعمة عليها نعمة عليه ه وقبل في العمل المرضي هو الصلوات الخمس ه (فإن قلت) مامعنى في قوله (وأصلح لي في ذريتي) (قلت) معناه أن يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كأنه قال هب لي الصلاح في ذريتي وأوقعه فيهم ونحوه ه يجرح في عراقبها نصلي (من المسلمين) من المخلصين ه وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء الضمير فيما والله عز وجل وقرئنا بالنون (فإن قلت) مامعنى قوله (في أصحاب الجنة) (قلت) هو نحو قولك أكرمني الأمير في ناس من أصحابه تريد أكرمني في جملة من أكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحل النصب على الحال على معنى كائنين من أصحاب الجنة ومعدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر ه وأكد لأن قوله يتقبل ويتجاوز وعدم من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وفي أبيه أبي قحافة وأمه أم الخير وفي أولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبي بكر (والذي قال لوالديه) مبتدأ خبره أو لئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجمعا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المسكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه وقد دعاه أبوه أبو بكر وأمه أم رومان إلى الإسلام فأقف بهما وقال ابعثوا إلى جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من أجداده حتى أسألها عما يقول محمد ويشهدوا لبطلانه أن المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وأن قوله الذين حق عليهم القول هم أصحاب النار وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة رضي الله عنها إنكار نزولها فيه وحين كتب معاوية إلى مروان أن يبابع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها رقلية تبايعون لأبنائكم فقال مروان يا أيها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته

ه قوله تعالى وأصلح لي في ذريتي (قال فيه فإن قلت مامعنى في ههنا وأجاب بأن المراد جعل ذريته الخ) قال أحمد ومثله قوله تعالى إلا الموتة في القربى عدولا عن قوله إلا موتة القربى أو الموتة للقربى والله أعلم ه قوله تعالى والذي قال لوالديه إلى قوله أولئك الذين حق عليهم القول الآية (قال زعم بعضهم أن المعنى بالآية عبد الرحمن بن أبي بكر الخ) قال أحمد ونحن نختار أن المراد الجنس لا عبد الرحمن بن أبي بكر واسكتنا لا نختار الرد على قائل ذلك بهذا الوجه فإن له أن يقول أراد عبد الرحمن وأمه ومثل ذلك قول الله تعالى حكاية عن العزيز يخاطب زليخا إنه من كيد كنى إن كيد كنى عظيم يخاطبها وخاطب أمتها والمقصودة هي وقد عاذ إلى خطابها خصوصا بقوله واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين ولكن وجه الرد على من زعم أن المراد عبد الرحمن ما ذكره الرخشي ثانيا فقال إن الذين حق عليهم القول هم المخلدون في النار في علم الله تعالى وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم ونقل أن معاوية كتب إلى مروان بأن يبابع الناس ليزيد فقال عبد الرحمن لقد جئتم بها رقلية أتبايعون لأبنائكم فقال مروان أيها الناس إن هذا هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه الآية فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن الله لعن أباك وأنت في

اللَّهُ وَيَلِكْ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ؕ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ؕ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مَّا عَمَلُوا وَلِيُوفِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ؕ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ لَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَلْيَوْمِ

ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فضض من لعنة الله وقرئ أف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحرركات الثلاث مع التنوين وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر كما إذا قال حس علم منه أنه متوجع واللام للبيان معناه هذا التأنيف كما خاصة ولا جلكا دون غيركما وقرئ أتعديني بنونين وأتعديني بأحدهما وأتعديني بالإدغام وقد قرأ بعضهم أتعديني بفتح النون كأنه استنقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الأولى تحرياً بالتخفيف كما تحراه من أدغم ومن أطرأ أحدهما (أن أخرج) أن أبعث وأخرج من الأرض وقرئ أخرج (وقد خلت القرون من قلى) يعنى ولم يبعث منهم أحد (يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله (ويلك) دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتعريض على الإيمان لاحقيقة الهلاك (في أمم) نحو قوله في أصحاب الجنة وقرئ أن بالفتح على معنى آمن بأن وعد الله حق (ولكل) من الجنسين المذكورين (درجات ماعملوا) أى منازل ومراتب من جزاء ماعملوا من الخير أو الشر ومن أجل ماعملوا منهما (فإن قلت) كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار درجات (قلت) يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب لاشتغال كل على الفريقين (وليوفيهم) وقرئ بالنون لتعليل معمله محذوف لدلالة الكلام عليه كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب درجات ناصب الظرف هو القول المضمر قبل (أذهبتم) وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به ومنه قوله تعالى النار يعرضون عليها ويجوز أن يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يربدون عرض الحوض عليها فقلبوا وبدل عليها تفسير ابن عباس رضى الله عنه بجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها (أذهبتم طبيباتكم) أى ما كتب لكم حظ من الطبيبات إلا ما قد أصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر رضى الله عنه لو شئت لدعوت بصلاتك وصناب وكراكر وأسنة ولكنى رأيت الله تعالى نعى على قوم طبيباتهم فقال أذهبتم طبيباتكم في حياتكم الدنيا وعنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاماً وأحسنكم لباساً واكنى استبقى طبيباتى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على أهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعاً فقال أأنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه

صلبه فأنت فضض من لعنة الله اه كلامه (قلت) وفي هذه الآية رد على من زعم أن المفرد الجنسى لا يععم لأنه لا يعامل معاملة الجمع لافى الصفة ولا فى الخبر فلا يجوز أن تقول الدينار الصفر خير من الدرهم البيض وهذا مردود بأن خبر الذى الواقع جنساً جاء على نعت خبر المجموع كما رأيت والله أعلم ؕ قوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طبيباتكم فى حياتكم الدنيا الآية (قال فيه عرضهم على النار إما من قولهم عرض بنو فلان على السيف الخ) قال أحمد إن كان قولهم عرضت الناقة على الحوض مقلوباً فليس قوله يعرض الذين كفروا على النار مقلوباً لأن الملقى ثم إلى اعتقاد القلب أن الحوض جماد لا إدراك له والناقة هى المدركة فهى التى يعرض عليها الحوض حقيقة وأما النار فقد ردت النصوص بأنها حينئذ مدركة إدراك الحيوانات بل إدراك أولى العلم فالآية على ظاهره كقولك عرضت الأسرى على الأمير والله أعلم

(قوله فأنت فضض من لعنة الله) فى الصحاح كل شيء تفرق فهو فضض وفى الحديث أنت فضض من لعنة الله يعنى ما انفض من نطفة الرجل وتردد فى صلبه (قوله ومن أجل ماعملوا منهما) لعله أو من أجل (قوله بصلاتك وصناب) فى الصحاح الصلاتك الخبز الرقاق والصناب صباغ يتخذ من الخردل والزبيب والكركرة رحي زور البعير والزور أعلى الصدر اه أخذنا من مواضع

تَجْزُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ۖ وَإِذْ كُنَّا نَاكِدًا  
 إِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ  
 عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۖ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّكَ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۖ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ  
 عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيتُمْ قَوْمًا بِجَهْلُونَ ۖ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا  
 عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ

بأخرى ويستتر بيده كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم اليوم خير وقرئ أذهبتم بهمة الاستفهام وآ أذهبتم  
 بالفاء بين همزتين ه الهون والهوان وقرئ عذاب الهوان ه وقرئ يفسقون بضم السين وكسرهما الاحقاف جمع حقف  
 وهو رمل مستطيل مرتفع فيه أنحاء من أحقوق الشيء إذا أعوج وكانت عاد أصحاب عمديسكنون بين رمال مشرفين  
 على البحر بأرض يقال لها الشجر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة و(الذعر) جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار  
 (من بين يديه) من قبله (ومن خلفه) ومن بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده والمعنى أن هوداً عليه السلام قد أنذرهم  
 فقال لهم لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم العذاب وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم  
 منذرون نحو إنذاره وعن ابن عباس رضى الله عنه يعنى الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا  
 التفسير ومن بعد إنذاره هذا إذا عقلت وقد خلت النذر بقوله إنذر قومه ولك أن تجعل قوله تعالى وقد خلت النذر من بين يديه ومن  
 خلفه اعتراضاً بين أنذر قومه وبين (الآعبدوا) ويكون المعنى واذكر إنذاره هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من  
 تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذا ذكر الإفك الصريف يقال أفكك عن رأيه (عن آلهتنا) عن عبادتنا (بما تعدنا)  
 من معاملة العذاب على الشرك (إن كنت) صادقاً وعدك (فإن قلت) من أين طابق قوله تعالى (إنما العلم عند الله) جواباً لقولهم  
 فاتنا بما تعدنا (قلت) من حيث أن قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب ألا ترى إلى قوله تعالى بل هو ما استعجلتم به فقال  
 لهم لا هم عندي بالوقت الذى يكون فيه تعذيبكم حكمة وصواباً إنما علم ذلك عند الله فكيف أدهوه بأن يأنبكم بعذابه  
 فى وقت عاجل تقترحونه أنتم ومعنى (وأبلغكم ما أرسلت به) وقرئ بالتخفيف أن الذى هو شأنى وشرطى أن أبلغكم  
 ما أرسلت به من الإنذار والنخوف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدى ولكنكم جاهلون ولا تعلمون أن الرسل  
 لم يبعثوا إلا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما ذن لهم فيه (فلما رأوه) فى الضمير وجهان أن يرجع إلى تعدنا وأن  
 يكون مبهماً قد وضع أمره بقوله (عارضاً) إما تمييزاً وإما حالاً وهذا الوجه أعرب وأفصح والعارض السحاب الذى  
 يعرض فى أفق السماء ومثله الحى والعنان من جبا وعن إذا عرض وإضافة مستقبل ومطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما  
 وهما مضافان إلى معرفتين وصفاً للسكره (بل هو) القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من  
 قرأ قال هود بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم به هى ريح أى قال الله تعالى قل (تدمر كل شيء) هلك من نفوس عاد  
 وأموالهم الجم الكثير فعبير عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شيء من دمر دماراً إذا هلك (لا ترى) الخطاب للرائى  
 من كان وقرئ لا يرى على البناء للدفعول بالياء والناء وتأويل القراءة بالناء وهى عن الحسن رضى الله عنه لا ترى بقايا ولا  
 أشياء منهم إلا مساكنهم ومنه بيت ذى الرمة وما بقيت إلا الضلوع الجراشع وليست بالقوية وقرئ لا ترى إلا  
 مسكنهم ولا يرى إلا مسكنهم وروى أن الريح كانت تحمل الفسفاط والظعينة ترفعهما فى الجوف حتى ترى كأنها جراد  
 وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحاً فيها كسهب النار وروى أول ما عرفوا به أنه عذاب أنهم  
 رأوا ما كان فى الصحراء من رحالهم وهواشيمهم تطير به الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم

إِلَّا مَسْكَنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْجَرِيمِينَ ۝ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيهَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَابْصِيرًا  
وَأَفْتَدَىٰ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْتَدَتْهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ  
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ وَأَقَدَّ أَهْلَكُنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ فَلَوْلَا نَصْرُهُمْ

فقلعت الريح الأبواب وصرعتمهم وأمال الله عليهم الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملهم فطرحتم في البحر وروى أن هوداً لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطاً إلى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود وتلذه الأنفس وأنها تمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا رأى الريح فزع وقال اللهم إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به وإذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له يارسول الله ماتخاف فيقول إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا (فإن قلت) ما فائدة إضافة الرب إلى الريح (قلت) الدلالة على أن الريح وتصريف أعتها مما يشهد لعظم قدرته لأنها من أعاجيب خلقه وأكبر جنوده وذكر الأمر وكونها مأمورة من جهته عز وجل يعضد ذلك ويقويه (أن) نافية أى فيما ما مكناكم فيه إلا أن أحسن في اللفظ لمسافيه مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله يجنب الأثرى أن الأصل في مهمما ما فلبشاعه التكرير قلبوا الألف هاء ولقد أغث أبو الطيب في قوله ۝ لعمرك ما ما بان منك لضارب ۝ وما ضره لو اقتدى بعدوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك ما أن بان منك لضارب وقد جعلت أن صلة مثلها فيما أنشده الأخفش يرجى المرء ما إن لا يراه ۝ وتعرض دون أدناه الخطوب ۝ وتقول بأننا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الأول ولقد جاء عليه غير آية في القرآن هم أحسن أثاثاً ورثياً كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثراً وهو ابغى التوبيخ وأدخل في الخث على الاعتبار (من شيء) أى من شيء من الإغناء وهو القليل منه ۝ (فإن قلت) بم انتصب (إذ كانوا يجحدون) (قلت) بقوله تعالى فما أغنى (فإن قلت) لم جرى مجرى التعليل (قلت) لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لإسمائه وضربته إذا أساء لأنك إذا ضربته في وقت إسمائه فإنما ضربته فيه لوجود إسمائه فيه إلا أن إذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك (ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) من نحو حجر ثمود وقرية سدوم وغيرهما والمراد أهل القرى ولذلك قال (لعلهم يرجعون)

۝ قوله تعالى ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه الخ (قال أحمد بيت المتنبي ليس كما أنشده وإنما هو كما يروى :

لعمرك ان ما بان منك لضارب ۝ بأقتل مما بان منك لغائب

ولا يستقيم إلا كذلك لأن قبله هو ابن رسول الله وابن صفيه ۝ وشبههما شبهت بعد التجارب

من نصيدة يمدح بها طاهر بن الحسين العلوى ولو أتى أبو الطيب عوض ما بان لجاء البيت

يرى أن إن ما بان عنك لضارب ۝ وهذا التكرار أثقل من تكرار ما بلا مرأه وإنما فنده الزمخشري وألزمه استعمال

أن عوض ما لا اعتقاده أن البيت كما أنشده لعمرك ما ما بان منك لضارب ۝ بأقتل مما بان منك لغائب

ولو عوض إن عوض ما كما أصلحه الزمخشري لزم دخول الباء في خبرها وإنما تدخل الباء في خبر ما الحجازية العاملة وإن

لا تعمل عمل ما على الصحيح فلا يستقيم دخول الباء في خبرها فما عدل المتنبي عن ذلك إلا لتعذره عليه من كل وجه

على أنى لأبرى المتنبي من الجرف فإنه كان مغرى به مغرماً بالغريب من النظم ونقل الزمخشري في الآية وجهاً آخر

وهو جعلها صلة مثلها في قوله يرجى المرء ما إن لا يراه ۝ وتعرض دون أدناه الخطوب ۝ قال ويكون معناه على هذا

مكناهم في مثل ما مكناكم الخ (قلت) واختص بهذه الطائفة قوله تعالى وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذى

(قوله ولقد أغث أبو الطيب) في الصحاح أغث أى ردؤ وفسد تقول أغث الرجل في منطقته



الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصَتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۝ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ۝

القربان ما تقرب به إلى الله تعالى أي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولى اتخذ الراجع إلى الذين المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلانته لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منهم من الهلاك آلهتهم (بل ضلوا عنهم) أي غابوا عن نصرتهم (وذلك) إشارة إلى امتناع نصره آلهتهم لهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة وثمرة شركهم وافتراءهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرئ إفكهم والإفك كالحذر والحذر وقرئ وذلك إفكهم أي وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ إفكهم على التشديد للبالغه وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم أي قولهم الآفك ذو الإفك كما تقول قول كاذب وذلك إفك مما كانوا يفترون أي بعض ما كانوا يفترون من الإفك (صرفنا إليك نفرا) أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد لأنهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع أنفارا وفي حديث أبي ذر رضى الله عنه لو كان ههنا أحد من أنفارنا (فلما حضروه) الضمير (للقرآن) أي فلما كان يسمع منهم أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعضده قراءة من قرأ فلما قضى أي أتم قراءته وفرغ منها (قال بعضهم لبعض) (أنصتوا) استمعوا مستمعين يقال أنصت لكذا واستنصت له روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرس السماء ورجعوا بالشهب قالوا ما هذا إلا ليليا حدث فمض سبعة نفر أو تسعة من أشرف جن نصيين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى باغوا تهامة ثم اندفعوا إلى وادى نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلى أوفى صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستنصرهم فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلوا في صلاته فغروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه نفرا منهم جمعهم له فقال إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فن يتبعنى قالها ثلاثا فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيرى فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة فى شعب الحجون نخط لى خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيتة أسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستغرى ثياب بيض فقال أو أراك جن نصيين وكاوا اثنى عشر ألفا والسورة

خلقهم هو أشد منهم قوة وقوله مكناهم فى الأرض مالم نمسك لكم ۝ قوله تعالى فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة (قال فيه أحد مفعولى اتخذ الراجع إلى الموصول محذوف الخ) قال أحد لم يتبين وجه فساد المعنى على هذا الإعراب ونحن نبيته فنقول لو كان قربانا مفعولا ثانيا ومعناه متقربا بهم لصار المعنى إلى أنهم وبخوا على ترك اتخاذ الله متقربا به لأن السيد إذا وبخ عبده وقال اتخذت فلانا سيذا دونى فإنما معناه اللوم على نسبة السيادة إلى غيره وليس هذا المقصد فإن الله تعالى يتقرب إليه ولا يتقرب به لغيره فإنما وقع التوبيخ على نسبة الإلهية إلى غير الله تعالى فكان حق

(قوله اتخذ الراجع إلى الذين المحذوف) هو الذى أبرزه فى قوله أى اتخذوهم (قوله وذلك مما كانوا يفترون) لعله ما كانوا (قوله فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم) لعله فوافوا (قوله مستغرى ثياب بيض) قوله مستغرى الخ فى القاموس الاستغار أن يدخل إزاره بين ثيبيه ملويا وإدخال الكلب ذنبه بين ثيبيه حتى يلزقه بيطنه اه

يَقَوْمًا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۚ وَمَنْ لَا يُجِيبِ دَاعِيَ اللَّهِ  
فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَالْأَرْضُ لِلَّهِ وَمَنْ دُونَهُ أُولِيَاءَ ۚ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۚ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي  
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ بَقْدِرُهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ وَيَوْمَ  
يَعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالِ فُذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۚ  
فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ  
نَهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ۚ

التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (فإن قلت) كيف قالوا من (بعد موسى) (قلت) عن عطاء رضى الله عنه أنهم كانوا على اليهودية وعن  
ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام فلذلك قالت من بعد موسى (فإن قلت) لم بعض في قوله  
(من ذنوبكم) (قلت) لأن من الذنوب ما لا يغفر بالإيمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله عز وجل أن اعبدوا الله  
واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم (فإن قلت) هل للجن ثواب كما للإنسان (قلت) اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم إلا النجاة  
من النار لقوله تعالى (ويجركم من عذاب أليم) وإليه كان يذهب أبو حنيفة رحمه الله والصحيح أنهم في حكم بني آدم لأنهم  
مكلفون مثلهم (فليس بمعجز في الأرض) أى لا ينجى منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله تعالى وأناظننا أن لن  
نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا (بقادر) محله الرفع لأنه خبر أن يدل عليه قراءة عبدالله قادر وإنما دخلت الباء  
لاشتغال النبي في أول الآية على أن وما في حيزها رقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله  
بقادر الأثرى إلى وقوع بلى مقتررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لالرؤيتهم وقرئ يقدر ۚ ويقال عيت بالأمر  
إذا لم تعرف وجهه ومنه أفعيننا بالخلق الأول (أليس هذا بالحق) محكى بعد قول مضمرة وهذا المضمرة هو ناصب الظرف  
وهذا إشارة إلى العذاب بدليل قوله تعالى فذوقوا العذاب والمعنى أنهم هم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعده الله ووعيده  
وقولهم وما نحن بمعذبين (أولوا العزم) أولوا الجد والثبات والصبر و (من) يجوز أن تكون للتبعيض ويراد بأولى العزم  
بعض الأنبياء قيل هم نوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم على النار وذبح ولده وإسحق على  
الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الحب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه إله المدركون  
قال كلا إن معى ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لينة على لينة وقال إنها معبرة فاعبروها  
ولا تعمروها وقال الله تعالى في آدم ولم نجد له عزما وفي يونس ولاتكن كصاحب الحوت ويجوز أن تكون للبيان فيكون  
أولوا العزم صفة الرسل كلهم (ولا تستعجل) لكفار قريش بالعذاب أى لا تدع لهم بتعجيله فإنه نازل بهم للاحالة وإن  
تأخر وإنهم مستقصرون حيثئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوا (ساعة من نهار بلاغ) أى هذا الذى وعظمت به كفاية في  
الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول عليه السلام (فهل يهلك) إلا الخارجون عن الاعتاظ به والعمل بوجهه ويدل على معنى

الكلام أن يكون آلهة هو المفعول الثاني لا غير ۚ قوله تعالى يا قومنا أجيوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم الآية  
(قال إنما بعض المغفرة لأن من الذنوب ما لا يغفره الإيمان كذنوب المظالم اه كلامه) قال أحمد ليس ما أطلقه من أن الإيمان  
لا يغفر المظالم بصحيح لأن الحربى لونهب الأموال المصونة وسفك الدماء المحقونة ثم حسن إسلامه جب الإسلام عنه إثم ما تقدم  
بلا إشكال ويقال إنه ما وعد المغفرة الكافر على تقدير الإيمان في كتاب الله تعالى إلا مبعضة وهذا منه فإن لم يكن لا طراده بذلك سرفا  
هو إلا أن مقام الكافر قبض لا بسط فذلك لم يبسط رجاءه في مغفرة جملة الذنوب وقـ ورد في حق المؤمنين مثله كثيرا والله أعلم

## سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم : مدنية

إلا آية ١٣ فنزلت في الطريق أثناء الهجرة وآياتها ٣٨ نزلت بعد الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّ

التبليغ قراءة من قرأ بلغ فهل بهلك وقرئ بلاغا أى بلغوا بلاغا وقرئ بهلك بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك ونهك بالنون إلا القوم الفاسقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

## ﴿ سورة محمد صلى الله عليه وسلم ﴾

مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعد بن جبير مكية وهي سورة القتال وهي تسع وثلاثون آية وقيل ثمان ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وصدوا وأعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الإسلام أو صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس رضى الله عنه هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من أهل الشرك يصدون الناس عن الإسلام وبأمر ونهم بالكفر وقيل هم أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أرادهم ومن غيرهم أن يدخل في الإسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد (أضل أعمالهم) أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الإبل التي هي بمضيعة لارب لها بحفظها ويعتنى بأمرها أو جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم ومغلوقة بها كما يضل الماء في اللين وأعمالهم ما عملوه في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الأرحام وفك الأسارى وقرى الأضياف وحفظ الجوار وقيل أبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بأن نصره عليه وأظهر دينه على الدين كله (والذين آمنوا) قال مقاتل هم ناس من قریش وقيل من الأنصار وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب وقيل هو عام وقوله (وآمنوا بما نزل على محمد) اختصاص الإيمان بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين ما يجب به الإيمان تعظيماً لشأنه وتعلماً لأنه لا يصح الإيمان ولا يتم إلا به وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله (وهو الحق من ربهم) وقيل معناها أن دين محمد هو الحق إذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره وقرئ نزل وأنزل على البناء للمفعول ونزل على البناء للفاعل ونزل بالانخفيف (كفر عنهم سيئاتهم) ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم (وأصلح بالهم) أى حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد (ذلك) مبتدأ وما بعده خبره أى ذلك الأمر وهو إضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق، يجوز أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف أى الأمر كما ذكره هذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوباً على هذا وهو رفوعاً على الأول

## ﴿ القول في سورة محمد عليه الصلاة والسلام ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى «الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم» (قال معناه جعلها كالضالة من الإبل الخ) قال أحمد هذا المعنى الثاني حسن متمكن ماعى بمقابلة قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم قال كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم وتحرير المقابلة بينهما أن الكفار ضلت أعمالهم الصالحة في جملة أعمالهم السيئة من الكفر والمعاصي حتى صار صالحهم مستهلكاً في غمار سيئهم ومقابلة في المؤمنين ستر الله لأعمالهم السيئة في كنف أعمالهم الصالحة من الإيمان والطاعة حتى صار سيئهم مكفراً محققاً في جنب صالح أعمالهم وإلى هذا التمثيل الحسن في عدم تقبل صالح الكفار والتجاوز عن سيئ أعمال المؤمنين وقعت الإشارة بقوله تعالى «كذلك يضرب الله للناس أمثالهم» والله أعلم

الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ۝  
فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْمُمْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فَنَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ

و (الباطل) ما لا يتفق به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير (وكذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله للناس أمثالهم) والضمير راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم (فإن قلت) أين ضرب الأمثال (قلت) في أن جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار واتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين أو في أن جعل الإضلال مثلاً لحبوبة الكفار وتكفير السيئات مثلاً لفوز المؤمنين (لقيتهم) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضرباً مخذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافاً إلى المفعول فيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنسبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء وذلك أنهم كانوا يقولون ضرب الأمير رقية فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه إذا قتله وذلك أن قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبته فرقع عبارة عن القتل وإن ضرب بغير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله بما كسبت أيديكم على أن في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصور القتل بأشنع صورة وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله تعالى فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان (أثمتموهم) أكثر تم قتلهم وأغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ أو أثمتموهم بالقتل والجراح حتى أذهتم عنهم النهوض (فشددوا الوتاق) فأسروهم والوتاق بالفتح الكسر اسم ما يوثق به من أوفياء منصوبان بفعلهم مضميرين أي فإماتتمون منا وإما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الأسر بين أن يموتوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم (فإن قلت) كيف حكم أسارى المشركين (قلت) أمّا عند أبي حنيفة وأصحابه فأحد أمرين إما قتلهم وإما استرقاقهم أيهم أراى الإمام ويقولون في المن والفداء المذكورين في الآية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء إنما هو الإسلام أو ضرب العنق ويجوز أن يراد بالمان أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من أمر الدقة والفداء أن يفادى بأسارهم أسارى المشركين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن أبي حنيفة والمشهور أنه لا يرى فداءهم لا مال ولا بغيره خيفة أن يعود الحربا للمسلمين وأما الشافعى فيقول الإمام أن يختار أحد أربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهو القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمن ويحتج بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من على أي عروة الحجى وعلى بن أمثال الحنفى وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند أصحاب الرأى وقرئ فدى بالفصر مع فتح الفاء أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكرع قال الأعشى :

وأعددت للحرب أوزارها ۝ رماحا طوالا وخيلا ذكورا

وسميت أوزارها لأنه لما لم يكن لها بد من جرّها فكأها تحملها وتستقل بها فإذا انقضت فكأنها وضعتها رقبيل أوزارها آثامها يعنى حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا (فإن قلت) حتى بهم تعلقت (قلت) لا تخلوا إيماناً تتعلق بالضرب والشدة أو بالمان والفداء فالعنى على كلا المتعلقين عند الشافعى رضى الله عنه أنهم لا يزالون على ذلك أبداً إلى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك إذا لم يبق لهم شركة وقيل إذا نزل عيسى ابن مريم عليه السلام وعند أبي حنيفة رحمه الله إذا علق بالضرب والشدة فالعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الأوزار وذلك حين لا تبقى شركة للمشركين وإذا علق بالمان والفداء فالعنى أنه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها

(قوله وضرب ما فيه عيناه) لعله كناية عن رأسه أو عن وجهه (قوله لما فيه من تصور القتل) لعله لما فيها

(قوله وهو القتل والاسترقاق) لعله وهى

الْحَرْبُ أَوْ زَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَصَّرَ مِنْهُمْ وَالْكَفْرَ لَيْبَلُو بَعْضَكُمْ بَعْضٌ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ  
يُضِلُّ أَعْمَالَهُمْ ۖ سَيُجْزَىٰ سَيِّئِهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۖ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ  
يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۖ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ  
أَعْمَالَهُمْ ۖ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا  
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ۖ

إلا أن يتأول المان والفداء بما ذكرنا من التأويل (ذلك) أى الأمر ذلك أو افعلوا ذلك (لا اتصرو منهم) لا انتقم منهم  
ببعض أسباب الهلك من خسف أو رجفة أو حاصب أو غرق أو موت جارف (ولكن) أمركم بالقتال ليلو المؤمنين  
بالكافرين بأن يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالموثمين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض  
ماوجب لهم من العذاب ۖ وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا ۖ وقرئ فلن يضل أعمالهم وتضل أعمالهم  
على البناء للمفعول ويضل أعمالهم من ضل وعن قتادة أنها نزلت في يوم أحد (عرفها لهم) أعلمها لهم وبينما يعلم به  
كل أحد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدى أهل الجنة إلى مساكنهم منها لا يخطئون كأنهم كانوا سكانها منذ  
خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل إن الملك الذى وكل بحفظ عمله فى الدنيا يمشى بين يديه فيعرفه كل شىء أعطاه الله  
أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفى كلام بعضهم عزف كنوح القمارى وعرف كفوح القمارى أو حددها  
لهم فجئة كل أحد محدودة مفرزة عن غيرها من عرف الدار وارفها والعرف والارف الحدود (إن تنصروا) دين (الله)  
ورسوله (ينصركم) على عدوكم ويفتح لكم (ويثبت أقدامكم) فى مواطن الحرب أو على محجة الإسلام (والذين كفروا)  
يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره (فتعسأ لهم) كأنه قال أتعس الذين كفروا ۖ (فإن قلت) علام عطف  
قوله (وأضل أعمالهم) (قلت) على الفعل الذى نصب تعسا لأن المعنى فقال تعسأ لهم أو فقضى تعسأ لهم وتعسأه نقبض لعاله  
قال الأعشى ۖ بالتعس أولى لها من أن أقول لها ۖ يريد فالعشور والانحطاط أقرب لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن  
عباس رضى الله عنهما يريد فى الدنيا القتل وفى الآخرة التردد فى النار (كرهوا) القرآن وما أنزل الله فيه من التكليف  
والاحكام لأنهم قد ألفوا الإهمال وإطلاق العنان فى الشهوات والملاذفشق عليهم ذلك وتعاسمهم ۖ دمره أهلكه ودمر  
عليه أهلك عليه ما يختص به والمعنى دمر الله عليهم ما يختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكل ما كان لهم (وللكافرين)  
أمثالها) الضمير للعاقبة المذكورة أو للهلكة لأن التدمير يدل عليها أو للسنة لقوله عزّ وعلا سنة الله فى الذين خلوا  
(مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم وفى قراءة ابن مسعود ولى الذين آمنوا ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان  
فى الشعب يوم أحد وقد فشيت فيهم الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون أعل هبل فنادى المسلمون الله أعلى وأجل  
فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال إن لنا عزى ولاعزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا  
ولا مولى لكم إن القتلى مختلفة أما قتلنا فأحياء يرزقون وأما قتلاكم فى النار يعذبون (فإن قلت) قوله تعالى وردوا  
إلى الله مولاهم الحق مناقض لهذه الآية (قلت) لا تناقض بينهما لأن الله مولى عباده جميعا على معنى أنه ربهم ومالك أمرهم  
وأما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة (يتمتعون) يمتنعون بمتاع الحياة الدنيا أيا ما قلائل (ويأكلون) غافلين

(قوله عزف كنوح القمارى) العرف الغناء والقمارى جمع قرى اسم طير والعود القمارى منسوب إلى موضع ببلاد الهند أفاده الصحاح

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۖ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْتِنَا مِّن رَّبِّهِ كَمَن زِين لَّهُ سَوْءٌ عَمَلُهُ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ

غير مفكرين في العاقبة (كما تأكل الأنعام) في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح (مشوى لهم) ينزل ومقام ۖ وقرى وكان بوزن كاعن ۖ وأراد بالقريه أهلها ولذلك قال (أهلكناهم) كأنه قال وكم من قوم هم أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أهلكناهم ۖ ومعنى أخرجوك كانوا سبب خروجك ۖ (فإن قلت) كيف قال (فلا ناصر لهم) وإنما هو أمر قد مضى (قلت) مجراه مجرى الحال المحكية كأنه قال أهلكناهم فهم لا ينصرون من زين له هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله ومن كان على بيته من ربه أى على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ أمن كان على بيته من ربه وقال تعالى (سوء عمله واتبعوا) للحمل على لفظ من ومعناه ۖ (فإن قلت) ما معنى قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار) كمن هو خالد في النار (قلت) هو كلام في صورة الإثبات ومعنى النفي والإينكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الإنكار ودخوله في حيزه وانحراطه في سلكه وهو قوله تعالى أمن كان على بيته من ربه كمن زين له سوء عمله فكأنه قيل أمثل الجنة كمن هو خالد في النار أى كمثل جزاء من هو خالد في النار (فإن قلت) فلم عرى من حرف الإنكار وما فائدة التعرية (قلت) تعريته من حرف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبيته والتابع لهواه وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجرى فيها تلك الأنهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم ونظيره قول القائل أفرح أن أرزأ الكرام وأن ۖ أورث ذودا شصائصا نبلا

هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثه الذود مع تعريه عن حرف الإنكار لانطوائه تحت حكم قول من قال أفرح بموت أخيك وبوراثه إبله والذي طرح لأجله حرف الإنكار إرادة أن بصور قبح ما أزن فكأنه قال له نعم مثلي يفرح بمرزاة الكرام وبأن يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل إنكار ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد وقوله فيها أنهار داخل في حكم الصلة كالتركيب لها ألا ترى إلى صحة قولك التي فيها أنهار ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها أنهار وكأن قائلها قال وما مثلها فقيل فيها أنهار وأن يكون

ۖ قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون الآية (قال فيه هو كلام في صورة الإثبات ومعناه النفي الخ) قال أحمد كم ذكر الناس في تأويل هذه الآية فلم أرأطى ولا أحلى من هذه النكت التي ذكرها لا يعوزها إلا التنبيه على أن في الكلام محذوف لا بد من تقديره لأنه لا معادلة بين الجنة وبين الخالدين في النار إلا على تقدير مثل ساكن فيه يقوم وزن الكلام ويتعادل كفتاه ۖ ومن هذا النمط قوله تعالى أجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله فإنه لا بد من تقدير محذوف مع الأول أو الثاني ليتعادل القسمان وبهذا الذي قدرته في الآية ينطبق آخر الكلام على أوله فيكرن المقصود تنظير بعد التسوية بين المتمسك بالسيئة والراكب للهوى بعد التسوية بين المنعم في الجنة والمعذب في النار على الصفات المتقابلة المذكورة في الجهتين وهو من وادى تنظير السيم بنفسه باعتبار حالين لإحدهما أوضح في البيان من الأخرى فإن المتمسك بالسنة هو المنعم في الجنة الموصوفة والمتبع للهوى هو المعذب في النار المنعوتة ولكن أنكر التسوية بينهما باعتبار الأعمال أولا وأوضح ذلك بإنكار التسوية بينهما باعتبار الجزاء ثانيا

(قوله وكان بوزن كاعن) في الصحاح كأن معناه معنى كم في الخبر والاستفهام وفيه الغتان كأين مثال كعين وكان مثل كاعن اه (قوله ما أزن به) أى أنهم أفاده الصحاح (قوله ذودا يقل طائله) لأن الشصائص قليلات اللبن والليل الكبار من الإبل والصغار منها أيضا فهو من الأضداد أفاده الصحاح (قوله هي فيها) لعله أى هي فيها

وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ  
وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۗ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى  
إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا الَّذِينَ أَلْمَعُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا  
أَهْوَاءَهُمْ ۗ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۗ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ  
أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ۗ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَاللَّيْمُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ

في موضع الحال أي مستقرة فيها أنهار وفي قراءة على رضى الله عنه أمثال الجنة أي ماصفاتا كصفات النار ۗ وقرئ أسن  
يقال أسن الماء وأجن إذا تغير طعمه وريحه وأنشد يزيد بن معاوية

لقد سقتني رضا با غير ذى أسن ۗ كالمسك فت على ماء العاقيد

(من لبن لم يتغير طعمه) كما تتغير ألوان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حاذرا ولا ما يكره من الطعوم (لذة) تأنيث لذ  
وهو اللذيذ أو وصف بمصدر وقرئ بالحركات الثلاث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الأنهار والنصب على العلة  
أي لأجل لذة الشاربين والمعنى ما هو إلا اللذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات  
الخمر (مصفي) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره (ماء حميا) قيل إذا دنا منهم شوى وجومهم وانما زت  
فروة رؤسهم فإذا شربوه قطع أمعاءهم ۗ هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون  
كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالآثاننا ومنهم فإذا خرجوا قالوا لأولى العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة  
الاستهزاء وقيل كان يخطب فإذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن  
ابن عباس أنا منهم وقد سميت فيمن سئل (آنفا) وقرئ أنفا على فعل نصب على الظرف قال الزجاج هو من استأنفت  
الشيء إذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في أول وقت يقرب منا (زادهم) الله (هدى) بالنوفيق (وآناهم تقوهم) أعانهم عليها  
أو آناهم جزاء تقوهم وعن السدي بين لهم ما يتقون وقرئ واعظاهم وقيل الضمير هم زادهم لقول الرسول أو الاستهزاء  
المنافقين (أن تأنيهم بدل اشتغال من الساعة نحو أن تطوهم من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ إن تأنيهم  
بالوقف على الساعة واستشاف الشرط وهي في مصاحف أهل مكة كذلك (فإن قلت) فما جزاء الشرط (قلت) قوله  
فأنى لهم ومعناه أن تأنيهم الساعة فكيف لهم ذكرهم أي تذكروهم واتعظهم إذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى  
حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى (فإن قلت) بم يتصل قوله (فقد جاء أشراطها)  
على القراءتين (قلت) باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك إن أكرمى زيد فأنا حقيق بالاكرام أكرمه والأشراط  
العلامات قال أبو الأسود فإن كنت قد أزمعت بالصرم بيتنا ۗ فقد جعلت أشرط أوله تبدو

وقيل مبعث محمد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم منها وانشفاق القمر والدخان وعن الكلبي كثرة المال  
والنجارة وشهادة الزور وقطع الأرحام وقلة الكرام وكثرة اللثام ۗ وقرئ بغنة بوزن جربة وهي غريبة لم ترد في المصادر  
أختها وهي مروية عن أبي عمرو وما أخوفنى أن تسكون غلظة من الراوى على أبي عمرو وأن يكون الصواب بغنة بفتح  
الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم ۗ لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال إذا علمت أن الأمر كما

(قوله ولا حاذرا ولا ما يكره) لعله محذوف وأصله حازر بالزاي وفي الصحاح الحاذر اللبن الحامض (قوله وقرئ  
أنفا على فعل نصب على الظرف) لعله بالضم (قوله بغنة بوزن جربة وهي غريبة) في القاموس الجربة محركة مشددة جماعة  
الحراء وفي الصحاح الجربة بالفتح بغنة وتشديد الباء العانة من الخمر وفيه أيضا العانة القطيع من حمر الوحش

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُثَوِّبِكُمْ ۚ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّوْا أَرْحَامَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّىٰ أَبْصَارَهُمْ ۚ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَنْ يُعَلِّمُوا

ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك ۚ والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلباتكم في معاشكم ومناجركم ويعلم حيث تستقرون في منازلكم أو متقلباتكم في حياتكم ومثواكم في القبور أو متقلباتكم في أعمالكم ومثواكم من الجنة والنار ومثله حقيق بأن يخشى ويتقى وأن يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله حين بدأ به فقال فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم وقال اعلوا وإنما الحياة الدنيا لعب ولهو إلى قوله سابقوا إلى مغفرة من ربكم وقال واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه ثم أمر بالعمل بعد ۚ كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بالسنتهم ويقولون (لولا نزلت سورة) في معنى الجهاد (فإذا أنزلت) وأمروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا في أيديهم كقوله تعالى فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس (محكمة) مبيدة غير متشابهة لا تخجل وجهها إلا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لأن النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة وقيل هي المحدثنة لأنها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك أو تبقى غير منسوخة وفي قراءة عبدالله سورة محدثة وقرئ فإذا نزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال (الذين في قلوبهم مرض) هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الأقدام (نظر المغشى عليه من الموت) أي تشخص أبصارهم جبنا وهلعا وغيظا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت (فأولى لهم) وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أي طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هي حكاية قولهم أي قالوا طاعة وقول معروف بمعنى أمرنا طاعة وقول معروف وتشهدله قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف (فإذا عزم الأمر) أي جد والعزم والجد لأصحاب الأمر وإنما يسندان إلى الأمر إسادا مجازيا ومنه قوله تعالى إن ذلك لمن عزم الأمور (فلو صدقوا الله) فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو فلو صدقوا في إيمانهم وواطأت قلوبهم فيه أسنتهم ۚ عسيت وعسيت لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا ولا يلحقون الضمائر وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في التوكيد (فإن قلت) ما معنى فهل عسيتم أن تفسدوا في الأرض (قلت) معناه هل يتوقع منكم الإفساد (فإن قلت) فكيف يصح هذا في كلام الله عز وجل وهو عالم بما كان وما يكون (قلت) معناه أنكم لما عهدتكم أحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمر يضكم ورخاوة عقدكم في الإيمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من الخبايا (أن تفسدوا في الأرض وتفتطمعوا أرحامكم) تناحرا على الملك وتهاككا على الدنيا وقيل إن أعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالتجاوز

(قوله وحرصوا عليه كاعوا) في الصحاح كاع الكلب يكوع أي شىء على كوعه في الرمل من شدة الحر



قُلُوبَ أَقْفَالِهَا ۚ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ۚ ذَلِكَ  
بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۚ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ  
الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأدْبَارَهُمْ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۚ

والتناهب وقطع الأرحام بمقالة بعض الأقارب بعضا وواد البنات وقرئ وليتم وفي قراءة علي بن أبي طالب  
رضي الله عنه توليتم أي إن تولاكم ولاية غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوأثم وأفسدتم بإفسادهم ۚ وقرئ وتقطعوا  
وتقطعوا من التقطيع والتقطيع (أولئك) إشارة إلى المذكورين (لعنهم الله) لإفسادهم وقطعهم الأرحام فمنهم الطافه  
وخذ لهم حتى صمرا عن استماع الموعدة وعموا عن إبطار طريق الهدى ويجوز أن يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخالص  
الثابتين وأنهم يتشوفون إلى الوحي إذا أبطأ عليهم فإذا أنزلت سورة في معنى الجهاد رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها  
(أفلا يتدبرون القرآن) ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال  
(أم على قلوب أقفالها) وأم بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأر قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر وعن قيادة إذا  
والله يجذوا في القرآن زاجرا عن معصية الله لوتدبروه ولكنهم أخذوا بالمشابهة فهلكوا (فإن قلت) لم تنكرت القلوب  
وأضيفت الأقفال إليها (قلت) أما التشكيك ففيه وجهان أن يراد على قلوب قاسية مبهمة أمرها في ذلك أو يراد على بعض  
القلوب وهي قلوب المنافقين وأما إضافة الأقفال فلأنه يريد الأقفال المختصة بها وهي أقفال الكفر التي استغلت فلا تفتح  
وقرئ إقفالها على المصدر (الشيطان سؤل لهم) جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبر الإين كقولك إن زيدا عمرو مر به . سؤل لهم  
سهل لهم ركوب العظام من السؤل وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا (وأملى لهم)  
ومد لهم في الآمال والأمانى وقرئ وأملى لهم يعني إن الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم كقوله تعالى إنما نملي لهم وقرئ وأملى لهم  
على البناء للمفعول أي أمهلوا ومد في عمرهم وقرئ سؤل لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف (فإن  
قلت) من هؤلاء (قلت) اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعت في التوراة وقيل هم  
المنافقون ۚ الذين قالوا اليهود ۚ والذين كرهوا ما نزل الله المنافقون وقيل عكسه وأنه قول المنافقين لقريظة  
والنضير لئن أخرجتم لخرجن معكم ۚ وقيل بعض الأمر التكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم أو بلا إله إلا الله  
أو ترك القتال معه وقيل هو قول أحد الفريقين للمشركين سنطيعكم في النظائر على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
والقعود عن الجهاد معه ومعنى (في بعض الأمر) في بعض ما تأمرون به أو في بعض الأمر الذي يهكم (والله يعلم أسرارهم)  
وقرئ أسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فأفشاء الله عليهم ۚ فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ وقرئ توفاهم  
ويحتمل أن يكون ماضيا ومضارعا قد حذف إحدى تاءيه كقوله تعالى إن الذي توفاهم الملائكة وعن ابن عباس رضي  
الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الله إلا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره (ذلك) إشارة إلى التوفى الموصوف  
(ما أسخط) الله من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم و(رضوانه) الإيمان برسول الله (أضغانهم) أحقادهم

ۚ قوله تعالى الشيطان سؤل لهم (قال فيه هو مشتق من السؤل وهو الاسترخاء أي سهل لهم ركوب العظام قال وقد  
اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا) قلت لأن السؤل مهموز وسؤل معتل ۚ قوله تعالى

(قوله وقرئ وليتم) لعله بالبناء للجهول وكذا توليتم في قراءة علي (قوله وقد اشتقه من السؤل) لعله هنا بالهمز  
(قوله وقرئ سؤل لهم) لعله بالبناء للجهول (قوله وقيل هم المنافقون الذين قالوا) التلاوة ذلك بأنهم قالوا ولعل عبارة  
المفسر الذين قالوا اليهود الخ فلفظ القايلون من زيادة الناسخ سهوا

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ۖ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلا تَعْرِفَهُمْ بِسْمِهِمْ  
وَلَتَعْرِفَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ۖ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ  
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا  
وَسَيَحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

وإخراجها إبرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وإظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلي  
حنقا عليهم (لأريناكم) لعرفناكم ودللتناك عليهم حتى تعرفهم بأعيانهم لا يخفون عليك (بسيامهم) بعلامتهم وهو أن  
يسمهم الله تعالى بعلامة تعلمون بها وعن أنس رضى الله عنه ماخفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية  
شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيامهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكركم الناس فناموا ذات  
ليلة وأصبحوا وعلى جهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق (فإن قلت) أى فريق بين اللامين في فلعرفتهم ولتعرفتهم  
(قلت) الأولى هى الداخلة فى جواب لو كالتى فى لأريناكم فى كررت فى المعطوف وأما اللام فى ولتعرفتهم فواقعة مع  
الون فى جواب قسم محذوف (فى لحن القول) فى نحوه وأسلوبه وعن ابن عباس هو قولهم مالنا إن أطعنا من الثواب  
ولا يقولون ما علينا إن عصينا من العقاب وقيل اللحن أن تلحن بكلامك أى تميله إلى نحو من الألتحاء ليفطن له صاحبك  
كالتعريض والتورية قال ولقد لحنتم لكم لكىما تفقهوا ۖ واللحن يعرفه ذوو الألباب

وقيل المخطئ لحن لأنه يعدل بالكلام عن الصواب (أخباركم) ما يحكى عنكم وما يخبر به عن أعمالكم ليعلم حسنيتها  
من قبيحتها لأن الخبر على حسب الخبر عنه إن حسنا فحسن وإن قبيحا فقبيح ۖ وقرئ يعقوب ونبلو بسكون الواو  
على معنى ونحن نبلو أخباركم ۖ وقرئ وليبلونكم ويعلم ونبلو بالياء وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها بكى وقال اللهم  
لا تبلىنا فإنك إن بليتنا فضحتنا وهتكت أستاننا وعذبنا (وسيجبط أعمالهم) التى عملوها فى دينهم يرجون بها الثواب  
لأنها مع كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم باطلة وهم قريظة والنضير أو سيجبط أعمالهم التى عملوها والمكائد التى نصبوها  
فى مشاققة الرسول أى سيطلها فلا يصلون منها إلى أغراضهم بل يستنصرون بها ولا يشعرون لهم إلا القتل والجلاد عن أوطانهم  
وقبلهم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر (ولا تبطلوا أعمالكم) أى لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله تعالى لا ترفعوا  
أصواتكم فوق صوت النبى إلى أن قال أن تحبط أعمالكم وعن أبى العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون  
أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا أعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على أعمالهم

ولا تبطلوا أعمالكم (قال فى معناه لا تحبطوا الطاعات بالكبائر الخ) قال أحمد قاعدة أهل السنة مؤسسة على أن الكبائر  
مادون الشرك لا تحبط حسنة مكتوبة لأن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما  
نعم يقولون إن الحسنات يذهبن السيئات كما وعد به الكريم جلّ وعلا وقاعدة المعتزلة موضوعة على أن كبيرة واحدة  
تحبط مائة منها من الحسنات ولو كانت مثل زبد البحر لأنهم يقطعون بخلود الفاسق فى النار وسلب سمة الإيمان عنه  
ومتى خلد فى النار لم تنفع طاعاته ولا إيمانه فعلى هذا بنى الرنخسرى كلامه وجلب الآثار التى فى بعضها موافقة فى الظاهر  
لمعتقده ولا كلام عليها جملة من غير تفصيل لأن القاعدة المتقدمة ثابتة قطعاً بأدلة اقتضت ذلك يحاشى كل معتبر فى الحل  
والعقد عن مخالفتها فهم ماورد من ظاهر يخالفها وجب رده إليها بوجه من التأويل فإن كان نصاً لا يقبل التأويل فالطريق  
فى ذلك تحسين الظن بالمقول عنه والتوريك بالغلط على النقلة على أن الأثر المذكور عن ابن عمر هو أولى بأن يدل  
ظاهره لأهل السنة فتأمله وأما حمل الآية عند أهل الحق فعلى أن النهى عن الإخلال بشرط من شروط العمل وبركن يقتضى  
بطلانه من أصله لأنه يبطل بعد استجماعه شرائط الصحة والقبول

وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْآعِلُونَ وَاللَّهُ  
 مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرِكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ۚ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَلِكُمْ  
 أَمْوَالَكُمْ ۚ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فِجْهِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبَخَّرِ اضْغَنْكُمْ ۚ هَسَاتُمْ هَوْلَاءٌ تَدْعُونَ لِنُفُوقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
 فَمَنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ  
 ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ۚ

وعن حذيفة نخافوا أن تحبط الكبائر أعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى أنه ليس شيء من حسناتنا إلا مقبولا حتى نزل  
 ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر المرجبات والفواحش حتى نزل إن الله لا يغفر أن يشرك  
 به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن  
 قيادة رحمه الله رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيئ وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما  
 لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق وقيل بالعجب فإن العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل  
 ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى (ثم ماتوا وهم كفار) قيل هم أصحاب القلب والظاهر العموم (فلا تهنوا) ولا تضعفوا  
 ولا تذلوا للعدو (و) لا (تدعو إلى السلم) وقرئ السلم وهما المسالمة (وأنتم الاعلون) أي الأغلبون الأثرون (والله معكم)  
 أي ناصركم وعن قيادة لا تكونوا أول الطائفتين ضرعت إلى صاحبها بالموادعة وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعرا  
 إذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراومه وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي أو منصوب لإضمار إن ونحو قوله تعالى  
 وأنتم الاعلون قوله تعالى إنك أنت الأعلى (ولن يترككم) من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم أو حربته  
 وحقيقته أفردته من قريبه أو ماله من الوتر وهو الفرد فشبه إضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الوتر وهو من  
 فصيح الكلام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله أي أفرد عنها قتيلا ونهبا  
 (يؤتكم أجوركم) ثواب إيمانكم وتقواكم (ولا يسألكم) أي ولا يسألكم جميعها إنما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال  
 (إن يسئلكموها فيجفكم) أي يجهدكم ويطلبه كله والإحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال أحفاه في المسئلة إذا لم  
 يترك شيئا من الإلحاح وأحفي شاربه إذا استأصله (تبخلوا ويخرج اضغانكم) أي تضطغون على رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم وتضيق صدوركم لذلك وأظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب بأموالكم والضمير في يخرج لله عز وجل أي  
 يضغفكم بطلب أموالكم أو للبخل لأنه سبب الاضطغان وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والتاء مع فتحهما ورفع  
 اضغانكم (هؤلاء) موصول بمعنى الذين صلته (تدعون) أي أنتم الذين تدعون أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم  
 استأنف وصفهم كأنهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون (لتنفقوا في سبيل الله) قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكاة كأنه قيل  
 الدليل على أنه لو أحفاكم لبخاتم وكرهتم العطاء وضطغتم أنكم تدعون إلى أداء ربع العشر فتم ناس يبخلون به ثم قال  
 (ومن يبخل) بالصدقة وأداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وإنما (يبخل عن نفسه) يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضنت  
 عليه وعنه ثم أخبر أنه لا يأمر بذلك ولا يدعو إليه فلهذا الغنى الذي تستجبل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم  
 إلى الثواب (وإن تتولوا) معطوف على وإن تومنوا وتتقوا (يستبدل قوما غيركم) بخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم  
 راغبين في الإيمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله تعالى «ويأت بخلق جديد» وقيل هم الملائكة وقيل الأنصار

(قوله فقلنا الكبائر الموجبات) عبارة الخازن الكبائر والفواحش (قوله أي تضطغون على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 في الصجاج الضغن الحقد وتضاغن القوم واضطغونوا انظروا على الأحقاد

## سورة الفتح مدنية

نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديدية وآياتها ٢٩ نزلت بعد الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ

وعن ابن عباس كسدة والنخع وعن الحسن العجمي وعن عكرمة فارس والرم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد صلى الله عليه وسلم كان حقاً على الله أن يسقيه من أنهار الجنة

## سورة الفتح : مدنية : وهي تسع وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) ۝ هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديدية عدة له بالفتح وحيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في أخباره لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن الخبر ما لا يخفى (فإن قلت) كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة (قلت) لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عتد من الأمور الأربعة وهي المغفرة وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرتك على عدوك لتجتمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث أنه جهاد لعدو سبباً للغفران والثواب بالفتح الظفر بالبلد عنوة أو صلحاً بحرب أو بغير حرب لأنه منغلق ما لم يظفر به فإذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديدية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس رضي الله عنهما المشركين حتى أدخلوا في ديارهم وعن الكلبي ظهر وأعليهم حتى سألوا الصلح (فإن قلت) كيف يكون فتحاً وقد أحصروا فنحروا وحلقوا بالحديدية (قلت) كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحاً مبدئياً وعن موسى بن عقبة أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديدية راجعاً فقال رجل من أصحابه ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصدنا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو أعظم الفتوح وقد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح وبسألوكم القضية ويرغبوا إليكم في الأمان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي نزلت بالحديدية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة أصاب أن يبيع ببيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدى محله وأطعموا نخل خيبر وكان في فتح الحديدية آية عظيمة وذلك أنه نزع ماؤها حتى

## القول في سورة الفتح

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله» الآية (قال فيه جاء الإخبار بالفتح على لفظ الماضي وإن لم يقع بعد لأن المراد فتح مكة والآية نزلت حين رجع عليه الصلاة والسلام من الحديدية قبل عام الفتح وذلك على عادة رب العزة في أخباره لأنها من الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن الخبر ما لا يخفى (قلت) ومن الفخامة الالتفات من التكلم إلى الغيبة ۝ عاد كلامه (قال) فإن قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة وأجاب بأن ذلك علة لاجتماع ما عتد من الأمور الأربعة المغفرة وإتمام النعمة والهداية والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرتك على عدوك لتجتمع لك عز الدارين وأغراض العاجل والآجل ۝ قال ويجوز أن يكون الفتح من حيث كونه جهاداً وعبادة سبباً للغفران

(قوله علو شأن الخبر) لعله الخبر به وعبارة النبي في الخبر عنه (قوله عن بلادهم بالراح) في الصحاح الراح الخمر والراح جمع راحة وهي الكف والراح الارتياح اه والظاهر هنا الثالث

عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَيُنصِرِكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدَّهُمْ إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۝ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۝ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَظِيمًا حَكِيمًا ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل لجاش بالماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل فتح الله له بالإسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيوف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كلها إذ لا فتح من فتوح الإسلام إلا وهو تحتها ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بيننا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتح وهي الحكومة وكذا عن قيادة (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد (نصراً عزيراً) فيه عز ومنعة أو وصف بصفة المنصور إسناداً مجازياً أو عزيراً صاحبه (السكينة) السكون كالبهية للبهتان أي أنزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والامن ليعرفوا فصل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف والهدنة غب القتال فيزدادوا يقيناً إلى يقينهم وأنزل فيها السكون إلى ما جاء به محمد عليه السلام من الشرائع (ليزدادوا إيماناً) بالشرائع وقرونا إلى إيمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أول ما أتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده أنزل الصلاة والزكاة ثم الحج ثم الجهاد فإزدادوا إيماناً إلى إيمانهم أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله عز وجل ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك إيماناً إلى إيمانهم وقيل أنزل فيها الرحمة ليراحموا فيزدادوا إيمانهم (ولله جنود السموات والأرض) يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديدية ووعدهم أن يفتح لهم وإيماناً قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيديهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه ۝ وقع السوء عبارة عن ردامة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه فقيل في المرضى الصالح من الأفعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد منها فعل سوء ومعنى (ظن السوء) ظنهم أن الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم إلى مكة ظافرين فاتحها عنوة وقهراً (عليهم دائرة السوء) أي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وقرئ دائرة السوء بالفتح أي الدائرة التي يذمونها وبسخطونها فهي عندهم دائرة سوء وعند المؤمنين دائرة صدق (فإن قلت) هل من فرق بين السوء والسوء (قلت) هما كالسكره والسكره والضعف والضعف من ساء إلا أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء وأما السوء بالضم فخارج مجرى الشر الذي هو نقيض الخير يقال أراد به السوء وأراد به الخير ولذلك أضيف الظن إلى المفتوح لكونه مذموماً وكانت الدائرة محمودة فكان حقها أن لا تضاف إليه إلا على التأويل الذي ذكرنا وأما دائرة السوء بالضم فلأن الذي أصابهم مكروه وشدة فصح أن يقع عليه اسم السوء كقوله عزّ وعلا إن أراد بكم سواً أو أراد بكم رحمة (شاهداً) تشهد على أمتك كقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيداً (ليؤمنوا) الضمير للناس

(قوله وقرئ دائرة السوء بالفتح) يفيد أن القراءة المشهودة دائرة السوء بالضم

وَأَصِيلًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثُّهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۚ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ

(ويعزروه) ويقووه بالنصرة (ويوقروه) ويعظموه (ويسبحوه) من التسييح أو من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن فرق الضمائر فقد أبعدته وقرئ لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بالناء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولآلته وقرئ وتعزروه بضم الزاي وكسرها وتعزروه بضم الناء والتخفيف وتعزروه بالزايين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره وتسبحوا الله (بكرة وأصيلا) عن ابن عباس رضى الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر لما قال (إنما يبايعون الله) أكدته تأكيداً على طريق التخييل فقال (يد الله فوق أيديهم) يريد أن يد رسول الله التي تعلوا يدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله والمراد ببيعة الرضوان (فإنما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه إلا عليه قال جابر ابن عبد الله رضى الله عنه بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى أن لانفتر فما نكث أحد منا البيعة إلا جدد بن قيس وكان منافقاً اختبأ تحت إبط بعيره ولم يسر مع القوم وقرئ إنما يبايعون لله أى لأجل الله ولوجهه وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها وبما عاهد وعهد (فستؤنيه) بالنون والياء يقال وفيت بالعهد وأوفيت به وهى لغة تهامة ومنها قوله تعالى أوفوا بالعقود والموفون بعهدهم هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والديل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذراً من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم أنه لا يريد حرباً فتناقل كثير من الأعراب وقالوا يذهب إلى قوم قد غزوه في عقر دارهم بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظلوا أنه يهلك فلا ينقلب إلى المدينة واعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وأنه ليس لهم من يقوم بأشغالهم وقرئ شغلنا بالتشديد (يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم) تكذيب لهم في اعتذارهم وأن الذى خلفهم ليس بما يقولون وإنما هو الشك فى الله والنفاق وطلبهم للاستغفار أيضاً ليس بصادق عن حقيقة (فمن يملك لكم) فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه (إن أراد بكم) ما يضركم من قتل أو هزيمة (أو أراد بكم نفعاً) من ظفر وغنيمة وقرئ ضراً بالفتح والضم . الأهلون جمع أهل ويقال أهلات على تقدير ناء التأنيث كأرض

قوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، (قال فيه لما قال إنما يبايعون الله أكدته تأكيداً على طريق التخييل الخ) قال أحمد كلام حسن بعد إسقاط لفظ التخييل وإبداله بالتمثيل وقد تقدمت أمثاله قوله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً (قال أى قتلاً وهزيمة أو أراد بكم نفعاً أى ظفراً وغنيمة انتهى كلامه) قال أحمد لا تخلو الآية من الفن المعروف عند علماء البيان باللام وكان الأصل والله أعلم فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً ومن يحرمكم النفع إن أراد بكم نفعاً لأن مثل هذا النظم يستعمل فى الضر وكذلك ورد فى الكتاب العزيز مطرداً كقوله فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنه فلن تملك له من الله شيئاً فلا تملكون لى من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون فيه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى بعض الحديث إننى لأملك شيئاً

(قوله وقرئ تؤمنوا وتعزروه) يفيد أن قراءة الياء هى المشهورة وقد تشير إلى تفريق الضمائر قراءة وتسبحوا الله الآية (قوله قد غزوه فى عقر داره) فى المصباح عقر الدار أصلها وهو محلة القوم وأهل المدينة يقولون عقر الدار بالضم

كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۖ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ۖ وَزِينَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السُّوءِ ۖ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ۖ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ۖ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ۖ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِنَأْخُذُهَا ذُرُوءًا ۖ نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۖ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَىٰ

وأرضات وقد جاء أهله وأما أهال فاسم جمع كليلال وقرئ إلى أهلهم وزين على الباء للفاعل وهو الشيطان أو الله عز وجل وكلاهما جاء في القرآن وزين لهم الشيطان أعمالهم وزينا لهم أعمالهم ، والبور من بار كاهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ وعود والمعنى وكنتم قوما فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم أو هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه (للكافرين) مقام مقام لهم للإيدان بأن من لم يجمع بين الإيمانين الإيمان بالله وبرسوله فهو كافر ، ونكر (سعييرا) لأنها نار مخصوصة كما نكر نار اتظلى (ولله ملك السموات والأرض) يدبره تدبير قادر حكيم فيغفر ويعذب بمشيئته ومشيتته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للنائب وتعذيب المصر (وكان الله غفورا رحيمًا) رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيئات باجتباب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ) الذين تخلفوا عن الحديبية (إذا انطلقتم إلى مغانم) إلى غنائم خيبر (أن يبدلوا كلام الله) وقرئ كلم الله أن يغيروا موعد الله لأهل الحديبية وذلك أنه وعزم أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر إذا قفلوا مواعدين لا يصيبون منهم شيئا وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا معي أبدا (تحسدوننا) أن نصيب معكم من الغنائم قرئ بضم السين وكسرهما (لا يفقهون) لا يفهمون إلا فهما (قليلًا) وهو فظنتهم لأمور الدنيا دون أمور الدين كقوله تعالى يعلون ظاهرا من الحياة الدنيا (فإن قلت) ما الفرق بين حر في الإضراب (قلت) الأول إضراب معناه رد أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم

يخاطب عشيرته وأمثاله كثيرة وسر اختصاصه بدفع المضرة أن الملك مضاف في هذه المواضع باللام ودفع المضرة نفع يضاف للدفع عنه وليس كذلك حرمان المنفعة فإنه ضرر عائد عليه لاله فإذا ظهر ذلك فإنما انتظمت الآية على هذا الوجه لأن القسمين يشتركان في أن كل واحد منهما نفي لدفع المقدر من خير وشر فلما تقاربا أدرجهما في عبارة واحدة وخص عبارة دفع الضر لأنه هو المتوقع لهؤلاء إذ الآية في سياق النهيد أو الوعيد الشديد وهي نظير قوله قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة فإن العصمة إنما تكون من سوء لا من الرحمة فهاتان الآيتان يرمان في التقرير الذي ذكرته والله أعلم ۖ قوله تعالى والله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (قال فيه يغفر ويعذب بمشيئته الخ) قال أحمد قد تقدمت أمثالها والقول بأن موجب الحكمة ما ذكر تحمك هذا وأدلة الشرع القاطعة تأتي على ما يعتقده فلا تبقى ولا تدر فكم من دليل على أن المغفرة لا تقف على التوبة وكم يروم اتباع القرآن للرأى الفاسد فيقيد مطلقا ويحجر واسعا والله الموفق ۖ قوله تعالى سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لناخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل إن تتبعونا كذلك قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا (قال المراد بكلام الله وعده أهل الحديبية بغنائم خيبر عوضا عما يفوتهم من غنائم مكة الخ) قال أحمد فالإضراب الأول إذا هو المعروف والثاني هو المستغرب المستعذب الذي ليس فيه مباينة بين الأول والثاني بل زيادة بينة ومبالغة متمسكة وإنما كان المنسوب إليهم ثانيا أشد من المنسوب إليهم أولا لأن الأول نسبة إلى جهل في شيء مخصوص وهو نسبتهم الحسداني المؤمنين والثاني يعتبر بجهل على الإطلاق وقلة فهم على الاسترسال

قَوْمٍ أُولَىٰ بِأَسِ شَدِيدٍ تَقْتُلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّدُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۚ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ۚ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۚ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً

وإثبات الحسد والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه (قل للخلفين) هم الذين تخلفوا عن الحديبية (إلى قوم أولى بأس شديد) يعني بني حنيفة قوم مسيئة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأن مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف عند أبي حنيفة ومن عداهم من مشركي العجم وأهل الكتاب والمجوس تقبل منهم الجزية وعند الشافعي لا تقبل الجزية إلا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب وهذا دليل على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنهم لم يدعوا إلى حرب في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوم تعالى فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً وقيل هم فارس والروم ومعنى (يسلمون) ينقادون لأن الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم إعطاء الجزية (فإن قلت) عن قتادة أنهم ثقيف وهوازن وكان ذلك في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) إن صح ذلك فالعنى لن تخرجوا معي أبداً مادتم على ما أتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين أو على قول مجاهد كان الموعد أنهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا متطوعين لأنصيب لهم في المغنم (كما توليتم من قبل) يريد في غزوة الحديبية ۚ أو يسلمون معطوف على تقاتلونهم أى يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام لثالث لهما وفي قراءة أبي أو يسلموا بمعنى إلى أن يسلموا ۚ نفى الحرج عن هؤلاء من ذوى العاهات في التخلف عن الغزو ۚ وقرئ تدخله ونعذبه بالنون ۚ هى بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها أن النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل الحديبية بعث جؤاس بن أمية الخزاعي رسولا إلى أهل مكة فهموا به فمنعه الأحابيش فلما رجع دعا بعمر رضي الله عنه لبيعته فقال إني أخافهم على نفسي لما عرف من عداوتى إليهم وما بمكة عدوى يمنعني ولكنى أدلك على رجل هو أعز بها منى وأحب إليهم عثمان بن عفان فبعثه يخبرهم أنه لم يأت بحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظما لحرمة فوقروه وقالوا إرشت أن تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لأطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبرح حتى تناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله لو كنت أبصر لأريتكم مكاهها وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في أصل الشجرة وعلى ظهره غصن من أغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على رأسه ويدي غصن من الشجرة أذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه على الموت دونه وعلى أن لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير أهل الأرض وكان عدد المبايعين ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل ألفاً وأربعمائة وقيل ألفاً وثلاثمائة (فعلم ما في قلوبهم) من الإخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه (فأنزل السكينة) أى الطمأنينة والأمن بسبب الصالح على قلوبهم (وأثابهم فتحا قريبا) وقرئ وآنام وهو فتح خيبر غاب انصرافهم من مكة وعن الحسن فتح هجره وأجل فتح أسعوا بشمرها زمانا (ومغانم كثيرة يأخذونها) هى مغنم خيبر وكانت أرضا ذات عقار

(قوله جؤاس) قوله جؤاس الذى فى أبى السعود وفى الشهاب خراش بالحاء والراء والشين اه ماخصا من هاشم وكذا فى النسفى والخازن (قوله ذات عقار) فى الصحاح العقار بالفتح الأرض والضياع والنخل



يَاخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدَرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأَدْبَرُ ثُمَّ لَا يُجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهُدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِّبِكُمْ مِنْهُمْ

وأموال فقسمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عليهم ثم أتاه عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف بعد أن نحر بالحديبية وحلق ( وعدكم الله مغانم كثيرة ) وهى ما بنى على المؤمنين إلى يوم القيامة ( فعجل لكم هذه ) المغانم يعنى مغانم خيبر ( وكف أيدى الناس عنكم ) يعنى أيدى أهل خيبر وحلفاؤهم من أسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقفذ الله فى قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل أيدى أهل مكة بالصلح ( ولتكون ) هذه الكفة ( آية للمؤمنين ) وعبرة يعرفون بها أنهم من الله تعالى بمكان وأنه ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة فى منامه ورؤيا الأنبياء صلوات الله عليهم وحى فتأخر ذلك إلى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة ( ويهديكم صراطا مستقيما ) ويزيدكم بصيرة و يقينا وثقة بفضل الله ( وأخرى ) معطوفة على هذه أى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى ( لم تقدروا عليها ) وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة ( قد أحاط الله بها ) أى قدر عليها واستولى وأظهركم عليها وغنمكموها ويجوز فى أخرى النصب بفعل مضمير يفسره قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها وأما لم تقدروا عليها فصفة لأخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد أحاط الله بها خبر المبتدأ والجزء بإضمار رب ۝ ( فإن قلت ) قوله تعالى ولتكون آية للمؤمنين كيف موقعه ( قلت ) هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك ويجوز أن يكون المعنى وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الأعداء لينفعكم بها ولتكون آية للمؤمنين إذا وجدوا وعد الله بها صادقا لأن صدق الإخبار عن الغيوب معجزة وآية ويزيدكم بذلك هداية وإيقانا ( ولوقاتلكم الذين كفروا ) من أهل مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفاء أهل خيبر لغلبوا وانهمزوا ( سنة الله ) فى موضع المصدر المؤكد أى سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله تعالى لاغلبن أناورسلى ( أيديهم ) أيدى أهل مكة أى قضى بينهم وبينكم المكافاة والمجازة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبوحنيفة رحمه الله على أن مكة فتحت عنوة لاصلاحا وقيل كان ذلك فى غزوة الحديبية لما روى أن عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضى الله عنه أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت ۝ وقرئ تعملون بالناء والياء ۝ قرئ والهدى والهدى بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى إلى الكعبة بالنصب عطفا على الضمير المصوب فى صدوكم أى صدوكم وصدوا الهدى وبالجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدى ( معكوكا أن يبلغ محله ) محبوسا عن أن يبلغ وبالرفع على وصد الهدى ومحله مكانه الذى يحل فيه نحره أى يجب وهذا دليل لأبى حنيفة على أن المحصر محل هديه الحرم ( فإن قلت ) فكيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وإنما نحر هديهم بالحديبية ( قلت ) بعض الحديبية من الحرم وروى أن مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فى الحل ومصلاه فى الحرم ( فإن قلت ) فإذا نحر فى الحرم فلم قيل معكوكا أن يبلغ محله ( قلت ) المراد المحل المعهود وهو منى ( لم تعلموهم ) صفة الرجال والنساء جميعا ( أن تطوهم ) بدل اشتغالهم منهم

مَعْرَةٌ بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لوتزبلوا لعذبتنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزهم كلمة التقوى

أو من الضمير المنصوب في تلوهم والمعرة مفعلة من عره بمعنى عراه إذا دهاه ما يكره ويشق عليه و (بغير علم) متعلق بأن تطوهم بمعنى أن تطوهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الإيقاع والإبادة قال ووطننا وطأ على حنق ه وطأ المقيد ثابت الهرم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن آخر وطأة وطمها الله بوج والمعنى أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفين إلا ما كن فليل ولولا كراهة أن نهلكوا ناساً مؤمنين بين ظهرائي المشركين وأتم غير عارفين بهم فيصيدكم يا هلاكهم مكروه ومشقة لما كف أيديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز أن يكون لوتزبلوا كالتكرير للرجال مؤمنون لمرجعهما إلى معنى واحد ويكون لعذبتنا هو الجواب ( فإن قلت) أي معرة تصيبهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون (قلت) يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء مقالة المشركين أنهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم إذا جرى منهم بعض التقصير (فإن قلت) قوله تعالى (ليدخل الله في رحمته من يشاء) تعليل لما ذا (قلت) لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الأيدي عن أهل مكة والمنع من قتلهم صورنا لمن بين أظهرهم من المؤمنين كأنه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته أي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنهم أوليدخل في الإسلام من رغب فيه من مشركهم (لوتزبلوا) لوتفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله بزيله وقرئ لوتزابلوا (إذ) يجوز أن يعمل فيه ما قبله أي لعذبتناهم أو صدوهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وأن ينصب بإضمار اذكر والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الأنفة والسكينة الوقار ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الأخيف على أن يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتاباً فقال عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنها كتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن كتب باسمك اللهم ثم قال كتب هذا أصالح عليه رسول الله ﷺ أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن كتب هذا أصالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه الصلاة والسلام كتب ما يريدون فأنا أشهد أنى رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون أن يأبوا ذلك ويشتمزوا منه فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا و (كلمة التقوى) بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه وللذين معه أهل الخير ومستحقه ومن هم أولى بالهداية من غيرهم وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن رضى الله عنه كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى إضافتها إلى التقوى أنها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى ه وفي مصحف الحرث بن سويد صاحب

ه قوله تعالى لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم إلى قوله لوتزبلوا لعذبتنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً (قال) فيه يجوز أن يكون جواب لولا محذوف الخ) قال أحمد وإنما كان مرجعها ههنا واحداً وإن كانت لولا تادل على امتناع لوجود ولولا تادل على امتناع لا امتناع وبين هذين تناف ظاهر لأن لولا ههنا دخلت على وجود ولودخلت على قوله تزبلوا وهو راجع إلى عدم وجودهم وامتناع عدم الوجود وجود فآ لا إلى أمر واحد من هذا الوجه وكان جدى رحمه الله يختار هذا الوجه الثانى ويسميه نظرية وأكثر ما تكون إذا تطاول الكلام وبعد عهدا وله واجتيج إلى رد الآخر على الأول فمرة يطرى بلفظه ومرة بافظ آخر يؤدي مؤداه وقد تقدمت لها أمثال والله أعلم وهو الموفق

(قوله بمعنى عراه إذا دهاه) عبارة الصحاح بلفظها هو يعرف قومه أى يدخل عليهم مكروها يلطخهم به والمعزة الإثم (قوله) وطأ المقيد ثابت الهرم) لعله ثابت بالنون والهرم بالتسكين نبت وهو ضرب من الحص ترعاه الإبل كما فى الصحاح

وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ  
الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا  
قَرِيبًا ۝ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ مُحَمَّدٌ رَسُولُ  
اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا

عبدالله وكانوا أهلها وأحق بها وهو الذي دفن مصحفه أيام الحجاج ۝ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه  
إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا  
أنهم داخلوها في عامهم وقالوا إن رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلبسنا تأخر ذلك قال عبدالله بن أبي وعبدالله  
ابن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقتنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى (صدق الله رسول الرؤيا)  
صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علواً كبيراً فحذف الجاز وأوصل الفعل كقوله تعالى  
صدقوا ما عاهدوا الله عليه ۝ (فإن قلت) بم تعلق (بالحق) (قلت) إقاب صدق أى صدقه فيما رأى وفي كونه وحصوله صدقا  
ملتبساً بالحق أى بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه  
مرض ويجوز أن يتعاقب بالرؤيا حالاً منها أى صدقه الرؤيا ملتبساً بالحق على معنى أنها لم تكن من أضغاث الأحلام  
ويجوز أن يكون بالحق قسماً إقما بالحق الذى هو نقيض الباطل أو بالذى هو من أسمائه و (لندخان) جوابه وعلى الأول  
هو جواب قسم محذوف ۝ (فإن قلت) ما وجه دخول (إن شاء الله) فى أخبار الله عز وجل (قلت) فيه رجوه أن يعلق بآيته  
بالمشيئة تعليماً لعباده أن يقولوا فى عدايتهم مثل ذلك متأدين بأدب الله ومقتدين بسنته وأن يريد لندخان جميعاً إن شاء الله  
ولم يمت منكم أحد أو كان ذلك على لسان ملك فأدخل الملك إن شاء الله أو هى حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لأصحابه وقص عليهم وقيل هو متعلق بآمنين (فعلم ما لم تعلموا) من الحكمة والصواب فى تأخير فتح مكة إلى العام القابل  
(فجعل من دون ذلك) أى من دون فتح مكة (فتحاً قريباً) وهو فتح خيبر لتستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح  
الموعود (بالهدى ودين الحق) بدين الإسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جنس الدين كله يريد الأديان المختلفة من  
أديان المشركين والجاحدين من أهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فإليك لا ترى ديناً قط إلا والإسلام دونه العز  
والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى حين لا يبقى على وجه الأرض كافر وقيل هو إظهاره بالحجج والآيات وفى هذه الآية تأكيد  
لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أن الله تعالى سيفتح لهم من البلاد ويقض لهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون  
إليه فتح مكة (وكفى بالله شهيداً) على أن ما وعده كائن عن الحسن رضى الله عنه شهد على نفسه أنه سيظهر دينك (محمد)  
إما خبر مبتدأ أى هو محمد لقدم قوله تعالى هو الذى أرسل رسوله وإمامتداً ورسول الله عطف بيان وعن ابن عامر أنه قرأ  
رسول الله بالنصب على المدح (والذين معه) أصحابه (أشداء على الكفار رحماء بينهم) جمع شديد ورحيم ونحوه أدلة على  
المؤمنين أعزة على الكافرين وأغاظ عليهم بالمؤمنين رؤف رحيم وعن الحسن رضى الله عنه بلغ من تشدهم على الكفار  
وأنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلتق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى  
مؤمن مؤمناً إلا صاحبه وعانقه والمصافحة لم تختلف فيها الفقهاء وأما المعانقة فقد كرهها أبو حنيفة رحمه الله وكذلك  
التقبيل قال لأحب أن يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئاً من جسده وقد رخص أبو يوسف فى المعانقة  
من حق المسلمين فى كل زمان أن يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه

(قوله أى صدقه الرؤيا ملتبساً) لعله ملتبساً (قوله إنه سيظهر دينك) لعله دینه كعبارة النسي

سَيَأْتِي فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝

ويعاشروا إخوتهم في الإسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الأذى والمعونة والاحتمال والأخلاق السجيحة ووجه من قرأ أشداه ورحمته بالنصب أن يصهما على المدح أو على الحال بالمقدر في معه ويجعل تراهم الخبر (سيأتم) علامتهم وقرئ سيأتم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيما والمراد بها السمة التي تحدث في جهة السجود من كثرة السجود وقوله تعالى (من أثر السجود) بفسرها أي من التأثير الذي يؤثره السجود وكان كل من العليين علي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس أبي الأملك يقال له ذوالثفتان لأن كثرة سجودهما أحدثت في مواقعه منهما أشباه ثفتان البعير وقرئ من أثر السجود ومن آثار السجود وكذا عن سعيد بن جبيرة السمة في الوجه (فإن قلت) فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تعلقوا صوركم وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه رأى رجلاً قد أترق في وجهه السجود فقال إن صورة وجهك أنفك فلا تعلق وجهك ولا تشن صورتك (قلت) ذلك إذا اعتمد بوجهه على الأرض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه ونحن فيما حدث في جهة السجود الذي لا يسجد إلا خالصاً لوجه الله تعالى وعن بعض المتقدمين كنا نصلي فلا يرى بين أعيننا شيء ونرى أحداً الآن يصلي فيرى بين عينيه ركة البعير فما ندري أنثقت الأروس أم خشنت الأرض وإنما أراد بذلك من تعدد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله وعن الضحاك ليس بالندب في الوجوه ولكنه سفرة وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب الأرض وعن عطاء رحمه الله استنارت وجوههم من طول ماصلوا بالليل كقولهم من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار (ذلك) الوصف (مثلهم) أي وصفهم العجيب الشأن في الكتابين جميعاً ثم ابتدأ فقال (كزرع) يريدهم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم في التوراة ثم ابتدئ ومثلهم في الإنجيل كزرع ويجوز أن يكون ذلك إشارة مهمة أو صحت بقوله كزرع أخرج شطأه كقوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ۝ وقرئ الإنجيل بفتح الهمزة (شطأه) فراخه يقال أشطا الزرع إذا فرخ وقرئ شطأه بفتح الطاء وشطأه بتخفيف الهمزة وشطأه بالمد وشطه بخذف الهمزة ونقل حركتها إلى ما قبلها وشطوه بقلبها وواو (فآزره) من الموازرة وهي المعاونة وعن الأخفش أنه أفعل وقرئ فآزره بالتخفيف والتشديد أي فشد آزره وقواه ومن جعل آزر أفعل فهو في معنى القراءتين (فاستغلظ) فصار من الدقة إلى الغاظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وقيل مكتوب في الإنجيل سيخرج قوم ينتبون نبات الزرع بأمر من المعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بأبي بكر فآزره بعمر السخاوي استغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قرئ واستحكم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع ما يحثف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزرع (فإن قلت) قوله (ليغيط بهم الكفار) تعليل لماذا (قلت) لمادل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز أن يعلل به (وعاد الله الذين آمنوا) لأن الكفار إذا سمعوا بما أعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومعنى (منهم) البيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان بمن شهد مع محمد فتح مكة

(قوله والأخلاق السجيحة) أي السهلة أفاده الصحاح (قوله في مواقعه منهما أشباه ثفتان) في الصحاح هي ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استنح (قوله لا تعلقوا صوركم) في الصحاح علبته أعليه بالضم إذا وسمته أو خدشته أو أثرت فيه (قوله ليس بالندب في الوجوه) في الصحاح الندب أثر الجرع إذا لم يرتفع عن الجلد

# فهرس

## الجزء الثالث من تفسير الكشاف

ص السورة	ص السورة
فاطر ٢٦٦	الأنبياء ٢
يس ٢٧٩	الحج ٢٤
الصافات ٢٩٥	المؤمنون ٤٢
ص ٣١٥	النور ٥٩
الزمر ٣٣٧	الفرقان ٨٧
غافر ٣٥٩	الشعراء ١٠٧
فصلت ٣٨١	النمل ١٣٢
الشورى ٣٩٦	القصص ١٥٦
الزخرف ٤١٠	العنكبوت ١٨٢
الدخان ٤٢٨	الروم ١٩٧
الجاثية ٤٣٦	لقمان ٢٠٩
الأحقاف ٤٤١	السجدة ٢١٨
محمد عايه السلام ٤٥٢	الأحزاب ٢٢٥
الفتح ٤٦٠	سبا ٢٥٠

﴿تمّ الجزء الثالث من تفسير الكشاف﴾

﴿ويليه الجزء الرابع واوله سورة الحجرات﴾

